

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيّة الجليد والنار

الكتاب الثالث

# عاصفة السُّيوف

الجزء الثاني

الكتاب: عاصفة السُّيوف II (الكتاب الثالث من أغنيّة الجليد والنَّار) / رواية  
المؤلف: جورج ر. ر. مارتن  
ترجمة: هشام فهمي  
عدد الصفحات: 640 صفحة  
الترقيم الدولي: 978-614-472-015-8  
الطبعة الأولى: 2018

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

***A Storm of Swords by George R..R. Martin***

*Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd*

*Copyright © 2000 by George R.R. Martin*

*Excerpt from A Feast for Crows Copyright © 2005 by George R.R. Martin*


*Maps Copyright © 2011 by Jeffrey L. Ward*

*Heraldic crests by Virginia Norey*

*Jacket design: David Stevenson*

*Jacket illustration: © Larry Rostant*

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©  
الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر 

لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع السرايا الكرى (فؤاد سراج الدين سابقاً) - جاردن سيتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

الكتاب الثالث

# عاصفة السيوف

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي







## دڤيرس

أخبرها كشافتها الدوثر اكي بحقيقة الوضع، لكنها أرادت أن ترى بنفسها، وركب السير چورا مورمونت معها عبر غابة من أشجار البتولة وإلى قمة أخذود مائل من الحجر الرملي، قال منبها حين بلغها: «اقتربنا كفاية».

كبحت داني فرسها ونظرت عبر الحقول إلى حيث احتشد جيش (يونكاي) معترضاً طريقها. كان ذو اللحية البيضاء يُعلمها أفضل طريقة لإحصاء أعداد العدو، فقالت بعد قليل: «خمسة آلاف».

قال السير چورا: «على ما يبدو»، وأشار مضيئاً: «هؤلاء مرتزقة على الجناحين، رُماة على متن الخيول ورمّاحون، ويحملون السيوف والفؤوس لأجل القتال المباشر. الأبناء الثانون إلى الميسرة، وغربان العاصفة إلى اليمين، نحو خمسمئة رجل في كل جماعة. هل ترين الرّيات؟».

في (يونكاي) تُمسك الهاربي ببرائنها سوطاً وطوقاً من الحديد بدلاً من السلسلة، لكن المرتزقة يرفعون رياتهم الخاصة؛ إلى اليمين أربعة غربان بين صاعقتي برق متقاطعتين، وإلى اليسار سيف مكسور. علقت داني: «اليونكايون يتولون القلب بأنفسهم». من هذه المسافة لا يبدو ضباطهم مميزين عن ضباط (أستاپور)، يعتمرون كلهم الخوذات الطويلة اللامعة ويرتدون المعاطف التي خيطة عليها الأقراص النحاسية البراقة. «هل الجنود الذين يقودونهم عبيد؟».

- «أغلبهم، لكنهم لا يُصاهون المطهّرين. (يونكاي) مشهورة بتدريب عبيد الفراش لا المحاربين».

- «ما رأيك إذن؟ هل نستطيع هزيمة هذا الجيش؟».

أجاب السير چورا: «سهولة».

- «لكن ليس دون سفك دماءٍ غزيرة». يوم سقطت (أستاپور) تشرّب قريميد المدينة الكثير من الدّماء، وإن كان قليل منها للغاية من عروق داني أو قومها. «قد نتصر في المعركة هنا، لكن تكلفتها ستمنعنا من أخذ المدينة». - «هذه المخاطرة قائمة دائماً يا كاليسي. (أستاپور) كانت غافلةً وضعيفةً، أمّا (يونكاي) فتلقّت الإنذار مسبقاً».

أطرفت مفكرةً. جيش النّحاسين يبدو صغيراً مقارنةً بما معها من أعداد، لكن المرتزقة يمتطون الخيول، ولقد ركبت داني مع الدوثرافي طويلاً حتى أصبحت تكنُّ خالص التقدير لما يُمكن أن يفعله الخيّالة بالمُشاة. المطهرون قادرون على التصدّي لهجومهم، لكن رجالي المعتقين سيُذبّحون لا محالة. «النّحاسون يُحبّون الكلام. أخطّرهم بأنني سأسمع ما لديهم في خيمتي هذا المساء، وادعُ قادة جماعتي المرتزقة لزيارتي كذلك، لكن ليس معاً. غربان العاصفة عند الظّهيرة والأبناء الثّانون بعدها بساعتين».

- «كما تشائين، لكن إذا لم يأتوا...».

قالت داني: «سيأتون. لا بدّ أنهم يشعرون بالفضول لرؤية الثّانين وسماع ما لديّ، والأذكىاء منهم سيغتنمون فرصة تقييم قوّتي»، ودارت بفرسها الفضيّة مضيئة: «سأنتظرهم في سُرادي».

رافقتها السّماء الغائمة والريّح السّريعة في طريق العودة إلى جيشها. كان نصف الخندق العميق الذي سيحيط بمعسكرها قد حُفر بالفعل، وامتلات الغابة بالمطهّرين الذين يقطعون فروع أشجار التّبولة ليبروها ويصنعوا منها خوازيق، فالمخصيّنون لا يمكنهم التّوم في معسكر بلا دفاعات، أو أن هذا ما أصرّ عليه الدّودة الرّمادي، الذي وقف يُشرف على العمل. توقّفت داني لتُكلّمه، وقالت: «(يونكاي) شمّرت أكامها استعداداً للمعركة».

- «عظيم يا جلالة الملكة. هؤلاء الأحاد ظمّانون للدم».

حين أمرت المطهّرين باختيار ضبّاطٍ من بينهم، فاز الدّودة الرّمادي بالأكثريّة السّاحقة لتولي أعلى الرّتب، وعيّنت داني السير چورا مشرفاً عليه لتدريبه على القيادة. حتى الآن يقول الفارس المنفيّ، إن الخصيّ الشّاب صارم لكنه عادل، وسريع التّعلم ولا يكلّ أبداً، بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بالتّفاصيل.

- «الأسياذ الحُكماء حشدوا جيشًا من العبيد لمواجهتنا».

- «العبيد في (يونكاي) يتعلمون فنَّ التَّنهُدات السَّبعة وأوضاع المتعة السَّنة عشر يا جلالة الملكة، لكن المطهَّرين يتعلمون القتال بالحِراب الثلاث. دودتك الرَّمادي يأمل أن يُريك».

من أول الأشياء التي فعلتها داني عقب سقوط (أستاפור) أنها أبطلت تقليد إعطاء المطهَّرين أسماء استعبادٍ جديدة كلِّ يوم. معظم من وُلدوا أحرارًا عادوا إلى أسمائهم الأصليَّة (مَن لا يزال يذكُر اسمه الأصلي منهم على الأقل) بينما أطلق آخرون على أنفسهم أسماء أبطال أو آلهة، وبعضهم اختار أسماء أسلحة أو أحجار كريمة أو زهور، وهو ما أدَّى إلى عددٍ من الأسماء ذات الوقع الغريب للغاية على أذني داني. أمَّا الدُّودة الرَّمادي فظلَّ الدُّودة الرَّمادي، ولمَّا سألته عن السَّبب أجاب: «إنه اسم جالب للحظ. الاسم الذي وُلد به هذا الواحد ملعون، فهو الاسم الذي كان يحمله يوم أخذوه إلى العبوديَّة، لكن الدُّودة الرَّمادي هو الاسم الذي سحبه هذا الواحد من البرميل يوم أعتقته ديريس وليدة العاصفة».

قالت داني: «إذا نشبت المعركة، فليتحلَّ الدُّودة الرَّمادي بالحكمة إلى جانب الشَّجاعة. لا تقتل أيَّ عبدٍ يهرب أو يُلقِي سلاحه، فكلما قلَّ عدد القتلى ازدادَ من ينضمُّون إلينا بعدها».

- «هذا الواحد سيتذكَّر».

- «إنني واثقة بهذا. كُن في خيمتي عند الظَّهيرة. أريدك هناك مع ضبَّاطي الآخرين عندما ألتقي قادة المرتزقة»، وهمزت داني فرسها نحو المعسكر.

كانت الخيام تُنصب في صفوفٍ منتظمة داخل الحدود التي أرساها المطهَّرون، وفي المنتصف سُرادقها الذهبي الطويل، فيما أقيم معسكر آخر على مقربةٍ يفوق معسكرها مساحةً خمس مرَّات، وإن ترامت أطرافه وضربت فيه الفوضى أطنابها، إذ يخلو من الخنادق والخيام والحُرَّاس وصفوف الخيول. مَن يملكون خيلاً أو بغالاً ناموا إلى جوارها خشية أن تُسرق، وجالت الماعز والخراف والكلاب الجائعة بحريَّةٍ وسط حشودٍ من النِّساء والأطفال والمسنِّين. كانت داني قد تركت (أستاפור) في أيدي مجلس من الرِّقيق السَّابقين، يقودهم نطاسي ومعلم وراهب، وقد قرَّرت أنهم جميعاً

رجال حُكماء وعادلون، لكن على الرغم من هذا فضَّل عشرات الآلاف أن يتبعوها إلى (يونكاي) على البقاء في (أستاپور). أعطيتهم المدينة، لكن السَّواد الأعظم منهم كان أجبن من أن يأخذها.

فأَت أعداد جيش المعتقين جيشها مرارًا، لكنهم يُشكِّلون عبئًا أكثر من منفعة. ربما يملك واحد من كلِّ مئة حمارًا أو ثورًا أو جملاً، ومعظمهم يحمل أسلحةً مسروقةً من مستودع سلاح هذا النَّحاس أو ذاك، لكن واحدًا فقط من كلِّ عشرة يقوى على القتال، ولا أحد منهم تلقى أيَّ تدريب البتَّة. إنهم يأتون على الأخضر واليابس في كلِّ مكانٍ يمرُّون به كجحافلٍ جرادٍ يرتدي الصَّنادل، لكن داني لم تستطع أن تتخلَّى عنهم كما حثَّها السير چورا وخيَّالة دمها. قلتُ لهم إنهم أحرار، ولا يُمكنني أن أقول لهم الآن إنهم ليسوا أحرارًا في الانضمام إليَّ. تطلعت إلى الأدخنة المتصاعدة من بؤر النَّار التي أوقدوها وكتمت زفرةً حارَّةً. قد يكون معها أفضل جنود مُشاة في العالم، لكن أسوأهم على الإطلاق معها أيضًا.

كان آرستان ذو اللحية البيضاء واقفًا أمام مدخل خيمتها، وعلى مقربةٍ جلسَ بلواس القوي متقاطع السَّاقين على العُشب يأكل تينًا من وعاء. في أثناء الرَّحف وقعَ واجب حراستها على أعتاقهما، كما أنها جعلت كلاً من چوجو وأجو وراكارو وگو علاوةً على خيَّال دم، والآن تحديدًا تحتاج إليهم لقيادة من معها من دوثراكي أكثر من حراستها الشخصية. صحيحٌ أن غالاسارها صغير، ليس أكثر من ثلاثين وثيَّف من المُحاربين، ومعظمهم صبية بلا جدائل في شعرهم ومسنونٍ محيَّو الظهر، لكنهم يُمثِّلون كلَّ سلاح الخيَّالة الذي لديها، ولا تجرؤ على الحركة دونهم. ربما يكون المطهَّرون أفضل جنود مُشاة في العالم كما زعم السير چورا، لكنها في حاجةٍ إلى كَشافةٍ أيضًا.

قالت داني لذي اللحية البيضاء داخل الخيمة: «(يونكاي) تُريد الحرب». كانت إيرري وچيكوي قد غطَّتا الأرضيَّة بالبُسط، وأشعلت ميسانداي عودًا من البخور لتعطير الهواء المترب، وقد نامَ دروجون وريجال على بعض الوسائد متعانقين، وجثمَ فسيريون على حافة حوض الاستحمام. «ميسانداي، ما اللغة التي سيتكلَّمها اليونكايون؟ الغاليريَّة؟».

أجابَت الطفلة: «نعم يا جلالة الملكة. لكنة مختلفة عن التي يتحدَّثونها في

(أستاپور) لكن مفهومة كفايةً. النَّخَّاسون يُلقَّبون أنفسهم بالأسياء الحُكماء». ردَّدت داني: «حُكماء؟»، وجلست متقاطعة السَّاقين على وسادة، فسطَّ فسيريون جناحيه وحلَّت إلى جانبها، وأضافت وهي تُداعِب رأس التَّنين الحرشفي وراء قرنيه: «سنرى قَدر حكمتهم».

عادَ السيرُ چورا مورمونت بعد ساعةٍ ومعه ثلاثة من قادة غِربان العاصفة. كانوا يُبْتَنون ريشًا أسود إلى خوداتهم اللَّامعة، وأدَّعوا أنهم سواسية في المكانة والسُّلطة. تفحصتهم داني فيما صبَّت إيربي وچيکوي النِّبذ. پرنډال نا غِزن جيسكاري غليظ البنية ذو وجهٍ عريض وشعر داكن وخطه الشَّيب، وسالور الأصلع على وجهه الكارثيني الشَّاحب ندبة متعرَّجة، أمَّا داريو نهاريس فشديد البهرجة، حتى بالنِّسبة لرجل تايروشي، فلحيته مقسَّمة على شكل ثلاث أشواك مصبوغة بالأزرق، اللُّون نفسه الذي تلتمع به عيناه وينسدل به شعره المجعَّد حتى ياقته، وشارباه المديبان مصبوغان باللَّهبي، وثيا به كلها درجات من الأصفر، فتتدلَّى شرائط الزَّينة المايريَّة بلون الزُّبدة من ياقته وكُمَّيه، وتَبْرُق رصائع النَّحاس الأصفر على سُترته متَّخذةً شكل زهور الهندباء البرِّيَّة، وعلى حدائه الجلدي الطويل الذي يبلغ عنقه فخذيه زخارف ذهبيَّة أنيقة، وقد دَسَّ قفازين من الجلد الأصفر المدبوغ في حزام من الحلقات الذهبيَّة، وطلَى أظفاره بالمينا الأزرق.

لكن پرنډال نا غِزن هو من تكلم باسم المرتزقة، وقال: «من صالحك أن تأخذني غوغاءك إلى مكان آخر. لقد أخذت (أستاپور) بالخيانة، لكن (يونكاي) لن تسقط بتلك البساطة».

قالت داني: «خمسمئة من غِربان العاصفة ضد عشرة آلاف من المطهَّرين. إنني مجرَّد فتاة صغيرة ولا أفهم طبائع الحرب، لكنني أرى احتمالات فوزكم ضعيفةً».

- «غِربان العاصفة لا يقفون وحدهم».

- «غِربان العاصفة لا يقفون على الإطلاق، بل يفرون مع أول بادرة للرعْد. ربما كان حريًّا بكم أن تفرُّوا الآن. لقد سمعتُ أن المرتزقة مشهورون بغدرهم، فيمَ سينفعكم الصُّمود عندما يُبدل الأبناء الثَّانون ولاءهم؟».

قال پرنډال بإصرارٍ دون أن يبدو عليه تأثر: «لن يحدث ذلك أبدًا، وحتى

إذا حدثَ فلا يهيمُ، الأبناء الثَّانُونَ لا شيء. إنا نُقاتِلُ جنبًا إلى جنبٍ مع أبناءِ (يونكاي) البواسل».

حرَّكتَ رأسها فرَنَ الجِرسان التَّوأمين في جديلتها بخفوت، وقالت: «إنكم تُقاتِلون إلى جانبِ غلمانِ فِراش مسلَّحين بالحِراب. لا تُحاولوا طلب الرِّحمةِ إذنَ بمجرَّد أن تبدأ المعركة، لكن إذا انضممتم إليَّ الآنَ فيمكنكم الاحتفاظ بالذهب الذي تقدّمك إياه اليونكيُّون والحصول على حصَّةٍ من الغنائم أيضًا، بالإضافة إلى ما ستنالونه من مكافآتٍ أكبر حين أعتلي عرش مملكتي. قاتِلوا من أجل الأسياد الحُكماء وسيكون أجركم الموت. هل تحسبون أن (يونكاي) ستفتح أبوابها بينما يُدبِّحكم المطهَّرون أمام الأسوار؟».

- «إنك تنهقين كالحمير يا امرأة، ومثلها بالضبط لا يخرُج من فمكِ ما يُعقل».

قهقهت قائلةً: «امرأة؟ أمن المفترض أن تُشعِرنِي الكلمة بالإهانة؟ كنتُ لأرد الصَّفعة لو حسبتك رجلًا»، وقابلت نظراتها نظراته وهي تُردف: «إنني دنيرس وليدة العاصفة، سليلة عائلة تارجارين، التي لم تحترق، كاليسي خيالة دروجو، سيِّدة ممالك (وستروس) السَّبْع».

رَدَّ برندال نا غزن: «ما أنتِ إلا عاهرةٌ واحدٍ من سادة الخيول، وعندما نُحطِّمكِ، سأجعلُ فحلي يُعاشِركِ».

سحبَ بلواس القوي أراخه قائلاً: «فلتأمر الملكة وسيُعطيها بلواس القوي هذا اللسان القبيح».

قالت باسمةً: «لا يا بلواس، لقد وعدتُ هؤلاء الرِّجال بالأمان. أخبروني، هل غربان العاصفة أحرار أم عبيد؟».

أعلنَ سالور: «إننا أخوة من الرِّجال الأحرار».

قامت داني قائلةً: «عظيم. عودوا إلى إخوتكم وأخبروهم بما قلته إذن، فلربما يُؤثِّر بعضهم تجرُّع المجد والذهب بدلًا من الموت. أريدُ إجابتكم غدًا».

نهضَ قادة غربان العاصفة معًا، وقال برندال نا غزن: «إجابتنا لا»، وتبعه رفيقاه إلى خارج الخيمة... لكن داريو نهاريس ألقى نظرةً إلى الورا وهو يُغادر، وحنأ رأسه بتحيَّة وداعٍ مهذبة.

بعد ساعتين وصل قائد الأبناء الثَّانين وحده، وأتضح أنه براهوسي فارح الطُّول له عينان شاحبتا الخُضرة ولحية كثيفة بلون الذهب الأحمر تكاد تبلغ حزامه. اسمه ميرو، لكنه يُلقَّب نفسه بنغل المارد.

جرع ميرو نبيذه دفعةً واحدةً ومسح فمه بظَّهر يده، ثم رمقَ داني بنظرةٍ شبة قاتلاً: «أعتقدُ أنني ضاجعتُ أختكِ التَّوأم في أحد بيوت الهوى في الوطن، أم أنها كانت أنتِ؟».

- «لا أظنُّ، فلما أمكنتني أن أنسى رجلاً بعظمتك هذه بالتأكيد».

قال البراهوسي رافعاً كأسه لچيکوي: «نعم، هذا صحيح. لا امرأة تنسى نغل المارد أبداً. ما أريك أن تخلعي هذه الثَّياب وتأتي وتجلسي في حجري؟ إذا أرضيتني فربما أنقل الأبناء الثَّانين إلى صفوفك».

- «إذا نقلت الأبناء الثَّانين إلى صفوفي فربما لا أمرُّ بإخصائك».

ضحك الرَّجل الكبير، وقال: «أيتها الصَّغيرة، امرأة أخرى حاولت أن تخصيني بأسنانها ذات مرَّة. إنها بلا أسنان الآن، لكن سيفي ما زال طويلاً غليظاً كالمعتاد. هل أجرده وأريك إياه؟».

قالت داني: «لا داعي. بعد أن يقطعه جنودي المخصيُّون سأنتفخه على مهلي»، ورشفت من التَّبيذ قبل أن تُواصل: «صحيحٌ أنني مجرد فتاة صغيرة ولا أفهم طبائع الحرب، فاشرح لي كيف تنوي أن تهزم عشرة آلاف مطَّهر برجالك الخمسمئة. على الرغم من براءتي فإنني أرى احتمالات فوزكم ضعيفة».

- «الأبناء الثَّانون واجهوا احتمالاتٍ أسوأ وانتصروا».

- «الأبناء الثَّانون واجهوا احتمالاتٍ أسوأ ولاذوا بالفرار، في (كوهور)

يوم صمود الثلاثة آلاف، أم أنك تُنكر هذا؟».

- «كان هذا منذ سنواتٍ طويلة جداً، قبل أن يقود نغل المارد الأبناء

الثَّانين».

- «أم أنك أنتِ إذن يستمدُّون شجاعتهم؟»، والتفتت داني إلى السير چورا

قائلةً: «عندما تبدأ المعركة اقتله أولاً».

قال الفارس المنفي مبتسماً: «بكلِّ سرور يا جلالة الملكة».

قالت لميرو: «طبعاً يُمكنكم أن تهربوا من جديد، فلن نُوقفكم. خذوا

ذهبكم اليونكي واذهبوا».

- «لو رأيتِ مارد (برافوس) أيتها الصَّغيرة لعرفتِ أنه بلا ذيلٍ يدُّه بين قدميه ويهرب».

- «ابقوا إذن وقَاتِلُوا من أجلي».

قال البرافوسي: «إنكِ تستحقين القتال من أجلكِ بالفعل، وكان ليُسعدني أن أدعك تُقبَلين سيفي لو أنني حُر، لكنني قبضتُ ذهب اليونكيين وأعطيتهم كلمتي المقدسة».

- «من الممكن أن تردَّ الذهب. سأدفعُ لكِ مثلما دفعوا وأكثر. ما زالتِ أمامي مُدن أخرى أغزوها، ومملكة كاملة تنتظرني على الجانب الآخر من العالم. اخدموني بإخلاص ولن يحتاج الأبناء الثانون إلى من يستأجرهم ثانية».

كوّر البرافوسي قبضته حول لحيته الحمراء الكثة قائلاً: «مثلما دفعوا وأكثر، وربما قُبلة إضافية إلى هذا، إيه؟ أم أكثر من قُبلة لرجلٍ بعظمتي هذه؟».

- «ربما».

- «أعتقدُ أن مذاقِ فمكِ سيروقني».

أحسَّت داني بغضب السير چورا، ففكَّرت: دُبِّي الأسود مغتاظ من هذا الكلام عن التَّقبيل. «فكر في ما قلته لك الليلة. هل لي أن أحصل على إجابتكِ غدًا؟».

قال نغل المارد بابتسامةٍ واسعة: «نعم. هل لي بإبريقٍ من هذا التَّبِيد الممتاز آخذهُ لضبَّاطي؟».

- «فلتأخذ دُنَّا كاملاً. إنه من أقيية أسياد (أستاپور) الكرام، وعندني عربات مليئة به».

- «أعطيني عربةً إذن، علامة على تقديرك».

- «شَهِيَّتِك كبيرة».

- «كل شيءٍ فيَّ كبير، كما أن إخوتي كثيرون. نغل المارد لا يشرب وحده

يا گاليسي».

- «عربة إذن، إذا وعدت بأن تشربوا في صحَّتي».

قال بصوتٍ هادر: «اتَّفَقْنَا! واتَّفَقْنَا! ثلاثة أنخاب سنشرب في صحَّتكِ، وسنرسل لك الإجابة عندما تُشرق الشمس».



لكن حين ذهبَ ميرو قال ذو اللّحية البيضاء: «لهذا الرّجل سُمعة شرّيرة، حتى في (وستروس). لا يُضِلُّنكِ أسلوبه يا جلالة الملكة. اللّيلة سيُشرب ثلاثة أنخاب في صَحَّتِكِ وغداً سيغتصبكِ».

قال السير چورا: «العجوز محقٌّ على سبيل التّغيير. الأبناء الثّانون جماعة قديمة، ولا تعوزهم الشّجاعة، لكنهم أصبحوا أدنى إلى رفقة الشّجعان تحت قيادة ميرو. الرّجل خطر على مستأجره مثلما هو على أعدائه، ولذا تجدينه هنا، فلا واحدة من المُدن الحرّة ترغب في استتجاره ثانية».

- «ليست سُمعته ما أريدُ، وإنما خيَّالته الخمسمئة. ماذا عن غِربان العاصفة؟ هل من أمل فيهم؟».

أجاب السير چورا بلا مواربة: «لا. پرندال هذا جيسكاري أبًا عن جد، وربما كان له أقرباء في (أستاپور)».

- «مؤسف. حسن، ربما لا نضطرُّ إلى القتال. لنتنظر ونرى ما سيقوله اليونيكْيُون».

وصلَ مبعوثو (يونكاي) مع ميل الشّمس إلى المغيب، خمسون رجلاً على سهوات خيولٍ سوداء مطهّمة وواحد على متن جملٍ أبيض عظيم. خوداتهم أطول مرّتين من رؤوسهم، كي لا تسحق ما صنعوه بشعرهم المزيّت من أشكال ملتوية غريبة، وتنانيرهم وسُتراتهم الكتّان مصبوغة بلونٍ أصفر داكن، وعلى معافطهم أقراص نُحاسيّة مخيطة.

قال ممتطي الجمل إن اسمه جرازدان مو إراز، وهو رجل نحيل صُلب له ابتسامة صفراء كالتّي كانت تُكَلِّل وجه كرازنس قبل أن يُحرقه دروجون، ويتخذ شعره شكل قرن يونيكورن<sup>(1)</sup> يبرز فوق جبهته، ويرتدي توكارًا موشى بشرائط زينة مايريّة ذهبيّة. حين رَحبت به داني في خيمتها خاطبها قائلاً: «عتيقة وجلييلة (يونكاي) ملكة المدائن. أسوارنا قويّة، ونُبلأونا أبيضون وأشدّاء، وعامتنا لا يعرفون الخوف. دماؤنا دماء (جيس) العريقة، التّي

---

(1) اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتع بقدرات سحرية. (المترجم).

كانت إمبراطوريتها عجوزًا و(فاليريا) لا تزال وليدة. حكمة منك أن تجلسي وتتكلّمي يا غاليسي، فلن تجدي غزونا هيئًا».

- «عظيم. المطهرون سيستمعون بشيء من القتال»، ونظرت إلى الدودة الرّمادي الذي أوّماً برأسه موافقًا.

هزّ جرازدان كتفيه باستهانة، وقال: «إذا كان الدّم رغبتك، فليتدفّق إذن. يُقال لي إنك أعتقت مخصييك، لكن الحرّية لا تعني شيئًا للمطهّرين كما لا تعني القبّعة شيئًا لسمكة»، ومنح الدودة الرّمادي ابتسامة، لكن الخصيّ بدا كتمثال من حجر. «التّاجون سنسترفّهم مجدّدًا ونستخدمهم لاستعادة (أستاپور) من الرّاع، وباستطاعتنا أن نتخذك أمة أيضًا، لا تشكّي في هذا. في (ليس) و(تايروش) بيوت هوى سيدفع فيها الرّجال ثروات طائلة لمضاجعة آخر سُلالة تارجارين».

قالت داني بكياسة: «جيّد أنك تعرف من أكون».

قال جرازدان: «إنني أفخرُ بمعرفتي بالغرب الهمجي البليد»، ثم بسط يديه دلالة على الاسترضاء، وأردف: «لكن لم يكلم بعضنا بعضًا بهذه الخشونة؟ صحيح أنك ارتكبت بشاعات عدّة في (أستاپور)، لكننا معشر اليونكيين متسامحون للغاية. إن صراعك ليس معنا يا جلالة الملكة، فلم تُبددين قواك على أسوارنا القويّة بينما تحتاجين إليّ كلّ رجل لاسترداد عرش أبيك في (وستروس)؟ (يونكاي) لا تتمنى لك إلا النّجاح في مسعاك هذا، ولتثبت هذا جلبت لك هديّة»، وصفق فتقدّم اثنان من مُصاحبيه حاملين صندوقًا ثقيلًا من خشب الأرز المطعم بالبرونز والذهب ووضعاه عند قدميها، وقال جرازدان بنعومة: «لك، رمز لصداقة أسياد (يونكاي) الحكّماء. الذهب الذي يُمْنَح طواعيةً أفضل من نهبه ملطّخًا بالدماء، أليس كذلك؟ لذا أقول لك يا دنيرس تارجارين أن تأخذي هذا الصّندوق وترحلي».

فتحت داني الغطاء بالحُفّ الذي تنتعله في قدمها الصّغيرة، فوجدته مليئًا بالعمّلات الذهبيّة كما قال المبعوث، والتقطت حفنةً منها وتركتها تسيل من بين أصابعها، فالتمعت وهي تتشقلب وتسقط. معظمها مسكوك حديثًا، وكلّها مختوم بهرم مدرّج على أحد الوجهين وبالهاربي شعار (جيس) على الثاني.

قالت: «جميلة جدًا. تُرى كم صندوقًا كهذا سأجدُ في مدينتكم حين آخذها؟».

قال مقهقها: «صفر، لأنك لن تأخذها أبدًا».

صفقت غطاء الصندوق قائلة: «أنا أيضًا عندي لكم هدية. ثلاثة أيام. صبيحة اليوم الثالث ستطلقون سراح عبيدكم جميعًا. كل رجل وامرأة وطفل سيُعطي سلاحًا وكل ما يستطيع أن يحمله من طعام ومالٍ وثياب، ولهم حرية اختيار ما يشاؤون من ممتلكات أسيادهم عوضًا عن سنين الخدمة. عندما يخرج جميع العبيد ستفتحون بوابات المدينة وتسمحون للمطهرين بالدخول وتفتيشها للتأكد من عدم بقاء أحدٍ مستعبدًا. إذا فعلتم هذا فلن تُحرق (يونكاي) أو تُنهب، ولن يتعرض أحد من قومكم لأذى. هكذا سيحصل الأسياد الحكماء على السلام الذي يرغبون فيه، ويثبتون أنهم حكماء حقًا. ما قولك؟».

- «أقول إنك مجنونة».

قالت داني: «حقًا؟»، وهزت كتفيها مضيئة: «دراكارس».

وأجابها الثنّانين.

فح ريجال، ونهش فُسيرون الهواء بفكيه، ونفت دروجون دوامةً من اللهب الأسود والأحمر مسّت كمّ توكار جازدان المنسدل فاشتعل الحريق في الحال، وانسكبت العملات الذهب على الأرض إذ تعثر الرجل في الصندوق وهو يجأ باللعنات ويضرب على ذراعه، إلى أن ألقى ذو اللحية البيضاء عليه إبريقًا من الماء لإطفاء النار.

ولول المبعوث اليونكي: «لقد وعدتني بالأمان!».

ردت داني: «هل يبكي اليونكيون كلهم هكذا على توكار مسفوع؟ سأبتاع لك واحدًا جديدًا... إذا أطلقتكم سراح عبيدكم خلال ثلاثة أيام، وإلا تقيت قبلة أذفا من دروجون»، ثم كورت أنفها اشمئزًا قائلة: «لقد لوّثت نفسك. خذ ذهبك وارحل، واحرص على أن يسمع الأسياد الحكماء رسالتي».

لوح جازدان مو إراز بإصبعه في وجهها قائلاً: «ستندمين على هذه العجرفة أيتها الساقطة. تلك السحالي الصغيرة لن تحميك، هذا وعد. سنملاً الهواء بالسهم إذ أدت حتى فرسخ واحد من (يونكاي). أتحسين قتل الثنّانين بتلك الصعوبة؟».

- «إنه أصعب من قتل النَّحَّاسِينَ. ثلاثة أيام يا جرازدان، أخبرهم. في نهاية اليوم الثالث سأكونُ في (يونكاي)، سواء أفتحتم لي بواباتكم أم لم تفتحوها». حينما غادرَ اليونكِيُّونَ معسكرها كان الظلام قد غشيَ بالكامل، واعدًا بأن تكون الليلةَ كئيبةً بلا قمر أو نجوم، تهبُّ ريحها باردةً مبتلةً من الغرب. ليلة سوداء كما ينبغي أن يكونَ السَّواد. أحاطت بها بؤر النَّارِ الموقدة كنجماتٍ برتقاليَّةٍ صغيرةٍ منتشرةٍ عبر التلالِ والحقول، وقالت داني للسير چورا: «استدع خيالة دمي»، ثم جلست على كومةٍ من الوسائد تنظرهم وتناينها حولها، وحين اجتمعوا أمامها قالت: «ساعة بعد منتصف الليل وقت مناسب». قال راگارو: «نعم يا گاليسي. وقت مناسب لماذا؟».

- «للمبادرة بالهجوم».

زرَّ السير چورا عينيه قائلاً: «قلتِ للمرتزة...».

- «... إنني أريدُ إجابتهم غداً، لكنني لم أعد بشيءٍ يخصُّ الليلةَ. غربان العاصفة يُناقشون عرضي، والأبناء الثانون سكارى بالنبيذ الذي أعطيته لميرو، واليونكِيُّونَ يعتقدون أن لديهم ثلاثة أيام. سُبَّاغِتهم تحت جُحجِ الظلام».

- «لا بُدَّ أن كَشَّافِتهم يترقبون تحرُّكنا».

- «وفي الظلام سيرون مئات من بؤر النَّارِ، إذا رأوا شيئاً على الإطلاق».

قال چوجو: «سأتعاملُ مع هؤلاء الكَشَّافةِ يا گاليسي. إنهم ليسوا خيالة، بل مجردُ نحَّاسين يمتطون الخيل».

- «بالضبط. رأيي أن نهاجم من ثلاثة جوانب. الدودة الرَّمادي ومطهَّروه سيهاجمون من اليمينه والميسرة، بينما يقود الكوهات رأس حربة إلى القلب. الجنود العبيد لن يصمدوا أمام الدوثر اكي أبداً»، وابتمت داني مضيفةً: «إنني بالطبع مجرد فتاة صغيرة ولا أفهم طبائع الحرب. ما رأيكم أيها السادة؟».

قال السير چورا بابتسامةٍ كئيبة باهتة: «رأيي أنكِ أخت ريجار تارجارين حقاً».

أيده آرستان قائلاً: «نعم، وملكة أيضاً».

استغرقت مناقشة التفاصيل ساعةً، وفكرت داني إذ رحلَ قادتها لتنفيذ أوامره: الآن تبدأ المرحلة الأخطر على الإطلاق، وصلت أن تُعْمي ظلمة الليل العدو عن استعداداتها.

قُرب منتصَف اللَّيْلِ أَصَابَهَا الذُّعْرُ حِينَ جَاءَهَا السَّيْرُ چورا متجاوزًا بلواس بحركة حادَّة، وقال: «المطَّهَّرون قبضوا على مرتزقٍ حاولَ التَّسَلُّلَ إِلَى المَعسِكرِ».

- «جاسوس؟». روَعَتها الفكرة. إذا قبضوا على واحد، فكم غيره غافلوههم؟

- «يدعي أنه جاءَ حاملًا هديَّةً. إنه ذلك المهرِّج الأصفر ذو الشَّعر الأزرق». داريو نهريس. «هو؟ سأسمعه إذن».

سألَت داني نفسها عندما مثَلَ به الفارس المنفيُّ أمامها إن كان هناك رجلان أكثر اختلافًا من هذين الاثنين. التايروشي فاتح البشرة والسير چورا قاتمها، لدن الجسد بينما الفارس مفتول العضلات، يتمنَّع بخصلاتٍ منسدلة والثاني يزحف على رأسه الصَّلَع، ومع ذلك ناعم الجلد على حين أن مورمونت مُشعر، كما أن فارسها يرتدي ثيابًا تقليديَّةً للغاية، أمَّا الآخر فيجعل الطاووس يبدو في حاجةٍ إلى دروس في الأناقة، وإن كان قد ارتدى في زيارته هذه معطفًا أسود فوق ثيابه الصَّفراء المترفة، وحمل فوق كتفه جوالًا ثقيلًا من قماش القنَّب.

مبتسمًا قال الرَّجُل بصوتٍ مرتفع لتلتمع سِنَّ ذهبية في فمه: «گاليسي، غربان العاصفة لك، وكذا داريو نهريس!».

أفعمت نفسها الرِّيبة. إذا جاءَ التايروشي ليتجسَّس، فربما يكون هذا الإعلان مجرد حيلةٍ يائسة ليُنقِذَ رأسه. «وما قول پرندال نا غزن وسالور في هذا؟».

قال داريو: «قولهما لا يعني شيئًا»، وقلَّب الجوال لِيَسْقُطَ منه رأسا سالور الأصلع وپرندال نا غزن على البساط. «هذه هديتي لملكة التنانين».

تشمَّم فُسيريون الدَّم السَّائل من عُنق پرندال، ثم أطلقَ لسانًا من اللَّهَب أصابَ الوجه الميت مباشرةً وسوَّد وشققَّ الوجنتين الخاويتين من الدِّماء، فتحركَ دروجون وريجال إذ اشتَمَّ رائحة اللحم المشوي.

سألَت داني شاعرةً بالغثيان: «أنت فعلت هذا؟».

- «لا أحد غيري». إذا كان تنانينها يُثيرون التَّوتُّر في داريو نهريس، فإنه يُجيد إخفاء مشاعره، إذ لم يُعرهم اهتمامًا أكثر من ثلاث هُريرات تعبت بفأر.

- «لماذا؟».

- «لأنكِ رائعة الجمال». يدها كبيرتان قويتان، وثمّة شيء ما في عينيه الزرقاوين القاسيتين وأنفه الكبير المعقوف الذي ينم عن ضراوة طائر كاسرٍ ما. «پرندال كان يتكلّم كثيراً ويقول القليل». ثيابه، على الرغم من فخامتها، عرّفت الاستهلاك الطويل، تُرَقِّطُ بُقع الملح حذاه، وتُشوّه الشقوق طلاء أظفاره المينا، ويُلَوِّث العرق شرائط الزينة في سترته، ويلوح الاهتراء في ذيل معطفه. «وسالور كان يُنقّب في أنفه كأن مخاطه من الذهب». وقفَ بيدين متقاطعتين عند المعصم، وقد استقرّت كفّاه على قبيعتي سلاحيه؛ الأراخ الدوثرافي المعقوف على ورّكه الأيسر، والخنجر المايري المدبّب على الأيمن، وكلا المقبضين يتخذ شكل امرأة من الذهب، عارية ولعوب.

سألته داني: «أأنت بارع في استخدام هذين التّصلين الأنيقين؟».

- «هذا ما كان پرندال وسالور ليقولاه لو أن الموتى يتكلّمون. لا أعدّ اليوم عيشَ حقاً ما لم أحبّ امرأةً وأقتل عدوّاً وأكل وجبةً شهيةً... والأيام التي عشتها لا تُحصى كالنجوم في السماء. إنني أجعل من الذبح عملاً فنيّاً، وكثيرون من الحواة وراقصي النّار تضرّعون للآلهة أن يكونوا بنصف سرّعتي ورُبّع رشاقتي. يُمكنني أن أسرد عليك أسماء كلِّ مَنْ قتلتهم، لكن قبل أن أفرغ سيكون تنانينك قد أصبحوا بضخامة الفلاح وتفتّت أسوار (يونكاي) إلى تُرابٍ أصفر وأتى الشّتاء وانتهى وأتى ثانية».

ضحكت داني وقد راقّتها خيلاء داريو نهاريس، وقالت: «اسحب سيفك وانذره لخدمتي».

في غمضة عين تحرّر أراخ داريو من غمده، وكان انصياحه مبهرجاً ببقية، فبحركةٍ مسرحيةٍ سريعة صارَ وجهه عند أصابع قدميها، وقال: «سيفي لك، حياتي لك، حُبّي لك، دمي وجسدي وأغاني ملكك. سأعيشُ وأموتُ رهن إشارتك أيتها الملكة الجميلة».

قالت داني: «عش، وقَاتِل في سبيلي الليلة».

قال السير چورا: «ليست فكرةً حكيمةً يا مولاتي»، ورشقَ داريو بنظرةٍ باردةٍ قاسيةٍ مضيئاً: «أبقيه تحت الحراسة حتى نخوض المعركة ونتصر».

فَكَرَّتْ لِحِظَةً، ثُمَّ هَزَّتْ رَأْسَهَا قَائِلَةً: «إِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُعْطِينَا غِرْبَانَ الْعَاصِفَةِ  
فَالْمَفْجَأَةُ أَكِيدَةٌ».

- «وَإِذَا خَانَكَ ضَاعَتِ الْمَفْجَأَةُ».

عَادَتْ ذَانِي تَتَطَلَّعُ إِلَى الْمَرْتَزِقِ، وَمِنْحَهَا ابْتِسَامَةً جَعَلَتْ وَجْهَهَا يَتَوَرَّدُ،  
فَأَشَاحَتْ بِهِ وَقَالَتْ: «لَنْ يَفْعَلَ».

- «كَيْفَ تَتَّقِينَ بِهَذَا؟».

أَشَارَتْ إِلَى كُتْلَتِي اللَّحْمِ الْمَتَفَحِّمِ اللَّتَيْنِ تَلْتَمَهُمَا التَّنَانِينُ قَضْمَةً دَامِيَةً  
بَعْدَ قَضْمَةٍ دَامِيَةٍ، وَرَدَّتْ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِ. دَارِيو نَهَارِيسُ،  
جَهَّزْ غِرْبَانَ الْعَاصِفَةِ لِضَرْبِ مُؤَخَّرَةِ الْيُونَنِيِّينَ عِنْدَمَا يَبْدَأُ الْهَجُومَ. هَلْ  
تَسْتَطِيعُ الْعُودَةَ بِأَمَانٍ؟».

قَالَ التَّايَرُوشِي: «إِذَا أَوْقَفُونِي سَأَقُولُ إِنَّنِي ذَهَبْتُ لِلْاسْتِكْشَافِ وَلَمْ أَرَّ  
شَيْئًا»، وَنَهَضَ وَانْحَنَى وَخَرَجَ بِحُطًى وَاسِعَةٍ.

لَمْ يُغَادِرِ السَّيْرَ چُورًا مَورَمُونَ، وَبِلَهْجَةٍ مَبَالِغٍ فِي فِظَاظَتِهَا قَالَ: «أَخْطَأْتُ  
يَا جَلَالَةَ الْمَلِكَةِ. إِنَّا لَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ هَذَا الرَّجُلِ».

- «نَعْرِفُ أَنَّهُ مُحَارِبٌ عَظِيمٌ».

- «تَعْنِينِ أَنَّهُ مَتَكَلِّمٌ عَظِيمٌ».

- «لَقَدْ جَلَبَ لَنَا غِرْبَانَ الْعَاصِفَةِ». وَعَيْنَاهُ زُرْقَاوَانٌ.

- «خَمْسَمِئَةٌ مَرْتَزِقٌ وَلَاؤُهُمْ غَيْرُ مَضمُونٍ».

- «لَا ضَمَانَ لِأَيِّ وِلَاءٍ فِي أَوْقَاتِ كَهْذِهِ». وَسَادُوقُ الْخِيَانَةِ مَرَّتَيْنِ أُخْرَيْنِ،

مَرَّةً مِنْ أَجْلِ الذَّهَبِ وَمَرَّةً مِنْ أَجْلِ الْحُبِّ.

- «دَنِيرِسُ، إِنِّي أَكْبَرُكِ سِنًّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَخَبِرْتُ غَدْرَ الْبَشَرِ. قَلَّةٌ قَلِيلَةٌ

مِنْهُمْ تَسْتَحِقُّ الثَّقَةَ، وَدَارِيو نَهَارِيسُ لَيْسَ مِنْهَا. حَتَّى لِحِيَّتِهِ أَلْوَانُهَا زَائِفَةٌ».

رَدَّتْ وَقَدْ أَثَارَ قَوْلُهُ حَفِيظَتِهَا: «أَمَّا لِحِيَّتُكَ أَنْتَ فَصَادِقَةٌ، أَهَذَا مَا تُحَاوِلُ أَنْ

تَقُولَهُ؟ إِنَّكَ الرَّجُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي عَلَيَّ أَنْ أَثِقَ بِهِ؟».

تَصَلَّبَ مَجِيبًا: «لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ».

- «بَلْ تَقُولُهُ يَوْمِيًّا. بِيَاتِ پَرِي كَاذِبٍ، زَارُو مَتَامَرٍ، بِلِوَأَسِ مَتَبَجِّحٍ، آرِسْتَانَ

قَاتِلِ مَاجُورٍ... أَتَحْسَبُنِي لَا أَزَالُ فِتَاءَةً عِذْرَاءَ لَا تَسْمَعُ مَا وَرَاءَ الْكَلِمَاتِ مِنْ

كَلِمَاتٍ؟».

- «جلالة الملكة...».

لم تُعْطِهِ الفُرْصَةَ، وانْقَضَ لسانها عليه متابعًا: «لطالما كنت صديقي الأصدق على الإطلاق، وأخًا أفضل مما كان فُسيرس في حياته كلها. أنت أول فُرسان حُرسي الملكي، وقائد جيشي، ومستشاري الأثمن، وإنني أفدرك واحترمك وأكُنُّ لك كلُّ الوُد... لكني لا أرغبُ فيك يا چورا مورمونت، ولقد تعبتُ من محاولتك دفع كلِّ رجلٍ آخَرَ في العالم بعيدًا عني كي أضطرَّ للاعتماد عليك وحدك، لكن هذا لن يُجِدني نفعًا، ولن يجعلني أحبَّك أكثر». كان وجه مورمونت محتفئًا تمامًا عندما بدأت تتكلم، لكن حين انتهت داني كان قد امتنع عن آخِره. وقفَ بثبات الحجر وحنى رأسه باقتضابٍ باردٍ قائلاً: «كما تأمر جلالة الملكة».

لكن غضبة داني بثَّت فيها حرارةً تكفيهما معًا، فقالت: «نعم، هذا أمرها. والآن اذهب إلى مطهَّريك أيها الفارس. أمامك معركة عليك أن تربحها».

حين خرجَ أَلَقَتْ داني جسدها على وسائدها إلى جوار تنانينها. إنها لم تنو أن تُكلم السير چورا بهذه الحدة، لكن شكوكه التي لا تنتهي نجحت أخيرًا في إيقاظ تَنِينِها. قالت في أعماقها: سيُسامحني. إنني ملكته، ووجدت نفسها تتساءل إن كان محققًا بشأن داريو نهاريس، وفجأةً اعترتها وحشة شديدة. لقد وعدتها ميري ماز دور بأنها لن تحمل طفلًا حيًّا أبدًا. سُلالة تارجارين سنتتهي بنهايتي. أفعمها الخاطر بالحزن، وقالت لتنانينها: «يجب أن تكونوا أنتم أطفالي، أطفالي الأقوياء الثلاثة. آرستان يقول إن التنانين تعيش أطول من البشر، وستمدُّ حياتكم بعد موتي».

دارَ دروجون بعنقه ليعضض يدها. على الرغم من حدة أسنانه الشديدة فإنه لا يغرسها في جلدها أبدًا عندما يلعبان هكذا. ضحكت داني ودحرجته يمينًا وشمالًا إلى أن زأر ولوحَ بذيله كالسوط. ذيله أطول مما كان، وغداً سيطول أكثر. إنهم يكبرون بسرعة الآن، ولما يتضجون سأنالُ أجنحتي. حين تمطي تَنِينًا سيُمكنها أن تقود رجالها في المعارك كما فعلت في (أستاپور)، لكنهم حتى الآن ما زالوا أصغر من أن يحتملوا ثقلها.

كان الصَّمْت قد خيَّم على المكان مع انتصاف الليل، وظلَّت داني في سُرادقها مع وصيفاتها، يحرسهن آرستان ذو اللحية البيضاء وبلواس القوي.



أصعب ما في الأمر الانتظار. جلوسها كالكسالى في خيمتها بينما تدور  
معركتها دونها أشعر داني كأنها عادت طفلة صغيرة.

زحفت الساعات على أقدام سُلحفاة، وحتى بعد أن دلّكت چيکوي كتفيها  
ظلّ النوم يُجافيها. عرضت ميسانداي أن تُغني لها أغنية عن شعب المسالمين،  
لكن داني هزت رأسها وقالت: «أحضري لي آرستان».

حين جاء العجوز كانت قد أدّثرت بفروة أسد الهراكار البيضاء، التي لا تزال  
رائحتها الزنخة تُدكرها بدروجو، وقالت: «لا أستطيع النوم والرجال يموتون  
من أجلي يا ذا اللحية البيضاء. احك لي أكثر عن أخي ريجار من فضلك. لقد  
راقتني القصة التي رويتها لي على السفينة، عن قراره بأن يصير مُحاربًا».

- «لطف من جلالتك أن تقول لي هذا».

- «فسيرس قال إن أحنانا فاز في مباريات كثيرة».

حنى آرستان رأسه الأبيض باحترام قائلاً: «لا يحق لي أن أخالف كلام  
جلالة الملك...».

قالت داني بحدّة: «لكن؟ أخبرني، هذا أمر».

- «إقدام الأمير ريجار لا عُبار عليه، لكنه نادرًا ما دخل مضمار النزال، فلم  
يكن يُحبُّ أغنية السيف مثل روبرت أو چايمي لانستر. إنه شيء كان عليه أن  
يفعله، مهمّة وضعها العالم على عاتقه، وقد أجاد تنفيذها كما أجاد كل شيء،  
فتلك كانت طبيعته، لكنه لم يجد سرورًا فيها. قال الناس إنه أحبّ قيثارته أكثر  
من رُمحه».

علقت داني بإحباط: «لكن لا بُدَّ أنه فاز في بعض المباريات».

- «في صغره شارك سموه ببراعة شديدة في دورة في (ستورمز إند)،  
وهزم اللورد ستفون باراثيون واللورد چيسون ماليستر وأفعوان (دورن)  
الأحمر، بالإضافة إلى فارس غامض أتضح أنه سيمون توين، قائد أخوة غابة  
الملوك الخارجة عن القانون. يومها حطم اثني عشر رُمحًا في مواجهة السير  
آرثر داين».

- «هل فاز إذن؟».

- «لا يا جلالة الملكة. هذا الشرف كان من نصيب فارس آخر في الحرس  
الملكي أسقط الأمير ريجار عن حصانه في النزال الأخير».

لم ترغب داني في سماع شيءٍ عن سقوط ريجار عن حصانه، وقالت:  
«لكن ما المباريات التي فازَ فيها أخي؟».

تردَّد العجوز قبل أن يُجيب: «لقد فازَ في أعظمها على الإطلاق يا جلالة الملكة».

- «وما هي؟».

- «الدَّورة التي أقمَها اللورد ونت في (هارنهال) على شاطئ (عين الآلهة) في عام الرِّبيع الزَّائف. حدث بارز. غير النَّزال كان هناك التحام جماعي على الطراز القديم بين سبع فرق من الفُرسان، بالإضافة إلى الرِّماية وإلقاء الفؤوس وسباق خيل ومسابقة مطربين وعرض مسرحي، ومآدب وحفلات سَمر كثيرة. كان اللورد ونت سخياً بقدر ما هو ثري، والجوائز الباذخة التي وعدَ بها جذبت مئات من المتنافسين. حتى والدك الملك ذهبَ إلى (هارنهال) بعدما لم يكن قد غادرَ (القلعة الحمراء) طيلة سنوات. أعظم اللوردات وأقوى الفُرسان في (الممالك السَّبع) ركبوا في تلك الدَّورة، وتفوَّق أمير (دراجونستون) عليهم جميعاً».

- «لكنها الدَّورة التي توجَّ فيها ليانا ستارك ملكةً للحُب والجمال! الأميرة إليا زوجته كانت حاضرة، لكن أخي أعطى التَّاج لابنة ستارك، وبعدها اختطفها من خطيبها. لماذا فعلَ هذا؟ هل كانت معاملة المرأة الدورنية له سيئةً؟».

- «ليس لأمثالي أن يُخَمَّنوا ما كان يعتمل في قلب أخيك يا جلالة الملكة. الأميرة إليا كانت سيِّدةً صالحةً كريمةً، مع أن صحَّتها كانت ضعيفةً دائماً».

أحكمت داني فروة الأسد حول كتفيها، وقالت: «في مرَّةٍ قال لي فُسيرس إنني المخطئة لأنِّي وُلِدْتُ بعد فوات الأوان». تذكَّر أنها أنكرت اتِّهامه بحرارة، بل وتمادَّت قائلةً لفُسيرس إن المخطئ لأنه لم يولد بنتاً، فضربها بقسوةٍ رَدًّا على الإهانة. «قال إنني لو وُلِدْتُ في وقتٍ أنسب لتزوَّجني ريجار بدلاً من إليا، ولاختلفَ كلُّ شيء. لو كان ريجار سعيداً مع زوجته لما احتجَّ إلى ابنة ستارك».

قال ذو اللحية البيضاء: «ربما يا جلالة الملكة»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُردف: «لكنني لسْتُ واثقاً بأن السَّعادة كانت شيئاً يقدر عليه ريجار».

قالت محتجّةً: «إنك تجعله يبدو سوداويًا للغاية!».  
رَدَّ العجوز: «ليس سوداويًا، لا، وإنما... كان للأمير ريجار طابع من الشَّجن، إحساس...»، وبتَر عبارته متردِّدًا من جديد.  
- «تكلّم. إحساس...».

- «... بوشوك الهلاك. لقد وُلِدَ في مهد الأسي يا جلالة الملكة، وظلَّ هذا الظلُّ ملازمًا إياه طيلة حياته».

لم يتكلّم فُسيرس عن ميلاد ريجار إلاّ مرّة. ربما كانت الحكاية تُحزِنه كثيرًا. «ظلُّ (قلعة الصَّيف) كان يُلاحِقه، أليس كذلك؟».

- «نعم، وعلى الرغم من هذا كانت (قلعة الصَّيف) أكثر مكانٍ أحبّه الأمير. كان يذهب إليها بلا رفيق غير قيثارته، وحتى فُرسان الحرس الملكي، لم يُرافقه إلى هناك. أحبُّ أن ينام في القاعة الخربة تحت القمر والنُّجوم، لكن كلما عادَ عادَ بأغنيّة، وكان المرء حين يسمعه يعزف على قيثارته السَّامية ذات الأوتار الفضة ويُعنِّي عن الشَّقِّق والدموع والملوك الميتين — وقتها لم يكن بإمكان المرء إلاّ أن يحسَّ بأن الأمير يُعنِّي عن نفسه وأحبَّائه».

- «وماذا عن الغاصب؟ هل كان يُردِّد الأغاني الحزينة أيضًا؟».  
ضحك آرستان، وقال: «روبرت؟ روبرت أحبُّ الأغاني المضحكة، أفضلها الأكثر بذاءة. كان يُعنِّي وهو سكران فقط، فلا تتجاوز أغانيه (برميل المِزر) أو (أربعة وخمسون دَنًا) أو (الجميلة والدُّب). روبرت كان...».

لم يتمَّ جُمَلته، ففي لحظة واحدة رفع تنانينها رؤوسهم وهدروا.  
صاحت داني: «خيول!»، ووثبت واقفةً وهي تقبض على فروة الأسد، وسمعت بلواس يجأ في الخارج بشيءٍ ما وأصواتًا أخرى ووقع حوافر خيول كثيرة، فقالت: «إيري، اذهبي وانظري من...».

انفتحت سديلة باب الخيمة ودخل السير چورا مورمونت مغبرًا ملطَّخًا بالدماء، لكن باستثناء هذا لم يبدُ مصابًا. جثا الفارس المنفي على رُكبة واحدة أمام داني، وقال: «أنتيكِ بنبا النَّصر يا جلالة الملكة. غرِبان العاصفة انقلبوا وتشتَّت وحدة جيش العبيد، والأبناء الثَّانون كانوا سكارى ولم يقووا على القتال كما قلت. متنا قتل، أغلبهم يونكثيون. العبيد ألقوا حِرباهم وولوا الأدبار، واستسلمَ مرتزقتهم. لدينا عدَّة آلاف من الأسرى».

- «وخسائرنأ؟».

- «دسته على الأكثر».

عندئذ فقط سمحت لنفسها بأن تبسم، وقالت: «انهض يا دُبِّي المخلص الشُّجاع. هل أُسرَ جرازدان أو نغل المارد؟».

قام السير چورا قائلاً: «جرازدان ذهب إلى (يونكاي) لإبلاغها بشروطك، وميرو هرب بمجرد أن رأى غربان العاصفة ينقلبون. أرسلتُ رجالاً يُطارِدونه، ولن يهرب منا طويلاً».

- «لا بأس. مرتزقة أو عبيد، لا تُؤذوا كلَّ من يتعهَّد لي بولائه، وإذا انضمَّ إلينا عدد كافٍ من الأبناء الثَّانين فلا تحلوا الجماعة».

في اليوم الثَّالي قطعوا الفراسخ الثلاثة الأخيرة بينهم وبين (يونكاي). المدينة مشيِّدة بالقرميد الأصفر بدلاً من الأحمر، لكن بخلاف هذا فهي توأمة (أستاپور) بأسوارها الآيلة للشُّقوط وأهرامها المدرَّجة والهاربي العظيمة فوق بوابتها. عَجَّ السُّور والأبراج بحاملي النُّشابية ورُماة الحجارة، ونسَرَ السير چورا والدودة الرَّمادي جُندها بينما نصبت إيري وچيكوي سُرادقها. وجلست داني منتظرةً.

وفي صباح اليوم الثَّالث فُتحت بَوابة المدينة وبدأ طابور من العبيد يَخْرُج منها. اعتلت داني فرسها الفضيَّة لُتحيَّهم، وإذ مرُّوا بها ومرَّت بهم، قالت لهم ميسانداي إنهم مدينون بحرِّيَّتهم لُدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، سيِّدة ممالك (وستروس) السَّبْع وأم الثَّانين.

- «ميسا!»، صاحَ فيها رجل بُني البُشرة على كتفه فتاة صغيرة هتفت بالكلمة نفسها بصوتها الرِّفيع: «ميسا! ميسا!».

نظرت داني إلى ميسانداي سائلةً: «ما هذه الكلمة؟».

- «إنها جيسكارية، من اللغة القديمة النقيَّة، تعني أمَّاه».

أحسَّت داني بصدرها ينشرح، وقالت لنفسها: لن أحمل طفلاً حيًّا أبداً. ارتجفت يدها إذ رفعتها، وربما ابتسمت، بل لا بُدَّ أنها ابتسمت، لأن الرِّجل ابتسم و هتف ثانيةً، والتقطَ منه آخرون الهتاف: «ميسا! ميسا! ميسا!». كانوا يتسمون لها جميعاً، يمدُّون أيديهم إليها، يركعون أمامها. بعضهم ناداها

«مايلا»، وبعضهم هتَفَ «آيلاً» أو «كاثي» أو «تاتو»، لكن أيًا كانت اللُّغة، فالكلمة تعني الشَّيء ذاته. أمَّاه، يدعونني بأمَّاه.

تصاعدتْ الأنشودة، استشرَّت، تعاطمَت... تعاطمَت حتى إنها رَوَّعت فرسها التي تراجعَت وهزَّت رأسها وجلدَت الهواء بذيلها، تعاطمَت حتى بدت كأنها تُزَلزل أسوار (يونكاي) الصَّفراء. مزيد من العبيد كانوا يتدفَّقون من بَوَّابة المدينة كلَّ لحظة، وكل من خرجَ منهم رفعَ عقيرته بالهتاف. كانوا يهرعون إليها، يتدافعون ويتعثَّرون، يُريدون أن يلمسوا يدها أو يُملَّسوا على شعر فرسها أو يُقبَّلوا قدميها.

ولم يستطع خيَّالة دمها منهم جميعًا، وحتى بلواس القوي راح يُرمجر منزعًا.

حَثَّها السير چورا على الذَّهاب، لكنها تذكَّرت حُلْمًا رآته في بيت الخالدين، وقالت: «لن يمَّسوني بسوء. إنهم أطفالِي يا چورا»، وضحكت وهمزَت فرسها وانطلقت إليهم والجرسان في شعرها يعزفان لحن النَّصر. حَبَّت ثم هروكت ثم اندفعت تَرَكُض وضميرتها كالرَّاية الخفَّاقة وراءها، وأفسح لها الرِّقيق المعتقدون الطَّرِيق، وبمئة حنجرَةٍ، بألف، بعشرة آلاف غنَّوا: «أمَّاه!»، ومستَّها أصابعهم وهي تُحلِّق بينهم وغنَّوا: «أمَّاه! أمَّاه! أمَّاه!».

## آريا

تعرفت التل العظيم حين رآته يلوح من بعيدٍ وقد صبغهُ ضوء الأصيل  
بالذهب، وأدركت أنهم عادوا أدراجهم إلى (القلب العالي).  
بحلول الغروب كانوا قد بلغوا القمة وخيموا حيث لا يستطيع أذى أن  
يطولهم، وجالت آريا حول دائرة جذوع الويروود المبتورة مع ند مُرافق اللورد  
بريك، ووقفاً على أحدها يُشاهدان النور يخبو في الغرب. من هذا الارتفاع  
أبصرت عاصفة تجيش إلى الشمال، لكن (القلب العالي) يرتفع فوق المطر،  
وإن لم يحمه علوه من الرياح التي هبت عاتية، حتى إن آريا شعرت كأن أحداً  
يقف وراءها ويجذب معطفها بالحاح، لكن لا أحد كان هنالك عندما التفتت  
تنظر.

إنها الأشباح. التل مسكون.

أوقدوا ناراً كبيرة على القمة، وجلس ثوروس المايري متقاطع الساقين  
أمامها، يُحدّق إلى أعماق اللهب كأن لا شيء غيره في العالم.  
سألت ند: «ماذا يفعل؟».

أجابها المُرافق: «أحياناً يرى أشياء في اللهب، الماضي أو المستقبل أو  
أشياء تحدث في أمكنة بعيدة».

ضيقت آريا عينيها وتطلعت إلى النار لترى إن كان يُمكنها أن ترى ما يراه  
الراهب الأحمر، لكن سرعان ما دمعت عيناها وأشاحت بهما. جندي أيضاً  
كان يُراقب الراهب، وفجأة سأل: «أيمكنك أن ترى المستقبل في النار حقاً؟».  
التفت ثوروس عن اللهب متنهداً، وقال: «ليس هنا، ليس الآن، لكن نعم،  
في بعض الأحيان يهب لي إله الضياء رؤى».

بدا الارتياب على جندري وهو يقول: «معلمي قال إنك سكير محتال، من أسوأ الرهبان على الإطلاق».

قال ثوروس ضاحكاً: «كلام قاس، سليم لكن قاسٍ. مَنْ كان معلّمك هذا؟ هل كنتُ أعرفك يا فتى؟».

- «كنتُ صبيّاً توهبو موت، أستاذ صناعة السّلاح في (شارع الحديد). كنت تشتري سيوفك منه».

- «صحيح. اعتاد أن يبيعني إياها بضعف السّعر ثم يُقرّعني على إشعال النّار فيها»، وضحك ثوروس مواصلاً: «معلّمك على حق، فلم أكن راهباً ورعاً قط. إنني أصغر الثّمانيّة الذين أنجبهم والداي، فأعطاني أبي لـ(المعبد الأحمر)، ولو أنه ليس السّبيل التي كنتُ لأختارها لنفسي. تعودتُ أن أردّد الصّلوات وألقي الثّمائم، لكنني كنتُ أسطو على المطابخ أيضاً، ومن حين إلى آخر كانوا يجدون فتيات في فراشي. فتيات شرّيرات حقّاً، لم أدر ما كان يدفعهن إلى هناك. لكنني كنتُ موهوباً في اللغات، وبين الفينة والفينة تصادف أن أرى أشياء في اللّهب حين أحدقُ إليه، وعلى الرغم من هذا ظللتُ مصدر متاعب أكثر من منفعة، وأخيراً أرسلوني إلى (كينجز لاندنج) لأنشر نور الإله في (وستروس) المفتونة بوهم آلهة سبعة. كان الملك إيرس مهووساً بالنّار، ففكروا أن اعتناقه ديانتنا ممكن، لكن للأسف كان پايرومانسراته يُجيدون حياً أفضل مني بكثير. على أن الملك روبرت كان مولعاً بي. أول مرّة ركبتُ في التحام جماعي بسيف ناري جفل حصان كيثان لانستر وأسقطه، وضحك جلالته بشدّة حتى حسبته سينفجر»، وابتسم الرّاهب الأحمر للذكري مضيفاً: «لكنها لم تكن معاملةً لائقةً للشيوف. معلّمك محقٌّ في هذا أيضاً».

- «النّار تلتهم»، قال اللورد بريك الذي وقف وراءهم بنبرةٍ أسكتت شيء ما فيها ثوروس على الفور. «إنها تلتهم، وحين تهمد لا يتبقى شيء على الإطلاق، أي شيء».

مسّ الرّاهب ساعد سيّد البرق برفقٍ قائلاً: «بريك يا صديقي العزيز، ماذا تقول؟».

- «ليس شيئاً لم أقله من قبل. ست مرّات يا ثوروس؟ ست مرّات كثير جداً»، والتفت مبتعداً عنهم بغتةً.

ليلتها راحت الرِّيح تعوي كالذئاب، وإلى الغرب كانت هناك ذئاب حقيقية تُلقنّها أصول العواء. وقف نوتش وأنجاي وميريت ابن (بلدة القمر) حراسةً، بينما غابَ ند وجندري وكثيرون غيرهما في نوم عميق، وكان هذا حين لمحت أريا الشَّبح الشَّاحب الصَّغير يتحرَّك بتؤدة ورأء الخيول. مضت المرأة متوكِّئةً على عُكَّاز خشبي كثير العُقد، والهواء يُطَيِّرُ شعرها بعُنف، لا يتجاوز طولها الأقدام الثَّلاث، وقد جعلَ ضوء النَّار عينيها تتقدان بالأحمر كعيني ذئب چون. هو أيضاً شبح. انسلت أريا مقتربةً وجثت على رُكبتها لتُشاهد.

كان ثوروس وليم مع اللورد بريك عندما جلست المرأة القزمة إلى جوار النَّار بلا دعوة، ورمقتهم بجمرتين ملتهبتين قائلة: «الجدوة والليمونة يُشرفاني بالزيارة ثانية، وصاحب الرِّفعة سيّد الجُثث».

- «هذا الاسم نذير شؤم، وطلبتُ منك ألا تستخدميه».

كشفت عن سنّها الوحيدة المتبقية في فمها، وقالت: «أجل، لكن رائحة الموت تفوح منك طازجةً يا سيّدي. حسن، أعطوني نبئداً وإلا ذهبت. إن عظامي عجوز، ومفاصلي تُؤلمني كلما هبت الرِّيح، وهنا تهبُّ الرِّيح بلا انقطاع».

قال اللورد بريك بكياسة جامدة: «أيل فضي لقاء أحلامك يا سيّدي، وآخر مثله إذا كانت عندك أخبار».

- «لا يُمكنني أن أكل أَيْلاً فضياً أو أركبه. قربة نبئد لقاء أحلامي، ولقاء أخباري قُبلة من الجحش الكبير ذي المعطف الأصفر»، وضحكت المرأة بصوت كقوقاة الدجاج متابعه: «نعم، قُبلة مبتلة، وشيء من لعب اللسان. زمن طويل مضى، زمن طويل. فمه مذاقه ليمون، وفمي مذاقه عظام. لقد بلغت من الكبر عتياً».

قال ليم متدمراً: «نعم، كبرت على القبلات والتبيذ. لن تنالي مني إلا ضربة بجانب سيفي المسطح أيتها الحيزبون».

- «شعري يسقط خُصلاً خُصلاً، ولا أحد قبلي منذ ألف عام. شاقُّ جدًّا أن يكون المرء بهذا الهرم. حسن، سأنالُ أغنيّةً إذن، أغنيّةً من توم أبي السبعات مقابل أخباري».

وعدها اللورد بريك: «ستنالين أغنيّةً من توم»، وأعطاه قربة التبيذ بنفسه.



شربت القزمة طويلاً وسأل النبيذ على ذقنها، وحين خفضت القربة أخيراً مسحت فمها بظهر يدها المتعصنة، وقالت: «نبيذ حريف لقاء أخبار حريفة، فهل من شيء أنسب؟ لقد مات الملك. أهدأ خبر حريف كفاية؟». وثب قلب آريا في صدرها، وسأل ليم: «عن أي ملك لعين تتكلمين أيتها الحيزبون؟».

- «المبتل، ملك الكراكن أيها السادة. لقد حلمت بموته ومات، والآن ينقلب كل حبار حديدي على الآخر. أوه، واللورد هوستر تلي مات أيضاً، لكنكم تعلمون هذا، أليس كذلك؟ في بهو الملوك يجلس الكباش وحيداً محمواً بينما يهرع إليه الكلب الكبير»، وأخذت العجوز جرةً طويلةً أخرى من النبيذ، معتصرةً القربة وهي ترفعها إلى شفيتها.

الكلب الكبير. هل تعني كلب الصيد؟ أو ربما أخاه الجبل راكب الخيول؟ لا تعرف آريا، فكلاهما له الرمز ذاته، ثلاثة كلاب سوداء على خلفيّة صفراء. نصف من نُصلي لموتهم ينتمون للسير جريجور كليجاين؛ بوليفر ودانسن وراف المعسول والمُدغدغ، والسير جريجور نفسه. لعل اللورد بريك يشنقهم جميعاً.

كانت القزمة تقول: «حلمت بذئب يعوي في المطر وما من أحدٍ يسمع لوعته. حلمت بضجيج صاحب جعلني أحسب أن رأسي سينفجر، طبول وأبواق ومزامير وصريخ، لكن أكثر الأصوات مدعاةً للأسى كان جلجلة الأجراس الصغيرة. حلمت بفتاة في مأدبة، في شعرها أفاع أرجوانية يتقاطر الزعاف من أنيابها، وفيما بعد حلمت بها ثانية، تصرع عملاً متوحّشا في قلعة مبنية بالثلج»، وأدارت رأسها بحدة، وعبر الظلام ابتسمت لآريا مباشرة، وقالت: «لا يُمكنك الاختباء مني أيتها الصغيرة. هلمّي، اقتربي».

زحفت أصابع باردة على عنق آريا، لكنها حدّثت نفسها مذكرةً: ضربة الخوف أمضى من السيف، ونهضت واقتربت من النار بحذر، تمشي بخفة على مشطبي قدميها استعداداً للفرار في أي لحظة.

تمعنت فيها القزمة بعينين حمراوين قاتمتين، وهمست لها: «إنني أراك، أراك يا طفلة الذئب. حسبت رائحة الموت تفوح من اللورد...»، وأجهشت بالبكاء فجأةً واهتزّ جسدها الصغير وهي تقول: «قسوة منك أن تجيئي إلى

تَلِّي، قسوة. لقد تجرَّعتُ الحُزنَ حتى الثُّمالة في (قلعة الصَّيف)، ولا احتاجُ إلى حُزنِك. ارحلي من هنا يا ذات القلب الأسود، ارحلي!».  
تكلّمت بخوفٍ بالغ حداً بآريا إلى التَّراجُع بظَّهرها متسائلةً إن كانت المرأة مخبولةً، لكن ثوروس قال معترضاً: «لا تخيفي الصَّغيرة. الأذى ليس من طباعها».

ارتفع إصبع ليم ذو المعطف الليموني إلى أنفه المكسور، وقال: «لا تكن متأكّداً لهذه الدَّرَجَة».

قال اللورد بريك مُطمئنًا المرأة الصَّئيلة: «إنها راحلة معنا غداً. سنأخذها إلى أمِّها في (ريفررن)».

قالت القزمة: «لا، لن تفعلوا. السَّمكة السَّوداء يتولَّى أمر النَّهرين الآن. إذا كانت الأمُّ من تُريدون، فاسعوا إليها في (التَّوأمتين). سيكون هناك زفاف»، وعادت تُصدِر ضحكة الدَّواجن تلك قبل أن تُردف: «انظر في نيرانك أيها الرَّاهب الوردي وسترى. لكن ليس الآن، ليس هنا، فلن ترى شيئاً هنا. هذا المكان لا يزال ينتمي للالهة القديمة... إنها باقية هنا مثلي، منكمشة واهية، وإن لم تَمُت بعدُ. كما أنها لا تحبُّ اللهب، ذلك أن شجرة البلوط تتذكَّر العجوزة، والعجوزة تحلم بشجرة البلوط، وفي كليهما يعيش الجذع المبتور، وكلها تتذكَّر البشر الأوائل حين جاءوا وفي قبضاتهم النَّار»، وشربت النَّبيذ المتبقِّي على أربع جرعات طويلة، وقالت: «سأنالُ أجري الآن، الأغنيَّة التي وعدتموني بها».

وهكذا أيقظَ ليم توم سبعة أوتار المتدثِّر بالفرو، وجلبه وهو يحمل قيثارته الخشبيَّة ويسأل متثاباً: «الأغنيَّة نفسها ككل مرَّة؟».

- «أوه، أجل. أغنيَّة غاليتي جيني. أتوجد غيرها؟».

وغنَّى توم، وأغلقت القزمة عينها وأخذت تتمايل ببُطءٍ إلى الأمام والخلف بينما تُتمِّم بالكلمات وتبكي.

أخذَ ثوروس آريا من يدها جانباً بحزم، وقال لها: «دعيها تستمتع بالأغنيَّة في سلام. إنها كل ما تبقى لها».

لم أكن أنوي أن أذيقها. «ماذا قصدت بكلامها عن (التَّوأمتين)؟ أمي في (ريفررن)، أليس كذلك؟».

فركَ الرَّاهِبَ الأحمرَ أسفلَ ذقنه قائلاً: «كانت. قالت إن هناك زفافاً. سنرى، لكن اللورد بريك سيجدها أينما كانت».

لم يُطلِ الوقتُ بعدها حتى فتحتِ السَّمَاءُ أبوابها وومضَ البرقُ وردَّدتِ التَّلالُ هزيمَ الرِّعدِ، وهطلَ المطرُ بكثافةٍ تُعمي. اختفتِ القزمة فجأةً كما ظهرت، فيما جمعَ الخارجون عن القانون فروع الأشجار ونصبوا ملاجئَ بدائيَّةً.

تواصلَ المطرُ طولَ الليلِ، وبحلولِ الصُّباحِ استيقظَ كلُّ من ند وليم وواتي الطَّحَّانَ مصاباً بالبرد. لم يستطع واتي الاحتفاظَ بفطوره في معدته، وارتفعت حرارة ند الصَّغيرِ وهاجمته الرَّجفةُ بين الحين والآخر واكتسبَ جلده ملمساً رطباً. قال نوتش للورد بريك إن على بُعدِ نصفِ يومٍ من الرُّكوبِ قريةٌ مهجورةٌ إلى الشَّمالِ، وهناك سيجدون مأوىً أفضل، مكاناً ينتظرون فيه حتى تقلَّ غزارةُ المطرِ، فعادوا يمتطون خيولهم بتثاقُلٍ، وبدأوا رحلةَ نزولِ التَّل. ولم يكفَ المطرُ عن النُّزولِ مدراراً. ركبوا عبرَ غاباتٍ وحقولٍ، وخاضوا في جداولٍ طافحةٍ ارتفعت مياهاها المتدفقة حتى بطون الخيول، وقد رفعت أريا قلنسوة معطفها وحتتَ ظهرها شاعرةً بالبلل والرَّعدة، لكن عازمةً على عدم إبداء الوهن. سرعان ما أصابَ ميريت ومودج سُعالٌ سيئٌ كالذي يُعانيه واتي، وبدا ند أكثرَ بؤساً مع كلِّ ميلٍ يقطعونه، وقال متبرِّماً: «إذا وضعتُ خوذتي يضرب المطرُ الفولاذَ، ويُصيبي بالصُّداعِ، وإذا خلعتها يبتلُّ شعري ويلتصق بوجهي ويدخلُ فمي».

قال جنديري: «إن معك سكيناً. إذا كان شعرك يُضايقك لهذه الدرِّجة فاحلِقِ رأسك السَّخيف».

فكرت أريا: إنه لا يحبُّ ند، أمَّا هي فالمرافقُ يبدو لها لطيفاً كفايةً، ربما يكون خجولاً بعض الشيء، لكنه حسن المعشر. لطالما سمعت أن الدورنيين قصار القامة وداكنو اللون، شعرهم أسود وأعينهم سوداء صغيرة، لكن عيني ند كبيرتان، وزرقتهما داكنة للغاية حتى تكاد تبدو أرجوانيةً، وشعره أشقر شاحب، أقرب في لونه إلى الرَّماد من العسل.

سألته لتشغل باله عن بؤسه: «منذ متى وأنت مرافق اللورد بريك؟».

سعلَ وقال: «حين خطبَ عمَّتي أخذني وصيفاً له. كنتُ في السَّابعة،

ولمَّا بلغتُ العاشرة رَقَّاني إلى مُرافِقِهِ. فزتُ بجائزةِ ذاتِ مرَّةٍ بعد الرُّكوبِ في مضمَارِ النَّزالِ».

- «لم أتعلم النَّزالَ بالرُّمَحِ، لكنني أستطيعُ التَّغَلُّبَ عليك بالسِّيفِ. هل قتلتَ أحدًا؟».

بدا أن السُّؤالَ أدهشهُ، وأجابَ: «أنا في الثَّانيةِ عشرةَ لا أكثرَ». كادتُ آريا تقولُ: لقد قتلتُ صبيًّا وأنا في الثَّامنةِ، لكنها قرَّرتُ أن من الخيرِ ألاَّ تفعلِ، وقالتُ بدلًا من هذا: «لكنك شهدتِ معاركَ».

قالَ بنبرةٍ توحى بأنه ليس فخورًا إلى هذا الحدِّ: «نعم. كنتُ في (مخاضةِ الممثليين). عندما سقطَ اللوردُ بريكُ في النَّهرِ سحبتهُ إلى الضِّفَّةِ كي لا يغرقَ ووقفتُ فوقه بسيفي، لكنني لم أضطرَّ لقتالِ أحد. كان رُمحُ مكسورٍ مغروسًا في صدره، فلم يُعِرنا أحدَ اهتمامه، وعندما انتظمتِ، صفوفنا ثانيةً ساعدني جرجن الأخرصر على وضعِ حضرةِ اللوردِ على ظهرِ حصان».

تذكَّرتُ آريا عاملَ الاسطبلِ الذي قتلتَهُ في (كينجز لاندنج). بعده كان الحارسُ الذي شقَّتْ حلقةَ في (هارنهال)، ورجالُ السيرِ آموري في المعقلِ على شاطئِ البحيرةِ. لا تدري إن كان ويز وتشيزويك محسوبين، أو من ماتوا في مغامرةِ حَساءِ بنتِ عرس... وفجأةً اعترها حُزنٌ عميقٌ، وقالتُ: «أبي كان اسمه ند أيضًا».

- «أعرفُ. رأيتُهُ في دورةِ مبارياتِ اليدِ، وأردتُ أن أذهبَ إليه وأكلمهُ، لكنني عجزتُ عن التَّفكيرِ في شيءٍ أقوله»، وارتجفَ ند تحتِ معطفه الأرجواني الباهتِ المشبَّعِ بالماءِ، وتابعَ: «هل حضرتِ الدَّورةَ؟ رأيتُ أختكِ هناك، السيرِ لوراس تايرل أعطها وردةً».

كأن دهرًا مضى منذ ذلك الحين. «أخبرتني. صديقتها چين پوول وقعتُ في غرامِ اللوردِ بريك».

لاخِ الانزعاجِ على ند وهو يقولُ: «إنه موعود لعمَّتي. لكن ذلك كان في السَّابقِ، قبل أن...».

... يموتُ؟ أكملتُ الجُملةَ في سريرتها بينما لاذَّ ند بصمتٍ مرتبكٍ، وسمعتُ حوافرَ الخيولِ تُحدِّثُ أصواتَ امتصاصٍ، وهي ترتفعُ من الوحلِ. أخيرًا قالَ ند: «سيِّدتي، لكِ أخٌ غير شرعي، چُون سنو، أليس كذلك؟».

- «إنه في حرس الليل على (الجدار)». ربما عليها أن تذهب إلى (الجدار) بدلاً من (ريفررن). چون لن يُبالي بأني قتلْتُ أحدًا أو بتصفيفي شعري... «چون يُشبهني، على الرغم من أنه نغل. اعتاد أن ينفس شعري ويُناديني بأختي الصَّغيرة». چون أكثر من تفتقده آريا، ومجرّد قول اسمه يُحزنها. «كيف تعرف بأمره؟».

- «إنه أخي في الرّضاعة».

قالت آريا حائرة: «أخوك؟ لكنك من (دورن)، فكيف يربط بينك وبين چون دم؟».

- «قلتُ إنه أخي في الرّضاعة وليس الدّم. لم يكن لدى السيّدة والدتي لبن حين وُلِدْتُ، فأرضعتني وايلا».

- «مَن وايلا؟».

- «أم چون سنو. ألم يُخبركِ؟ لقد خدمتنا سنوات وسنوات من قبل ميلادي».

- «چون لم يعرف أمّه قطّ، بل لم يعرف اسمها حتى»، ورمقت آريا ند بحذر متسائلة: «أكنت تعرفها حقًا؟». هل يهزّ أبي؟ «إذا كذبت عليّ سألكمك في وجهك».

ردّد برزانه: «وايلا كانت مُرضعتي، أقسمُ على هذا بشرف عائلتي».

- «ألك عائلة؟». كان سؤالها سخيّفًا. إنه مُرافِق، فبالطبع له عائلة. «مَن أنت؟».

لاخ الحرج على ند وهو يُجيب: «سيّدي؟ أنا إدريك داين، س... سيّد (ستارفول)».

من ورائهما أصدر جندي صوتًا متدمّرًا، وبامتعاض أعلن: «يا للسّادة والسيّادات!»، فقطفت آريا تفاحة ذابلة من على فرع شجرة وقذفته بها فارتدت عن رأسه الغليظ العنيد، وقال: «أو! هذا مؤلم!»، وتحسّس الجلد فوق عينه مضيقًا: «أي سيّدة مهذّبة ترمي النّاس بالتّفاح؟».

قالت آريا وقد داهمها النّدم: «واحدة سيّئة»، ثم التفتت إلى ند قائلة: «أسفة لأنني لم أعرف مَن تكون يا سيّدي».

ردّد بتهديب شديد: «الخطأ خطئي يا سيّدي».

چون له أم. وإيلا، اسمها وإيلا. عليها أن تتذكر كي تُخبره حين تراه المرّة القادمة. تساءلت إن كان سيظل يدعوها بأخته الصّغيرة. لكنني لم أعد صغيرة كالسّابق. يجب أن يجد شيئاً آخر يُناديني به. ربما تكتب لچون رسالة عندما تصل إلى (ريفررن) وتُخبره بما قاله ند داين. قالت متذكّرة: «كان هناك آرثر داين، الذي لقبوه بسيف الصّباح».

- «كان أبي أخوا السير آرثر الكبير، والليدي أشارا كانت عمّتي، لكنني لم أعرفها. لقد ألقّت نفسها في البحر من فوق بُرج (السّيف الشّاحب) قبل أن أولد».

قالت آريا مبهوتة: «ولم فعلت هذا؟».

بدا الحذر على ند، فجعلها تُفكّر أنه يخشى أن تقذفه بشيء ما بدوره، قبل أن يقول: «ألم يتكلّم السيّد والدك عنها قط؟ الليدي أشارا داين ابنة (ستارفول)؟».

- «نعم. هل كان يعرفها؟».

- «قبل أن يُصبح روبرت ملكاً. لقد التقت أباك وإخوته في (هارنهال) في عام الرّبيع الزّائف».

- «أوه». لم تعرف آريا ماذا تقول غير هذا، ثم إنها سألت: «لكن لماذا ألقّت نفسها في البحر؟».

- «لأن قلبها انكسر».

كانت سانزا للتنهّد وتذرف دموعاً من أجل الحُبّ الحقيقي، أمّا آريا فرأت الأمر سخيفاً لا أكثر، وإن لم تستطع أن تقول هذا لند عن عمّته، فتساءلت: «هل كسره أحد؟».

قال بتردد: «ربما لا يحقّ لي أن...».

- «أخبرني».

حدجها بارتباك قائلاً: «عمّتي أليريا قالت إن الليدي أشارا وأباك وقعا في الحُبّ في (هارنهال)...».

- «غير صحيح. لقد أحبّ السيّدة والدتي».

- «إنني واثق بهذا يا سيّدي، ولكن...».

- «إنها الوحيدة التي أحبّها».

قال ند من ورائهما: «لا بُدَّ أنه عثرَ على ذلك التَّغَلِّ تحت ورقة كرنبِ إذن». تمتَّ آريا لو أن معها تَفَاحَةً أُخرى تُلقِيها في وجهه، وقالت غاضبةً: «أبي كان شريفًا! ولم نكن نكلِّمك على كلِّ حال. لِمَ لا تعود إلى (السَّيِّتِ الحجري) وترن أجراس تلك الفتاة البلهاء؟».

تجاهلَ جندري كلامها، وقال: «على الأقلِّ ربِّي أبوكِ نغله، على عكس أبي. إنني لا أعرفُ اسمه حتى. أراهنُّ أنه سكير كرية الرِّائحة، كالأخريين الذين كانت أمِّي تجرُّهم إلى البيت من الحانات. كلما غضبتُ مني قالت: لو كان أبوكِ هنا لأوسعك ضربًا. هذا هو كلُّ ما أعرفه عنه»، وبصقَ ثم تابع: «لو كان هنا الآن لأوسعته أنا ضربًا، لكنني أظنُّه مات، وأبوكِ ماتَ أيضًا، فمن يهتُمُّ بمن شاركتَه الفراش؟».

آريا تهتَّم، وإن لم تدر السَّبب. كان ند يُحاول الاعتذار لأنه أثارَ استياءها، لكنها لم ترغب في سماعه، وهمزت حسانها بكعيها وتركت الاثنيين معًا، فلمَّا لحقت بأنجاي الذي يسبقهم بيارات قليلة سألته: «الدورثيون يكذبون، أليس كذلك؟».

أجاب القوَّاس بابتسامة كبيرة: «إنهم مشهورون بالكذب، لكنهم يقولون الشَّيء نفسه عنا معشر قاطني (التَّخوم)، فمن يدري؟ ما المشكلة؟ ند صبيٌّ طيِّب...».

قاطعتَه آريا: «إنه كذابٌ أحمق»، وتركت الدرب الذي يسلكونه ووثبت فوق جذع شجرةٍ عَفِنٍ وخاضت في غدير متجاهلةً صياح الخارجين عن القانون من ورائها. لا يُريدون إلاَّ صَبَّ المزيد من الأكاذيب في أذني. فكُرت في محاولة الإفلات منهم، لكنهم كثيرون للغاية، ويعرفون هذه الأصقاع جيِّدًا. ما جدوى الفرار إذا قبضوا عليك؟

في النِّهاية لحقَّ بها هاروين، وقال: «إلى أين تحسبين نفسك ذاهبةً يا سيِّدتي؟ لا يجدرُ بك أن تتبعدي هكذا. ثمة ذئاب في هذه الغابة، وأشياء أسوأ».

قالت: «لستُ خائفةً. ذلك الصَّبي ند قال...».

- «نعم، لقد أخبرني. الليدي أشارا داين. إنها حكاية قديمة، سمعتها مرَّة في (ويترفل) حين كنتُ في سنِّك»، وأطبق هاروين على لجام حسانها

بحزم ودوره متابعًا: «أشك في أنها تمتُ بصلّةٍ للحقيقة، لكن إذا كان العكس صحيحًا فما المشكلة؟ حين التقى ند تلك الليدي الدورتيّة كان أخوه براندون ما زال على قيد الحياة، وكان هو خطيب الليدي كاتلين آنذاك، فلا يوجد ما يُلوّث شرف أبيك إذن. لا شيء يجعل دماء المرء تتدفق حارّة كالمباريات، وربما قيل كلام ما همسًا في خيمة ذات ليلة، من يدري؟ كلام أو قبلات، وربما أكثر، لكن ما الضرر في هذا؟ كان الربيع قد حلّ، أو أن هذا ما حسبه وقتها، ولا أحد منهما تعهد بنفسه لأحد بعدُ».

قالت آريا بارتيا ب: «لكنها انتحرت. ند قال إنها ألفت نفسها من حالق في البحر».

أجاب ند وهو يقودها عائداً: «هذا صحيح، لكنني أراهن أن الحزن كان السبب. لقد فقدت أباها سيف الصّباح»، وهزّ رأسه مردفًا: «صه يا سيّديتي. لقد ماتوا جميعًا، فصه... ومن فضلك، عندما نبلّغ (ريقررن) فلا تذكري شيئًا من هذا لأمك».

وجدوا القرية حيث قال نوتش، وأووا إلى اسطلب مبني بالحجر الرّمادي لم يتبق من سقفه إلا نصفه، لكن هذا النصف أكثر مما في أيّ مبنى آخر في المكان. ليست قرية، بل حجارة سوداء وعظام قديمة. سألت أنجاي وهي تُساعده على تجفيف الخيول: «هل قتل جنود لانستر من كانوا يعيشون هنا؟». أجاب مشيرًا: «انظري إلى الكثافة التي تنمو بها الطحالب على الأحجار. لا أحد حرّكها منذ زمن. وثمة شجرة تنمو من الحائط هناك، انظري. هذا المكان أحرق قبل سنواتٍ طويلة».

سأل جندري: «من فعلها إذن؟».

- «هوستر تلي»، قال نوتش الأسيب ذو الظهر المحني، الذي وُلد في هذه الأنحاء. «كانت هذه قرية اللورد جودبروك، وحين أعلنت (ريقررن) مناصرتها روبرت ظلّ اللورد جودبروك مخلصًا للملك، فعاجله اللورد تلي بالنار والسيف. بعد معركة (الثالوث) تصالح ابن جودبروك مع روبرت واللورد هوستر، لكن ما جدوى الصّلح للموتى؟».

رأى الصّمت، ورمق جندري آريا بنظرة غريبة، ثم أشاح بوجهه وأخذ يُمشط حصانه، وفي الخارج ظلت الأمطار تنهمر وتنهمر.



أعلن ثوروس: «يجب أن نُشعل نارًا. الليل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال، ومبتلٌ أيضًا، إيه؟ مبتل جدًا جدًا».

كسّر چاك المحفوظ القليل من الخشب الجاف من كرسيّ قديم، بينما جمع نوتش وميريت القشّ، وأشعل ثوروس الشرارة الأولى بنفسه، وهوى ليم اللهب بمعطفه الأصفر الكبير إلى أن تأجج، وسرعان ما أصبح الجوّ داخل الاسطبل أدنى إلى الحرارة. جلس ثوروس متقاطع الساقين عند النّار، يلتهمها بعينه كما كان يفعل على قمة (القلب العالي)، وراقبته آريا من كشب. تحرّكت شفّته مرّةً وخيّل إليها أنه همس: «(ريقررن)»، على حين قطع ليم المكان ذهابًا وإيابًا وهو يسعل، يلاحقه ظلّ طويل خطوةً خطوةً، أمّا توم سبعة أوتار فخلع حذاءه وفرك قدميه قائلًا بتذمّر: «آل تلي هؤلاء لم يجلبوا الحظ لتوم العجوز قط. كانت لايسا تلك هي من أرسلتني على (الطريق العالي)، حين سرق رجال القمر ذهبي وحصاني وثيابي كلّها. ما زال هناك فُرسان في (الوادي) يحكون كيف ذهبتُ مشيًا إلى (البوابة الدّامية) بلا شيءٍ يسرّ عورتي إلا القيثارة. جعلوني أغني (فتى يوم الميلاد) و(الملك عديم الشّجاعة) قبل أن يفتحوا البوابة. عزائي الوحيد أن ثلاثة منهم ماتوا ضاحكين. لم أرجع إلى (العش) منذ ذلك الحين، ولن أغني (الملك عديم الشّجاعة) ولو مقابل كلّ الذهب في (كاسترلي...)».

قال ثوروس فجأةً: «جنود لانستر، يزأرون بالأحمر والذهبي»، وأسرع ينهض وذهب إلى اللورد بريك، ولم يُبدّد توم وليم وقتًا قبل الانضمام إليهما. لم تستطع آريا تمييز ما يُقال، لكن المغنيّ ظلّ ينظر إليها، وفي لحظةٍ لاح غضب شديد على ليم وضرب الحائط بقبضته. كان هذا عندما أشار لها اللورد بريك بالاقتراب، وهو آخر ما أرادت أن تفعله، لكن هاروين وضع يده على ظهرها ودفعها إلى الأمام، فأخذتْ خطوتين ثم تردّدت وقد ملاًها الخوف، وقالت: «سيّدي»، وانتظرت أن يقول سيّد البرق ما لديه.

قال أمرا لثوروس: «أخبرها».

أقعى الرّاهب الأحمر إلى جانبها قائلًا: «سيّدي، لقد أنعمَ عليّ الإله بنظرةٍ على (ريقررن)، فبدت لي كجزيرةٍ في بحرٍ من النّيران. كان اللهب أسودًا واثبةً مخالها قرمزيةً طويلة، ويا لثريها! بحرٍ من جنود لانستر يا سيّدي. قريبًا ستعترض (ريقررن) للهجوم».

أَحَسَّتْ آريَا كَأَنَّهُ لَكَمَهَا فِي بَطْنِهَا، وَصَاحَتْ: «لَا!».  
قال ثوروس: «اللَّهْبُ لَا يَكْذِبُ يَا حُلُوتِي. أحيانًا أَسِيءُ قِراءَةً لَأَنِّي أَحْمَقُ  
أَعْمَى، لَكِنْ لَيْتَسَ هَذِهِ المَرَّةَ عَلَيَّ مَا أَعْتَقُدُ. قَرِيبًا سَيُحَاصِرُ جَيْشَ لَانِسْتِر  
(ريقررن)».

رَمَقَتْهُ آريَا بِعِنَادٍ قَائِلَةً: «رُوبُ سَيَهْزِمُهُمْ، سَيَهْزِمُهُمْ كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلِ».  
- «قَدْ يَكُونُ أَخُوكَ قَدْ رَحَلَ، وَأَمَّا كَذَلِكَ. إِنِّي لَمْ أَرَهُمَا فِي اللَّهْبِ. هَذَا  
الرِّفَافُ الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ العَجُوزُ، زَفَافُ فِي (التَّوَأْمَتَيْنِ)... إِنْ لَهَا أَسَالِيِبُهَا  
الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا الأَشْيَاءَ. أَشْجَارُ الوَيْرُودِ تَهْمَسُ فِي أُذُنِهَا فِي مَنَامِهَا، وَإِذَا  
قَالَتْ إِنْ أَمَلَّكَ ذَهَبَتْ إِلَى (التَّوَأْمَتَيْنِ)...».  
التَفَتَتْ آريَا إِلَى تومِ وَوَلِيمِ قَائِلَةً بِحِدَّةٍ: «لَوْ لَمْ تَقْبِضُوا عَلَيَّ لَكُنْتُ هُنَاكَ  
الآنَ، لَكُنْتُ فِي الدِّيَارِ!».

لَمْ يَلْتَفِتِ اللُّورْدُ بَرِيكَ إِلَى غَضَبِهَا، وَقَالَ بِكِياسَةٍ مَرَهَقَةٍ: «سَيِّدَتِي، هَلْ  
تَعْرِفِينَ أَحَا جَدِّكَ شَكْلًا؟ السَّيْرُ بَرَايْنْدِنُ تَلِي المَلْقَبُ بِالسَّمَكَةِ السَّودَاءِ؟ هَلْ  
يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّفَكَ هُوَ؟».

هَزَّتْ رَأْسَهَا نَفِيًّا بِتَعَاسَةٍ. لَقَدْ سَمِعَتْ أُمَّهَا تَتَكَلَّمُ عَنِ السَّيْرِ بَرَايْنْدِنِ السَّمَكَةِ  
السَّودَاءِ، لَكِنْ إِنْ قَابَلْتَهُ بِنَفْسِهَا، فَقَدْ كَانَتْ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ تَتَذَكَّرَ.

قال توم: «فُرْصَةٌ أَنْ يَدْفَعَ السَّمَكَةُ السَّودَاءَ مَبْلَغًا مُحْتَرَمًا فِي فِتَاةٍ لَا يَعْرِفُهَا  
ضَعِيفَةٌ. آلُ تَلِي هُوَ لَآءُ غِلاظِ شَكَاكُونِ، وَسَيَعْتَقِدُ أَنَّنَا نَبِيعُهُ بِضَاعَةً تَالِفَةً».

قال ليم بإصرار: «سُتَقْنِعُهُ. هِيَ سَتُقْنِعُهُ، أَوْ هَارُوِينِ. (ريقررن) أَقْرَبُ.  
أَقُولُ أَنْ نَأْخُذَهَا إِلَى هُنَاكَ وَنَحْضِلَ عَلَى الذَّهَبِ وَنَفْرُغَ مِنْهَا نَهَائِيًّا».

رَدَّ توم: «وَإِذَا حَاصِرْنَا الأَسودَ دَاخِلَ القَلْعَةِ؟ لَنْ يَرُوقَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعَلِّقُوا  
حَضْرَةَ اللُّورْدِ فِي قَفْصِ عَلَيَّ أَسْوَارِ (كَاسْتِرْلِي رُوكِ)».

قال اللورد بريك: «لَسْتُ أَنُوبِي أَنْ يَأْخُذُونِي»، لَكِنْ كَلِمَةً أُخِيرَةً ظَلَّتْ مَعْلَقَةً  
فِي هَوَاءِ المَكَانِ: حَيًّا. كُلُّهُمْ سَمِعُوهَا، حَتَّى آريَا، مَعَ أَنْ شَتَفِيَهُ لَمْ تَلْفِظْهَا.

«لَكِنَّا لَا نَجْرُو عَلَيَّ التَّحْرُوكَ كَالعَمِيَانِ. أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَوْقِعَ الجَيْشَيْنِ، جَيْشِ  
الذَّئَابِ وَجَيْشِ الأَسودِ. لَا بُدَّ أَنْ شَارِنَا تَعْلَمُ شَيْئًا، وَمَايَسْتِر اللُّورْدِ فُانَسِ

سَيَعْرِفُ أَكْثَرَ. (بَهُو البَلُوطِ) لَيْسَتْ بَعِيدَةً. سَتُؤَوِّنَا اللِّيْدِي سَمُولُودَ بَعْضَ  
الوَقْتِ بَيْنَمَا نُرْسِلُ كَشَافَةً لِيَعْرِفُوا...».

قرعت كلماته أذنيها كالطبول، وفجأة لم تعد آريا تحتمل. إنها تُريد (ريفررن) لا (بهو البلوط)، تُريد أمها وأخاها روب لا الليدي سمولود أو أخا جدّها الذي لم تعرفه قط. دارت على عقيها واندفعت إلى الباب، ولمّا حاول هاروين إمساكها تملّصت منه بسرعة الثعبان.

خارج الاسطبل كان المطر لا يزال يسقط، وسطح برق بعيد في الغرب. ركضت آريا بأقصى سرعتها، لا تدري إلى أين ستذهب، لا تدري سوى أنها تُريد أن تكون وحدها، بعيدًا عن أصواتهم، بعيدًا عن كلامهم الفارغ ووعودهم المكذوبة. لم أرد إلا الذهاب إلى (ريفررن). غلظتها أنها أخذت هوت باي وجندري معها حين تركت (هارنهال)، فلكانت في حال أفضل بمفردها. لو كانت بمفردها لما قبض عليها الخارجون عن القانون، ولكانت مع روب وأمها الآن. لم يكونا قطيعي قط. لو كانا لما تخلياني. خاضت في بركة من المياه الموحلة، وسمعت أحدًا يصيح باسمها، ربما هاروين أو جندري، لكن الرعد طغى على الصياح إذ هدر عبر التلال بعد أقل من لحظة من البرق. فكرت غاضبة: سيّد البرق. ربما لا يموت، لكنه يكذب.

في مكان ما إلى يسارها سهل حصان. لم تكن قد ابتعدت أكثر من خمسين ياردة عن الاسطبل، لكن المياه أغرقت ثيابها عن آخرها. طأطأت رأسها ودارت حول زاوية أحد البيوت المتداعية، أمله أن تقيها الجدران المكسوة بالطحالب من المطر، فكادت ترتطم بأحد الحُرّاس، وانغلقَت يد مقفزة بالحلقات المعدنية على ذراعها بقسوة.

قالت متلوية في قبضة الرّجل: «إنك تؤلمني! دعني! كنت سأعود، كنت...».

تردّدت في أذنيها ضحكة ساندور كليجاين كالحديد إذا احتك بالحجر، وقال: «تعودين؟ لا عليك بهذا الذّبة الصّغيرة، إنك لي»، وبيد واحدة سحبها وجرّها إلى حصانه المنتظر وهي تركل الهواء.

وانهمر المطر جالداً إياهما معاً وجارفاً صياحها، وكل ما استطاعت آريا التّفكير فيه هو؛ السّؤال الذي ألقاه عليها من قبل: هل تعرفين ما تفعله الكلاب بالذئاب؟

## چایمی

على الرغم من الحُمى التي لازمته بعنادٍ كانت جدعة يده تلتئم بنظافة، وقال كايبرن إن ذراعه لم تُعد في خطر. كان چایمی متلهفًا على الرَّحيل، على ترك (هارنهال) والممثلين السَّفّاحين وبريان التارثيَّة وراءه، ففي (القلعة الحمراء) تنتظره امرأةٌ حقيقيَّة.

قال رُووس بولتون صبيحة رحيلهم: «سأرسلُ كايبرن معك ليعتني بك في الطَّريق إلى (كينجز لاندنج). إن أمله كبير في أن يُجبر أباك (القلعة) على إعادة سلسلته إليه، على سبيل العرفان بالجميل».

- «كلُّنا لدينا آمال كبيرة. إذا أنبت لي يدًا جديدةً سيجعله أبي المايستر الأكبر».

يقود والتون ذو السَّاقين الفولاذ حراسة چایمی، وهو جلف صارم قاس، في قلبه جُندي بسيط، وقد خدم چایمی طيلة حياته مع أمثاله. من على شاكَّة والتون يَقتلون إذا أمرهم سادتهم، ويغتصبون ودماؤهم فائزة بعد المعركة، ويسلبون وينهبون حيثما استطاعوا، لكن بمجرد أن تضع الحرب أوزارها يعودون إلى ديارهم، ويحملون المجارف بدلًا من الحِراب، ويتزوَّجون بنات جيرانهم ويُنجبون قطيعًا من الأطفال. أولئك الرِّجال يُطيعون بلا تردُّد، لكن وحشيَّة رفقة الشُّجعان المدمِّرة الفجَّة ليست من طباعهم المتأصِّلة.

غادرَ كلا الفريقين (هارنهال) في الصُّباح نفسه تحت سماءٍ رماديَّة باردة تُنذر بالمطر. كان السير إينس فراي قد خرج قبل ثلاثة أيام متَّجهًا إلى الشَّمال الشَّرقي نحو (طريق الملوك)، واليوم سيتبعه بولتون الذي قال لچایمی:

«(الثالث) فائض وحتى عند (مخاضة الياقوت) سيكون العبور صعبًا. هل سُبُلُغْ أباك تحيَّاتي الحارَّة؟».

- «بشرط أن تُبلِّغْ روب ستارك تحيَّاتي».

- «سأفعل بالتأكيد».

اجتمع عدد من رجال رفقة الشُّجعان في السَّاحة لِيشاهدوهم يرحلون، فذهبَ چاييمي على حصانه إلى حيث وقفوا، وقال: «زولو، لطف منك أن تأتي لوداعي. بيج، تيميون، هل ستفتقداني؟ أما من دُعاةٍ أخيرة تُسَلِّني على الطريق يا شاجويل؟ رورج، هل جئت تُودِّعني بقُبلة؟».

قال رورج: «اغْرُبْ عن وجهي أيها العاجز».

- «ما دمتَ مصرًّا. لكن تأكَّد أني سأعودُ. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا»،

ودارَ چاييمي بحصانه وانضمَّ من جديدٍ إلى والتون ورجاله الممتئين.

زوَّده اللورد بولتون بعناد الفُرسان، مفضِّلًا أن يتجاهل اليد المفقودة التي تحطُّ من هبِّة زيِّه الحربي، فركبَ چاييمي بسيفٍ وخنجر في حزامه، وُتِرس وخوذةٍ معلَّقين من سَرجه، وقميص حلقات معدنيَّة تحت سترته البنيَّة الطويِّلة، لكنه ليس بالحُمق الذي يجعله يُعلِّق رمز عائلة لانستر، أو الشُّعار الأبيض النَّاصع الذي من حقِّه أن يحمله باعتباره فارسًا في الحرس الملكي، وبدلًا من هذا وجدَّ تُرسًا قديمًا في مستودع السِّلاح، منبعجًا ومشقَّقًا، ولا يزال يلوح على طلائه المتقشَّر أغلب خُفَّاش عائلة لوشتون الأسود الكبير على خلفيَّة من الذهبِي والفضي. كان آل لوشتون أصحاب (هارنهال) قبل آل وِنت، وكانوا عائلة قويَّة آنذاك، لكنهم انقرضوا منذ عصور، وليس من المحتمل أن يعترض أحدهم على حمله رمزهم. هكذا لن يكون ابن عمِّ أحد أو عدوُّ أحد أو رجل أحد... باختصار، سيكون لا أحد.

خرجوا من بوابة (هارنهال) الشَّرقيَّة الأصغر، وودَّعوا رورج بولتون وجيشه على بُعد سِتَّة أميال من القلعة، قبل أن ينعطفوا جنوبًا ليمضوا على طريق البحيرة بعض الوقت، إذ قرَّر والتون أن يتحاشوا (طريق الملوك) أطول فترةٍ ممكنة، مفضِّلًا طرق المزارعين ودروب الفرائس بالقرب من (عين الآلهة).

لكن چاييمي قال: «(طريق الملوك) أسرع». إنه متلهِّف على العودة إلى

سرسي في أقرب وقت، وإذا أسرعوا فلعلّه يصل في الوقت المناسب لحضور زفاف چوفري.

رَدُّ ذُو السَّاقِينِ الْفَوْلَاذِ: «لا أريدُ متاعب. الآلهة وحدها تعلم مَنْ قد نلتقي على (طريق الملوك)».

- «لا أحد مخيفًا بالتأكيد. إن معك مئتا رجل».

- «نعم، لكن قد يكون مع الآخرين أكثر. سيدي أمرني بأن أعيذك سالمًا إلى السيّد والدك، وهذا ما أنتوي أن أفعله».

سلكتُ هذا الطريق من قبل، فكّر چايمي بعد أن قطعوا بضعة أميالٍ أخرى ومروا بطاحونةٍ مهجورة على شاطئ البحيرة. الآن تنمو الحشائش حيث ابتمت له ابنة الطحّان بخجل، وناداه الطحّان نفسه صائحًا: «الدّورة في الاتجاه الآخر أيها الفارس!». كأنني لم أكن أعرف.

صنَع إيرس من تقليده رُتبته في الحرس الملكي عرضًا مبهرًا، فردّد چايمي نذوره أمام سُرّادق الملك، راکعًا على الكلاّ الأخضر في درع بيضاء بينما يُشاهده نصف البلاد، وعندما ساعده السير چيرولد هايتاور على التهوّض ووضع على كتفيه المعطف الأبيض ارتفع من الحضور هتاف هادر ما زال يذكره بعد كلّ هذه السنين. لكن في الليلة نفسها انقلب مزاج إيرس، وأعلن أنه ليس في حاجةٍ إلى سبعة الحرس الملكي هنا في (هارنهال)، وأمر چايمي بالعودة إلى (كينجز لاندنج) وحراسة الملكة والأمير فسيرس الصّغير اللذين بقيا هناك. حتّى عندما عرض الثور الأبيض أن يتولّى هذا الواجب بنفسه كي يبقى چايمي ويُنَافس في دورة اللورد وِنت، رفض إيرس قائلاً: «لن يربح مجدًا هنا. إنه لي الآن وليس لتايوين، وسيخدم وفق مشيئتي. إنني الملك، أنا أقضي وهو يُطيع».

كانت هذه أول مرّة يفطن فيها چايمي لحقيقة أن فوزه بالمعطف الأبيض لم يكن بدافع مهارته في التّزال بالسيف والرّمح، ولا مناقب الشّجاعة التي أبدّاها في القتال ضد أخوة غابة الملوك. لقد اختاره إيرس نكايّة في أبيه، ليحرم اللورد تايوين وريثه.

حتى الآن، بعد كلّ ما خلا من أعوام، ما زالت الذّكري مريرةً. يومها، وهو يرتدي معطفه الأبيض الجديد في طريقه جنوبًا ليحرّس قلعةً خاليةً، كان ما

يَشْعُرُ به يكاد يفوق الاحتمال، وكان ليخلع المعطف الذي خُلِعَ عليه وُيَمَزِّقُه في التَّوِّ واللَّحْظَة، لولا أن الأوان فاتَ بالفعل. لقد حلفَ اليمين أمامَ نصفِ البلاد، ورجال الحرس الملكي يخدمون طوال العُمر. لحقَ به كايبرن، وسأله: «هل تُزَعِجك يدك؟».

- «الافتقار إلى يدي هو ما يُزَعِجني». دائِمًا الصَّبَاحُ أصعب الأوقات على الإطلاق. في أحلامه هو رجل كامل، وكلَّ فجرٍ يستلقي شِبُه مستيقظٍ مستشعرًا أصابعه تتحرَّك، ويهمس جزء منه ما زال إلى الآن يأبى التَّصديق: كان كابوسًا، مجردَ كابوس.

ثم يفتح عينيه.

قال كايبرن: «أعتقدُ أن زائرةَ جاءتك ليلة أمس. أتمنَّى أنك استمتعت بها». رمقه چايمي ببرود قائلاً: «لم تقل من أرسلها». ابتسم المايستر بتواضع، وقال: «الحُمى خفت إلى حدِّ كبير، وخطر لي أنك قد تستمتع بالقليل من التَّمرين. پيا بارعة جدًّا، أليس كذلك؟ كما أنها... راغبة جدًّا».

كانت كذلك بالتأكيد. لقد دخلت من بابه وخرجت من ثيابها بسرعة جعلت چايمي يحسب أنه لا يزال يحلُم.

لم يحسَّ بالاستشارة حتى انضمت إليه المرأة تحت أغطيته ووضعت يده السليمة على ثديها. وكانت حسناء أيضًا. قالت له: «كنت فتاة صغيرة حين جئت إلى دورة اللورد ونت وأعطاك الملك معطفك. بدوت وسيما جدًّا وأنت تلبس الأبيض، وقال الجميع إنك فارس شجاع. أحيانًا وأنا مع رجل ما أغلق عيني، وأتخيَّل أنك أنت فوق بيشرتك الملساء وخصلاتك الذهب، وإن لم أعتقد قط أنني سأحظى بك بحق».

لم يكن صرفها سهلًا بعد ذلك، لكنه صرفها على كلِّ حال مذكَّرًا نفسه: لديَّ امرأة بالفعل.

سأل كايبرن: «هل تُرسل فتيات إلى كلِّ من تُعلِّق لهم العلق؟».

- «غالبًا يُرسلهن اللورد فارجو إليَّ، يُريدني أن أفصحهن قبل... يكفي القول إنه تهوَّر في الحُبِّ ذات مرَّة ولا يرغب في أن يفعلها ثانية. لكن لا تقلق، پيا نظيفة تمامًا، مثل رفيقتك عذراء (تارث)».

رفقه چايمي بحدّة سائلاً: «بريان؟». قال كايرن: «نعم. إنها فتاة قويّة، ولا تزال محتفظةً ببكورتها، حتى ليلة أمس على الأقل»، وأطلق ضحكةً قصيرةً.  
- «أرسلك تفحصها؟».

- «بالتأكيد. إنه... لنقل إنه يُدقق في التفاصيل».  
- «ألهذا علاقة بفديتها؟ هل طلب أبوها دليلاً على أنها ما زالت بكرًا؟».  
قال كايرن: «ألم تسمع؟»، وهزّ كتفيه مردفًا: «لقد وصلنا طائر من اللورد سلوين حاملاً إجابةً على رسالتي له. نجم المساء يعرض ثلاثمئة تين ذهبي مقابل عودة ابنته أمنة. أخبرت اللورد فارجو أن (تارث) ليس فيها صفيّر، لكنه يرفض أن يصغي، ومقتنع بأن نجم المساء يخدعه».  
- «ثلاثمئة تين فدية تليق بفارس. المفترض أن يقبل الكبش ما يمكنه أن يناله».

- «الكبش سيّد (هارنهال)، وسيّد (هارنهال) لا يساوم».  
ضايقه الخبر، وإن فكر أنه كان عليه أن يتوقّعه. الكذبة أنجحتك بعض الوقت يا هذه، فامتني لهذا القدر على الأقل. قال ساخرًا: «إذا كان غشاء بكارتها صلبًا كبقيتها فسيكسر الكبش قضيبه وهو يُحاول الولوج». قدر چايمي أن بريان قويّة بما يكفي لاحتمال الاغتصاب بضع مرّات، لكن إذا قاومت بشراسة أكثر من اللازم، فقد يبدأ فارجو هوت في بتر أطرافها واحدًا تلو الآخر. وإذا فعل فلم أبا لي؟ كنت لأطلّ محتفظًا بيدي لو تركتني آخذ سيف ابن عمّتي دون أن تستحمق. لقد كاد يبتّر ساقها بضربته الأولى، لكنها جابهته بمنتهى الشراسة بعدها. ربما يجهل هوت قوتها الغاشمة. خيرٌ له أن يحذر ولاّ كسرت عنقه الرّفيّع، وأن يكون هذرائعًا؟

أحسّ بالصّجر من صُحبة كايرن، فحبّ إلى مقدّمة الرّكب، حيث يمضي رجل شمالي قصير ممتلئ اسمه نايج أمام ذي السّاقين الفولاذ حاملاً راية السّلام المخططة بألوان قوس قزح وتتدلّى منها سبعة ذيول طويلة، بينما تعلق السّارية نجمة سباعيّة. خاطبَ والتون سائلاً: «أليس من المفترض أن تكون لكم راية سلامٍ مختلفة أيها السّماليّون؟ ما علاقتكم بـ(السّبعة)؟».



أجاب الرَّجُلُ: «إنها آلهة جنوبيَّة، وما نسعى إليه هو السَّلام الجنوبي كي نُوصِّلك إلى أبيك بأمان».

أبي. تساءل چاييمي إن كان اللورد تايوين قد تلقى مطلب الكبش بالفدية، وإن كانت يده قد أرفقت معه أم لا. ما قيمة السِّيَاف دون يده حاملة السَّيف؟ نصفُ الذهب في (كاسترلي روك)؟ ثلاثمئة تينين؟ لا شيء؟ لم تكن شيمة أبيه قط أن تُؤثِّر فيه العاطفة إلا قليلاً. ذات مرَّة سجنَ اللورد تايوس - أبو تايوين لانستر - حاملِ رايةٍ متنمَّر اسمه اللورد تاربيك، فاستجابت المرأة المهيبة الليدي تاربيك بالقبض على ثلاثة من آل لانستر، منهم ستافورد الشَّاب الذي كانت أخته خطيبة ابن عمِّهما تايوين وقتها. كتبت المرأة لـ (كاسترلي روك) قائلة: «أعيدوا لي سيدي وحيبي والأدفع هؤلاء الثلاثة ثمن أيِّ ضررٍ يمسُّه»، فاقترح تايوين الشَّاب أن يُدعِن أبوه ويُرسِل اللورد تاربيك على ثلاث قطع، غير أن اللورد تايوس كان أسداً من النوع الأليف، وهكذا ربحَت الليدي تاربيك بضع سنين إضافيَّة من العمر لزوجها المأفون، وتزوَّج ستافورد وأنجبَ ومضى في حياته متخبَّطاً حتى (أوكسكروس)... لكن تايوين لانستر تجلَّد واستمرَّ يتحدَّى الدَّهرِ مثل (كاسترلي روك). والآن لك ابن معاق علاوةً على ابنك الفزيم يا سيدي، ولكم ستبغض هذا...

قَادَهُم الطَّرِيقُ عبر قريةٍ محترقة. لا بُدَّ أن عامًا أو أكثر قد مرَّ منذ أُضرمَت النَّارُ في المكان، إذ وقفت المنازل مسوَّدةً بلا سقوف، لكن الحشائش نامية حتى الخاصرة في الحقول المحيطة كلها. أمرَ ذو السَّاقين الفولاذ بالتوقُّف ليسقوا الخيول، وفكر چاييمي وهو منتظر عند البئر: أعرِف هذا المكان أيضًا. كان هناك خان صغير حيث لا توجد الآن إلا أحجار أساس قليلة ومدخنة، خان دخله ليشرب كوبًا من المِزر. يومها جلبت له نادلة داكنة العينين جُبنةً وتفاحًا، لكن صاحب الخان رفض أن يدفع چاييمي الحساب، وقال: «شرف لي أن أستضيف رجلاً في الحرس الملكي تحت سقفي أيها الفارس. إنها حكاية سأحكيها لأحفادي». تطلَّع إلى المدخنة البارزة من وسط الحشائش، وتساءل إن كان الرَّجُل قد حظيَ بهؤلاء الأحفاد. هل قال لهم إن قاتل الملك شرب مزره وأكل جُبنته وتفاحه ذات يوم، أم خجل من الاعتراف بأنه أطعمَ وسقى أمثالي؟ لن يعرف الإجابة أبدًا. أيًّا كان من أحرقت الخان قتل الأحفاد كذلك غالبًا.

شعرَ بأصابعه الشَّبْحِيَّةَ تنقبض، ولَمَّا اقترَحَ والتون أن يُشعلوا نارًا ويتناولوا وجبةً، هَزَّ چايمي رأسه رافضًا، وقال: «هذا المكان لا يروقني. سنستأنف الرُّكوب».

مع حلول المساء كانوا قد تركوا البحيرة إلى درب كثير الحُفَرِ في غابةٍ من شجر السَّنْدِيان والدَّرْدَارِ، وحين قَرَّرَ والتون أن يَحْيِمُوا كانت جَدْعَةُ چايمي تنبض بألم خافت، لكن من حُسْنِ الحَظِّ أن كايبرن أحضَرَ معه قِرْبَةً من نبيذ النَّوْمِ. بينمَّا عَيَّنَ والتون الحُرَّاسَ، تمَدَّدَ چايمي بالقُربِ من النَّارِ، ودَسَّ فِروَةَ دُبِّ مطويَّةٍ بين جذع شجرةٍ مبتورٍ ورأسه على سبيل الوسادة. كانت الفتاة لتقول له إن عليه أن يأكل قَبْلَ أن ينام كي يحتفظ بقوَّته، لكن تبعه غلبَ جوعه، وأسبَلَ جفنيه أملًا أن يَحْلُمَ بسرسي، فأحلام الحُمَى جليَّةٌ حقًّا...  
عاريًا وحيدًا يقف، يُحيط به الأعداء وتُطبق عليه جُدْران حجر. يُدرك أنه في (الصَّخْرَةَ)، ويحسُّ بتقلُّها الهائل فوق رأسه. إنه في بيته، في بيته وسليم كامل.

يرفع يُمناه ويبسط أصابعه ويقبضها ليشعر بقوَّتها، ويُفعمه إحساس ممتع كالجنس، ممتع كالمبارزة. خنصر وبنصر ووُسطى وسبَّابة وإبهام. لقد حلِمَ بأن يده بُتِرَت، لكنها لا تزال متَّصِلَةٌ بذراعه. يُدير الارتفاع رأسه، ويُفكِّر: يدي، يدي الغالية. لا شيء بمقدوره إيذاؤه وهو كامل.  
حوله تقف دسّته من الأطياف الطويلة القاتمة مرتديةً مُسوحًا تُخفي وجوهها وفي أيديها الحِرَابِ، فيسأل: «مَن أنتم؟ ما شأنكم في (كاسترلي روك)؟».

لكنهم لا يُجيبون، فقط يَنكُزونه برؤوس حِرَابِهِم، فلا يجد خيارًا إلاَّ التُّزول، وينزل في دِهليز ملتوٍ درجاته الضَّيِّقَةَ محفورة في الصَّخر الحي، إلى أسفل فأسفل ينزل ويقولُ لنفسه: عليَّ أن أصعد، أصعد ولا أنزل. لماذا أنزل؟ يعلم بيقين الأحلام أن هلاكه ينتظره تحت الأرض، وأن شيئًا أسود شنيعًا يترصد له هناك، شيئًا يُريده. يُحاولُ چايمي أن يتوقَّف، لكن الحِرَابِ تخزه وتُرغمه على الاستمرار. لو أن معي سيفي فقط لما آذاني شيء.  
تنتهي الدَّرجات فجأةً في ظلام رنَّان، ويستشعر چايمي مساحةً خاليةً شاسعةً أمامه، فيتوقَّف بحركةٍ حادَّةٍ ويتأرجح على حافة العدم. ينخزه رأس

حربة في ظهره من أسفل دافعًا إياه إلى الهوة، فيصرخ لكنه يجد السقطة قصيرة، ويهبط على يديه ورُكبته فوق رمالٍ ناعمة ومياهٍ آسنة. ثمة كهوف مائية في الأعماق تحت (الصخرة)، لكن هذا الكهف غريب عليه، فيسأل: «ما هذا المكان؟».

ويُجيب الصوّت الرّثان: «مكانك». مئة صوت، ألف صوت، أصوات كلّ ذرّية لانستر منذ لان المُحتال الذي عاش في فجر الأيام، لكن صوت أبيه يطغى عليها جميعًا، وإلى جوار اللورد تايوين تقف أخته شاحبة جميلةً وفي يدها مشعل متقد، ويقف چوفري أيضًا، الابن الذي أتيا به إلى الحياة معًا، ووراءهم المزيد من الأطياف القادمة ذات الشعر الذهبي.

- «لماذا جاء بنا أبونا هنا يا أختاه؟».

- «بنا؟ هذا مكانك أنت يا أخي، ظلّمتك أنت». مشعلها الصوّء الوحيد في المغارة، مشعلها الصوّء الوحيد في الكون، وتدور سرسي لتُغادر. يقول چايمي متوسّلًا: «لا تتركوني، لا تتركوني هنا وحيدًا»، لكنهم يتحرّكون تاركين إياه. «لا تتركوني في الظلام!». شيء رهيب يعيش هنا. «أعطوني سيفًا على الأقل».

ويردّ اللورد تايوين: «أعطيتك سيفًا».

ويجده عند قدميه، ويمد يده تحت الماء متلمّسًا حتى تنغلق على المقبض. لا شيء يُمكنه أن يؤذيني ما دام سيفي معي. يرفع السيف فيومض إصبع من اللهب الباهت على الرّأس، ويزحف على الحافة ثم يتوقف على قيد أنملة من المقبض، وتتخذ النّار لون الفولاذ ذاته وتتوهج بضوءٍ أزرق يميل إلى الفضيّ وتنسحب العتمة. يجثم چايمي منصتًا ويتحرّك في دائرة مستعدًا لأيّ شيء يخرج عليه من الظلام، ويُغرق الماء قدميه حتى الكاحلين ببرودة قارسة، فيقول لنفسه: حذار من الماء، قد تكون هناك كائنات تعيش فيه، في الأغوار السّحيقة... من ورائه يسمع المياه تتناثر بصوتٍ صاخب، ويدور چايمي مسرعًا نحو الصّوت... لكن الصّوء الخافت لا يُسفر إلا عن بريان التارثيّة، عارية تُكبّل يديها سلاسل ثقيلة، وبعناد تقول الفتاة: «لقد حلفتُ أن أحافظ على سلامتك، حلفتُ يمينًا»، وترفع يديها لچايمي مردفة: «أرجوك أيها الفارس، إذا سمحت». تنشقّ الحلقات الحديد كالحرير، وتقول بريان مناشدة: «سيف»، وإذا

به هناك بغمده وحزامه، فتشدهُ حول خصرها الغليظ. الضَّوء شحيح للغاية وبالكَاد يستطيع چايمي أن يراها، مع أن أقدامًا معدودةً تفصل بينهما. في هذا الضَّوء تكاد تبدو مليحةً، في هذا الضَّوء تكاد تكون فارسًا. بدوره يلهت سيف بريان ويتقد بالأزرق المشوَّب بالفضي، وتتَهَقَّر الظلمة أكثر قليلًا. يسمع سرسي تُنادي: «ما دام اللهب مشتعلًا ستبقى حيًّا، وحين يهدم تموت».

يصيح: «أختاه! ابقِي معي! ابقِي!»، ولكن ما من مجيبٍ إلا وقع الأقدام المبتعدة.

تُحرِّك بريان سيفها الطويل إلى الأمام والخلف مراقبةً اللهب المفضض يتراقص ويتوهج، وتحت قدميها يلتمع انعكاس النصل النَّاري على صفحة المياه السوداء الساكنة. تقف طويلةً قويَّةً كما يتذكَّرها، وإن يبدو لچايمي أن لها جسدًا أكثر أنوثةً الآن.

- «هل يحتفظون بدبِّ هنا؟»، تسأل بريان وهي تتحرَّك بتأنٍّ وحذرٍ وسيفها في يدها، تخطو وتدور وتُصغي، وتُنثر كلَّ خطوة الماء بصوتٍ خافت. «أسد كهوف؟ ذئب رهيب؟ دبُّ ما؟ أخبرني يا چايمي، ما الذي يعيش هنا؟ ما الذي يعيش في الظلام؟».

- «الفناء». ليس دبًّا أو أسدًا. «لا شيء إلا الفناء».

في ضوء السيفين البارد تبدو الفتاة الكبيرة شاحبةً شرسةً، وتقول: «أكره هذا المكان».

- «لست مغرمًا به عن نفسي. قدماي مبتلتان».

يصنع النصلان معًا جزيرةً صغيرةً من الثور، لكن في كلِّ اتِّجاهٍ يمتدُّ بحر من الظلام السَّرْمدي.

- «يُمكننا أن نعود من حيث جلبونا. إذا وقفت على كتفي فلن يصعب عليك أن تبلغ مدخل النَّق».

ثم أتبعُ سرسي. يحسُّ بانتصابه يُصاحب الفكرة، فيلتفت عن بريان لئلا ترى.

- «أصغ». تضع يدها على كتفه ويرتجف من اللَّمسة المفاجئة. إنها دافئة. «شيء ما قادم». ترفع سيفها وتُشير إلى يساره قائلةً: «هناك».

يُحْمَلِقُ إِلَى السَّوَادِ الدَّامِسِ إِلَى أَنْ يَرَاهُ أَيْضًا. فِي الظُّلْمَةِ شَيْءٌ مَا يَتَحَرَّكُ  
لَا يُدْرِكُهُ تَمَامًا...

- «رجل على حصان. لا، اثنان. راكبان جنبًا إلى جنب».

- «هنا تحت (الصَّخْرَةَ)؟». لا يفهم كيف، لكن الخيَّالين يظهران على  
حصانين شاحبين، هذان مدرَّعان وهذان أيضًا. يَخْرُجُ الجوادان الحربيَّان من  
الأسود الحالك ماشيين ببطء، فيقول چايمي لنفسه: لا أصوات، لا مياه تتناثر  
أو دروع تصلُّ أو حوافر تدقُّ الأرض. يتذكَّرُ إدَّارِد ستارك قاطعًا طول قاعة  
عرش إيرس بحصانه مَشَّحًا بالصَّمْت، لا يتكلَّم فيه إلا عيناه، عينا اللورد  
الرَّمادِيَّان البارِدَتان، تُفصِّح نظراتهما عن حُكْمه عليه. «أهذا أنت يا ستارك؟  
تقدَّم. لم أخفك قطُّ وأنت حي، ولن أخافك وأنت ميت».

تمسُّ بريان ذراعه قائلةً: «هناك المزيد».

الآن يراهم أيضًا. يخال أنهم مدرَّعون بالثلج جميعًا، ومن أكتافهم تخفق  
شرائط من الضباب. مقدِّمات خوذهم مغلقة، لكن چايمي لانستر لا يحتاج  
إلى رؤية وجوههم ليتعرَّفهم.

خمسة منهم كانوا إخوته. أوزويل ونت وچون داري، وليوين مارتل الأمير  
الدورني، والثور الأبيض السير چيرولد هايتاور، والسير آرثر داين سيف  
الصباح... وإلى جوارهم، متوجِّجًا بالسَّدِيم والحسرة ويُرفرف وراءه شعره  
الطويل، يركب ريجار تارجارين، أمير (دراجونستون) والوريث الشرعي  
للعرش الحديدي.

- «لستم تُخيفوني»، يصبح متلفِّتًا وهم ينقسمون على جانبيه فلا يدري أيَّ  
جانب يُواجه. «سأقاتلكم واحدًا واحدًا أو في آنٍ واحد، لكن مَنْ يُبارز الفتاة؟  
إنها تغضب إذا تجاهلها أحد».

تقول بريان لطيف ريجار: «لقد حلفتُ أن أحافظ على سلامته، حلفتُ  
يمينًا مقدَّسةً».

يردُّ السير آرثر داين بأسى بالغ: «كلُّنا حلفنا إيمانًا».

تترجَّل الأطياف عن جيادها الشَّبَحِيَّة، وتستل سيفوها الطويلة بلا صوت،  
فيقول چايمي: «كان سيُحرق المدينة ويترك لروبرت الرَّماد».

يقول داري: «كان ملكك».

ويقول ونت: «وأقسمت أن تحافظ على سلامته».

ويقول الأمير ليوين: «وسلامة الطفلين أيضًا».

ويتقد الأمير ريجار بضوءٍ بارد، الآن أبيض، الآن أحمر، الآن داكن، ويقول: «تركْتُ زوجتي وطفلي بين يديك».

يخبو الضوء في سيف چايمي بعض الشيء، ويردُّ: «لم أتصوّر قطُّ أنه سيؤذيهما. كنتُ مع الملك...».

يقاطعه السير آرثر: «تقتل الملك».

ويقول الأمير ليوين: «تذبحه».

ويقول الثور الأبيض: «الملك الذي أقسمت أن تموت من أجله».

تتذبذب النار على حافة النصل، ويتذكر چايمي ما قالته سرسي. لا. يطبق الرُعب على جيده ويضيق الخناق، ثم ينطفى السيف ولا يتبقى إلا ضوء سيف بريان، وتنقض الأشباح.

ويصرخ چايمي: «لا! لا، لا، لا! لا! لا! لا! لا! لا!».

بقلب يدق بمنتهى العنف انتفض مستيقظًا، ووجد نفسه وسط بُستان أشجار في ظلام مرصع بالنجوم وفي فمه مذاق مرير، يتصبَّب عرقًا ويرتجف شاعرًا بالبرد والدَّفء في الآن نفسه. حين نظرَ إلى يده وجدَّ المعصم ينتهي بالجلد والكتان الملتفَّين بإحكام حول جدعة قبيحة، وأحسَّ بالدموع تتجمَّع فجأةً في مُقلتيه. لقد شعرتُ بهًا، شعرتُ بالقوَّة في أصابعي وملمس مقبض السيف الجلدِي الخشن. يدي...

جثا كايبرن إلى جواره والقلق يتصدَّر ملامحه الأبويَّة، وقال: «ما الخطب يا سيدي؟ سمعتك تصرخ».

وقف والتون ذو الساقين الفولاذ فوقهما بقامته الطويلة ولامحه العابسة قائلاً: «ماذا حدث؟ لماذا صرخت؟».

حدق چايمي إلى المخيم حوله شاعرًا بالضياح لحظةً، وقال: «حلم... مجرد حلم. كنتُ في الظلام، لكن يدي عادت لي»، ونظرَ إلى جدعة يده وانتابه الغثيان من جديد. لا مكان في العالم كالذي تحت (الصخرة). كانت معدته متقلبة فارغة، ورأسه يدقُّ حيث أسنده إلى جذع الشجرة المبتور. تحسَّس كايبرن جيده، ثم قال: «ما زلت تُعاني شيئًا من الحمى».

غمغمَ چایمی: «هي سبب الحُلم إذن»، ومدَّ يده السَّليمة قائلاً: «ساعِدني»، فجدَّبَه ذو السَّاقين الفولاذ منها، وعاونَه على التَّهوض.

سأله كاييرن: «كوب آخر من نبيذ التَّوم؟».

- «لا، لقد رأيتُ ما يكفي من أحلام الليلة». تساءلَ كم تبقى من وقتٍ قبل طلوع الفجر، وقد أدركَ بوسيلةٍ ما أنه سيعود إلى ذلك المكان المظلم المبتل إذا أغلقَ عينيه.

- «حليب الخشخاش إذن؟ وشيء للحمَّى؟ إنك ما زلت ضعيفاً يا سيدي، وتحتاج إلى التَّوم والرَّاحة».

هذا آخر شيءٍ أنوي أن أفعله. ترقِّقَ نور القمر بشحوب على الجذع المبتور الذي أراحَ عليه رأسه. كان الطحلب يُعطيهِ بكثافةٍ فلم يلاحظ من قبل، لكنه يرى الآن أن لون الخشب أبيض، وقد جعله يُفكر في (ويتترفل) وشجرة قلوب ند ستارك. لم يكن هو، لم يكن هو إطلاقاً. لكن الجذع ميت وكذا ستارك والآخرون؛ الأمير ريجار والسير آرثر والطفلان. وإيرس، إيرس أكثرهم موثاقاً. سألَ كاييرن: «هل تُؤمن بوجود الأشباح أيها المايستر؟».

لاخَ تعبير غريب على وجه الرِّجل، وقال: «ذات مرَّة في (القلعة) دخلتُ غرفةً خاليةً ورأيتُ مقعداً خالياً، ومع ذلك عرفتُ أن امرأةً كانت هناك قبلي لحظات. الوسادة كانت منبعجةً حيث جلست، والقماش لا يزال دافئاً، وظلَّ عطرها عالقاً في الهواء. إذا كنا نتركُ روائحنا خلفنا حين نغادرُ غرفةً، فلا بُدَّ أن شيئاً من أرواحنا يبقى بعدما نغادرُ هذه الحياة، أليس كذلك؟»، وبسطَ كاييرن يديه متابعاً: «لكن طريقتي في التَّفكير لم تُرق رؤساء المايسترات، باستثناء ماروين، لكنه كان الوحيد».

مرَّرَ چایمی أصابعه في شعره، وقال: «والتون، جهِّز الخيول. أريدُ أن أعود».

رمقه ذو السَّاقين الفولاذ بريبةً مردِّداً: «تعود؟».

يعتقد أن الجنون أصابني، وربما أصابني بحق. «تركتُ شيئاً في (هارنهال)».

- «اللورد فارجو يُسيطر عليها الآن، هو وممثِّلوه السَّفاحون».

- «إن معك ضعف عدد رجاله».

- «إذا لم أسلمك لأبيك كما تنصُّ أو امري فسيسلخ اللورد بولتون جلدي.  
سنواصل الطريق إلى (كينجز لاندنج)».

في الماضي كان چايمي ليُجيبه بابتسامةٍ وتهديد، لكن عاجزاً بيدٍ واحدة لا يستطيع أن يبتَّ الخوف في النفوس. تساءل عما كان أخوه ليفعله. كان تيريون ليُجد سبيلاً. «آل لانستر يكذبون يا ذا الساقين الفولاذ. ألم يُخبرك اللورد بولتون بهذا؟».

عقدَ الرَّجل حاجبيه بتوجُّس متسائلاً: «وماذا لو فعل؟».

- «ما لم تأخذني إلى (هارنهال)، فقد لا تكون الأغنيَّة التي أرددها على مسامع أبي هي التي يُريد سيِّد (معقل الخوف) أن يسمعها، بل وربما أقول إن بولتون هو من أمرَ ببتريدي، وإن والتون ذا الساقين الفولاذ هو من نفذ الأمر. حملقَ إليه والتون قائلاً: «غير صحيح».

- «نعم، لكن من الذي سيُصدِّقه أبي؟»، وجعلَ چايمي نفسه يبتسم كما كان يفعل حينما لم يكن هناك في العالم ما يُخيفه، وأردف: «أسهل كثيراً أن نعود، ولن يمضي وقت طويل حتى نخرج إلى قارة الطريق مجدداً، وعندما نبلِّغ (كينجز لاندنج) سأعنيَّ أغنيَّة في غاية الجمال حتى إنك لن تُصدِّق أذنك. سننال الفتاة، علاوةً على كيس ممتلئ بالذهب على سبيل العرفان». بدا أن الفكرة راقَت والتون كثيراً إذ سأل: «ذهب؟ كم من الذهب؟». نلته. «كم تُريد؟».

وحين أشرقت الشمس كانوا في منتصف طريق العودة إلى (هارنهال) بالفعل.

دفعَ چايمي حصانه إلى الرِّكض أسرع مما فعلَ في اليوم السابق، وهو ما أجبرَ والتون ورجاله الشماليين على مجاراة سُرعته، وعلى الرغم من هذا لم يبلِّغوا القلعة المطلَّة على البحيرة قبل الظهر، وتحت سماءٍ متجهمة تتوعَّد بالمطر ارتفعت الأسوار الشامخة والأبراج الهائلة الخمسة سوداء منذرةً بالويل. تبدو ميتة تماماً. وجدوا الأسوار خاليةً والبوابة مغلقةً موصدةً، لكن أعلى الحصن الأمامي تدلَّت راية واحدة مرتخية. كبش (كوهور) الأسود. كورَ چايمي يده حول فمه زاعقاً: «أنتم في الدَّاخل! افتحوا البوابة وإلا حطمتها!». أخيراً، بعد أن أضافَ كايرن والتون صوتيهما إلى صوته، برز رأس من



الشُرْفَة فوقهم ونظَرَ صاحبه إليهم بإمعانٍ ثم اختفى، وبعدَ مَدَّةٍ قصيرةٍ سمعوا الشَّبْكَةَ الحديديةَ ترتفع. انفتحتِ البوَابَةُ، وهمزَ چایمی لانستر حصانه إلى الدَّاخلِ دون أن يُعيرَ اهتمامًا لكَوَاتِ الدَّفَاعِ التي يمرُّ أسفلها. كان قلقًا من احتمال أن يَرْفُضَ الكبش دخولهم، لكن يبدو أن رِفْقَةَ الشُّجْعَانِ لا تزال تعدُّهم أصدقاء. الحمقى.

كانت السَّاحَةُ الخارجِيَّةُ مهجورةً، ولا أثر للحياة إلَّا في الاسطبلات الطَّويلة ذات الأسطُحِ المكسوَّةِ بالأردواز، لكن الخيولَ آخِرَ ما يهيمُ چایمی الآن. جذبَ عِنَانِ الحصان وتلقَّت حوله، وسمعَ أصواتًا خافتةً تأتي من مكانٍ ما وراء (بُرجِ الأشباح) ورجالًا يصيحون بلغاتٍ متعدِّدة. أحاطَ به ذو السَّاقينِ الفولاذِ وكابيرن من الجانبين، وقال الأول: «خُذ ما عُدت من أجله وستتحرك على الفور. لا أريدُ متاعب مع الممثلين».

قال چایمی: «قل لرجالك أن يُبقوا أيديهم على مقابض سيوفهم ولن يرغب الممثلون في متاعب معكم. تذكَّر، اثنان إلى واحد»، ثم إنه التفت برأسه بحركةٍ حادَّةٍ على إثر جوارٍ بعيد، خافت لكن شرس، وتردَّد صدى الصَّوت على جُدران (هارنهال) وتعالَت الصَّحكات كموج البحر، وفجأةً أدرك ما يحدث. هل تأخَّرنا؟ اضطربت معدته، وضربَ الحصان بمهمازيه وانطلق يَهْرولُ عبر السَّاحَةِ الخارجِيَّةِ، وتحت جسرٍ حجريٍّ مقنطرٍ وحول (بُرجِ العويل) ثم عبر (ساحة الحجر المصهور). لقد وضعوها في جُبِّ الدَّبَّةِ.

كان الملك هارن الأسود يحبُّ أن يتفرَّجَ باقتتال الدَّبَّةِ بترفٍ ككلِّ شيءٍ آخرَ اعتادَ أن يفعله، وهكذا حفرَ جُبًّا اتساعه عشر ياردات وعمقه خمس، جُدرانه من الحجارة وأرضيته مفروشة بالرَّمْلِ وتُحيط به سِتَّةُ صفوفٍ من الدَّكِّ الرُّخام. رأى چایمی وهو يثب من على ظَهرِ حصانه أن رجال رِفْقَةَ الشُّجْعَانِ ملأوا رُبعَ المقاعد لا أكثر، وقد انهمك المرترقة في مشاهدة العرض في الأسفل حتى إن الواقفين على الجانب الآخر من الجُبِّ فقط لاحظوا وصولهم.

كانت بريان لا تزال ترتدي الفُستان الذي لا يلائمها نفسه منذ العشاء مع رُووس بولتون، لكن لا درع ولا وافي صدر أو حلقات معدنيَّة أو حتى جلد

مقوّى، فقط الساتان الوردى وشرائط الزينة المايرية. ربما خطرَ للكيش أنها ستبدو طريفةً أكثر إذا ارتدت ثياب النساء. نصفُ فُستانها كان ممزّقاً، وذراعها اليسرى دامية حيث خمّشها الدب.

على الأقل أعطوها سيفاً. حملته الفتاة بيدٍ واحدة وهي تتحرّك بشكل جانبي لتضع مسافةً بينها وبين الحيوان. لن يصلح هذا. الحلبة صغيرة للغاية. عليها أن تُهاجم، أن تضع نهايةً سريعةً للقتال. الفولاذ الجيد يُمكنه التغلب على أيّ دُب، لكن الفتاة بدت خائفةً من الدنو، وأمطرها الممثلون بالشتائم والإيحاءات البذيئة.

قال والتون محذراً: «ليس هذا من شأننا. اللورد بولتون قال إن الفتاة لهم ليفعلوا بها ما يُريدون».

ردّ چايمي: «اسمها بريان»، ونزل السّلام متجاوزاً دسّته من المرتزقة المندھشين. كان فارجو هوت قد اتّخذ مقصورة اللورد في الصّف السفلي، فناده رافعاً صوته فوق الهتاف: «لورد فارجو!».

كاد الكوهوري يسكب نبذه، وقال: «قاتل الملك؟!». كان جانب وجهه الأيسر مغطى بضمادة بدائية، والكتان فوق أذنه مبقّعاً بالدم.

- «أخرجها من هنا».

قال هوت: «لا تتدخّل يا قاتل الملك ما لم تكن ترغب في جدعةٍ أخرى. إكتك هذه قضمت أذني. لا عجب أن أباهَا يرفض دفع فديةٍ مثخٍ مثلها».

جعل الخوار چايمي يلتفت. كان الدب يُناهز الأقدام الثمانية طويلاً. جريجور كليجاين بفروة، وإن كان أذكي غالباً. لكن الحيوان لا يستطيع أن يبلغ المدى الذي يبلغه الجبل بسيفه العظيم المخيف.

هدر الدب غاضباً وكشّر عن أسنانه الصّفراء الكبيرة، ثم نزل على أربع وانقضّ على بريان مباشرةً. هذه فرصتك. اضربي! الآن!

لكنها وخزته برأس سيفها بلا طائل بدلاً من هذا، وتراجع الدب خطوةً ثم عاد ينقضّ مقعقماً، فانزلت بريان إلى اليسار ووخزته ثانيةً في وجهه، وهذه المرّة رفع كفّه وأزاح السيف جانباً.

إنه حذر. لقد واجه بشراً من قبل ويعلم أن الشُوف والرّماح يُمكنها أن تؤذيه، لكن هذا لن يُبعده عنها طويلاً. صاح: «اقْتليه!»، لكن صوته ضاع

في خضمّ صباح الآخرين، وإذا سمعته بريان فإنها لم تُبدِ أمارَةً على هذا، وتحركت حول الجُبِّ معطيةً ظهرها للحائط. قريبة جدًا من الحائط. إذا حاصرها الدُّب هناك...

تحرك الحيوان بخرقٍ واقترَبَ مسرعًا أكثر من اللازم، وبسرعة القِطَّة غيّرت بريان اتجاهها. ها هي الفتاة التي أذكرها. وثبتت هاويةً بضربةٍ عبر ظهر الدُّب الذي هدرَ وعادَ يقف على قائمته الخلفيتين، فتقهقرت بريان. أين الدَّم؟ أدرك الإجابة بغتةً، والتفت إلى هوت قائلاً بغضب: «أعطيتها سيفًا ثلماً؟!».

أطلق الكبش ضحكةً كالثغاء ناثراً النَبِيد واللُّعاب على چايمي، وقال: «بالطبع».

- «سأدفعُ أنا فديتها اللعينة، ذهبًا أو صفيراً، أيًا كان ما تُريده. أخرجها من هنا».

- «هل تُريدها؟ اذهب وخذها إذن».

وهذا ما فعله چايمي.

وضع يده السليمة على الحاجز الرُّخام ووثب فوقه، ثم تدرجَ إذ ارتطم بالأرض الرَّمليّة، والتفت الدُّب مع صوت هبوطه متشمّمًا ومراقبًا هذا المتطفل الجديد بحذر. اعتدل چايمي جاثيًا على رُكبةٍ واحدة، وفكر: حسن، ماذا أفعل الآن بحقّ الجحائم السبع؟ ملأ قبضته بالرّمال، وسمع بريان تقول مذهولةً: «قاتل الملك؟!».

قال: «چايمي»، وتراجعَ قاذفًا الرَّمَل في وجه الدُّب، فنهشَ هذا الهواء وقعقعَ كنار أجاجة.

- «ماذا تفعل هنا؟».

- «شيئًا غيبًا. قفي ورائي»، ودارَ نحوها واضعًا نفسه بين بريان والدُّب.

- «قف أنت ورائي. السيف معي أنا».

- «سيف بلا رأس مدبَّب أو حافة حادّة. قفي ورائي!». رأى شيئًا نصف

مدفون في الرّمال فاخترطه بيده السليمة، وأتضح أنه عظمة فك بشريّة لا يزال القليل من اللحم المخضر عالقًا بها ويعجُّ باليرقات، فقال چايمي لنفسه: رائع، وهو يتساءل عن صاحب الوجه الذي يحمله. كان الدُّب يدنو، فدوّر

چایمی ذراعه و طَوَّحَ بالعظم واللحم والبرقات في وجهه... وأخطأ التصويب  
بياردة كاملة. عليّ أن أبتري سُراي أيضاً ما دامت عديمة الجدوى هكذا.  
حاولت بريان أن تندفع دائرةً حوله، لكنه ركل ساقها من تحتها، فسقطت  
على الرّمال قابضةً على السيف عديم الفائدة، ووقفَ چایمی فوقها مباعداً بين  
ساقيه، وانقضّ الدُّب عليهما.

فجأة سمع صوتاً وترتياً عميقاً، وانغرس سهم بريشةٍ تحت عين الحيوان  
اليسرى. سال الدّم واللعباب من فمه المفتوح، وأصابه سهم آخر في ساقه،  
وجأز الدُّب وتراجع، لكنه عاد ينظر إلى چایمی وبريان، واندفع نحوهما  
يعرج، وانطلقت السهام من مزيدٍ من النشائبات ممزقةً فروه ولحمه. من  
مسافةٍ قصيرةٍ كهذه لا يمكن أن يخطئ الرّماة التسديد، فضربته السهام  
بقوّة الهراوات، لكن الدُّب أخذ خطوةً أخرى. الوحش الأحمق الشجاع  
المسكين. هوى عليه الدُّب بكفه، فوثبَ چایمی جانباً بحركةٍ راقصةٍ وهو  
يزعق راکلاً الرّمال، والتفت الحيوان يتبع معذبه، فتلقى سهمين آخرين في  
ظهره، وأطلق زمجرةً هادرةً أخيرةً، ثم استقرّ على قائمته الخلفيتين، وتمدّد  
على الرّمال الملطّخ بالدماء، ومات.

اعتدلت بريان جاثيةً على رُكبتها وهي تقبض على السيف الثلم وتلتقط  
أنفاساً قصيرةً خشنّةً. كان رّماة ذي السّاقين الفولاذيِّدورون بكرات نشائباتهم  
ويعيدون تلقيمها بينما زعق الممثلون فيهم بالشتائم والتّهديدات، ورأى  
چایمی رورج وذا السّنايك الثلاثة يستلان سيفيهما وزولو يحلُّ كُرباجه.

صرخَ فارجو هوت: «قتلتم دُبِّي!».

ردّ والتون: «وستنال المثل مني إذا اعترضت طريقي. سنأخذ الفتاة».

قال چایمی: «اسمها بريان، بريان عذراء (تارث). ما زلت عذراء كما  
أملُ؟».

توردّ وجهها العريض الدّميم، وأجابّت: «نعم».

- «أوه، عظيم. إنني لا أنقذُ إلا العذاري»، قال چایمی، ثم التفت إلى  
هوت قائلاً: «ستقبض فديتك عنها وعني. اللانستر يسدّد ديونه. والآن أحضر  
حبالاً وأخرجننا من هنا».

دمدمَ رورج: «أذهب إلى الجحيم. اقتله يا هوت وإلا ستمنني لو أنك فعلت!».

تردّد الكوهوري. كان نصف رجاله سكارى، أمّا الشماليون فمتبهون لأقصى حدّ ويفوقونهم عددًا مرّتين، كما أن بعض الرّماة أعادوا التّلقيم بالفعل. هكذا قال هوت: «أخرجوهما»، ثم خاطبَ چايمي قائلاً: «لقد اخترتُ أن أكون رحيماً. أخبر الثيّد والدك».

- «سأفعلُ يا سيّدي». وإن لن ينفعك هذا مقدار ذرّة.

انتظرَ والتون ذو السّاقين الفولاذ حتى ابتعدوا نصف فرسخ عن (هارنهال) وخرجوا من مرمى الرّماة على الأسوار، قبل أن يُبدي غضبه أخيراً ويقول: «هل جُننت يا قاتل الملك؟ هل أردت أن تموت؟ لا أحد يُمكنه أن يُقاتل دُبًّا بيدين خاليتين!».

- «بيدٍ خالية وجذعة خالية. لكنني أملتُ أن تقتل الوحش قبل أن يقتلني، وإلا لفسّرك اللورد بولتون كالبرتقال، أليس كذلك؟».

لعنه والتون قائلاً إنه لانستر أحمق، وهمزَ حصانه وهروّل إلى مقدّمة الطّابور.

حتى في الساتان الوردى الملوّث وشرائط الزّينة الممزّقة، بدت بريان أدنى إلى رجل يرتدي فُستاناً من امرأةٍ حقيقيّة، وهي تقول له: «سير چايمي، إنني ممتنة، لكنّ... لكنك كنت قد ابتعدت مسافةً لا بأس بها، فلم رجعت؟». جالت بذهنه دسته من الدّعابات اللّاذعة، كلُّ منها أفسى من الأخرى، لكن چايمي اكتفى بهزّ كتفيه، وقال: «حلمت بك».

## كاتلين

ودَّع روب ملكته الشَّابَّة ثلاث مرَّات، مرَّةً في أيكة الآلهة أمام شجرة القلوب تحت أنظار الآلهة والبشر، وثانيةً عند الشَّبْكة الحديدية حيث شيعته چاين بعناق طويل وقُبلة أطول، وثالثةً على بُعد ساعة من (الجُلْمود)، حين جاءت الفتاة راکضةً بحصانٍ يتصبَّب عرقاً وناشَدت ملكها الشَّاب أن يأخذها معه.

رأت كاتلين أن روب تأثر بهذا، وإن انزعج أيضاً. كان النَّهار غائماً رطباً، وبدأت السَّماء تُمطر رذاذاً بالفعل، وآخر ما يُريده الآن أن يأمر بالتَّوقُّف ليقف في البلبل ويواسي زوجته الشَّابَّة الدَّامعة أمام نصف جيشه. فكرت أمُّه وهي تُشاهدُهما معاً: يُكلمها برفق لكن في نفسه غضب يعتمل.

طيلة فترة حديث الملك والمملكة ظلَّ جرای ويند يدور حولهما، لا يتوقَّف إلا لينفض الماء من فروه ويكشف أسنانه للمطر. في النَّهاية، عندما طبع روب قُبلةً أخيرةً على شفَتَي چاين وأرسل دسْتَهُ من الرِّجال يصحبونها إلى (ريفررن) وعادَ يمتطي حصانه، انطلق الذَّب الرَّهيب يرمح بسرعة سهمٍ أطلق من قوس طويل.

قال لوثار فرای الأعرج لكاتلين: «أرى أن للملكة چاين قلباً حنوناً، تماماً مثل أخواتي. أراهن أن روزلين ترقص في أنحاء (التَّوأمَتين) الآن بالذَّات متغنيَّة: الليدي تلي، الليدي تلي، الليدي روزلين تلي. غدًا سترفع عيَّات من قماش (ريفررن) الأحمر والأزرق إلى وجنتيها في المرأة لتتصوَّر كيف ستبدو في معطف العروس»، والتفت مبتسماً لإدميور، وقال: «لكنك صامت على نحوٍ غريب يا لورد تلي. كيف تشعُر يا تُرى؟».

أجاب إدميور: «كما شعرتُ في (الطَّاحونة الحجرية) فُيِّل أن بدأت أبواق الحرب تُدوي»، لكن إجابته لم تكن مزاحًا خالصًا. أطلق لوثرار ضحكةً تلقائيةً قائلاً: «لندعُ أن تكون نهاية زواجك سعيدةً كالمعركة يا سيدي».

قالت كاتلين لنفسها: ولتحمنا الآلهة إذالم تكن، وهمزت حسانها بكعيها تاركةً كلاً من أخيها ولوثرار الأعرج في ضُحبة الثاني. هي من أصرت أن تبقى چاين في (ريقررن)، على حين أراد روب أن تظلل إلى جانبه. وارد جدًّا أن يعدَّ اللورد والدر غيابها إساءةً أخرى، لكن حضورها كان ليُفسر على أنه إساءة من نوع آخر، ملح على جرح العجوز. هكذا قالت لابنها محذرةً: «والدر فراي لسأنه سليط وذاكرته قويّة. لا أشك في أنك ستتحمل تكيت رجل هرّم كئُمن لولائه، لكن فيك الكثير من طباع أبيك، ولن تجلس صامتًا بينما يُهين چاين في وجهها».

لم يستطع روب أن يُنكر ما في قولها من حصافة، وإن بدا أنه مستاء منها لهذا السبب بالتحديد على الرغم من ذلك. إنه يفتقد چاين بالفعل، وجزء منه يلومني على غيابها، مع أنه يعلم أنها كانت نصيحةً سيّدةً. من أولاد وسترلينج الذين أتوا مع ابنها من (الجرف) بقي إلى جانبه واحد فقط، هو السير راينالد أخو چاين وحامل العلم الملكي. كان روب قد كلف رولف سپايسر عمّ چاين بتوصيل مارتن لانستر إلى (الثاب الذهبي) في اليوم نفسه الذي تلقى فيه موافقة اللورد تايوين على تبادل الأسرى، وهو تصرّف حاذق، فهكذا استراح ابنها من قلقه على سلامة مارتن، واستراح جالبارت جلوفر لمعرفة أن أخاه روبت قد وُضع على سفينة في (وادي الغسق)، وكلف السير رولف بمهمة شريفة... وعاد جراي ويند إلى جانب الملك من جديد. حيث ينتهي.

ظلت الليدي وسترلينج في (ريقررن) مع أولادها؛ چاين وأختها إلينيا ورولام الصّغير مُرافق روب، الذي تدمر بشدّة من عدم ذهابه معه، لكن هذه أيضًا كانت فكرةً حكيمةً، فقد سبق أن كان أوليثار فراي مُرافقًا لروب، ولا شك أنه سيحضر زفاف أخته، ما يجعل استعراض بديله أمامه تصرّفًا طائشًا علاوةً على قسوته. أمّا السير راينالد ففارس شاب بشوش أقسم أن لا إهانة

من والدر فراي يُمكن أن تستفزّه أبداً. ولندعُ الآلهةَ ألاَ نضطرَّ لمواجهته ما هو أكثر من الإهانات.

لكن لكاتلين مخاوفها في هذا الصِّدد، فأبوها لم يثق قطُّ بالدر فراي بعد معركة (الثالث)، ولطالما انتهت لهذا. ستكون الملكة چاين آمنة وراء أسوار (ريفررن) القويّة العالية، والسّمكة السّوداء هناك ليحميها، كما أن روب ابتدع له لقباً جديداً هو قيّم التُّحوم الجنوبيّة، والسير برايندن الرّجل الأمثل للدِّفاع عن (الثالث).

وعلى الرغم من هذا ستفتقد كاتلين وجه عمّها الصّخري ويفتقر روب إلى مشورته، فقد لعب السير برايندن دوراً في كل انتصار حقّقه ابنها. حلّ جالبارت جلوثر محلّه في قيادة الكشّافة، وهو رجل صالح ووفي وراسخ، لكنه ليس بعقريّة السّمكة السّوداء.

امتدّ خط سير جيش روب أميلاً وراء كشّافة جلوثر، وقد تولّى چون الكبير قيادة المقدّمة، وتحركت كاتلين مع الموكب الرّئيس محاطة بجيادٍ حربيّة متهادية يمتطيها رجال مدرّعون بالفولاذ. بعد هذا جاءت قافلة الأمتعة تحت أعين السير وندل ماندرلي ورجال (الميناء الأبيض) اليقظة؛ صَف طويل من العربات المحمّلة بالأطعمة وعلف الماشية ومعذات المعسكر وهدايا الرّفاف، بالإضافة إلى الجرحى الأضعف من أن يمشوا، ووراء العربات تحركت قطعان الخراف والماعز والأبقار الهزيلة، ثم صَف قصير من أتباع المعسكرات متقرّحي الأقدام، ووراء كل هذا كان روبن فلينت مع حرس المؤخّرة. ليس هناك عدوٌ وراءهم لمئات الفراسخ، لكن روب قرّر توخّي الحيطة.

ثلاثة آلاف وخمسمئة عددهم، ثلاثة آلاف وخمسمئة رجل خاضوا معركتهم الأولى في (الغابة الهامسة) وصبغوا سيوفهم بالأحمر في معركة المعسكرات و(أوكسكروس) و(آشمارك) و(الجرف)، وعبر تلال لانستر الغنيّة بالذهب في الغرب. بخلاف حاشية أخيها إدميور المتواضعة التي تألّفت من أصدقائه، ظلّ لوردات (الثالث) في ديارهم ليُدافعوا عن أراضي النهر فيما يستردُّ الملك الشّمال، وهكذا تنتظر إدميور عروسه وتنتظر روب معركته التّالية... وبتنظري ابنان ميطان وِفراس خالٍ وقلعة ترتع فيها الأشباح. فكرة كئيبة. بريان، أين أنت؟ أعيدي ابتني إليّ يا بريان، أعيديهما سالمين.



مع انتصاف النَّهار كان الرَّذاذ الذي شَيَّعهم على الطَّريق قد استحالَ إلى مطر خفيفٍ ثابت استمرَّ بعد هبوط الظَّلام فترةً، وفي اليوم التَّالي لم يرَ السَّمالِيُّونَ الشَّمسَ على الإطلاق، وركبوا تحت سماءَ رماديَّةٍ كالرَّصاص رافعين قلسواتهم ليقوا أعينهم من الماء. كان مطرًا ثقيلًا أحالَ الطُّرق إلى أوحالٍ والحقول إلى مستنقعات وأفاضَ الأنهار وجردَ الأشجار من أوراقها، وجعلَ انهماره المتواصل الثَّرثرة مع هذا وذاك إزعاجًا لا يستحقُّ العناء، فتكلَّم الرِّجال عند الحاجة فقط، والحاجة لم تدعُ إلى الكلام إلا قليلًا.

قالت الليدي مورمونت وهُم راكبون: «إننا أقوى مما نبدو يا سيِّدتي». لقد صارت كاتلين مغرمةً بالليدي ميج وابنتها الكبرى داسي، إذ أدركت أنهما تفهَّمتا موقفها مع چايمي لانستر أكثر من غيرهما. الابنة نحيلة فارعة الطول والأُم قصيرة ممتلئة، لكن الاثنتين ترتديان الحلقات المعدنية والجلد، وعلى معطف وتُرس كلُّ منهما دُبُّ عائلة مورمونت الأسود. في نظر كاتلين تُعدُّ ثيابهما غريبةً بالنسبة لامرأتين، إلا أن داسي والليدي ميج بديتا مستريحتين - بصفتهما مُحاربتين وامرأتين - أكثر مما كانت الفتاة الآتية من (تارث) بمراحل.

قالت داسي مورمونت ببشاشة: «لقد قاتلتُ إلى جوار الذُّب الصَّغير في كلِّ معركة. إنه لم يخسر واحدةً حتى الآن».

ردَّت كاتلين عليها في سريرتها: نعم، لكنه خسرَ كلَّ شيءٍ آخر، وإن لم يكن من اللائق أن تبوح بهذا علانيةً. لا تنقُص السَّمالِيِّين الشَّجاعة، لكنهم بعيدون للغاية عن الوطن، ولا يشدُّ أزرهم إلا إيمانهم بملكهم الشَّاب، ولا بُدَّ من حماية هذا الإيمان بأيِّ ثمن. يجب أن أكون أقوى، أن أظلَّ قوَّةً من أجل روب. إذا استسلمتُ لئأس سيلتهمني حُزني. كل شيءٍ يعتمد على هذه الرِّيعة. إذا سعدَ كلُّ من إدميور وروزلين بالأخر، وإذا استرضوا اللورد فراي المملوكي وضمَّ قوَّته إلى قوَّة روب من جديد... حتى إذا حدث هذا، فما فرُصتنا ونحن عالقون بين لانستر وجرايچوي؟ ليس هذا سؤالًا تُريد كاتلين أن تُسهب في التَّفكير فيه، مع أنه أكثر ما يشغل بال روب. إنها ترى كيف يدرس خرائطه كلما خيَّموا بحثًا عن خطةٍ ما يسترُدُّون بها السَّمال.

أمَّا أخوها إدميور فمشغول بهمومٍ أخرى، وبينما هو جالس في سُرادقه

المخَطَّط الطَّويل مع كاتلين وأصدقائه تساءل: «لستم تعتقدون أن جميع بنات اللورد والدر متشابهات، أليس كذلك؟».

قال السير مارك بايپر: «مجيئهن من أمهات كثيرات يعني أن بعضهن قد يكنَّ جميلات، لكن ما الذي يبعث العجوز التَّعس على إعطائك واحدةً جميلةً؟».

ردَّ إدميور بكآبة: «لا سبب على الإطلاق».

وجدت كاتلين الكلام أقوى من احتمالها، وقالت محتدةً: «سرسي لانستر جميلة. أجدرك أن تُصلي أن تكون روزلين قويَّة وفي صحَّة جيِّدة، سريعة البديهة ومخلصة القلب»، وتركتهم دون أن تنتظر ردًّا.

لم يتلقَّ إدميور كلامها بصدر رحب، وفي اليوم التالي تحاشاها تمامًا في أثناء الزَّحف، مفضلاً رفقة مارك بايپر وليموند جودبروك وپاتريك ماليستر وأبناء فانس الشُّبان. يومها بعد الظَّهر اندفعوا مارِّين بها دون كلمة واحدة، ففكرت كاتلين: إنهم لا يُؤبِّخونه إلا على سبيل المزاح. لطالما كنتُ قاسيةً على إدميور، والآن يجعل الحُزن كلَّماي كلَّه حادًّا. أحسَّت بالتَّدم على زجرها إياه، خاصَّة أن مطرًا كافيًا ينهمر من السَّماء بالفعل، ولا داعي لأن تُضيف إليه. وما الفظيح في أن يرغب في زوجة جميلة؟ تذكَّرت خيبة أملها الطفوليَّة حين وقَّعت عيناها على إدارك ستارك أول مرَّة. كانت قد تصوَّرتَه نُسخةً أصغر سنًّا من أخيه براندون، لكنها أخطأت التَّصوُّر. كان ند أقصر قامةً وأقلَّ وسامةً، علاوةً على تجهمه البليغ، يتكلَّم بدماثة ملحوظة، وإن استشعرت كاتلين برودةً تحت الكلمات تتعارض مع طبيعة براندون، الذي كان مرحة ضارياً كغضبه، وحتى عندما فضَّ بكارتها كان حُبُّها واجبًا أكثر من عاطفة. لكننا زرعنا بذرة روب ليلتها، وأنجنا ملكًا. وبعد الحرب في (ويتترفل) وجدتُ حُبًّا يكفي أيَّ امرأة بمجرد أن نفذت إلى القلب الطيب الحنون الذي أخفاه وجه ند الصَّارم. ليس هناك ما يمنع أن يجد إدميور المثل مع روزلين.

شاءت الآلهة أن يأخذهم الطريق عبر (الغابة الهامسة) التي حقَّق فيها روب نصره العظيم الأول، وأتبعوا مسار التُّهير المتعرِّج في قاع الوادي الضيق، مثلما فعلَ رجال چايبي لانستر في تلك الليلة المصيريَّة. كان الطقس أكثر دفئًا وقتها، والأشجار لا تزال خضراء، ولا تفيض مياه التُّهير لتُغرق الضفتين.

الآن تَخْنُقُ الأوراقُ السَّاقطةَ المجرى وتتكوِّمُ مشبَّعةً بالماء وسط الصُّخور  
والجذور، والشَّجر الذي أخفى جيش روب من قبل خلَع كسوته الخضراء،  
وارتدى أخرى ذهبيةً باهتةً مشوبةً بالبني والأحمر اللذين ذكَّراها بالصدأ  
والدماء الجافة. وحدها أشجار الثُّوب والصَّنوبر الجُندي ظلَّت محتفظةً  
بشيءٍ من الأخضر وهي تطعن بطون السَّحاب كحِرابٍ طويلة قاتمة.

مات أكثر من الأشجار منذ ذلك الحين. ليلة المعركة في (الغابة الهامسة)  
كان ند لا يزال حيًّا في زنراته تحت (تل إجون العالي)، وبران وريكون كانا  
أمينين وراء أسوار (ويتترفل). وقاتل ثيون جرابجوي إلى جوار روب، وتباهى  
بإيشاكه على مبارزة قاتل الملك، وليته فعل. لو مات ثيون بدلًا من ابني اللورد  
كارستارك، فكم مصيبةً كنا لتجنَّب؟

أبصرت كاتلين آثار الملحمة التي دارت هنا وهم يقطعون أرض المعركة؛  
خوذة مقلوبةً يملأها ماء المطر، رُمحًا مكسورًا، عظام حصان. رُصت أكوام  
من الحجارة فوق بعض الرِّجال الذين ماتوا هنا، لكن الحيوانات آكلة الجيف  
أسقطتها، ووسط الأحجار المتهاوية لمحت كاتلين قماشًا زاهي الألوان  
وقطعا من المعدن، ومرةً رأت وجهًا يُحدِّق إليها، وقد بدت الجمجمة تلوح  
من تحت اللحم البني المتفسخ.

جعلها المنظر تتساءل إن كان ند قد بلغ مثواه الأخير. لقد أخذت الأخوات  
الصَّامات زُفاته شمالًا، يُرافقهن هالس مولين وحرس شرف قليلون.  
هل وصل ند إلى (ويتترفل) ليُدفن إلى جانب أخيه براندون في السَّرايدب  
المظلمة أسفل القلعة؟ أم أن الباب صُفِّق في وجه هال والأخوات في (خندق  
كايلن) قبل أن يستطيعوا العبور؟

ثلاثة آلاف وخمسمئة خيال شقُّوا طريقهم على أرض الوادي في قلب  
(الغابة الهامسة)، لكن نادرًا ما شعرت كاتلين ستارك بهذه الوحشة. كل  
فرسخ تقطعه يُبعدها أكثر عن (ريثرزن)، ووجدت نفسها تتساءل إن كانت  
ستراها ثانيةً أم أنها ضاعت منها إلى الأبد ككثير غيرها.

بعد خمسة أيام عاد كشافتهم لِيُبَيِّنُوهم إلى أن الفيضان قد جرف الجسر  
الخشبي في بلدة (السُّوق القصية). حاول جالبارت جلوفر واثنان من رجاله  
الجسورين عبور (الفرع الأزرق) الجيَّاش بخيولهم من (مخاضة الكباش)،

لكن التَّيَّارَ اجْتَرَفَ اثْنَيْنِ مِنَ الْخِيُولِ وَأَغْرَقَهُمَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَحَدِ الرَّكَّابِينَ، أَمَّا جَلُوْفَرُ نَفْسَهُ فَنَجَحَ فِي التَّشْبِيْثِ بِصَخْرَةٍ إِلَى أَنْ سَحَبُوهُ.  
قال إدميور: «النَّهْرُ لَمْ يَفِضْ بِهَذَا الارتفاعِ مِنْذُ الرَّبِيعِ، وَإِذَا اسْتَمَرَّتْ الْأَمْطَارُ سَيَفِضُ أَكْثَرَ».

تذكَّرتُ كاتلِينِ الَّتِي جَابَتْ هَذِهِ الْأَرْضِي كَثِيرًا مَعَ أَبِيهَا شَيْئًا، فَقَالَتْ: «ثُمَّةٌ جَسْرٌ آخَرَ أَبْعَدُ فِي اتِّجَاهِ الْمَنْبِعِ بِالْقُرْبِ مِنَ (الحجر العتيق). إنه أقدم وأصغر، لكن إذا كان لا يزال قائمًا...».

قَاطَعَهَا جَالِبَارَتُ جَلُوْفَرُ: «لَمْ يُعَدِّ مَوْجُودًا يَا سَيِّدَتِي، حَطَّمَهُ السَّيْلُ قَبْلَ جَسْرِ (السُّوقِ الْقَصِيَّةِ)».

نَظَرَ رُوبٌ إِلَى أُمِّهِ سَائِلًا: «أَهْناكَ جَسْرٌ آخَرَ؟».

حَاوَلَتْ أَنْ تَتَذَكَّرَ، ثُمَّ أَجَابَتْ: «لا، وَالْمَخاضَاتُ لَنْ تَكُونَ صَالِحَةً لِلْعُبُورِ. إِذَا كُنَّا لَا نَسْتَطِيعُ عُبُورَ (الفرع الأزرق) فَعَلِينَا الدَّوْرانَ مِنْ حَوْلِهِ، عِبْرَ (الجداول السَّبعة) وَ(مَسْتَنْقَعِ هاج)».

عَلَّقَ إدميور: «مَسْتَنْقَعَاتُ وَطُرُقٌ وَعُرَّةٌ أَوْ لَا طَرِيقَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. سَتَكُونُ حَرَكَتُنَا بَطِيئَةً، لَكِنَّا سَنَصِلُ عَلَى مَا أَعْتَقَدُ».

قال روب: «إِنِّي واثقُ بأنَّ اللوردَ والدرَ سَيَنْتَظِرُ. لَوْ ثَارَ أَرْسَلُ إِلَيْهِ طَائِرًا مِنْ (ريهرَرَن)، وَيَعْلَمُ أَنَّا قَادِمُونَ».

قَالَتْ كاتلِينُ: «نَعَمْ، لَكِنِ الرَّجُلُ سَرِيعُ الْغَضَبِ وَشَكَّاكَ بِطَبِيعَتِهِ، وَقَدْ يَعُدُّ هَذَا التَّأخِيرَ إِهَانَةً مَتَعَمَّدَةً».

- «لَيْكِنِ، سَأَتَوْسَّلُ مَغْفِرَتَهُ لَتَوَانِينَا أَيْضًا. سَأَكُونُ مَلَكًا فِي غَايَةِ الْأَسْفِ يُلْقِي اعْتِذارًا بَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ وَنَفْسٍ»، وَالتَّوَتْ مَلامِحُ رُوبٍ وَهُوَ يُرِدْفُ: «أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ بُولْتُونُ قَدْ عَبَرَ (الثَّالوثَ) قَبْلَ بَدَايَةِ الْأَمْطَارِ. (طَرِيقِ الْمُلُوكِ) يَمْضِي شِمَالًا مَباشِرَةً، وَسَيَكُونُ زَحْفُهُ سَهْلًا. حَتَّى عَلَى الْأَقْدَامِ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ يَبْلُغَ (التَّوَأْمَتَيْنِ) قَبْلَنَا».

سَأَلَتْهُ كاتلِينُ: «وَحِينَ تَضُمَّ رِجالَكَ إِلَى رِجالِهِ وَتَشْهَدُ زَفافَ أُخِي، فَمَاذَا بَعْدُ؟».

حَلَّكَ رُوبٌ جَرائِي وَيَنْدُ وِراءَ أُذُنِهِ مَجِيبًا: «إِلَى الشَّمالِ».

- «على الدرب العالي؟ ضد (خندق كايلىن)؟».

منحها ابتساماً غامضةً قائلاً: «هذا واحد من الطرق».

أدركت من نبرته أنه لن يقول المزيد، وفكرت مذكرةً نفسها: الملك الحكيم يُبقي خُططه طيَّ الكتمان.

بلغوا (الحجر العتيق) بعد ثمانية أيام أخرى من المطر المتواصل، وأقاموا معسكرهم فوق التلّ الذي يطلُّ على (القرع الأزرق) وسط أطلال قلعة ملوك النهر القدامى. ظلت الأساسات وسط الحشائش تُحدّد البقاع التي وقفت فيها الأسوار والحصون، لكن أهل المنطقة خلَعوا معظم الأحجار منذ زمن طويل لبناء الأنبار والسِّبّات والمعازل، غير أن ضريحاً عظيماً لم يزل قائماً في منتصف البقعة التي كانت تحتلها ساحة القلعة من قبل، يكاد يُخفيه العُشب البني الذي يرتفع حتى الخاصرة وسط أجمّة من شجر الدردار.

نقش غطاء الضريح على صورة الرّجل الذي يستقرُّ رُفاته تحته، لكن الأمطار والرياح محت أغلب التفاصيل، فرأوا أن الملك كان ملتحيّاً، لكن باستثناء هذا يبدو وجهه الآن أملس بلا ملامح، ولم يتبقَّ إلا إحياء طفيف بفيه وأنفه وعينه والتّاج حول صُدغيه، بينما تنطوي يده حول مقبض مطرقة حربيّة من الحجر على صدره. في الماضي كنت لتجد اسمه وتاريخه محفورين عليها، لكن كلّ هذا انطمس على مرّ السنين، كما تصدّع الحجر نفسه وبدأت يفتّت عند الأركان، وهنا وهناك تُسوّبه رُقع بيضاء منتشرة من الأشنة، بينما يزحف الورد البري على قدميّ الملك ويكاد يبلغ صدره.

هناك وجدت كاتلين روب يقف عابساً في العسق المتوغّل ولا أحد معه إلا جراي ويند. كان المطر قد توقّف للمرّة الأولى، فكشف روب رأسه، وبهدوءٍ سألها حين دنت منه: «أل هذه القلعة اسم؟».

- «في صباي كان العامّة يُسمونها (الحجر العتيق)، لكن لا شكّ أنها حملت اسماً آخر حين كانت لا تزال مقرّاً للملوك». لقد خيّمَت هنا ذات مرّة مع أبيها في الطريق إلى (سيجارد). وكان يتر معنا أيضاً...

قال متذكّراً: «هناك أغنيّة، چيني بنت (الحجر العتيق)، ذات الزُّهور في شعرها».

- «كلنا في النّهاية مجرد أغانٍ، إذا كنا محظوظين». في ذلك اليوم مثلت

دور چيني ووضعت أزهارًا في شعرها، بينما تظاهر بيتر بأنه حبيبتها أمير (قلعة اليعاسيب). وقتها لم تكن كاتلين أكبر من اثني عشر عامًا، وكان بيتر مجرد صبي.

رمق روب الضريح متسائلًا: «قبر من هذا؟».

كان أبوها قد روى لها القصة ذات يوم، فأجابته: «هنا يرقد تريستيفر الرابع، ملك الأنهار والتلال. كان يحكم من (الثالوث) إلى (العنق) قبل آلاف السنين من چيني وأميرها، في الأيام التي تساقطت فيها ممالك البشر الأوائل كالذباب أمام اجتياح الأنداليين. كانوا يُلقَّبونه بمطرقة العدالة. قاتل تريستيفر في مئة معركة وانتصر في تسع وتسعين، أو أن هذا ما يقوله المغنون، وحين شيّد هذه القلعة كانت الأقوى في (وستروس) كلها»، ووضعت يدها على كتف ابنها متابعه: «مات في معركته المئة عندما تحالف سبعة ملوك أنداليين ضده، لكن تريستيفر الخامس لم يكن نظيره، وسرعان ما ضاعت المملكة ثم القلعة وآخر السُلالة. بموت تريستيفر الخامس ماتت عائلة مود التي حكمت أراضي النهر طوال ألف عام قبل مجيء الأنداليين».

تحسّس روب الحجارة الخشنة التي أتلفتها الأجواء، وقال: «خذله وريته. كنتُ أملُ أن أترك چاين بطفلٍ في بطنها... لقد حاولنا كثيرًا، لكني لستُ متأكدًا...».

- «الحمل لا يحدث من المرّة الأولى دائمًا». مع أنه حدث معي. «ولا حتى المرّة المئة، وأنت صغير جدًا».

- «صغير وملك، ولا بُدَّ أن يكون للملك وريث. إذا متُّ في معركتي التّالية فيجب ألا تموت مملكتي معي. قانونًا سانزا هي التّالية في الوراثة، وهكذا تنتقل (ويتترفل) والشّمال إليها»، وزمَّ روب فمه مضيّفًا: «إليها وإلى السيّد زوجها، تيريون لانستر. لا يُمكنني أن أسمح بذلك، ولن أسمح به. القزم لن يستحوذ على الشّمال أبدًا».

قالت كاتلين مؤيِّدةً: «نعم. عليك أن تُسمّي وريثًا آخر حتى تُنجب لك چاين ابنًا»، وتفكرت لحظةً قبل أن تُواصل: «أبو أبوك كان بلا إخوة، لكن أباه كانت له أخت تزوّجت ابنًا أصغر للورد رايمار رويس من فرع العائلة الصّغير، وأنجبا ثلاث فتيات تزوّجن كلهن لوردات من (الوادي)، اثنان منهم

من عائلتي و اينوود و كوربراي بالتأكيد، والثالث... ربما كان من آل تمپلتون، لكن...».

قاطعها روب بنبرة حملت شيئاً من الحدة: «أمّاه، تنسين أن أبي أنجب أربعة أبناء.»

لم تنس، بل لم ترغب في التطرّق إلى هذا، لكن ها هي مرغمة. «سنو ليس ستارك.»

- «چون فيه من دم ستارك أكثر من بضعة لوردات صغار من (الوادي) لم يروا (ويتترفل) في حياتهم مرّة.»

- «چون أخ في حرس الليل، أقسم ألا يتزوّج أو يملك أراضي. من يرتدون الأسود يخدمون طيلة العمر.»

- «وكذا فرسان الحرس الملكي، لكن هذا لم يمنع آل لانستر من تجريد السير بارستان سلمبي والسير بوروس بلاونت من المعطف الأبيض عندما انتفت حاجتهم إليهما. إذا أرسلت لحرس الليل مئة رجل بدلاً من چون، فأراهن أنهم سيجدون وسيلة لعتقه من يمينه.»

فكرت كاتلين عالمة عناد ابنها: إنه عاقد العزم على هذا، ثم قالت: «النعول لا يرثون.»

- «ما لم يُشرّعنا بقرارٍ ملكي. هناك سوابق لهذا أكثر من تحرير أخٍ محلّف من قسّمه.»

قالت بمرارة: «سوابق، نعم. إجون الرابع شرعن نغوله كلهم وهو في فراش الموت، فكم أثمر هذا من ألم وحزن وحروب واغتيالات؟ أعرّف أنك تثق بچون، لكن هل في وسعك الثقة بأبنائه؟ أو بأبنائهم؟ مدّعو آل بلاكفاير قضوا مضاجع آل تارجارين طيلة خمسة أجيال إلى أن قتل بارستان الباسل آخرهم في (الأعتاب). إذا جعلت چون شرعيّاً فلا سبيل لإعادته نغلاً من جديد، وإذا تزوّج وأنجب فقد لا يعيش أبناؤك من چاين في أمانٍ أبداً.»

- «چون لن يؤذني ابناً لي أبداً.»

- «كما لم يؤذ ثيون جرايچوي بران وريكون؟»

وثب جراي ويند فوق ضريح الملك تريستيفر كاشفاً أسنانه، بينما ظلّ وجه روب بارداً وهو يقول: «قولك قاسٍ وغير عادل. چون ليس ثيون.»

- «هذا ما تتمناه. هل فكرت في أختيك؟ ماذا عن حقوقهما؟ أوفيك في أن الشمال يجب ألا يذهب إلى العفريت أبداً، لكن ماذا عن آريا؟ إنها تلي سانزا قانوناً... أختك الشرعية...».

- «... الميتة. لا أحد رأى آريا أو سمعَ منها منذ قطعوا رأس أبي. لماذا تخدعين نفسك؟ آريا ماتت مثل بران وريكون، وسيقتلون سانزا أيضاً بمجرد أن تلد ابناً للقرم. چون هو الأخ الوحيد المتبقي لي، وإذا متُّ بلا ذرية فأريده أن يخلفني كملك في الشمال. كنتُ أملُ أن تدعمني في اختياري.».

- «لا أستطيع. في كلِّ شيءٍ آخرٍ يا روب، في كلِّ شيءٍ، لكن ليس في هذه... هذه حماقة. لا تطلب هذا مني.».

قال روب: «لستُ مضطراً لأن أطلب، إنني الملك»، ودارَ على عقبه مبتعداً، فقفزَ جراي ويند من فوق المقبرة وتوالت وراءه.

فكرت كاتلين بقتوطٍ إذ وقفت وحدها عند ضريح تريستيفر الحجري: ماذا فعلتُ؟ أولاً أغضبتُ إدميور، والآن روب، وكلُّ ما فعلته أنني قلتُ الحقيقة. هل الرجال حقاً بهذه المهشاشة التي تجعلهم لا يطيقون سماعها؟ كانت لتبكي لولا أن السماء بدأت تبكي بالفعل، وتطلبتُ عودتها إلى خيمتها لتجلس هناك بصمتٍ قوتها كلها.

في الأيام التالية كان روب في كلِّ وأيّ مكان، يركب على رأس الطليعة مع چون الكبير، أو يستكشف مع جراي ويند، أو يهرع إلى روبن فلينت وخرس المؤخرة. ردَّ الرجال بفخرٍ أن روب أول من يستيقظ فجراً وآخر من ينام ليلاً، لكن كاتلين طفقت تتساءل إن كان ينام على الإطلاق. أصبح ناحلاً جائعاً كذئبه الرهيب.

ذات صباح قالت لها الليدي ميج مورمونت فيما ركبوا تحت مطرٍ ثابت: «تبدين حزينةً للغاية يا سيديتي. هل من خطب ما؟».

السيّد زوجي مات وكذا أبي، وابنائي الصغيران قتيلاً، وابنتي سلّمت إلى قرم خسيس لتحمل أطفاله الكريهين، وابنتي الأخرى اختفت وغالباً ماتت، وأبني الأخير وأخي غاضبان مني، فما الخطب حقاً؟ لكن تلك الحقائق كانت أقسى من أن تسمعها الليدي ميج، وبدلاً من هذا أجابت كاتلين: «هذا المطر شر. لقد عانينا الكثير، وما زال خطر وحزن أكثر في انتظارنا، وعلينا أن



نواجههما بجرأة، بأبواق تَدَوِّي وراياتٍ تخفق بشجاعة، لكن هذا المطر يَبْطِط عزميتنا. الرّيات مرتخية مبتلة، والرّجال منكمشون تحت معاففهم ويكلم بعضهم بعضاً بالكاد. لا شيء إلا مطر شرير يُجمّد القلوب ونحن في أمسّ الحاجة إلى اتقادها».

رفعت داسي مورمونت عينيها إلى السّماء قائلة: «أوتر أن يُعرقني الماء على السّهام».

ابتسمت كاتلين رغماً عنها، وقالت: «أخشى أنكما أشجع مني. أكلّ نسوة (جزيرة الدّبية) مُحاربات؟».

أجابت الليدي مج: «الدّبّات، نعم. لقد اضطررنا لأن نكون هكذا. في الماضي كان الحديدونيون يُغيرون بسفنهم الطويلة، أو همج (السّاحل المتجمّد)، وغالباً كان الرّجال منشغلين بالصّيد، فوقّ على الزّوجات اللاتي يتزكوهن أن يدافعن عن أنفسهن وأطفالهن وإلا اختطفن».

قالت داسي: «ثمّة نقش على بوابتنا؛ امرأة في فروة دُب، على إحدى ذراعيها وليد يرضع من ثديها، وفي يدها الثّانية فأس حربيّة. إنها ليست ليدي حقّة، لكن لطالما أحببتها».

قالت الليدي مج: «چوزا ابن أخي عادَ إلى الدّيار بليدي حقّة ذات يوم بعدما فازَ بقلبها في دورة مباريات، ولكم كرهت ذلك النّقش».

أيدتها داسي قائلة: «نعم، كما كرهت كلّ شيءٍ آخر. لينيس هذه كان شعرها كالذهب المغزول وبشرتها كالقشدة، لكن يديها النّاعمتين لم تُخلقا للإمساك بالفؤوس».

أضافت أمّها بفضافة: «ولا خُلِقَ ثديها للرّضاعة».

تعلم كاتلين عمّن تتكلّمان. لقد أتى چورا مورمونت بزوجه الثّانية إلى (ويبترفل) لحضور الاحتفالات، وذات مرّة نزلا ضيفين عليهم مدّة أسبوعين. تذكّرت كم كانت الليدي لينيس شابّةً وجميلةً وتعيّسةً. في ليلة، بعد أن شربت عدّة أكواب من النّبيذ، اعترفت لكاتلين بأن السّمال ليس مكاناً لابنة لآل هايتاور أولاد (البلدة القديمة)، فجاءت برفق محاولةً مواساتها: «كانت هناك ابنة لآل تلي أولاد (ريفررن) اعتقدت هذا من قبل، لكنها وجدت أشياء كثيرة تحبّها هنا بمرور الوقت».

لكن كل شيء ضاع. (ويتترفل) وند وبران وريكون وسانزا وآريا، كلهم ضاعوا ولم يتبق إلا روب. هل كان فيها من لينيس هايتاور في النهاية أكثر مما كان من أولاد ستارك؟ ليتني تعلمتُ كيف أقاتل بالفأس، فلربما استطعتُ أن أحميهم.

توالت الأيام وما فتأت الأمطار تنهمر، وركبوا بمحاذاة (الفرع الأزرق) متجاوزين (الجداول السبعة) حيث يتفرّع النهر إلى متاهة من العُدران والينابيع، ثم عبر (مستقع هاج) حيث تنتظر البرك الخضراء اللامعة ابتلاع الغافلين، وتمتصُّ الأرض حوافر الخيول كما يرضع الوليد الجائع من أمّه. كان مضيئهم أسوأ من بطيء، واضطروا للتخلي عن نصف عرباتهم وتقسيم أحمالها على البغال وأحصنة الجر.

لحق بهم اللورد چيسون مالستر وسط مياه (مستقع هاج) الآسنة، وكانت ساعة كاملة باقية من نور النهار عندما بلغهم بفرقة، لكن روب أمر بالتوقف في الحال، وجاء السير راينالد وسترلينج لاصطحاب كاتلين إلى خيمة الملك، حيث وجدت ابنها جالسًا إلى جوار مستوقد وعلى حجره خارطة، وعند قدميه ينام جراي ويند. كان چون الكبير معه، بالإضافة إلى جالبارت جلوفر ومج مورمونت وإدميور ورجل لا تعرفه كاتلين، رجل لحيم يزحف الصلح على رأسه وعلى وجهه نظرة خانعة. عرفت لحظة أن وقعت عينها عليه أنه ليس من اللوردات الكبار أو الصغار. وليس مُحاربًا حتى.

قام چيسون مالستر لتجلس كاتلين مكانه. في شعره أبيض بقدر البني، لكن سيّد (سيجارد) لا يزال رجلًا وسيماً، قامته طويلة وقوامه نحيل، ووجهه حليق خدّته السنون، وعظام وجنتيه مرتفعة، وعيناه الزرقاوان المائلتان إلى الرمادي قويّتا النظرات. قال لها: «ليدي ستارك، يسرني دائماً أن أراك. عندي لكم أبناء طيبة، أو أن هذا ما آمله».

قالت: «إننا في حاجة ماسة إلى أبناء طيبة يا سيدي»، وجلست سامعةً المطر يضرب سقف الخيمة القنّبي بصوت مزعج.

انظرَ روب حتى أنزل السير راينالد سديلة باب الخيمة، ثم قال: «لقد سمعت الآلهة صلواتنا أيها السادة. اللورد چيسون جلب لنا ربّان (الميراهام)، سفينة تجاريّة من (البلدة القديمة). أخبرهم بما أخبرتني به أيها الربّان».

لعقَ الرَّجُلُ شفتيه متوتِّراً، وقال: «أمرك يا جلالة الملك. آخر ميناء رسوت فيه قبل (سيجارد) كان (لوردزپورت) في (پايك)، وقد احتجزني الحديدوني هناك مدَّة نصف عام بأمر من الملك بالون، لكن... خلاصة القول أنه مات». توقَّف قلب كاتلين عن الخفقان لحظةً، وسألت: «بالون جرايچوي؟ بالون جرايچوي مات؟».

أوما الرُّبَّان القصير ذو الرِّبِّ الرِّث برأسه إيجاباً، وقال: «تعرفون أن (پايك) مبنية على لسان بحري، وأن جزءاً منها مُقام على الصُّخور والجزر الصَّغيرة وتربط بينها جسور، أليس كذلك؟ ما سمعته في (لوردزپورت) أن عاصفةً رعديةً مطيرةً هاجمت من الغرب، وكان الملك بالون العجوز يقطع واحداً من تلك الجسور عندما هبَّت الرِّيح شديدةً ومزقت الجسر إرباً. بعد يومين جرف التَّيار جثته المحطمة المتفتخة إلى الشاطئ، وسمعتُ أن السَّراطين أكلت عينه».

قال چون الكبير ضاحكاً: «أملُ أنها كانت سراطين من النوع الملكي بما أنها التهمت عينه الملكيتين، إيه؟». عاد الرُّبَّان يومي برأسه قاتلاً: «نعم، لكن هذا ليس كلَّ شيء، لا!»، ومال إلى الأمام مضيفاً: «لقد رجع الأخ». سأل جالبارت جلوفر مندهشاً: «فيكتاريون؟».

- «يورون، الملقَّب بعين الغراب. إنه من ألعت القراصنة الذين مخروا عباب البحار على الإطلاق. لقد غاب سنيماً طويلةً، لكن لم يكد جُثمان اللورد بالون يبرُد حتى وجدوه يعود مبحراً إلى (لوردزپورت) على متن سفينته (الصَّمت) بأشرعتها السوداء وبدنها الأحمر وطاقمها الأخرس. سمعتُ أنه ذهب إلى (آشاي) وعاد منها، لكن أينما كان فقد رجع إلى وطنه، واتَّجه إلى (پايك) مباشرةً ووضع مؤخرته على كرسي حجر اليم، وأغرق اللورد بوتلي في برميل من المياه المالحة لمَّا اعترض. عندها هرعتُ إلى (الميراهام) وفررتُ أملاً أن أستطيع الابتعاد في خضمِّ الفوضى، وهذا ما فعلته، وهأنذا». قال روب عندما فرغ الرَّجل: «لك شكري أيها الرُّبَّان، ولن ترحل بلا مكافأة. سيصحبك اللورد چيسون إلى سفينتك عندما تنتهي. أرجو أن تنتظر في الخارج».

- «سأفعل بالتأكيد يا جلالة الملك، سأفعل».

بمجرد أن غادرَ الرَّجُلُ الخيمة انفجرَ چون الكبير ضاحكًا، لكن روب أسكته بنظرة، وقال: «يورون جرايچوي ليس من خامة الملوك إذا كان نصف ما حكاه لي ثيون صحيحًا. ثيون هو الوريث الشَّرعي، ما لم يكن قد مات... لكن فيكتاريون يقود الأسطول الحديدي، ولا أتصوّرُ أنه سيبقى في (خندق كايلى) بينما يجلس يورون عين العُراب على كرسي حجر اليم. لا بُدَّ أن يعود».

قال جالبارت جلوثر مذكّرًا: «هناك ابنة أيضًا، تلك التي تُسيطر على (ربوة الغابة) وتحجز زوجة روبت وابنته».

قال روب: «إذا بقيت في (ربوة الغابة) فلا أمل لها إلا في السَّيطرة عليها وحدها. ما ينطبق على الأخوين ينطبق عليها أكثر. عليها أن تُبحر إلى (جُزر الحديد) لتُزيح يورون وتُطالب بحقّها في الإرث»، ثم التفت إلى چيسون ماليستر سائلًا: «أليديك أسطول في (سيجارد)؟».

- «أسطول يا جلالة الملك؟ نصف دستة من الشُّفن الطويلة وقادسان حربيّان فقط، ما يكفي للدِّفاع عن شواطئ ضد المُغيرين، لكني لا أجسُرُ على مواجهة الأسطول الحديدي».

- «ولستُ أطلبُ منك أن تفعل. أتوقّع أن الحديديين سيُسارعون بالإبحار إلى (بايك). لقد أخبرني ثيون كيف يُفكر قومه؛ كل رجل ملك على متن سفينته، وسيرغبون جميعًا في أن يكون لهم صوت في مسألة الخلافة. سيدي، أريدُ أن تُبحر اثنتان من سُفنك حول (رأس النُّسور) وخلال (العُنق) إلى (قلعة المياه الرّماديّة)».

قال اللورد چيسون بتردّد: «ثمة دستة من الجداول في (الغابة الرّطبة)، كلّها ضحل مليء بالطمي وغير مدوّن على الخرائط. لستُ أعدّها أنهارًا حتى، فالمجري تشط وتبدّل طيلة الوقت، وهناك عدد لا نهائي من الامتدادات الرّمليّة والأشجار السّاقطة المتعفّنة، كما أن (القلعة الرّماديّة) نفسها تتحرّك! كيف ستعثر السفينتان عليها؟».

- «اذهب في اتجاه المنبع رافعًا رايتي وسيجدك أهل المستنقعات. أريدُ سفينتين لمضاعفة فرصة بلوغ رسالتي هاولاند ريد. ستستقل الليدي محج

واحدةً وجالبارت الثانية»، والتفتَ روب إلى مَنْ ذَكَرَ اسميهما مواصلاً:  
«ستحملان رسائل إلى لورداتي الباقين في الشَّمال، لكن كلَّ ما فيها من  
أوامر سيكون زائفاً، تحسُّباً لوقوعكما في الأسر. إذا حدث ذلك فعليكما  
أن تقولاً إنكما كنتما في طريق العودة إلى الشَّمال، إلى (جزيرة الدَّبية) أو  
(السَّاحل الحجري)»، ونفَرَّ على الخريطة بإصبعه، وتابع: «(خندق كايلن)  
هي المفتاح. اللورد بالون أدركَ هذا، ولذا أرسلَ أخاه فيكتاريون إلى هناك  
بالسَّواد الأعظم من قوَّة جرايچوي».

قالت الليدي مج: «بَعْضُ النَّظَر عن نزاعات الخلافة، فالحديدِيُّون ليسوا  
بالغباء الذي يجعلهم يَهْجُرُون (الخندق)».

قال روب: «نعم. تخميني أن فيكتاريون سيتركُ أغلب حاميته، لكن كلَّ  
رجل يأخذه يعني أن هناك رجالاً أقلَّ سُنْفَاتِلهم، ولكِ أن تثقي بأنه سيأخذ  
عددًا كبيراً من ربابنته معه، القادة، فسيحتاج إلى رجالٍ كهؤلاء يُعَظِّمونه إذا  
كان يأمل في الجلوس على كرسي حجر اليم».

قال جالبارت جلوفر: «لا يُمكن أن تكون تيتك الهجوم من على الدَّرب  
العالي يا جلالة الملك. المسالك هناك ضيقة للغاية، ولا سبيل لنشر الجُند.  
لا أحد نجحَ في احتلال (الخندق) قَطُّ».

ردَّ روب: «من الجنوب. لكن إذا هاجمنا من الشَّمال والغرب في آن  
واحد، وباغتنا الحديدِيِّين من المؤخِّرة، بينما يُقاومون ما يحسبونه قوتنا  
الأساسية على الدَّرب العالي، فستكون فرصة النَّصر كبيرةً. بمجرد أن أضَمَّ  
قواتي إلى قوَّات رروس بولتون وفراي سيكون معي أكثر من اثني عشر ألف  
رجل، أنوي تقسيمهم إلى ثلاث فرق وأجعلهم يصعدون الدَّرب العالي  
بحيث يفصل نصف يوم بين كلِّ فرقةٍ وأخرى. إذا كانت لجنود جرايچوي  
أعين جنوب (العنق) فسِيرُون قوَّاتي كُلَّها تندفع إلى (خندق كايلن) مباشرةً.  
سيقود رروس بولتون حرس المؤخِّرة وأقوِّد القلب، وأنت يا جون الكبير  
ستقود الطليعة ضد (الخندق). يجب أن يكون هجومك عنيفاً لدرجة لا تُتيح  
للحديدِيِّين رفاهية أن يتساءلوا إن كان أحد يزحف عليهم من الشَّمال».

قهقهة جون الكبير، وقال: «فليسرع زاحفوك بالمجيء إذن قبل أن يجتاح  
رجالي الأسوار ويحتلوا القلعة. سأقدمها لك هديةً إذا وصلت متأخراً».

- «ستكون هديّة يسعدني أن أقبلها».

قال إدميور مقطّباً جبينه: «تكلّم عن مداهمة الحديديين من المؤخّرة يا مولاي، لكن كيف تنوي أن تدور من ورائهم؟».

أجاب روب: «هناك طُرق عبر (العُنق) غير موجودة على أيّ خريطة يا خالي، طُرق معروفة لشعب المستنقعات فقط، دروب ضيّقة وسط البرك، وأخرى مائيّة تمرُّ بين أحراج القصب ولا تقطعها إلّا القوارب»، والتفت إلى رسوليّه مردفًا: «قولاً لهاولاند ريد أن يُرسل لي أدلّة بعد يومين من بداية صعودي الدّرب العالي، إلى الفرقة الوُسطى حيث أرفع رايّتي. ثلاث فرق سُنّعاير (التوّامتين)، لكن اثنتين فقط سَتبُلغان (خندق كايّلن)، بينما تخفني فرقتي في (العُنق) وتُعاود الظهور في (النّهر المحموم). إذا تحرّكنا سريعاً عقب زفاف خالي فسنكون في موقعنا مع نهاية العام، ثم نُهاجم (الخندق) من ثلاث جهات في أول أيام القرن الجديد، بينما يستيقظ الحديديون برؤوس يدقّها الصّداع من فرط ما سيسربونه في اللّيلة السّابقة».

قال چون الكبير: «تروقني هذه الخطّة، تروقني جدًّا».

فركّ جالبارت جلوثر فمه قائلاً: «هناك مخاطرات. إذا خذلك أهل المستنقعات...».

قاطعهُ روب: «فلن نكون في موقفٍ أسوأ من قبل. لكنهم لن يخذلوني. لقد عرفَ أبي قيمة هاولاند ريد جيّدًا»، ثم طوى الخريطة، وعندها فقط نظَرَ إلى كاتلين قائلاً: «أمّاه».

توتّرت كاتلين، وسألته: «أرسمت دورًا لي في هذه الخطّة؟».

- «دورك أن تبقي آمنّة. رحلتنا عبر (العُنق) ستكون محفوفةً بالمخاطر، ولا شيء إلّا المعارك ينتظرنا في الشّمال. لكن اللورد ماليستر تلطّف عارضًا أن يُضَيّقك في (سيجارد) إلى أن تنتهي الحرب. إنني واثق بأنك ستكونين مستريحةً هناك».

أهذا عقابي على معارضة في شأن چون سنو؟ أم لكوني امرأة، أو أسوأ، لكوني أمًّا؟ استغرقت لحظةً حتى لاحظت أن أعين الجميع مسلّطة عليها، وأدركت كاتلين أنهم كانوا يعرفون مسبقًا. لم يكن من المفترض أن تندهش،

إذ لم تربح أيَّ أصدقاء بتحريرها قاتل الملك، كما أنها سمعتِ چون الكبير يقول أكثر من مرّة، إن لا مكان للنساء في ميدان المعركة.  
لا بُدَّ أن غضبها اشتعلَ على وجهها، لأن جالبارت جلوفر تكلمَ قبل أن تنطق كلمةً قائلًا: «جلالته حكيم يا سيّدي. الأفضل ألا تأتي معنا».  
وقال اللورد چيسون ماليستر: «(سيجارد) سُنْضيء بحضورك يا ليدي كاتلين».

قالت كاتلين: «تريدني أن أكون سجينتك».  
ردَّ اللورد چيسون بإصرار: «بل ضيفتي المكرّمة».  
التفتت إلى ابنتها قائلةً بجمود: «لا أقصدُ إهانةً للورد ماليستر، لكن إذا كان لا يُمكنني المعجىء معكم فأفضلُ العودة إلى (ريقررن)».  
- «لقد تركتُ زوجتي في (ريقررن)، وأريدُ أمي في مكانٍ آخر. إذا تركَ المرء كنوزه كلُّها في خزينةٍ واحدة، فإنه يُسهّلُ الأمر على من يرغبون في سرقة لا أكثر. بعد الزفاف ستذهبن إلى (سيجارد)، هذا أمري الملكي»، ونهضَ روب، وبهذه السُرعة تحدّد مصيرها، أمّا هو فالتقطَ قطعةً من ورق الرّقوق مردفًا: «ثمّة مسألة أخرى. أملنا أن اللورد بالون ماتَ مخلّفًا وراءه الفوضى، ولا أنوي أن أفعل مثله، لكنني لم أنجب ابناً بعدُ، وأخواي بران وريكون ماتا، وأختي متزوّجة بابن لانستر. لقد فكرت طويلاً وجدّيًا في مَنْ سيخلفني، وأمركم الآن بصفتم لورداتي الأوفياء المخلصين أن تختموا هذه الوثيقة كشهودٍ على قراري».

قالت كاتلين لنفسها مهزومةً: ملك حقًا. ليس في وسعها الآن إلا أن تأمل أن ينجح الفتح الذي نصبه لـ(خندق كايلن) كما نجح الفتح الذي أوقعها فيه.

## سامويل

(وايتري)، أَرَجُوكِ كوني (وايتري). إنه يَذْكُرُ القرية. كانت على الخرائط التي رَسَمَهَا في الطريق إلى الشَّمَال. إذا كانت هذه (وايتري) حقًا، فإنه يعرف أين هُم الآن. أَرَجُوكِ أيتها الآلهة، لا بُدَّ أن تكون هي. أرادَ هذا بشدَّةٍ حتى إنه نسيَ قدميه بعض الوقت، نسيَ الألم في رِبلتَي ساقيه وأسفل ظهره والأصابع المتجمِّدة اليابسة التي يكاد لا يحسُّ بها، بل ونسيَ اللورد مورمونت وكراستر والجُثث الحيَّة (والآخرين)، وصلَّى لأيِّ إلهٍ يسمع: (وايتري).

لكن قُرَى الهَمَج تتشابه جميعًا. في مركز هذه القرية تنمو شجرة ويروود ضخمة، لكنها لا تعني بالضرورة أنهم في (وايتري). ألم تكن شجرة الويروود هناك أكبر من هذه؟ ربما لا يتذكَّرها بشكل صحيح. الوجه المحفور في الجذع الشَّاحب كالعظم طويل حزين، ومنَّ عينيه تسيل دموع حمراء من التُّسغ الجاف. أهكذا كان يبدو حين جئتُ شمالًا؟ لا يَذْكُرُ حقًا.

حول الشَّجرة مجموعة صغيرة من الأكواخ ذات الحُجْرة الواحدة تعلوها سقوف من التَّجِيل، وقاعة طويلة من الخشب ينمو عليها الطحلب، بالإضافة إلى بثر حجرية وزريرية غنم... لكن لا غنم ولا ناس على الإطلاق. لقد رحَلَ الهَمَج لينضمُّوا إلى مانس رايدر في (أنياب الصَّقيع)، آخذين معهم كلَّ ما يملكونه باستثناء البيوت نفسها، وهو ما أشعرَ سام بالامتنان، فالليل يدنو ومن الجيِّد أن يناموا تحت سقفٍ مرَّةً. أحسَّ بتعبٍ فظيعٍ كأنه أمضى نصف حياته مشيًا. كان حذاؤه قد بدأ يتمزِّق، وطقَّت القروح على قدميه واستحالت إلى طبقةٍ جلديةٍ جامدة، لكن هناك الآن قروح أخرى تحت الجلد الجامد، وقضمة الصَّقيع تُهاجم أصابع قدميه بضراوة.



لكن إمّا المشي وإمّا الموت، وسام يعلم هذا. جيلي لا تزال ضعيفةً من المخاض وتحمل رضيعها أيضًا وتحتاج إلى الحصان أكثر منه. كان الحصان الثاني قد مات بعد ثلاثة أيام من خروجهم من (قلعة كراستر)، وعجيب أن الحيوان المسكين المتضورّ جوعًا احتمل كل هذا الوقت أصلًا. غالبًا كان وزن سام هو ما أجهز عليه، ولذا لم يُحاولوا ركوب الحصان المتبقي معًا، إذ خشي سام أن يتكرّر ما حدث. الأفضل أن أمشي.

تركها سام في القاعة الطويلة لتُشعل نارًا للتدفئة بينما يُلقي نظرة داخل كل كوخ. جيلي أبرع منه في إشعال النار، فلا يبدو أبدًا أنه يستطيع أن يجعل اللهب يشبّ في الهشيم، وآخر مرة جرّب أن يحدث شرارةً بواسطة الصوّان والفولاذ جرح يده بسكينه. ضمّدت جيلي الجرح، لكنه أحسّ بيده يابسةً أليمةً، بل وأكثر خرقًا في الحركة مما كانت من قبل. يعرف أن عليه تغيير الضمادة وغسل الجرح، لكنه متخوّف من النّظر إليه، كما أن البرد شديد بحقّ ويجعله يكره أن يخلع قفّازه.

لا يدري سام ما الذي كان يأمل أن يعثر عليه في البيوت الخاوية، فلربما ترك الهمج شيئًا من الطعام، ويجب أن يبحث كما بحثّ چون في أكواخ (وايتري) وهم في طريقهم شمالًا. داخل أحد الأكواخ سمع صرير الفئران في ركن مظلم، لكن بخلاف هذا لم يكن في أيّها إلا قشّ قديم وروائح قديمة ورماد تحت فتحات التّهوية.

عاد يلتفت إلى الـويروود وتمعّن في الوجه المحفور لحظةً قبل أن يُقرّ لنفسه: ليس الوجه الذي رأيناه. الشجرة ليست بنصف حجم التي في (وايتري) حتى. ثم إن العينين الحمرّاوين تدرّفان دمًا، وهو لا يذكر ذلك في الآخرين. بتأقّل ركع سام على رُكبتيه، وقال: «اسمعي صلاتي أيتها الآلهة القديمة. (السبعة) آلهة أبي، لكنني حلفتُ يميني أمامك حين التحقتُ بحرس الليل، فساعدنا الآن. أخشى أننا ضللنا الطريق، كما أننا نعانى الجوع والبرد. لستُ أدري بأيّ آلهة أو من الآن، لكن... أرجوك، إذا كنتِ موجودةً فساعدينا. جيلي لديها ابن صغير». هذا هو كل ما استطاع التّفكير في قوله. كان الغسق يتوغّل وأوراق الـويروود تحفّ بخفوتٍ وتتراقص كألف يدٍ حمراء قانية، لكن سواء أسمعته آلهة چون أم لم تسمعه فلا يعرف.

عندما رجَعَ إلى القاعة الطويلة كانت جبلي قد أشعلت النَّار وجلست إلى جوارها مزيجاً ثيابها الفرو لتُرَضِّع صغيرها. إنه جائعٌ مثلنا تماماً. كانت العجوزان قد هرَّبنا طعاماً لهما من مخزن كراستر، لكنهما أكلتا معظمه بالفعل. حتى في (هورن هيل)، حيث الصَّيد وفير وهناك رجال وكلاب تحت إمرته، كان سام صبيّاً فاشلاً تماماً، أمّا هنا في الغابة الخالية مترامية الأطراف ففرصة أن يصطاد شيئاً مستحيلة، كما أن المجهود الذي بذلّه في محاولة اصطياد الأسماك من البحيرات والنُّهيرات شبه المتجمّدة راح كلّه سُدىً أيضاً. سألته جبلي: «كم تبقى يا سام؟ أما زال بعيداً؟».

أجابها: «ليس بعيداً جدّاً، ليس بعيداً كما كان من قبل»، وخلع صرّته عن ظهره وأنزل نفسه إلى الأرض بمشقّة وحاول أن يجلس متقاطع الساقين. كان الألم في ظهره ممضاً من طول المشي حتى إنه أراد بشدّة أن يُسندَه إلى أحد الأعمدة الخشبيّة المنقوشة التي تدعم السّفوف، لكن النَّار في منتصف القاعة أسفل فتحة التّهوية، وهو يشتهي الدّفء أكثر من الرّاحة. «سنصل في غضون أيام قليلة».

مع سام خرائطه، لكنها بلا فائدة بما أن هذه القرية ليست (وأيتري). قال لنفسه ساخطاً: توغلنا كثيراً جدّاً شرقاً لندور حول تلك البحيرة، أو ربما كثيراً جدّاً غرباً عندما حاولتُ أن أعود أدراجي. لقد بدأ يكره البحيرات والأنهار حقّاً، فهنا لا توجد جسور أو عبّارات، أي أن عليك أن تدور حول كل بحيرة وتبحث عن بقاع تعبر منها كلّ نهر. المضئي في دروب الفرائس أسهل من معاناة خوض الأدغال، والدّوران حول الأخاديد أسهل من تسلقها. لو أن بانن أو دايوين معنا لكننا في (القلعة السوداء) الآن، نُدْفِي أقدامنا في القاعة العامّة. لكن بانن مات، ودايوين ذهب مع جرن وإد الكتيب والآخرين.

قال سام لنفسه مذكراً: (الجدار) طوله ثلاثمئة قدم وارتفاعه سبعمئة. إذا ظلّوا يتجهون جنوباً فلا بُدّ أن يبلّغوه عاجلاً أو آجلاً، وهو واثق بأنهم متجهون جنوباً. في النَّهار يُحدّد الاتجاهات عن طريق الشَّمس، وفي الليالي الصّافية يتبعون ذيل (التنين الجليدي)، وإن لم يتحرّكوا ليلاً كثيراً منذ مات الحصان الثّاني. حتى عندما يكون القمر بدرّاً تظلّ العتمة مسيطرةً تحت الأشجار، ومن الوارد جدّاً أن يكسر سام أو الحصان المتبقّي ساقاً. لا بُدّ أننا متوغلون جدّاً في الجنوب الآن، لا بُدّ.

ما ليس متأكدًا منه هو المسافة التي حادوها شرقًا أو غربًا عن الطريق. سوف يبلغون (الجدار)، نعم... خلال يوم أو أسبوعين، فلا يُمكن أن يكون أبعد من هذا، بالتأكيد، بالتأكيد، في النهاية سيبلغونه... لكن أين؟ بوابة (القلعة السوداء) هي الوجهة المنشودة، السبيل الوحيد للمرور من (الجدار) في نطاق مئة فرسخ كاملة.

سألته جيلي: «هل (الجدار) كبير حقًا كما كان كراستر يقول؟».

حاول سام أن تكون نبرته مرحةً وهو يُجيبها: «أكبر. إنه كبير لدرجة أنك لا ترين القلاع المتوارية خلفه، لكنها موجودة كما سترين. (الجدار) كله من الجليد، لكن القلاع من الحجارة والأخشاب. هناك بروج عالية وأبوية عميقة وقاعة طويلة ضخمة فيها مستوفد تشتعل فيه النار نهارًا وليلاً. الجو حارٌ هناك يا جيلي لدرجة لن تُصدّقها».

- «أيمكنني أن أفق عند النار أنا والصّبي؟ ليس طويلًا، حتى نندفأ فقط».

- «يمكنك أن تقفي عند النار كما تشائين، وستجدين طعامًا وشرابًا أيضًا، نبيذًا متبلاً ساخنًا ووعاءً من يخنة لحم الغزال بالبصل، وخبز هوب الطازج من الفرن. ستلسع سخونته أصابعك»، وخلع سام قفازه ليحرّك أصابعه هو أمام النار، وسرعان ما ندم على هذا. كان البرد قد خدّرها، لكن إذ عادَ إليها الإحساس أوجعته بشدّة حتى كاد يبكي، فقال ليلهي نفسه عن الألم: «أحيانًا يُعني أحد الإخوة. داريون كان أفضل المغنّين، لكنهم أرسلوه إلى (القلعة الشرفيّة). ما زال هناك هالدر، والضفدع أيضًا. اسمه الحقيقي تودر، لكنه يُشبه الضفادع، ولذا تُناديه بهذا الاسم. يُحبّ الغناء، لكن صوته شنيع».

أعدّات جيلي ترتيب ثوبها ونقلت الرضيع من ثديي إلى الثاني، وسألته: «هل تُعني أنت؟».

تورّد وجه سام، وقال: «أ... أعرف القليل من الأغاني. كنت أحبّ الغناء في صغري، واعتدت الرقص أيضًا، لكن السيّد والدي لم يقبل ذلك قط، وقال إنني إذا أردت أن أتواكب هنا وهناك فعليّ أن أفعل هذا في الساحة بسيف في يدي».

- «هلاً غنّيت واحدةً من أغانيكم الجنوبيّة للصّبي؟».

قال سام: «إذا أردت»، وتفكّر لحظةً قبل أن يُردف: «ثمّة أغنيّة كان السّبتون

يُعِينَهَا لَنَا وَقْتَ النَّوْمِ وَنَحْنُ صَغَارٌ، اسْمُهَا (أَغْنِيَّةُ السَّبْعَةِ)»، ثُمَّ تَنْحَنُحُ وَبِصَوْتٍ خَفِيضٍ غَنَّى:

(الأب) وَجْهَهُ قَوِيٌّ جَلِيلٌ  
يَجْلِسُ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ  
وَيَزِنُ حَيَاتِنَا، مَا قَصَرَ مِنْهَا وَمَا طَالَ  
وَيُحِبُّ الْأَطْفَالَ الصَّغَارَ.  
(الْأُمُّ) تَهْبُ هَدِيَّةَ الْحَيَاةِ  
وَتُرْعَى كُلَّ زَوْجَةٍ  
وَتُنْهَى بِسْمَتِهَا الرَّقِيقَةَ كُلَّ مُحَنَةٍ  
وَتُحِبُّ أَطْفَالَهَا الصَّغَارَ.  
(الْمُحَارِبُ) يَقِفُ ضِدَّ الْغَرِيمِ  
يُحْمِنُنَا فِي كُلِّ بَرٍّ وَوَيْمٍ  
وَبِالسَّيْفِ وَالتُّرْسِ وَالحَرْبَةِ وَالسَّهْمِ  
يَحْرُسُ الْأَطْفَالَ الصَّغَارَ.  
(العَجُوزُ) حَكِيمَةٌ قَدِيمَةٌ كَالدَّهْرِ  
تَشْهَدُ عَلَيْنَا حَتَّى نَهَايَةِ الْعُمُرِ  
وَتَرْفَعُ مِصْبَاحَهَا النُّضِيرِ  
لِتُضِيءَ الطَّرِيقَ لِلْأَطْفَالَ الصَّغَارِ.  
(الْحَدَّادُ) يَكْدَحُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ  
وَيُسَوِّيَ عَالِمَ الْبَشَرِ  
وَبِالْمِطْرَقَةِ وَالمِحْرَاثِ وَالتَّارِ  
يَبْنِي لِلْأَطْفَالَ الصَّغَارِ.  
(العِذْرَاءُ) تَرْقُصُ وَسَطَ الْعَنَانِ  
وَتُحِيَا فِي آهَةِ كُلِّ وَلِهَانِ  
تُعَلِّمُ ابْتِسَامَتِهَا الطَّيْرَ الطَّيْرَانَ  
وَتُهْدِي الْأَحْلَامَ لِلْأَطْفَالَ الصَّغَارِ.  
الْأَلْهَةُ السَّبْعَةُ الَّتِي خَلَقْنَا

تُصغي إلينا إذا صلينا  
 فأغلقوا أعينكم ولن تسقطوا  
 أيها الأطفال الصغار  
 فقط أغلقوا أعينكم ولن تسقطوا  
 إنها تراكم أيها الأطفال الصغار.

تذكر سام آخر مرة ردّد فيها تلك الأغنية مع أمّه لهددة أخيه ليكون الرضيع حتى ينام، وسمع أبوه صوتيهما فاقتمم العرفة غاضبًا، وقال لزوجه بخشونة: «لن أسمح بالمزيد من هذا. لقد أفسدت صبيًا بأغاني السبتونات اللئيمة هذه، فهل تتوین أن تفعلی المثل مع هذا أيضًا؟»، ثم رمق اللورد راندل سام قائلاً: «اذهب وعن لأخواتك إذا أردت أن تُعني، لكني لا أريدك بالقرب من ابني».

غاب ابن جيلي في النوم. إنه صغير للغاية وهادئ للغاية حتى إن سام يخشى على سلامته، بل وليس له اسم حتى. كان قد سألها عن السبب، فأجبت قائلة إن تسمية الأطفال قبل أن يبلغوا الثانية من العمر تجلب الحظ العاثر، فكثيرون منهم يموتون.

دست جيلي ثديها داخل ثيابها قائلة: «جميل يا سام. إنك تُجيد الغناء».

- «عليك أن تسمعي داريون، صوته بعدوبة العسل المخمر».

- «شربنا عسلًا مخمرًا في غاية العذوبة يوم جعلني كراستر زوجته.

كنا في الصيف وقتها، ولم يكن الجو بهذه البرودة»، ثم رمقته جيلي حائرة وسألته: «هل غيّت عن ستة آلهة فقط؟ كراستر قال لنا إنكم تُعبدون سبعة في الجنوب».

- «سبعة، نعم، لكن لا أحد يُعني عن (الغريب)». وجه (الغريب) وجه

الموت، ومجرد الكلام عنه يُزعج سام. «علينا أن نأكل شيئًا، لُقمة أو اثنتين».

لم يتبق من الطعام إلا قطع قليلة من الشجق الأسود الجامد كالخشب.

نشر سام بضع شرائح رفيعة لكل منهما، وأوجع المجهود معصميه لكن جوعه جعله يُثابر. إذا مضغت شريحةً طويلًا فإنها تلين ويصير مذاقها طيبًا، خصوصًا أن زوجات كراستر تَبَلن الشجق بالثوم.

بعد أن فرغا من الأكل استأذنها سام وخرج يُفرغ مئاته ويتفقد الحصان. كانت ريح قارسة تهبُّ من الشَّمال، وحفَّت أوراق الشَّجر في وجهه وهو يمرُّ ليكسر طبقة الجليد الرقيقة على سطح الجدول كي يشرب الحصان. الأفضل أن أدخله. إنه لا يُريد أن يستيقظ فجراً ليجد حصانها تجمَّد حتى الموت في أثناء الليل. ستستمرُّ جيلي حتى إذا حدث ذلك. الفتاة سُجاعة جدًّا على عكسه، ويتمنَّى لو يعرف ما سيفعله معها لدى وصولهما إلى (القلعة السوداء). كثيرًا رددت أنها من الممكن أن تكون زوجته إذا أراد، لكن الإخوة السود لا يتزوَّجون، علاوةً على أنه من آل تارلي أولاد (هورن هيل)، ولا يُمكن أن يتزوَّج همجيَّةً أبدًا. عليّ أن أفكر في شيءٍ ما. فلنبُغ (الجدار) أحياءً فقط ولن تهَمَّ البقيَّة، لن تهَمَّ عليّ الإطلاق.

قيادة الحصان إلى القاعة الطويلة كانت سهلةً، أمَّا إدخاله فلم يكن، لكن سام ظلَّ يُحاول حتى نجح أخيرًا. ألقى جيلي غافيةً بالفعل، وربط الحصان في رُكن وأضاف المزيد من الحطب إلى النَّار، ثم خلَع معطفه الثقيل وانسلَّ تحته إلى جوار الهمجيَّة. المعطف كبير بما يكفي لتغطية ثلاثهم والحفاظ على دفء أجسادهم.

تضوّعت من جيلي روائح اللَّبن والثوم والفرو القديم الزَّنخ، لكنه اعتادها وعدها روائح طيِّبة. إنه يُحبُّ الثوم إلى جوارها، إذ يجعله يتذكَّر الأيام الخوالي في (هورن هيل) حين كان يتقاسم فراشا ضخمًا مع اثنتين من أخواته، قبل أن ينتهي هذا بقرار اللورد راندل أن الثوم إلى جوار الفتيات يجعله ناعمًا مثلهن. لكن الثوم بمفردي في غرْفتي الباردة لم يجعلني أصلب أو أشجع. تساءل عمَّا كان أبوه ليقوله لو رآه الآن، وتخيل نفسه يقول له: لقد قتلْتُ واحدًا من (الآخرين) يا أبي، طعنته بخنجر من الزُّجاج البرُّكاني، والآن يُلقِّني إختوتي بسام القاتل. لكن حتى في مخيلته عبس اللورد راندل في وجهه غير مصدِّق. كانت أحلامه غريبةً ليلتها. رأى نفسه في القلعة في (هورن هيل)، لكن أباه لم يكن هناك. كانت القلعة قلعة سام، وكان جون سنو معه، واللورد مورمونت الدُّب العجوز أيضًا، وجرن وإد الكئيب وبيپ وتودر وكلُّ إخوته الآخرين في حرس الليل، وإن ارتدى الجميع ألوانًا زاهيةً بدلًا من الأسود، وجلس سام إلى المائدة العالية وأولم لهم مقطعًا شرائح سميكةً من اللحم

المشوي بسيف أبيه العظيم (آفة القلوب)، وقدّم لهم الكعك المحلّى والتبّيد الممزوج بالعسل، واستمتعوا معًا بالرقص والغناء والدّفء. بعد نهاية المأدبة صعد لينام، ليس في غرفة اللورد التي تخصّ أمّه وأباه، وإنما في الغرفة التي اعتاد أن يتقاسمها مع أختيه، لكن بدلًا منهما كانت جيلي تنتظره في الفراش الوثير الضخم، لا ترتدي إلا فروة كبيرة شعثاء ويسيل اللبن من ثدييها. واستيقظ فجأة بأوصال ترتجف بردًا وخوفًا.

لم يتبقّ من النّار غير جذوات حمراء خامدة، وأحسّ سام بالهواء نفسه متجمّدًا من شدّة البرد. في الرُّكن كان الحصان يسهل راكلًا الحطب بقائمتيه الخلفيتين، وجلست جيلي إلى جوار النّار محتضنةً وليدها. اعتدلّ سام متميلاً، تخرّج أنفاسه شاحبةً من فيه المفتوح، وقد أغرقت الظلال القاعة سوادًا على سواد، وانتصب الشّعْر على ذراعيه.

قال لنفسه: لا شيء هنالك. الجوّ بارد لا أكثر.

ثم تحرّك أحد الظلال عند الباب، ظلّ كبير.

وتصرّع سام للآلهة: ما زلتُ أحلم. أوه، اجعليه حُلْمًا ما زلتُ أراه وأنا نائم، اجعليه كابوسًا. إنه ميت، إنْت ميت، لقد رأيتُه يموت.

متحبةً قالت جيلي: «جاء من أجل الصّبي. إنه يشمّه. رائحة الحياة تفوح من كلّ حديثي الولادة، وقد جاء من أجل الحياة».

طأطأ الجسد الدّاكن الضّمخ رأسه تحت عتبة الباب العُليا وخطا إليّ داخل القاعة متقدّمًا منهم بخُطى ثقيلة، وفي ضوء النّار الخابي استحال الظلّ إلى پول الصّغير.

وقال سام بصوتٍ مبجوح: «ارحل. لا تُريدك هنا».

كانت يدا پول فحمًا ووجهه حليبيًا وعيناه تلتمعان بأزرق قاس، وقد بيّض الصّقيع لحيته، وعلى كتفه جثمّ غُداً ينقُر وجنته ويأكل اللحم الأبيض الميت.

أفرغت مائة سام نفسها، وأحسّ بالدّفء يسيل على ساقيه، لكنه قال لجيلي: «هدّئي الحصان وخُذيه إلى الخارج، هيا».

- «أنت...».

قاطعها: «إن معي الخنجر، سكين زُجاج الثنّين»، وأخرجه وهو ينهض.

كان قد أعطى جرن الخنجر الأول، لكن من حُسن الحظّ أنه تذكّر أن يأخذ خنجر اللورد مورمونت قبل أن يفِرَّ من (قلعة كراستر). أطبق عليه بإحكام مبتعداً عن النَّار، بعيداً عن جيلي والرّضيع، وقال بنبرة أرادها أن تكون شُجاعةً، لكنها خرجت منه كالصّيرير: «پول، پول الصّغير، هل تعرفني؟ أنا سام، سام البدین، سام الخائف. لقد أنقذتني في الغابة، حملتني حين لم أستطع المضيّ خطوةً أخرى. لا أحد غيرك كان بإمكانه أن يفعل هذا، لكنك فعلته»، وتراجع سام حاملاً السكّين وأنفه يسيل، وفكّر: يا ليّ من جبان. «لا تُؤذنا يا پول، أرجوك. لماذا تريد أن تُؤذينا؟».

تقهقرت جيلي متعثّرةً على الأرض التراب الصّلبة، فدارت الجثّة الحيّة برأسها لتنظر إليها، لكن سام صاح: «لا!»، فعادت تلتفت إليه، ومزّق العُدف على كتفها قطعةً من اللحم من وجهها الممتقع الخرب. رفع سام الخنجر أمامه وهو يتنفّس ككبير الحدّاد، وعبر القاعة بلغت جيلي الحصان. امنحيني الشّجاعة أيتها الآلهة، امنحيني إياها مرّةً، حتى تتعد جيلي فقط.

تحركّ پول الصّغير نحوه، وأخذ سام يتراجع حتى اصطدم ظهره بحائط خشبيّ خشن، ورفع الخنجر بكلتا يديه ليحمّله بثبات. لم يبدُ أن الجثّة الحيّة تخشى زُجاج التّنين، ربما لأنها تجهل ماهيته، وتقدّمت ببُطء، لكن پول لم يكن سريعاً قطّ، حتى في حياته. وراه غمغمت جيلي بشيء ما لثهدّي الحصان وحاولت قيادته نحو الباب، لكن لا بُدَّ أن الحصان اشتّم نفحةً من رائحة الجثّة الحيّة الباردة الغريبة، وتراجع فجأةً رافعاً قائمته الأماميتين وضرب الهواء بحافرٍه، ودارَ پول في اتجاه الصوت وبدا أنه فقد اهتمامه بسام.

لم يكن هناك وقت للتّفكير أو الدّعاء أو الخوف، ودفع سامويل تارلي نفسه إلى الأمام مغمداً الخنجر في ظهر پول الصّغير، الذي لم يره وهو ملتفت عنه. صرخ العُدف ووثب في الهواء، وصرخ سام وهو يطعن: «أنت ميت! أنت ميت! أنت ميت!». طعن وصرخ وطعن وطعن صانعاً شقوفاً ضخمةً في معطف پول الأسود الصّغير، وتطايرت شظايا زُجاج التّنين في كلِّ مكانٍ إذ تحطّم النّصل على حلقات الحديد تحت الصّوف.

ملاً عويله الهواء الأسود بغشاوةٍ بيضاء، وأسقط سام المقبض عديم القيمة وأخذ خطوةً سريعةً إلى الورا بينما دارَ پول نحوه، وقبل أن يُخرج



سَكِينَهُ الْآخَرَ، السَّكِينِ الْفُولَازِ الَّذِي يَحْمِلُهُ كُلُّ أَخٍ، أَطْبَقَتْ يَدَا الْجِئَّةِ السَّوْدَاءِ عَلَى حَلْقِهِ. كَانَتْ يَدَا بُولِ بَارْدَتَيْنِ لِدَرَجَةٍ تُحْرَقُ، وَضَيْقَتَا الْخِنَاقِ عَلَى لَحْمِ عُنُقِهِ اللَّدْنِ. أَرَادَ أَنْ يَصْرُخَ: أَرَكُضِي يَا جِيلِي، أَرَكُضِي، لَكِنْ لَمَّا فَتَحَ فَمَهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا صَوْتٌ مَخْنُوقٌ.

أَخِيرًا عَثَرَتْ أَصَابِعُهُ الْمَتَلَمِّسَةُ عَلَى الْخَنْجَرِ، لَكِنْ حِينَ هَوَى بِهِ عَلَى بَطْنِ الْجِئَّةِ الْحَيَّةِ احْتَكَّ رَأْسُهُ بِالْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَطَارَ الْخَنْجَرُ مِنْ يَدِ سَامٍ دَائِرًا فِي الْهَوَاءِ. انضَغَطَتْ يَدَا بُولِ الصَّغِيرِ عَلَى عُنُقِهِ أَكْثَرَ وَبَدَأَتْ تَلْوِيَانَهُ، وَقَالَ سَامٌ لِنَفْسِهِ بِيَأْسٍ: سَيَنْتَزِعُ رَأْسِي مِنْ عَلَى كَتْفِي. أَحْسَسَ بِحَلْقِهِ يَتَجَلَدُ وَبِرْتِيهِ تَشْتَعْلَانِ، وَرَاحَ يَلْكُمُ مَعْصَمِي الْجِئَّةِ وَيَشُدُّهُمَا بِلَا طَائِلٍ، وَرَكَلَ بُولٌ بَيْنَ سَاقِيهِ بِلَا جَدْوَى، وَتَقَلَّصَ الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَ نَجْمَتَيْنِ زُرْقَاوَيْنِ، وَأَلَمَّا عُنِيفًا سَاحِقًا وَبِرْدًا قَارِسًا جَمَّدَ دَمُوعَهُ فِي عَيْنَيْهِ. تَمَلَّصَ سَامٌ وَشَدَّ بِكُلِّ يَأْسِهِ... ثُمَّ انْدَفَعَ إِلَى الْأَمَامِ.

بُولُ الصَّغِيرِ كَبِيرٌ قَوِيٌّ، لَكِنْ سَامٌ لَا يَزَالُ يَفُوقُهُ وَزَنًا، وَالْجِثُّ الْحَيَّةُ حَرَكَتُهَا خَرَقَاءٌ كَمَا رَأَى عَلَى (الْقَبْضَةِ). دَفَعَتْ الْحَرَكَةُ الْمَفَاجِئَةَ بُولَ إِلَى التَّرَاجُعِ خُطْوَةً، وَمَعًا سَقَطَ الْمَيْتُ وَالْحَيُّ أَرْضًا، وَأَزَاحَتْ الصَّدْمَةُ إِحْدِي الْيَدَيْنِ عَنْ رِقْبَةِ سَامٍ فَتَمَكَّنَ مِنَ التَّقَاطِ نَفْسٍ سَرِيعٍ قَبْلَ أَنْ تُطَبِّقَ الْأَصَابِعُ السَّوْدَاءَ عَلَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ. أَفْعَمَ مِذَاقَ الدَّمِ فَمَهُ، وَلَوَى عُنُقَهُ بَاحْتًا عَنِ السَّكِينِ فَرَأَى وَهَجًا بَرْتَقَالِيًّا بَاهِتًا. النَّارُ! لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا جَمْرٌ وَرَمَادٌ، وَلَكِنْ... لَا يَسْتَطِيعُ التَّقَاطُ أَنْفَاسَهُ أَوْ إِعْمَالَ عَقْلِهِ... تَلَوَّى سَامٌ إِلَى الْجَانِبِ وَانْدَفَعَ سَاحِبًا بُولَ مَعَهُ... زَحَفَتْ ذِرَاعَاهُ عَلَى تُرَابِ الْأَرْضِ، تَمْتَدَّانِ، تُحَاوِلَانِ الْوَصُولَ، تُبْعِثِرَانِ الرَّمَادَ، وَأَخِيرًا وَجَدَتْهَا شَيْئًا سَاحِنًا... قِطْعَةً مِنَ الْخَشَبِ الْمَتَفَحَّمِ مَا زَالَ فِي أَسْوَدَاهُ نَشِيءٍ مِنَ الْبَرْتَقَالِيِّ وَالْأَحْمَرِ... انْغَلَقَتْ أَصَابِعُهُ حَوْلَهَا وَدَفَعَتْهَا دَاخِلَ فَمِ بُولٍ بِمَتَهَى الْعُفْفِ حَتَّى إِنْ سَامٌ شَعَرَ بِالْأَسْنَانِ تَهْتَشِّمِ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا لَمْ تَلِنِ قَبْضَتَا الْجِئَّةِ الْحَيَّةِ. آخِرَ مَا فَكَّرَ فِيهِ سَامٌ كَانَ الْأَمُّ الَّتِي أَحَبَّهُ وَالْأَبُ الَّذِي خَذَلَهُ، وَدَارَتْ الْقَاعَةُ الطَّوِيلَةُ مِنْ حَوْلِهِ... ثُمَّ رَأَى خَيْطًا مِنَ الدُّخَانِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِ بُولِ الْمَحْطَمَةِ، ثُمَّ اشْتَعَلَ اللَّهَبُ فِي وَجْهِ الرَّجُلِ الْمَيْتِ، وَانْفَكَّتِ الْيَدَانِ عَنْ عُنُقِهِ. عَبَّ سَامٌ الْهَوَاءَ عَبًّا وَتَدَحَّرَجَ مَبْتَعِدًا. كَانَتْ الْجِئَّةُ الْحَيَّةُ تَحْتَرِقُ، وَمِنْ

لحيتها يسيل الصَّقِيعُ الذَّائِبُ بينما يسودُّ لحمها. سمعَ الغُذافُ يصرُخُ، لكن بول نفسه لم يُصدِرِ صوتًا، ولمَّا انفتحَ فمه لم يخرُجَ منه إلاَّ اللَّهَبُ. وعيناه... اختفى، الوهج الأزرق اختفى.

زحفَ سام إلى الباب. كان الهواء باردًا لدرجةٍ جعلت مجرَّد التَّنَفُّس مؤلمًا، ولكن يا له من ألم جميلٍ عذب. خرجَ من القاعة منادياً: «جيلي؟ جيلي، لقد قتلته، جيل...».

كانت تقفُ وظُّهرها إلى الـويروود والرَّضِيعِ على ذراعِها، يُحيط بها الموتى من كلِّ اتِّجاه، ستة منهم، عشرون، أكثر... بعضهم كان من الهمج كما تدلُّ الجلود التي يردونها... لكن أغلبهم كانوا إخوته. رأى سام لارك رجل الأخوات والمتسلل ورايلز، ورأى تشت بالكيس الدهني الأسود على عنقه وطبقة رقيقة من الجليد تكسو بثوره. بدا أحدهم أنه هاك، لكن من الصَّعب أن يتأكَّد ونصف رأس الرَّجل مفقود. كانت الجُثث الحيَّة قد مزَّقت الحصان المسكين إربًا وتسحب أمعاءه بأيدي يتقاطر منها الأحمر ليتصاعد البخار الباهت من بطنه.

نشِجَ سام وتمتم: «ليس هذا عدلاً...».

حطَّ الغُذاف على كتفه وردَّد: «عدلاً، عدلاً، عدلاً، عدلاً»، وخفقَ بجناحيه وصرخَ مع جيلي التي كادت الجُثث تَبْلُغها.

سمعَ سام أوراق الـويروود الحمراء القانية تحفُّ، تتهامس بلُغَةٍ يجهلها، وبدا نور التُّجوم نفسه كأنه يتموج، ومن كلِّ مكانٍ حولهم أتت الأشجار وصرَّت. امتقعَ وجه سام تارلي حتى حاكى لون الحليب الخاثر، واتَّسعت عيناه عن آخرهما. غدفاً! كانت جاثمةً على الـويروود، مئات، آلاف الغدفاً على الغصون البيضاء كالعظام، تُحدِّق من بين الأوراق. رأى مناقيرها تنفتح وتنعب، رأى أجنحتها السوداء تنبسط، ورأها تضرب الهواء صارخةً وتنقض على الموتى في سحابةٍ غاضبة. احتشدت حول وجه تشت ونقرت عينيه الزرقاوين، وغطت رجل الأخوات كالذباب، وانتزعت كُتلاً من اللحم من رأس هاك المحطَّم.

كانت أعداد الغدفاً غفيرةً حتى إن سام رفع رأسه فلم ير القمر.

وقال الغُذاف على كتفه: «اذهب، اذهب، اذهب، اذهب!».

وركض سام والصَّبْقِيع يَنْفَجِّر من فمه. في كلِّ اتِّجَاهٍ حوله راحَتِ الجُثْثِ  
الحَيَّةِ تضرب الأجنحة السوداء والمناقير الحادَّة التي تُهاجمها بلا هوادة  
وتسقط بصممتٍ غريب، بلا آتَّةٍ أو صيحة. لكن الغدبان تجاهلت سام، الذي  
أمسك يد جيلي وسحبها بعيداً عن الويروود قائلاً: «يجب أن نذهب».  
هرعت جيلي وراءه حاملةً رضيعها، وقالت: «لكن إلى أين؟ لقد قتلوا  
حصاننا. كيف...».

- «أخي!». شقَّ النداء هواء الليل وسط صرخة ألف غُداً، وتحت  
الأشجار استقرَّ رجل مكسوٌّ من رأسه إلى قدميه بالأسود والرَّمادي المرقَّعين  
على متن إلكة، وصاح من تحت قلنسوةٍ تُخفي وجهه: «هنا!».  
دفع سام جيلي نحو الرَّجل مفكِّراً: يرتدي الأسود. كانت الإلكة عملاقةً،  
ترتفع عشر أقدام حتى الكتفين، وعلى رأسها قرنان بالعرض نفسه تقريباً. جثا  
الحيوان على رُكبتيه ليسمح لهما بالتسلق، ومدَّ الرَّاكب يده المقفزة ليسحب  
جيلي وراءه قائلاً: «هيا»، ثم حان دور سام الذي قال لاهتاً: «أشكرك».  
فقط حين أطبق على اليد الممدودة أدرك أن الرَّاكب لا يرتدي قُفاً، بل إن  
يده سوداء باردة، أصابعها صلبة كالحجر.

## آريا

حين بلغا قمة الأخدود ورأيا النّهر، شدّ ساندور كليجاين عنان حصانه بعنف وأطلق سبّابًا.

كان المطر ينهمر من سماء كالحديد الأسود، يطعن السيل الأخضر والبني بعشرة آلاف سيف، وقالت آريا في أعماقها: لا بدّ أن عرضه ميل كامل. من دوّامات المياه تبرز قمم عشرات الأشجار، وترتفع فروعها إلى السماء كأذرع الغرقى، بينما تختنق حافة الشاطئ بطبقات سميكة من الأوراق المخضلة، وفي وسط المجرى لمحت آريا شيئًا شاحبًا متفحًا يتحرك بسرعة في اتجاه المصب، غزالًا أو حصانًا ميتًا ربما، وسمعت صوتًا كدممة واطئة تتردد على حافة السمع، كالأصوات التي تُصدرها الكلاب قبل أن تشرع في الزمجرة. تلوّت آريا على متن الحصان شاعرة بحلقات قميص كلب الصيد المعدني تنغرس في ظهرها، وقد طوّقها بذراعيه. أحاط باليسرى المحروقة واقبي ساعد فولاذي، وإن كانت قد رأته يُغيّر الضمادات ولمحت اللحم تحتها لا يزال مسحوجًا ينزّ الصديد، لكن إذا أَلَمّت الحروق ساندور كليجاين فإنه لا يُبدي أمارّة على هذا.

سألته: «أهذا (النّهر الأسود)؟». لقد ركبا طويلًا في الأمطار والظلام عبر غابات بلا طرق وقرى بلا أسماء، حتى فقدت آريا إحساسها بالاتجاهات. - «إنه نهر علينا أن نعبّره. هذا هو كل ما تحتاجين إلى معرفته». بين الفينة والفينة يُجيبها كليجاين، لكنه حدّرها من الرّدّ عليه، وفي يومهما الأول معًا أملى عليها تحذيرات كثيرة: «اضربيني مرّة أخرى وسأقيّد يديك وراء ظهرك. حاولي الهرب مرّة أخرى وسأقيّد قدميك. اصرخي أو صيحي أو اعضضيني

ثانيةً وسأكثمك. يُمكننا أن نركب معاً أو يُمكنني أن ألقيكِ على ظهر الحصان كخزيرة في الطريق إلى الدَّبَح. الخيار خياركِ».

اخترت آريا أن تركب، ثم حين خيَّما أول مرَّةٍ انتظرت حتى نامَ ووجدت صخرةً كبيرةً محززةً تُهشَّم بها رأسه القبيح، وقالت لنفسها وهي تزحف نحوه: بهدوء الظلال، لكنها لم تكن هادئةً كفايةً، إذ اتَّضح أن كلب الصَّيد لم يكن نائمًا، أو ربما استيقظ. أيًّا كان، فقد انفتحت عيناه وارتعش فمه، وأخذ الصَّخرة منها كأنها طفلة رضية. أفضل ما كان في وسعها وقتها أن تتركه، وقال هو بعدما ألقى الصَّخرة بين الشُّجيرات: «سأصرفُ النَّظر هذه المرَّة، لكن إذا استحمقتِ وحاولتِ ثانيةً سأولمكِ».

صرخت فيه: «لِمَ لا تَقْتلني كما قتلت مايكَا؟». كانت لا تزال مفعمةً بالتَّحدِّي في ذلك الحين، غاضبةً أكثر من خائفة.

أجابها بشدِّها من مقدِّمة قميصها حتى أصبحت على بُعد بوصة من وجهه المحروق، وقال: «انظري هذا الاسم ثانيةً وسأضربكِ حتَّى تتمنِّي أن أقتلكِ». بعد ذلك لَفَّها في كسوة الحصان كل ليلة قبل أن يخلد إلى النَّوم، وربطَ حبلًا حول أصابع قدميها ومؤخَّرتها بإحكام كأنها وليدة في قِماط.

فكرت آريا وهي تُشاهد المطر يضرب النَّهر: لا بُدَّ أنه (النَّهر الأسود). كليجاين كلب چوفري، ولا شكَّ أنه يأخذها إلى (القلعة الحمراء) ليُسلمها إلى چوفري والملكة. تمنَّت أن تُسفر الشَّمس عن وجهها كي تعرف الاتجاه الذي يتحرَّك فيه، فكلما ألقت نظرةً على الطحالب على الأشجار ارتبكت أكثر. لم يكن (النَّهر الأسود) بهذا الاتِّساع في (كينجز لاندنج)، لكن ذلك كان قبل المطر.

قال ساندر كليجاين: «ستكون المخاضات كلها مغمورة، ولستُ أرغبُ في محاولة السَّباحة».

لا سبيل للعبور. مؤكِّد أن اللورد بريك سيلحق بنا. لقد دفع كليجاين فحلَّه الأسود الكبير إلى الرِّكض طويلاً، وعادَ أدراجه ثلاث مرَّات ليُضلل المطاردين، وفي مرَّةٍ توغَّل مسافة نصف ميل في جدولٍ فائض... لكن آريا ظنَّت تتوقَّع أن ترى الخارجين عن القانون كلِّما نظرت وراءها. حاولت أن تُساعدهم على العثور عليها بحفر اسمها على جذوع الأشجار متى دخلت

وسط الشجيرات لتتبّول، لكنه ضبطها في المرّة الرّابعة، وكانت هذه نهاية محاولاتها. لا يهيمُ. ثوروس سيراني في اللّهب. غير أنه لم يفعل، ليس بعدُ على الأقل، وبمجرّد أن يعبرُ النّهر...

قال كلب الصّيد: «لسنا بعيدين عن بلدة (هاروواي)، حيث يحتفظ اللورد روت بحصان الملك القديم أنداهاار المائي ذي الرّأسين».

لم تسمع آريا بالملك القديم أنداهاار قَط، كما لم ترَ حصاناً برأسين، ناهيك بواحد يستطيع الرّكض على الماء، لكنها لم تسأل ولاذت بالصّمت وظلت متبيّسةً في مكانها، بينما دوّر كلب الصّيد رأس الفحل وخبّ بمحاذاة حافة قمّة الأخدود متبّعاً مجرى النّهر. على الأقل أصبح المطر إلى ظهرهما هكذا، فقد اكتفت من انهمااره في عينيها ليلذعهما ويُعيميها ويسيل على خديها كأنها تبكي. قالت لنفسها مذكرةً من جديد: الذئاب لا تبكي.

لم يتجاوز الوقت الظهيرة بكثير، لكن السّماء كانت سوداء كأنه الغسق، وطيلة أيام أكثر من أن تُحصيها آريا لم يريا الشّمس ولو مرّة. كانت غارقةً تمامًا بالماء وتتوجّع من طول الرّكوب وأنفها يسيل، بالإضافة إلى الحمّى التي أصابتها وتجعلها ترتجف بشدّة أحياناً، لكن حين قالت لكلب الصّيد إنها مريضة زمجرَ في وجهها قائلاً: «امسحي أنفك واخوسي». غالباً ينام فوق السّرج الآن، مؤتمناً فحله على اتّباع أيّ طريقٍ زراعي أو درب فرائس يمضي فيه. إنه جواد حربي كبير، وأسرع كثيراً من غيره، ويُسمّيه كلب الصّيد سترينچر، وقد حاولت آريا أن تسرقه مرّةً بينما ذهب كليجاين ليبول على شجرة، مفكرةً أن بإمكانها الابتعاد قبل أن يلحق بها، لكن الحصان كاد يقضم وجهها. سترينچر وديع تماماً مع سيّده كأنه حصان مخصيٌّ عجوز، لكن بخلاف هذا فمزاجه أسود كلونه، ولم تعرف آريا قَط حصاناً يعضُّ أو يرفس بهذه السّرعة.

ركبا بمحاذاة النّهر ساعاتٍ طويلة، وخاضا في رافدين موحلين قبل أن يصلا إلى المكان الذي ذكره ساندور كليجاين. حين أقبلا عليها قال: «بلدة اللورد هاروواي»، ولمّا رآها صاح: «بحقّ الجحائم السّبع!». كانت البلدة غارقةً مقفرةً، وفاضت المياه حتى أغرقت ضفّتي النّهر، فلم يتبقّ من (هاروواي) إلّا الطّابق العلوي لخانٍ مبني بالملاط والأغصان المجدولة،

والقُبَّة السُّباعِيَّة لِسَيْتِ غَارِق، وثُلثا بُرْجِ حَجْرِيٍّ مُسْتَدِير، بِالإِضَافَةِ إِلَى سَقُوفٍ مِنَ الْقَشِّ يَلْتَهُمَا الْعَفْنُ، وَغَابَةٌ مِنَ الْمَدَاخِنِ.

لَكِنْ أَرِيَا رَأَتْ دُخَانًا يَخْرُجُ مِنَ الْبُرْجِ، وَأَسْفَلَ إِحْدَى النَّوَاذِ الْمَقْنَطَرَةِ رُبُطَ قَارِبٍ عَرِيضٍ مَسْطَحٍ الْقَاعِ بِسَلْسَلٍ مُحْكَمَةٍ. لِلْقَارِبِ دِسْتَةٌ مِنْ مَحَابِسِ الْمَجَادِيفِ وَرَأْسًا حِصَانِينَ كَبِيرِينَ مَنْحَوْتِينَ، نُبِتَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْمَقْدَمَةِ وَالثَّانِي عَلَى الْمُؤَخَّرَةِ. الْحِصَانُ ذُو الرَّأْسَيْنِ. فِي مَتْنِ سَطْحِ الْقَارِبِ تَسْتَقَرُّ قَمَرَةٌ خَشَبِيَّةٌ ذَاتُ سَقْفٍ مِنَ النَّجِيلِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا رِجَالَانُ عِنْدَمَا كَوَّرَ كَلْبَ الصَّيْدِ يَدِيهِ حَوْلَ فَمِهِ وَزَعَقَ، بَيْنَمَا بَرَزَ ثَالِثٌ مِنْ نَافِذَةِ فِي الْبُرْجِ الْمُسْتَدِيرِ حَامِلًا نُسَابِيَّةً مَلْقَمَةً، وَصَاحَ عِبْرَ الْمِيَاهِ الْبَيْتَةَ الْمَتَدَفِّقَةَ: «مَاذَا تُرِيدُ؟».

رَدَّ كَلْبُ الصَّيْدِ صَائِحًا: «اعْبُرُوا بِنَا».

تَشَاوَرَ الرَّجُلَانِ الْوَاقِفَانِ عَلَى مَتْنِ الْقَارِبِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ أَحَدُهُمَا، أَشْيَبُ مَتَغَضِّنٌ ذُو ذِرَاعَيْنِ مَفْتُولَتَيْنِ وَظَهْرٍ مَحْنِيٍّ، مِنَ الْحَاجِزِ قَائِلًا: «سَيَكْلِفُكَ هَذَا مَالًا».

- «سَادَفُوعُ إِذْنٌ».

تَسَاءَلَتْ أَرِيَا: بِمَاذَا؟ لَقَدْ أَخَذَ الْخَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ ذَهَبَ كَلِيجَايِنَ، لَكِنْ رُبَمَا تَرَكَ لَهُ الْلُورْدُ بَرِيكَ الْقَلِيلِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَنْ يَتَكَلَّفَ رُكُوبَ الْعِبَّارَةِ أَكْثَرَ مِنْ بَضْعِ قِطْعِ نُحَاسِيَّةٍ.

عَادَ الثَّوْتِيَّانِ يَتَكَلَّمَانِ، قَبْلَ أَنْ يَلْتَفِتَ ذُو الظَّهْرِ الْمَحْنِيٍّ وَيُصِيحُ بِشَيْءٍ مَا، فَخَرَجَ سَتَّةَ رِجَالٍ آخَرُونَ يَرْفَعُونَ الْقَلَنْسَوَاتِ لِتَقْيِيمِهِمْ مِنَ الْمَطْرِ، وَخَرَجَ عِدَدٌ أَكْبَرَ مِنْ نَافِذَةِ الْبُرْجِ وَوَثَبُوا إِلَى سَطْحِ الْقَارِبِ، نِصْفُهُمْ يُشْبِهُ ذَا الظَّهْرِ الْمَحْنِيٍّ، وَهُوَ مَا جَعَلَ أَرِيَا تُحَمِّنُ أَنَّهُمْ أَقَارِبُهُ. حَلَّ بَعْضُهُمُ السَّلَاسِلَ وَالتَّقَطَّوْا عِصِيًّا طَوِيلَةً، بَيْنَمَا أَنْزَلَ الْآخَرُونَ مَجَادِيفَ عَرِيضَةً ثَقِيلَةً مِنَ الْمَحَابِسِ، ثُمَّ دَارَتْ الْعِبَّارَةُ وَبَدَأَتْ تَنْزَلُ بِتَوَدَّةٍ صُوبَ الْمِيَاهِ الضَّحْلَةِ وَمَجَادِيفِهَا تَتَحَرَّكُ بِنِعْمَةٍ عَلَى الْجَانِبَيْنِ، وَبَدَأَ سَانْدُورُ كَلِيجَايِنِ يَنْزِلُ التَّلَّ لِيقَابِلِهَا.

ارْتَطَمَتِ مُؤَخَّرَةُ الْقَارِبِ بِجَانِبِ التَّلِّ، وَفَتَحَ الثَّوْتِيَّوْنَ بَابًا وَاسِعًا تَحْتَ رَأْسِ الْحِصَانِ الْمَنْحَوْتِ وَمَدُّوا لَوْحَ عُبُورٍ ثَقِيلًا مِنَ الْبَلُوطِ. تَوَقَّفَ سْتَرِينِچِرٌ عِنْدَ حَافَةِ الْمِيَاهِ رَافِضًا الْإِنْقِيَادَ، لَكِنْ كَلَبَ الصَّيْدِ هَمَزَهُ فِي خَاصِرَتِهِ وَحَثَّهُ عَلَى الْعُبُورِ إِلَى السَّطْحِ، حَيْثُ وَقَفَ ذُو الظَّهْرِ الْمَحْنِيٍّ مُنْتَظِرًا، وَسَأَلَ مَبْتَسِمًا: «هَلْ يَرُوقُكَ هَذَا الْبَلْبَلُ؟».

ارتعشَ فم كليجائين، وقال: «أريدُ قاربك لا خفةَ دمك»، وترجَّل وأنزلَ  
أرياً إلى جواره، ومدَّ أحدَ الرَّجَالِ يده إلى لجام الحصان الذي بدأ يرفُسُ،  
فقال له: «إياك»، ووثبَ الرَّجُلُ إلى الوراء وانزلقَ على السَّطْحِ البليلِ وسقطَ  
على مؤخَّرته لا عنأ.

غابت ابتسامَةُ النَّوتِي ذو الظَّهرِ المحني وهو يقول: «يُمكننا العبورُ بكم.  
سيُكلِّفك هذا قطعةَ ذهبيَّة، وأخرى للحصان، وأخرى للصَّبي».

أطلقَ كليجائين ضحكةً كالنَّبَاحِ قائلاً: «ثلاثةُ تنانين؟ ثلاثةُ تنانين تكفي  
لشراءِ قاربكم اللّعين».

- «العام الماضي ربما، لكن والنَّهرُ ثائرٌ هكذا سأحتاجُ إلى أيِّدٍ إضافيَّةٍ  
على العِصِيّ والمجاذيف كي لا يجرِّفنا التِّيَّارُ إلى البحرِ. لديك خياران، إمَّا أن  
تدفعَ ثلاثةَ تنانين وإمَّا أن تُعلِّمَ حصانَ الجحيمِ هذا كيف يمشي على الماء».  
- «أحبُّ اللُّصوصَ الشُّرفاءَ. ليكن إذن، ثلاثةُ تنانين... عندما تضعوننا  
آمنين على الضِّفَّةِ الشِّماليَّة».

مدَّ الرَّجُلُ يداً غليظةً خشنةً، وقال: «سأخذها الآن وإلَّا لن نذهب».  
هزَّ كليجائين سيفه الطَّويلَ لِيرخي النَّصلَ في الغمدِ مجيباً: «لديك أنت  
خياران، الذهبُ على الضِّفَّةِ الشِّماليَّةِ أو الفولاذُ على الجنوبيَّة».

رفعَ النَّوتِي عينيه إلى وجه كلب الصَّيد، وتبيَّنت أرياً أنه رأى ما لا يروقه.  
وراءه وقفتُ دستة من الرَّجالِ الأقوياءِ حاملين المجاذيف والعِصِيّ المصنوعة  
من الخشبِ الصُّلبِ، لكن أحداً منهم لم يتقدَّم ليُساعدَه، مع أن من المفترَضِ  
أن يستطيعوا التَّغلبُ معاً على ساندور كليجائين، حتى إذا قتلَ ثلاثةً أو أربعةً  
منهم قبل أن يُسبِّطوه. بعد لحظةٍ سأَلَ النَّوتِي: «كيف أعرفُ أنك صادق؟».

أرادت أن تصيح: ليس صادقاً، لكنها عضت شفتيها.

أجابَ كلب الصَّيد دون أن يتسم: «شرفُ الفُرسان».

فكرت: إنه ليس فارساً أصلاً، لكنها لم تقل هذا أيضاً.

قال النَّوتِي بحدَّة: «يكفيني هذا. هيا إذن، يُمكننا العبورُ بكم قبل حلولِ  
الظَّلامِ. اربطِ الحصانَ، فلا أريده أن يفرِّعَ ونحن في الطَّرِيقِ. هناك مستوقِّدٌ  
في القمرِ إذا أردت أن تتدقَّ أنت وابنك».



قالت آريا حانقة: «لست ابنة الأحمق!». كان قوله أسوأ من اعتقاده إياها صبيًا، وانتابها غضب شديد جعلها تُقبل على إخبارهم بهويّتها الحقيقية. لكن كليجاين جذبها من ياقة قميصها، وييد واحدة رفعها عن سطح المركب قائلاً: «كم مرّة عليّ أن أخبرك أن تخرسي؟»، ورَجَّها بعنف اصطكت له أسنانها، ثم تركها تسقط مردفاً: «ادخلي وجفني نفسك كما قال الرَّجُل». فعلت آريا كما قيل لها، ووجدت المستوقد الحديدي الكبير متقدماً بالأحمر ويملؤ القمرة بحرارة خانقة. سرّها أن تقف إلى جواره تُدفع يديها وتجف بعض الشيء، لكن بمجرد أن أحسّت بسطح القارب يتحرّك تحت قدميها خرجت من الباب الأمامي.

تحرّك الحصان ذو الرّأسين ببطء في المياه الموحلة شاقاً طريقه بحذرٍ وسط مداخن وسطوح (هاروواي) الغارقة، يتحكّم ذو الظهر المحني في الدفّة، ويكبح دسته من الرّجال على المجاذيف، بينما يستخدم أربعة آخرون العِصيّ الطويلة لدفع القارب بعيداً عن أيّ صخرة أو شجرة أو منزلٍ غارقٍ إذا دنوا أكثر من اللازم. ضربت قطرات المطر ألواح السطح الخشبيّة الملساء، وتناثرت على رأسيّ الحصانين المنحوتين في المقدمة والمؤخّرة، وعاد الماء يُغرق آريا لكنها لم تُبال وأرادت أن تُشاهد. رأت رامي النّشابيّة لا يزال واقفاً في نافذة البُرج المستدير، تُتابعها عيناه إذ مرّت العبّارة تحته، وتساءلت إن كان هو اللورد رووت الذي ذكره كلب الصّيد، وفكرت: لا يبدو كلورد. لكنها لا تبدو كليدي عن نفسها.

بمجرّد أن تجاوزوا البلدة وخرجوا إلى النّهر نفسه أضحى النّيار أقوى كثيراً، وخلال غشاوة المطر الرّماديّة تبيّنت آريا عموداً حجرياً طويلاً على الشاطئ البعيد، لا بُدّ أنه يرتفع من مرسى العبّارة، لكنها لم تكد تلمحه حتى أدركت أنهم يُدفعون بعيداً عنه في اتّجاه المصب. كان الرّجال يجذفون بقوة أكبر الآن، يُقاومون غضبة النّهر، ودارت أوراق الشّجر وفروعه المكسورة مارةً بهم بسرعةٍ بليغة كأنها أطلّقت من عرّادة، ومال حاملوا العِصيّ إلى الخارج دافعين أيّ شيءٍ يقترب منهم. الرّيح أشدُّ هنا أيضاً، وكلما التفتت تنظر في اتّجاه المنبع ضربها المطر في وجهها مباشرةً، بينما راح سترينجر يصرخ ويرفّس والسطح يتحرّك تحت أقدامه.

إذا وثبت من فوق الحاجز سيجرفني النَّهر قبل أن يُدرك قلب الصَّيد  
اختفائي حتى. نظرت من فوق كتفها فرأت ساندور كليجاين يُكافح لنهدئة  
حصانه المدعور، وفكرت أنها لن تجد فرصة أفضل للهروب منه أبداً. لكني  
قد أغرق. اعتادَ جون أن يقول لها إنها تسبح كالأسماك، لكن حتى الأسماك قد  
تجد صعوبة في السباحة في هذا النَّهر، وعلى الرغم من هذا فربما يكون الغرق  
أفضل من (كينجز لاندنج). فكرت في چوفري وانسلت مقتربة من مقدمة  
المركب، ونظرت إلى النَّهر الذي صبغهُ الطمي بالبني الغامق وجلدَ المطر  
صفحته، فصار يبدو أقرب إلى الحساء من الماء. تساءلت آريا إن كان بارداً  
جداً، وقالت لنفسها: لن أبتل أكثر مما أنا الآن، ثم وضعت يدها على الحاجز.  
لكن صيحة مباحة جعلتها تُدير رأسها بحدّة قبل أن تقفز. كان التوثيون  
يهرعون إلى المقدمة حاملين العصي، ومرّت لحظة دون أن تفهم آريا ما  
يجري. ثم إنها رأت الشجرة المجتّثة، داكنة ضخمة وتندفع نحوهم رأساً،  
تبرز جذورها وفروعها من الماء كمجسّات كراكن عظيم. كان التوثيون  
يُحاولون التراجع بالقرب بهياج ليتفادوا الاصطدام الذي من شأنه أن يقلب  
القارب أو يصنع فجوة كبيرة في بدنه. دور الأسيب الدقة ودار رأس الحصان  
عند المقدمة صوب المصب، وإنما ببطء شديد، وانقضت الشجرة عليهم  
ملتمة بالأسود والبني كأنها مدك.

لم تكن أبعد من عشرة أقدام من المقدمة عندما نجح اثنان من الملاحين  
بشكل ما في اعتراضها بعصاتين طويلتين، فانكسرت إحداهما مصدرة صوتاً  
عنيفاً كأن العبارة تتحطم تحت أقدامهم، لكن الثانية دفعت الشجرة بقوة  
تكفي لأن تنحرف عن طريقهم وتمرّ بهم على بُعد بوصاتٍ معدودة، تخدش  
فروعها رأس الحصان كالمخالب.

وفي اللحظة التي حسبوا فيها أنهم نجوا وجه إليهم أحد أطراف الوحش  
العليا ضربة قاسية، وارتعد القارب كله وانزلت آريا لتسقط على ركبها  
متألّمة، أمّا حامل العصا المكسورة فلم يكن محظوظاً مثلها، وسمعته يصيح  
وهو يسقط من فوق الحاجز وتنغلق عليه المياه البنية الثائرة ويختفي قبل أن  
تنهض آريا من جديد. اختطف أحد الملاحين الآخرين لفة من الحبال، لكن  
لم يعد هناك من يُلقِيها إليه.

قالت آريا لنفسها: ربما يجرفه التَّيَّارُ إلى مكان ما عند المصب، لكن الكلمات ترددت في ذهنها بوقع أجوف، وفقدت كلَّ رغبةٍ في السَّباحة. زعقَ ساندور كليجاين فيها أن تعود إلى القمرة قبل أن يضربها حتى يُدميها، فذهبت صاغرةً، بينما كافح رجال العبَّارة لإعادتها إلى مسارها، مقاومين نهراً لا يروم شيئاً كأن يكتسحهم إلى البحر.

بلغوا الشاطئَ أخيراً على بُعد ميلين كاملين من المرسى المعتاد، وارتطم القارب بالصفَّةِ بعنفٍ بالغ كسرَ عصاً أخرى، وكادت آريا تسقط مجدداً. رفعها ساندور كليجاين إلى متن سترينچر كأنها لا تزنُ أكثر من دُمية، وحدَّجهم التُّوتيون بنظراتٍ بليدةٍ متعجبة، كلهم باستثناء ذي الظهر المحني الذي مَدَّ يده قائلاً: «ستةُ تنانين، ثلاثة مقابل العبور وثلاثة مقابل الرَّجل الذي فقدته».

نقَّب كليجاين في جرابه ثم دَسَّ ورقةً مجعَّدةً من الرَّقوق في كَفِّ الرَّجل، وقال: «هاك، خُذ عشرةً».

قال الرَّجل بارتباك: «عشرة؟ ما هذا؟».

أجابَ كلب الصَّيد: «إيصال رجل ميت بقيمة تسعة آلاف تنين أو نحوها»، وامتطى حصانه وراء آريا، ورسمَ على شفثيه ابتسامةً بغیضةً متابعاً: «عشرة منها لك. سأعودُ لآخذ البقيَّة ذات يوم، فلا تُنفقها».

ضيقَ التُّوتي عينية رامقاً الورقة، وقال: «كتابة. بِمَ تنفعني الكتابة؟ لقد وعدتني بالذهب، وقلت إنه شرفُ الفُرسان».

- «الفُرسان لا شرف لهم. آنَ أو ان أن تتعلَّم هذا أيها العجوز»، وهمزَ كلب الصَّيد سترينچر وهوولُ به في المطر، على حين رماهم التُّوتيون بالشَّتائم وألقاهم واحد أو اثنان منهم بالحجارة، لكن كليجاين تجاهلَ هذه وتلك، ولم يمض وقت طويل قبل أن يغيبوا في عتمة الأشجار ويتضاءل هدير النَّهر وراءهم. قال لها: «لن يعبرَ القارب ثانيةً قبل الصُّباح، ولن يأخذ هؤلاء وعوداً من ورقٍ من مجموعة الحمقى التَّالية التي تَطْلُب الرُّكوب. إذا كان أصدقاؤك يُطاردوننا فعليهم أن يكونوا سبَّاحين في غاية المهارة».

حنت آريا رأسها منكمشةً على نفسها ولم تنبس بكلمة، وبكآيةٍ فكَّرت: قالار مورجولس. السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي،

دانسن، پوليفر، راف المعسول، السير جريجور والمُدغغ، و كلب الصَّيد، و كلب الصَّيد، و كلب الصَّيد.

حين توقَّف المطر وانجابت السُّحب أخيراً كانت آريا ترتجف وتعطس بقوة جعلت كليجاين يكتفي بهذا القدر من الحركة الليلة، بل وحاول أن يُشعل ناراً أيضاً، لكن الحطب الذي جمعه كان مبتلاً للغاية، ولا شيء فعله أفلح في جعل الشَّرارة تتمسك به. في النِّهاية ركل الكومة غاضباً، وقال: «بحقِّ الجحائم السَّبعة اللعينة، كم أكره النَّار!».

جلسا على صخرة رطبة تحت شجرة سنديان مصغيين إلى الماء يَقْطُر ببطء من الأوراق فيما يأكلان عشاءً بارداً من الحُبز الجامد والجُبنة العفنة والشُّجق المدخَّن. قطع كلب الصَّيد اللحم بخنجره، وزرَّ عينيه لمَّا رأى آريا ترْمقه، وقال: «إياك أن تُفكِّرِي مجرد تفكيرٍ في هذا».

قالت كاذبةً: «لم أكن أفكِّرُ في شيء».

أطلق نخيراً يُعبِّر عن رأيه في قولها، لكنه ناولها شريحة سميكة من الشُّجق نهشتها آريا بأسنانها دون أن تُفارقه عيناها، فقال لها: «لم أضرب أختك قط، لكنني سأضربك إذا أجبرتني. كُفِّي عن التَّفكير في طرائق لقتلي، فلن ينفعل أيُّ منها بشيء».

لم تردِّ، ولا كت اللحم راقمةً إياه ببرود، وقالت لنفسها: بصلاية الحجر.

- «على الأقل تنظرين إلى وجهي أيتها الذئبة الصَّغيرة. هل يُعجبك؟».

- «لا. إنه محروق وقيح».

ناولها قطعة من الجُبنة على رأس خنجره قائلاً: «أنتِ حمقاء صغيرة. بِم سيفيدك الهرب؟ سيوقع بك أحد أسوأ لا أكثر».

قالت بعناد: «لا، وليس هناك من هو أسوأ منك».

- «إنك لم تعرفي أخي. ذات مرَّة قتل جريجور رجلاً لأنه يغطُّ في نومه، واحداً من رجاله». عندما يتسم يشتدُّ جانب وجهه المحروق لاويًا فمه بشكلٍ غريب كرية، الجانب الذي بلا شفيتين أو أذن.

بعد تفكيرٍ وجدَّت أن الجبل قد يكون أسوأ من أخيه حقاً، وقالت: «لقد عرفتُ أخاك، هو ودانسن وپوليفر وراف المعسول والمُدغغ».

بَدَتْ عليه الدَّهْشَةُ، وسألها: «وكيف عرَفَتْ ابنة نَدِ ستارك الصَّغِيرَةَ الغَالِيَةَ أمثال هؤُلاءِ؟ جريجور لا يجلب جردانه المدلَّة إلى البلاط أبداً».

أكلت الجُبنة ومدَّت يدها تقطع من الخُبز الجامد، ثم أجابت: «أعرفهم من القرية، القرية المطلة على البحيرة حيث قبضوا عليّ مع جندري وهوت باي، وقبضوا على لومي أخضر اليدين أيضاً، لكن راف المعسول قتله لأن ساقه أصيبت».

ارتعش فم كليجايين، وقال: «قبضوا عليك؟ أخي قبضَ عليك؟»، وأطلق ضحكة قبيحة كأنها قعقعة ممتزجة بالزَّمجرة، ثم أردف: «جريجور لم يعرف ما لديه قط، أليس كذلك؟ لا يُمكن أنه عرف، وإلا لكان جرَّك صارخة راكلة إلى (كينجز لاندنج) وألقاك في حجر سرسي. أوه، كم هذا رائع! سأحرص على أن أخبره بهذا قبل أن أنتزع قلبه من صدره».

لم تكن أول مرّة يتكلّم فيها عن قتل أخيه، فقالت بارتياب: «لكنه أخوك». ضحك ثانية، وقال: «ألم يكن لك أخ أردت قتله من قبل؟ أو أخت؟». لا بُدَّ أنه رأى شيئاً ما على وجهها لحظتها، إذ مال نحوها مواصلاً: «سانزا، أليس كذلك؟ الذئبة الصَّغيرة تُريد أن تقتل الطائر الجميل».

ردت آريا بحدّة: «كلا، أريد أن أقتلك أنت».

- «لأنني فلقتُ صديقك الصَّغير إلى نصفين؟ لقد قتلتُ أكثر منه بكثير، أو كُذِّ لك، وتحسبين أن هذا يجعلني وحشاً. حسن، قد يكون هذا صحيحاً، لكنني أنقذت حياة أختك أيضاً. يوم جرَّها الغوغاء من فوق حصانها شققتُ طريقتي وسطهم تقطيعاً وعدتُ بها إلى القلعة، وإلا لكان مصيرها كلوليس ستوكورث. كما أنها غنّت لي. لم تعلمي هذا، أليس كذلك؟ أختك غنّت لي أغنية جميلة».

قالت في الحال: «أنت كاذب».

- «لست تعرفين نصف ما تعتقدين أنك تعرفينه. (النَّهر الأسود)؟ أين تحسبنا بحق الجحائم السبعة؟ إلى أين تحسبنا سندهب؟».

جعلتها السُّخرية في نبرته تتردّد قبل أن تقول: «(كينجز لاندنج)، ستأخذني إلى چوفري والملكة»، لكنها أدركت فجأة أن ذلك غير صحيح لمجرد الطريقة التي تكلم بها، وإن كان عليها أن تقول شيئاً ما، أيّ شيء.

بصوتٍ خشنٍ قاسٍ كالحديد قال: «يا لك من ذئبةٍ حقماءٍ عمياء! فليحترق  
 چوفري في الجحيم، فليحترق الملكة في الجحيم، وليحترق المسخ الصَّغير  
 الذي تُسمِّيهِ أخواها في الجحيم. لقد فرغتُ من مدينتهم وحرَّسهم الملكي وآل  
 لانستر كلَّهم. قولي لي، ماذا يفعل الكلب مع الأسود؟»، والتقط قربة الماء  
 وجرعَ منها طويلاً، ثم مسحَ فمه وناولها إياها متابعاً: «النَّهر كان (الثالوث)  
 يا فتاة، (الثالوث) وليس (النَّهر الأسود). تخيَّلي الخريطة في عقلك إذا  
 استطعتِ. غداً سنبُلعُ (طريق الملوك)، وبعدها لن نستغرق وقتاً طويلاً حتى  
 نصل إلي (التوأمتين). أنا من سيُسلمك إلى أمك وليس سيّد البرق النَّبيل أو  
 راهب اللهب المحتال، ذلك الوحش»، وابتسمَ لمرأى النَّظرة على وجهها،  
 وواصلَ: «أتصوِّرين أن أصدقاءك الخارجين عن القانون فقط من يتشمَّمون  
 رائحة الفدية؟ دوناريون أخذَ ذهبي فأخذتكِ. إنكِ تستحقِّين ضعف ما  
 سرقوه مني، وربما أكثر إذا بعتكِ لآل لانستر كما تخشين، لكنني لن أفعل.  
 حتى الكلاب تتعب من ركل سادتها إياها طيلة الوقت. إذا كان ذلك الذئب  
 الصَّغير بالذكاء الذي وهبته الآلهة لضفدعة، فسيجعل مني لوردًا ويتوسَّل إليَّ  
 لكي أنضمَّ إلى خدمته. إنه يحتاج إليَّ مع أنه لا يعرف هذا بعد، وربما أقتل  
 جريجور من أجله أيضًا، سيروقه هذا».

ردَّت محتدَّةً: «لن يقبلك أبداً، ليس أنت».

- «إذن سأخذُ كلَّ ما أستطيعُ أن أحمله من ذهبٍ وأضحكُ في وجهه  
 ثم أرحلُ. إذا لم يقبلني فمن الحكمة أن يقتلني، لكنه لن يفعل. إنه ابن أبيه  
 حقاً حسبما سمعتُ. ليكن، في الحاليتين أنا الرَّابح، وأنتِ كذلك أيتها الذئبة،  
 فكُفِّي عن الزَّوم والزَّمجرة لأنني سئمتُ تماماً. أطبقي فاهكِ وافعلي كما أقولُ  
 لك ولربما نصل في الوقت المناسب لحضور زفاف خالكِ اللعين».

## چون

كانت الفرس منهكةً تمامًا، لكن چون لا يستطيع أن يُمهّلها فرصةً للراحة، فلا بُدَّ أن يبلُغ (الجدار) قبل الماجتر. كان لينام على متنها لو أن هناك سرجًا، أمّا في غيابها فامتطاؤها وهو صعب بما فيه الكفاية. آلمته سبّاقه الجريحة أكثر وأكثر، إذ لم يجرؤ على التوقف ليستريح فترةً تُتيح لها أن تلتئم، وبدلاً من هذا عادَّ الجرح ينفِتق كلما ركبَ الفرس.

حين صعدَ إلى قمة مرتفع ورأى (طريق الملوك) البني المحفّر يمضي شمالاً وسط التلال والشهول، ربّت على عنق الفرس قائلاً: «ما علينا الآن إلا أن نتبع الطريق يا فتاة، وقریباً نصل إلى (الجدار)». وقتها كانت ساقه قد تيبّست تمامًا كالخشب، وأصابته الحمى برعونة جعلته يجد نفسه راكباً في الاتجاه الخاطئ مرّتين.

قريباً نصل إلى (الجدار). تخيّل أصدقاءه يشربون النبيذ المتبل في القاعة العامة، وهوب مع قدوره، ودونال نوي في ورشته، والمايستر إيمون في مسكنه أسفل المغدفة. وماذا عن الدّب العجوز؟ وسام وجرن وإد الكئيّب ودايوين بأسنانه الخشبيّة... ما بيده حيلة سوى أن يُصلي أن يكونوا قد نجوا مما جرى فوق (القبضة).

احتلت إيجريت جزءاً كبيراً من أفكاره أيضاً، وتذكّر رائحة شعرها ودفء جسدها... والنظرة على وجهها عندما شقّت حلق العجوز. في أعماقه همس صوت قائلاً: أخطأت حين أحببتها، ورَدّ صوت آخر بإصرار: أخطأت حين تركتها. تساءل إن كان أبوه قد شعر بهذا التمزّق لَمَّا ترك أمّه ليعود إلى اللبدي كاتلين، وفكّر: لقد تعهدّ بنفسه للبدي ستارك، كما تعهدتُ بنفسي لخرس الليل.

كأَد يَمُرُّ من (بلدة المناجذ) دون أن يدري، وقد أعمته الحُمَّى الشديدة عن مكانه. معظم القرية متوارٍ تحت الأرض، وفوقها ليس هناك إلا مجموعة صغيرة من الأكواخ البادية في ضوء المُحاق الخافت، والماخور مجرد سقيفة صغيرة لا تتجاوز المرحاض حجمًا، يتأرجح مصباحه الأحمر في الرِّيح كعينٍ محتقنة بالدماء تُحدِّق من قلب الظلام. ترَجَلِ چون عند الاسطبل المجاور بحركة خرقاء كادت تُسقطه عن ظهر الفرس، وصاح في صبيَّين أن يستيقظا، ثم أمرهما بلهجة لم تدع مجالاً للنقاش: «أريدُ حصانًا جديدًا بسرِّج ولجام»، فأحضرا له ما طلبه بالإضافة إلى قربة نبيذ ونصف رغيفٍ من الخُبز الأسمر. قال لهما: «أيقظا القرية وحذرا الأهالي. هناك هَمَج جنوب (الجدار). اجمعوا أغراضكم واذهبوا إلى (القلعة السوداء)»، ثم سحب نفسه سحْبًا إلى متن الحصان المخصيِّ الأسود الذي أعطياه إياه، وضغط على أسنانه من فرط الألم في ساقه، واستأنف طريقه إلى الشَّمال بكلِّ قوَّته.

بدأت التُّجوم تخبو في سماء الشَّرْق، ولاخ (الجدار) أمامه شامخًا فوق الأشجار وغشاوة الصُّبح، وقد التَمَع نور القمر الباهت على الجليد. حَتَّ الحصان على الاستمرار متبِّعًا الطريق الموصل الزَّلْتِي إلى أن رأى أبراج (القلعة السوداء) الحجرية وقاعاتها الخشبية رابضة كاللعب المكسورة تحت الجُرف الجليدي الهائل، وعندئذ كان (الجدار) يتوهَّج بالوردي والبرتقالي في أول خيوط الفجر.

لم يسأله حُرَّاس عن هويَّته إذ مرَّ بالمباني الخارجيّة، ولم يتقدّم أحد ليعترض طريقه، وبدت (القلعة السوداء) كالحُطام كما بدت (الحارس الرَّمادي). من صدوع الحجر في السّاحات تنمو حشائش بيّنة هشة، وتُغطّي الثُّلوج القديمة سقف (ثكنات فلينت) وتتكوّم على جانب (بُرج هاردين)، حيث اعتادَ چون أن ينام قبل أن يُصبح وكيل الدُّب العجوز، بينما لوّث السّناج الأسود (بُرج القائد) حيث تدفّق الدُّخان من التّوافذ. كان مورمونت قد انتقل إلى (بُرج الملك) عقب الحريق، لكن چون لم يُبصر ضوءًا هناك كذلك، ومن مكانه على الأرض لم يستطع أن يرى إن كان هناك حُرَّاسًا يجوبون قَمّة (الجدار) على ارتفاع سبعمئة قدم، كما لم يرَ أحدًا على السّلال المتعرّجة الضّخمة المثبّثة إلى وجه الجليد الجنوبي كأنها لسان برقي خشبيّ عملاق.



على أنه شاهدٌ دُخانًا يتصاعد من مدخنة مستودع السلاح، مجرد خيطٍ رفيع يكاد لا يرى تحت سماء الشمال الرمادية، لكنه يكفي. ترجل چون وعمد إلى المستودع حاجلاً، وأحسّ بالدَّفء يتدفق من الباب المفتوح كأنفاس الصَّيف الحارّة. في الدّاخل كان دونالد نوي ذو الذراع الواحدة يعمل على الكير بالقرب من النَّار، ولمّا سمع الصَّوت رفعَ نظريه، وقال: «چون سنو؟».

- «لا أحد غيره». على الرغم من الحُمى والإعياء وساقه والماجنر والعجوز وإيجريت ومانس، على الرغم من كلِّ هذا ابتسم چون شاعراً بالسُّرور لأنه عادَ ويرى نوي ببطنه الكبير وكُمه المشمور والجُدامة السَّوداء المشعثة حول فمه.

تخلّى الحدّاد عن الكير قائلاً: «وجهك...».

قال چون الذي كاد ينسى جرح وجهه: «مبدّل جِلدَة حاول أن يفقأ عيني». قطب نوي جبينه، وقال: «نديبًا أو أملس، إنه وجه لم أتصوّر أني سأراه ثانية. سمعنا أنك انشقت إلى مانس رايدر».

أمسك چون الباب ليقف ثابتًا، وسأله: «من أخبركم بهذا؟».

- «چارمان بكويل. لقد عادَ منذ أسبوعين. كشافته يزعمون أنهم رأوك بأعينهم راکبًا مع طابور الهمج وترتدي معطفًا من جلد الخراف»، ورمقه نوي مضيفًا: «أرى أن الجزء الأخير صحيح».

قال چون: «كلُّ ما قيل صحيح على حدِّ علمكم».

- «هل عليّ أن ألتقط سيفًا وأبقر بطنك إذن؟».

- «لا. كنتُ أتصرفُ وفق أوامري، أوامر كورين ذي النِّصف يد الأخيرة. نوي، أين الحامية؟».

- «تدافع عن (الجدار) ضد أصدقائك الهمج».

- «نعم، لكن أين؟».

- «في كلِّ مكان. هارما رأس الكلب شوهدت على مقرية من قلعة الغابة) عند البركة، وذو القميص المُخشخش عند (الرَّابِية الطَّويلة)، والبكاء بالقرب من (باب الجليد). إنهم في كلِّ مكانٍ بطول (الجدار)... هنا وهناك، يتسلقون قُرب (بوابة الملكة)، يُحاولون تحطيم بوابة (الحارس الرمادي)،

يحشدون أرتالهم ضد (القلعة الشرقيّة)... لكن فور أن يلمحوا معطفًا أسود يفرّون، وفي اليوم التالي نجدهم في مكانٍ آخر». ابتلع چون أئينًا، وقال: «تمويه. مانس يُريدنا أن نتشر في كلِّ مكان، ألا تفهم؟». وباون مارش لبّي له رغبته. «البوابة هنا، الهجوم هنا». قطع نوي المكان نحوه قائلاً: «ساقك غارقة في الدّم». نظرَ چون إلى أسفل بفتورٍ فرأى أن جرحه انفتقَ من جديد، وقال: «سهم...».

قال نوي: «سهم همجي»، ولم يكن سؤالًا. صحيحٌ أن له ذراعًا واحدةً لكنها مفتولة العضلات، وقد وضعها تحت ذراع چون ليسنده متابعًا: «إنك شاحب كالحليب، وحرارتك حارقة أيضًا. سأخذك إلى إيمون». - «لا وقت. هناك همج جنوب (الجدار)، قادمون من (بُرج الملكة) ليفتحوا البوابة».

سارَ نوي بچون إلى الباب شبه حامل إياه، وسأله: «كم؟». - «مئة وعشرون، وحسنو التّسليح بالنّسبة للهمج؛ برونز ودروع والقليل من الفولاذ. كم رجلًا لدينا هنا؟».

قال دونال نوي: «ما يربو على الأربعين بقليل، العجزة والمرضى وبعض الصّبية الخضر الذين لم يتنه تدريبهم». - «إذا كان مارش قد رحل، فمن سمّي أمينًا للقلعة؟».

ضحك الحدّاد، وأجاب: «السير ويتون حفظته الآلهة، بما أنه الفارس الأخير في القلعة وما إلى ذلك. المشكلة أن ستاوت يبدو كأنه نسيّ، ولا أحد هنا يُعاجل بتذكيره. أعتقدُ أنني أقرب شيءٍ إلى القائد الآن، ألعن العجزة على الإطلاق».

هذا على الأقل خير. الحدّاد ذو الذّراع الواحدة صُلب الرّأس وقويّ وعركته الحرب، ومن ناحيةٍ أخرى فالسير ويتون ستاوت... نعم، لقد كان رجلًا صالحًا ذات يوم كما يتفق الجميع، لكنه جوّال منذ ثمانين عامًا كاملةً، وتخلّت عنه قوّته وعقله قبل سنوات. في مرّةٍ غاب في التّوم وهو يتناول عشاءً وكاد يغرق في وعاءٍ من حساء البازلاء. سأله نوي وهما يقطعان السّاحة: «أين ذئبك؟».

- «جوست. اضطررتُ لأن أتركه عندما تسلَّقتُ (الجدار)، وأملتُ أن يعود إلى هنا».

قال الحدَّاد: «أسفٌ يا فتى، لكننا لم نرَه»، وصعدا معًا عارجين إلى باب المايستر في المسكن الخشبي الطويل تحت المِغْدفة، وركله نوي صائحًا: «كلايداس!».

بعد لحظةٍ طَلَّ رجلٌ قصيرٌ بظَهْرٍ محنيٍ وكتفينٍ مستديرتين يرتدي الأسود برأسه، وشخصٌ ببصره إلى چونٍ مذهولًا، قبل أن يقول: «مدد الصبي وسأحضر المايستر».

كانت النَّارُ مشتعلَةً في المستوقد، وكادت حرارة العُرْفَةِ تكون خانقةً، وأصابَ الدَّفءُ چونَ بالنُّعاس. بمجرد أن مدَّه نوي على ظهْره برفق أسبلَ جفنيه ليكفَّ العالم عن الدَّوران، وسمعَ الغدْفانِ تعبٌ متذمَّرَةٌ في المِغْدفة فوقهم ويقول أحدها: «سنو، سنو، سنو، سنو!»، فتذكَّر أن سام كان يُعلِّمها اسمه. هل رجِعَ سامويل تارلي بأمانٍ أم الطيور فحسب؟

لم يتأخَّر المايستر إيمون، وجاءَ ماشيًا بخطواتٍ وثيدة حذرة وهو يُسندُ يده المبقعة إلى ذراع كلايداس، وحول عنقه سلسلته الثَّقيلة التي يلتصق فيها الذهب والفضَّة وسط حلقاتٍ أخرى من الحديد والرَّصاص والصَّفِيح وغيرها من المعادن الأقل قيمةً. قال المايستر: «چون سنو، يجب أن تُخبرني بكلِّ شيءٍ رأيته وفعَلته عندما تصير أقوى. دونالد، ضِعْ قَدْرًا من التَّيْبِد على النَّار، وأدواتي الحديد أيضًا. أريدها ملتهبةً تمامًا. كلايداس، أريدُ سكينك الحاد». تجاوزَ المايستر المئة من العُمُر، كما أنه ضئيلٌ وهشٌّ وأصلعٌ ومكفوفٌ، لكن إذا كانت عيناه البيضاوان كالحليب لا تريان شيئًا، فإن عقله لا يزال محتفظًا بكامل يقظته.

- «الهمج قادمون»، قال چون بينما مرَّ كلايداس نصله على ساق سراويله قطعًا القماش الأسود الثَّقيل الذي تجمَّد عليه الدَّم القديم وبلَّه الدَّم الجديد. «من الجنوب. لقد تسلَّقنا (الجدار)...».

تشمَّم المايستر إيمون ضَمَادَةَ چون البدائيَّة عندما أزالها كلايداس، وقال: «تسلَّقتُم؟».

- «كنْتُ معهم. كورين ذو النَّصْف يد أمرني بالانضمام إليهم»، وتقلَّصت

ملاحح چون إذ تحسّس إصبع المايستر جرحه واكرًا إياه، ثم تابع «ماجنر (ثن)... آآآآه! هذا مؤلم!»، وكبس أسنانه متسائلًا: «أين الذب العجوز؟».

- «چون... يُحزِنني أن أخبرك، لكن حضرة القائد مورمونت اغتيل في (قلعة كراستر) بأيدي إخوته».

- «إخ... رجالنا؟!». أَلَمته كلمات إيمون أكثر من أصابعه مئة مرّة، وتذكّر چون الذب العجوز كما رآه آخر مرّة، واقفًا أمام مدخل خيمته وعلى ذراعه عُدافه ينعق طالبًا الذرة. مورمونت مات؟ لقد خشي هذا منذ رأى آثار المعركة على قمّة (القبضة)، لكن الضربة هوت عليه عيفة رغم ذلك. «مَن فعلها؟ مَن انقلب عليه؟».

أجابّه دونالد نوي: «جارث ابن (البلدة القديمة)، أولو الأبر، ديرك... لصوص وجُبناء وقتلة كلهم. كان علينا أن نتوقّع هذا. حرس الليل لم يعودوا كما كانوا قديمًا، وليس بيننا إلا بضعة رجال صالحين يكبحون جماح الأوغاد»، ودور سكين المايستر فوق الثار متابعًا: «دسته من الرجال المخلصين عادت؛ إد الكتيب والعملاق وصديقك الثور. سمعنا الحكاية منهم».

دسته فقط؟ متان غادروا (القلعة السوداء) مع اللورد مورمونت، متان من أفضل الحرس. «أيعني هذا أن مارش القائد الآن؟». الرّمانة العجوز رجل دود ووكيل أول مُجدّد، لكنه لا يصلح البتّة لمواجهة جيش من الهمج.

قال المايستر إيمون: «في الوقت الحالي حتى نعقد أنتخابًا. كلايداس، أعطني الدورق».

انتخاب. بموت كورين ذي النصف يد والسير چارمي ريكو واختفاء بن ستارك، فمن المتبقي؟ ليس باون مارش أو السير ويتون ستاوت بالتأكيد. هل نجا ثورين سمولود أو السير أوتين ويذرز من مذبحه (القبضة)؟ لا، سيكون إمّا كوتر پايك وإمّا السير دينس مالايستر، لكن مَن منهما؟ قائدا (برج الظلال) و(القلعة الشرفيّة) رجلان صالحان، إلا أنّهما مختلفان تمامًا، فالسير دينس دمّ وحذر وشديد الشجاعة على الرغم من سنّه المتقدّمة، وپايك أصغر سنًا ونغل المولد وحاد اللسان ومخلص لأقصى الحدود. الأسوأ من هذا أن كلا من الرّجلين يزدرى الثاني، ولطالما أبقاها الذب العجوز متباعدين على طرفي (الجدار). يعلم چون أن آل مالايستر يرتابون في حديديّ الميلاد حتى النخاع.

ذَكَرْتَهُ طَعْنَةً مِنَ الْأَلَمِ بِهِمُومَهُ هُوَ، وَاعْتَصَرَ الْمَيْسِرَ يَدُهُ قَائِلًا: «سَيَجْلِبُ كَلَيْدَاسَ حَلِيبِ الْخَشْخَاشِ».

حَاوَلَ چُونُ أَنْ يَنْهَضَ، وَقَالَ: «لَسْتُ أَحْتَاجُ إِلَيْ...».

قَاطَعَهُ إِيْمُونُ بِحَسَمٍ: «بَلْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّكَ سَتَتَّأَلِمُ».

قَطَعَ دُونَالُ نَوِي الْعُرْفَةَ وَدَفَعَ چُونُ لِيَسْتَلْقِي عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَقَالَ أَمْرًا: «أَبْتِ وَإِلَّا قَيْدَتِكَ فِي مَكَانِكَ». حَتَّى بَذَرَاعٍ وَاحِدَةً تَعَامَلُ مَعَهُ الْحَدَّادُ كَأَنَّهُ طِفْلٌ.

عَادَ كَلَيْدَسُ حَامِلًا دُورِقًا أَخْضَرَ وَكُوبًا حَجْرِيًّا مُسْتَدِيرًا مَلَأَهُ الْمَيْسِرَ إِيْمُونُ حَتَّى الْحَافَةِ، ثُمَّ قَالَ: «أَشْرَبْ».

كَانَ چُونُ قَدْ عَضَّ شَفْتَهُ مِنَ الْأَلَمِ، وَتَذَوَّقَ الدَّمَ مَمْتَزِّجًا بِالمَشْرُوبِ الثَّخِينِ ذِي الطَّعْمِ الطَّبَاشِيرِيِّ، وَبَدَلَ قِصَارَى جَهْدِهِ كِي لَا يَتَقَيَّأَهُ كُلَّهُ.

أَحْضَرَ كَلَيْدَاسُ طَسْتًا مِنَ الْمَاءِ الدَّفَافِ، وَغَسَلَ الْمَيْسِرَ جَرَحَ چُونُ مِنَ الدَّمَاءِ وَالصَّدِيدِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ رَفَقِهِ جَعَلَتْهُ أَخْفَ لِمَسِّهِ يُرِيدُ أَنْ يَصْرُخَ. تَكَلَّمَ لِيَشْغَلَ عَقْلَهُ عَنِ سَاقِهِ، فَقَالَ: «رِجَالُ الْمَاجِرِ مَنْظُمُونَ، وَمُدْرَعُونَ بِالْبُرُونِ».

قَالَ نَوِي: «الْمَاجِرُ لُورْدُ فِي (سَكَاجُوسِ). كَانَ هُنَاكَ سَكَاجُوسِيُونُ فِي (الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ) فِي بَدَايَةِ مَجِيئِي إِلَى (الْحِدَارِ)، وَأَذْكَرُ أَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ عَنْهُ».

رَدَّ الْمَيْسِرَ إِيْمُونُ: «أَعْتَقْدُ أَنَّ چُونُ يَسْتَعْمِدُ الْكَلِمَةَ بِمَعْنَاهَا الْقَدِيمِ، لَيْسَ كَاسِمٌ عَائِلَةٌ بَلْ كَلِقَبٌ. إِنَّهَا كَلِمَةٌ مِنَ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ».

قَالَ چُونُ: «تَعْنِي اللُّورْدُ. سَتِيرُ مَاجِرَ مَكَانٍ مَا اسْمُهُ (ثِنْ) فِي أَقْصَى شِمَالِ (أَنْبِيَابِ الصَّقِيْعِ). إِنْ مَعَهُ مِئَةٌ مِنْ رِجَالِهِ، وَعَشْرِيْنًا مِنَ الْهَجَّانَةِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ (الْهَدْيَةَ) كَمَا نَعْرِفُهَا. لَكِنْ مَا نَسِ لَمْ يَعِثُرْ عَلَى الْبُوقِ، وَهَذَا جَيِّدٌ، بُوقُ الشِّتَاءِ. إِنَّهُ مَا كَانَ يُنْقَبُ عَنْهُ بِطُولِ (النَّهْرِ اللَّبْنِيِّ)».

تَوَقَّفَ الْمَيْسِرَ إِيْمُونُ وَالْحِرْقَةُ الْمَبْتَلَّةُ فِي يَدِهِ قَائِلًا: «بُوقُ الشِّتَاءِ أَسْطُورَةٌ قَدِيمَةٌ. هَلْ يَعْتَقِدُ مَلِكٌ مَا وَرَاءَ الْحِدَارِ أَنَّ شَيْئًا كَهَذَا لَهُ وَجُودٌ حَقِيقِي؟».

- «كُلُّهُمْ يَعْتَقِدُونَ هَذَا. إِيجَرِيْتُ قَالَتْ إِنَّهُمْ فَتَحُوا مِئَةَ قَبْرِ... قُبُورِ مَلُوكِ وَأَبْطَالِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ وَادِي (النَّهْرِ اللَّبْنِيِّ)، لَكِنْهُمْ لَمْ...».

سأله دونال نوي مباشرةً: «مَنْ إيجريت؟».

- «امرأة من شعب الأحرار». كيف يشرح لهم مَنْ هي إيجريت؟ إنها دافئة وذكية وطريفة، ويُمكنها أن تُقبَّل الرَّجُل أو تشقَّ حلقه. «إنها مع ستير، لكنها ليست... إنها صغيرة، مجرد فتاة في الحقيقة، ضارية، لكنها...». قَلَّتْ عجزواً لأنه أشعل ناراً. أحسَّ بلسانه ثقيلًا موعجًا وقد بدأ حليب الخشخاش يُعَيِّم عقله. «لقد حنثُ بقسمي معها. لم أنو هذا قط، لكني...». لقد أخطأت، أخطأت بحُبِّها وأخطأت بتركها... «لم أكن قوياً كفايةً. ذو النصف يد أمرني بأن أركب معهم وأراقب ولا أترجع، و...». بتر عبارته وهو يحسُّ كأن رأسه محشوٌّ بالصوف المبتل.

تشتمُّ المايستر إيمون جرحه ثانيةً، ثم وضع الخرقة الدَّامية في الطَّست قائلاً: «دونال، السكِّين السَّاخن إذا سمحت. وأريدك أن تُثبِّته».

قال لنفسه لمَّا رأى النِّصل الممتدِّ بالأحمر: لن أصرخ، لكنه حنثَ بهذا القسم أيضًا. ثبَّته دونال نوي في مكانه بينما ساعدَ كلايداس على إرشاد يد المايستر، ولم يتحرَّك چون إلا ليدقَّ الطاولة بقبضته مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً. كان الألم هائلًا واحتواه مُشعرًا إياه بالضَّالة والوهن والعجز كطفل ينتحب في الظَّلام، وأغمَّت رائحة اللحم المحروق أنفه وتردَّدت أصدقاء صرخته في أذنيه. إيجريت. إيجريت، كنتُ مضطربًا. مرَّت لحظة شعر خلالها بالألم المُضني يبدأ في الانحسار، لكن الحديد مسَّه من جديدٍ وغاب عن الوعي.

عندما انفتحَ جفناه مرتجفين وجدَّ نفسه مغطى بالصُّوف السَّميك وأحسَّ كأن جسده يسبح في الهواء. لم يستطع أن يتحرَّك، لكنه لم يهتمَّ وراح يتخيَّل أن إيجريت معه، تُعنى به بيدين رقيقتين، وأخيرًا أغلقَ عينيه ونام.

لم يكن استيقاظه في المرَّة التَّالية بالرَّفق نفسه. كانت العُرْفة مظلمةً، لكن تحت الأغطية عادَ الألم ينبض في ساقه مستحيلًا إلى خنجر ساخن مع أقلِّ حركة، وأدركَ چون هذا بالطَّريقة الصَّعبة حينما حاول أن يرى إن كان لا يزال محتفظًا بساقه. ابتلع صرخته لاهثًا وكوَّر قبضته.

- «چون؟». ظهرت شمعة ووجه مألوف للغاية بأذنين كبيرتين ينظر إليه.

«لا يجدر بك أن تتحرَّك».

- «بيپ؟». مدّ چون يده، والتقطها الصّبي الآخر واعتصرها. «حسبتك ذهبت...».

- «مع الرّمانة العجوز؟ لا. إنه يظنّني صغيرًا أخضر. جرن هنا أيضًا». خطا جرن إلى جانب الفراش الآخر قائلاً: «أنا هنا أيضًا. غبت في النوم». كان حلق چون جافًا تمامًا، فتمتم لاهثًا: «ماء»، فأحضر جرن كوبًا ممتلئًا رفعه إلى شفّيته، وبعد جرعةٍ طويلةٍ قال: «لقد رأيتُ (القبضة)، الدّماء والخيل الميته... نوي قال إن دستة من الرّجال عادت... من؟».

- «دايوين عاد، والعملاق وإد الكئيب ودونل هيل المرّح وأولمر وليو الأعرس وجارث جرايفيدر، وأربعة أو خمسة آخرون، وأنا». - «وسام؟».

أشاح جرن برأسه، وقال: «لقد قتل واحدًا من (الآخرين) يا چون، رأيتُه بنفسي. طعنه بخنجر زجاج التّنين الذي صنّعه له وبدأنا ندعوه بسام القاتل، لكنه كره الاسم».

سام القاتل. لا يتخيّل چون أحدًا أقلّ من سام تارلي يصلح مُحاربًا. «ماذا حدث له؟».

بنبرة بائسة أجاب جرن: «تركناه. هزّزته وصرختُ فيه، بل وصفّته كذلك، وحاول العملاق أن يجرّه ليقف، لكنه كان ثقيلًا جدًّا. هل تذكّر أيام التّدريب عندما كان يتكوّر على نفسه على الأرض ويتحب؟ في (قلعة كراستر) لم يفعل هذا حتى. ديرك وأولو كانا يُمرّقان الجُدران بحثًا عن طعام، وجارث وجارث يتشاجران، والآخرون كان بعضهم يغتصب زوجات كراستر. قال إد الكئيب إن مجموعة أولو ستقتل المخلصين جميعًا ليمنعونا من حكي ما فعلوه، وكانوا يفوقونا عددًا مرّتين. تركنا سام مع الدّب العجوز. لقد رفض تمامًا أن يتحرّك يا چون».

كاد يقول: كنتم إخوته، فكيف أمكنكم أن تتركوه وسط الهَمج والقتلة؟ قال بيپ: «ربما ما زال حيًّا. قد يُفاجئنا جميعًا ونجده عائدًا غدًا». وأضاف جرن محاولًا أن يكون مرّحًا: «نعم، برأس مانس رايدر. سام القاتل!».

حاولَ چون أن يجلس ثانيةً، وهذه المرّة أيضًا كانت محاولته خطأً، وصرخَ  
لاعتنا.

قال پيپ: «جرن، اذهب وأحضِر المايستر إيمون. قُل له إن چون يحتاج  
إلى المزيد من حليب الخشخاش.»  
فكّر چون: نعم، وقال: «لا. الماجنر...».

قاطعَه پيپ: «نعرف. نَبَّهنا الحُرَّاس فوق (الجدار) أن يضعوا عينًا على  
الجنوب، وبعثَ دونالد نوي عددًا من الرِّجال إلى (أخدود ويذرباك) ليُرَاقبوا  
(طريق الملوك)، وأرسلَ المايستر إيمون طيورًا إلى (القلعة الشرقيّة) و(بُرج  
الظلال) أيضًا.»

اقترَبَ المايستر إيمون من الفراش واضعًا يده على كتف جرن، وقال:  
«ترفّق بنفسك يا چون. جيّد أنك أفقت، لكن عليك أن تمنح نفسك وقتًا  
لِتُشفى. لقد أغرقنا الجرح بالتيّذ المغلي، وأغلقتنا بعصاوية من القُرَّاص  
وبذور الخردل وعفن الخُبز، لكن ما لم تسترح...».

قال چون مقاومًا الألم ليعتدل جالسًا: «لا أستطيع. مانس سيصل قريبًا...  
آلاف الرِّجال، عمالقة، ماموثات... هل أرسلتم خبرًا إلى (ويتترفل)؟ إلى  
الملك؟». انهمرَ العرق على جبينه فأغلق عينيه وهلّةً.  
رمقَ جرن پيپ بنظرة غريبة قائلاً: «إنه لا يعرف.»

قال المايستر إيمون: «چون، أشياء كثيرة جدًّا حدثت في غيابك، وقليل  
منها خير. بالون جرايچوي توج نفسه ثانيةً وأرسلَ سفنه الطويلة ضد الشّمال.  
الملوك ينبثقون كالحشائش في كلِّ مكان، وأرسلنا إليهم نناشدهم جميعًا،  
لكن أحدًا منهم لم يأت. سيوفهم مشغولة بأمور تهّمهم أكثر، ونحن بعيدون  
جدًّا ومنسّيون. (ويتترفل)... چون، كُن قويًا... (ويتترفل) راحت...».

حملقَ چون إلى وجه إيمون المتغصّن وعينيه البيضاوين، وقال: «راحت؟  
لكن أخوَي في (ويتترفل)، بران وريكون...».

مَسَّ المايستر جبينه قائلاً: «أنا آسف حقًّا يا چون. أخواك ماتا بأمر من  
ثيون جرايچوي بعد أن استولى على (ويتترفل) باسم أبيه، وحين هدّد حملة  
راية أليك باستعادة القلعة أضرمَ فيها النار.»



قال جرن: «لكن ابن بولتون نأّر لأخويك، قتلَ الحديديين جميعًا، ويُقال إنه يسلخ جلد ثيون جرايچوي بوصةً بوصةً نمنًا لما فعله».

وقال پيپ معتصرًا كتفه: «أنا آسف يا چون، كلنا آسفون».

لم يُحبّب چون ثيون جرايچوي قط، لكنه كان ريبب أبيهم. مرقت نوبة أخرى من الألم في ساقه، وعندما شعرَ بنفسه ثانيةً كان ممددًا على ظهره، وبإصرار قال: «هناك خطأ ما. عند (تاج الملكة) رأيتُ ذئبًا رهيبًا، ذئبًا رهيبًا رماديًا... رماديًا... لقد تعرّفني». إذا مات بران، فهل من الممكن أن جزءًا منه ظلّ حيًّا في ذئبه كأورل ونسره؟

رفع جرن كوبًا إلى شفّيته قائلاً: «اشرب هذا»، وشرب چون، وزخر عقله بصور الذئاب والنسور وصوت ضحكات أخويه، وبدأت الوجوه المطلة عليه تتشوش وتغيب. لا يُمكن أن يكونا قد ماتا. ليس بإمكان ثيون أن يفعل ذلك أبدًا، و(وينترفل)... الجرانيت الرمادي والسنديان والحديد، الغربان تدور حول البروج، البخار يتصاعد من البرك الساخنة في أيكة الآلهة، الملوك الحجريّون مستوون على عروشهم... كيف تضيع (وينترفل)؟

حين استحوذت عليه الأحلام وجدّ نفسه في داره من جديد، يسبح في البرك الساخنة تحت شجرة ويروود بيضاء ضخمة لها وجه أبيه. كانت إيجريت معه، تضحك منه، تتجرّد من ثيابها إلى أن باتت عاريةً كيوم مولدها، تُحاول أن تُقلّبه، لكنه لم يستطع بينما يراه أبوه. إنه من دم (وينترفل) ورجل في حرس الليل، وقال لها: لن أنجب نغلاً، لن أفعل، لن أفعل، فهمست: «لست تعلم شيئًا يا چون سنو»، وذاب جلدُها في المياه الساخنة وانسلخ لحمها عن عظمها حتى لم يبقَ منها إلا هيكل عظمي وجمجمة، وفازت البركة بالأحمر القاني.

## كاتلين

سمعوا (الفرع الأخضر) قبل أن يروه، يتردد هديره بلا انقطاع كزمجرة وحشٍ عظيم. كان النَّهرُ وابلًا يغلي، أوسع مرَّةً ونِصفًا مما كان قبل عام، عندما قسمَ رُوب جيشه ها هنا وتعهد بأن يتخذ إحدى بنات فراي زوجةً ثمنًا للعبور. أفعمت قلب كاتلين الهواجس وهي تُشاهد المياه الخضراء القاتمة تتدفق في دوَّامات، وقالت لنفسها: كان يحتاج إلى اللورد والدر وجسه آنذاك، والآن يحتاج إليهما أكثر. لا سبيل لخوض هذا النَّهر أو السَّباحة فيه، وقد يمرُّ قمر كامل قبل أن تنحسر المياه ثانيةً.

اعتمر رُوب تاجه إذ اقتربوا من (التَّوأمَين) واستدعى كاتلين وإدميور ليركبا إلى جواره، وقد حمل السير راينالد وسترينج رايته، ذئب ستارك الرَّهيب على خلفيَّة من الجلد النَّاصع.

برز بُرجا مبنى البوابة من عتمة المطر كشبحين ضبابيين ظلًّا يكتسبان صلابةً أكثر كلما دنوا. مقل عائلة فراي ليس قلعةً واحدةً وإنما قلعتان، صورتا مرآةً متماثلتان من الحجارة المبتلَّة تفان متواجهتين على طرفي الماء، ويربط بينهما جسر مقنطر كبير يرتفع من منتصفه (بُرج المياه) الذي يجري النَّهر سريعًا مستقيمًا أسفله، وقد شقَّت قنوات في الضفَّتَين مكوَّنة خنادق تجعل من كلِّ توأمةٍ جزيرةً، وملأت الأمطار هذه الخنادق محيلةً إياها إلى بحيراتٍ ضحلة.

عبر المياه المضطربة رأت كاتلين عدَّة آلاف من الرِّجال المخيَّمين حول القلعة الشَّرقيَّة، تتدلى راياتهم كالقِطط الغارقة من الرِّماح المغروسة في الأرض عند الخيام، وإن جعل المطر تمييز الألوان والرُّموز مستحيلًا، وبداله أن أغلبها رمادي، مع أن العالم أجمع يبدو رماديًا تحت هذه السَّماء.

قالت لابنها منبّهة: «توخّ الحذر يا روب. اللورد والدر مفرط الحساسية ولا ذع الكلام، ولا شكّ أن بعض أبنائه يتشابهون في هذا مع أبيهم. يجب ألاّ تسمح لأحدهم بأن يستفزّك».

- «إنني أعرفُ آل فراي يا أمّاه، وأعرفُ كم أخطأتُ في حقّهم وكم احتاجُ إليهم. سأكون دمثًا كالسبتونات».

اعتدلت كاتلين في جلستها المتعبّة على ظهر الفرس، وقالت: «إذا قدّم لنا طعام أو شراب عندما نصل، فيإياك أن ترفُض. خذ ما يُعرِض عليك وكُل واشرب على مرأى من الجميع. وإذا لم يُقدّموا شيئًا فاطلب خبزًا وجبنة وكوبًا من النبيذ».

- «إنني أعاني البلبل أكثر من الجوع...».

- «روب، أنصت إليّ. بمجرد أن تأكل عيشه وملحه ستتمتّع بحقّ الصّيف، وستحميك قوانين الصّيافة تحت سقفه».

بدا على روب أنه وجدّ الكلام طريفًا أكثر من مخيف، وقال: «إن معي جيشًا يحميني يا أمّاه، ولستُ احتاجُ إلى الوثوق بالعيش والملح. لكن إذا أسعد اللورد والدر أن يُقدّم لي غرابًا مسلوفاً محشواً بالبرقات، فسأكله وأطلبُ طبقًا ثانيًا».

خرج أربعة من أبناء فراي راكبين من مبنى البوّابة الغربي، متدثّرين بمعاطف ثقيلة من الصّوف الرّمادي، وتعرّفت كاتلين السير رايمان ابن الرّاحل السير ستقرون الذي كان ولد اللورد والدر البكري. بموت أبيه أصبح السير رايمان وريث (التوّأمتين)، وتحت قلنسوته كان الوجه الذي رأته كاتلين لحيمًا عريضًا بليدًا، أمّا الثلاثة الذين معه فهم غالبًا أبنائه، أي أحفاد ابن اللورد والدر.

أكد إدميور تخمينها قائلاً: «إدوين هو الأخ الأكبر، الرّجل الطّويل النّاحل الذي يبدو مصابًا بالإمساك. والملتحي مفتول العضلات هو والدر الأسود، وهو شخص لعين حقًا. وبيتر هو من يركب الحصان الكستنائي، الفتى ذو الوجه المؤسف، بيتر ذو الدّمامل كما يُسمّيه إخوته. إنه يكبرُ روب بعام أو اثنين لا أكثر، لكن اللورد والدر زوّجه وهو في العاشرة امرأة أكبر منه ثلاث مرّات. بحقّ الآلهة، أمل أن روزلين لا تُشبهه!».

توقّفوا ليأتيهم مُضيفوهم، وقد تدلّت راية روب مرتخيةً على ساريتها،

وامتزج صوت الأمطار المنهمرة الثَّابت بخير (الفرع الأخضر) الذي يتدفَّق فائضًا إلى يمينهم. تقدَّم جراي ويند بذيل منتصب، يُراقب بعينين مشقوقتين من الذهب الدَّاكن، وحين صارَ أبناءَ فرايِّ على بُعدِ نصفِ دسِّته من الiardات سمعته كاتلين يزوم، يُصدرُ قعقعةً عميقةً تكاد تتطابق مع هدير النَّهر، وبدا روب منزعجًا وهو يصيح: «جراي ويند، إليَّ، إليَّ!».

لكن بدلًا من هذا وثب الذئب الرَّهيب إلى الأمام مزمجراً.

نكصت فرس السير رايمان بصهيل مفزوع، ورفع حصان بيتر ذي الدِّمامل قائمته الأماميتين وأوقعه، بينما استطاع والدر الأسود وحده التَّحكُّم في حصانه ومدَّ يده إلى مقبض سيفه. صاحَ روب: «لا! جراي ويند، هنا، هنا!»، وهمزت كاتلين فرسها لتضعها بين الذئب الرَّهيب والأحصنة الأخرى، وتناثر الوحل من حوافر الفرس إذا عترضت طريق جراي ويند، لكن الذئب انحرف، وعندها فقط بدا أنه سمع نداء روب.

صاح والدر الأسود الذي جرَّد فولاده: «أهكذا يُقدِّم آل ستارك على التَّراضي؟ تحية رديئة أن تُطلِّق ذئبك علينا. ألهذا أتيت؟».

ترجَّل السير رايمان ليُساعد بيتر ذا الدِّمامل على التَّهوض، وقد تلطَّخ الصَّبي بالوحل وإن لم يُصبه أذى، على حين قال روب: «أتيتُ لأعذر عمَّا اقترفته في حقِّ عائلتكم وأشهد زفاف خالي»، ووثب من فوق سرجه مردفًا: «بيتر، خذ حصاني. حصانك يكاد يبلغ الاسطبل».

رمق بيتر أباه قائلاً: «يُمكنني أن أركب وراء أحد أخوي».

لم يتحرَّك أيُّ من أبناء فراي لينحني أمام روب، وأعلن السير رايمان: «تأخَّرتم».

قال روب: «المطر أخرنا. لقد أرسلت طائرًا».

- «لست أرى المرأة».

كان جليًّا للجميع أن بـ«المرأة» يعني السير رايمان چاين وسترلينج. رسمت كاتلين على وجهها ابتسامة اعتذار قائلة: «الملكة چاين متعبة من طول السَّفر أيها السَّادة. لا ريب أن زيارتك ستسعدنا عندما تستقرُّ الأوضاع».

دسَّ والدر الأسود سيفه في غمده، وإن لم تَلِن لهجته ذرَّةً وهو يقول: «سيستاء جدِّي. لقد حكيتُ له الكثير عن الليدي، وأراد أن يتطلَّع إليها بعينه».

تنحج إدوين وقال لروب بدمائة حذرة: «جهّزنا لك سكناً في (برج المياه) يا جلالة الملك، وللورد تلي والليدي ستارك أيضاً، ونرّحّب بنزول اللوردات حملة رايتك تحت سقفنا ومشاركتهن في مأدبة الزفاف».

سأل روب: «ورجالي؟».

- «السيد جدي يؤسفّه أنه لا يستطيع أن يطعم أو يؤوي جيشنا بهذا العدد، خصوصاً أننا وفّرنا الطعام والعلف لجنودنا ودوابهم بصعوبة شديدة، لكننا لن نهمّل رجالك. إذا عبروا وأقاموا معسكرهم إلى جوار معسكرنا، فسُخّر لهم ما يكفي من براميل التبيد والمزر ليشربوا في صحّة اللورد إدميور وعروسه. لقد نصبنا ثلاثة سُرادات ضخمة على الضفة الأخرى لتؤفّر لهم ملاذاً من المطر».

- «هذا لطف بالغ من السيد جدك. سيمتّن له رجالي بعد طريقتهم الطويل المبتل».

تقدّم إدميور بحصانه متسائلاً: «متى ألتقي خطيبتي؟».

قال إدوين فراي: «إنها في انتظارك في الدّاخل. أعرف أنك ستسامحها إذا بدت خجلانة. المسكينة انتظرت هذا اليوم بلهفة. هلاً أكملنا كلامنا بعيداً عن المطر؟».

- «بالتأكيد»، قال السير رايمان وعادَ يمتطي فرسه، وسحبَ بيتر ذا الدّمامل ليركب وراءه مضيئاً: «تفضّلوا باتّباعي، أبي ينتظركم»، وأدارَ رأس الفرس صوب (التّوأمتين).

لحقَ إدميور بكاتلين، وقال بتبرّم: «كان على اللورد فراي المتلكّي أن يستقبلنا بنفسه. إنني اللورد وليّ أمره بالإضافة إلى عريس ابنته، وروب مليكه».

قالت: «عندما تُصبح في الحادية والتّسعين ستري قدر رغبتك في الخروج في المطر يا أخي»، وعلى الرغم من هذا تساءلت إن كان هذا كلّ ما هنالك. عادةً يتنقل اللورد والدر على حمالة مغطاة كانت كفيلةً بحمايته من أغلب المطر. أهي إهانة متعمّدة؟ إذا كانت كذلك فقد تكون الأولى من كثيرات.

واجهوا المزيد من المتاعب عند مبنى البوّابة، إذ توقّف جراي ويند فجأةً في منتصف الجسر المتحرّك ونفضّ الماء من فروه وراح يعوي للشبكة

الحديدية، فصفّر روب وقال بصبر شارفَ على التَّفاد: «جراي ويند، ما الأمر؟ جراي ويند، معي»، لكن الذئب الرَّهيب كَشَّر عن أنيابه، وقالت كاتلين في سريرتها: إنه لا يُحِبُّ هذا المكان. اضطرَّ روب لأن يُقرِّفص ويُكَلِّم الذئب برفق حتى وافقَ على المرور من تحت الشَّبكة، وعندئذٍ كان لوثار الأعرج ووالدر ريفرُز قد وصلا من الدَّاخِل، وقال الثَّاني: «إنه متخوِّفٌ من صوت المياه. الحيوانات تعلم أن عليها تحاشي الأنهار في أثناء الفيضان».

قال لوثار بمرح: «وجار جاف وساق ضأنٍ سيُعيداه إلى صوابه. هل استدعي قِيَم الكلاب؟».

أجابَه روب: «إنه ذئب رهيب لا كلب، وخطر على مَنْ لا يثق بهم. سير راينالد، ابقَ معه. لن أدخل به قاعة اللورد والدر هكذا».

فكَّرت كاتلين: أحسنت. هكذا تُبعد ابن وسترلينج عن نظر اللورد والدر أيضًا.

أكل النَّقرس وهشاشة العظام على اللورد والدر العجوز وشربا. وجدوه جالسًا على مقعده العالي وتحتَه وسادة وعلى حِجره معطف من فرو القاقوم<sup>(1)</sup>. الكرسي من البلوط الأسود، ظهره منقوش على صورة بُرجين كبيرين يربط بينهما جسر مقنطر، وحجمه ضخَم جدًّا، لدرجة أنه احتوى العجوز، كأنه طفل عجيب الشَّكل. في ملامح اللورد والدر شيء من العُقَاب وأكثر من ابن عرس، يبرُز رأسه الأصلع المبقَّع من الهَرَم من بين كتفين هزيلتين على رقبة متورِّدة طويلة، ويتدلَّى الجِلد المتهدِّل تحت ذقنه المتضائل، وتبدو عيناه غائمتين دامتتين، ويتحرَّك فمه الأهمم باستمرارٍ ممتصًّا الهواء الفارغ كما يمصُّ الرُّضيع ثدي أمه.

وقفت الليدي فراي الثامنة إلى جوار مقعد اللورد والدر العالي، وعند قدميه جلست نسخة أصغر قليلًا منه، رجل نحيل أحذب في الخمسين من العُمَر يرتدي ثيابًا فاخرةً من الصُّوف الأزرق والساتان الرَّمادي، بالإضافة إلى تاجٍ وطوقٍ غريبيين مزيَّنين بأجراس من النُّحاس الأصفر. التَّشابه بين الاثنين

(1) القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيَّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة على الرغم من لُطف وجمال شكله. (المترجم).

مدهش، باستثناء الأعيُن، فعينا اللورد فراي صغيرتان منطفئتان ونظراتهما شكّاقة، وعينا الرّجل الآخر كبيرتان وديعتان ونظراتهما خاوية. تذكّرت كاتلين أن أحد أبناء اللورد والدر أنجبَ ولدًا معتوهاً منذ زمن طويل، وخلال الزيارات السّابقة تعمّد اللورد والدر أن يُخفيه عن الأنظار دائماً. هل يرتدي تاج المهرجّين دائماً أم أن هذه سخرية من روب؟ سؤال لا تجرؤ على إلقائه. ازدحمت بقيّة القاعة بأبناء فراي وبناته وأولاده وأحفاده وأزواجهم وزوجاتهم والخدم، لكن العجوز هو من تكلم قائلاً: «أعرفُ أنك ستعذّرني إذا لم أركع. ساقاي لم تعودا كما كانتا، وإن كان ما بينهما لا يزال يعمل بكفاءة، هه»، وانشقت شفّتها كاشفتين عن فمه الخالي من الأسنان وهو يرمق تاج روب مواصلاً: «قد يقول البعض إن الملك الذي يعتمر البرونز فقير يا صاحب الجلالة».

ردّ روب: «البرونز والحديد أقوى من الذهب والفضّة. ملوك الشّناء القُدّامي كانوا يرتدون تيجاناً مشابهاً».

- «ولم ينفعم هذا في شيءٍ حين جاء الثّنائين، هه». بدا أن هذه الـ«هه» سرّت المعتوه، الذي حرّك رأسه من جانب إلى جانب لترنّ أجراس تاجه وطوقه، فقال اللورد والدر: «أرجو أن تُسامح حفيدي إجون على هذه الضّوضاء يا مولاي. إن عقله أصغر من عقول ساكني المستنقعات، كما أنه لم يلتق ملكاً من قبل. إنه أحد أبناء ستشرون، نُسّمِيه ذا الجلاجل».

قال روب: «السير ستشرون ذكره يا سيّدي»، وابتسم للمعتوه قائلاً: «سررتُ بلفائك يا إجون. أبوك كان رجلاً شجاعاً».

جلجلت أجراس ذي الجلاجل، وابتسم لتسيل نُسالة رفيعة من اللُّعاب من جانب فمه.

- «ادّخر أنفاسك الملكيّة. إذا كلّمته فكأنك تُكلّم وعاء فضلات»، ونقل اللورد والدر ناظريه إلى الآخرين، وقال: «أرى أنك رجعت إلينا يا ليدي كاتلين، والسير إدميور الشّاب أيضاً، الظّافر في معركة (الطّاحونة الحجريّة). اللورد تلي الآن، عليّ أن أتذكّر هذا. إنك خامس لورد تلي عرفته، لكنني ظللتُ حيّاً بعد موت الأربعة الذين قبلك، هه. عروسك في مكانٍ ما هنا. اعتقدُ أنك تُريد أن تراها».

- «نعم يا سيّدي».

- «ستراها إذن، وإنما بثيابها. إنها فتاة محتشمة، وعذراء. لن تراها عاريةً قبل الإضجاع»، وقهقهة اللورد والدر مضيئاً: «هه، قريباً، قريباً»، ودار برأسه قائلاً: «بنفري، اذهب واجلب أختك، وأسرع. لقد قطع اللورد تلي مسافةً طويلةً من (ريقرن)»، فحنى فارس شاب يرتدي معطفاً منقوشاً بالمربّعات رأسه وذهب، بينما عادَ العجوز يلتفت إلى روب، وقال: «وأين عروسك يا جلالة الملك؟ الملكة چاين الجميلة؟ قيل لي إنها من آل وسترلينج أولاد (الجُرف)، هه».

- «تركتها في (ريقرن) يا سيّدي. إنها متعبة ولا تحتمل مزيداً من السّفر كما قلنا للسّير رايمان».

- «هذا محزن للغاية. أردتُ أن أراها بعينيّ الواهنتين، كلُّنا أردنا أن نراها، هه، أليس كذلك يا سيّدي؟».

بدت الليدي فراي الشّاحبة شديدة النّحول مندهشةً من توجيه الكلام إليها، وقالت: «نعم يا سيّدي. كلُّنا أردنا أن نُقدّم فروض الطّاعة للملكة چاين. لا بُدَّ أنها حسناء جدّاً».

- «إنها بارعة الحُسن يا سيّدي»، قال روب بثباتٍ جليدي ذكّر كاتلين بأبيه.

إمّا أن العجوز لم يسمع وإمّا أنه لم يُعرِ الكلام اهتماماً، إذ قال: «لا بُدَّ أنها أجمل من بناتي، هه؟ وإلاّ لما كان وجهها وقدّها جعلاً صاحب الجلالة ينسى يمينه المغلظة».

تلقّى روب التّوبيخ بوقار، وقال: «أعرفُ أن لا كلام يُمكنه تصحيح هذا، لكنني جنّت لأقدم اعتذاراتي عن الخطأ الذي ارتكبته في حقّ عائلتك وأتوسّل مغفرتك يا سيّدي».

- «اعتذاراتك، هه. نعم، أذكرُ أنك تعهّدت بالاعتذار. إنني عجوز، لكنني لا أنسى تلك الأشياء، على عكس بعض الملوك على ما يبدو. الصّغار لا يتذكّرون شيئاً حين يرون وجهاً جميلاً ونهدين بضّين، أليس كذلك؟ كنتُ هكذا، وقد يقول البعض إنني ما زلتُ، هه هه، لكنهم مخطئون، مخطئون مثلما أخطأت أنت، والآن جنّت لتتصالح. لكنك نبذت فتياتي وليس أنا، وربما



عليك أن تتوسَّل المغفرة منهن يا جلالة الملك، فتياي العذراوات. هلمَّ، ألقِ نظرةً عليهن»، وأشارَ العجوز بأصابعه فتحركت زُمرة من الإناث من أماكنهن عند الجدران ليصطففن أمام المنصَّة، وبدأ ذو الجلاجل ينهض أيضًا وأجراسه ترنُّ بمرح، لكن الليدي فراي شدَّته من كُمه ودفعته ليجلس في مكانه.

قال اللورد والدر مقدِّمًا فتاةً في الرَّابِعة عشرة: «ابنتي أروين»، ثم تابع: «شيرى، أصغر فتياي الشرعيَّات. أمي وماريان حفيدتاي. زوَّجتُ أمي السير پايت ابن (الجداول السَّبِعة)، لكن الجبل قتلَ المأفون فاستعدتها. هذه سرسي، لكننا ندعوها بالنَّحلة الصَّغيرة. أمُّها من عائلة بيزبوري. المزيد من الحفيدات، إحداهن والدا، والأخريات... لا بُدَّ أن لهن أسماءً أيًّا كانت...». قالت إحدى الفتيات: «أنا ميرى يا جدِّي».

- «أنت مزعجة، هذا مؤكَّد. إلى جوار المزعجة ابنتي تايتا، ثم والدا أخرى، وآلكس، وماريسا... هل أنت ماريسا؟ كما حسبتُ. إنها ليست صلعاء هكذا دائمًا. المايستر حلقَ شعرها لكنه يُؤكِّد أنه سينبت ثانيةً قريبًا. التَّوأمتان اسمهما سيرا وسارا»، وضيَّق عينيه ناظرًا إلى إحدى الصَّغيرات وسألها: «هه، أأنتِ والدا أخرى؟».

انحنت الفتاة التي لا تتجاوز الرَّابِعة، وأجابَت: «أنا والدا ابنة السير إيمون ريفرز يا جدِّي الكبير».

- «منذ متى وأنتِ تتكلِّمين؟ ليس كأن لديك شيئًا معقولًا تقولينه، على شاكلة أبيك الذي كان نغلاً أيضًا، هه. اذهبي، لا أريدُ إلاَّ أولاد فراي هنا. الملك في الشَّمال لا يهتمُّ بذريَّة النُّغول»، ورمقَ اللورد والدر روب بينما هزَّ ذو الجلاجل رأسه ورَنَّ أجراسه، وقال: «ها هن، كلهن عذراوات، أو أن واحدةً منهن أرملة، لكن البعض يفضِّلهن مفتوحات. كان بإمكانك أن تتزوَّج أيًّا منهن».

قال روب بكياسةٍ حذرة: «لكان الاختيار مستحيلًا يا سيِّدي، فكلهن جميلات».

أطلقَ اللورد والدر نخيرًا ساحرًا، ورَدَّد: «ويقولون إن نظري أنا ضعيف! بعضهن يصلُحن على ما أعتقدُ، أمَّا الأخريات... لا فرق، فلم يكنَّ صالحات كفايةً للملك في الشَّمال. والآن ماذا لديك لتقوله؟».

بداروب مرتبكا للغاية، لكنه كان يعلم أن هذه اللحظة ستأتي، وقد واجهها بلا إحجام قائلاً: «سيّداتي، على البشر جميعاً أن يصونوا كلمتهم، سيّما الملوك. لقد تعهدتُ بأن أتزوِّج إحدائكم ونقضتُ هذا العهد، لكن الخطأ ليس خطأكم، وما فعلته لم يكن لإهانتكم بل لأنني أحببتُ أخرى. أعرفُ أن لا كلام من شأنه إصلاح هذا، لكنني جئتُ أمثلُ أمامكم ناشداً الصّفح من أجل أن تتجدّد أواصر الصّدّاقة بين آل فراي سادة (المعبر) وآل ستارك أولاد (ويترفل)».

تململت الصّغيرات بتوتّر، على حين انتظرت أخواتهن الأكبر أن يتكلّم اللورد والدر الجالس على عرشه البلوطي الأسود، وهزّ ذو الجلاجل نفسه إلى الأمام والخلف ليتواصل رنين الأجراس في تاجه وطوقه.

قال سيّد (المعبر): «عظيم، عظيم جدّاً يا جلالة الملك. لا كلام من شأنه إصلاح هذا، هه. أحسنت القول، أحسنت القول. أملُ أنك لن ترفض الرّقص مع فتياتي في احتفال الزّفاف. سيّسعّد هذا قلب رجل عجوز مثلي، هه»، وحرك رأسه المتورّد المتغصّن إلى أعلى وأسفل كما يفعل حفيده المعتوه، وإن افتقر إلى الأجراس، وقال مشيراً: «وها هي ذي أيها اللورد إدميور، ابنتي روزلين، أعلى زهوري الصّغيرة على الإطلاق، هه».

قاد السير بنفري الفتاة إلى القاعة. جعل التّشابّه الكبير بين الاثنين كونهما شقيقتين واضحاً، وقدّرت كاتلين من سنّهما أنهما ولدا الليدي فراي السّادسة، التي كانت من عائلة روزبي حسبما تذكّر.

تبدو روزلين صغيرة الحجم بالنّسبة لسنّها، ولها بشرة بيضاء ناصعة كأنها خرجت لتوّها من حمّام من الحليب، ويبدو وجهها مليحاً بذقن صغير وأنفٍ رقيق وعينين بيّتين واسعتين، بينما ينسدل شعرها الكستنائي الغزير في تموجاتٍ مسترسلة إلى خصر صغير للغاية، حتى إن إدميور يستطيع أن يطوّقه بيديه، وتحت صدر فستانها الأزرق الفاتح يبدو ثدياها صغيرين وإنما هيّان. جثت الفتاة على ركبتيها قائلة: «جلالة الملك. لورد إدميور، أتمنى أني لم أحيبُ أملك».

على الإطلاق، فكّرت كاتلين وقد تهلّلت أسارير أخيها لمرأى الفتاة، وقال: «إنك مسرّة في نظري يا سيّدتي، وأعلمُ أنك ستكونين دوماً».

بين اثنتين من أسنان روزلين الأمامية فجوة صغيرة تجعلها تستحيي من كثرة الابتسام، لكن هذا العيب يكاد يكون محببًا. جميلة كفاية، لكن صغيرة الحجم جدًّا، ومن ذرية روزبي. لم يكن آل روزبي متبني الأجساد قُط، وفضّلت كاتلين بنية بعض الفتيات الأخريات الأكبر سنًّا في القاعة، سواء أكنّ بنات فراي أو حفيداته، لا تدري بالضبط. تبدو على وجوههن ملامح كراكهول، وقد كانت زوجة اللورد والدر الثالثة من تلك العائلة. أوراك عريضة لحمل الأطفال، وأنداء كبيرة لإرضاعهم، وأدرع قوية لحملهم. لطالما كان أولاد عائلة كراكهول كبير العظام وأقوياء.

قالت الليدي روزلين لإدميور: «سيّدي لطيف».

ردّ إدميور: «وسيّدي جميلة»، والتقط يدها وأنهضها متسائلًا: «لكن لماذا تبكين؟».

- «فرحًا، أبكي فرحًا يا سيّدي».

قاطعهما اللورد والدر: «كفى. يُمكنكما أن تبكيا وتتهامسا بعد عقد قرانكما، هه. بنفري، خُذ أختك إلى عُرفتها، فأمامها زفاف عليها أن تستعدّ له، وإضجاع أيضًا، هه، أفضل جزء، للجميع، للجميع»، وتحركّ فمه إلى الدّاخل والخارج مضيّفًا: «ستكون هناك موسيقى، موسيقى جميلة جدًّا، ونيذ، هه، نيذ أحمر سيتدفّق، وسُنصّح بعض الأخطاء. لكنكم متعبون الآن، ومبتلون أيضًا، تُغرِقون أرضيّتي بالماء. في انتظاركم نار ونيذ متبّل ساخن وأحواض استحمام إذا أردتم. لوثار، اصحب ضيوفنا إلى عُرفهم».

قال روب: «عليّ أن أشرف على عبور رجالي التّهر يا سيّدي».

ردّ اللورد والدر متذمّرًا: «لن يضلوا الطريق. لقد عبروه من قبل، أليس كذلك؟ عندما جئت من الشّمال وأردت أن تُعبّر وسمحتُ لك دون أن أقول «ربما»، هه. لكن كما تشاء، قد كلّ رجلٍ منهم من يده بنفسك إذا أردت، فلا أهتمّ».

رفعت كاتلين التي كادت تنسى صوتها قائلةً: «سيّدي! نرجو أن تُقدّم لنا القليل من الطّعام. لقد قطعنا فراسخ طويلة في المطر».

حرّك والدر فراي فمه إلى الدّاخل والخارج، وقال: «طعام، هه. رغيف من الحُبز وقطعة من الجُبنة وربما قطعة سجق».

قال روب: «والقليل من التَّبِيدِ والملح».

- «عِشْ وملح، هه، طبعًا، طبعًا»، وصقَّ العجوز فدخلَ الخدم إلى القاعة حاملين أباريق التَّبِيدِ وصِّحاف الخُبْزِ والجُبنة والرُّبْدَة، والتقطَ اللورد والدر كوب نبيذٍ بنفسه ورفعَه عاليًا بيده المَبْقَعَة قائلاً: «ضيوفي، ضيوفي المَكْرَمون، أهلاً بكم تحت سقفي وعلى مائدتي».

أجابَه روب: «نشكرك على حُسن ضيافتك يا سيّدي»، وحاكاه إدميور مع جون الكبير والسير مارك بايبر والباقيين، وشربَ الجميع نبيذه وأكلوا جُبنته ورُبْدته. أخذتْ كاتلين رشفةً صغيرةً من التَّبِيدِ وقصّمتْ من الخُبْزِ، وأحسّت براحةً كبيرةً مفكّرةً: المفترض أن نكون آمنين الآن.

جعلتها معرفتها بإضمار العجوز الصّغائِن تتوقّع أن تكون غُرفهم كئيبةً موحشةً، لكن اتّضح أن أولاد فرايٍ وقروا لهم كلَّ سُبُل الرّاحة. عُرفة العروسين كبيرة فاخرة الأثاث، يحتلها فراش كبير بحشيشةٍ من الرّيش وأعمدةٍ منحوتةٍ على شكل أبراج القلاع وستائرٍ ملوّنةٍ بأحمر وأزرق عائلةٍ تلي، وهي اللّفتة التي رأتها كاتلين لطيفةً، بينما تُعطي الأرض الخشبيّة بسط طيِّبة الرّائحة، وتنتفح نافذةً طويلةً بستائرٍ على الجنوب. عُرفة كاتلين أصغر، وإنما جيّدة التّأثيث أيضًا ومريحة، وفيها مستوقّد تشتعل فيه النّار، وأكّد لوثار الأعرج أن روب سيحظى بجناح كامل يليق بملك، وقال: «إذا احتجتم إلي أيّ شيءٍ فما عليكم إلّا أن تُخبروا أحد الحُرّاس»، وانحنى وانسحبَ حاجلاً بخطواتٍ ثقيلةٍ وهو ينزل الدّرجات الملتفّة.

قالت كاتلين لأخيها: «علينا أن نعيّن حرسًا من رجالنا». سترتاح أكثر إذا كان رجال ستارك وتلي خارج بابها. لم تكن المقابلة مع اللورد والدر شاقّةً كما خشيت، لكنها مسرورة لأنهم فرغوا منها على الرغم من هذا. أيام قليلةٍ أخرى وينصرف روب إلى معركته وأذهبُ إلى سجنِ المريح في (سيجاردا). لا تشكّ إطلاقًا في أن اللورد جيسون سيُعاملها بمتهمي الاحترام، لكن الفكرة لا تزال تغمُّها.

سمعتْ أصوات الخيل في الأسفل إذ شقَّ طابور الرّجال الرّاكبين طريقه على الجسر من القلعة إلى القلعة، وقععت الحجارة مع مرور العربات المحمّلة بالأمتعة الثّقيلة. ذهبَت كاتلين إلى النّافذة وتطلّعت إلى الخارج

لِتُشَاهِدَ جيشَ رُوبٍ يَخْرُجُ مِنَ التَّوَامَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَقَالَتْ: «يَبْدُو أَنَّ الْأَمْطَارَ تَقُلُّ».

قال إدميور الواقف أمام النَّارِ تاركًا الدَّفءَ يغمره: «بَعْدَ أَنْ صِرْنَا فِي الدَّاخِلِ. مَا رَأَيْكَ فِي رُوزَلِينَ؟».

فَكَرَّتْ: صَغِيرَةٌ الْحَجْمِ وَرَقِيقَةٌ لِلغَايَةِ. سَتَكُونُ الْوِلَادَةُ صَعْبَةً عَلَيْهَا، لَكِنْ أَخَاهَا يَبْدُو رَاضِيًا تَمَامًا عَنِ الْفَتَاةِ، فَانْكَنَفَتْ بِقَوْلِ: «جَمِيلَةٌ».

- «أَعْتَقْدُ أَنِّي أَعْجَبْتُهَا. لِمَاذَا كَانَتْ تَبْكِي؟».

- «إِنهَا عَذْرَاءٌ فِي عَشِيَّةِ زَفَافِهَا، وَمَتَوَقَّعُ أَنْ تَذْرِفَ الْقَلِيلَ مِنَ الدَّمُوعِ».

صَبِيحَةَ زَفَافِهَا بَكَتْ لَا يَسَا أَنْهَارًا، وَإِنْ نَجَحَتْ فِي تَجْفِيفِ مُقْلَتَيْهَا وَبَدَتْ مَشْرُقَةً حِينَ خَلَعَ عَلَيْهَا اللَّوْرُدُ چُونِ آرِنِ مَعْطَفِهِ الْأَبْيَضِ وَالْأَزْرَقِ.

قال إدميور: «إِنهَا أَجْمَلُ كَثِيرًا مِمَّا جَرَوْتُ عَلَى أَنْ أَمَلُ»، وَرَفَعَ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ مُتَابِعًا: «أَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ أَهَمَّ، فَلَا دَاعِيٍّ لِلْعِظَةِ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ. لَكِنْ... هَلْ رَأَيْتِ بَعْضَ الْفَتَيَاتِ الْأَخْرِيَاتِ اللَّاتِيَّاتِ صَفْهَنَ فَرَايَ؟ هَلْ رَأَيْتِ تِلْكَ الَّتِي تَرْتَعَشُ؟ أَهِيَ مُصَابَةُ بَدَاءِ الْقَشْعَرِيرَةِ؟ وَالتَّوَامَتَانِ فِي وَجْهَيْهِمَا حُفْرٌ وَطَفْحٌ أَكْثَرَ مِنْ بَيْتِرِ ذِي الدَّمَامِلِ نَفْسِهِ. عِنْدَمَا رَأَيْتَهُنِ أَيْقَنْتُ بِأَنَّ رُوزَلِينَ سَتَكُونُ صَلْعَاءَ عَوْرَاءَ، بِعَقْلِ ذِي الْجَلَاجِلِ وَمَزَاجِ الْوَدْرِ الْأَسْوَدِ، لَكِنْهَا تَبْدُو رَقِيقَةً عِلَاوَةً عَلَى جَمَالِهَا»، وَوَلَّاحَتْ عَلَيْهِ الْحِيرَةُ وَهُوَ يَسْأَلُ: «لِمَاذَا رَفَضَ ابْنُ عَرَسِ الْعَجُوزِ أَنْ يَتْرُكَنِي أَخْتَارًا إِذَا لَمْ يَكُنْ يَنْتَوِي أَنْ يُكْرِهَنِي عَلَى قَبُولِ وَاحِدَةٍ بَشْعَةِ الْخَلْقَةِ؟».

رَدَّتْ كَاتَلِينَ: «وَلَعَلَّكَ بِالْوَجْهِ الْجَمِيلَةِ مَعْرُوفٍ. رُبَّمَا يُرِيدُكَ اللَّوْرُدُ وَالْدَرُ أَنْ تَكُونَ سَعِيدًا مَعَ عَرُوسِكَ بِالْفِعْلِ». أَوْ غَالِبًا لَمْ يَرُدَّكَ أَنْ تَتَرَاجَعَ عَنِ الزَّيْجَةِ بِسَبَبِ بَثْرَةٍ وَتُفْسِدَ خُطْمَهُ كُلَّهَا. «أَوْ رُبَّمَا تَكُونُ رُوزَلِينَ ابْنَةَ الْعَجُوزِ الْمَفْضَلَةِ. سَيِّدُ (رِيْفَرَرَن) زَوْجُ أَفْضَلِ مِمَّا تَأْمَلُ أَيُّ مِنْ فَتَيَاتِهِ».

لَكِنْ أَخَاهَا ظَلَّ يَبْدُو مَرْتَابًا وَهُوَ يَقُولُ: «صَحِيحٌ، لَكِنْ أَمِنَ الْمُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَاقِرًا؟».

- «اللُّوْرُدُ وَالْدَرُ يُرِيدُ أَنْ يَرِثَ أَحْفَادَهُ (رِيْفَرَرَن)، فَمَا الَّذِي سَيَنْفَعُهُ بِإِعْطَائِكَ زَوْجَةً عَاقِرًا؟».

- «أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ ابْنَةٍ لَنْ يُرِيدَهَا أَحَدٌ».

- «لن ينفعه هذا بشيء. والدر فراي عنيد لكنه ليس أحمق».  
- «لكن... أهذا ممكن؟».

أجابَت كاتلين على مضض: «نعم. ثَمَّة أمراض يُمكن أن تُصاب بها الفتيات في الطُفولة وتتركها غير قابلة للإنجاب، لكن لا يوجد ما يدعو لأن نعتقد أن روزلين أصيبت بأَيِّها»، وتطلَّعت إلى أنحاء العُرفة قائلة: «الحقيقة أن آل فراي استقبلونا برحابة صدر أكثر مما توقَّعتُ».

قال إدميور ضاحكًا: «القليل من الكلام الشائك والتَّحديق غير اللائق. من رجلٍ مثله تعدُّ هذه كياسةً. توقَّعتُ أن يبول ابن عرس العجوز في نبيذنا ويجعلنا نُثني على مذاقه».

أصابَت الدُّعابة كاتلين بتوتُّرٍ غريب، فقالت: «بعد إذنك، عليَّ أن أبدل هذه الثَّياب المبتلَّة».

ردَّ إدميور متثابِّبًا: «كما تُريدين. قد أغفو ساعةً».

عادَت كاتلين إلى عُرفتها، حيث وجدت صندوق الملابس الذي أحضرته من (ريفررن) موضوعًا عند قدم السَّرير. خلعت ثيابها المبتلَّة وعلقتها بالقرب من النَّار، ثم ارتدت فُستانًا من الصُّوف بلونِيّ تلي، وغسلت شعرها ومشطته وتركته يجف قبل أن تذهب بحثًا عن أبناء فراي.

كان عرش اللورد والدر الأسود خاليًا حين دخلت القاعة، لكن بعضًا من أبنائه كانوا يشربون إلى جوار النَّار، ونهض لوثار الأعرج بثقلٍ عندما رآها، وقال: «ليدي كاتلين، حسبتك تستريحين. كيف أخدمكِ؟».

سألته: «أهؤلاء إخوتك؟».

- «إخوة أشقاء وغير أشقاء وإخوة بالمصاهرة وأبناء إخوى. رايموند وأنا أمنا واحدة، واللورد لوشياس فايرن زوج أختي غير الشَّقيقة لايتين، والسير ديمون ابنهما. أعتقد أنك تعرفين السير هوستين أخي غير الشَّقيق، وهذا هو السير ليزلين هاي وابناه السير هاريس والسير دونل».

- «يسرُّني لقاءكم أيها السَّادة. هل السير پروين موجود؟ لقد ساعدَ علي اصطحابي إلى (ستورمز إند) ذهابًا وإيابًا حين أرسلني روب لأنفاوض مع اللورد رنلي، وكنتُ أنطلُع إلى رؤيته ثانية».

أجاب لوثار الأعرج: «پروین غائب، لکنی سَابُلغَه تحيَّاتِكَ. أعلَمُ أنه سيحزن لأنه لم يرك».

- «مؤكَّد أنه سيعود لحضور زفاف الليدي روزلين، أليس كذلك؟».

- «كان يأمل ذلك، لكن مع هذا المطر... لقد رأيتِ بنفسكِ كيف فاضتِ الأنهار يا سيِّدتي».

- «بالتأكيد. هلَّا تفضَّلتِ بإرشادي إلى المايستر؟».

سألها السير هوستين، الرَّجل المتين ذو الفَكِّ المربَّع القوي: «أأنتِ بخير يا سيِّدتي؟».

- «مسألة نساءيَّة. لا تقلق أيتها الفارس».

اصطحبها لوثار المهذَّب دائماً من القاعة، وصعدَ بها بضع درجات، ثم عبرا جسراً مغطىً إلى سلَّمٍ آخر، حيث قال: «ستجدين المايستر برينيت في البرج على القمَّة يا سيِّدتي».

خمَّنت كاتلين أن المايستر سيكون ابناً آخر لوالدر فراي، لكنها رأت أنه يفتقر إلى ملامح العائلة المميَّزة. برينيت رجل طويل بدين أصلع، له ذفن مشقوق ولا يتحلى كثيراً بالنظافة، كما يبدو من منظر فضلات الغدغان التي تُلوثُ كَمِّي ثوبه، وإن بدا ودوداً كفايَّة. حين أخبرته بقلق إدميور على خصوبة روزلين قهقهة قائلاً: «ليس على السيِّد أخيك أن يخشى شيئاً يا ليدي كاتلين. صحيحٌ أنها صغيرة الحجم وضيقة الوركين، لكن أمها كانت مثلها، وأنجبت الليدي بثاني للورد والدر طفلاً كلَّ عام».

سألته بلا موارَبَة: «كم منهم عاشَ بعد سنِّ الرِّضاعة؟».

أجاب: «خمسة»، وأحصاهم على أصابعه التَّخينة كأصابع الشُّجق قائلاً: «السير پروين والسير بنفري، والمايستر وبلادمن الذي حلف اليمين العام الماضي والآن يخدم اللورد هنتر في (الوادي)، وأوليغار الذي كان مُرافق ابنك، والليدي روزلين أصغرهم. أربعة صبية وصبية. سيُنجب اللورد إدميور أبناء أكثر مما يعرف ماذا يفعل بهم».

- «إنني واثقة بأن هذا سيُسعده». إذن الفتاة خصيبة كما هي جميلة المُحيَّا. المفترض أن يطمئنَّ عقل إدميور هكذا. على حدِّ علمها لم يترك اللورد والدر لأخيها سبباً للشكوى.

لم ترجع كاتلين إلى عُرفتها بعدما تركت المايستر، بل ذهبت إلى روب، حيث وجدت معه السير روبن فلينت والسير وندل ماندرلي، بالإضافة إلى جون الكبير وابنه الذي لا يزال يُسمَّى جون الصَّغير على الرغم من أنه يكاد يفوق أباه طولًا. كانت ثياب الكلِّ رطبةً، ومعهم رجل آخر مبتل أكثر منهم يقف أمام النَّار مرتديًا معطفًا وردنيًا باهتًا موشى بالأبيض، فقالت له: «لورد بولتون».

أجابها بصوته الخافت: «ليدي كاتلين، يسُرُّني أن أراك ثانيةً، حتى في هذه الأوقات العصيبة».

- «لطف منك أن تقول هذا». استشعرت كاتلين كآبةً في المكان، وحتى جون الكبير الكبير بدا واجمًا مغلوبًا، فتطلعت إلى وجوههم العابسة سائلة: «ماذا حدث؟».

أجاب السير وندل باستياء: «جنود لانستر على ضفاف (الثالوث). أخي وقع في الأسر ثانيةً».

أضاف روب: «كما أن اللورد بولتون جلب لنا مزيدًا من الأنباء عن (ويتترفل). لم يكن السير رودريك الرَّجل الصَّالح الوحيد الذي مات. كلاي سروين وليوبولد تولهارت قُتلا أيضًا».

قالت محزونة: «كلاي سروين كان مجرد صبي. الأخبار صحيحة إذن؟ الجميع ماتوا وضاعت (ويتترفل)؟».

التقت عينا بولتون الشَّاحبتان عينيها، وقال: «الحديديون أحرَقوا القلعة والبلدة الشُّويَّة، لكن ابني رامزي أخذ بعضًا من قومكم إلى (معقل الخوف)». قالت له كاتلين بحدَّة: «ابنك التَّغل متَّهم بجرائم شنيعة، بالقتل والاغصاب وما هو أسوأ».

قال روروس بولتون: «أجل. إن دمائه ملوَّثة ولا سبيل لإنكار هذا، لكنه مُحارب قوي، ولا يقلُّ ذكائُه عن شجاعته. عندما قتل الحديديون السير رودريك، وبعده بقليل ليوبولد تولهارت، وقعت قيادة المعركة على عاتق رامزي، وقد كان. إنه يُقسم أنه لن يُغمد سيفه ما دام هناك جرايچوي واحد باقيًا في الشَّمال. ربما تُكفِّر خدمته هذه ولو قليلًا عن الجرائم التي دفعته دماء التَّغولة إلى ارتكابها»، وهزَّ كتفيه مضيئًا: «أو لا. حين تضع الحرب أوزارها



على جلالة الملك أن يَزِنَ الأمور وَيَحْكُمَ عليها، وعندئذٍ أتمنّى أن تكون الليدي والدا قد أنجبت لي ابناً شرعيّاً». أدركت كاتلين أن هذا رجل بارد حقّاً، وليس للمرّة الأولى. سأله روب: «هل ذكرَ رامزي شيئاً عن ثيون جرايچوي؟ هل قُتِلَ أيضاً أم فَرَّ؟».

أخرجَ روس بولتون قطعةً صغيرةً من الجلد المجعّد من الجراب المثبّت إلى حزامه، وقال: «ابني أرفقَ هذه برسالتك». أشاح السير وندل بوجهه، وتبادلَ روبن فلينت وچون أومبر الصّغير نظرةً، وأطلقَ چون الكبير صوتاً كخوار الثّيران، أمّا روب فسأل: «أهذا... جلد بشري؟».

- «جلد من خنصر يد ثيون جرايچوي اليُسرى. أعترفُ بأن ابني متوحّش، ولكن... ما قيمة قطعةٍ صغيرة من الجلد مقارنةً بحياة أميرين صغيرين؟ كنت أمهما يا سيّدتي. هل تسمحين بأن أقدّم لك هذه... الأمارة الصّغيرة على الثّأر؟».

جزء من كاتلين أرادَ أن يقبض على الجائزة البشعة ويضّمّها إلى قلبها، لكنها جعلت نفسها تُقاوم، وقالت: «أبعدها عني من فضلك». قال روب: «سلخ ثيون لن يُعيد أخويّ إلى الحياة. أريدُ رأسه لا جلده». ردّ اللورد بولتون بنعومة كأنهم نسوا: «إنه ابن بالون جرايچوي الحي الوحيد، والآن الملك الشّرعي لـ(جُزر الحديد)، والملك الأسير قيمته عظيمة كرهينة».

- «رهينة؟». أزعجت الكلمة كاتلين كثيراً، فغالبا ما يُبادل الرّهائن برهائن. «لورد بولتون، أمل أنك لا تقترح أن نُطلق سراح الرّجل الذي قتل ابني». أجاب بولتون: «الفائز بكرسي حجر اليم أيّاً كان سيُريد أن يموت ثيون جرايچوي، فحتى وهو أسير مكبّل تظلّ دعواه أقوى من أيّ من أعمامه. رأيي أن نحفظ به ونطالب بتنازلاتٍ من حديديّ الميلاد ثمناً لإعدامه». تأمّل روب الكلام على مضض، لكنه أوماً برأسه موافقاً في النّهاية، وقال: «نعم، ليكن. حافظ على حياته إذن، في الوقت الحالي على الأقل، وأمّنه في معقل الخوف) إلى أن نستردّ الشّمال».

عَادَت كَاتِلِينَ تَلْتَفَت إِلَى رُووس بُولْتُون قَائِلَةً: «السِير وَنَدَلَ قَالَ شَيْئًا عَنِ جُنُود لَانَسْتَر عَلَي (الثَّلَاوْث)».

- «نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي. إِنِّي أَلُومُ نَفْسِي، فَقَدْ تَأَخَّرْتُ كَثِيرًا قَبْلَ أَنْ أَغَادِرَ (هَارِنْهَال). إِيْنَسُ فَرَايَ رَحَلَ قَبْلِي بِأَيَّامٍ وَعَبَرَ (الثَّلَاوْث) مِنْ (مَخَاضَةِ الْيَاقُوتِ)، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِسَهُولَةٍ، لَكِنْ حِينَ بَلَّغْنَا نَحْنُ النَّهْرَ وَجَدْنَاهُ فَائِضًا، وَلَمْ أَجِدْ خِيَارًا سِوَى أَنْ أُنْقَلَ رِجَالِي عَلَي قَوَارِبٍ صَغِيرَةٍ لَمْ يَكُنْ مَعْنَا مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ. ثَلَاثًا قَوْتِي كَانَا عَلَي الصَّفَّةِ الشَّمَالِيَّةِ عِنْدَمَا هَاجَمَ جُنُودَ لَانَسْتَرِ مِنْ مَا زَالُوا يَنْتَظِرُونَ الْعُبُورَ. كَانُوا أَغْلِبَهُمْ مِنْ رِجَالِ نُورِي وَلُوكِ وَبُورْلِي، مَعَ السَّيْرِ وَايْلِسِ مَانْدِرْلِي وَفُرسَانَ (الْمِينَاءُ الْأَبْيَضُ) فِي حَرَسِ الْمُؤَخَّرَةِ. وَقَتَهَا كُنْتُ عَلَي الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ النَّهْرِ، عَاجِزًا عَنِ مَسَاعَدَتِهِمْ، وَاسْتَجْمَعَ السَّيْرِ وَايْلِسِ شَتَاتِ رِجَالِنَا قَدْرَ الْمَسْتَطَاعِ، لَكِنْ جَرِيْجُورُ كَلِيْجَايْنِ هَاجَمَ بِسِلَاحِ خِيَالَةٍ ثَقِيلَةٍ وَسَاقَهُمْ إِلَى النَّهْرِ، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ وَغَرِقَ الْبَعْضُ الْآخَرَ، وَهَرَبَ الْمَزِيدُ وَوَقَعَ الْبَاقُونَ أُسْرَى».

فَكَّرْتُ كَاتِلِينَ أَنْ جَرِيْجُورُ كَلِيْجَايْنِ خَبَرَ سَيِّئًا دَائِمًا. هَلْ عَلَي رُوبِ أَنْ يَزْحَفَ جَنُوبًا ثَانِيَةً لِيَتَعَاطَلَ مَعَهُ؟ أَمْ أَنْ الْجَبَلَ قَادِمٌ إِلَيْهِمْ؟ «هَلْ عَبَرَ كَلِيْجَايْنِ النَّهْرَ إِذْنًا؟».

أَجَابَ بُولْتُونُ بِصَوْتٍ خَافَتْ وَإِنَّمَا وَاثِقٌ: «لَا. لَقَدْ تَرَكْتُ سِتْمِئَةَ رَجُلٍ عِنْدَ الْمَخَاضَةِ، حَامِلِي حِرَابٍ مِنَ الْغُدْرَانِ وَالْجِبَالِ وَالسَّكِينِ الْأَبْيَضِ»، بِالْإِضَافَةِ إِلَى مِئَةٍ مِنْ رُمَاهُ هُورِنُودِ ذَوِي الْأَقْوَاسِ الطَّوِيلَةِ، وَعَدَدٍ مِنَ الْمُحَارِبِينَ غَيْرِ النَّظَامِيِّينَ وَالْفُرسَانَ الْمُتَجَوِّلِينَ، وَفِرْقَةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ رِجَالِ سِنَاوَتِ وَسِرُورِينَ لِشَدِّ أَرْهَمِ. الْقِيَادَةُ لِرُونَلِ سِنَاوَتِ وَالسَّيْرِ كَايْلِ كُونْدُونِ. السَّيْرِ كَايْلِ كَانُ ذِرَاعِ اللَّوْرِدِ سِرُورِينَ الرَّاحِلِ الْيُمْنَى كَمَا تَعْرِفِينَ بِالتَّأَكِيدِ يَا سَيِّدَتِي. الْأَسْوَدُ لَا تُجِيدُ السَّبَاحَةَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّنَابِ، وَمَا دَامَ النَّهْرُ فَائِضًا فَلَنْ يَعْبرَهُ السَّيْرِ جَرِيْجُورُ».

قَالَ رُوبٌ: «آخِرُ شَيْءٍ نُرِيدُهُ هُوَ الْجَبَلُ وَرَاءَنَا حِينَ نَبْدَأُ صَعُودَ الدَّرْبِ الْعَالِيِ. أَحْسَنْتُ صُنْعًا يَا سَيِّدِي».

- «لَطْفٌ مِنْ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ أَنْ يَقُولَ هَذَا. لَقَدْ مُنِيتُ بِخَسَائِرٍ فَادِحَةٍ فِي مَعْرَكَةِ (الْفِرْعِ الْأَخْضَرِ)، وَجَلُوسُورُ وَتُولِهَارْتُ بِخَسَائِرٍ أَفْدَحَ فِي (وَادِي الْعَسْقِ)».

- «(وادي الغسق)»، ردّد روب الكلمة جاعلاً منها شتيمةً، قبل أن يقول:  
«سيدفع روبت جلوثر ثمن هذا حين أراه، هذا وعد».  
قال بولتون: «كانت حماقةً، لكن جلوثر أصابه التهور بعد أن علم بسقوط  
(ربوة الغابة). هذا ما يفعله الحزن والخوف بالإنسان».  
(وادي الغسق) انتهى أمرها، أمّا المعارك المقبلة، فهي ما تشغل بال  
كاتلين، التي سألت رويس بولتون بنبرة مباشرة: «كم رجلاً جلبت لابني؟».  
تمعنت عيناه الغريبتان عديمتا اللون في وجهها برهةً قبل أن يجيب:  
«نحو خمسمئة من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة يا سيّدي، أغلبهم من  
رجال (معقل الخوف) وبعضهم من (كارهولد). مع إحاطة الشكوك بولاء آل  
كارستارك الآن، خطر لي أن أبقّهم قريبين مني. يؤسفني أنه لا يوجد رجال  
أكثر».  
قال روب: «سيكفون. ستقود حرس المؤخرة بنفسك أيها اللورد بولتون،  
وسأبدأ الزحف إلى (العنق) فور أن يتزوَّج خالي. إننا عائدون إلى الوطن».

## آريا

ظهرت لهما الكشافة قبل ساعة من بلوغهما (الفرع الأخضر) بينما تخوض العربة في طريقٍ موحل.

- «اخفزي رأسك وأطقي فمك»، قال لها كلب الصيّد منذراً إذ تحرّك نحوهما الثلاثة، فارس ومُرافقان يرتدون دروعاً خفيفةً ويمتطون خيولاً سريعةً، وشقّ كليجابين الهواء بسوطة فوق رأسيّ حصانيّ الجرّ العجوزين اللذين شهدا أيّاماً أفضل، وراحت العربة تصرّ وتتمايل وعجلتاها الخشبيّتان الضّخمتان تمتصّان الوحل من حُفر الطريق العميقة كلما دارتا، وقد تبعها سترينچر مقيّداً إليها.

لا يلبس الجواد الحربيّ الكبير ذو المزاج الأسود درعاً وليس عليه سرج أو لجام، فيما ارتدى كلب الصيّد نفسه الخيش الأخضر المبقّع تحت معطف رمادي كالسّناج له قلنسوة تبتلع رأسه. ما دام رأسه منخفضاً فلا يُمكنك أن ترى وجهه، فيلوح منه بياض عينيه لا أكثر، ويبدو كأنه مجرد مُزارع زريّ الهيئة، وإن كان مُزارعاً كبير الحجم حقّاً. تعلم آريا أنه يرتدي تحت الخيش الجلد المقوّى والحلقات المعدنيّة المزيّنة، أمّا هي فتبدو كابن مُزارع، أو ربما راعي خنازير، ووراءهما على العربة تستقرُّ أربعة براميل مكتنزة من لحم الخنازير المملّح وواحد من أقدامها المخلّلة.

انفصل الخيالة وداروا حولهما ملقين نظرةً عليهما قبل أن يدنوا، وأوقف كليجابين العربة وانتظرهم بصبر. حمل الفارس حربّةً وسيفاً، بينما حمل مُرافقاه قوسين طويلين، ولاحت على صدريهما شارتان هما نسخة أصغر من رمز سيّدهما المثبّت على معطفه القصير؛ مذراة سوداء في شريطٍ ذهبيّ

مائل إلى اليسار على خلفيّة خمريّة. كانت آريا قد فكّرت في الإفصاح عن هويّتها لأول كشّاف يُقابله، لكنها تصوّرت دائماً رجلاً في معاطف رماديّة على صدورهم الذّئب الرّهيب، بل كانت لتُخاطر لو أن رمزهم عملاق عائلة أومبر أو قبضة عائلة جلوفر، لكنها لا تعرف فارس المذرة هذا أو اللورد الذي يخدمه. أقرب شيء إلى مذرة رأته في (وينترفل) كان الرّمح ثلاثي الشّعْب في يد عريس بحر اللورد ماندرلي.

سأل الفارس: «ما شأنك في (التّوأمتين)؟».

غمغم كلب الصّيد مجيّباً وقد خفض عينيه ووارى وجهه: «لحم خنازير مملّح لمأدبة الرّفاف، بعد إذن ورضا سيّدي».

- «الخنزير المملّح لا يُرضيني أبداً». لم يرمُق فارس المذرة كليجانين إلّا بنظرة خاطفة للغاية، ولم يلق انتباهاً لآريا على الإطلاق، لكنه أمعن النّظر طويلاً إلى سترينچر. بنظرة واحدة أدرك أنه ليس حصان حرث، وكاد أحد مُرافقيه يسقط في الأوحال عندما حاول الفحل الأسود الكبير أن يعضّ فرسه. سأل الفارس بلهجة أمرّة: «من أين حصلت على هذا الوحش؟».

أجاب كليجانين بتواضع: «سيّدي أمرتني بأن آتي به يا سيّدي. إنه هديّة زفافٍ للورد تلي الشاب».

- «من سيّدتك؟ من تخدم؟».

- «الليدي ونت العجوز يا سيّدي».

قال الفارس: «أتحسب أنها تستطيع أن تستعيد (هارنهال) بحصان؟ هناك من هو أكثر حُمقاً من عجوزٍ حمقاء بحقّ الآلهة؟»، لكنه لوّح بيده إلى الطّريق قائلاً: «اذهب إذن».

قال كلب الصّيد: «أمرك يا سيّدي»، وهوى بالسّوط على الحصانين العجوزين ليواصلوا الرّحلة المرهقة. كانت العجلتان قد انغرستا عميقاً في الوحل في أثناء التّوقّف، واستغرق الحصانان وقتاً حتى استطاعا سحبهما من جديد، وعندئذ كان الكشّافة قد ابتعدوا. حدّجهم كليجانين بنظرة أخيرة، وقال ساخراً: «السير دونل هاي. لقد أخذتُ منه خيولاً أكثر مما أستطيع أن أحصي، ودرّوعاً أيضاً، وفي مرّةٍ كدتُ أقتله في التحامٍ جماعي».

سألته آريا: «كيف لم يتعرّفك إذن؟».

أجابها: «لأن الفُرسان حمقى، كما أنه لا يليق به أن ينظر مرّتين إلى فلاح مجدور وضع»، وضرب الحصانين بالسّوط متابعًا: «أخفضي عينيك وتكلمي باحترام وقولي «سيدي» كثيرًا ولن يراك أغلب الفُرسان أبدًا. إنهم يُعيرون الخيول اهتمامًا أكثر من العوام. كان ليتعرّف سترينجر لو أنه رأى أمّتيه من قبل».

فكرت آريا: لكنه كان ليتعرّف وجهك. لا شكّ لديها في هذا، فليس من السهل أن ينسى أحد حروق ساندور كليجاين بمجرد أن يراها، كما أنه لا يستطيع إخفاء ندوبه تحت خوذة كذلك، ليس وهي مصنوعة على شكل رأس كلب يُزجر، ولهذا السبب احتاجا إلى العربة وأقدام الخنازير المخلّعة، إذ قال لها كلب الصّيد: «لن أجزّ إلى أخيك مكبلاً بالسلاسل، وأفضلُ ألا أقتل رجاله حتى أصل إليه، ولذا سنلعب لعبة صغيرة».

مزارع قابلاه مصادفةً على (طريق الملوك) زوّدهم بالعربة والحصانين والثياب والبراميل، وإن لم يكن طواعيةً، فقد أخذ منه كلب الصّيد كل هذا تحت تهديد السّلاح، ولمّا لعنه الرّجل وقال إنه ليصّر ردّ قائلًا: «لا، بل أجمع الإمدادات. كُن ممتنًا لاحتفاظك بثيابك الدّاخليّة. والآن اخلع هذا الحذاء وإلا قطعُت ساقيك. الخيار لك». كان المزارع يُناهِز كليجاين حجمًا، ورغم ذلك اختار أن يخلع حذاءه ويحتفظ بساقيه.

حلّ عليهما المساء وهما ما زالا في الطّريق إلى (الفرع الأخضر) وقلعتني اللورد فراي التّوأميتين، وفكرت آريا: أكادُ أصل. تعلم أن من المفترض أن تكون متحمّسة، لكن معدتها مضطربة تمامًا. ربما تكون الحُمى التي لا تزال تُقاومها السّبب، وربما لا. ليلة أمس رأت حُلْمًا سيئًا، حُلْمًا شنيعًا لا تذكّره الآن، لكن الإحساس الذي خلفه في نفسها ظلّ يُرافقها طيلة اليوم، بل وصار أقوى أيضًا. ضربة الخوف أمضى من السّيف. عليها أن تكون قويّة الآن كما قال لها أبوها. لا شيء بينها وبين أمّها إلا نهر وبوابة قلعة وجيش... لكنه جيش روب، فلا خطر عليها إذن، أليس كذلك؟

لكن رويس بولتون أحد أفراد هذا الجيش، اللورد علقه كما يُسمّيه الخارجون عن القانون، وقد ألقها هذا. لقد تركت (هارنهال) هربًا من بولتون بقدر هربها من الممثّلين السّفاحين، واضطّرت لأن تشقّ حلق أحد

حرسه كي تفرّ، فهل يعرف أنها هي التي فعلت ذلك أم لأم جندي أو هوت باي؟ هل أخبر أمها؟ ماذا سيفعل إذا رآها؟ غالباً لن يتعرفني أصلاً. إنها تبدو أقرب إلى جرذ غارق أكثر من ساقية لورد هذه الأيام، جرذٌ ذَكَرَ غارق. قبل يومين فقط جَزَّ كلب الصَّيْدِ حُصْلاً كاملةً من شعرها، وأثبت أنه حَلَّاق أسوأ من يورن، إذ ترك أحد جانبي رأسها أصلع. أراهن أن روب نفسه لن يتعرفني، أو أمي. كانت بنتاً صغيرةً حين رأتهما آخر مرّة، يوم غادر اللورد إدارد ستارك (ويترفل).

سمعا الموسيقى قبل أن يريا القلعة، دَقَّ الطُّبولُ البعيد ودويَّ الأبواق التُّحاسيَّة وصدح المزامير الرِّفيع تحت هدير النَّهر وصوت الأمطار التي تضرب رأسيهما. قال كلب الصَّيْدِ: «فاتنا الرِّفاف، لكن الأصوات تُوحى بأن الاحتفال مستمرٌّ. سأتلخَّصُ منك قريباً». لا، سأتلخَّصُ أنا منك.

كان الطَّرِيق يُمضي إلى الشَّمال الغربي غالباً، لكنه ينحرف هنا جنوباً بين بُستان نَفَّاح وحقل ذُرَّةٍ أغرقه المطر. مرّاً بأخِر أشجار النُّفَّاح وصعدا منحدرّاً، ثم في آن واحدٍ لاحت لهما القلعتان والنَّهر والمخيَّمات. مئات الخيول وآلاف الرِّجال، معظمهم يتسكَّع حول الخيام الثَّلاث الضَّخمة التي نُصِبَت جنباً إلى جنب في مواجهة بوابة القلعة كثلاث قاعاتٍ طويلة هائلة من قماش القنَّب. كان رُوب قد أقام معسكره بعيداً عن الأسوار على أرضٍ أعلى وأكثر جفافة، لكن مياه (الفرع الأخضر) طفحت فوق ضفَّته وجرفت بضع خيامٍ نُصِبَت بلا عناية.

صارت الموسيقى القادمة من القلعتين أعلى، وتردَّد وقع الطُّبول والأبواق عبر المعسكر. كان الموسيقيُّون في القلعة القريبة يعزفون أغنيَّةً مختلفةً عن تلك الآتية من القلعة التي على الضفَّة الأخرى، فبدت كأنها معركة أكثر من غناء، وقالت آريا: «ليسوا بارعين في العزف».

أصدرَ كلب الصَّيْدِ صوتاً ربما كان ضحكةً، وقال: «أراهن أن هناك عجائز صمَّوات في (لانسپورت) يشتكين من الضَّجَّة. سمعتُ أن نظر والدر فراي ضعيف، لكن أحداً لم يقل شيئاً عن سمعه اللعين». وجدَّت آريا نفسها تتمنَّى لو أن الوقت نهار. لو كانت الشَّمس مشرقةً

والرَّيحُ تهبُّ لاستطاعتِ أن ترى الرِّايَات بِشكلٍ أفضلٍ وبحثِّ عن ذئبٍ ستارك الرَّهيبِ أو فأسٍ سروين الحرِّيَّةِ أو قبضة جَلوْفُرٍ، لكن في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ تبدو الألوانُ كلُّها رماديَّةً. كان المطرُ قد خَفَّ حتَّى أصبحَ قطراتٍ خفيفةٍ تكاد تكون رذاذًا، لكن الوابل الذي انهمرَ مسبقًا أحال الرِّايَات إلى خِرَقٍ مترهِّلةٍ مشبَّعةٍ بالماء وغير قابلةٍ للتَّمييزِ.

سُحِبَ عددٌ من العرباتِ مكوَّنًا سياجًا بدائيًّا من الخشبِ حول المكانِ ضدَّ أيِّ هجومٍ، وهناك أوقفهُما الحُرَّاسُ. ألقى المصباحُ الذي يحمله رقيبهم ما يكفي من الضَّوءِ لأن ترى أن لونَ معطفه وردِّيٌّ باهتٌ مرقُطٌ بقطراتٍ دمعٍ حمراءٍ، وقد ثَبَّتَ رجاله على صدورهم شارة اللوردِ علقَةً، رجل (معلِّقٌ الخوف) المسلوخ. حكى لهم ساندور كليجانين القصةَ نفسها التي استعانَ بها مع الكشَّافة، وإنَّضَحَ أن رقيب بولتون أصعبُ مرأسًا مما كان السير دونل هاي، وقال متهكِّمًا: «الخنازير المملحة ليست لحمًا يليق بمأدبة زفاف لورد».

- «معي أقدام خنازير مخلَّلة أيضًا أيها الفارس».

- «ليس للمأدبة، والمأدبة أو شكَّت على الانتهاء، كما أنني شمالي ولستُ فارسًا جنوبيًّا أبله».

- «قيلَ لي أن أرى الوكيل أو الطَّاهي...».

قاطعهُ الرَّقِيبُ: «القلعة مغلقة، وغير مسموح بإزعاج السَّادة»، ثم تفكَّرَ هنيهةً قبل أن يقول: «يُمكنك إفراغ حمولتك عند خيام الاحتفال، هناك»، وأشارَ بيده المقفَّزة بالحلقات المعدنيَّة متابعًا: «المزير يُصيب الرِّجال بالجوع، وفراي العجوز لن يفتقد القليل من أقدام الخنازير، وهو بلا أسنان يأكلها بها على كلِّ حال. أسأل عن سدچكينز، سيعرف ماذا يفعل بك»، وزعقَ بأمرٍ فدرجَ أحد رجاله إحدى العرباتِ جانبًا ليدخلًا.

همزَ سوط كلب الصَّيد الحصانين صوب الخيام، ولم يبدُ أن أحدًا يُعيِّره وآريا أيُّ اهتمامٍ، فمرًّا ناثرين الماء الموحل بصفوفٍ من السُّرادات ذات الألوان الزَّاهية، التي أُضيئت حوائطها الحرير المبتلَّة كفوانيسٍ سحريةٍ بالمصابيح والمستوقدات في داخلها، لتتوهَّج بالوردِ والذهبي والأخضر، منها المخطط أو المموج أو المرَّع، ومنها المزيَّن بالطيور أو الحيوانات أو



الشَّاراتِ أو النُّجومِ أو العجلاتِ أو الأسلحة. لمحت آريا خيمةً صفراءَ عليها ستُّ جوزاتِ بلوط، ثلاثِ جوزاتِ فوق اثنتينِ فوق واحدة، فعرفت أنها تنتمي للوردِ سمولود، وتذكَّرت (بهو البلوط) البعيدة جدًّا، والليدي التي قالت إنها جميلة.

غير أن مقابل كلِّ سُرادقٍ من الحريرِ الوضَّاءِ ثمةُ دستتانِ من الخيامِ اللِّبادِ أو القَبِّبِ، قاتمة ومظلمة، وهناك نُكُناتِ قماشيةٌ أيضًا تكفي الواحدة منها لإيواء أربعين من الجنودِ المُشاة، لكن حتى هذه بدت صغيرةً مقارنةً بخيام الاحتفالِ الثلاثِ الضَّخمة. بدا أن الشُّربَ مستمرٌّ منذ ساعات، وسمعت آريا رجالًا يرفعون عقائرهم بالأنخابِ وأكوابًا تتقارع، ويتمازج كلُّ هذا بأصوات المعسكراتِ المعتادة من صهيلِ خيولٍ ونباحِ كلابٍ وقعقة عرباتٍ تُجرُّ في الظلامِ وضحكاتٍ ولعناتٍ وصريرِ وصليلِ الخشبِ والفولاذِ. تعالت الموسيقى أكثر وأكثر مع دنوِّهما من القلعة، لكن تحت الألحانِ ظلَّ صوت أعمق وأكثر كآبةً يتردَّد، صوت (الفرع الأخضر) الفيَّاض الذي يزار كأسدٍ في عرينه.

تلوت آريا وتلفَّنت محاولةً النَّظرِ إلى كلِّ ناحيةٍ في آن واحدٍ وأملتُ في لمحَةٍ من شارةِ الذئبِ الرَّهيبِ، في خيمةٍ من الرَّمادي والأبيض، في وجهٍ تعرفه من (وينترفل)، لكنها لم ترَ إلا الأعراب. حدَّقت إلى رجلٍ يُفرغ مئانته وسط أعوادِ القصب، لكنه ليس ألبلي. رأت فتاةً نصف عاريةً تهرع ضاحكةً من خيمة، لكن الخيمة ذات لونٍ أزرق باهت وليست رماديةً كما حسبت في البداية، والرَّجل الذي اندفعَ يجري وراء الفتاة على سُترته قَطُّ أشجار لا ذئب. تحت شجرةٍ كان أربعة رُماةٍ يُبَّتون أوتارًا مشمعةً إلى أقواسهم الطويلة، لكنهم ليسوا رُماةً أبيها. مرَّ بهما مايلستر، لكنه أصغر وأنحف من أن يكون المايستر لوين. رفعت آريا عينيها إلى (التوأمتين) اللتين تنوهج نوافذ أبراجهما العالية حيثما اشتعل ضوء، وفي عتمة المطر بدت القلعتين غامضتين تُثيران التوجُّس في القلوبِ كشيءٍ من حكايةٍ قديمة للعجوز نان، لكنهما ليستا (وينترفل).

أشدُّ الرِّحامِ عند خيامِ الاحتفال. كانت السِّدائلُ العريضة مُراحَةً مربوطةً لتُفسحَ الطريقَ للرِّجالِ كي يدخلوا ويخرجوا بقرون الشُّرابِ والدُّوارقِ أو بتابعاتِ المعسكراتِ، وألقت آريا نظرةً في الدَّاخلِ بينما قاد كلب الصَّيدِ العربية

مازًا بأولى الثلاث، فرأت مئات الرجال يتزاحمون على الدكك ويتدافعون حول براميل البتع والمزر والتبيذ. لا يكاد يكون هناك متسع لأي حركة في المكان، وإن لم يبدُ أن أحدًا يمانع، فعلى الأقل يتمتعون بالدفء والجفاف، وحسدتهم آريا المبتلة الباردة. كان بعضهم يُعني، بينما حول الباب يتصاعد البخار من رذاذ المطر نتيجة للحرارة المتسرّبة من الداخل، وسمعت أحدهم يصيح: «نخب اللورد إدميور والليدي روزلين»، وشربوا جميعًا ثم صاح صوت آخر: «نخب الذئب الصّغير والملكة چاين».

تساءلت آريا بشكلٍ عابر: من الملكة چاين؟ الملكة الوحيدة التي تعرفها هي سرسي.

رأت بؤر النّار المحفورة خارج الخيام، تقيها مظلات بسيطة من الخشب المجدول وجلود الحيوانات من البلبل، بشرط أن يسقط المطر مستقيمًا، لكن الرّياح كانت تهبُّ من جهة النّهر محمّلة بالرّذاذ الذي جعل اللّهب يهسُّ ويُطقطق، بينما دوّر الخدم أسياخ اللّحم فوقه. جعلت الرّوائح لعاب آريا يسيل، وسألت كلب الصّيد: «ألا يجدر بنا أن نتوقّف؟ هناك رجال شماليّون في الخيام». تعرّفتهم من لحاهم ووجوههم ومعاطفهم المصنوعة من فرو الدّبة والفقمات، ومن أنخابهم شبه المسموعة والأغاني التي يصدحون بها، تعرّفت رجال كارستارك وأومبر وعشائر جبال الشّمال. «أراهن أن هناك رجالاً من (وينترفل) أيضًا». رجال أبيها، رجال الذئب الصّغير، ذئاب ستارك الرّهية.

قال: «سيكون أخوك في القلعة، وأمك أيضًا. هل تريدينهما أم لا؟».

- «نعم، لكن ماذا عن سدچكينز؟». لقد قال لهما الرّقيب أن يسألا عن سدچكينز.

قال كليجاين: «فلينك سدچكينز نفسه بخازوق ساخن»، ورفع الكُرباج وهوى به ليصفر في المطر الخفيف وينزل على مؤخّرة أحد الحصانين، وأردف: «أخوك اللّعين هو من أريد».

## كاتلين

كانت الطُّبولُ تدقُّ، تدقُّ، تدقُّ، وتدقُّ، ومعها يدقُّ رأسها.  
من شُرْفَةِ الموسِيقِيِّينَ عندَ قدمِ القاعةِ ولولتِ المزاميرُ وناحتِ النَّياتُ  
وَصِرْحَتِ الكمنجاتُ ودَوَّتِ الأبواقُ وغرَّدتِ القِربُ بنغمةٍ طُروب، لكن  
الطُّبولُ قادتُ سائرَ الآلاتِ، وتردَّدتِ أصدااءُ الألحانِ على عوارضِ السَّقْفِ  
الخشبِ، بينما أكلَ الضُّيوفُ وشربوا وصاحَ بعضهم في بعضِ في الأسفلِ. لا  
بُدَّ أنِ والدرَ فراي أصمُّ إذا كانَ يعدُّ هذا اللُغَطَ موسِيقى. رشفتُ كاتلين من  
كأسِ نبيذٍ وشاهدتُ ذا الجلاجلِ يتواثبُ على أنعامِ (أليسِين)، أو ما يُفترَضُ من  
أن تكونَ تلكَ الأغيبةَ على الأقلِ، فمع هؤلاءِ العازفينَ من الممكنِ بسهولةٍ أن  
تكونَ (الجميلةُ والذُّب).

في الخارجِ لا يزالُ المطرُ يسقطُ، أمَّا داخلُ (التَّوأمَتينِ) فالهواءُ ساخنٌ  
مثقلٌ بالأدخنة. في المستوقَدِ تضطرمُ نارُ أجاجةٍ، وعلى الجُدرانِ تتقدُّ  
صفوفٌ من المشاعلِ المئبَّتةِ في حواملِ، لكن جُلَّ الحرارةِ ينبعثُ من أجسادِ  
ضيوفِ الزَّفافِ الذين اكتنَّطتْ بهم الدُّككُ عن آخرها، لدرجةِ أن كلَّ من يرفعُ  
كأسه يكثرُ جاره في الضُّلوعِ.

حتى فوقِ المنصَّةِ جلسوا متزاحمين متلاصقين على نحوِ أثقلَ على نَفْسِ  
كاتلين ونَفْسِها، إذ خصَّصوا لها مكانًا بين السيرِ رايمانِ فراي ورووس بولتونِ،  
ففغمتِ رائحةُ الاثنينِ أنفها. كان السيرِ رايمانُ يعبُّ الشَّرابَ كأن (وستروس)  
تُوشِكُ على معاناةِ كسادٍ في الخمرِ، وراحَ يتصبَّبُ عرقًا من إبطينه، ومع أنه  
تحمَّمُ بالماءِ المعطرِّ بالليمونِ - كما حمَّنتُ - فلا ليمونِ في العالمِ من شأنه  
أن يطغى على صُنانِ عرقه الكريه. على الجانبِ الآخرِ رائحةُ رووس بولتونِ

أطيب بعض الشيء، وإن لم تكن سائرة أكثر، وقد جلس يحسني الهيبوكراس بدلاً من التبيد أو البتع ويأكل لقيمات قليلة جداً.

لا تستطيع كاتلين أن تلومه على غياب شهيتها، إذ بدأت وليمة الزفاف بحساء كرات خفيف، تبعته سلطة من الفاصوليا الخضراء والبصل والبنجر، ثم طبق من سمك الكراكي النهري المسلوق في حليب اللوز، مع أكوام من اللفت المهروس الذي برد قبل أن يُرص على الموائد، وهلام أمخاخ العجول، وشرائح من لحم الأبقار القاسي. وجبة أردأ من أن تُقدّم لملك، كما أن أمخاخ العجول قلبت معدة كاتلين، إلا أن روب أكلها دون شكوى، على حين انهمك أخوها في الكلام مع عروسه ولم يُعر الطعام كثيراً من انتباهه.

من يتصور أن إدميور ظل يتأفف من روزلين طوال الطريق من (ريقرن) إلى (التوأمتين)؟ أكل الزوج وزوجته من طبق واحد، وشربا من كأس واحدة متبادلين قُبلات خفيفة بين رشفة ورشفة، وإن لوح إدميور بيده رافضاً معظم الأصناف، ولا تلومه كاتلين على هذا. إنها لا تذكر إلا القليل من الأطعمة التي قدّمت في مأدبة زفافها. هل ذقتها، أم أمضيت الوقت كله محدقة إلى وجدند، أتساءل عن من يكون؟

تصدّرت وجه روزلين المسكينة ابتسامة لها طابع ثابت، كأن أحداً خاطها على وجهها، وهو ما جعل كاتلين تقول لنفسها: إنها عذراء عقّد قرانها، لكن الإضجاع لم يزل ينتظرها. لا ريب أنها مرعوبة مثلما كنت ليلة زفافي. كان روب جالساً بين آلكس فراي ووالدا الحسناء، وهما اثنتان من بنات فراي الأصلح للزواج. لقد قال اللورد والدر لابنها: «أمل أنك لن ترفض الرقص مع فتياتي في احتفال الزفاف. سيسعد هذا قلب رجل عجوز مثلي»، ومن المفترض أن يكون قلبه سعيداً جداً الآن إذن، بما أن روب أدّى واجبه كملك، ورفض مع كل من الفتيات، ومع الليدي فراي الثامنة وعروس إدميور، إضافة إلى الأرملة أمي ووالدا السّمينة زوجة رويس بولتون، والتوأمتين المجدورتين سيرا وسارا، وحتى مع شيري أصغر بنات اللورد والدر التي لا تزيد سنّها على الأعوام الستة. تساءلت كاتلين إن كان سيّد (المعبر) راضياً أم سيجد سبباً جديداً للشكوى في كل البنات والحفيدات اللاتي لم يأخذن

دورًا في الرقص مع الملك، وقالت للسير رايمان محاولة أن تكون بشوشًا: «أخواتك بارعات جدًا في الرقص».

قال السير رايمان: «إنهن خالات وبنات خالات»، وأخذ جرعة من النبيذ بينما يسيل العرق النَّاضِح من وجنتيه إلى لحيته.

فكرت كاتلين: رجل نكد المزاج، وثمل. قد يكون اللورد والدر فراي بخيلًا عندما يتعلق الأمر بإطعام ضيوفه، لكنه لم يُقترَ عليهم بالشراب، وتدقق المِزِر والنَّبِيذ والبِتَع بِسُرعة جريان النَّهَر في الخارج. كان چون الكبير سكرانًا حتى الثَّمالة بالفعل، يُنَافِسُه ميريت ابن اللورد والدر كأسًا بكأس، بينما غاب السير والن فراي عن الوعي وهو يُحاول معجراتهما. كانت كاتلين تُؤثِّر أن يظلَّ اللورد أومبر مستفيقيًا، لكن إخبار چون الكبير بالأشرب بمثابة أن تطلب منه أن يكفَّ عن التَّنَفُّس بضع ساعات.

جلسَ چون أومبر الصَّغِير وروبن فلينت على مقربةٍ من روب، على الجانب الآخر من كلٍّ من والدا الحسناء وآلكس. علاوةً على باتريك ماليستر وداسي مورمونت لم يشرب أحدهما، فأربعتهم مكلَّفون بحراسة ابنها هذا المساء. حفل الزَّفاف ليس معركةً، لكن ثمة خطر دومًا حين يكون الرِّجال سكارى، ويجب ألا يكون الملك بلا حراسةٍ أبدًا، وهو ما سُرَّت له كاتلين، وسُرَّت أكثر لأحزمة الشُّيُوف المعلقة من مشاجب على الحوائط. لا أحد في حاجةٍ إلى سيفٍ طويلٍ للتعامُل مع هَلام أمخاخ العجول.

قالت الليدي بولتون للسير وندل رافعةً صوتها ليسمعه فوق الموسيقى: «الجميع حسبوا أن سيدي سيختار والدا الحسناء». والدا السَّمينة فتاة متورِّدة الوجه مستديرة القوام ككرة الزُّبدة، ولها عينان زرقاوان دامعتان وشعر أصفر خفيف ونهدان عامران، وعلى الرغم من هذا فصوتها رفيع كالصَّفير الرَّاجف، ومن الصَّعب تخيلها في (معقل الخوف) مرتديةً فُستانها الحريري الوردِي وحرملتها الفرو. «لكن السيّد جدِّي عرضَ على رُووس وزن عروسه فضةً كمهر، وهكذا اختارني اللورد بولتون!»، وتهزّه ذفن الفتاة المترهِّل إذ ضحكت مضيئةً: «إنني أزن مئةً وعشرين رطلًا أكثر من والدا الحسناء، لكن تلك كانت المرّة الأولى التي سعدتُ فيها لهذا. إنني الليدي بولتون الآن، وابنة عمِّي لا تزال عزباء، كما أنها ستصبح في التَّاسعة عشرة قريًا، المسكينة».

لاحظت كاتلين أن سيّد (معقل الخوف) لم يُلقِ انتباهًا لهذه الثَّرتة. أحيانًا يتدوّق قطعةً من هذا الصَّنْف أو ملعقةً من ذلك، أو يُمزِّق من لُقَيْمةٍ من رغيِف الخُبز بأصابعه القصيرة القويّة، لكنه لم يترك الوجبة تُلْهيه. كان بولتون قد رفع نخبًا لأحفاد اللورد فراي في بداية الحفل، متعمدًا أن يذكُر أن الدر ووالدر في عناية ابنه النُّغل، ومن الطريقة التي زرَّ بها العجوز عينيه محدقًا إليه وفمه يمتصُّ الهواء امتصاصًا أدركت كاتلين أنه سمع التَّهديد اللا منطوق.

تساءلت في نفسها: هل شهدت الدنيا زفافًا أقلَّ بهجةً من هذا؟ ثم إنها تذكّرت ابنتها البائسة سانزا وزواجها بالعِفريت. لترحمها (الأم)، إنها مرهفة الحسِّ للغاية. أصابتها الحرارة والدُّخان والضَّوضاء بالغثيان. قد يكون الموسيقيُّون في الشُّرفة عديدين صاخبين، لكنهم ليسوا موهوبين بشكل خاص. أخذت كاتلين رشفةً أخرى من التَّبِيذ وسمحت لأحد الخدم بأن يُعيد ملء كأسها مفكرةً: بضع ساعاتٍ إضافيةٍ وينتهي الأسوأ. في مثل هذه السَّاعة غدًا سيكون روب في طريقه إلى معركةٍ أخرى، هذه المرّة مع الحديديين في (خندق كايلن)، وغريب كم يُفعم هذا الخاطر فؤادها بإحساس أدنى إلى الارتياح. سينتصر في تلك المعركة، سينتصر في معاركه كلها، وحديديُّو الميلاد بلا ملك، كما أن ند أحسنَ تعليمه. كانت الطبول تدقُّ، وذو الجلاجل يتواثب مارًا بها ثانيةً، غير أن علوَّ الموسيقى الشَّدِيد حال دون سماعها رنين الأجراس.

تعالّت فوق الضَّجيج فجأةً زمجرة كلين اشتبكا في القتال على قطعةٍ من اللّحم، وتدحرجا على الأرض وهما ينهشان ويعضّان بينما تصاعد هتاف مرح من الحاضرين، قبل أن يسكب أحدهم عليهما إبريقًا من المِزر ليفترقا ويتجه أحدهما عارجًا إلى المنصّة، وانفتح فم اللورد والدر الأهمّ مطلقًا ضحكةً كالنباح إذ نفّض الكلب المبتل عن آخره نفسه نائرًا المِزر والشَّعر على ثلاثة من أحفاده.

جعل منظر الكلين كاتلين تتمنّى لو أن جراي ويند هنا، لكن ذئب روب الرّهيب غاب من المكان، فقد رفض اللورد والدر السَّمّاح بدخوله القاعة قائلاً: «حيوانك الضَّاري يحبُّ مذاق اللّحم البشري كما سمعتُ، هه، يُمزِّق الأعناق، نعم. لن أسمح بوجود مخلوق كهذا في حفل ابنتي روزلين وسط النِّسوة والأطفال، أبريائي الأحبَّاء.»

رَدَّ رُوبٌ مَحْتَجًّا: «جراي ويند ليس خطرًا عليهم يا سيدي ما دمت موجودًا».

- «كنت موجودًا عند بوابتي، أليس كذلك؟ عندما هاجم الذئب أحفادي الذين أرسلتهم لاستقبالك. لقد سمعتُ بكلِّ ما جرى، فلا تحسب أني لم أفعل، هه».

- «لا أذى وقع...».

- «أيقول الملك لا أذى؟ لا أذى؟ بيتر سقطَ من على حصانه، سقط! لقد فقدتُ زوجةً بالطريقة نفسها، السُّقوط من على الحصان»، وتحركَ فم العجوز إلى الدّاخل والخارج وهو يُردِّف: «أم أنها كانت مجرد مومس؟ أم والدر النعل، نعم، الآن أتذكّر، سقطت من على حصانها وشجّت رأسها. ماذا كان صاحب الجلالة ليفعل لو كسرَ بيتر عنقه، هه؟ تُقدّم لي اعتذارًا آخر عوضًا عن حفيدي؟ لا، لا، لا. قد تكون ملكًا، فلن أقول إنك لست كذلك، الملك في الشّمال، هه، لكن تحت سقفي تسري قواعدي. إمّا الذئب وإمّا الزّفاف يا مولاي، ولكن ليس الاثنان».

استشفتْ كاتلين غضبة ابنها الشّديدة، لكنه انصاعَ بكلِّ ما قدرَ عليه من كياسة، فتذكّرت ما قاله لها: إذا أسعدَ اللورد والدر أن يُقدّم لي غُرابًا مسلوفاً محشواً بالبرقات، فسأكله وأطلبُ طبقًا ثانيًا، وهذا ما فعله.

كان چون الكبير قد بارى واحدًا آخر من ذرّيّة اللورد والدر في الشّرب حتى أوقعه تحت المائدة فاقدًا الوعي، بيتر ذا الدّمامل هذه المرّة. الفتى لا يتمتّع بأكثر من ثلث قدرته على سفّ الخمر، فماذا كان يتوقّع؟ مسح اللورد أومبر فمه ونهضَ وبدأ يُعني: «كان هناك دُب، دُب، دُب! كله أسود وبني ومغطى بالشعر!». ليس صوته سيئًا على الإطلاق وإن أثقله الشّراب بعض الشّيء، لكن لسوء الحظّ كان لابعو القرب والمزامير والطّبّالون في الأعلى يعزفون (زهور الرّبيع)، التي يُناسبُ لحنها كلمات (الجميلة والذّب) تمامًا كما تُناسبُ الحلزونات وعاءٌ من الثّريد، وذو الجلاجل المسكين نفسه غطّى أذنيه ليحجب عنهما التّشاز الضّاج.

تمتَمَ رُوس بولتون بشيءٍ ما بصوتٍ أكثر خفوتًا من أن يُسمع، ثم نهضَ وذهبَ بحثًا عن مرحاض، وتواصلت الممععة في القاعة المزدهمة مع دخول

وخروج الضيوف والخدم بلا انقطاع. تعلم كاتلين أن مآدبةً أخرى للفرسان واللوردات الأقل شأنًا في ذروتها الآن في القلعة الثانية، وكان اللورد والدر قد نفى أولاده غير الشرعيين وأولادهم إلى ضفة النهر الأخرى، فبدأ رجال روب الشماليون يُشيرون إليها بـ«مآدبة الثُغول». لا شك أن عددًا من الضيوف يتسلل بين الحين والآخر ليرى إن كان الثُغول يحظون بوقتٍ أفضل منهم، بل وربما يتمادى بعضهم حتى المخيمات، حيث وقر آل فراي براميل النبذ والمزور والبتع للجنود كي يشربوا أنخاب زفاف (ريقرن) و(التوأمتين).

جلس روب في مكان بولتون الشاغر، وقال بصوتٍ واطئٍ بينما غنى جون الكبير عن الجميلة ذات العسل في شعرها: «ساعات قليلة أخرى وتنتهي هذه المهزلة يا أمّاه. والدر الأسود يبدو وديعًا كالحمّالان في الوقت الرّاهن على الأقل، والخال إدميور يبدو قانعًا تمامًا بعروسه»، ثم مال مقتربًا، ونادى السير رايمان فراي.

حدّق إليه السير رايمان قائلاً: «مولاي، نعم؟».

- «كنتُ أملُ أن أطلب من أوليغار أن يكون مرافقي عندما نرحل شمالًا، لكنني لا أراه هنا. أهو في الحفل الآخر؟».

ردّد السير رايمان: «أوليغار»، ثم هزّ رأسه نفيًا، وقال: «لا، ليس أوليغار. ذهب... غادر القلعتين. واجب».

- «مفهوم»، قال روب الذي نمت نبرته عن العكس، ولمّا لم يقل السير رايمان المزيد قام الملك قائلاً: «ما رأيك في رقصةٍ يا أمّي؟».

- «أشكرك، لكن لا». الرقص آخر شيءٍ تُريده ورأسها ينبض بالصداع هكذا. «لا ريب أن إحدى فتيات اللورد والدر ستسعد بمشاركتك الرقص».

قال بابتسامةٍ مستسلمة: «أوه، لا ريب».

كان الموسيقيون يعزفون (الرّماح الحديد) الآن، بينما غنى جون الكبير (الصّبي الشّهواني)، وفكرت كاتلين: على أحدهم أن يُعرّف بعضهم على بعض، فربما يتحسن الإيقاع، ثم التفتت إلى السير رايمان قائلةً: «سمعتُ أن أحد أبناء عمومك مغنٌّ».

قال: «أليساندر، ابن سايموند وأخو الكس»، وأشار بكأسه إلى حيث ترقص الفتاة مع روبن فليت.



- «هل سيُعني ألساندر لنا الليلة؟».

ضيق عينيه قائلاً: «ليس هو، إنه غائب»، ومسح العرق عن جبينه وأسرع ينهض مضيقاً: «بعد إذنك يا سيّدي، بعد إذنك»، وشاهدته كاتلين يتّجه إلى الباب مترنّحاً.

كان إدميور يُقبّل عروسه ويعتصر يدها، وفي أماكن أخرى في القاعة كان السير مارك بايپر والسير دانويل فراي مشغولين بلعبة شرب، ولوثار الأعرج يقول شيئاً طريفاً للسير هوستين، وأحد أولاد فراي الأصغر يُسْقِب ثلاثة خناجر في الهواء لمجموعةٍ من الفتيات الضاحكات، فيما جلس ذو الجلجل على الأرض يلعب التبيذ من على أصابعه، وجاء الخدم حاملين صحافاً فضيَّةً ضخمةً تكوّمت عليها قطع لحم الضأن الوردي كثير العصاره، أكثر صنفٍ يفتح الشهيّة رأوه طيلة أمسيّتهم هذه.

شاركت داسي مورمونت روب الرقص. عندما ترتدي فستاناً بدلاً من قميص الحلقات المعدنية تبدو ابنة الليدي مج الكبرى جميلة حقاً، فارعاً رشيقة ذات ابتسامة خجول تجعل وجهها الطويل يُضيء، ومن السّار أن ترى أن براعتها في حلبة الرقص تُداني مهارتها في ساحة التّدريب. تساءلت كاتلين إن كانت الليدي مج قد بلغت (العنق). لقد أخذت بناتها الأخريات معها، لكن باعتبارها واحدة من رفاق روب في المعارك اختارت داسي أن تبقى إلى جانبه. إنه موهوب مثل ندى في إلهام النّاس الإخلاص. كان أوليفار فراي مخلصاً لابنها أيضاً. ألم يقل روب إن أوليفار أراد أن يبقى معه حتى بعد أن تزوّج جاين؟

قاعداً بين بُرجيه البلوط الأسودين، صفّق سيّد (المعبر) بيديه اللذين بقّعتهما السنون، لكن الصّوت الذي صدرَ منهما كان خافتاً للغاية، حتى إن من على المنصّة أنفسهم سمعوه بالكاد، لكن السير اينس والسير هوستين رآياه فبدأ يدقّان المائدة بكأسيهما، ثم انضمّ إليهما لوثار الأعرج، ثم مارك بايپر والسير دانويل والسير رايموند، وسرعان ما أصبح نصف الضيوف يدقّون بدورهم، وأخيراً لاحظت مجموعة الموسيقيّين في الشّرفة، وحلّ الهدوء محلّ المزامير والطبل والقرب.

خاطب اللورد والدر روب قائلاً: «يا جلالة الملك، لقد صلّى السّبتون

صلواته وقيلت بضع كلمات وأحاط اللورد إدميور حلوتي بمعطف الأسماك، لكنهما ليسا زوجًا وزوجةً بعدُ. السيف يلزمه غمد، هه، والزفاف يلزمه إضجاع، فما رأي مولاي؟ هل يأذن في أن نُضجعهما؟».

بدأ عشرون أو أكثر من أبناء وأحفاد والدر فراي يقرعون الموائد بكوؤوسهم من جديد صائحين: «إلى الفراش! إلى الفراش! إلى الفراش بهما!». غاصت الدماء من وجه روزلين فابيض كالحليب، وتساءلت كاتلين إن كانت فكرة فقدان عُذريتها هي ما يُخيفها أم الإضجاع في حد ذاته. لا بُدَّ أن الطقس ليس غريبًا عليها في وجود كل هؤلاء الإخوة والأخوات، لكن الأمر يختلف حين يكون إضجاعها هي مقبلًا. ليلة زفاف كاتلين مزق چوري كاسل فُستانها من فرط تعجُّله على إخراجها منه، وظلَّ دزموند جزل السَّكران يعتذر عن كل دُعابة بذيئة يلفظها، فقط ليتبع اعتذاره بأخرى، ولمَّا رآها اللورد داستن عاريةً قال لند إن نهديها جعلاه يتمنى لو أنه لم يُفطم. الرَّجل المسكين. ذهب اللورد داستن جنوبًا مع ند ولم يرجع قط. تساءلت كم رجلا هنا الليلة سيموت قبل أن ينصرم العام. كثيرون للأسف.

رفع روب يده قائلاً: «إذا كنت ترى الوقت ملائمًا أيها اللورد والدر، فهيا نُضجعهما بكل تأكيد».

أجيب إعلانه بتأييد هادر، وفي الشُّرفة التقط الموسيقيون مزاميرهم وأبواقهم وكمنجاتهم ثانيةً وبدأوا يعزفون (خلعت الملكة صندلها، خلع الملك تاجه)، وتواثب ذو الجلاجل من قدم إلى قدم وتاجه يرن، وصاحت ألكس فراي بجراءة: «سمعتُ أن رجال تلي لديهم أسماك ترويت بين سيقانهم بدلًا من القضبان. هل يحتاج الواحد منهم إلى دودة كي ينتصب؟»، وهو ما ردَّ عليه السير مارك بايپر قائلاً: «سمعتُ أن نساء فراي لديهن بوابتان بدلًا من واحدة!»، فقالت ألكس: «نعم، لكن كليهما مغلقتان وموصدتان أمام الأشياء الصَّغيرة من أمثالك!»، وتفجَّرت الضحكات الصَّاخبة طويلًا إلى أن صعد باتريك ماليستر فوق مائدة ورفع نخبًا لسمكة إدميور ذات العين الواحدة، وأضاف: «ويا لها من سمكة كراكي قويَّة!»، فصاحت والدا بولتون السَّمينة المجاورة لكاتلين: «لا، أراهن أنها سمكة منوة زلقة!»، ثم عاد هتاف «إلى الفراش! إلى الفراش!» يتردَّد من جديد.

انقضَّ الضُّيوف على المنصَّة، أكثرهم ثَملاً في الطَّلِعة كالمعتاد، وأحاط  
الرِّجال والفِتية بروزلين ورفعوها في الهواء، بينما سحبت عذارى وأمّهات  
القاعة إدميور وبدأن يجذبن ثيابه. كان يضحك ويرميهن بالنُّكات الفاحشة  
بدوره، وإن طغى صوت الموسيقى على كلامه فلم تسمعه كاتلين، لكنها  
سمعتِ چون الكبير الذي صاحَ بصوتٍ جهوري: «أعطوني العروس  
الصَّغيرة!»، ودسَّ نفسه وسط الرِّجال وألقى روزلين على كتفه قائلاً: «انظروا  
إلى هذه الفتاة الضَّئيلة! لا لحم فيها على الإطلاق!».

شعرت كاتلين بالشَّفقة على الفتاة. معظم العرائس يُحاولن الرَّدَّ على  
المزاح البذيء، أو يتظاهرن بأنه طريف على الأقل، إلا أن روزلين تبيّست  
رُعباً وتشبّثت بچون الكبير كأنها تخشى أن يُوقعها، وأدركت كاتلين أن الفتاة  
تبكي أيضاً وهي تُشاهد السير مارك باپير يخلع إحدى فردتيّ حذاءها. أتمنّى  
أن يترفّق إدميور بالصَّغيرة المسكينة. ظلت الموسيقى المرحّة تندفق من  
الشُّرفة، حيث كانت الملكة تخلع غلالتها ويخلع الملك قميصه.

تعلم أن عليها الانضمام إلى حشد النِّساء حول أخيها، لكنها ستُفسد  
لهوهن لا أكثر، وأخر ما تحسُّ به الآن هو المرح. لا شكَّ لديها في أن إدميور  
سيغفر لها الغياب، خصوصاً أن تجريد مجموعة من نساء فراي الضَّاحكات  
الشُّبقات إياه من ثيابه وإضجاعه أكثر أنسا بكثيرٍ من أن تفعل هذا أخته الكئيبة  
المهمومة.

رأت أن روب أيضاً بقي في القاعة إذ حُمِلَ الرِّجل والفتاة منها مخلفين أثراً  
من الملابس وراءهما. لا بُدَّ أن طبيعة والدر فراي الشُّكّاة ستجعله يرى إهانةً  
ما لابنته في هذا. حريٌّ به أن ينضمَّ إلى إضجاع روزلين، لكن هل يحقُّ لي أن  
أقول له هذا؟ توترت كاتلين إلى أن رأت آخرين باقين في المكان. واصل بيتر  
ذو الدِّمامل والسير والن فراي التَّوم ورأسهما على المائدة، وصبَّ ميريت  
فراي لنفسه كأس نبيذٍ جديدةً، على حين تجوّل ذو الجلاجل في القاعة سارقاً  
قطع الطَّعام من أطباق مَنْ غادروا، وانقضَّ السير وندل ماندرلي على ساق  
ضأنٍ ملتهمًا إياها بنهم... وبالطبع كان اللورد والدر نفسه أوهى من أن يُبارح  
مقعده دون عون. لكنه سيتوقَّع من روب أن يذهب، فكّرت وهي تكاد تسمع  
العجوز يتساءل لِمَ لا يُريد صاحب الجلالة أن يرى ابنته عاريةً.

وعاداتُ الطُّبولِ تدُقُّ، تدُقُّ وتدُقُّ وتدُقُّ.

وقفت داسي مورمونت - التي يبدو أنها الأنثى الوحيدة الباقية في القاعة بخلاف كاتلين - وراء إدوين فراي ومست ذراعه بخفة وهي تهمس بشيء ما في أذنه، غير أن إدوين انتزع ذراعه من لمستها بعنف لا يليق، وقال بصوت غالى في علوه: «كلا، لقد فرغتُ من الرَّقص في الوقت الحالي»، فامتقع وجه داسي ودارت منصرفة عنه.

نهضت كاتلين ببطء متسائلة: ما هذا الذي حدث بالضبط؟ استبدت الشكوك بقلبها الذي لم يحتله سوى التعب قبل لحظة واحدة، وحاولت أن تقول لنفسها: إنك تُقدِّرين البلاء قبل وقوعه لا أكثر. لقد صرت عجوزاً أسخيفةً أسقمته المخاوف والأحزان. لكن لا بُدَّ أن شيئاً لآخ على وجهها، حتى إن السير وندل ماندري سألها وساق الضآن في يده: «هل من خطب ما؟».

لم تُجبه، وبدلاً من هذا ذهبَت وراء إدوين فراي. كان العازفون في الشُرفة قد جرّدوا الملك والملكة من ثيابهما تماماً أخيراً، ثم إنهم شرعوا دون لحظة توقّف واحدة في عزف أغنية أخرى من نوع مختلف تماماً. لم يُردّد أحدهم الكلمات، لكن كاتلين تعرّفت لحن (أمطار كاستامير) في الحال حين سمعته. كان إدوين يتحرّك مسرعاً نحو أحد الأبواب، فحثّت الخطى وراءه وقد دفعتها الموسيقى، قبل أن تلحق به بست خطوات سريعة. بكبر قال اللورد: ومن ذا تكون كي أمرغ رأسي في التراب أمامك؟ جذبت إدوين من ذراعه ليلتفت إليها، وتجمّدت الدماء في عروقها عندما أحست بملمس الحلقات المعدنيّة تحت كُمه الحرير. وهوت كاتلين على وجهه بصفعة شقّ عنفها شفته. أوليفار وپروين وأليساندر، كلهم غائبون، وروزلين كانت تبكي...

دفعها إدوين فراي جانباً بقسوة بينما أغرقت الموسيقى كل شيء آخر وتردّد صداها على الجدران الحجرية كأنما تنبعث الأنغام منها. رمق روب إدوين بنظرة غاضبة وتحرك ليعترض طريقه... وترنح فجأة إذ برز رأس السهم من جانبه بعد أن اخترقه أسفل كتفه مباشرة. إذا كان قد صرخ لحظتها، فقد ابتلع صوت المزامير والأبواق والكمنجات صرخته، ورأت كاتلين سهماً ثانياً ينغرس في ساقه، ورأته يسقط. في الشُرفة في الأعلى كان نصف العازفين يحمل الآن نسابية بدلاً من الطبول والأعواد. هرعت كاتلين صوب ابنها، وفي

منتصف الطريق شعرت بشيء ما يخترق أسفل ظهرها، ووجدت الأرضية الحجرية القاسية تندفع إلى أعلى بغتة لتصفعها على وجهها. صرخت: «روب!»، ورأت چون أومبر الصَّغير يُجاهد لرفع واحدة من الموائد عن قوائمها، وانغرس سهم وثانٍ وثالث في خشبها وهو يقلبها فوق مليكه المنطرح أرضاً. كان روبن فلينت محاصرًا برجال فراي وخناجرهم ترتفع وتنهال عليه، ونهض السير وندل ماندرلي بتثاقُل وهو لا يزال يحمل ساق الضَّبان التي كان يلتهمها بشراسة، فقط ليخترق سهم فاه المفغور ويخرج من مؤخرة عنقه، وتهاوى السير وندل إلى الأمام مُسقَطاً المائدة عن قوائمها، ليطير ما عليها من أكواب وأباريق وصِّحاف وأطباق ولفت وبنجر ونيذ ويتناثر على الأرض.

اشتعل ظهر كاتلين نارًا، لكنها قالت لنفسها: يجب أن أبلغه. هوى چون الصَّغير على وجه رايموند فراي بساق ضَّبانٍ بكل ما لديه من قوَّة، لكن سهمًا أُرِدها عندما مدَّ يده ليستل سيفه وأسقطه على رُكبتيه. فحتى إن تسربل بالأحمر، وإن تحلَّى بالذهب، تظلُّ للثِّ مخالبه. رأت السير هوستين فراي يُسقط لوكاس بلاكوود، واستعمل الدر الأسود سيفه ليقطع أوتار رُكبة أحد أبناء فانس وهو يُصارع السير هاريس هاي. ومخاليبي طويلة حادَّة يا سيدي، طويلة حادَّة، تمامًا كمخالبك. أسقطت السَّهام دونل لوك وأوين نوري وزُهاء دستة غيرهما، ورأت كاتلين السير بنفري يقبض على ذراع داسي مورمونت، لكنها اختطفت إبريق نيذ بيدها الأخرى وحطمته على وجهه، قبل أن ترُكض نحو الباب الذي انفتح على مصراعيه قبل أن تَبْلُغه، ومنه دخل السير رايمان فراي مكسوًّا بالفولاذ من قَمَّة رأسه إلى أخمص قدميه، بينما سدَّت مجموعة من الجنود المدخل وراه وكل منهم يحمل فأسًا طويلةً.

صرخت كاتلين: «الرَّحمة!»، لكن استرحامها اختنق تحت دويِّ الأبواق والطبول وتقارع الفولاذ. دفن السير رايمان رأس فأسه في بطن داسي، وتدقق الرِّجال كالسَّيل من الأبواب الأخرى مرتدين الحلقات المعدنية تحت المعاطف الفرو الخشنة وفي أيديهم الفولاذ. رجال شماليُّون! طيلة نصف نبضة قلب لا أكثر حسبَّتهم آتين بالغوث، ثم إن أحدهم أطاح برأس چون الصَّغير من على كتفيه بضربتين مرعبتين من فأسه، وانطفأ الأمل كشمعة في مهبِّ إعصار.

وفي خضمّ المذبحة استقرّ سيّد (المعبر) على عرشه البلوط المنحوت  
يلتهم المنظر بعينين جشعتين.

على بُعد أقدام قليلة منها لمحت خنجراً على الأرض، ربما انزلق إلى هناك  
عندما قلبَ چون الصّغير المائدة، أو ربما سقط من يد أحد المحتضرين. زحفت  
كاتلين نحوه بأطرافٍ ثقيلة وفي فمها مذاق الدم، وقالت لنفسها: سأقتلُ والدر  
فراي. كان ذو الجلاجل المختبئ تحت مائدة أدنى منها إلى السكّين، لكنه جفَلَ  
إذ اختطفت السّلاح. سأقتلُ العجوز، يُمكنني أن أفعل هذا على الأقل.

ثم إن المائدة التي قلبها چون الصّغير فوق روب تحرّكت، ورأت كاتلين  
ابنها ينهض بصعوبة وقد اخترق سهم جانبه وثنان ساقه وثالث صدره. رفع  
اللورد والدر فراي يده، فتوقّفت الموسيقى كلها باستثناء طبلية واحدة ظلّت  
تدق، وتناهت إلى مسامع كاتلين أصوات معركة تدور على مسافة بعيدة،  
وأقرب منها صوت ذئب يعوي، جراي ويند الذي تذكّرتَه متأخراً جداً.

أطلق اللورد والدر ضحكةً ساخرةً وهو يرمُق روب قائلاً: «هه، الملك في  
الشّمال ينهض. يبدو أننا قتلنا بعضاً من رجالك يا صاحب الجلالة. أوه، لكنني  
سأعتذرُ لك وسيعودون في خير حال، هه».

أطبقت كاتلين على خُصلةٍ من شعر ذي الجلاجل فراي الأشيب الطويل  
وجرّته من تحت المائدة التي يتوارى أسفلها، وصاحت وصوت الطبلية  
الوحيدة لا يزال يُدويُّ ببُطءٍ دوم بوم دوم: «لورد والدر! لورد والدر! كفى!  
أقول لك كفى! لقد جازيت الخيانة بالخيانة، فضّع نهايةً لهذا». حين ضغطت  
خنجرها على حلق ذي الجلاجل عادت إليها ذكري بران في عُرفة المرض  
والإحساس بالفولاذ على حلقها هي، وتواصل دق الطبلية بوم دوم بوم دوم  
بوم دوم. «أرجوك. إنه ابني، أول أبنائي وآخرهم. دعه يذهب، دعه يذهب  
وأقسمُ أننا سننسى هذا... سننسى كل ما فعلته هنا. أقسمُ بالآلهة القديمة  
والجديدة أننا... أننا لن نسعى إلى الانتقام...».

حدّق اللورد والدر إليها بريبة قائلاً: «لا يُصدّق هذا الهراء إلا أحمق، فهل  
تعتبريني أحمق يا سيّدتني؟».

- «بل أعتبرك أباً. خُذني رهينةً، وإدميور أيضاً إذا لم تكونوا قد قتلتموه،  
لكن دَع روب يذهب».

بصوتٍ بخفوت الهمس قال روب: «لا، لا يا أمِّي...».

- «نعم. روب، انهض، انهض واخرُج من هنا، أرجوك، أرجوك. أنقذ نفسك... إن لم يكن من أجلي فمن أجل چاين».

ردّد روب: «چاين؟»، وتعلق بطرف المائدة مُجبرًا نفسه على النهوض، وقال: «أمِّي، جراي ويند...»

- «اذهب إليه، الآن. روب، اخرج من هنا!»

قال اللورد والدر بامتعاض: «ولم أتركه يفعل ذلك؟».

ضغطت نصل الخنجر أكثر على رقبة ذي الجلاجل، وصرخت عينا المعتوه فيها بضراعة صامته وقد فاحت منه رائحة مفززة أفعمت أنفها، لكنها لم تُعربها اهتمامًا أكثر مما أعارت وقع الطبلّة المتواصل الكئيب، بوم دوم بوم دوم بوم بوم. كان السير رايمان ووالدر الأسود يدوران حول ظهرها، لكنها لم تبال. فليفعلوا بها ما يريدون، يسجنوها، يغتصبوها، يقتلونها، لا فرق. لقد عاشت أكثر من اللازم بالفعل، وند ينتظرها. روب هو شاغلها الأوحى الآن. اهترت يدها بشدة رتت أجراس ذي الجلاجل وهي تقول: «أقسم بشرفي كابنة عائلة تلي، أقسم بشرفي كابنة عائلة ستارك، سأبادل حياة روب بحياة ابنك. ابن مقابل ابن».

دوّت الطبلّة بوم بوم بوم دوم دوم، وارتجف السكين في يد كاتلين وقد جعله العرق زليقًا، ومط العجوز شفثيه قائلاً: «ابن مقابل ابن، هه، لكن هذا ليس ابني، بل حفيدي... ولم يكن ذا نفع قط علي كل حال».

لحظتها تقدّم رجل يرتدي درعًا داكنةً ومعطفًا ملطّخًا بالدماء من روب، وقال: «چايمي لانستر يُرسل تحيَّاته»، وأغمد سيفه الطويل في قلب ابنها، ودوره.

روب خالف كلمته، لكن كاتلين حافظت على كلمتها وشدت شعر إجون بكل قوتها وراحت تحز في عنقه إلى أن بلغ النصل العظم، وسال الدم الساخن على أصابعها، بينما أخذت أجراسه الصغيرة ترن وترن وترن، والطبلّة تدوي بوم بوم بوم دوم.

أخيرًا خلص أحدهم الخنجر من أصابعها، وانهمرت الدُموع حارقة كالخل على وجنتيها، وأحسّت بعشرة غربان شرسة تُمزق لحم وجهها تمزيقًا

بمخالبتها الماضية، تاركةً أخاديد عميقةً امتلأت بحُمرة الدماء التي تذوّقتها على شفيتها.

الألم لا يوصف. أولادنا يا ند، كلُّ أطفالنا الغالين. ريكون، بران، آريا، سانزا، روب... روب... أرجوك يا ند، أرجوك اجعل هذا الألم يتوقّف، اجعله يتوقّف... سألت الدُموع البيضاء والحمراء معًا على الوجه الذي مرّفته بأظفارها، الوجه الذي لطالما أحبّه ند، ورفعت كاتلين ستارك يديها وشاهدت الدماء تجري على أصابعها الطويلة وساعديها إلى تحت كُمّي فُستانها، وشعرت بها كديدان حمراء بطيئة تزحف على ذراعيها وتحت ثيابها. إنها تُدغدغ. جعلها الخاطر تضحك وتضحك وتضحك إلى أن تفجّر منها الصّراخ، وسمعت أحدهم يقول: «لقد جُنّت، طارَ صوابها»، وقال آخر: «فلنُنهِ هذا»، وأطبقت يد على فروة رأسها كما فعلت مع ذي الجلاجل، ففكرت: لا، لا تفعل، لا تقطع شعري، نديحِبُّ شعري، ثم إنها أحسّت بالفولاذ على جيدها، وكانت لدغته حمراء باردة.





## آريا

تجاوزًا خيام الاحتفال، ومضت العربة فوق الطين المبتلّ والعُشب الممزّق تاركةً الأضواء وراءها وعائدةً إلى العتمة، وقد لاح مبنى بوابة القلعة أمامهما، ورأت آريا مشاعل تتحرّك على الأسوار، يتراقص لهما في الرّيح ويرتعد، وينعكس ضوءه بخفوتٍ على القمصان المعدنيّة والخوذات المبتلة، فيما يتحرّك مزيد من المشاعل على الجسر الحجري المظلم الذي يصل بين القلعتين التوّأمتين، طابور من الرّجال يتدفّق من الضّفّة الغربيّة إلى الشّرقيّة. قال آريا فجأةً: «القلعة ليست مغلقةً». قال الرّقيب إن القلعة ستكون كذلك، لكنه مخطئ. كانت الشّبكة الحديديّة تُسحب إلى أعلى في هذه اللّحظة بالذات، وأنزل الجسر المتحرّك بالفعل فوق الخندق. لقد خشيت ألاّ يسمح لهما حرس اللورد فراي بالدخول.

عضّت على شفتها ومضغّتها لحظةً عاجزةً عن الابتسام من فرط لهفتها. أوقفَ كلب الصّيد العربة على حين غرّةٍ حتى إنها كادت تقع، وسمعت آريا يسبّ وقد بدأت العجلة اليسرى تغوص في الوحل الطّري: «بحقّ الجحائم السّبع اللّعيّنة!». أحسّت بالعربة تميل ببطء، وهدر كليجاين فيها: «انزلي!»، ودفع كتفها بكعب يده لئسقطها إلى جانب العربة، فهبطت بخفّة كما علمها سيريو فورل، وانتفضت واقفةً في الحال، وصرخت: «لماذا فعلت هذا؟!». كان قد وثب أرضًا بدوره، وانتزع المقعد من على مقدّمة العربة، ومدّ يده متناولاً حزام سيفه المحبّباً.

عندئذ فقط سمعت الخيالة المنصبيّين من بوابة القلعة كنهر من الفولاذ والنّار، يكاد هزيم حوافر جيادهم الحربيّة على الجسر المتحرّك يختفي تحت

دَقَاتِ الطَّبْلِ الْمُقْبِلَةِ مِنَ الْقَلْعَتَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ. ارْتَدَى الرَّجَالُ وَخِيُولَهُمْ  
دِرْوَعًا مِنَ الصَّحَائِفِ الْمَعْدِنِيَّةِ، وَحِمْلٍ وَاحِدٍ مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ مَشْعَلًا، بَيْنَمَا  
حَمَلُوا آخَرُونَ الْبَلَطَاتِ وَالْفُؤُوسِ الطَّوِيلَةَ ذَاتِ الرَّؤُوسِ الشَّائِكَةِ وَالنِّصَالِ  
الثَّقِيلَةِ الْقَمِينَةِ بِتَحْطِيمِ الْعِظَامِ وَتَهْشِيمِ الدَّرُوعِ.

سَمِعَتْ آرِيَا ذَبْنًا يَعْوِي فِي مَكَانٍ مَا بَعِيدٍ، سَمِعَتْهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ عُوَاهُ  
لَيْسَ عَالِيًا مُقَارَنَةً بِضَوْضَاءِ الْمَعْسَكِ وَالْمُوسِيقَى وَرُغَاءِ النَّهْرِ الضَّارِي الْوَاطِئِ  
الْمُنْدَرِ بِالْوَيْلِ... لَكِنْ رُبَّمَا لَمْ تَسْمَعْهُ بِأُذُنَيْهَا، لَكِنْ الصَّوْتِ الرَّاجِفِ سَرَى فِي  
أَعْمَاقِ آرِيَا كَسَكِينٍ شَحَذَتْهُ الثُّورَةُ وَاللُّوْعَةُ. كَانَ خَيَْالَهُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ يَخْرُجُونَ مِنْ  
البُوبَةِ فِي طَابُورٍ بَعْضُ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، فُرْسَانٌ وَمُرَافِقُونَ وَمُحَارِبُونَ  
غَيْرِ نِظَامِيِّينَ وَمَشَاعِلَ وَفُؤُوسٍ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ تَنْبَعُثُ أَصْوَاتٌ هَزْجٌ وَمَرْجٌ.  
حِينَ تَلَفَّتْ حَوْلَهَا رَأَتْ اثْنَتَيْنِ فَقَطْ قَائِمَتَيْنِ مِنْ خِيَامِ الْإِحْتِمَالِ الثَّلَاثِ،  
وَقَدْ انْهَارَتْ الْخِيْمَةُ الَّتِي فِي الْمُنْتَصَفِ. مَرَّتْ وَهَلَةٌ دُونَ أَنْ تُدْرِكَ آرِيَا مَا تَرَاهُ،  
ثُمَّ انْدَلَعَ اللَّهَبُ فِي الْخِيْمَةِ الْمُتَقَوِّضَةِ، وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسَهَا تَدَاعَتْ الْإِثْنَانِ  
الْآخَرِيَانِ، وَانْطَبَقَ الْقِمَاشُ الثَّقِيلُ الْمَشْرَبُ بِالزَّيْتِ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ حَلَقَ  
سَرَبٌ مِنَ السَّهَامِ النَّارِيَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَشَبَّتِ النَّارُ فِي الْخِيْمَةِ الثَّانِيَةِ وَبَعْدَهَا  
الثَّلَاثَةَ. تَصَاعَدَ الصَّرِيخُ وَدَوَّى حَتَّى إِنَّهَا بَدَأَتْ تُمَيِّزُ شَيْئًا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ عُلُوِّ الْمُوسِيقَى، وَتَحَرَّكَتْ أَجْسَامٌ مَظْلَمَةٌ أَمَامَ اللَّهَبِ، يَلْتَمِعُ فَوْلاذِ  
دِرْوَعِهَا بِالْبَرْتِقَالِيِّ مِنْ بَعِيدٍ.

مَعْرَكَةٌ، إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ. وَالْخَيَْالَةُ...

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتُ لِمَشَاهِدَةِ الْخِيَامِ. النَّهْرُ الطَّافِحُ عَلَى ضَفَّتَيْهِ جَعَلَ الْمِيَاهُ  
السُّودَاءَ الدَّوَامَةَ تَرْتَفِعُ بِالْغَةِ بِطُونَ الْخِيُولِ، لَكِنْ الرَّكْبِينَ خَاضُوا فِيهَا عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ هَذَا وَقَدْ هَمَزَتْهُمْ الْمُوسِيقَى. هَذِهِ الْمَرَّةُ الْأَغْنِيَةَ السَّابِحَةَ فِي الْهَوَاءِ  
آتِيَةً مِنَ الْقَلْعَتَيْنِ فِي الْآنِ نَفْسَهُ، وَأَدْرَكَتْ آرِيَا فَجَاءَتْ أَنَّهَا تَعْرِفُهَا. إِنَّهَا الْأَغْنِيَةُ  
الَّتِي شَدَا بِهَا تَوْمَ أَبُو السَّبْعَاتِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ حِينَ أَوَى الْخَارِجُونَ  
عَنِ الْقَانُونِ إِلَى الْمَخْمَرَةِ مَعَ الْإِخْوَةِ. بِكِبْرٍ قَالَ اللَّوْرُدُ: وَمَنْ ذَا تَكُونُ كِيْ أَمْرٌ  
رَأْسِي فِي التُّرَابِ أَمَامَكَ؟

تَقَدَّمَ خَيَْالَهُ فَرَايَ بِجَهْدٍ فِي الْوَحْلِ وَبَيْنَ أَعْوَادِ الْبُؤُصِ، لَكِنْ بَعْضُهُمْ رَأَى  
العَرَبَةَ، وَرَاقَبَتْ آرِيَا بَيْنَمَا انْفَصَلَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ عَنِ الطَّابُورِ الرَّئِيسِيِّ وَجَاءُوا

خائضين المياه الضحلة. مجردَ قطٍّ يكتسي بفروة الأسد، وهذا مبلغ علمي فيك.

أطلق كليجايين سراح سترينچر بضربةٍ واحدة من سيفه، ثم وثب على ظهره، وعرفَ الجواد المُرَاد منه فأرَهفَ أذنيه ودارَ نحو الخيول القادمة. فحتى إن تسربلَ بالأحمر، وإن تحلَّى بالذهب، تظلُّ للبيِّ مخالبه، ومخالبي طويلة حادَّة يا سيِّدي، طويلة حادَّة، تمامًا كمخالبك. مئة مئة مرَّة دعَت آريا أن يموت كلب الصَّيد، لكن الآن... في يدها كانت صخرة مغطَّاة بالوحل اللزج، ولا تذكُر أنها التقتَّتها من على الأرض. أقذفُ بها من؟

فقرت جافلةً من صوت صدام المعدن بالمعدن إذ تصدَّى كليجايين للفأس الأولى، وبينما اشتبك مع الرِّجل الأول دارَ الثَّاني وراءه وسدَّد ضربةً إلى أسفل ظهره. كان سترينچر يدور لحظتها، فتلقَّى كليجايين الضَّربة خاطفةً لا أكثر، لتُمزقَ قميص الفلاح الواسع وتكشف عن الحلقات المعدنيَّة تحته. ضمَّت آريا قبضتها حول الصَّخرة قائلةً لنفسها: إنه واحد ضد ثلاثة. سيقتلونه لامحالة، وفكرت في مايكا، صبيِّ الجزَّار الذي ربطتها به صداقة عابرة للغاية. ثم إنها رأت الخيَّال الثالث متوجَّهًا نحوها، ودارت آريا وراء العربة. ضربة الخوف أمضى من السَّيف. سمعت طبولاً وأبواق حربية ومزامير ونخير خيولٍ وصراخ فولاذ، لكن الأصوات كلها بدت بعيدة. ليس هناك الآن إلا الخيَّال المنقض عليها والفأس الطويلة في يده. فوق درعه ارتدى قميصًا طويلًا، وعليه البرجان اللذان يُفصِّحان عن هويِّته كفراي. رأتهما آريا فلم تفهم. خالها يتزوَّج ابنة اللورد فراي، وآل فراي أصدقاء أخيها. دارَ الرِّجل حول العربة، فصرخت: «لا!»، لكنه لم يُعرها اهتمامًا.

حين انقضَّ عليها ألقتَه بالصَّخرة كما ألقتَ جندي ذات مرَّة بتفاحة. يومها أصابت جندي بين العينين بالضَّبط، لكنها أخطأت التَّسديد هذه المرَّة، وارتدَّت الصَّخرة جانبًا عن صُدغه، فكانت الضَّربة كفيِّلة بكسر انقضاضته لا أكثر. تراجعَت مندفعةً على الأرض الموحلة على مشطِّي قدميها حتى وضعت العربة بينهما ثانيَّة، وخبَّ الفارس وراءها، لا يلوح من عينيه إلا الظلام. لم تُحدث صخرتها مجردَ انبعاج في خوذته حتى دارا حول العربة مرَّةً وثانيَّةً وثالثَّةً، وشمَّها الفارس وقال: «لا يُمكنك الإفلات إلى...».

هوى رأس الفأس على منتصف رأسه مدمراً الخوذة والجمجمة التي تحتها، وطير الرجل من فوق سرجه ليسقط على وجهه مباشرة. وراءه كان كلب الصيد على صهوة سترينچر. كادت تسأله: كيف حصلت على الفأس؟ ثم إنها رأت. واحد من رجائي فراي الآخرين كان عالقا تحت حصانه المحتضر، يغرق في شبر من الماء، على حين انطرح الثاني على ظهره بلا حراك. لم يكن يرتدي واقى عنق، ومن تحت ذقنه انبثق النصل المكسور. هدر فيها: «ناولينى خودتي».

كانت مدسوسة في قعر جوال من التُّفَّاح المجفَّف في مؤخرة العربة وراء أقدام الخنازير المخللة، فقلبت أريا الجوال وألقته إليه، واختطفها من الهواء بيد واحدة وثبتها على رأسه، وحيث كان الرجل، أصبح هناك كلب فولاذي يزوم في وجه النَّار. - «أخي...».

زَعَقَ فيها: «... مات. أتحسبهم سيدبحون رجاله ويتركونه حيًّا؟»، والتفت إلى المعسكر مضيِّفاً: «انظري، انظري عليك اللعنة». استحال المعسكر إلى ميدان معركة. لا، بل مجزرة. بلغ اللهب الذي يلتهم خيام الاحتفال منتصف الطريق إلى السماء، بينما اشتعل عدد من خيام الثكنات أيضاً، ونصفمئة من السُرادقات الحريز، وفي كل مكان صدحت الشيوف. والآن تبكي الأمطار على قصره، ولا أحد هنالك يسمع. رأت فارسان يدعسان رجلا يجري، وهوى برميل خشبي متحطماً على إحدى الخيام المشتعلة، وتفجرت لتأجج النَّار أكثر. مجانيق. القلعة ترمي الزيت أو القار أو شيئاً كهذا.

مدَّ ساندور كليجاين يده إليها قائلاً: «تعالى معي. يجب أن نبتعد عن هنا حالاً»، ونفض سترينچر رأسه بصبر نافذ وقد اتسع منخراه اللذان أفعمتهما رائحة الدَّم. انتهت الأغنية، وتبقى صوت طبله واحدة تتردد دقاتها البطيئة الرتيبة عبر النَّهر كخفقان قلب وحش ما، وبكت السماء السوداء ودمدم النَّهر وصبَّ الرجال اللعنت وماتوا. في أسنان أريا طين، ووجهها مبتل، لكنها قالت لنفسها: مطر، مجرد مطر لا أكثر، وصاحت: «إننا هنا!». خرج صوتها رفيعاً خائفاً، صوت فتاة صغيرة. «روب في القلعة، وأمِّي أيضاً، والبوابة مفتوحة».

كما لم يُعد هناك رجال فراي يَخْرُجون من القلعة. لقد اقتربت بشدّة. «يجب أن نذهب ونُحضر أمِّي!».

برقت النّار على خطم خوذته جاعلة أسنانه الفولاذ تلتمع وهو يقول: «يا لك من غبيّة تعسة! ادخلي ولن تخرجي أبداً. ربما يتركك فراي تُقبلي جثة أمك».

- «ربما يمكننا أن نُنقذها...».

قال: «ربما يمكنك أنت، لكنني لم أشبع من الحياة بعد»، وتقدّم منها مرغماً إياها على التراجع إلى العربة، وأردف: «ابقي أو اذهبي أيتها الذئبة، عيشي أو موتي، الخيار...».

دارت آريا وانطلقت كالسهم نحو بوابة القلعة. كانت الشبّكة الحديدية تنخفض، وإنما بتؤدة. يجب أن أسرع. لكن الأحوال أبطأتها، وبعدها الماء نفسه. اركضي بسرّعة الذئب. بدأ الجسر المتحرّك يرتفع والماء يسيل منه كشلال والطين يسقط كتلاً ثقيلةً. أسرع. سمعت مياهاً تتناثر بصوت عالٍ، ونظرت وراءها لترى سترينچر يندفع صوبها شاقاً الماء بعنف، ورأت الفأس الطويلة أيضاً، لا تزال الدماء ودماع رجل فراي تُلطّخها... وجرت آريا، ليس من أجل أخيها هذه المرّة، ولا من أجل أمّها، بل من أجل نفسها. جرت أسرع مما فعلت في حياتها كلها، رأسها خفيض وقدمها تمخضان مياه النّهر، جرت منه كما فعل مايكاً يوماً.

وأصابتها فأسه في مؤخرة رأسها.

## تيريون

تناولا العشاء وحدهما كما يحدث أغلب الوقت.  
مرة تطوّعت زوجته قائلةً: «البازلاء مفرطة النضج».  
قال: «لا يهم، الضآن أيضًا».

كانت مزحةً، لكن سانزا اعتبرتّها انتقادًا، فقالت: «أسفة يا سيّدي».  
- «لماذا؟ على أحد الطهاة أن يشعُر بالأسف، لكن ليس أنتِ. البازلاء ليست اختصاصك يا سانزا».

- «إنني... إنني أسفة لأن السيّد زوجي مستاء».

- «أيّ استياء أشعُر به لا يمتُّ بصليةً للبازلاء. چوفري وأختي يُثيران استيائي فعلاً، وأبي أيضًا، وثلاثمئة دورني ملعون». كان قد سكن الأمير أوبرين ولورداته حصنًا ركنيًا يطلُّ على المدينة، أبعُد بقعةً استطاع أن يضعهم فيها بمنأى عن آل تايرل ورجالهم دون أن يطُردهم من القلعة كليًا، لكنهم ما زالوا غير بعيدين بما فيه الكفاية، وبالفعل نشبت مشاحنة في أحد محال الأكل في (جُحر البراغيث) نتج عنها موت أحد جنود تايرل واحتراق اثنين من رجال اللورد جارجالن بالحساء المغلي، وهذا علاوةً على مواجهةٍ بغیضة في السّاحة عندما نعتت أم مايس تايرل الحيزيون الضّئيلة لإلريا ساندب «عاهرة الثّعبان»، وكلما التقى أوبرين مارتل مصادفةً يسأله الأمير متي تتحقّق العدالة. البازلاء مفرطة النضج أقلّ هموم تيريون، لكنه لا يرى جدوى من الإثقال على زوجته الصّغيرة بكل هذا، فأحزان سانزا تكفيها.

قال لها بجمود: «البازلاء لا بأس بها. إنها خضراء ومستديرة، فماذا نُريد أكثر من هذا منها؟ طيّب، سأتناولُ حصّةً أخرى لأجل خاطر سيّدي»، وأشار

فغرفَ پودريك پابين في طبقه كمّية كبيرة جدًّا من البازلاء غطَّت الصَّانَ تمامًا، فقال لنفسه: كان هذا غيباءً مني. الآن عليّ أن أكلها كلها وإلا ستأسف ثانية.

انتهى العشاء في صمتٍ مشدودٍ ككثيرٍ جدًّا من وجباتهما، وبعده، بينما رفعَ بود الأكواب والأطباق، طلبت سانزا إذن تيريون في زيارة أيكة الآلهة، فأجابها: «كما تشائين». لقد اعتادَ ذهاب زوجته لتتعبَدَ كلَّ ليلة، وأحيانًا تُصَلِّي في السَّيِّت الملكي أيضًا، حيث تُضيء الشموع لـ(الأم) و(العذراء) و(العجوز). الحقيقة أنه يجد هذا التَّنَسُّك مبالغًا فيه، لكن ربما كان ليحتاج إلى عون الآلهة أيضًا لو أنه في مكانها. قال محاولاً أن يكون لطيفاً: «أعترف بأنني لا أعرفُ إلا القليل عن الآلهة القديمة. ربما تُساعدِين علي تنويري ذات يوم، ويُمكنني أن أذهب معكِ أيضًا».

قالت سانزا من فورها: «لا. إنكِ... لطف منك أن تعرض هذا، لكن... ليست هناك شعائر يا سيّدي، لا رُهبان أو ترانيم أو شموع، فقط الأشجار والصَّلوات الصَّامتة. سيُصيّك الملل».

- «لا شكَّ أنك محقّة». إنها تعرفني أكثر مما ظننتُ. «مع أن حفيف الأشجار قد يكون بديلاً سارًّا لثروة السَّيِّتون عن وجوه الألوهيّة السَّبعة»، وأشارَ تيريون بيده سامحاً لها بالانصراف، وأردف: «لن أتطفّل إذن. ارتدي ثياباً ثقيلةً يا سيّدي. الرِّيح قويّة في الخارج». سوّلت له نفسه أن يسألها عن صلواتها، لكن سانزا مطيعة لدرجة أنها قد تُخبره حقًّا، وهو لا يحسب أنه يُريد أن يعرف.

عادَ إلى عمله بعدما غادرت، محاولاً أن يقتفي أثر بعض التَّنانيين الذهبية عبر متاهة دفاتر الإصبع الصَّغير. لم يكن بيتر بايلش يُؤمن بترك الذهب في الخزائن يجمع التراب، هذا واضح، لكن كلما حاولَ تيريون أن يستوعب ألباز الحسابات أَلَمه رأسه أكثر. من السَّهل أن تتكلّم عن استيلاء التَّنانيين بدلاً من حبسها، غير أن عددًا من المضاربات الواردة تفوح منه رائحة فاسدة أكثر من سمكةٍ تتعفن منذ أسبوع. لم أكن لأترك چوفري يُلقي رجال القرون من فوق الأسوار بهذه السَّرعة لو علمتُ كم من هؤلاء الملاعين استدان من

النَّجَّاح. عليه أن يُرسل برون يبحث عن ورثتهم، وإن كان يخشى أن يكون ذلك أكثر عبثًا من محاولة اعتصار الفضة من السمك الفضي<sup>(1)</sup>.

حين بلغه استدعاء السيد والده كانت المرّة الأولى على الإطلاق التي يُسرُّ فيها لرؤية السير بوروس بلاونت، فأغلق الدفاتر شاعرًا بالامتنان وأطفأ المصباح الزيتي وثبت معطفًا حول كتفيه، ثم خرج قاطعًا القلعة إلى (برج اليد). ألقى الرّيح قويّةً بالفعل كما حذر سانزا، وفي الهواء رائحة مطر وشيك. ربما عليه بعد أن يفرغ منه اللورد تايوين أن يذهب إلى أيكة الآلهة ويُعيدها إلى مسكنهما قبل أن تبتل عن آخرها.

لكن كل هذا تبخّر من عقله عندما دخل غرفة البید الشمسيّة ليجد سرسي والسير كيقان والمايستر الأكبر پايسل مجتمعين حول اللورد تايوين والملك، يكاد چوفري يتوائب طربًا على حين رسمت سرسي على شفيتها ابتسامة متكلّفة، وإن بدا اللورد تايوين صارمًا كديده. ترى هل بإمكانه أن يتسم حتى إذا أراد؟ سألهم: «ماذا حدث؟».

ناوله أبوه رقًا. كان أحدهم قد سوّاه، لكنه لا يزال يُريد الانطواء على رسالته التي تقول: «روزلين صادت سمكة ترويت سمينة ممتازة، وأهداها إخوتها زوجين من فرو الذئب في زفافها». قلب تيريون الورقة ليرى الختم المكسور، ووجد شمعه رماديًا مائلًا إلى الفضي وفيه ينغرس بُرجا عائلة فراي التّوأمان، فعلق ساخرًا: «هل يتصوّر سيّد (المعبر) أنه يقرض الشعر أم أن المفترض أن يُحيرنا الكلام؟ السمكة هي إدميور تلي، وفروتا الذئب...». - «لقد مات!»، صاح چوفري وقد بدا سعيدًا فخورًا كأنه سلخ فروة روب ستارك بيديه.

أولاً جرایچوي والآن ستارك. ذهبت أفكار تيريون إلى زوجته الطفلة التي تُصلي في أيكة الآلهة الآن بالذات. تُصلي لآلهة أبيها أن تنصُر أخاها وتحمي أمها لا ريب. لكن من الواضح أن الآلهة القديمة لا تكثرث للدعاء أكثر من الجديدة، وربما عليه أن يجد في هذا مواساة ما. «الملوك يتساقطون كأوراق الشجر هذا الخريف، ويبدو أن حربنا الصّغيرة تريح نفسها بنفسها».

(1) السمك الفضي حشرة ضارّة معروفة أيضًا باسم لاحسات السُّكر، واكتسبت اسمها من لونها الرمادي المائل إلى الفضي وحركتها الشبيهة بحركة الأسماك. (المترجم).



قالت سرسي بعدوية سامة: «الحروب لا تربح نفسها يا تيريون. السيّد والدنا هو من ربح هذه الحرب».

ردّ اللورد تاوين منذراً: «لا ربح هنالك ما دام الأعداء في الميدان». جادلته الملكة قائلة: «لوردات النهر ليسوا حمقى. دون الشماليين فلا أمل لهم في التصدي لقوة (هايجاردن) و(كاسترلي روك) و(دورن) في آنٍ واحد. مؤكّد أنهم سيُفضّلون الرّضوخ على الدّمار».

- «معظمهم. ستبقى (ريفررن)، لكن ما دام إدميور تلي رهينة والدر فراي، فلن يجرؤ السّمكة السّوداء على تهديده. چيسون ماليستر وتايتوس بلاكوود سيواصلان القتال امثالاً لأصول الشّرف، لكن آل فراي يستطيعون حصار آل ماليستر في (سيجارد)، وفي وجود الحافز الصّحيح من الممكن إقناع چونوس براكن بتبديل ولائه ومهاجمة آل بلاكوود. في النّهاية سيركعون، نعم، كما أنني أنوي أن أعرض شروطاً سخيةً. أيّ قلعةٍ تستسلم لن يمسخها سوء، باستثناء واحدة».

تساءل تيريون الذي يعرف أباه: «(هارنهال)؟».

- «خلاص البلاد من رفقة الشّجعان هذه في صالحها. لقد أمرت السير جريجور بالفتك بحامية القلعة».

جريجور كليجاين. يبدو أن السيّد والده ينوي استنزاف الجبل حتى آخر قطرة قبل أن يُسلمه إلى عدالة الدورنيين. ستعلّق رؤوس رفقة الشّجعان على الخوازيق، ويدخل الإصبع الصّغير (هارنهال) متبخترًا دون قطرة دم واحدة على ثيابه الثّمينة. تساءل إن كان بيتر بايلش قد بلغ (الوادي) بعد. إذًا شاءت الآلهة خيرًا فقد داهمته عاصفة في البحر وغرق. لكن منذ متى والآلهة تشاء خيرًا؟

أعلن چوفري فجأة: «يجب أن يُقتلوا جميعًا، آل ماليستر وبلاكوود وبراكين... الجميع. كلهم خونة وأريدهم موتى يا جدي. لن أسمح بأيّ شروطٍ سخيةٍ»، والنفت الملك إلى المايستر الأكبر بايسل مضيفًا: «وأريد رأس روب ستارك أيضًا. اكّتب للورد فراي وأخبره أنه أمر الملك. سأقدمه لسانزا على طبق في مأدبة زفافي».

قال السير كيثان مصدومًا: «جلالة الملك، الليدي الآن زوجة خالك».

ابتسمت سرسي وقالت: «دُعاة، چوف لا يقصد». قال چوفري بإصرار: «بل أقصُد. لقد كان خائناً، وأريدُ رأسه السَّخيف. سأجعلُ سانزا تُقبِّله». بصوتٍ أجش قال تيريون: «لا. سانزا لم تُعد لك كي تُعذِّبها. افهم هذا أيها الوحش».

قال چوفري هازئاً: «أنت الوحش يا خالي». مال تيريون برأسه جانباً، وقال: «حقاً؟ ربما عليك أن تتلطف في كلامك معي إذن. الوحوش مخلوقات خطيرة، والآن تحديداً الملوك يتساقطون كالذباب». ردَّ الملك الصَّبي ووجهه يحترقن: «يُمكنني أن أمر بقطع لسانك لما قتلته. أنا الملك!».

وضعت سرسي يداً واقيةً على كتف ابنها، وقالت: «دع القزم يُهدِّد كما يُريد يا چوف. أريدُ أن يراه أبي وعمِّي على حقيقته». تجاهل اللورد تايوين قولها مخاطباً چوفري: «إيرس أيضاً أحسنَّ بالحاجة إلى تذكير النَّاس بأنه الملك، وكان مغرماً نوعاً بقطع الألسنة كذلك. سل السير إلين پاين، مع أنه لن يُجيبك».

قالت سرسي: «السير إلين لم يجرؤ قطُّ على استفزاز إيرس كما يستفزُّ عفريتك چوف. أنت سمعته يقول لصاحب الجلالة إنه وحش، ويُهَدِّده...». - «صمتاً يا سرسي. چوفري، عندما يتحدَّك أعداؤك فيجب أن تُواجههم بالفولاذ والنَّار، لكن عندما يركعون فعليك أن تُساعدهم على التَّهوض ثانيةً، وإلا فلن يركع لك أحد أبداً. كلُّ من يجد حاجةً إلى أن يقول إنه الملك ليس ملكاً على الإطلاق. إيرس لم يفهم هذا قطُّ، لكنك ستفعل. عندما أنتصرُ لك في حربك سنُعيد إقامة سلام الملك وعدله، وما عليك الآن إلا أن تشغل نفسك بفضِّ بكاره مارچري تايرل».

ارتسمت على وجه چوفري تلك النَّظرة الواجمة الشَّكسة إياها. كانت سرسي مطبقةً على كتفه، لكن ربما كان الأحرى أن تُطبق على عُنقه. باغتَّهم الصَّبي جميعاً، وبدلاً من أن يجدَّ الخُطى عائداً إلى صخرته ويتوارى تحتها بأمان، شدَّ قامته متحدِّياً، وقال: «تكلِّم عن إيرس يا جدِّي، لكنك كنت تخشاه».

أوه، أصبح الأمر شائقًا.

أمعن اللورد تايوين النَّظْرَ إلى حفيده بصمتٍ وقُشيرات الذهب تلتمع في عينيه الخضراوين الباهتتين، أمَّا سرسي فقالت: «چوفري، اعتذر لجدك». تملَّص منها قائلاً: «ولم؟ الكل يعلم أنها الحقيقة. أبي هو من انتصر في المعارك كلها، هو من قتل الأمير ريجار وأخذ التاج بينما كان أبوك أنتِ محببًا تحت (كاسترلي روك)»، ورمقَ جدّه بتحدٍّ مردفًا: «الملك القوي يتصرَّف بجراءة، ولا يتكلم فحسب».

قال اللورد تايوين بكياسةٍ كادت برودتها تُجمِّد آذانهم: «أشكرك على حكمتك يا جلالة الملك. سير كيثان، أرى أن الملك متعب. من فضلك اصحبه إلى غرفة نومه. پايسل، ربما يُساعد عَقَّار خفيف جلالته على النَّوم مرتاحًا».

- «نبذ النَّوم يا سيدي؟».

قال چوفري بعناد: «لا أريدُ نبذ النَّوم».

كان اللورد تايوين لُيعير فأرًا يصرُّ في رُكن العُرفة اهتمامًا أكثر وهو يقول: «لا بأس بنبذ النَّوم. سرسي، تيريون، ابقيا».

قاد السير كيثان چوفري من ذراعه بحزم وخرج به من الباب، حيث وقف اثنان من الحرس الملكي منتظرين، وهرع المايستر الأكبر پايسل وراءهما بأسرع ما تستطيع ساقاه العجوزان الرَّاجفتان، وبقي تيريون في مكانه. قالت سرسي حين انغلق الباب: «أبي، إنني أسفة. لطالما كان چوفري عنيدًا. لقد حذرتك...».

- «شَتَّان ما بين العناد والغباء. الملك القوي يتصرَّف بجراءة؟ من قال له هذا؟».

- «ليس أنا، أو كدُّ لك. غالبًا هو شيء سمع روبرت يقوله...».

- «الجزء الخاص باختباك تحت (كاسترلي روك) يبدو كشيءٍ يُمكن أن يقوله روبرت»، قال تيريون الذي لا يُريد اللورد تايوين أن ينسى.

قالت سرسي: «نعم، تذكرت الآن. كثيرًا ما قال روبرت لچوف إن على الملك أن يكون جريئًا».

- «وماذا كنتِ تقولين له أنتِ يا تُرى؟ إنني لم أخض حربًا لأضع روبرت

الثَّانِي عَلَى الْعَرْشِ الْحَدِيدِي. لَقَدْ صَوَّرَتِ لِي أَنَّ الصَّبِي لَا يَحِبُّ أَبَاهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ».

- «وَلِمَ يَحِبُّهُ؟ رُوبَرْتُ تَجَاهَلُهُ تَمَامًا، وَكَانَ لِيضْرِبُهُ لَوْ سَمَحْتُ لَهُ. ذَلِكَ مِنَ الْمُتَوَحَّشِ الَّذِي جَعَلْتَنِي أَتْرَوْجَهُ ضَرْبَ چُوفِ مَرَّةً وَهُوَ صَغِيرٌ فَكَسَرَ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَسْنَانِهِ، بِسَبَبِ مَشَاعِبَةٍ مَا مَعَ قِطْعَةٍ. قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي سَأَقْتُلُهُ فِي نَوْمِهِ إِذَا فَعَلَهَا ثَانِيَةً، وَلَمْ يَفْعَلْهَا، لَكِنْ أَحْيَانًا كَانَ يَقُولُ أَشْيَاءَ...».

قَطَعَهَا اللَّورْدُ تايوِين: «يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ كَانَتْ يَجِبُ أَنْ تُقَالَ»، وَأَشَارَ لَهَا بِأَصْبَعَيْنِ صَارِفًا إِيَّاهَا، وَقَالَ بِاقْتِضَابٍ: «أَذْهَبِي». وَذَهَبَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْطِ.

قَالَ تيريون: «لَيْسَ رُوبَرْتُ الثَّانِي، بَلْ إِيرِسُ الثَّلَاثِ». رَدَّ اللَّورْدُ تايوِين: «الصَّبِي فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ. مَا زَالَ هُنَاكَ وَقْتُ»، وَذَهَبَ إِلَى الثَّانِفَذَةِ بِخُطُواتٍ وَاسِعَةٍ، وَهُوَ مَا يُخَالِفُ عَادَتَهُ، فَأَدْرَكَ تيريون أَنَّهُ مُسْتَاءٌ أَكْثَرَ مِمَّا يُبْدِي. «إِنَّهُ يَتَطَلَّبُ دَرَسًا قَاسِيًا».

لَمْ يَنْسَ تيريون الدَّرْسَ الْقَاسِيَ الَّذِي تَعَلَّمَهُ هُوَ فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ، وَكَادَ يَشْعُرُ بِالسَّفَقَةِ عَلَى ابْنِ أُخْتِهِ، لَكِنْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَلَا أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُلَقَّنَ دَرَسًا أَكْثَرَ مِنْهُ. قَالَ: «دَعْنَا مِنْ چُوفِرِي. بَعْضُ الْحُرُوبِ يُرَبِّحُ بِالرَّيْشِ وَالغِدْفَانِ، أَلَيْسَ هَذَا مَا قُلْتَهُ؟ يَجِبُ أَنْ أَهْتِنَّاكَ. مِنْذُ مَتَى وَأَنْتِ تَطْبُخِ هَذِهِ الْمُوَامِرَةَ مَعَ الْوَلَدِ فَرَاي؟».

قَالَ اللَّورْدُ تايوِين بِجُمُودٍ: «لَا أَحِبُّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ».

- «وَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مَغْفَلًا».

- «لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَاعٍ لِإِخْبَارِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَكَ دُورٌ».

سَأَلَ تيريون بِلَا مُوَارَبَةٍ: «هَلْ كَانَتْ سَرَسِي تَعْرِفُ؟».

- «لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مِنْ كَانَ لَهُمْ دُورٌ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَعْرِفُوا إِلَّا قَدْرَ الْحَاجَةِ. عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا سَبِيلَ آخَرَ لِلْحِفَافِ عَلَى الْأَسْرَارِ، خُصُوصًا هُنَا. كَانَ هَدْفِي أَنْ أَخْلِصَنَا مِنْ عَدُوِّ خَطِيرٍ بِأَرْخَصِ تَكْلِفَةٍ مُمْكِنَةٍ، لِأَنَّ أَشْعَبَ فِضُولِكَ أَوْ أَجْعَلُ أُخْتِكَ تَشْعُرُ بِالْأَهْمِيَّةِ»، وَأَغْلَقَ اللَّورْدُ تايوِين مِصْرَاعِي الثَّانِفَذَةِ مَقْطَبًا وَجْهَهُ، وَأَضَافَ: «إِنَّكَ تَتَمَتَّعُ بِنَوْعٍ مَعِيَّنٍ مِنَ الدَّهَاءِ يَا تيريون، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْجَلِيَّةَ أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ كَثِيرًا! لِسَانَكَ الطَّلِيْقُ هَذَا سَيَكُونُ هَلَاكُكَ».

- «كان عليك أن تتركّ چوف يقطعه».

- «خيرٌ لك ألا تُغريني بأن أفعالها. لن أسمع المزيد عن هذا. إنني أفكّر منذ

فترة في أفضل طريقة لاسترضاء أوبرين مارتل وحاشيته».

- «أوه؟ أهذا شيء يُمكنني أن أعرفه، أم أن عليّ أن أتركّ ثناقشه مع

نفسك؟».

تجاهل أبوه التعلّيق السّاخر قائلاً: «وجود الأمير أوبرين هنا مؤسف.

أخوه رجلٌ حذر، رجلٌ متعلّق، أريب، متأنّ، بل ومتوانٍ إلى حدٍّ ما، رجل يزن

عواقب كل كلمة وكلّ فعل، لكن أوبرين كان شبه مجنون دومًا».

- «أصحيح أنه حاول أن يحشد جيوش (دورن) لفسيرس؟».

- «لا أحد يتكلّم عن هذا، لكن نعم. حلقت غِدفان وركبَ خيالة برسائل

لم أعرف محتواها قط، لكن چون آرَن أبحرَ إلى (صينسبير) ليعيد رُفات الأمير

ليوين وجلسَ مع الأمير دوران ووضَعَ نهايةً لكلّ الكلام عن الحرب. لم

يذهب روبرت إلى (دورن) بعدها إطلاقًا، ونادرًا ما غادرها الأمير أوبرين».

- «طيب، إنه هنا الآن وفي ذيله نصف نُبلاء (دورن)، وصبره يتناقص كلّ

يوم. ربما عليّ أن أريه مواخير (كينجز لاندنج) لألهيه. هناك أداة لكلّ مهمّة،

أليس كذلك؟ وأداتي تحت إمرتك يا أبتاه، كي لا يقول أحد أبدًا إن عائلة

لانستر نادَت ولم ألبّ النداء».

رَمّ اللورد تايوين فمه قائلاً: «طريف جدًّا. هل أجعلهم يحيكون لك ثوب

مهرّجين وقبّعةً بأجراس؟».

- «إذا لبسته، فهل تأذن لي في قول كلّ ما أريده عن جلالة الملك

چوفري؟».

عاد اللورد تايوين يجلس، وقال: «لقد تحمّلتُ حماقات أبي رغماً عني،

لكنني لن أتحمّل حماقاتك. كفى».

- «ليكن، ما دُمت قد طلبت برفق. لكنني أخشى أن الأفعوان الأحمر لن

يكون رقيقًا... ولن يقنع برأس السير جريجور وحده».

- «وهو السّبب الأُدعى لألا نُعطيه إياه».

قال تيريون مبهورًا: «لا نُعطيه... حسبتنا اتّفقنا على أن الغابة ملأى

بالوحوش».

شَبَّكَ اللورد تاويين يديه تحت ذقنه قائلاً: «وحوش أقل قيمةً. لقد أحسنَ السير جريجور خدمتنا، ولا فارس غيره في البلاد يُنزل الرُّعب بقلوب أعدائنا مثله».

- «أوبرين يعلم أن جريجور هو الذي...».

- «إنه لا يعلم شيئاً. كل ما سمعته مجرد حكايات، نميمة الاسطبلات وافتراءات المطابخ، لكنه لا يملك خردلة دليل، والسير جريجور لن يعترف له. إنني أنوي إبقائه بعيداً حتى يُغادر الدورثيون المدينة».

- «وحين يُطالب أوبرين بالعدالة التي أتى سعيًا إليها؟».

أجاب اللورد تاويين بهدوء: «سأقول له إن السير أموري لورك قتلَ إليا وطفليها، وهذا ما ستقوله أنت إذا سألك».

قال تيريون بنبرة فاترة: «السير أموري ميت».

- «بالضبط. فأرجو هوت جعلَ دُبًّا يَمزُق السير أموري إربًا عقب سقوط (هارنهال). المفترض أن تكون تلك النهاية بشعة بما يكفي لإرضاء أوبرين مارتل نفسه».

- «ربما تعدّها أنت عدالةً...».

- «إنها عدالة. السير أموري هو من أتاني بجثة الفتاة إذا كان لا بُدَّ أن تعلم. وجدّها مختبئة تحت فراش أبيها، كأنها آمنت بأن ريجار لا يزال يستطيع حمايتها، والأميرة إليا والرّضيع كانا في الحضانة أسفلها بطابق».

- «حكاية ليس السير أموري موجودًا لئِنكرها. ماذا ستقول لأوبرين لَمَّا يسألك عن من أعطى لورك أوامره؟».

- «السير أموري تصرّف من تلقاء نفسه على أمل أن يجد حظوةً لدى الملك الجديد. مقت روبرت لريجار لم يكن سرًّا».

فكر تيريون مسلمًا: قد يصلح هذا، لكن الثعبان لن يرضى، ثم إنه قال: «ليس لي إطلاقًا أن أشكك في ألمعيتك يا أبي، لكنني لو كنت مكانك لتركت روبرت باراثيون يُلوّث يديه بالدماء بنفسه».

حدّق اللورد تاويين إليه كأنه فقد صوابه، وقال: «إنك تستحقُّ ثوب المهرجين حقًا. لقد تأخرنا في الانضمام إلى قضية روبرت، وكان ضروريًا أن نُبرهن على إخلاصنا. عندما مددت هاتين الجثتين أمام العرش لم يُعد هناك

أدنى شك في تخليّنا عن عائلة تارجارين إلى الأبد، وراحة روبرت كانت ملموسة للغاية. على الرغم من غبائه كان يعلم أن موت طفلي ريجار محتمّ إذا أراد أن يؤمّن العرش تمامًا، لكنه رأى نفسه بطلًا، والأبطال لا يقتلون الأطفال»، وهزّ أبوه كتفيه مضيّفًا: «أعترف أن الأمر تمّ ببشاعة. لم تكن هناك حاجة إلى أذيةٍ إليا على الإطلاق، تلك كانت حماقةً، ففي حدّ ذاتها لم تكن للأميرة قيمة».

- «لماذا قتلها الجبل إذن؟».

- «لأنني لم أخبره بأن يعفو عنها. أشكّ في أنني ذكرتها أصلًا، لأن عقلي كان مشغولاً بهمومٍ أدهى. طليعة ند ستارك كانت تهرع جنوبًا بعد (الثالوث)، وخشيتُ أن تصلّ الأمور إلى القتال بيننا، كما أن إيرس كان ليقتلّ چايمي لا لسببٍ إلا النكاية. هذا أكثر ما تخوّفتُ منه، هذا وما قد يفعله چايمي نفسه»، وضمّ أبوه قبضته متابعًا: «ثم إنني لم أكن قد استوعبتُ كنه جريجور كليجاين بعد. كل ما عرفته عنه وقتها، أنه ضخم ورهيب في المعارك، لكن الاغتصاب... حتى أنت لن تتهمني بإعطاء هذا الأمر كما أمل. السير أموري تصرّف بالبهيمية نفسها تقريبًا مع رينيس. فيما بعد سألته لماذا تطلبّ خمسين طعنةً ليجهز على فتاةٍ عمرها... عامان؟ ثلاثة؟ قال إنها ركّلته ولم تكفّ عن الصّراخ. لو أن الآلهة أنعمت على لورك بنصف عقل حبةٍ لفت لهدأها ببضع كلماتٍ رفيقةٍ واستخدم وِسادةً حريريّةً ناعمةً»، والتوى فمه وهو يضيف: «كانت دماؤه فائرةً».

لكن ليست دماءك أنت يا أبي، دماء تايوين لانستر لا تنفور أبدًا. «وهل قُتل روب ستارك بوسادةٍ حريريّةٍ ناعمة؟».

- «المفترض أنه كان سهماً في حفل زفاف إدميور تلي. الصّبي كان بالغ الحذر في الميدان، رجاله منظمون دائماً ويحيط به الخيالة والحرس الشخصيون».

كوّر تيريون قبضته قائلاً: «وهكذا اغتاله اللورد والدر تحت سقفه وعلى ماأدته؟ وماذا عن الليدي كاتلين؟».

- «قُتلت أيضًا في تقديري. زوجان من فرو الذئاب. كان فراي ينوي أسرها، لكن ربما حادّ عن الخطة لسببٍ ما».

- «وليزهد حَقُّ الضَّيَّافَةِ إِلَى حَيْثُ أَلَقْتَ».

- «الدَّمُ عَلَى يَدِ وَالِدِ فِرَايِ لَا يَدِي».

- «والدر فراي عجزوز نكد يعيش للعيث بجسد زوجته الشَّابَّةَ وإطالة التَّفكير في كلِّ ما تحمَّله من إهانات. لا أشكُّ في أن عقله تفتَّق عن هذه الخطة القبيحة، لكنه لم يكن ليَجسُرَ على تنفيذها لولا وعد بالحماية».

- «وهل كنت لتعفو عن حياة الصَّبي وتقول لوالد فراي إنك لا تحتاج إلى ولائه؟ كان جواب كهذا ليُلقي العجزوز الأحمق في أحضان ستارك ثانية ويُطيل الحرب سنةً أخرى. اشرح لي، ما الأشرف في قتل عشرة آلاف رجل في معركة من قتل دستة على العشاء؟»، ولَمَّا لم يُجب تيريون واصلَ أبوه: «الثَّمَن كان بخسًا بكلِّ المقاييس. بمجرد استسلام السَّمكة السوداء سيمنح التَّاج السير إامون فراي (ريقررن)، وعلى لانسِل ودافن أن يتزوَّجا اثنتين من بنات فراي، وچوي ستزوَّج أحد أبنائه الطَّبِيعِيِّين فور أن تَبْلُغ، ورووس بولتون سيُصَبِّح حاكم الشَّمال ويأخذ آريا ستارك إلى وطنها».

أمال تيريون رأسه إلى الجانب قائلاً: «آريا ستارك؟ من السَّهل أن أحمَن أن فراي لم يملك الشَّجاعة لأن يتصرَّف وحده، لكن آريا... فارس والسير چاسلين بحثا عنها أكثر من نصف عام، وموَكَّد أن آريا ستارك ميتة».

- «رنلي أيضًا كان ميتًا حتى معركة (النَّهر الأسود)».

- «ما معنى هذا؟».

- «ربما نجح الإصبع الصَّغير في ما فشلت فيه أنت وفارس. اللورد بولتون سيُزوَّج الفتاة ابنه النَّغْل، وسنسمح لـ(معقل الخوف) بقتال الحديديين بضع سنوات ونرى إن كان بإمكاننا إخضاع بقية حملة راية ستارك، وبحلول الرَّبيع سيكونون جميعًا مثخنين بالجراح ومستعدِّين للرُّكوع، ثم يذهب الشَّمال إلى ابنك من سانزا ستارك... إذا وجدت في نفسك ما يكفي من رجولة لإنجاب ابن. خشية أن تنسى، ليس چوفري وحده من عليه أن يهتمَّ بفضِّ بكارة فتاة».

فكر تيريون: لم أنس، مع أنني تمثَّيتُ أنك نسيت، ثم بلهجة تَفَطَّر حمصًا سأل أباه: «ومتى ستكون سانزا في أوج خصوبتها في رأيك؟ قبل أم بعد أن أقول لها إننا اغتَلنا أمَّها وأخاها؟».





## دافوس

مرّت لحظة والملك يبدو كأنه لم يسمع، فلم يلح عليه سرور أو غضب أو تشكيك أو حتى راحة إذ تلقى الخبر، فقط حدّق إلى مائدته المرسومة بفكّ مطبق عن آخره، وسأل: «أأنت واثق؟».

قال سالادور سان: «لم أرَ الجتّة بعيني يا صاحب المُلْك، لكن الأسود يتواثبون ويرقصون طرباً في المدينة. العامّة يُسمّونه الزّفاف الأحمر، ويُقسّمون أن اللورد فراي قطع رأس الصّبي وخاط رأس ذئبه الرّهيب على كتفيه مكانه، وثبتّ تاجاً بالمسامير حول أذنيه. السيّدة والدته قتلت أيضاً، وألقوا جثّتها العارية في النّهر».

فكر دافوس: في أثناء زفاف، بينما جلسَ إلى مائدة قاتله ونزلَ ضيفاً تحت سقفه. آل فراي هؤلاء ملعونون. بإمكانه الآن أن يشمّ رائحة الدّم المحروق ويسمع العَلقة تهسّ وتُطقطق على جمرات المستوقد الساخنة.

أعلن السير أكسل: «قتلته غضبة الإله، قتلته يد راهلور!».

- «الرّفعة لإله الضّياء!»، ترنّمت الملكة سيليس، المرأة النّاحلة الصّلبة ذات الأذنين الكبيرتين والرّغب فوق شفتها العُليا.

تساءل ستانيس: «هل يد راهلور مبقّعة راجفة؟ يبدو لي أن ما حدث كان بيد والدر فراي وليس أيّ إله».

قالت مليساندرا والياقوتة على حلّقها تلتمع بالأحمر: «راهلور يختار ما يُناسبه من أدوات. للإله طرائقه الغامضة، لكن لا أحد بمقدوره أن يُجابه إرادته النّاريّة».

صاحت الملكة: «لا أحد بمقدوره مجابته!».

قال ستانيس: «صمتًا يا امرأة. إنكِ لستِ عند نارِ ليلِيَّةِ الآن»، وتفحصُ المائدة المرسومة مردفًا: «الذئب لم يترك وريثًا، والكرّاكين ترك ورثةً أكثر من اللازم، وسيلتهم الأسود الجميع ما لم... سان، أريد أن تحمل أسرع سفنك مبعوثين إلى (جزر الحديد) و(الميناء الأبيض). سأعرضُ العفو، العفو الكامل عن كلِّ من يرجع في خيانتِه ويُقسِمُ بالولاء لملكه الشرعي. لا مناص من أن يروا...».

قاطعته مليساندرا بنعومة: «لن يروا. آسفةٌ يا جلالة الملك، لكن هذه ليست النهاية، وقريبًا سيظهر المزيد من الملوك الزائفين ليعتمروا تيجان من ماتوا». بدا ستانيس كأنه كان ليخُنقها بكلِّ سرورٍ لحظتها وهو يقول: «المزيد؟ المزيد من الغاصبين؟ المزيد من الخونة؟». - «هذا ما رأيته في اللهب».

دنت الملكة سيليس من الملك قائلة: «إله الضياء أرسل مليساندرا كي تقودك إلى مجدك، فأتوسَّلُ إليك أن تسمعها. لهب راهلور المقدس لا يكذب».

- «هناك أكاذيب وأكاذيب يا امرأة. حتى عندما يقول هذا اللهب الصدق يظلُّ الكلام مليئًا بالحيل والألاعيب».

قالت مليساندرا: «التملة التي تسمع ملكًا يتكلم لا تستوعب ما يقوله، والبشر أجمع نمل أمام وجه الإله النَّاري. إذا كنتُ أعدُّ الإنذار نبوءةً أو النبوءة إنذارًا أحيانًا فالعيب في القارئ لا الكتاب، لكن ما أعلمه يقينًا أن لا جدوى من المبعوثين والعفو الآن أكثر من العلق. يجب أن تُري البلاد آيةً، آيةً تُثبت قوّتك!».

ساخرًا قال الملك: «قوّتي؟ إن معي ألف وثلاثمئة رجل في (دراجونستون) وثلاثمئة في (ستورمز إند)»، ولوّح بيده فوق المائدة المرسومة مواصلاً: «بقية (وستروس) في أيدي أعدائي، وليس عندي أسطول إلا أسطول سالادور سان، ولا أملك مالا لاستئجار المرتزقة أو وعدًا للمحاربين غير النظميين بالمجد أو الغنائم يجتذبهم إلى قضيتي».

قالت الملكة سيليس: «يا سيّدي وزوجي، إن معك رجالًا أكثر مما كان مع إجون قبل ثلاثمئة عام، ولا ينقصك إلا الثنائين».

حدجها ستانيس بنظرة قاتمة، وقال: «تسعة سحرة عبروا البحر ليجعلوا  
بيضات إجون الثالث تفقس، بيلور المبارك أمضى نصف عام يُصلي على  
بيضاته، إجون الرابع بنى تنانين من الخشب والحديد، إريون اللهب الساطع  
شرب نارًا شعواء ليحوّل نفسه إلى تنين... وفشل السحرة، ولم يجب دعاء  
بيلور، واحترقت التنانين الخشب، ومات الأمير إريون صارخًا».

قالت الملكة بعنادٍ صخري: «لا أحد منهم كان مختار راهلور، ولم يتقد  
مذنب أحمر في السماوات معلنًا معيئهم، وليس منهم من حمل سيف  
الأبطال الأحمر (جالب الضياء)، ولا أحد منهم دفع الثمن. الليدي مليساندرا  
ستقول لك يا سيدي، وحده الموت ثمن الحياة».

سأل الملك كأنما يبصق الكلمة: «الصبي؟».

أجابت الملكة: «الصبي».

وردّد السير أكسل: «الصبي».

قال الملك متذمّرًا: «لقد ضقتُ ذرعًا بهذا الصبي المأفون من قبل أن يولد  
حتى. مجرد اسمه هدير في أذنيّ وسحابة سوداء على روعي».

قالت مليساندرا: «أعطني إياه إذن ولن تسمع اسمه يُقال ثانية».

فكر دافوس: نعم، وإن كنت ستسمعه يصرخ حين تُحرّقه، لكنه لا ذ  
بالصمت، فليس من الحكمة أن يتكلم قبل أن يأمره الملك.

قالت المرأة الحمراء: «أعطني الصبي في سبيل راهلور وستتحقّق النبوة  
العتيقة. سيستيقظ تنينك ويسط جناحيه الحجريين، وتصبح مملكتك لك».

جثا السير أكسل على رُكبةٍ واحدة قائلاً: «أنوسّل إليك وأنا راعع يا مولاي،  
أيقظ التنين الحجري ليرتجف الخونة رُعبًا. مثل إجون بدأت سيّدًا على  
(دراجونستون)، ومثل إجون ستغزو. اجعل الزائفين والغادرين يشعرون بلهيبك».

وجثت الملكة سيليس على رُكبتها معًا وضمت يديها كأنها تُصلي،  
وقالت: «زوجتك أيضًا تتوسّل إليك يا سيدي وزوجي. روبرت وديلينا دنسا

فراشنا وألقيا لعنةً على زواجنا، والصبي ثمره فسوقهما التتنة. ارفع ظلّه عن  
رحمي وسأحمل لك أبناء شرعيّين كثرًا، إنني واثقة»، وطوّقت ساقَي الملك  
بذراعها مواصلةً: «إنه مجرد صبيّ خلفته شهوة أخيك وعار ابنة عمّي».

قال الملك ستانيس: «إنه دمي. إليك عني يا امرأة»، ووضع يده على كتفها

حالاً نفسه منها بارتباك، ثم تابع: «ربما لعن روبرت فراش زواجنا حقاً. لقد أقسم لي أنه لم يقصد إهانتني قط، أنه كان سكراناً ولم يعرف أيُّ عُرفة نوم دخل ليلتها، لكن هل يهئم هذا؟ الخطأ ليس خطأ الصَّبي أيُّا كانت الحقيقة». وضعت مليساندرا يدها على ذراع الملك قائلةً: «إله الضَّياء يعزُّ الأبرياء، ولا قربان أئمن منهم. من دماء الملوك في عروقه ومن نيرانه النَّفْيَة سيولد تئنين». لم ينفر ستانيس من لمسة مليساندرا كما نفر من لمسة ملكته، فالمرأة الحمراء تتسم بكل ما تفتقر إليه سيليس، الشَّباب والقَدَّ العَضُّ والجَمال الأَخْاذ العجيب الذي يشعُّ من وجهها ذي شكل القلب وشعرها النُّحاسي وعينيها الحمراوين اللابشريَّتين. قال الملك مقرِّراً رغماً عنه: «لا أنكرُ أن شهادة الحياة تدبُّ في الحجر ستكون شيئاً باهراً، وامتطاء تئنين... أذكرُ أول مرَّة أخذني أبي إلى البلاط. يومها أمسك روبرت يدي. لم أكن قد تجاوزتُ الرَّابِعة، أي أنه كان في الخامسة أو السادسة، وأنفقنا بعدها على أن الملك كان نبيلاً كما كانت التئنانين مخيفةً»، وأطلق ضحكةً ساخرةً قصيرةً، ثم أردف: «بعد سنواتٍ قال لنا أبونا إن إيرس جرح نفسه على العرش صبيحة يوم الزَّيَّارة، فحلَّ يده محلَّه. من آثارٍ فينا كلُّ هذا الإعجاب كان تايوين لانستر»، ومسَّت أصابعه المائدة بخفةٍ متبَعَّةٍ مجازاً عبر التلال المورثشة، وتابع: «رفع روبرت الجماجم من على الجدران حين وضع التَّاج، لكنه لم يجرؤ على الأمر بتحطيمها. أجنحة التئنانين تخفق فوق (وستروس)... سيكون مشهداً...».

تقدَّم دافوس فجأةً قائلاً: «جلالة الملك! هل تسمح لي بالكلام؟».

أغلق ستانيس فمه بقوةٍ شديدة أسمعتهم صوت أسنانه، وقال: «سيِّد (الغاية المطيرة)، لماذا تحسبني جعلتك يدي إن لم يكن لتتكلَّم؟»، ولوَّح مضيئاً: «قُل ما تُريد».

امنحني الشَّجاعة أيها (المُحارب). «إنني أعرف القليل عن التئنانين وأقلَّ عن الآلهة... لكن الملكة تكلمت عن اللعنات، وما من أحدٍ ملعون كقاتل الأقرين في نظر الآلهة والبشر».

صنَع فم مليساندرا خطأ أحمر قاسياً وهي تقول: «ليست هناك آلهة إلَّا راهلور والآخر الذي يجب ألا يُذكر اسمه، وضئال البشر يلعون ما لا يفهمونه». قال دافوس: «أنا رجل ضئيل، فأخبريني بسبب احتياجك إلى الصَّبي

إدريك ستورم لتوقظي تَنِينِكِ الحجري العظيم يا سيِّدتي». كان قد عزمَ على  
ترديد اسم الصَّبِيِّ قَدْرَ الإمكان.

- «وحده الموت ثَمَنُ الحياة يا سيِّدي، والهدية العظيمة تتطلَّبُ تضحيةً  
عظيمةً».

- «وما العظمة في صبيِّ ابن حرام؟».

- «دماء الملوك تجري في عروقه. أنت رأيت ما يُمكن أن يفعله قدر قليل  
جدًّا من هذه الدِّماء...».

- «رأيتكِ تُحرِّقين بضع عَلاقات».

- «ومات ملكان زائفان».

- «روب ستارك اغتاله اللورد والدر سيِّد (المعبر)، وسمعنا أن بالون  
جرايچوي سقطَ من فوق جسر، فمَن قتلَ عَلاقاتكِ؟».

- «هل تشكُّ في قدرة راهلور؟».

لا. يذكُر دافوس جيِّدًا جدًّا الظلَّ الذي زحفَ من داخل رحمها في تلك  
الليلة أسفل (ستورمز إند)، ويديه السُّوداوين اللتين ضغطتا على فخذيهما.  
عليَّ أن أتوخِّي الحذر الآن وإلا زارني ظلُّ بدوري. «حتى مهرَّب بصلٍ مثلي  
يعرف الفرق بين بصلتين وثلاث. يَنقُصُكِ ملك يا سيِّدتي».

خرجت من ستانيس ضحكة قصيرة، وقال: «إنه مصيب يا سيِّدتي، اثنان  
ليسا ثلاثة».

- «بالفعل يا جلالة الملك. قد يموت ملك واحد أو ملكان مصادفةً...

لكن ثلاثة؟ إذا ماتَ چوفري في أوج قوَّته وهو محاط بجيوشه وخرسه  
الملكي، أفلن يُبرهن هذا على قوَّة الإله؟».

قال الملك كأنه ممتعض من كلِّ كلمةٍ تقولها: «ربما».

وقال دافوس باذلاً قصارى جهده ليُواري خوفه: «وربما لا».

أعلنت الملكة سيليس بثقة خالصة: «چوفري سيموت».

وأضاف السير آكسل: «ولعلَّه مات بالفعل».

رمقهما ستانيس بضيقٍ قائلاً: «أأنتما غرابان مدرَّبان تتبادلان التَّعيب في  
وجهي؟ كفى».

قالت الملكة مناشدةً: «اسمعني يا زوجي...».

- «لماذا؟ اثنان ليسا ثلاثة. الملوك يستطيعون العَدَّ مثلهم كمثل المهْرَبين. انصرفوا»، وأدارَ ستانيس ظَهْرَه لهم.  
ساعدتَ مليساندرا الملكة على النهوض، وخرجتَ سيليس من القاعة  
بجمودٍ وفي أعقابها المرأة الحمراء، أمّا السير أكسل فتباطأ لحظة ليرمي  
دافوس بنظرةٍ أخيرة، ففكّر وهو يُقابلها بعينه: نظرةٌ قبيحة على وجهٍ قبيح.  
تنحَنح دافوس بعد أن خرجَ الآخرون، فرفعَ الملك عينيه وسأله: «لماذا  
لا تزال هنا؟».

- «مولاي، بخصوص إدريك ستورم...».  
لَوَّح ستانيس بيده بحدّةٍ قائلاً: «اعفني».  
واصلَ دافوس بإصرار: «ابنتك تتلقَى دروسها معه، وتلعب معه كلَّ يومٍ  
في (حديقة إجون)».  
- «أعرفُ هذا».  
- «سينكسر قلبها إذا أصابه...».  
- «أعرفُ هذا أيضًا».  
- «إذا رأيته فقط...».  
- «لقد رأيته. إنه يُشبه روبرت، نعم، ويَعْبُدُه أيضًا. هل أخبره كم مرّةٍ منَّ  
عليه أبوه الغالي بالتفكير فيه؟ لقد أحبَّ أخي زرع بذور الأطفال كثيرًا، لكن  
بعد ميلادهم عدّهم إزعاجًا».  
- «إنه يسأل عنك كلَّ يوم، و...».  
- «بدأتُ تُثير حفيظتي يا دافوس. لن أسمع المزيد عن ذلك الصّبي  
التّغل».

- «اسمه إدريك ستورم يا مولاي».  
- «أعرفُ اسمه. أهنك اسم أجدر به؟ إنه يُعلِنُ نغوته وميلاده الكريم  
والاضطراب الذي أتى به. إدريك ستورم، ها قد قُلته. هل رضيت الآن يا  
حضرة اليد؟».  
- «إدريك...».

- «... مجرّد صبيٍّ واحد! قد يكون أفضل صبيٍّ تنفّس هواء هذا العالم  
ولن يهْمُ. إن واجبي نحو البلاد»، وأشارَ الملك إلى المائدة المرسومة متابعًا:

«كم صبيًا في (وستروس)؟ كم صبيّة؟ كم رجلًا وكم امرأة؟ إنها تقول إن الظلام سيفترسهم جميعًا، الليل الذي لا ينتهي. تتكلّم عن النبوءات... عن بطل مولود في البحر، وتنانين حيّة تُفقس من الحجر الميت... تتكلّم عن علاماتٍ وتُقسِم أنها تُشير إليّ. إنني لم أطلب هذا كما لم أطلب أن أكون ملكًا، لكن هل أجسرّ على تجاهلها؟»، وصرّ على أسنانه مواصلاً: «إننا لا نختار أقدارنا، لكن علينا... علينا أن نُؤدّي واجبنا، أليس كذلك؟ عظيمًا كان أم ضئيلاً، علينا أن نُؤدّي واجبنا. مليساندرا تُقسِم أنها رأته في لهبها، أواجه الظلمة رافعًا (جالِب الضياء) عاليًا، (جالِب الضياء)!!»، وأصدر ستانيس نخيرًا ساخرًا قبل أن يُردف: «إنه يلتمع بأناقة، هذا صحيح، لكن في (النهر الأسود) لم ينفعي هذا السيف السحري أكثر من الفولاذ العادي. كان تئين كفيلاً بقلب ميزان تلك المعركة. ذات يوم كان إجون يقف أمام هذه المائدة مثلي الآن، فهل تحسب أنهم كانوا اليُسْمُوهُ إجون الفاتح لو لم يكن يملك تنانين؟».

قال دافوس: «جلالة الملك، الثمن...».

- «أعرفُ الثمن! ليلة أمس بينما أنظرُ إلى اللهب رأيتُ أشياء أيضًا، رأيتُ ملكًا بتاج ناري على رأسه، يحترق... يحترق يا دافوس. تاجه التهم لحمه وأحاله إلى رماد. هل تحسبني أحتاجُ إلى مليساندرا لتُفسّر لي ما يعنيه هذا؟ أو إليك؟»، وتحرك الملك ليسقط ظله على (كينجز لاندنج) وهو يُضيف: «إذا ماتَ چوفري... فما قيمة حياة صبيّ نغلٍ واحد مقارنةً بمملكة؟».

ردّ دافوس برفق: «كل شيء».

رمقه الملك كابسا فكيه، ثم قال أخيرًا: «اذهب قبل أن يُعيدك لسانك إلى الزّزانة».

أحيانًا تعصف الرّيح بعنفٍ شديد فلا تترك في يد البحار حيلةً إلّا إنزال أسرعته، وهكذا قال دافوس: «أمرِك يا جلالة الملك»، وانحنى منصرفًا، ولكن بدا أن ستانيس قد نسيه تمامًا.

وجد السّاحة باردةً حين خرجَ من بُرج (الطّلبة الحجريّة)، والرّياح تهبّ قويّةً من الشّرق جاعلةً الرّيات تصطفق بصوتٍ مزعجٍ على الأسوار، وشمّ رائحة الملح في الهواء. البحر. كم يحبُّ هذه الرّائحة، وكم تجعله يصبو إلى السّير على ظهر مركبٍ من جديد، يرفع أسرعته ويبحر إلى ماريا وابنيه

الصَّغِيرَيْنِ. الآن لا يمرُّ نهار دون أن يُفَكَّرَ فيهم، وكلَّ ليلةٍ يُفَكَّرُ فيهم أكثر، وثُمَّ جزء منه لا يرغب في شيءٍ أكثر من أن يأخذ دُفَّان ويعود إلى دياره. لا أستطيع، ليس بعدُ. إنني لورد الآن، ويد الملك، ولا يمكنني أن أخذه.

رفعَ ناظرُه يرنو إلى الأسوار، وبدلاً من الشُّرَّافات تطلع إليه ألف مسخ وكَرْجَل من أعلى، كل منها يختلف عن الآخر، فهذا وايقرن<sup>(1)</sup> وهذا جريفين أو شيطان أو مانتيكور أو مينوتور<sup>(2)</sup> أو بازيليسق<sup>(3)</sup> أو كلب جحيم<sup>(4)</sup> أو أصله، بخلاف مئات المخلوقات الأخرى الأغرَب التي تنشق من شُرَّفات القلعة كأنها نبَّت هناك. كما أن التَّنَّانين في كلِّ مكان. القاعة الكُبرى تَنبئن منبطح على بطنه ويدخلها النَّاس من حلقة، والمطابخ تَنبئن متكورَّ على نفسه وتتصاعد أدخنة وأبخرة الأفران من منخره، والأبراج تنانين تجثم فوق الأسوار أو تتخذ وضع القتال، فيدو بُرج (الحَيَّة البيضاء)<sup>(5)</sup> كأنه يصْرُخ متحدِّبًا، ويحدِّق بُرج (تَنبئن البحر) بعيداً بسكينة عبر الأمواج، بينما تتخذ أطر الأبواب أشكال تنانين أصغر، وتبرُّز مخالب تنانين غيرها من الجُدران حاملةً المشاعل، وينطوي جناحان حجريَّان عظيمان على مستودع السِّلَاح وورشة الحدادة، وتكوِّن الذيول القناطر والجسور والسَّلالم الخارجِيَّة.

كثيرًا ما سمع دافوس أن سحرة (فاليريا) لم يُقَطِّعوا الحجارة وينحتوها كالبُنائين التَّقليديين، بل شكّلوها بالنَّار والسَّحر كما يُشكِّل الخزَّاف الصَّلصال، لكنه يُسائل نفسه الآن: ماذا لو كانت تنانين حقيقيَّة استحالت بوسيلةٍ ما إلى حجر؟

(1) الوايقرن مخلوق أسطوري شبيه بالتنين، لديه جسد كالسحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النَّار. (المترجم).

(2) المينوتور مخلوق من الأساطير الإغريقيَّة له جسد بشري ورأس ثور. (المترجم).

(3) البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميز بالقدرة على القتل بسُمِّه الرُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المترجم).

(4) كلاب الجحيم مخلوقات يرد ذكرها في أساطير شعوب عدَّة، توصف بأنها سوداء اللَّون وحمراء العينين، وشديدة القوَّة ولها حضور شحي ورائحة كريهة. (المترجم).

(5) يتخذ البُرج شكل مخلوق من الأساطير النوردِيَّة، له جسد حيَّة ورأس وجناحا تَنبئن ويزحف كالثعابين. (المترجم).



- «إذا بثت فيها المرأة الحمراء الحياة فأظن أن القلعة كلها ستتهار، وأيّ تئين هذا الذي تملأه الغرف والسّلام والأثاث؟ والنوافذ؟ والمداخن؟ والمراحيض؟».

التفت دافوس ليجد سالادور سان إلى جواره، وقال: «أيعني كلامك أنك غفرت لي خيانتني يا سالأ؟».

لوح الفرسان العجوز بإصبعه في وجهه مجيباً: «غفرتُ نعم، نسيْتُ لا. كل هذا الذهب على (جزيرة المخالب) الذي كان ليُصبح لي، التّفكير فيه يُشعّرني بالعجز والتّعب. عندما أموتُ معدّماً ستلعنك زوجاتي ومحظّياتي يا لورد البصل. اللورد سلتيجار كانت عنده خمور ممتازة كثيرة لا أذوقها الآن، ونسر بحري درّبه على الطيران من على المعصم، وبوق مسحور يستدعي الكراكين من الأعماق. كم سيكون قرن كهذا مفيداً في إغراق التايروشيئين وغيرهم من الكائنات المزعجة. لكن أهو معي لأنفخ فيه؟ لا، لأن الملك جعل صديقي القديم يده»، وتأنط ذراع دافوس مواصلاً: «رجال الملكة لا يُحبّونك يا صديقي القديم. سمعتُ أن يداً معيّناً بدأ يُكوّن صداقته الخاصّة. هذا صحيح، أليس كذلك؟».

إنك تسمع أكثر من اللازم أيها الفرسان العجوز. على المهرب أن يعرف النّاس كما يعرف تقلبات الممدّ والجزر، وإلا لن يعيش ويهرّب طويلاً. قد يظلّ رجال الملكة أتباعاً متحمّسين لإله الضياء، لكن أهل (دراجونستون) الأقل منزلة بدأوا يرجعون إلى الآلهة التي عرفوها طيلة حياتهم، ويقولون إن ستانيس مفتون، إن ملساندرأ حدث به عن سبيل (السبعة) ليتعبّد لشیطان خرج من الظلال، ويقولون -وهذه أسوأ الخطايا على الإطلاق- إنها وربّها خذلاه. وثمة فرسان ولوردات صغار يشاركونهم الشّعور، وقد سعى إليهم دافوس بالعناية نفسها التي كان ينتقي بها أطقم المراكب من قبل. السير جيرالد جاور قاتل بشجاعة في معركة (النّهر الأسود)، لكنه سمع عقبها يقول إن راهلور إله ضعيف بالتأكيد ما دام قد ترك أتباعه يفرّون من قزم ورجل ميت، وهناك أيضاً السير أندرو وإسترمونت ابن خال الملك الذي خدم كمُرافق له قبل سنوات، ونغل (التغريدة) الذي قاد حرس المؤخّرة يوم المعركة وأتّاح لستانيس أن يعود إلى قوادس سالادور سان سالمًا، لكنه يعبّد (المُحارب)

بإيمانٍ لا يقلُّ عن شراسته. رجال الملك لا رجال الملكة. لكن التَّباهي بهم  
لن يُجدي خيرًا.

أجاب دافوس بحذر: «ذات مرَّة قال لي فُرْصان لايسيبي معيَّن إن المهرَّب  
البارع يبقى بعيدًا عن الأنظار. أشرعة سوداء ومجازيف مكتومة وطاقم يعرف  
رجاله كيف يصونون ألسنتهم».

ضحك اللايسيبي قائلاً: «طاقم بلا ألسنة أفضل كثيرًا، خرس ضخام  
أقوياء لا يفقهون القراءة أو الكتابة»، ثم اتَّخذ صوته نبرةً أكثر جدِّيَّةً وهو  
يضيف: «لكني مسرور لوجود مَنْ يحمي ظهرك يا صديقي القديم. هل تعتقد  
أن الملك سيُعطي الرَّاغبة الحمراء الصَّبي؟ تنين صغير واحد سيُنهي هذه  
الحرب الكبيرة».

حدت به العادة القديمة إلى مدَّ يده إلى حَظِّه، لكن عظام أصابعه لم تُعد  
تتدلَّى من عُنقه، ولم يجد شيئًا، فقال: «لن يفعلها. لن يستطيع إيذاء دمه».

- «سيُسعد اللورد رنلي أن يسمع هذا».

- «رنلي كان خائنًا مسلِّحًا، لكن إدريك ستورم بريء من أيِّ جريمة.  
جلالته رجل عادل».

هَزَّ سالا كتفيه، وقال: «سنرى، أو ستري أنت، أمَّا أنا فعائد إلى البحر.  
حتى الآن قد يكون هناك مهرَّبون أو باش يُبحرون في (الخليج الأسود) على  
أمل أن يتلافوا دفع جمارك سيدهم القانونيَّة»، وربَّت على ظهر دافوس مردفًا:  
«توخَّ الحذر أنت وأصدقاؤك البُكم. لقد علا شأنك كثيرًا، لكن كلما ارتفع  
الإنسان أكثر كان سقوطه أعنف».

فكَّر دافوس مليًّا في هذه الكلمات وهو يصعد سلالم بُرج (تنين البحر)  
إلى مسكن المايستر أسفل المغدفة. لم يكن في حاجةٍ إلى أن يُخبره سالا  
بأن شأنه علا كثيرًا. لسَتْ أعرفُ القراءة أو الكتابة، واللوردات يحتقروني،  
ولا أفهمُ شيئًا في الحُكم، فكيف أكونُ يد الملك؟ إن مكاني على متن سفينة  
وليس في بُرج قلعة.

وهذا ما قاله للمايستر پايلوس، الذي أجابه: «أنت رُبَّان مرموق، والرُّبَّان  
يَحُكم سفينته، أليس كذلك؟ وعليه أن يُبحر في المياه الغادرة ويرفع الأشرعة

بحيث تُوجَّهها الرِّيح ويعرف كيف يتنبأ بالعواصف ويُبحر فيها. اليدويَّة لا تختلف كثيرًا».

قصدَ پايلوس أن يكون مجاملاً، لكن دافوس وجدَ طمأنته جوفاء، وقال معارضاً: «اليدويَّة تختلف تمامًا! المملكة ليست سفينة... وهذا خير، وإلاَّ لكانت سفينتنا هذه تغرق بالفعل. إنني أعرفُ الخشب والحبال والماء، لكن بَمَ ستفنعني معرفتي هذه الآن؟ أين أعثرُ على الرِّيح التي تدفع الملك ستانيس إلى عرشه؟».

ضحك المايستر قائلاً: «أصبت كبد الحقيقة يا سيدي. الكلام هواء كما تعلم، وقد تغلَّبت عليَّ بحصافتك. أعتقدُ أن جلالتك يعرف قيمتك». ردَّ دافوس بتعاسة: «البصل... هذه هي قيمتي. المفترض أن يكون يد الملك من كبار اللوردات، شخصاً حكيماً متعلماً، قائداً حربياً أو فارساً عظيماً...».

- «السير ريام ردواين كان أعظم فرسان حِقْبته، وأحد أسوأ الأيادي الذين خدموا الملوك على الإطلاق، وصلوات السِّبتون مورميسون صنعت المعجزات، لكن سرعان بعد تنصيبه يدا ما كانت البلاد كلها تُصلي لموته، واللورد باترويل كان مشهوراً بحذقه، ومايلز سمولوود بسجاعته، والسير أوتو هايتاور بعلمه، لكنهم أخفقوا جميعاً كأياد. وبالنسبة إلى الحسب والنسب فغالبًا كان ملوك التنانين يختارون أياديهم من بني جلدتهم، بنتائج على شاكلة بيلور كاسر الحراب وميجور المتوحش، وعلى عكس هذا هناك السِّبتون بارث ابن الحداد الذي التقطه الملك العجوز من مكتبة (القلعة الحمراء) فأعطى البلاد أربعين عامًا من السَّلام والرِّخاء»، وابتسم پايلوس مضيفاً: «اقرأ التَّاريخ يا لورد دافوس وستجد أن شكوكك بلا أساس».

- «كيف أقرأ التَّاريخ وأنا لا أعرفُ القراءة؟».

قال المايستر پايلوس: «القراءة بإمكان أيِّ أحدٍ يا سيدي، لا تتطلَّب سحرًا أو محتدًا كريماً. إنني أعلمُ هذا الفنَّ لابنك بأمر الملك، فدعني أعلمك أيضًا».

وجدَه دافوس عرضاً سخياً لم يستطع أن يرفضه، وهكذا اتَّجه كلُّ يوم إلى مسكن المايستر على قَمَّة بُرج (تنين البحر) ليُقطب وجهه وهو يُحدِّق

إلى اللِّفائف والرَّقوق والمجلِّدات الضَّخمة المغلَّفة بالجلد محاولاً استنباط المزيد من الكلمات. غالباً ما أصابه مجهوده بالصُّداع وجعله يحسُّ كأنه مهرِّج كبير كذي الوجه المرفَّع، فابنه لم يتعدَّ الثَّانية عشرة بعدُ ومع ذلك متقدِّم كثيراً على أبيه، أمَّا الأميرة شيرين وإدريك ستورم فالقراءة تبدو كأنها جزء لا يتجزأ من طبيعتهما كالتَّنفس. حين يتعلَّق الأمر بالكتِّب يصير دافوس طفلاً أكثر منهم، لكنه ثابر. إنه يد الملك، وعلى يد الملك أن يُجيد القراءة.

جعلت درجات بُرج (تئين البحر) الملتوية الضيِّقة المايستر كرسن يُعاني أيّما معاناة بعد أن كسرَ وَرَكَه. لا يزال دافوس يفتقد العجوز، ويعتقد أن ستانيس يفتقده أيضاً بالتأكيد. پايلوس بارع ومجتهد وسليم النِّيَّة، لكنه صغير للغاية، والملك لا يعهد إليه بأسراره كما كان يفعل مع كرسن، إذ ربطت العجوز بستانيس عشرة طويلة... إلى أن ناوأ مليساندرا وقاده هذا إلى حتفه. سمع على قَمَّة السَّلام رنين أجراس خافتاً يُعلن عن وجود ذي الوجه المرفَّع، وكان مهرِّج الأميرة ينتظرها بالفعل خارج باب المايستر ككلب مخلص، بجسده اللين كالعجين وكتفيه المحيَّتين ووجهه العريض الموشوم بالمرَبَّعات الخضراء والحمراء، وخوذته المصنوعة من قرون الوعل المربوطة على دلو من الصَّفيح وتدلَّى منها دسته من الأجراس التي ترنُّ كلما تحرك... وهو ما يحدث طيلة الوقت بما أنه نادراً ما يقف ثابتاً، وأينما ذهب يظلُّ يجلجلج أجراسه، فلا عجب أن پايلوس طرده من دروس شيرين. تمتَمَّ المهرِّج لدافوس وهو يهزُّ رأسه لتتعالى موسيقى الأجراس: «تحت البحر تأكل عجائز الأسماك صغارها. أعرف، أعرف، أوه، أوه، أوه».

- «هنا يُعلِّم صغار الأسماك عجائزها»، ردَّ دافوس الذي لا يُشعره شيء بالعجز كمحاولته القراءة. ربما كان الأمر ليختلف لو أن المايستر كرسن هو من يُعلِّمه، لكن پايلوس في سنِّ أولاده.

دخل إلى حيث يجلس المايستر إلى منضدته الخشبيَّة الطويلة المغطَّاة بالكتِّب والمخطوطات، وقبَّالته الأطفال الثلاثة، تتوسَّط الأميرة شيرين الصَّبَّيين. حتى الآن ما زال دافوس يستعذب منظر ابنه في رفقة أميرة ونغل ملك. الآن سيُصبح دقان من اللوردات، سيِّد (الغابة المطيرة). تبث هذه الفكرة فيه فخراً أكثر من تمتَّعه هو نفسه باللقب. إنه يقرأ أيضاً، يقرأ ويكتِّب

كأنه مولود بهذه الموهبة. لا يسع پايلوس إلا الشناء على اجتهاد دثان، وقال قِيم السِّلَاح إنه يُبَشِّر بِاتِّقَانِ الْقِتَالِ بِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ أَيْضًا. كما أنه صبيٌّ مُتَدَبِّنٌ. حينَ أَخْبَرَهُ دَاوُوسُ كَيْفَ مَاتَ أَرْبَعَةُ إِخْوَتِهِ الْأَكْبَرِ قَالَ دَثَانُ: «إِخْوَتِي ارْتَقَوْا إِلَى بَهْوِ الضِّيَاءِ لِيَجْلِسُوا فِي رِحَابِ الْإِلَهِ. سَأَصْلِي لَهُمْ عِنْدَ النَّارِ اللَّيْلِيَّةِ، وَلَكِ أَيْضًا يَا أَبِي كَيْ تَمْشِي فِي نَوْرِ رَاهَلُورِ حَتَّى آخِرِ أَيَّامِكَ».

حِيَّاهُ الصَّبِيَّ قَائِلًا: «طَابَ يَوْمُكَ يَا أَبِي». يُشْبِهُ دَايِلَ كَثِيرًا لَمَّا كَانَ فِي سِنَّهُ. صَحِيحٌ أَنَّ ابْنَهُ الْأَكْبَرَ لَمْ يَرْتَدِ ثِيَابًا بِأَنْفَاقَةٍ مَا يَرْتَدِيهِ مُرَافِقُ الْمَلِكِ، لَكِنْ الْاِثْنَيْنِ يَشْتَرِكَانِ فِي الْوَجْهِ الْمَرْبَعِ التَّقْلِيدِيِّ نَفْسَهُ وَالْعَيْنَيْنِ الْبَيِّنَتَيْنِ الصَّرِيحَتَيْنِ وَالشَّعْرَ الْبَنِيَّ النَّاعِمَ الَّذِي يَصْعُبُ تَشْيِيتَهُ، وَعَلَى وَجْهِ دَثَانِ وَذَقْنَهُ زَغَبٌ أَشْقَرٌ خَفِيفٌ تَسْتَحْيِي مِنْهُ ثَمْرَةٌ خَوْخٌ، لَكِنْ الصَّبِيَّ فَخُورٌ لِلْغَايَةِ بِ«لِحْيَتِهِ». تَمَامًا كَمَا كَانَ دَايِلُ ذَاتِ يَوْمٍ.

دَثَانُ أَكْبَرُ الْأَطْفَالِ الثَّلَاثَةِ الْجَالِسِينَ إِلَى الْمُنْضَدَةِ، لَكِنْ إِدْرِيكَ سَتُورِمُ يَتَجَاوِزُهُ طَوْلًا بِثَلَاثِ بُوَصَاتٍ، وَصَدْرُهُ وَكَتْفَاهُ أَعْرَضٌ. إِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ فِي هَذَا بِالْفِعْلِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُفَوِّتُ تَدْرِيِبَاتِ السَّيْفِ وَالتُّرْسِ كُلَّ صَبَاحٍ أَبَدًا. مَنْ عَاصَرَ وَارُوبَرْتَ وَرَنَلِي فِي طِفُولْتَهُمَا وَمَا زَالُوا أَحْيَاءَ يَقُولُونَ إِنَّ الصَّبِيَّ النَّغْلَ أَشْبَهَ بِهِمَا مِنْ سَتَانِيْسٍ فِي الْمَلَامِحِ؛ الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ الْفَاحِمُ وَالْعَيْنَيْنِ الزَّرْقَاوِينِ الْعَمِيقَتَيْنِ وَالْفَمَ وَالْفَكَ وَعِظَامَ الْوَجْتَيْنِ. وَحَدَهُمَا أذْنَاهُ تُذَكِّرَانِ النَّاطِرَ بِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ مِنْ عَائِلَةِ فُلُورَنْتِ.

رَدَّدَ إِدْرِيكَ: «نَعَمْ، طَابَ يَوْمُكَ يَا سَيِّدِي». الصَّبِيَّ قَوِيٌّ شَامِخٌ الْأَنْفِ، لَكِنْ الْمَايْسْتِرَاتِ وَأَمْنَاءُ الْقَلْعَةِ وَقِيَمِي السِّلَاحِ الَّذِينَ نَشَأَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لَقْنُوهُ أَصُولَ الْكِيَاْسَةِ جَيِّدًا. «هَلْ جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عَمِّي؟ كَيْفَ حَالُ جَلَالَتِهِ؟». أَجَابَ كَاذِبًا: «بِخَيْرٍ». الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَلِكَ أَصْبَحَ مَهْزُولَ الْجَسَدِ وَيَحْتَلُّ نِظْرَاتِهِ الْهُوسَ، لَكِنْ دَاوُوسُ لَمْ يَجِدْ دَاعِيًا لِإِزْعَاجِ الصَّبِيَّ بِمَخَاوِفِهِ. «أَمَلْتُ أَنِّي لَمْ أَقَاطِعْ دَرْسَكُمْ».

قَالَ الْمَايْسْتِرُ پَايَلُوسُ: «فَرَعْنَا لِلتَّوَّ يَا سَيِّدِي».

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ شِيرِينُ: «كُنَّا نَقْرَأُ عَنِ الْمَلِكِ دَايِرُونَ الْأَوَّلِ». طِفْلَةٌ عَذْبَةٌ رَقِيقَةٌ حَزِينَةٌ هِيَ، وَإِنْ كَانَتْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْجَمَالِ. مِنْ سَتَانِيْسٍ أَخَذَتْ فَكَّهُ الْمَرْبَعِ وَمِنْ سِيلِيْسِ أَذْنِيَّ عَائِلَةِ فُلُورَنْتِ، ثُمَّ إِنَّ الْأَلْهَةَ -بِحَكْمَتِهَا الْقَاسِيَةَ-

ارتأت أن تُضَاعِفَ دمامتها بابتلائها بالداء الأرمَد وهي في المهد، فتركَّ المرض إحدى وجنتيها ونِصفَ عنقها كالحجر الرَّمادي الصُّلب المشقَّق، وإن لم يأتِ على حياتها وبصرها. «لقد حاربَ وغزا (دورن). كانوا يُلقَّبونه بالتَّين الصَّغير».

قال دقان: «عبدَ آلهةَ زائفةً، لكنه كان ملكًا صالحًا بخلاف ذلك، وشديد الشَّجاعة في المعارك».

أيده إدريك ستورم قائلاً: «نعم، لكن أبي كان أشجع. التَّين الصَّغير لم ينتصر في ثلاث معارك في يوم واحد».

رمقته الأميرة بعينين متسعيتين، وسألته: «عمِّي روبرت انتصرَ في ثلاث معارك في يوم واحد؟».

أوماً التَّغلُّ برأسه إيجابًا، وقال: «عندما عادَ إلى الديار ليستدعي راياته. وقتها خَطَطَ اللوردات جرانديسون وكافرن وفل لحشد قواهم معًا في قلعة الصَّيف) والزَّحفَ على (ستورمز إند)، لكن علمَ بخطَّتهم من أحد المُخبرين وخرجَ في الحال بكلِّ فرسانه ومُرافقيهم، وحين وصلَ المتأمرون إلى (قلعة الصَّيف) واحدًا تلو الآخر هزمَ كلا منهم بدوره قبل أن ينضمَّ إلى الآخرين، وقتلَ اللورد فل في نزالٍ فردي وأسرَ ابنه الملكب بالفأس الفضة».

نظرَ دقان إلى پايلوس، وسألته: «أهذا ما حدث؟».

سبقَ إدريك ستورم المايستر إلى الإجابة قائلاً: «هذا ما قلته، أليس كذلك؟ لقد سحقَ ثلاثهم وقاتلَ بمنتهى الشَّجاعة، لدرجة أن اللوردين جرانديسون وكافرن أصبحا من رجاله بعدها، والفأس الفضة أيضًا. لم يهزم أحد أبي قط».

قال المايستر پايلوس: «لا يجدرُ بك أن تتبجَّح يا إدريك. الملك روبرت عرفَ الهزيمة كأبي رجلٍ آخر. اللورد تايرل هزمه في (أشفورد)، كما خسَرَ نزالاتٍ كثيرة في المباريات أيضًا».

- «لكنه فازَ أكثر مما خسَرَ، وقتلَ الأمير ريجار في معركة (الثالوث)».

- «صحيح. لكن عليَّ الآن أن أكرِّس انتباهي للورد داؤوس الذي ينتظر بصبر. سنقرأ المزيد من (غزو دورن) للملك دايرون غدًا».

استأذنت الأميرة شيرين والصَّبِيَّان بكياسة، وبعد أن خرجوا اقتربَ المايستر پايلوس من داؤوس قائلاً: «هل يروقك أن تُجربَ القراءة من (غزو

دورن) قليلاً يا سيدي؟»، ودفع الكتاب الرفيع المغلف بالجلد عبر المنضدة مضيئاً: «الملك دايفوس كتبته بلغة هي السهل الممتنع، كما أن تاريخه حافل بالدماء والمعارك والشجاعة. ابنك مستغرق فيه تمامًا».

- «ابني لم يبلغ الثانية عشرة بعد. أنا يد الملك. أعطني رسالة أخرى إذا سمحت».

قال بايلوس: «كما ترغب يا سيدي»، وفش بين أوراق الرقوق على المنضدة، يسط عددًا كبيرًا منها ثم يتجاهله، قبل أن يُغمغم: «ليست هناك رسائل جديدة. واحدة قديمة ربما...».

يستمتع دايفوس بالحكايات كأبي أحد آخر، لكنه يرى أن ستانيس لم يجعله يده من أجل أن يُسلي وقته، فواجهه الأول أن يُساعد الملك على الحكم، وليفعل هذا فلا مناص من أن يفهم الكلام الذي تأتي به الغدبان. لقد تعلم من خبرته أن أفضل وسيلة لتعلم شيء ما هي ممارسته، وفي هذا الأشرطة والمخطوطات سيان.

ناوله بايلوس رسالةً قائلاً: «قد تصلح هذه».

سوى دايفوس الرقّ المربع المجعد وضيق عينيه محققاً إلى الحروف الدقيقة المبهمة. كان قد تعلم مبكرًا أن القراءة تُؤلم العينين، وأحيانًا يتساءل إن كانت (القلعة) تمنح المايستر الذي يكتب بأصغر خط ممكن جائزةً. أضحكت الفكرة بايلوس، ولكن...

- «إلى الملوك... الخمسة». تردّد دايفوس لحظةً وهو ينطق «خمسة» التي لم يرها مكتوبةً كثيرًا. «ملك... ملك... ملك ما... وري؟».

صحح المايستر: «وراء».

قطب دايفوس وجهه مواصلاً: «ملك ما وراء الجدار قادم... قادم جنوبًا. يقود... جيشًا... جيشًا عارم...».

- «عرمرم».

- «... جيشًا عرمرم من اله... اله... الهمج. اللورد م... م... م...».

مورمونت أرسل... غدافًا من الغابة المس... المس...».

قال بايلوس راسمًا خطًا تحت الكلام بإصبعه: «المسكونة، (الغابة المسكونة)».

- «الغابة المسكونة). إنه... يتعرّض ل... لهجوم؟».

- «نعم».

مسروراً بنفسه تابع: «طيب... طيور أخرى جاءت منذ ذلك الحين بلا أخبار. نخشى أن... مورمونت قُتِلَ مع كل... قُتِلَ مع كل... قوته... لا، قوته. نخشى أن مورمونت قُتِلَ مع كل قوته...». أدرك دافوس فجأة ما يقرأه، وقلب الرّسالة فوجد الختم عليها أسود، فقال: «إنها من حرس اللّيل. هل رأى الملك ستانيس هذه الرّسالة أيها المايستر؟».

- «لقد أخذتها إلى اللورد أَلستر فور وصولها. كان اليد عندئذ، واعتقد أنه ناقشها مع الملكة. حين سألته إن كان يُريد أن يُرسل رَدًّا قال ألا أكون أحمق، وإن جلالته يعوزه الرّجال لمعاركه هو، وليس لديه من يُبددهم على الهَمَج». هذا صحيح، كما أن الكلام عن الملوك الخمسة كان ليُعْضِب ستانيس. تتمم دافوس: «لا يتسوّل الخُبز من شحاذ إلا من يتصوّر جوعاً».

- «معدرة يا سيّدي؟».

قال دافوس: «شيء ما قالته زوجته ذات مرّة»، وراح يَنْقُر بأصابعه المقصّرة على سطح المائدة مفكراً. أول مرّة رأى (الجدار) كان أصغر من دُفان، يخدم على متن (القِط الحجري) تحت رورو أوهوريس، التايروشي الذي كان معروفاً في أنحاء (البحر الضيّق) بكنية النّغل الأعمى، مع أنه لم يكن أعمى أو نغلاً. اجتاز رورو (سكاجوس) إلى (البحر الرّاجف)، وزار عشرات الخلجان الصّغيرة التي لم تر سفينة تجاريةً قبلها قط، وجلب معه الشّيوف والفؤوس والخوذات الفولاذ والقمصان المعدنيّة الصّلبة، وقايضها بالفرو والعاج والكهرمان والرّزجاج البُركاني، لكن حين دارت (القِط الحجري) عائدةً جنوباً بمخازن متخمة بالبضائع، باغتتها ثلاثة قوادس سوداء في (خليج الفقمات) وساقتها إلى قلعة حرس اللّيل الشّرقيّة على البحر، حيث فقدوا حمولتهم وفقد النّغل رأسه لارتكابه جريمة تجارة الأسلحة مع الهَمَج.

سبق لدافوس أن تاجرَ مع (القلعة الشّرقيّة) في إبّان أيامه كمهرّب، فالإخوة الشّود خصوم قساة وإنما زبائن ممتازون إذا كانت سفينتك محمّلة بالبضائع الصّحيحة، ولكن رغم أنه قبل نقودهم فإنه لم ينسَ قطّ منظر رأس النّغل الأعمى إذ تدرجَ على سطح (القِط الحجري). قال للمايستر بايلوس:



«قابلتُ بعضَ الهَمَجِ في صباي. كانوا لصوصًا عادلينَ لكنهم مساومون سيئون، وهربَ أحدهم بخادمة القمرِ على سفينتنا. إجمالاً بدوا كغيرهم من النَّاسِ، بعضهم صالحٌ وبعضهم طالحٌ».

قال بايلوس: «النَّاسُ هُم النَّاسُ. هل نستأنفُ القراءةَ يا حضرةَ اليد؟».

أنا يد الملك، نعم. قد يكون ستانيس ملك (وستروس) اسمًا، لكنه في الحقيقة ملك المائدة المرسومة ليس إلّا. إنه ما زال يُسَيِّطِرُ على (دراجونستون) و(ستورمز إند)، وبينه وبين سالادور سان حلف يزداد توترًا، لكن هذا كل شيء، فكيف يتطلَّعُ حرس الليل إلى مساعدته منه؟ ربما لا يدرون كم هو ضعيف وقضيته خاسرة. «أأنت واثق بأن الملك ستانيس لم يرَ هذه الرِّسالةَ قَطُّ؟ ولا مليساندرا؟».

- «نعم. هل أخذها إليهما؟ الآن؟».

أجابهُ دافوس على الفور: «لا. لقد أدَّيتُ واجبك لَمَّا أخذتها إلى اللورد أستر». إذا كانت مليساندرا على علم بهذه الرِّسالة... ماذا قالت له؟ الذي يجب ألا يُذكَرَ اسمه يحشد قواه يا دافوس سيورث. قريبًا يحلُّ البرد والليل الذي لا ينتهي. وستانيس شاهدٌ رؤيا في اللَّهَبِ، حلقةٌ من المشاعل في الثلج يُحيطُ بها الهول.

سأله بايلوس: «سيدي، أنت بخير؟».

أرادَ أن يقول: إنني مرعوبٌ أيها المايستر. كان يتذكَّرُ قصَّةً حكاها له سالادور سان عن أزور آهاي وكيف سَمِّيَ (جالِبُ الضِّياءِ) بإغماده في قلب زوجته الحبيبة. قتلٌ زوجته ليُحاربَ الظلمات. إذا كان ستانيس هو أزور آهاي المولود من جديد، فهل يعني هذا أن إدريك ستورم سيلعب دور نيسانيسا؟ قال: «كنتُ أفكِّرُ أيها المايستر، معذرة». ما الضَّررُ في أن يغزو ملك همجيُّ ما الشَّمال؟ ستانيس لا يُسَيِّطِرُ على الشَّمال حتى، ولا يُمكنُ لمن رفضوا أن يعترفوا به ملكًا أن يتوقَّعوا من صاحب الجلالة أن يزود عنهم. «أعطني رسالةً أخرى. هذه...».

- «... عسيرة القراءة؟».

وهمست مليساندرا: قريبًا يحلُّ البرد، والليل الذي لا ينتهي. وقال دافوس: «مزعجة، مزعجة. رسالة أخرى من فضلك».

## چون

استيقظوا على دُخان حريق (بلدة المناجد).  
على قمّة (بُرج الملك) استندَ چون سنو إلى العُكَّاز ذي المسند المبطن  
الذي أعطاه المايستر إيمون إياه، وشاهدَ الخيط الرّمادي يرتفع إلى السّماء.  
كان ستير قد فقدَ كلَّ أملٍ في مهاجمة (القلعة السّوداء) على حينِ غرّةٍ عندما  
فرَّ منه چون، وعلى الرّغم من هذا لم يكن من الصّوروري أن يُحذّره من دنوّه  
بهذا السّفور. قد تَقْتُلونا جميعًا، لكن أحدًا لن يُذبح وهو نائم في فراشه. هذا  
على الأقلّ أفلحتُ فيه.

لا تزال ساقه تُؤلمه كالسّعير إذا وضع ثقله عليها، واحتاج إلى عون  
كلايداس ليرتدي ثيابه السّوداء التّظيفة ويعقد أربطة حذائه هذا الصّباح، ولَمَّا  
فرغا كان يحسُّ برغبةٍ عارمة في إغراق نفسه في حليب الخشخاش، لكنه  
اكتفي بدلًا من هذا بنصف كوبٍ من نبيذ التّوم ومضغةٍ من لحاء الصّفصاف  
والعُكَّاز. كانت المنارة موقدةً فوق (أخدود ويدرباك)، وحرس اللّيل في  
حاجةٍ إلى كلِّ رجلٍ.

حين حاولوا منعه قال لهم بإصرار: «أستطيع القتال».  
رَدَّ نوي ساخرًا: «هل سفيّت ساقك؟ لن تُمانع أن أركلها ركلةً صغيرةً  
إذن؟».

- «أفضّل ألاّ تفعل. إنها متبيّسة، لكن يُمكنني أن أحجل عليها، وأن أقف  
وأقاتل إذا احتجت إليّ».

- «إنني محتاج إلى كلِّ رجلٍ يعرف بأيِّ طرفٍ من الحربة يطعن الهمج».  
- «الطرف المدبّ». يذكُر چون أنه قال لأخته الصّغيرة شيئًا كهذا ذات يوم.

حَكَ نوي شَعْر ذقنه القصير الخشن قائلاً: «ربما تُفيدنا. سأضعك على أحد الأبراج بقوس طويل، لكن إذا سقطت فإياك أن تأتيني باكيًا». رأى (طريق الملوكة) يمضي جنوباً عبر الحقول الحجرية البنية وفوق التلال المكشوفة للرياح، الطريق الذي سوف يظهر عليه الماجر قبل نهاية اليوم، يتقدم ثيوه وراءه حاملين الفؤوس والحراش في أيديهم والثروس الجلد والبرونز على ظهورهم. جريج التيس وكورت وبثرة الكبير سيأتون أيضاً، وإيجريت. لم يكن الهمج أصدقاء قط، إذ لم يسمح لهم بأن يصادقوه، أمّا هي...

شعر بنبض الألم حيث اخترق سهمها لحم وعضلات فخذها، وتذكر عيني العجوز والدم الأسود ينبجس من حلقه بينما تزار العاصفة فوق الرؤوس، لكن أكثر ما يتذكره هو الغار، ومنظرها عارية في ضوء المشعل، ومذاق ثغرها لما انفتح تحت ثغره. ارحلي يا إيجريت، اذهبي جنوباً وأغيري، اذهبي واختبي في أحد تلك الأبراج المستديرة التي أعجبتك كثيراً. لن تجدي هنا إلا الموت.

عبر الساحة حلّ أحد الرماة على سطح (ثكنات فلينت) أربطة سراويله وبأل من فجوة بين شرافتين، وتبين چون من شعره البرتقالي المدهن أنه مولّي، وعلى السطوح وقمم الأبراج الأخرى لآح المزيد من الإخوة السود، وإن كان تسعة من كل عشرة منهم مصنوعين من القش، «فزاعات للهمج كفزاعات الغربان» كما قال دونالد نوي. الفارق أننا نحن الغربان، ومعظمنا مفزوع بالفعل.

أيّا كان اسمهم، فالجنود القش فكرة المايستر إيمون. لدى الحرس سراويل وقمصان وسترات في المخازن أكثر من الرجال، فلم لا يحشون تلك الثياب بالقش ويضعون معاطف على أكتافها ويجعلونها تقف حراسة؟ تبت نوي الفزاعات فوق كل برج وفي نصف النوافذ، بل وحمل بعضها الحراش أو النشابيات الملقمة تحت الأذرع، على أمل أن يراها الثيون من بعيد فيقرروا أن حامية (القلعة السوداء) أقوى من أن تُهاجم.

تقاسم چون سطح (برج الملك) مع ستّ فزاعات علاوة على أخوين حيين، فاستقرّ ديك فولارد الأصم في فجوة بين شرافتين، يُنظف ويُزيّ آليّة

نُشَابِيَّتِهِ بِعُنَايَةٍ لِيُضْمَنَ أَنْ تَدُورَ الْبَكْرَةُ كَمَا يَنْبَغِي، بَيْنَمَا دَارَ صَيِّئٌ مِنْ (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ) حَوْلَ الشَّرْفَةِ مَتَوْتِرًا، يُعَدِّلُ ثِيَابَ الرَّجَالِ الْقَشَّ وَيُسَوِّيُهَا. رُبَّمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيَقْتَاتِلُونَ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ إِذَا كَانُوا مُثْبِتِينَ فِي أَوْضَاعٍ سَلِيمَةٍ، أَوْ رُبَّمَا يُنْهِكُ الْإِنْتِظَارَ أَعْصَابَهُ كَمَا يُنْهِكُ أَعْصَابِي.

يَزْعُمُ الصَّيِّبُ أَنَّهُ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ، أَكْبَرَ مِنْ چُون، لَكِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا أَكْثَرَ اخْضِرَارًا مِنَ الْعُشْبِ فِي الصَّيْفِ. يُسَمُّونَهُ سَاتَان، حَتَّى وَهُوَ يَرْتَدِي صَوْفًا وَمَعْدَنًا وَجِلْدَ حَرَسِ اللَّيْلِ الْمَقْوَى بِالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي اكْتَسَبَهُ فِي الْمَاخُورِ الَّذِي وُلِدَ وَتَرَعَرَعَ فِيهِ. إِنَّهُ جَمِيلٌ الْمَلَامِحُ كَالْفَتَيَاتِ، بَعِينِيهِ الدَّاكَّتَيْنِ وَبَشْرَتَهُ النَّاعِمَةَ وَحُلَيْقَاتِ شَعْرِهِ الْفَاحِمَةَ كَرِيشِ الْغِدْفَانِ، غَيْرَ أَنَّ نِصْفَ الْعَامِ الَّذِي قَضَاهُ فِي (الْقَلْعَةِ السَّوْدَاءِ) مَرَّسٌ يَدِيهِ، وَقَالَ نُوِي إِنْ مَهَارَتِهِ فِي اسْتِخْدَامِ النُّشَابِيَّةِ مَقْبُولَةٌ... لَكِنْ إِنْ كَانَ يَتَحَلَّى بِالسَّجَاعَةِ الْكَافِيَةِ لِمُوَاجَهَةِ مَا هُوَ قَادِمٌ...

اسْتَعَانَ چُون بِالْعُكَّازِ لِيَعْرُجَ عِبْرَ قِمَّةِ الْبُرْجِ. لَيْسَ (بُرْجُ الْمَلِكِ) أَعْلَى أَبْرَاجِ الْقَلْعَةِ، فَالْبُرْجُ الْعَالِي الرَّفِيعُ الْمْتَهَدَّمُ الَّذِي يَحْمَلُ اسْمَ (الرُّمْحِ) يَحْتَفِظُ بِهَذَا الشَّرْفِ - وَإِنْ كَانَ أَوْثِيلُ يَارُويكُ قَالَ إِنَّهُ قَدْ يَنْهَارُ فِي أَيِّ يَوْمٍ - كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ أَقْوَى أَبْرَاجِهَا كَذَلِكَ، بَمَا أَنَّ (بُرْجَ الْحُرَّاسِ) الْمَجَاوِرَ لـ (طَرِيقِ الْمَلُوكِ) أَصْلَبُ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ (بُرْجُ الْمَلِكِ) عَالٍ وَقَوِيٌّ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ، وَيَحْتَلُّ مَوْقِعًا مَنَاسِبًا إِلَى جِوَارِ (الْحِدَارِ)، بِحَيْثُ يَطْلُ عَلَى الْبُؤَابَةِ وَقَاعِدَةِ السَّلَالِمِ الْخَشَبِيَّةِ. حِينَ وَقَعَ بَصْرَ چُونِ عَلَى (الْقَلْعَةِ السَّوْدَاءِ) لِلْمَرَّةِ الْأُولَى تَعَجَّبَ مِنْ الْبَلَاهَةِ الَّتِي تَدْفَعُ أَحَدًا إِلَى بِنَاءِ قَلْعَةٍ بِلَا أَسْوَارٍ، إِذْ كَيْفَ يُمَكِّنُ الدَّفَاعَ عَنْهَا؟ يَوْمَهَا أَجَابَهُ عُمُهُ: «الدَّفَاعُ عَنْهَا غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَهَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالضَّبْطِ. حَرَسَ اللَّيْلِ مَتَعَهِّدُونَ بِعَدَمِ التَّدْخُلِ فِي صِرَاعَاتِ الْبِلَادِ، لَكِنْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ نَسِيَ عِدَدٌ مِنَ الْقَادَةِ الَّذِينَ فَاقَتْ غَطْرَسَتَهُمْ حِكْمَتَهُمْ يَمِينُهُمْ وَكَادُوا يَزْجُونُ بِنَا جَمِيعًا إِلَى التَّهْلُكَةِ بِسَبَبِ طُمُوحَاتِهِمْ. حَضْرَةُ الْقَائِدِ رُونْسَلِ هَايْتَاوَارِ حَاوَلَ أَنْ يُورِّثَ ابْنَهُ النَّغْلَ الْحَرَسِ، وَحَضْرَةُ الْقَائِدِ رُودْرِيكِ فَلَيْتَ حَاوَلَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَلِكًا وَرَاءَ (الْحِدَارِ)، وَتَرِيَسْتَانَ مُودِ، وَمَارِكُ رَانِكَنْفَلِ الْمَجْنُونِ، وَرُوبِنِ هِيلِ... هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ قَبْلَ سِتْمِئَةِ عَامٍ قَامَتِ حَرْبٌ بَيْنَ قَائِدَيْ (بُؤَابَةِ التَّلْجِ) وَ(قَلْعَةِ اللَّيْلِ)؟ وَحِينَ حَاوَلَ حَضْرَةُ الْقَائِدِ إِيقَافَهُمَا تَحَالُفًا عَلَى اغْتِيَالِهِ؟

وقتها اضطرب اللورد ستارك في (وينترفل) أن يتدخل وقطع رأسيهما، وهو ما فعله بسهولة لأن معقليهما كانا بلا دفاعات. لقد شهد حرس الليل تسمعته وستة وتسعين قائداً قبل جيور مورمونت، معظمهم رجال شرفاء شجعان... لكننا مُنينا أيضاً ببعض الجُبناء والحمقى، الطُغاة والمجانين. إننا مستمرُّون لأن لوردات وملوك (الممالك السبع) يعلمون أننا لا نُمثل لهم تهديداً أيّاً كان قائداً. أعداؤنا الوحيدون إلى الشمال، وإلى الشمال يرتفع (الجدار)».

لكن الآن اجتاز هؤلاء الأعداء (الجدار) ليهاجموا من الجنوب، ولوردات (الممالك السبع) وملوكها نسونا ونحن بين المطرقة والسندان. لا يُمكن الدفاع عن (القلعة السوداء) بلا سور، ودونال نوي يعلم هذا كالجميع، فخاطب الحداد حاميته الصغيرة قائلاً: «القلعة لا قيمة لها عندهم، المطابخ والقاعة العامة والاسطبلات، وحتى الأبراج... دعوهم يأخذوا كل شيء. سنفرغ مستودع السلاح ونقل ما نستطيع من مؤن إلى قمة (الجدار)، ونصدى لهم عند البوابة».

هكذا أصبح لـ(القلعة السوداء) سورٌ ما على الأقل، متراس هلامي الشكل يرتفع عشرة أقدام ويتألف من محتويات المخازن؛ براميل ملأى بالمسامير وبراميل ملأى بالضأن المملح، وصناديق ولفائف من قماش الجوخ الأسود وأكوام من الحطب ونشارة الخشب والخوازيق المقوَّاة بالنار وأجولة وأجولة من الغلال. اكتنف السائر المرتجل أكثر شئين يستحقان الدفاع، البوابة التي تُفضي إلى الشمال وقاعدة السلالم الخشبية المتعرجة التي تتسلق وجه (الجدار) كلسان برق سكران، تدعّمها عوارض خشب ضخمة كجذوع الأشجار مغروسة عميقاً في الجليد.

رأى چون إخوته يحثون القلة المتبقية من المناجذ<sup>(1)</sup> على صعود السلالم. كان جرن يحمل صبيّاً صغيراً بين ذراعيه، ويبيب أسفله بمجموعتي درجات ومعه عجوز يتوكأ على كتفه، بينما انتظر أهل القرية الطاعنون في السنّ نزول الففص إليهم. رأى أمّاً تصعد بطفلٍ في كلٍّ من يديها وصبيّاً أكبر يتجاوزهم

(1) المناجذ جمع الخلد، وهو حيوان أعمى شبيه بالفأر يعيش في جحور تحت الأرض. (المترجم).

مسرَّعًا، وفوقهم بمثتي قدم وقفَت سو الزَّرقاء والليدي ميليانا (التي أتَّفَق أصدقاؤها جميعًا على أنها كَيْست ليدي حقًّا) على بَسْطَةِ تتطلَّعان جنوبًا. لا شكَّ أنهما تريان الدُّخان أفضل منه. تساءلَ عن مصير القرويين الذين اختاروا ألاَّ يهربوا. هناك دائمًا قلائل من أمثالهم، الأكثر عنادًا أو حُمقًا أو شجاعةً من أن يفروا، الذين يُؤثِّرون القتال أو الاختباء أو الاستسلام. ربما يتَّركهم الثَّنيون أحياء.

الحلُّ الأمثل أن يُهاجمهم قبل أن يُهاجمونا. بخمسين جَوًّا علي خيول قويَّة بإمكاننا أن نسحقهم سحقًا على الطريق. لكن الخمسين جَوًّا هؤلاء يَنقُصونهم، كما أن خيولهم أقلُّ من نصف هذا العدد. الحامية لم ترجع، ولا وسيلة لمعرفة موقعها الحالي وإن كان الخيالة الذين أرسلهم نوي قد بلغوها. قال چون لنفسه: نحن الحامية الآن، فانظر إلينا. الإخوة الذين تركهم باون مارش مسنون وعجزة وصبيبة خُضر، تمامًا كما حدَّره دونالد نوي. رأى بعضهم يُجاهد لصعود السَّلام بالبراميل وبعضهم على المتراس، منهم كجز العجوز البدين البطيئ كدأبه، وذو النعل الواحد يحجل بنشاطٍ على ساقه الخشبيَّة المنحوتة، وإيزي شبه المجنون الذي يخال نفسه فلوريان المهرج المولود من جديد، وآلن الأحمر ابن (غابة الورد)، وديلي الدورني، وهنلي الصَّغير -الذي تجاوزَ الخمسين- وهنلي الكبير -الذي تجاوزَ السَّبعين- وهال المُشعر، وپايت الأرقط ابن (بركة العذارى). رأى عدد قليل منهم چون واقفًا على قَمَّة (بُرج الملك) فلَوَّحوا له محيئين، بينما أشاح عدد آخر ببصره عنه. ما زالوا يحسبونني مارقًا. فكرة أكثر مرارةً من أن يستسيغها، لكنه لا يستطيع أن يلومهم. إنه نغل، والكلُّ يعلم أن الثُّغول متقلِّبون غدَّارون بطبيعتهم إذ وُلِدوا من الشَّهوة والخداع، كما أن له في (القلعة السَّوداء) أعداء بعدد الأصدقاء، ومنهم راست على سبيل المثال. ذات مرَّة هدَّده چون بأن يجعل جوست يُمزَّق عُنفه ما لم يكفَّ عن ترويع سامويل تارلي، وراست لا ينسى تلك الأشياء. كان يُكوِّم أوراق الشَّجر الجافَّة تحت السَّلام الآن، وبين الحين والآخر يتوقَّف ليرمي چون بنظرة مقتِّة.

هدرَ دونالد نوي في ثلاثة من رجال (بلدة المناجد) في الأسفل: «لا، القار يذهب إلى الرِّافعة والزَّيت أعلى السَّلام. سهام الثُّشبيَّات إلى البسطات

الرَّابِعة والخامسة والسَّادسة، والحِراب إلى الأولى والثَّانية. كدَّسوا الشَّحم تحت السَّلالم، نعم، هناك، وراء الألواح. براميل اللِّحم للمتراس. الآن أيها الجُرب، الآن!».

له صوت لورد. دائماً ردَّد أبوه أن رثيَّ القائد في المعركة مهمَّتان كذراع سيفه، وقال اللورد إدارد لأبنائه: «شجاعة الرِّجل أو عبقريته بلا قيمة إذا لم يسمع أحد أوامره»، وهكذا تعوَّد روب وچون تسلق بروج (ويترفل) ليتبادلا الرِّعيق عبر السَّاحة، لكن صوت دونال نوي كان كفيلاً بكنم صوتيهما معاً، وهرع المناجد خائفين منه يُلَبِّون الأوامر، ولهم كلُّ الحقِّ بما أنه يهدِّد دائماً بانتزاع رؤوسهم من على أكتافهم.

ثلاثة أرباع أهل القرية أذعنوا لتحذير چون وأتوا لائذين بـ(القلعة السوداء)، وقضى نوي أن يُساعد كل رجل ما زال بالرِّشاقة الكافية لحمل حربةٍ أو فأس في الدِّفاع عن المتراس، وإلا فليعودوا إلى قريتهم ويُجربوا حَظهم مع الثَّنين، ثم إنه أفرغ مستودع السِّلح ليضع فولاذ القلعة الممتاز في أيديهم؛ الفؤوس الكبيرة مزدوجة النِّصال والخناجر الحادَّة كالمواسي والسُّيوف الطويلة والهروات والكرات الشَّائكة، وإذا ارتدوا السُّترات الجلد المطعَّمة بالحديد وقمصان الحلقات المعدنيَّة وواقيات السِّيقان والأعناق بدا بعضهم أقرب إلى الجنود. في ضوء سيِّء وإذا ضيقت عينيك.

كلف نوي النِّساء والأطفال بالعمل أيضاً. الأصغر من أن يُقاتلوا سيحملون الماء ويُزكون النَّار، وقابلة البلدة ستُساعد كلايداس والمَياستر إيمون على العناية بالجرحى، وفجأةً أصبح مع هوب ذي الثَّلاثة أصابع صبية يُدوِّرون الأسياخ ويُقلِّبون القدور ويُقطِّعون البصل أكثر مما يعرف ماذا يفعل بهم، كما أن اثنتين من العاهرات تطوَّعتا للقتال، وأبديتا مهارةً لا بأس بها في استخدام النُّشابية، فاحتلتا مكاناً على الدَّرجات على ارتفاع أربعين قدماً.

- «الجوُّ بارد»، قال ساتان وقد دَسَّ يديه تحت إبطيه داخل معطفه وتورَّدت وجنتاه بشدَّة.

جعل چون نفسه يبتسم قائلاً: «(أنياب الصَّقيع) باردة، أمَّا هذا فنهار خريفي منعش».

قال ساتان: «أملُ ألا أرى (أنياب الصَّقيع) أبداً إذن. في (البلدة القديمة)

عرفت فتاةً تُضيف الثَّلج إلى نبيذها. أظنُّ أن هذا أفضل مكانٍ للثلج، النَّيذ،  
وتطلَّع جنوبًا بوجهٍ مقطَّب، وتساءل: «هل تحسب أن الفزاعات أخافتهم يا  
سيّدي؟».

- «هذا ما نأمله». يعتقد چون أن هذا ممكن... لكن الأرجح أن الهمج  
توقّفوا ببساطةٍ في (بلدة المناجد) ليغتصبوا وينهبوا، أو أن ستير ينتظر هبوط  
الليل ليتحرَّك مستترًا بالظلام.

انتصف النَّهار دون أن يظهر الثَّييون على (طريق الملوك). سمعَ چون  
خُطوات أقدام داخل البُرج، وظهرَ أوين الجحش من الباب الأفقي بوجهٍ  
محتقن من مجهود الصُّعود، يحمل تحت إحدى ذراعيه سلَّةً من الكعك  
وتحت الأخرى قالبًا من الجُبنة، ومن إحدى يديه يتدلَّى كيس مليء بالبصل.  
قال لهم: «هوب قال أن نُطعمكم تحسُّبًا لأن تعلقوا هنا فترةً».

إمّا هذا وإمّا أنها وجبتنا الأخيرة. «بلغه شكرا يا أوين».

ديك فولارد أطرش كالبحر، لكن أنفه يعمل بكفاءة. كانت الكعكات لا  
تزال محتفظةً بدفء الفرن حين دَسَّ يده في السلَّة وأخرج واحدةً، كما وجدَ  
قالبًا من الزُّبدة وفرد القليل منها على الكعكة، ثم أخذ قضمًا وأعلنَ بسعادة:  
«زبيب، ومكسرات أيضًا». يتكلَّم فولارد بلسانٍ ثقيل، لكن من السَّهل أن  
تفهم كلامه إذا اعتدته.

قال ساتان: «يُمكنك أن تأكل نصيبي أيضًا. لستُ جائعًا».

قال له چون: «كُل، فمَن يدري متى ستجدُ فرصةً أخرى؟»، وأخذَ كعكتين  
لنفسه، فوجدَ المكسرات من جوز الصَّنوبر، وبالإضافة إلى الزُّبيب كانت  
هناك قطع صغيرة من التَّفاح المجفَّف.

سأله أوين: «هل سيأتي الهمج اليوم يا لورد سنو؟».

- «ستعرف إذا أتوا. أصغ إلى الأبواق».

- «نفختان، نفختان تعنيان الهمج». أوين طويل القامة مضمفور الشَّعر  
لطيف المعشر، ويعمل بلا كلل ويُبدي مهارةً مذهشةً عندما يتعلَّق الأمر  
بالأخشاب وإصلاح المجانيق ومآ إلى ذلك، وإن كان سيُسعده أن يحكي لك  
أن أمّه أسقطته على رأسه وهو رضيع، فانسكب نصف عقله من أذنه.  
سأله چون: «هل تذكُر أين ستهب؟».



- «دونال نوي قال أن أذهب إلى السّلام وأصعد إلى البسطة الثالثة وأطلق سهام نُشَابِيَّتِي على الهَمَج إذا حاولوا تسلق المتراس. البسطة الثالثة، واحد اثنان ثلاثة»، وحرك رأسه من أعلى إلى أسفل مردفًا: «إذا هاجمنا الهَمَج سيأتي الملك ليُساعدنا، أليس كذلك؟ الملك روبرت مُحارِب مغوار ولا بُدّ أنه سيأتي. المايستر إيمون أرسلَ إليه طائرًا».

لا جدوى من إخباره بأن روبرت باراثيون مات، فسينسى كما نسي من قبل، لكن چون وافقه قائلًا: «المايستر إيمون أرسلَ إليه طائرًا»، وبدأ أن الجواب أسعدَ أوين.

أرسلَ المايستر إيمون طيورًا كثيرةً في الحقيقة... وليس إلى ملكٍ واحدٍ وإنما إلى أربعة. قالت رسالته: الهَمَج على الأبواب. البلاد في خطرٍ داهم. أرسلوا كلَّ ما تستطيعون من نجدةٍ إلى (القلعة السوداء). حلقت الغدافان بعيدًا حتى (البلدة القديمة) وقلعتها، وإلى عشرات اللوردات العظام في قلاعهم، وبما أن لوردات الشّمال يُمَثّلون أفضل أمل فقد حملت الطيور نُسختين إلى كلِّ منهم، إلى آل أومبر وآل بولتون، وإلى (قلعة سروين) و(مربّع تورين)، وإلى (كارهولد) و(ربوة الغابة) و(جزيرة الدّيبة) و(القلعة العتيقة) و(قلعة الأرملة) و(الميناء الأبيض) و(بلدة الرّوابي) و(الغُدران)، وإلى المعاقِلِ الجبلية التي يسكنها آل وول وليدل وبورلي ونوري وهاركلاي. إلى كلِّ هؤلاء حملت الطيور السّوداء استغاثتهم: الهَمَج على الأبواب. الشّمال في خطر. تعالوا بكلِّ قوّتكم.

لكن الغدافان لها أجنحة، واللوردات والملوك لا يطيرون، وإذا كانت النّجدة في الطّريق فلن تأتي اليوم.

مع حلول الأصيل كان الهواء قد ذرا دُخان (بلدة المناجذ) وعادت سماء الجنوب تصفو، وفكر چون: لا سحب. وهذا خير، فهطول المطر أو الثلج قد يعني هلاكهم جميعًا.

ركبَ كلايداس والمايستر إيمون القفص إلى أمان قمة (الجدار)، بالإضافة إلى أغلب نساء (بلدة المناجذ)، وذرع الإخوة السّود سطوح الأبراج متوتّرين وتبادلوا الصّياح عبر الباحات، وقاد السّبتون سلا دور الرّجال على المتراس في صلاةٍ متضرّعا لـ(المُحارب) أن يبثّ فيهم القوّة، وتكوّر

ديك فولارد الأصم تحت معطفه وغاب في النوم، وقطع ساتان مئة فرسخ في دوائر لا تنتهي حول الشُرفة، وراح (الجدار) يقطر بينما زحفت الشمس في زُرقة السماء القاسية. قُرب المساء عادَ أوين الجحش برغيفٍ من الخُبز الأسمر وسطل مليء بأفضل ضأنٍ يطبخه هوب في مرقٍ تخين من المِزر والبصل. استيقظَ ديك على الرَّائحة، والتهموا الطعام كله واستخدموا قطعاً من الخُبز لمسح قاع السّطل، ولَمّا فرغوا كانت الشمس قد انخفضت في الغرب وامتدت الظلال سوداءً حادّةً في أرجاء القلعة.

قال چون لساتان: «أشعل النار واملأ الرجل بالزيت».

ذهب إلى أسفل بنفسه ليُنزل مزلاج الباب محاولاً أن يُخلص ساقه من شيءٍ من تيبسها. كان هذا خطأً كما علم مسبقاً، لكنه أطبق على العُكاز وأنجز الفرض على الرغم من ذلك. باب (بُرج الملك) من خشب البلوط المقوّى بالحديد، وقد يعوق الثنّين لكنه لن يُوقفهم إذا أرادوا أن يدخلوا. أنزل چون القضيب العرضي في الحوامل، ثم ذهب إلى المرحاض - فقد تكون هذه فرصته الأخيرة لقضاء حاجته - قبل أن يحجل عائداً إلى السطح والألم بادٍ على ملامحه.

اصطبغ الغرب بلون كدمية دامية، لكن السماء فوقهم لا تزال زرقاء قاتمةً يسري فيها الأرجواني، وبدأت النجوم تظهر. جلس چون بين شُرَافَتين وفي صحبته فزاعة واحدة وشاهد (الفحل) يركض في الأعلى، أم أن اسم الكوكبة (اللورد ذو القرنين)؟ تساءل أين جوست الآن، وتساءل عن إيجريت أيضاً، ثم قال لنفسه إن في هذا الطريق يكمن الجنون.

أني الهَمج ليلاً بالطبع. كاللصوص، كالقتلة.

بال ساتان على نفسه عندما دوى التّفير، لكن چون تظاهر بأنه لم يلاحظ وقال لصبيّ البلدة القديمة: «اذهب وأيقظ ديك، هز كتفه وإلا سيظل نائماً خلال القتال».

قال ساتان بوجه ممتقع تماماً: «إنني خائف».

ردّ چون: «وهم أيضاً»، وأسند عُكازه إلى شُرَافةٍ والتقط قوسه الطويل، ولوى خشب الطقسوس الدورني الأملس السّميك ليثبت الوتر، وقال لساتان لَمّا رجع بعدما أيقظ ديك: «لا تُبدد السّهام ما لم تكن واثقاً بأنك ستصيب».

الهدف. إن معنا مخزوناً وافرًا هنا، لكن هذا لا يعني أنه لا ينفد. وقِف وراء سُرافة لتُعيد التَّقِيم ولا تُحاول الاختباء وراء فزاعة. إنها مصنوعة من القش، وتُحترقها السَّهام». على أنه لم يُجسَّم نفسه عناء إخبار ديك فولارد بشيء. الرَّجل يستطيع قراءة الشَّفاه إذا كان الضَّوء كافيًا ويأبه لما تقول، لكنه يعرف المطلوب منه بالفعل.

أَتخذ ثلاثتهم مواضعهم على ثلاثة جوانب من البُرج المستدير، وعلَّق چون جعبةً من حزامه وسحبَ سهمًا قناته سوداء وريشته رماديَّة، وإذ تَبَّته إلى الوتر تذكَّر شيئًا قاله له ثيون جرايچوي ذات مرَّة وهم عائدون من الصَّيد. يومها أعلنَ وعلى شفثيه تلك الابتسامة المعتادة: «فليحتفظ الخنزير البرِّي بأنيابه واللُّدب بمخالبه، فلا شيء مميِّتًا في الدُّنيا كُريشة إوزة رماديَّة».

لم يبلِّغ چون نصف براعة ثيون في الصَّيد قَط، لكن القوس الطويل ليس غريبًا عليه كذلك. كانت أشباح سوداء تتسلل حول مستودع السِّلاح بظهور ملتصقة بالحجر، لكنه لا يراها بوضوح يكفي لتبديد سهم. سمع صياحًا بعيدًا، ورأى الرُّماة على (بُرج الحُرَّاس) يُطلِّقون سهامهم على الأرض، وإن كانوا أبعد من أن يهتمَّ بهم، لكن حين أبصرَ ثلاثة ظلالٍ تنفصل عن الاسطبلات القديمة على بُعد خمسين ياردة، صعَدَ بين سُرافتَيْن ورفعَ قوسه وسحبَ السَّهم. كانوا يركُضون، فتابعهم، ينتظر، ينتظر...

وأصدرَ السَّهم هسيسًا خافتًا وهو يبرح الوتر، وبعد لحظةٍ تعالَى أنين وأصبحَ هناك ظِلان فقط يجريان في السَّاحة بكلِّ سرَّعتهما، وسحبَ چون سهمًا آخر من جعبته، غير أنه تعجَّل في الإطلاق هذه المرَّة وأخطأ الهدف، ولَمَّا تَبَّتْ سهمًا جديدًا كان الهمجيان قد اختفيا. بحثَ عن هدفٍ آخر ووجدَ أربعة يهرعون حول هيكل (بُرج القائد) الخالي، يلتمع نور القمر على حِرابهم وفؤوسهم والرُّموز القبيحة على تروسهم الجلد المستديرة، التي تنوَّعت بين الجماجم والعظام والأفاعي ومخالب الدِّببة والوجوه الشَّيطانيَّة المشوَّهة. أدركَ أنهم من شعب الأحرار، فالثنيون يحملون تروسًا من الجلد الأسود المقوَّي بحواف وبروزات من البرونز ولا يُزيِّنُها شيء. هذه تروس الهجامة الأُخف وزناً المصنوعة من الخيزران.

سحبَ چون ريشة الإوزة إلى أذنه وصوَّب السَّهم وأطلقه، ثم تَبَّتْ سهمًا

جديدًا وسحبَه وأطلقَه، فاخترقَ الأولُ تُرسَ مخلبِ الدُّبِ، والثَّاني عُقنًا، وصرخَ الهمجي إذ سقطَ. سمعَ ظنينٌ نُشايَّةَ ديكِ الأصمِ العميقِ إلى يساره، وبعَدَ لحظةً نُشايَّةَ ساتانِ الذي صاحَ بصوتٍ مبوحٍ: «أصبْتُ واحدًا! أصبته في صدره!».

زَعَقَ چون: «أصبَّ غيره إذن!».

لم يَعدَ مضطرًّا للبحثِ عن أهداف، وما عليه الآن إلا اختيارها. أسقطَ راميا همجيا وهو يُبَيِّتُ سهما إلى قوسه، ثم أطلقَ آخرَ على حاملِ بلطة يهوي بها على باب (بُرجِ هاردين)، لكنه أخطأ التَّسديدَ هذه المرَّة، وإن جعلَ السَّهمَ الرَّاجفَ المغروسَ في الخشبِ الهمجي يتراجع، و فقط حين لاذ بالفرار تبيَّنَ چون أنه بثرة الكبير، وبعَدَ أقلَّ من لحظةٍ غرسَ مولي العجوزَ سهما في ساقه من فوق سطح (ثكنات فلينت)، فزحفَ الرَّجلُ مبتعدًا وهو ينزف. سيَجعله هذا يكفُّ عن الشُّكوى من بثرته.

فرغتِ الكنانة فذهبَ يلتقطُ غيرها، ثم انتقلَ إلى فجوةٍ أخرى إلى جانب ديك فولارد الأصم، ومقابلِ كلِّ سهمٍ من نُشايَّةِ ديكٍ أطلقَ چون ثلاثة، لكن هذه هي مزية القوس الطويل، فالبعض يصرُّ أن سهام النُّشايَّة أفضل في اختراق الأهداف، إلا أن إعادة تلقيمها بطيئةٌ مجهدة. ترامي إلى مسامعه زعيق الهمج، وفي مكانٍ ما إلى الغرب دوى بوقٍ حربي، واستحال العالم إلى قمرٍ منيرٍ وظلال، والزَّمنُ إلى دورةٍ لا نهائيةٍ من التَّشبيثِ والسَّحبِ والإطلاق. انغرسَ سهم همجيٌّ في حلقي الحارس القشِّ إلى جواره، لكن چون سنو لاحظَ بالكاد، ولآلهة أبيه صلى: امنحيني رميةً مباشرةً واحدةً أصيبُ بها ماجنر (ثن). الماجنر على الأقلِّ عدوٌ يستطيع أن يكرهه. امنحيني ستير.

بدأت أصابعه تتيبسُ وسالَ الدَّمُ من إبهامه، لكن چون ظلَّ يُبَيِّتُ ويسحب ويطلق. لفتَ لسان من اللهب انتباهه فدارَ ليرى باب القاعة العامة مشتعلاً، ومضت لحظات معدودة قبل أن تشبَّ النَّارُ في القاعة الخشبيَّة الكبيرة بالكامل. يعلم أن هوب ذا الثلاثة أصابع ومساعديه من (بلدة المناجذ) آمنون على قمَّة (الجدار)، لكن الحريق كان بمثابة لكمةٍ في بطنه على الرغم من هذا. صاحَ ديك الأصم بصوته الثَّقيل: «چون! مستودع السَّلاح!»، ورأهم چون على السَّطح، أحدهم يحمل مشعلاً. صعَدَ ديك إلى حافة الفجوة بين

الشَّرَافَيْنِ من أجل تسديد أفضل، ورفع نُشَابِيَّتِهِ إلى كتفه، وأطلق سَهْمًا طَنَّانًا على حامل المشعل، وأخطأه.  
لكن الرّامي في الأسفل لم يُخطئ.

لم يُصدِر فولارد صوتًا، وتهاوى إلى الأمام من فوق سور الشُّرفة ليقطع المئة قدم التي تفصله عن السّاحة في الأسفل، وسمعّ چون صوت ارتطامه بالأرض وهو يدور حول جُنْدِيٍّ من القشّ ليرى من أين جاء السَّهم، وعلى بُعد أقلّ من عشر أقدام من جَنَّةٍ ديك الأصمّ لمحّ تُرْسًا جلدِيًّا ومعطفًا مهترئًا وشعرًا أحمر غزيرًا. محظوظة، قبّلتها النَّار. رفع قوسه لكن أصابعه رفضت الانصياع لأمره، واختفت إيجريت بسرعة ظهورها، فدار على عقبه لاعتنا وأطلق سهمه على من فوق سطح مستودع السّلاح، وأخطأهم أيضًا.

عندئذ كانت الاسطبلات الشَّرقيّة قد اشتعلت بدورها، والدُّخان الأسود والتُّبن المحترق يتدفقان من المرابط، وحين انهار السّطح تأجج اللهب زائرًا بصوتٍ مدوّ كاد يطغى على أبواق الثّنين. كان خمسون منهم يدقون أرض (طريق الملوك) في طابورٍ محكمٍ وقد رفعوا التُّروس فوق الرُّؤوس، واندفع آخرون عبر حديقة الخضراوات والسّاحة المرصوفة بالبلاط وحول البئر القديمة الجافّة، واغتصب ثلاثة منهم باب مسكن المايستر إيمون الخشبي أسفل المغدفة، بينما اندلع قتال يائس على قمّة (البرج الصّامت) بين السُّيوف الطويلة والفؤوس البرونز، لكن لا شيء من هذا كان مهمًّا. لقد تجاوزتنا الرّقصة.

حجّل چون إلى ساتان وأمسك كتفه صائحًا: «تعال معي»، ومعًا انتقلا إلى الشُّرفة الشماليّة حيث يطلُّ (برج الملك) على البوّابة وسور دونالد نوي المؤقت المبني من الحطب والبراميل وأجولة الذرة. كان الثّنين أمامهم مباشرة، يرتدون خوذاتٍ قصيرةً وقمصانًا طويلةً من الجلد خيطت عليها أقراص رقيقة من البرونز، ويحمل كثيرون منهم فؤوسًا برونزيّة وبعضهم فؤوسًا من الحجر المشطبي، لكن أعدادًا أكبر كانت تحمل حِرَابًا قصيرةً برؤوس على شكل أوراق الشّجر تلتمع بالأحمر في ضوء الاسطبلات المضطّرة. صرخوا باللّغة القديمة وهم ينقضّون على المتراس ويطعنون بحراهم ويؤلّحون بفؤوسهم ويريقون الذرة والدّماء بغزارةٍ متساوية، فيما

انهمر عليهم وابل من سهام الأقواس والنشائبات من الرماة الذين وضعهم نوي على السلالم.

صاح ساتان: «ماذا نفعل؟».

أجابه چون صائحًا وفي يده سهم أسود: «نقتلهم».

ليس هناك رام يتمنى أهدافًا أسهل. كانت ظهور الثنئين لـ (برج الملك) وهم يُهاجمون الساتر الهلالي ويتسلقون الأجولة والبراميل ليبلغوا الإخوة السود. تصادف أن أصاب چون وساتان الهدف نفسه معًا، وكان الرجل قد وصل إلى قمة المتراس بالفعل حين انغرس سهم چون في عنقه وسهم ساتان بين كتفيه، وبعد أقل من لحظة اخترق سيف طويل بطنه فسقط فوق الرجل الذي وراءه. مدّ چون يده إلى جعبته فوجدها خلت من جديد، وكان ساتان يُعيد تدوير بكرة نشأبته، فتركه ليحضر مزيدًا من السهام. لم يكد يأخذ ثلاث خطوات حتى انفتح الباب الأفقي أمامه بثلاثة أقدام، فقال لنفسه: بحقّ الجحيم، لم أسمعهم يكسرون باب البرج.

لم يكن هناك وقت للتفكير أو التخطيط أو الصياح طلبًا للمساعدة. أسقط چون قوسه ومدّ يده وراء كتفه وانزع (المخلب الطويل) من غمده، ودفن النصل في منتصف أول رأس برز من داخل البرج، ولأن البرونز ليس نديًا للفولاذ الفاليري فقد شقت الضربة حوذة الثني وجمجمته في آن واحد، وسقط الرجل إلى حيث جاء. عرف چون من الصياح أن هناك المزيد منهم وراءه، فترجع ونادى ساتان، وأصيب الرجل التالي بسهم في وجنته قبل أن يختفي أيضًا. قال چون: «الزيت»، فأوماً ساتان برأسه، ومعًا التقط القفازات السميكة المبطنّة المتروكة إلى جوار النار، ثم رفعها مرجل الزيت المغلي وقلباه عبر الكوة فوق الثنئين في الأسفل. كان صريخهم أسوأ من أي شيء سمعه في حياته، وبدا ساتان كأنه على وشك أن يقيء. ركل چون الباب الأفقي مغلقًا إياه، ثم وضع الرجل الحديد الثقيل فوقه، وهزّ الصبي ذا الوجه المليح بقوة صائحًا: «قوى لاحقًا! تعال معي!».

كانا قد ابتعدا عن الشرفة لحظات معدودة، لكن حين رجعا كان كل شيء في الأسفل قد تغير. ما زال عدد من الإخوة السود والمناجذ فوق البراميل والصناديق، إلا أن الهمج يتدفقون على المتراس كله دافعين إياهم إلى

التَّهَقُّرُ. رأى أحدهم يُعَمِّدُ حُرْبَتَهُ فِي بطنِ رَاسِتهِ بِعُنْفٍ شَدِيدٍ حَتَّى إِنَّهُ رَفَعَهُ فِي الهَوَاءِ، وَرَأَى هُنَالِي الصَّغِيرَ مِيتًا وَهِنَالِي الكَبِيرَ يَمُوتُ مُحَاظًا بِالأَعْدَاءِ، وَإِيزِي يَدُورُ وَيَشُقُّ الهَوَاءَ بِسِيفِهِ ضَاحِكًا كَالْمَخَابِيلِ وَمَعطَفُهُ يُرْفَرِفُ وَرَآءَهُ وَهُوَ يَفْزُزُ مِنَ بَرْمِيلٍ إِلَى بَرْمِيلٍ، قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ فَأَسُ بَرُونزِيَّةٌ تَحْتَ رُكْبَتِهِ مَبَاشِرَةً لَيْسَتْ حَيَّةٌ ضَحَّكَه إِلَى صَرَاحٍ.

قال ساتان: «إنهم ينكسرون».

رَدَّ چون: «لا، بل انكسروا بالفعل».

حَدَثَ الأَمْرَ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ. فَرَّ خُلْدٌ ثُمَّ آخَرَ، وَفَجْأَةً رَاحَ القَرُوثِيُّونَ كُلُّهُمُ يُلْقَوْنَ أَسْلِحَتَهُمْ وَيَهْجُرُونَ المَتْرَاسَ، تَارِكِينَ عَدَدًا مِنَ الإخوةِ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَرُدَّعَ الثَّنِيِّينَ، وَشَاهَدَهُمُ چونُ يُحَاوِلُونَ التَّرَاجُعَ فِي خَطِّ مَنَظْمٍ، لَكِنِ الأَعْدَاءُ اكْتَسَحَوْهُمُ بِالحِرَابِ وَالفُؤُوسِ، فَلَاذُوا بِدُورِهِمُ بِالفَرَارِ. انزَلَتْ دِيلِي الدُورِنِي وَسَقَطَتْ فَأَعْمَدَ هَمَجِي حُرْبَتَهُ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، وَكَادَ كَجَزِ البَطِيءِ قَصِيرِ الأَنْفَاسِ يَبْلُغُ قَاعَةَ السَّلَالِمِ عِنْدَمَا قَبَضَ ثُنِي عَلَى طَرَفِ مَعطَفِهِ وَجَذَبَهُ مَدُورًا إِيَّاهُ... لَكِنِ سَهْمًا مِنْ نُشَابِيَّةِ أَسْقَطَ الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَهْوِي فَأَسَهُ، وَصَاحَ سَاتَانُ: «أُصِيبَتْ!»، بَيْنَمَا عَادَ كَجَزٌ إِلَى السَّلَالِمِ مَتَرْنَحًا وَبَدَأَ يَتَسَلَّقُ عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ.

ضَاعَتِ البُؤَابَةُ. كَانَ دُونَالُ نَوِي قَدْ أَغْلَقَهَا وَأَوْصَدَهَا بِالسَّلَاسِلِ، لَكِنِ هِيَ هُنَاكَ تَنْتَظِرُ مِنْ يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا، تَتَّقِدُ قَضبانَهَا الحَدِيدَ بِالأَحْمَرِ فِي ضِوَاءِ النَّارِ وَوَرَاءَهَا التَّنْفِقُ الأَسْوَدَ البَارِدِ. لَمْ يَنْسَحِبْ أَحَدٌ لِيُدَافِعَ عَنْهَا، وَالمَكَانُ الأَمِنُ الوَحِيدُ الآنَ هُوَ قَمَّةُ (الجِدَارِ) عَلَى ارْتِفَاعِ سَبْعِمِئَةِ قَدَمٍ مِنَ السَّلَالِمِ الخَشْبِ المَتَعَرِّجَةِ.

سَأَلَ چون سَاتَانُ: «لَأَيِّ آلِهَةٍ تُصَلِّي؟».

أَجَابَهُ صِبْيُ (البَلَدَةِ القَدِيمَةِ): «السَّبْعَةُ».

- «صَلِّ إِذْنًا، صَلِّ لِأَلِهَتِكَ الجَدِيدَةِ وَسَأُصَلِّي لِأَلِهَتِي القَدِيمَةِ».

وَهُنَا انقَلَبَ كُلُّ شَيْءٍ.

نَسِيَ چونُ أَنْ يُعَبِّئَ كَنَانَتَهُ بَعْدَ بَلْبَلَةِ البَابِ الأُفْقِيِّ، فَعَادَ يذُرُ السَّطْحَ وَمَلَأَهَا بِالسَّهَامِ وَالتَّقَطَّ قَوْسُهُ. لَمْ يَتَزَحَّجِ المَرَجَلُ حَيْثُ تَرَكَهَ، فَخَمَّنَ أَنَّهَا أَمَانٌ فِي الوَقْتِ الرَّاهِنِ، وَفَكَّرَ وَهُوَ يَعودُ حَاجِلًا: الرِّقْصَةُ تَجَاوَزَتْنَا وَنَحْنُ نَتَفَرِّجُ مِنَ الشَّرْفَةِ. كَانَ سَاتَانُ يُسَدِّدُ سَهَامَهُ إِلَى الهَمَجِ عَلَى السَّلَالِمِ ثُمَّ يَغْطِسُ

وراء شُرَافَةٍ يُعِيدُ تَلْقِيمَ النَّشَابِيَّةِ، فقال چون لنفسه: يُشْبِهَ الْفَتِيَاتِ، لَكِنَّهُ سَرِيعٌ. المعركة الحَقِيقِيَّةُ عَلَى السَّلَالِمِ. كَانَ نُوِي قَدْ وَضَعَ حَامِلِي الْحِرَابِ عَلَى أَدْنَى بَسَطَتَيْنِ، لَكِنْ هَرُوبَ الْقُرُوبِيِّينَ الْمُرْتَاعِينَ أَصَابَهُمْ بِالْفِرْعِ وَبِدَوْرِهِمْ فَرُّوا إِلَى أَعْلَى سَاعِينَ إِلَى الْبَسَطَةِ الثَّلَاثَةِ، لِيَقْتُلَ الثَّنِيونَ كُلَّ مَنْ يَتَخَلَّفُ. حَاوَلَ الرُّمَاءُ عَلَى الْبَسَطَاتِ الْأَعْلَى إِمطَارَ رُؤُوسِهِمْ بِالسَّهَامِ، وَثَبَتَ چُونُ سَهْمًا إِلَى وَتَرِ قَوْسِهِ وَسَحَبَهُ وَأَطْلَقَهُ، وَسُرَّ لِمَرَأَى أَحَدِ الْهَمْجِ يَقَعُ مِتْدَحْرَجًا عَلَى الدَّرَجَاتِ. كَانَتْ حَرَارَةُ النَّارِ تَجْعَلُ (الْجِدَارَ) يَقْطُرُ، وَتَرَاقَصَ اللَّهَبُ وَتَوَهَّجَ مَنَعَكْسًا عَلَى الْجَلِيدِ، وَاهْتَزَّتْ السَّلَالِمُ تَحْتَ خُطَى الْهَارِعِينَ إِلَى أَعْلَى نَجَاةٍ بِحَيَاتِهِمْ.

مِنْ جَدِيدٍ ثَبَّتَ چُونُ وَسَحَبَ وَأَطْلَقَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا هِ سَاتَانِ، بَيْنَمَا يَدْفُقُ سِتُونٌ أَوْ سَبْعُونَ مِنَ الثَّنِيينَ السَّلَالِمِ، يُعْمِلُونَ الْقَتْلَ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ وَقَدْ أَسْكَرَتْهُمْ نَشْوَةُ النَّصْرِ. عَلَى الْبَسَطَةِ الرَّابِعَةِ وَقَفَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْإِخْوَةِ الشُّودِ كَتْفًا إِلَى كَتْفِ وَفِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ الطَّوِيلَةُ، وَعَادَتِ الْمَعْرَكَةُ تَشْتَعَلُ... وَهَلَةٌ. كَانُوا ثَلَاثَةً لَا أَكْثَرَ، وَسَرَعَانَ مَا جَرَفَهُمْ مَدُّ الْهَمْجِ وَتَقَاظَرَتِ دِمَاؤُهُمْ عَلَى الدَّرَجَاتِ، فَتَذَكَّرَ چُونُ شَيْئًا قَالَهُ لَهُ اللَّوْرْدُ إِدَارِدُ ذَاتِ يَوْمٍ: «فِي الْمَعْرَكَةِ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي أَوْضَعٍ حَالَاتِهِ حِينَمَا يَفْرُ، فَالْهَارِبُ كَالْحَيَوَانَ الْجَرِيحِ بِالنَّسْبَةِ لِلْجُنْدِيِّ، يُثِيرُ فِيهِ شَهْوَةَ الدَّمِ». أَمَّا الرُّمَاءُ عَلَى الْبَسَطَةِ الْخَامِسَةِ فَفَرُّوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُمُ الْقِتَالُ حَتَّى.

كَانَ انْدَحَارًا، انْدَحَارًا أَحْمَرَ مَنكَرًا.

قَالَ لِسَاتَانِ: «أَحْضِرِ الْمَشَاعِلَ». كَانَتْ الْمَشَاعِلُ الْأَرْبَعَةُ مَرْصُوصَةً إِلَى جَوَارِ النَّارِ بِرُؤُوسِ مَلْفُوفَةٍ بِالْخِرْقِ الْمَنْقُوعَةِ فِي الزَّيْتِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى دَسْتَةِ مِّنَ السَّهَامِ النَّارِيَّةِ. دَسَّ صَبِيٌّ (الْبَلَدَةُ الْقَدِيمَةُ) مَشْعَلًا فِي النَّارِ إِلَى أَنْ اتَّقَدَ وَتَأَجَّجَ، وَرَجَعَ بِالْبَقِيَّةِ تَحْتَ إِبْطِهِ دُونَ أَنْ يُشْعِلَهَا وَقَدْ عَادَ الْخَوْفُ يَلُوحُ عَلَيْهِ... وَهَذَا حَقُّهُ، إِذْ إِنَّ چُونُ خَائِفٌ أَيْضًا.

وَعِنْدَهَا رَأَى سَتِيرَ. كَانَ الْمَاجِنَرُ يَتَسَلَّقُ الْمَتْرَاسَ، بِخَطْوِ فَوْقَ أَجْوَلَةِ الذَّرَّةِ الْمَمْرَقَةِ وَالْبِرَامِيلِ الْمَهْشَمَةِ وَجُثِّ الْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَتَلْتَمَعُ دِرْعَهُ الْبِرُونِزِيَّةَ بِلُونٍ قَاتِمٍ فِي ضَوْءِ النَّارِ. خَلَعَ سَتِيرُ خَوْذَتَهُ لِتَشْرَبَ عَيْنَاهُ مَشْهَدَ



انتصاره، وعلى شفتي ابن العاهرة الأصلع عديم الأذنين تراقصت ابتسامة. في يده كانت حربة من خشب الويروود ذات رأس برونزي منمق، ولمّا رأى البوابة أشار إليها بالحربة وزعق بأمر ما باللغة القديمة للشّيين المحيطين به. فكّر چون: تأخّرت كثيراً. كان عليك أن تقود رجالك فوق المتراس، فلربما تمكنت من إنقاذ بعضهم.

في الأعلى دوّى نفيّر الحرب واطنّاً طويلاً، ليس من على قمّة (الجدار) وإنما من البسطة التاسعة على ارتفاع مئتي قدمٍ أو نحوها، حيث يقف دونال نوي.

تبتّ چون سهماً نارياً إلى وتر قوسه وأوفده ساتان بالمشعل، ثم إنه تقدّم إلى حاجز الشّرفة وسحبّه وسدّده وأطلقه، وسرت شرائط من اللهب في أثره وهو ينطلق إلى أسفل وينغرس في هدفه مطلقاً.

لم يكن الهدف ستير ولم يكن السّلالم، بالأحرى البراميل والأجولة التي كوّمها نوي تحت السّلالم فارتفعت حتى البسطة الأولى، براميل الشّحم وزيت المصاييح وأجولة أوراق الشّجر والخرق المشرّبة بالزّيّ والحطب واللحاء ونشارة الخشب. قال چون: «ثانية»، ثم «ثانية»، ثم «ثانية»، على حين راح رُماة آخرون يُطلقون سهامهم أيضاً من كل قمّة بُرج تقع قاعدة السّلالم في مرماها، يُرسل بعضهم سهامه في أقواسٍ عالية لتسقط أمام (الجدار)، وحين نفذت السّهام النّاريّة من چون بدأ يُوقد المشاعل مع ساتان، ثم قذفها من بين الشّرفات.

في الأعلى كانت زهرة حريقٍ آخرٍ تتفتح، وقد تشرّبت الدّرجات الخشبيّة القديمة الزّيّ الذي أغرقها دونال نوي به من البسطة التاسعة حتى السابعة. الآن ليست بيد چون حيلة إلا أن يأمل أن يكون أغلب قومهم قد صعّدوا إلى الأمان قبل أن يُلقى نوي المشاعل. على الأقل كان الإخوة السّود يعلمون بهذه الخطة، أمّا أهل القرية فلا.

قامت الرّيح والنّار بالباقي، وما بإمكان چون إلا أن يُشاهد. لهب من أعلى ولهب من أسفل، ولا مكان يفرُّ إليه الهمج. بعضهم واصل الطريق إلى أعلى ومات، وبعضهم تقهقر إلى أسفل ومات، وبعضهم ظلّ في مكانه

وماتَ أيضًا، وبعضهم وثبَّ من فوق السَّلالِم قبل أن يحترق وأمانته السَّقطة. كان زُهاء عشرين من الثَّنين قد تلمَّموا معًا بين الحريقين حين تشقَّق الجليد من جرَّاء الحرارة وانفصلَ الثُّلث الأدنى من الدَّرجات بالكامل، ومعه أطنان وأطنان من الجليد، وكانت هذه آخر مرَّة رأى فيها چون ستير ماجنر (ثن). (الجدار) يُدافع عن نفسه.

طلبَ من ساتان أن يُساعده على التَّزول إلى السَّاحة، فالألَم في ساقه الجريحة بليغ لدرجة أنه يستطيع المشي بالكاد، وهو متَّكى على العُكَّاز. قال له: «اجلب المشعل. يجب أن أبحث عن أحد». أغلب من كانوا على السَّلالِم ثَّنيون، ولا بُدُّ أن بعض الأحرار قد فرُّوا، قوم مانس لا ستير، وربما تكون إحداهم. هكذا نزلا مارَّين بجُثث من حاولوا الدُّخول من الباب الأفقي، وتحركَ چون في الظَّلام وعُكَّازه تحت ذراعه وقد وضع الأخرى حول كتف الصَّبي الذي كان عاهراً في (البلدة القديمة).

لم يتبقَّ من الاسطبلات والقاعة العامَّة إلاَّ جذوات داخنة، وإن ظَلَّت النَّار مشتعلةً عند (الجدار) متسلِّقة السَّلالِم درجةً درجةً وبسطةً بسطةً، وبين الفينة والفينة سمعا قعقةً وصوت انشطار مدوّ طويلاً، ثم تنفصل كُتلة أخرى من (الجدار) وتهوي ليمتلئ الهواء بالرَّماد وبلورات الجليد.

وجدَ كورت ميتاً وذا الإبهام الحجري يُحتَضِر، ووجدَ ثَّنين موتى ومحتضرين لم يعرفهم حقًّا، ووجدَ بثرة الكبير واهناً بسبب كلِّ ما نزفه من دماء وإنما لا يزال حيًّا.

ووجدَ إيجريت منطرحهً على رُقعةٍ من الثَّلج القديم أسفل (بُرج القائد) وبين ثديها سهم، وقد استقرَّت بلورات الجليد على وجهها، فبدت في نور القمر كأنها ترتدي قناعاً فضيًّا برَّاقاً.

رأى أن السَّهم أسود، لكن ريشته ريشة بطَّة بيضاء، فقال لنفسه: ليس سهمي، ليس واحداً ممارميت، لكنه شعرَ كأنه سهمه.

انفتحتَ عينها حين جثا في الثَّلج إلى جوارها، وبمنتهى الخفوت قالت: «چون سنو»، فحزَرَ أن السَّهم أصابَ إحدى رثيها. «أهذه قلعة حقيقيَّة وليست مجرد بُرج؟».

التقطَ يدها مِجِيبًا: «أجل».

همست: «جميل. أردتُ أن أرى قلعةً حقيقيَّةً قبل... قبل أن...».

قال: «سترين مئة قلعة. المعركة انتهت وسيعتني بك المايستر إيمون»،  
ومسَّ شعرها مردفًا: «لقد قبّلتك النَّار، أتذكُرِين؟ إنك محظوظة، وقتلك  
يتطلب أكثر من مجرد سهم. سيسحبه إيمون ويضمّد الجرح، وسنسقيك  
حليب الخشخاش من أجل الألم».

ابتسمت لقوله، وقالت: «هل تذكُر الكهف؟ كان علينا أن نبقي في ذلك  
الكهف. قلتُ لك أن نبقي».

- «سنعود إلى الكهف. لن تموتي يا إيجريت، لن تموتي».

وضعت إيجريت يدها على وجنته مغممةً: «أوه، لست تعلم شيئًا يا چون  
سنو»، وتنهدت وماتت.



## بران

قالت ميرا ريد وهي تتطلع إلى وحشة الأتقاض والخرائب والحشائش:  
«مجرد قلعة مهجورة أخرى».

فكر بران: لا، إنها (قلعة الليل)، وهذه حافة العالم. لمّا كانوا في الجبال لم يستطع إلا التفكير في بلوغ (الجدار) والعثور على الغراب ذي الأعين الثلاث، والآن وقد وصلوا أخيراً فالمخاوف تُفعم نفسه. الحلم الذي رآه... الحلم الذي رآه سمر بالأحرى... كلا، يجب ألا أفكر في هذا الحلم. لم يُخبر الأخوين ريد، وإن بدا أن ميرا على الأقل تستشعر أن شيئاً ما ليس على ما يُرام. إذا لم يتكلم عنه أبداً فلعلة ينسى أنه رآه، وعندئذ لن يكون ما حدث قد حدث، ويبقى روب وجراي ويند...

- «هودور»، قال هودور ناقلاً وزنه من ساق إلى ساق ومحركاً بران وقد بدا أنه متعب، فجميعهم يسيرون منذ ساعات. لكنه ليس خائفاً على الأقل. أمّا بران فيشعر بخوف بالغ من هذا المكان، وبخوف يكاد يُعادلُه من أن يعترف بهذا لهم. إنني أمير الشمال، ستارك ابن (ويترفل)، أو شك على أن أكون رجلاً بالغاً، ويجب أن أكون شجاعاً مثل روب.

رفع إليه چوچن عينيه الخضراوين الداكنتين قائلاً: «لا يوجد ما يؤذينا هنا يا سمو الأمير».

على أن بران ليس متأكداً من ذلك، إذ احتلت (قلعة الليل) مكانة بارزة في عدد من أكثر قصص العجوز نان مدعاة للخوف. هنا حكم ملك الليل قبل أن يمحي اسمه من ذاكرة البشر، وهنا قدم الطاهي الجرد فطيرة لحم الأمير واللحم المقدد للملك الأندالي، وحيث يقف التسعة وسبعون حارساً

في مواقعهم، وحيث اغتصبت الشابة الشجاعة داني فلينت وقُتلت. هذه هي القلعة التي أنزل منها الملك شيريت لعنته على الأنداليين القدامى، وحيث واجه التلامذة الشيء الذي أتى ليلاً، وحيث رأى الأعمى سيمون ذو العينين التجمتين كلاب الجحيم تقتتل. هذه هي الأفنية التي قطعها أكس المجنون ذات يوم، والأبراج التي تسلفها ليذبح إخوته في الظلام.

كل هذا حدث قبل مئات وآلاف السنين بالطبع، وبعضه لم يحدث إطلاقاً، فلطالما قال المايستر لوين إنه لا ينبغي تصديق قصص العجوز نان برمتها، لكن في مرة جاء عمه لزيارة أبيه، وسأله بران عن (قلعة الليل)، فلم يقل بنجن ستارك إن الحكايات حقيقية، وإن لم يقل إنها غير حقيقية كذلك، بل اكتفى بهز كتفيه قائلاً: «لقد تركنا (قلعة الليل) منذ مئتي عام»، كأن هذه إجابة.

أرغم بران نفسه على النظر حوله. الصباح بارد ولكن ساطع، والشمس مشرقة من السماء الزرقاء القاسية، غير أن ما لا يروقه هو الأصوات، فالريح تُصدِرُ صفيراً مضطرباً وهي ترتجف متخللة الأبراج المتهدمة، والحصون تصرُّ بينما تغوص في الأرض بتؤدة متناهية، كما أنه سمع الجرذان تُخرِش تحت أرضية القاعة الكبرى. أطفال الطاهي الجرذ يفرّون من أيهم. الساحات غابات صغيرة تحتك الفروع الجرداء على شجرها السابغ ببعضها بعضاً، بينما يذرو الهواء الأوراق على رقع الثلج القديمة فتبدو كصراير تجري، وحيث كانت الاسطبلات تنمو الآن أشجار، وتخرق شجرة ويروود بيضاء ملتوية الفتحة الكبيرة في سقف المطبخ المقبب.

حتى سمر لا يبدو مستريحاً هنا، وقد تلبّسه بران لحظة ليتشمم رائحة المكان، فلم تُعجبه أيضاً. ولا يوجد طريق للمرور.

قال لهم بران إنهم لن يجدوا طريقاً، قالها مراراً وتكراراً، لكن چوچن ريد أصرّ أن يرى بنفسه، وقال إنه رأى حُلماً أخضر، والأحلام الخضراء لا تكذب أبداً. لكنها لا تفتح البوابات كذلك.

البوابة التي تحرّسها (قلعة الليل) مسدودة منذ حمل الإخوة السود حاجياتهم على ظهور البغال والخيول ورحلوا إلى (البحيرة العميقة)، بعد أن أنزلوا الشبكة الحديدية وخلعوا السلاسل التي كانت ترفعها وملأوا النفق

برُكَّام الحجارة الذي تجمَّد عن آخره وأصبح غير قابل للاختراق كـ(الجدار) ذاته. حين رآها بران قال: «كان علينا أن نتبع چون». كثيرًا ما يجول أخوه النُّغْل بخاطره منذ اللَّيلة التي رآه فيها سَمِر يهرب في أثناء العاصفة. «كان علينا أن نَعُثُر على (طريق الملوك) ونذهب إلى (القلعة السَّوداء)».

قال چوچن: «لسنا نجرؤ أيها الأمير. أخبرتك بالسَّبب».

- «لكن هناك همجًا. لقد قتلوا رجلًا ما وأرادوا أن يفتلوا چون أيضًا. كان هناك مئة منهم يا چوچن».

- «ذكرت هذا من قبل. نحن أربعة فقط. لقد ساعدت أخاك، إن كان هو حقًا، لكنك كدت تفقد سَمِر».

قال بران ببؤس: «أعرف». الذُّبب الرَّهيب قتل ثلاثة منهم، وربما أكثر، لكنهم كانوا كثيرين للغاية، وعندما كَوَّنوا حلقةً مُحَكَّمةً حول الرَّجُل الطَّويل عديم الأذنين حاول أن يفلت منهم في المطر، إلا أن واحدًا من سهامهم انطلق بارقًا في أعقابه، وطرَدت طعنة الألم المفاجئة بران من جِلْدَة الذُّبب وأعادته إلى جلدته. بعد أن همدت العاصفة تملَّموا في الظلمة بلا نار، وإذا تكلموا فقد تكلموا همسًا، وأصغوا إلى أنفاس هودور الثَّقيلة متسائلين إن كان الهَمَج سيحاولون عبور البحيرة في الصَّبَاح. حاول بران أن يمدَّ نفسه إلى سَمِر عدَّة مرَّات، لكن في كلِّ مرَّة صدَّه الألم، كما تُجبرِك قَدِر شديدة السُّخونة على سحب يديك حتى وأنت تُريد أن تُمسِكها. وحده هودور نام ليلتها متمنِّمًا: «هودور، هودور» وهو يتقلَّب ويتلوَّى في منامه، بينما ظلَّ بران مرتعبًا من فكرة أن سَمِر يموت بعيدًا في مكان ما في الظلام، وصلى: أتوسَّلُ إليك أيتها الآلهة القديمة، لقد أخذت (وينترفل) وأبي وساقِي، فأرجوك ألا تأخذي سَمِر، واحمي چون سنو أيضًا، واجعلي الهَمَج ير حلون.

لا تنمو أشجار الويرود على تلك الجزيرة الحجرية في منتصف البحيرة، لكن لا بُدَّ أن صلَّاته بلغت الآلهة القديمة بوسيلة ما. استغرق الهَمَج وقتًا طويلًا قبل أن يُغادر في الصَّبَاح التَّالي، فجرَّدوا جُثث موتاهم والرَّجُل الذي قتلوه من مقتنياتهما، وصادوا بضع أسماك من البحيرة، كما مرَّت وهلة مخيفة عندما اكتشف ثلاثة منهم المعبر وبدأوا يمشون عليه... لكن الطريق دارَ ولم يدوروا، وكادَ اثنان منهم يموتا غرقًا لولا أن أغاثهما الآخرون. زعقَ

الرَّجُلِ الْأَصْلَحِ فِيهِمْ لِتَتَرَدَّدَ أَصْدَاءُ كَلِمَاتِهِ عِبْرَ الْمَاءِ بُلْغَةً مَا يَجْهَلُهَا چوچن نفسه، وبعْدَ فِترَةٍ قَصِيْرَةٍ جَمَعُوا تَرَوْسَهُمْ وَحِرَابَهُمْ وَشَرَعُوا فِي الزَّحْفِ نَحْوِ الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ، الِاتِّجَاهِ نَفْسَهُ الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ چون. أَرَادَ بَرَانُ أَنْ يَرِحَلَ أَيْضًا لِيَحِثَّ عَنِ سَمَرٍ، لَكِنِ الْأَخْوِيْنَ رِيْدَ رَفْضًا، وَقَالَ چوچن: «سَبَقِي لَيْلَةً أُخْرَى كِي تَفْصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْهَمَجِ بَضْعَةَ فِرَاسِخٍ. لَسْتُ تُرِيْدُ أَنْ تَلْقَاهُمْ ثَانِيَةً، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

فِي أَوَاخِرِ أَصِيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجَعَ سَمَرٌ جَارًا قَائِمَتَهُ الْخَلْفِيَّةَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي اخْتَبَأَ فِيهِ أَيًّا كَانَ، وَالتَّهَمَ أَجْزَاءَ مِنَ الْجُبْثِ فِي الْخَانَ طَارِدًا غِرْبَانَ الْجِيْفِ، ثُمَّ سَبَحَ إِلَى الْجَزِيْرَةِ، حَيْثُ سَحَبَتْ مِيْرَا السَّهْمَ الْمَكْسُورَ مِنْ سِاقِهِ وَفَرَكْتَ الْجِرْحَ بَعْصَارَةَ نَبَاتَاتٍ وَجَدَّتْهَا نَامِيَةً حَوْلَ قَاعِدَةِ الْبُرْجِ. مَا زَالَ الذُّئْبُ الرَّهِيْبُ يَعْرُجُ، لَكِنِ أَقْلٌ فَأَقْلُ كُلِّ يَوْمٍ كَمَا يَرَى بَرَانٌ. لَقَدْ سَمِعْتَهُ الْآلِهَةَ.

قَالَتْ مِيْرَا لِأَخِيْهَا: «رَبْمَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُجَرِّبَ قَلْعَةً أُخْرَى، رَبْمَا يُمَكِّنُنَا الدُّخُولَ مِنَ الْبَوَابَةِ فِي مَكَانٍ آخَرَ. سَأَذْهَبُ وَأَسْتَكْشِفُ إِذَا أَرَدْتُ، وَسَأَتَحَرَّكُ أُسْرَعُ بِمَفْرَدِي».

هَزَّ بَرَانُ رَأْسَهُ قَائِلًا: «إِذَا ذَهَبْتَ شَرْقًا سَتَجِدِينَ (الْبَحِيْرَةَ الْعَمِيْقَةَ) ثُمَّ (بَوَابَةَ الْمَلِكَةِ)، وَغَرْبًا تَقَعُ (بَابَ الْجَلِيْدِ)، وَلَنْ تَخْتَلِفَ أَيُّهَا عَنْ هُنَا إِلَّا فِي الْحَجْمِ. الْبَوَابَاتُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ بِاسْتِثْنَاءِ تِلْكَ الَّتِي فِي (الْقَلْعَةِ السُّودَاءِ) وَ(الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ) وَ(بُرْجِ الظَّلَالِ)».

قَالَ هُوْدُورٌ: «هُوْدُورٌ»، وَتَبَادَلَ الْأَخْوَانُ رِيْدَ نَظْرَةٍ، ثُمَّ حَزَمَتْ مِيْرَا أَمْرَهَا وَأَعْلَنْتْ: «عَلِيٌّ أَنْ أَسْلُقَ إِلَى قِمَّةِ (الْجِدَارِ) عَلَى الْأَقْلِ، فَرَبْمَا أَرَى شَيْئًا هُنَاكَ».

سَأَلَهَا چوچن: «وَمَا الَّذِي تَأْمَلِينَ رُؤْيِيْتَهُ؟».

رَدَّتْ مِيْرَا بِنْبِرَةً مَتَعْنَتَةً هَذِهِ الْمَرَّةَ: «شَيْئًا مَا!».

الْمَفْتَرِضُ أَنْ أَفْعَلَهَا أَنَا. رَفَعَ بَرَانُ رَأْسَهُ يَتَطَّلَعُ إِلَى (الْجِدَارِ) وَتَخَيَّلَ نَفْسَهُ يَتَسَلَّقُهُ بَوْصَةً بَوْصَةً، يَدْسُ يَدِيْهِ فِي صَدْوَعِ الْجَلِيْدِ وَيَرْكُلُهُ صَانِعًا مَوَاطِيءَ لِقَدَمِيْهِ، وَجَعَلَهُ هَذَا يَبْتَسِمُ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، الْأَحْلَامُ وَالْهَمَجُ وَچون وَكُلُّ مَا سِوَاهُمْ. لَقَدْ اعْتَادَ تَسْلُقَ جُدْرَانَ وَأَسْوَارَ (وَيَنْتَرِفِلُ) فِي طُفُولَتِهِ، وَالْأَبْرَاجَ كَأَفَّةٍ أَيْضًا، لَكِنِ لَيْسَ مِنْهَا مَا هُوَ بِهَذَا الْاِرْتِفَاعِ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ

الحجر فحسب. أحياناً يبدو (الجدار) كأنه من الحجر عندما يكون رمادياً محفراً، ثم تنشق السُحب وتنزل عليه أشعة الشمس بزوايا مختلفة، فيتبدل في الحال ويشمخ متألقاً بالأبيض والأزرق. لطالما قالت العجوز نان إنه حافة العالم، وعلى الجانب الآخر تقبع الوحوش والعمالق والغيلان، وإن كانت لا تستطيع المرور ما دام (الجدار) يرتفع قوياً. أريدُ أن أقف على القمة مع ميرا، أريدُ أن أقف على القمة وأرى.

لكنه صبيٌّ مكسور بساقين عديمتي الفائدة، وليس بإمكانه إلا أن يُشاهد من أسفل فيما تتسلق ميرا بدلاً منه.

لم تكن تتسلق حقاً مثلما تعود أن يفعل، بل تصعد السلالم التي نحتها حرس الليل منذ مئات وآلاف الأعوام. تذكر أن المايستر لوين قال إن (قلعة الليل) معقل الحرس الوحيد الذي سُكّلت سلالمه من جليد (الجدار) نفسه، أو ربما قال عمه بنجن هذا. أمّا القلاع الأحدث فسالماها من الخشب أو الحجارة، أو لها منحدرات طويلة من التربة والحصى. الجليد مراوغ للغاية. عمه هو من أخبره بهذا، وقال إن سطح (الجدار) يذرف دموعاً جليديةً أحياناً، لكن قلبه مجمد صلد كالصخر. لا شك أن الدرجات ذابت، وتجمدت من جديد ألف مرة منذ غادر الإخوة السود القلعة، وكلما حدث هذا تقلصت بعض الشبيء، وصارت أكثر إملاساً واستدارةً وخداعاً.

كما أنها أصغر أيضاً. كأن (الجدار) يتلعها داخل نفسه. ميرا ريد واثقة الخُطى للغاية، ومع ذلك تقدّمت بتأنٍ وهي تتقل من نتوء إلى نتوء، وفي بُقعتين حيث كاد الجليد يخنفي تماماً اضطرت للّصعود على أربع، وفكر بران وهو يُشاهدها: سيكون التّزول أسوأ، وعلى الرغم من هذا تمّنى لو أنه في مكانها بالأعلى. ثم إنها بلغت القمة زاحفةً على البروزات الجليدية التي تبقت من الدرجات العُلوية وتوارت عن ناظره.

سأل بران چوچن: «متى ستنزل؟».

- «عندما تكون مستعدةً. سترید أن تُلقي نظرةً شاملةً على (الجدار) وما

يقع وراءه. علينا أن نعمل المثل هنا».

تساءل هودور بارتياپ: «هودور؟».

قال چوچن بإصرار: «قد نجد شيئاً ما».



فَكَرَّ بران: أو وجدنا شيء ما، لكنه لم يُبَحِّ بأفكاره، إذ لا يُريد أن يظنَّه  
چوچن جبانا.

هكذا ذهبوا للاستكشاف، چوچن ريد في المقدِّمة وبران في سلَّته على  
ظَّهر هودور وسَمَّر إلى جوارهما. في مرَّةٍ اندفعَ الذُّبب الرَّهيب عبر باب مظلم  
وعادَ بعدَ لحظةٍ بجُرذٍ رمادي بين أسنانه، فقال بران لنفسه: الطاهي الجُرذ،  
لكن لونه كان مختلفًا وحجمه لا يتجاوز حجم القط، على حين أن الطاهي  
الجُرذ أبيض، ويكاد يُناهز الخنزير حجمًا...

في (قلعة الليل) أبواب كثيرة، وجرذان كثيرة سمعها بران تجري في  
السَّراديب والأقبية ومتاهة الأنفاق دامسة الظلام التي تربط بينها. أرادَ چوچن  
أن يستكشف هناك، لكن هودور ردَّ قائلًا: «هودور!»، وقال بران: «لا». في  
الظلمات تحت (قلعة الليل) ثمة أشياء أسوأ من الجرذان.

- «يبدو المكان قديمًا»، قال چوچن وهم يقطعون شُرْفَةً يسقط عليها نور  
الشَّمس في خيوطٍ مغبَّرة عبر النَّوافذ الخالية.

أجابَ بران متذكِّرًا: «أقدم مرَّتين من (القلعة السوداء). كانت هذه أولى  
قلاع (الجدار) وأكبرها». لكنها كانت أولى القلاع المهجورة أيضًا، قديمًا في  
زمن الملك العجوز، وحتى آنذاك كانت ثلاثة أرباع خالية وتكاليف صيانتها  
باهظة للغاية، فاقترحت الملكة الكريمة أليسین أن يستبدلها الحرس بقلعةٍ  
أصغر وأحدث على بُعد سبعة أميال فقط إلى الشُّرق، حيث ينعطف (الجدار)  
بطول شاطئ بحيرةٍ خضراء جميلة، وسدَّدت الملكة تكلفة (البحيرة العميقة)  
من جواهرها، وشيَّدتها الرِّجال الذين أرسلهم الملك العجوز، فتخلَّى الإخوة  
السُّود عن (قلعة الليل) للجرذان.

كان ذلك منذ قرنين كاملين، والآن ترتفع (البحيرة العميقة) خاوية كالقلعة  
التي حلَّت محلَّها، أمَّا (قلعة الليل)...

كان هودور قد سمعَ الحكايات كلَّها من قبل، على العكس من چوچن،  
فقال بران: «ثمة أشباح هنا، أشباح قديمة من قبل زمن الملك العجوز وقبل  
إجون التَّنين حتى، أشباح تسعة وسبعين متهرَّبًا رحلوا جنوبًا ليكونوا خارجين  
عن القانون. كان أحدهم ابن اللورد ريزويل الأصغر، فلمَّا بلغوا أراضي  
الرَّوابي لجأوا إلى قلعته، لكن اللورد ريزويل قبضَ عليهم وأعادهم إلى

(قلعة الليل)، وأمرَ حضرة القائد بحفر تسع وسبعين حُفْرَةً في قَمَّة (الجِدَار)، ووضعَ المتَهَرِّبين فيها وسَدَّ المَخْرَجَ عَلَيْهِم بِالْجَلِيدِ وَهُمْ أَحْيَاء. إنَّ مَعَهُم حِرَابًا وَأَبْوَابًا وَيُوجِهُ جَمِيعَهُم الشَّمَال. اسْمُهُم التَّسْعَةُ وَسَبْعُونَ حَارِسًا، وَقَدْ هَجَرُوا مَوَاقِعَهُمْ وَهُمْ أَحْيَاء، وَلِذَا تَسْتَمِرُّ حِرَاسَتُهُمْ إِلَى الْأَبَدِ وَهُمْ مَوْتَى. بَعْدَ سِنَوَاتٍ، حِينَمَا شَآخَ اللُّورْدُ رِيزَوِيلَ وَأَدْرَكَ أَنَّ سَاعَتَهُ تَدْنُو، أَمَرَ رَجَالَهُ بِحَمْلِهِ إِلَى (قَلْعَةِ اللَّيْلِ)، وَارْتَدَى أَسْوَدَ الْحَرَسِ لِيَقِفَ إِلَى جِوَارِ ابْنِهِ. لَقَدْ أَعَادَهُ إِلَى (الجِدَارِ) بِدَافِعِ الشَّرْفِ، لَكِنَّهُ ظَلَّ يَحِبُّهُ، فَآتَى لِيُشَارِكَةَ الحِرَاسَةَ».

أَمْضُوا نِصْفَ النَّهَارِ يَسْتَكْشِفُونَ القَلْعَةَ. بَعْضُ الأَبْرَاجِ كَانَ قَدْ تَهَاوَى مِنْذُ زَمَنِ وَالبَعْضُ الأَخْرَ يَبْدُو غَيْرَ مَأْمُونٍ، لَكِنَّهُمْ تَسَلَّقُوا بُرْجَ الجِرْسِ -الَّذِي غَابَ مِنْهُ الجِرْسُ- وَالمِغْدَفَةَ -الَّتِي غَابَتْ مِنْهَا الطَّيُورُ- وَتَحْتَ المَخْمَرَةَ وَجَدُوا قَبْوًا مَلِيئًا بِالبِرَامِيلِ البَلُوطِ الضَّخْمَةِ الَّتِي أُصْدِرَتْ صَوْتًا مَدْوِيًّا يَدُلُّ عَلَى فِرْوَعِهَا عِنْدَمَا دَقَّ عَلَيْهَا هُودُورٌ، وَوَجَدُوا مَكْتَبَةً انْهَارَتْ رَفُوفُهَا وَسَلَالُهَا وَرُفِعَتْ مِنْهَا الكُتُبُ وَتَكَاثَرَتْ فِيهَا الجِرْدَانُ، وَزِنَانَةٌ رَطْبَةٌ مَعْتَمَةٌ تَتَسَعُّ لخمسة سجين، لكن حين أمسك بران أحد القضبان الصّديئة تفتت في يده. حائط واحد متداع تبقي من القاعة الكبرى، وبدا أن الحمّام يغوص في الأرض، وغزت أجمة سائكة ضخمة ساحة التّدريب خارج مستودع السّلاح، حيث كان الإخوة الشّود يكدحون ذات يوم بالحربة والثّرس والسيف، بينما لا يزال المستودع وورشة الحدادة قائمين، وإن حلت شباك العناكب والجردان والأتربة محلّ النّصال والكيران والسّنادين. أحيانًا يسمع سمر أصواتًا صمّت أذن بران نفسها عنها، أو يُكشّر عن أنيابه للفراغ وقد انتصب الفروع على مؤخرة عنقه... لكن الطّاهي الجرد لم يظهر إطلاقًا، ولا ظهر التسعة وسبعون حارسًا أو أكس المعجون، وهو ما بثّ في بران راحةً شديدة. ربما تكون مجرد قلعة مهجورة خربة حقًا.

عِنْدَمَا عَادَتْ مِيرَا كَانَتْ الشَّمْسُ تَكَادُ تَلْتَصِقُ بِالتَّلَالِ الغَرِيبَةِ، وَسَأَلَ چوچن أخته: «مَاذَا رَأَيْتَ؟».

أَجَابَتْ بِوَجُوهٍ: «رَأَيْتُ (الغابة المسكونة) وتلال البراري ترتفع على مدى البصر مغطاةً بأشجار لم تمسّها بلطة قط، ورأيتُ ضوء الشّمس يلتصق على سطح بحيرة والسحاب يتحرّك من الغرب، ورأيتُ رُقعًا من الثّلج القديم

وكتل جليد طويلة كالرَّماح، كما رأيتُ نسرًا يدور في السَّماء، وأعتقدُ أنه رأني أيضًا لَمَّا لَوَّحْتُ له».

- «هل رأيتَ طريقًا إلى أسفل؟».

هَزَّتْ رأسها نفيًا مجيبةً: «لا. إنها هَوَّة عموديَّة، والجليد أملس للغاية... ربما أستطيعُ الهبوط إذا كان معي حبل جيِّد وبِلطة لعمل الدِّعامات، ولكن...».

أتمَّ أخوها عبارتها: «... ولكن لا نستطيع نحن».

- «بالضَّبْط. أنت واثق بأن هذا هو المكان الذي رأيتَه في حُلْمك؟ ربما أخطأنا القلعة».

- «لا. هذه هي القلعة المطلوبة. ثَمَّة بَوَّابة هنا».

رَدَّ عليه بران في سريرته: نعم، لكنها مصممة بالحجارة والجليد.

مع ميل الشَّمس إلى المغيب استطلَّت ظلال الأبراج، واشتدَّت الرِّيح عاصفةً بأوراق الشَّجر الميتة الجافَّة عبر السَّاحات، وإذ توعدَّ الظَّلام بفرض سُلْطانه عنت لبران واحدة أخرى من حكايات العجوز نان، حكاية ملك اللَّيل. قالت إنه ثالث عشر رجل يقود حرس اللَّيل، وكان مُحارِبًا لا يعرف قلبه الخوف، وكانت تُضيف كلما قصَّت عليهم حكايته: «وكان هذا عيبه، فعلى البَشَر جميعًا أن يعرفوا الخوف». كانت امرأة السَّبب في سقوطه، امرأة لمَحَّها من على قَمَّة (الجدار)، بشرتها بيضاء كالقمر وعيناها كنجمتين زرقاوين، ولأنه لم يكن يخشى شيئًا فقد طاردها وقبضَ عليها وأحَبَّها، مع أن ملمسها كان ببرودة الجليد، وحين أعطها نُطفته سلَّمها روحه أيضًا، ثم إنه أخذها معه إلى (قلعة اللَّيل) وأعلنها ملكةً وأعلنَ نفسه ملكًا، وبشعوذةٍ مجهولة ربطَ إخوته في الحراسة بإرادته. طيلة ثلاثة عشر عامًا حكما معًا، ملك اللَّيل وملكته الجبَّنة، إلى أن تحالفَ اللورد ستارك سيِّد (وينترفل) وچورامون ملك الهَمِج أخيرًا لتحرير الحرس من عبوديَّته، وبعْد سقوطه، لَمَّا اكتشِفَ أنه كان يُقدِّم القرابين لـ(الآخرين)، دُمِّرَ كلُّ ما كُتِبَ عن ملك اللَّيل من سجَّلات وحرِّمَ مجرد ذكر اسمه. دائمًا كانت العجوز نان تختتم الحكاية قائلةً: «يقول البعض إنه كان من آل بولتون، والبعض إنه كان ماجنر من (سكاجوس)، أو أومبر أو فلينت أو نوروي، والبعض يُؤكِّد أنه كان من آل وودفوت الذين حكموا (جزيرة

الدَّبَّية) قبل مجيء الحديديين، لكنه لم يكن أيًا من هؤلاء، بل كان ستارك، أخوا الرجل الذي أطاح به». ولا ينسى بران أبدًا كيف كانت تَقْرُصُ أنفه دومًا وتُضَيِّفُ: «كان ستارك من (ويتترفل)، ومن يدري؟ ربما كان اسمه براندون، وربما كان ينام في هذا الفراش بالذات في هذه العُرفة بالذات».

لا، لكنه كان يمشي في هذه القلعة التي سننام فيها الليلة. لا تُعْجِبُ الفكرة بران على الإطلاق، إذ دائمًا ما قالت العجوز نان إن ملك الليل كان مجرد رجل نهارًا، لكن الليل ملكوته. والظلام يهبط.

قَرَّرَ الأخوان ريد أن يناموا في المطبخ، المبني الحجري مَثْمَن الأضلاع، ذي القبة المكسورة، بما أنه يبدو مأوى أفضل لهم من البنايات الأخرى، على الرغم من شجرة الويروود المعوجة التي تنبت من الأرضية المكسوة بألواح الأردواز إلى جوار البئر الضخمة التي تتوسط المكان، وتمتد مائلة نحو الفجوة في السقف كأن فروعها البيضاء كالعظام تسعى إلى بلوغ الشمس. شجرة غريبة هي، أكثر نحوًا من كل شجر الويروود الآخر الذي رآه بران، وبلا وجه كذلك، ولو أنها أشعرته بأن الآلهة القديمة معه ها هنا على الأقل.

الشجرة هي الشئ الوحيد الذي راقه في المطبخ. السقف أغلبه سليم، أي أنهم لن يبتلوا إذا عادت الأمطار تسقط، لكنه لا يحسب أنهم سيجدون أي دَفء هنا، فبإمكانه أن يحسَّ بالبرد يتسرَّب إلي أعلى من بين ألواح الأرضية. ثم إن الظلال لا تروقه أيضًا، ولا الأفران الطوب الضخمة التي تحيط بهم كالأفواه المفغورة، ولا خطاطيف اللحم الصدئة، ولا التُّدوب والبُقَع التي رآها على وَصَم الجزار عند أحد الحوائط. هنا قطع الطاهي الجرد الأمير إلى لقيمات، وخبز الفطيرة في أحد هذه الأفران.

على أن البئر هي أخشى ما يخشاه. محيطها اثنا عشر قدمًا كاملة، وكلُّها من الحجر، وفي جانبها درجات تدور وتدور نازلة إلى الظلام في الأسفل، وحوائطها رطبة مغطاة بالتطرون، لكن أحدًا منهم لم يستطع أن يرى الماء في قاعها، حتى ميرا بنظرها الحاد الذي أرهفته خبرتها في الصيد.

قال بران بشك: «ربما تكون بلا قاع».

ألقى هودور نظرةً من فوق الحافة التي ترتفع حتى الرُكبتين، وصاح: «هودور!»، فأجابَت البئر مرَددةً صدى الكلمة: «هودور هودور هودور هودور».

هو دور هو دور هو دور هو دور» بصوتٍ أخذَ يخفت ويخفت إلى أن صارَ أوهي من همسة. بدت الدهشة على هودور، ثم إنه ضحك وانحنى يلتقط قطعةً من الأردواز من على الأرض، فقال بران: «هودور، لا!»، ولكن بعد أن فات الأوان وألقى هودور الحجر من فوق الحافة، فقال له: «لم يكن يجب أن تفعل هذا. لست تعلم ما يوجد في الأسفل. ربما أذيت شيئاً أو... أو أيقظت شيئاً». رفقهُ هودور ببراءةٍ متسائلاً: «هودور؟».

بعيداً بعيداً بعيداً في الأسفل سمعوا صوت سقوط الحجر في الماء. لم يكن صوت تناثر ماءٍ طبيعياً، بل أقرب إلى الازدرد، كأن الشيء الذي في قاع البئر أيّاً كان قد فتحَ فمّاً جليدياً راجفاً ليتلع حجر هودور. تصاعدت الأصداء الخافتة إلى أعلى البئر، وحسب بران لحظةً أنه يسمع شيئاً ما يتحرك خائضاً في المياه، فقال متوتراً: «ربما لا يجدر بنا البقاء هنا». سألته ميرا: «عند البئر أم في القلعة؟».

أجابها: «نعم».

ضحكت وأرسلت هودور يجمع الحطب، وذهب سمر معه. كان الظلام يكاد يطبق على العالم كاملاً وقتها، والذئب الرهيب يرغب في الصيد. عادَ هودور بذراعين مليئتين بالخشب الميت والأغصان المكسورة، وأخرجَ چوچن ريد خنجره وحجر الصوّان ليُشعل النار، بينما شرعت ميرا تُنظف السمكة التي اصطادتها من آخر جدولٍ عبروه. تساءل بران كم عامًا مرَّ منذ طُهي آخر عشاءٍ في مطبخ (قلعة الليل)، وتساءل عن من طهاه أيضاً، وإن قال لنفسه إن الأفضل أن يظل يجهل الإجابة.

عندما تأجج اللهب وضعت ميرا السمكة فوقه، وفكر بران: على الأقل ليست فطيرة لحم. لقد طبخ الطاهي الجرد ابن الملك الأندالي في فطيرة كبيرة مع البصل والجزر والفطر والكثير من الملح والفلفل وشريحة من اللحم المقدد والتبيذ الدورني الأحمر القاني، ثم قدمه إلى أبيه الذي أثنى على مذاق الفطيرة وتناول قطعةً ثانية. بعدها حوّلت الآلهة الطاهي إلى جردٍ أبيض متوحش لا يستطيع أن يأكل إلا صغاره، ومنذ ذلك الحين وهو يطوف أرجاء (قلعة الليل) ملتهماً أطفاله دون أن يشبع أبداً. كانت العجوز نان تقول حينما تقص عليهم الحكاية: «لم تلعه الآلهة لأنه قتل، ولا لأنه قدم للملك

الأندالي ابنه في فطيرة، فكلُّ رجل له الحقُّ في الانتقام... لكنه قتلَ ضيفاً تحت سقفه، وهذه جريمة لا يُمكن أن تغفرها الآلهة أبداً».

بعد أن امتلأت بطونهم وبدأت النَّار تهدياً قال چوچن وهو يزيكها بعضا: «علينا أن ننام. ربما أرى حُلماً أخضر آخر يُرشدنا إلى الطريق».

كان هودور قد تكوّر على نفسه ويصدر غطيماً واطئاً بالفعل، وبين الحين والآخر يتقلّب تحت معطفه ويهمهم بشيء ما ربما يكون «هودور»، أمّا بران فزحفَ مقترّباً من النَّار مستشعراً حلاوة الدّفء والاطمئنان الذي تبثّه طقطقة اللهب، لكن النَّوم جافاه. في الخارج كانت الرّيح تُرسل جيوشاً جرّارةً من الأوراق الميتة تزحف عبر السّاحات لتخدش الأبواب والنّوافذ بنخفوت، وجعلته الأصوات يُفكّر من جديد في قصص العجوز نان، فكاد يسمع أشباح الحُرّاس تُنادي بعضها بعضاً على قَمّة (الجدار) وتنفّخ في أبواقها الشّبيحية. من الفجوة في القبّة نزل نور القمر الشّاحب مائلاً ليصبغ فروع الويرود المرتفعة إلى السّقف، فبدت الشّجرة كأنها تُحاول أن تبُلغ القمر وتجرّه إلى أعماق البئر. صلّى بران: أيتها الآلهة القديمة، إذا كنت تسمعين فلا تُرسلني إليّ حُلماً سيئاً اللّيلة، وإذا فعلت فاجعليه حُلماً جيّداً.

ولم تُجب الآلهة.

أجبر بران نفسه على إغلاق عينيه، وربما نام بالفعل، أو ربما أخذه التّعاس لا أكثر فأحسّ كأنه يطفو كما يحدث عندما تكون عالقاً في تلك المنطقة الوُسطى بين النَّوم واليقظة، وحاول ألا يُفكّر في الطّاهي الجرد أو آكس المعنون أو السّيء الذي أتى ليلاً.

ثم إنه سمع الضّجّة.

وانفتحت عيناه وانكتمت أنفاسه. ما هذا؟ هل كنتُ أحلم؟ هل رأيت كابوساً سخيفاً؟ لم يُرد أن يوقظ ميّرا وچوچن بسبب حلم سيّء، ولكن... ها هو ذا... صوت خافت لشيء ما ينجرُّ في مكانٍ بعيد... إنها الأوراق، أوراق الشّجر تُخشخش على الجدران وتحف... أو الرّيح، ربما تكون الرّيح... لكن الصّوت لا يأتي من الخارج. شعر بران بجِلده يقشعُر وبالشّعر على ذراعيه يتصبب. الصّوت في الدّاخل، هنا معنا، ويعلو. دفع نفسه على مرفقيه

إلى أعلى وأصغى. هناك ريح بالفعل، وأوراق تتحرك في كل مكان، لكن هذا صوت شيء آخر. خطوات. أحد ما قادم، شيء ما قادم.

يعلم أنه ليس صوت الحُرَّاس، فهو لاء لا يُيارحون (الجدار) أبدًا، لكن ربما تكون هناك أشباح أخرى في (قلعة الليل)، أشباح العن والعن. تذكر ما حكته العجوز نان عن آكس المجنون، وكيف خلع حذاءه وجاب قاعات القلعة حافي القدمين في الظلام، لا يُصدر صوتًا يدل على مكانه إلا قطرات الدماء التي تساقطت من بلطته ومرفقيه وطرف لحيته الحمراء المبتلة. أو ربما لا يكون هذا آكس المجنون أصلاً، ربما يكون الشيء الذي أتى ليلاً، الذي قالت العجوز نان، إن التلامذة كلهم رأوه، لكن حين أخبروا حضرة القائد لاحقاً كان الوصف الذي أدلى به كل منهم مختلفاً. ومات ثلاثة منهم قبل انقضاء العام وجنَّ الرَّابع، وبعد مئة سنة حين أتى الشيء ثانية شوهد التلامذة يمشون وراءه مكبتين بالسلاسل.

غير أنها مجرد قصة. إنه يُخيف نفسه لا أكثر. المايستر لوين قال إنه ليس هناك شيء يأتي ليلاً، وإذا كان له وجود ذات يوم فقط اختفى من العالم كالعالمقة والتنانين. لا شيء هنالك.

لكن الصَّوت تعالي أكثر.

أدرك أنه يأتي من البئر، وتزايد الخوف في نفسه. شيء ما في الطريق إلى أعلى من تحت الأرض، شيء ما قادم من الظلام. هو دور أيقظه، أيقظه بقطعة الأردواز السخيفة، وها هو قادم إلينا الآن. كان السَّمع صعباً مع غطيط هودور وخفقان قلب بران العنيف. أهذا هو الصَّوت الذي يُحدثه تقاطر الدَّم من بلطة؟ أم أنها صلصلة سلاسل شبحية خافتة بعيدة؟ أرهف سمعه أكثر. خطوات. إنها خطوات أقدام بكل تأكيد، كلُّ منها أعلى من السابقة، لكنه لا يدري كم قدماً هناك، فالبئر تجعل الأصوات تُردد الصدى، كما أنه لا يسمع سلاسل تُصلصل أو دمَاء تتقاطر، لكن هناك شيئاً آخر... إنه أنين رفيع مرتفع كأن أحداً يتألَّم، وأنفاس ثقيلة مكتومة، لكن وقع الخطوات أعلى، والخطوات تدنو.

كان بران أكثر خوفاً من أن يصيح، والنَّار خمدت ولم يتبقَّ منها إلا بضع جذوات باهتة، وأصدقاؤه كلهم نيام. كاذ يخرج من جلده ويتلبَّس ذئبه، لكن سمر قد يكون على بُعد أميال عدة، كما أنه لا يستطيع أن يترك أصدقاءه بلا حيلة في

الظلام ليواجهوا ذلك الآتي من البئر أيًا كان. فكَّر بتعاسة: قلتُ لهم ألا نجيء إلى هنا، قلتُ لهم إن هناك أشباحًا، قلتُ لهم إن علينا الذهاب إلى (القلعة السوداء). ترامت الخطوات إلى مسامع بران ثقيلةً بطيئةً خرقاء تحتك بالحجارة. لا بدُّ أنه شيء ضخم. في قصص العجوز نان كان آكس المجنون رجلًا كبير الحجم، والشَّيء الذي أتى ليلاً هائلًا. قديمًا في (ويترفل) قالت له سانزا إن شياطين الظلام لا يُمكنها أن تمسَّه إذا اختبأ تحت دثاره، والآن أوشك على أن يفعل هذا قبل أن يتذكَّر أنه أمير ويكاد يكون رجلًا بالغًا.

زحف بران على الأرض جازًا ساقيه الميتين وراءه إلى أن استطاع أن يمدَّ يده ويمسَّ قدم ميرا، التي استيقظت في الحال. لم يعرف قطُّ أحدًا يستيقظ بسرعة ميرا ريد أو ينتبه فورًا مثلها. وضع إصبعه على فمه لتعرف أن عليها ألا تتكلم، ورأى على ملامحها أنها سمعت الصوت بمجرد أن استيقظت، ومثله ميَّزت صدى وقع الأقدام والأنين الخافت والأنفاس الثقيلة.

نهضت ميرا دون أن تنبس بكلمة والتقطت سلاحها، وبرُوح صيد الضفادع ثلاثي الشعب في يُمناها والشَّبكة في يُسراها اقتربت من البئر بقدمين حافيتين، بينما واصل جوجن نومه الغافل وهمهم هودور وتقلب في نومه المضطرب. ظلت وسط الظلال وهي تتحرَّك، ودارت حول خيط من نور القمر بسرعة القبط، وراقبها بران طيلة الوقت ملاحظًا لمعة رُمحها الباهتة، وقال لنفسه: لا يُمكنني أن أدعها تقايل الشَّيء وحدها. سمر بعيد، ولكن بإمكان بران أن...  
... يخرج من جلده ويمد نفسه إلى هودور.

ليس الأمر كما يتلبَّس سمر، فقد أمسى ذلك في منتهى السهولة، حتى إن بران يُفكِّر فيه بالكاد، أمَّا هذا فأصعب، كأنك تُحاول أن تتعل فردة حذاء يُسرى بقدمك اليمنى، لا تُناسب هذه تلك، كما أن فردة الحذاء خائفة أيضًا، لا تفهم ما يحدث، تدفع القدم بعيدًا عنها. ذاق القيء في مؤخرة حلق هودور، وكاد هذا يدفعه إلى الخروج منه، لكنه تلوَّى ودفع واعتدل جالسًا وطوى ساقيه تحته -ساقيه الضخمتين القويَّتين- ثم نهض. إنني واقف. وأخذ خطوة. إنني أمشي. كان الإحساس غريبًا للغاية لدرجة أنه كاد يسقط. رأى نفسه على الأرض الحجرية الباردة، رأى شيئًا صغيرًا مكسورًا، لكنه ليس مكسورًا الآن، والتقط سيف هودور الطويل وقد أصبح صخب الأنفاس كبير الحدَّاد.



من البئر تردّد عويل صارخ حاد طعنه كسكين، وألقى جسم أسود ضخّم نفسه إلى أعلى في الظلام واندفع صوب نور القمر. تضاعف خوف بران مراراً، وقبل أن يفكر مجرد تفكير حتى في سحب سيف هودور كما أراد، وجد نفسه على الأرض مجدّداً بينما يصرخ هودور: «هودور هودور هودور!» كما فعل في بُرج البحيرة كلما سطع البرق. لكن الشيء الذي أتاها لم يكن ليلاً كان يصرخ أيضاً ويتخبط بعنف في طيّات شبكة ميرا، ورأى بران رُمحها يندفع من الظلام ليطعنه، وترنح الشيء وسقط مجاهدًا للتخلص من الشبكة. كان العويل لا يزال آتياً من البئر وأعلى مما كان، وعلى الأرض تلوى الشيء الأسود وقوام صارخاً بصوتٍ رفيع: «لا، أرجوك، لا، لا...».

وقفت ميرا فوفه ونور القمر ينعكس على شُعب رُمحها، وسألته: «من أنت؟».

قال الشيء الأسود باكيًا: «أنا سام! سام، سام، أنا سام، حلّي هذه الشبكة، لقد طعنتني...»، وتدحرج يتلوى في الشبكة عبر بركة نور القمر، بينما ظلّ هودور يصيح: «هودور هودور هودور!».

كان چوچن هو من ألقى مزيداً من العصيّ في النار وفتح فيها إلى أن تأجج اللهب وطقطق، ليعود الضوء ويرى بران الفتاة الشاحبة ناحلة الوجه الواقعة عند حافة البئر، ترتدي طبقاتٍ وطبقاتٍ من الفرو والجلد تحت معطف أسود ضخّم وتُحاول تهدئة الرضيع المولول بين ذراعيها. مدّ الشيء على الأرض يده عبر طيّات الشبكة إلى خنجره، لكن العقد لم تُعطه الفرصة. لم يكن وحشاً أو حتى آس المجنون الغارق في الدماء، وإنما مجرد رجل كبير بدين يرتدي الصُوف الأسود والفرو الأسود والجلد الأسود والحلقات المعدنيّة السوداء، فقال بران: «إنه أخ أسود. ميرا، إنه من حرس الليل».

- «هودور؟»، سأل هودور وأقعى ليُحدّق إلى الرجل في الشبكة، ثم ضحك وقال: «هودور».

كان الرجل البدين لا يزال يتنفس ككبير الحداد وهو يقول: «حرس الليل، نعم. أنا أخ من الحرس». تحت ذقنه كان وتر يرفع رأسه قسراً، وأوتار غيره منغرسه في وجنتيه. «أنا غراب. أرجوكم أخرجوني من هذه الشبكة».

أفعم نفس بران الارتياب فجأة، وسأل: «أنت الغراب ذو الأعين الثلاث؟». لا يمكن أن يكون هو.

تحركت عينا الرجل البدين - اثنتان فحسب - وهو يجيب: «لا أظن». أنا سام فقط، سامويل تارلي. أخرجوني، إنها تؤلمني»، وبدأ يتلوّى من جديد. أصدرت ميرا صوتاً ممتعضاً، وقالت: «كفى حركة. إذا مزقت شبكتي سألقيك في البئر. اثبت وسأحل وناقك».

سأل چوچن الفتاة ذات الرضيع: «من أنت؟». ردت: «جيلي، على اسم الزهرة، وهو سام. لم نكن نقصد أن نخيفكم»، وهزمت الرضيع ونددت له حتى كف عن البكاء أخيراً.

راحت ميرا تحل الأخ البدين من شبكتها، وذهب چوچن وألقى نظرة إلى أسفل متسائلاً: «من أين أتيتم؟».

قالت الفتاة: «من (قلعة كراستر). أنت هو؟».

التفت إليها چوچن سائلاً: «هو؟».

- «قال إن سام ليس المطلوب، إن هناك أحداً آخر، الذي أرسل ليُعثر عليه».

سألها بران: «من الذي قال؟».

أجابت جيلي بخفوت: «ذو اليدين الباردتين».

سحبت ميرا طرفاً من الشبكة واستطاع الرجل البدين أن يجلس، ورآه بران يرتجف ولا يزال يكافح لالتقاط أنفاسه. قال لاهتاً: «قال إنه سيكون هناك أشخاص في القلعة، لكني لم أعلم أنكم ستكونون عند قمة السلالم مباشرة، لم أعلم أنكم ستلقون عليّ شبكة أو تطعنوني في بطني»، وتحسّس بطنه بيده المقفزة بالأسود، وتساءل: «هل أنزف؟ لست أرى».

قالت ميرا: «كانت مجرد وخزة لأسقطك. دعني ألقى نظرة»، وجثت على ركبتيها وتلمّست حول سُرته قبل أن تقول: «إنك ترتدي الحلقات المعدنيّة، ولم أمسّ جلدك حتى!».

ردّ سام متذمّراً: «لكني تألمت رغم ذلك».

سأله بران: «أنت أخ في حرس الليل حقاً؟».

أوماً الرجل البدين برأسه إيجاباً فاهتت ذقنه الممتلىء، وقد بدت بشرته

شاحبةً مترهّلةً ولاحّ عليه لحظةً أنه سيجهش بالبكاء وهو يُجيب بصوتٍ متهدّج: «مجرّد وكيل. كنتُ أعني بغدّان اللورد مورمونت، لكنني فقدتها على قمّة (القبضة)، كانت غلظتي. ثم ضللتُ الطريق أيضًا ولم أستطع أن أجد (الجدار) حتى. إنه يمتدُّ مئة فرسخ ويرتفع سبعمئة قدم ولم أستطع أن أجده!».

قالت ميرا: «حسن، ها قد وجدته. ارفع مؤخّرتك عن الأرض، أريدُ شبكتي».

سألَ چوچن فيما نهضَ سام بصعوبة: «كيف مررتم من (الجدار)؟ هل تقود البئر إلى نهر تحت الأرض؟ هل جئتم من هناك؟ لكنكم لستم مبتلين...». قال سام البدين: «هناك بوّابة، ببوّابة خفيّة قديمة قدم (الجدار) ذاته، قال إن اسمها البوّابة السّوداء».

تبادلَ الأخوان ريد نظرةً، وسألَ چوچن: «وهل سنجد تلك البوّابة في قاع البئر؟».

هزّ سام رأسه نفيًا، وأجاب: «لن تجدوها أنتم. يجب أن أصحبكم بنفسي». قالت ميرا: «لماذا؟ إذا كانت هناك ببوّابة...».

- «لن تجدوها، وإذا وجدتموها فلن تفتح لكم. إنها البوّابة السّوداء، السّوداء»، وأمسك سام صوف كُمّ معطفه الأسود الباهت مواصلاً: «قال إن رجلاً من حرس الليل فقط يستطيع أن يفتحها، أخًا حلف اليمين». قطّب چوچن جبينه متسائلًا: «قال... ذو اليدين الباردتين هذا؟».

أجابت جيلي وهي تُهدّد وليدها: «ليس هذا اسمه الحقيقي، بل ما ندعوه به أنا وسام. إن يديه باردتان كالجليد، لكنه أنقذنا من الموتى، هو وغدّفانه، وأحضرننا إلى هنا على متن إلكته».

ردّد بران متعجبًا: «إلكته؟».

وردّدت ميرا مندهشةً: «إلكته؟».

وردّد چوچن: «غدّفانه؟».

وقال هودور: «هودور؟».

سألَ بران: «ألونه أخضر؟ هل له قرون؟».

قال البدين بارتباك: «الإلكة؟».

قال بران بصبر نافذ: «ذو اليدين الباردتين هذا. الرّجال الخُضر يمتطون الإلِكَات كما كانت العجوز نان تقول، وأحياناً تكون لهم قرون أيضاً».

- «ليس رجلاً أخضر، ويرتدي الأسود كأخ في حرس الليل، لكن بشرته شاحبة كالجُثث الحيّة ويديه باردتان للغاية حتّى إنني خفتُ في البداية. لكن الجُثث الحيّة أعينها زرقاء وبلا ألسنة، أو أنها نسيّت كيف تستخدم ألسنتها»، والتفتَ البدِين إلى چوچن قائلاً: «إنه منتظر. يجب أن نذهب. أليكم ثياب أثقل ترتدونها؟ البوّابة السّوداء باردة، والجانب الآخر من (الجدار) أبرد وأبرد. إنكم...».

قاطعته ميرا: «لماذا لم يجرى معكم؟»، وأشارت إلى جيلي والرّضيع متابعاً: «هما جاءا معك، فما الذي منعه؟ لماذا لم تدخُل به من البوّابة السّوداء أيضاً؟».

- «إنه... إنه لا يستطيع».

- «ولم؟».

- «(الجدار)، قال إن (الجدار) أكثر من مجرد الجليد والحجر، إن هناك تعاويذ مدموجة فيه... تعاويذ قديمة وقويّة. إنه لا يستطيع المرور من (الجدار)».

لحظتها ران الصّمت التّام على مطبخ القلعة، وسمع بران طقطقة اللّهب الخافتة، والرّياح تذرو أوراق الشّجر عبر اللّيل وصرير شجرة الويروود النّحيلة الرّانية إلى القمر، وتذكّر العجوز نان تقول: وراء البوّابات تعيش الوحوش والعماليق والغيلان، لكنها لا تستطيع المرور ما دام (الجدار) يرتفع قويّاً، فاخذ إلى النّوم يا براندون يا صغيري الجميل ولا تخف، فلا وحوش هنا.

قال چوچن ريد لسام السّمين في ثيابه السّوداء الفضفاضة المتّسخة: «ليس أنا من قيل لك أن تُحضره، بل هو».

- «أوه»، غمغم سام متطلّعاً إلى بران مرتاباً، وربما يكون قد أدرك حينها فقط أنه مشلول، فقال متلعثمّاً: «لست... إنني لستُ قويّاً كفايةً لأحملك، و...».

أشارَ بران إلى سلّته قائلاً: «هودور سيحملني. إنني أركبُ هذه على ظهره».

كان سام يُحَدِّقُ إليه بشدَّةٍ وهو يقول: «أنت أخو چون سنو، الذي سقط...».

قاطعَه چو چن بحزم: «لا، ذلك الصَّبي مات».  
وقال بران: «لا تُخبر أحدًا، أرجوك».

لاح الارتباك على سام لحظةً، ثم إنه قال: «س... سأحتفظ بالسُّر، وجيلي أيضًا»، ورمقَ الفتاة التي أومأت برأسها مؤيِّدةً، فواصل: «چون... چون كان أخي أيضًا، وأفضل صديق حظيتُ به في حياتي، لكنه رحلَ مع كورين ذي النِّصف يد لاستطلاع (أنياب الصَّقيع) ولم يُعد. كنا ننتظره على (القبضة) عندما... عندما...».

قال بران: «چون هنا، سَمَر رآه. كان مع بعض الهمج، لكنهم قتلوا رجلًا وأخذَ چون حصانه وهرب. أراهنُ أنه ذهب إلى (القلعة السوداء)».  
أدارَ سام عينيه الواسعتين إلى ميرا متسائلًا: «أأنتِ واثقة بأنه كان چون؟ رأيتَه بنفسك؟».

قالت مبتسمةً: «أنا ميرا. سَمَر هو...».  
قاطعها ظلُّ فصل نفسه عن القبة المكسورة في الأعلى ووثبَ عبر نور القمر، وحتى بساقه الجريحة هبطَ الذئب بهدوء وخفة الثلوج المتساقطة، فأصدرت الفتاة جيلي صوتًا خائفًا وضمت رضيعها إلى صدرها بقوة شديدة جعلته يبكي ثانيةً.

قال بران: «لن يُؤذيكم. هذا هو سَمَر».  
خلعَ سام قفَّازه قائلاً: «چون قال إن لديكم جميعًا ذئاب. إنني أعرفُ جوست»، ومدَّ يداً مرتعدةً أصابعها بيضاء طريةً ممثلة كأصابع السُّجق، فاقترَبَ سَمَر وتشمَّمها ثم لعقَ يد سام.

وعندئذ حزمَ بران أمره، وقال: «سندهب معك».  
مندهشًا سأله سام: «كلِّكم؟».

داعبت ميرا شعر بران مجيبةً: «إنه أميرنا».  
دارَ سَمَر حول البئر متشمَّمًا، ثم توقَّف عند الدَّرَجَة العُليا ونظرَ إلى بران، الذي فكَّر: يُريد أن يذهب.

سألهم سام: «هل ستكون جيلي آمنة إذا تركتها هنا حتى أرجع؟».

قالت ميرا: «ستكون آمنة، ويمكنها الجلوس عند النَّار».

وقال چوچن: «القلعة خالية».

تلقت جيلي حولها قائلة: «كراستر حكى لنا عن القلاع، لكني لم أحسبها بهذه الصَّخامة».

فكر بران: إنه المطبخ فقط، وتساءلَ عمَّا ستقوله حين ترى (ويترفل) إذا رأتها ذات يوم.

استغرقوا دقائق قليلة ليجمعوا أغراضهم ويرفعوا بران إلى سلَّته الخيزران على ظهر هودور، وحين استعدوا للذهاب كانت جيلي جالسة تُرضع ابنها إلى جوار النَّار، وقالت لسام: «ستعود إليّ، أليس كذلك؟».

وعدها قائلاً: «في أقرب وقت ممكن، ثم سنذهب إلى مكان دافئ»، ولمَّا سمع بران هذا تساءلَ جزءً منه عمَّا يفعله، وسأل نفسه: هل سأذهبُ إلى مكانٍ دافئٍ ثانيةً أبداً؟

قال سام: «سأتقدمكم بما أُنِي أعرفُ الطَّريق»، وعند قَمَّة السَّلام تردَّد لحظةً قائلاً: «الدَّرجات كثيرة للغاية!»، ثم زفرَ وبدأ ينزل، يتبعه چوچن ثم سمر ثم هودور ببران على ظهره، وفي النِّهاية ميرا حاملةً رُمحها وشبكتها. الطَّريق إلى أسفل كان طويلاً حقاً، فبينما تسبح قَمَّة البئر في نور القمر، إلَّا أنها أخذت تتضاءل كلما داروا نازلين وتزايد الظلام، ورددت الدَّرجات الحجرية الرُّطبة وقع خُطاهم وارتفع صوت المياه.

سأل چوچن: «ألم يكن علينا أن نجلب مشاعل؟».

قال سام: «ستعتاد أعينكم الظلام. ضعوا يداً على الحائط ولن تسقطوا».

مع كلِّ دورة أصبحت البئر أكثر ظلمةً وبرودةً، وحين رفع بران رأسه لينظر إلى القمَّة وجد حجمها لا يزيد على الهلال. همس هودور: «هودور»، فأجابَت البئر هامسةً: «هودور هودور هودور هودور هودور هودور»، واقترَب صوت الماء أكثر، لكن بران لم يَرَ إلَّا سواداً لَمَّا نظرَ إلى أسفل.

بعد دورة أو اثنتين توقَّف سام فجأةً. كان يبُعد عن بران وهودور برُبع دورة، أي أدنى إليهما بنحو ست أقدام، لكن بران يراه الآن بالكاد، وإن رأى الباب، البوابة السوداء التي ذكرها سام، والتي ليست سوداء على الإطلاق.

كانت من خشب الويروود الأبيض، وعليها وجه.

من الخشب انبعث وهج أبيض كالحليب ونور القمر، خافت للغاية لدرجة أنه يكاد لا يمس شيئاً بعد الباب نفسه، ولا حتى سام الواقف أمامه مباشرة. الوجه عجوز شاحب، متغضن متقلص. يبدو ميتاً. فمه مغلق، وعينه كذلك، ووجنتاه غائرتان، وجبينه ذابل، وذقنه متهدل. إذا عاش رجل ما ألف عام دون أن يموت أبداً بل يظل يطعن في السن، فهكذا سيكون شكل وجهه. ثم فتح الباب عينيه.

عينان بيضاوان هما، وعمياوان.

وسأل الباب: «مَنْ أنت؟»، وهمست البئر: «مَنْ-مَنْ-مَنْ-مَنْ-مَنْ-مَنْ-مَنْ-مَنْ».

وأجاب سامويل تارلي: «أنا السيف في الظلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النار التي تحترق لتطرد البرد، الضوء الذي يأتي بالفجر، النفير الذي يوقظ النيام، الدرع التي تقي بلدان البشر». قال الباب: «فلتمرّ إذن»، وافترقت شفتاه وأخذتا تنفغان وتنفغان وتنفغان إلى أن لم يتبق شيء على الإطلاق، إلا فم مفتوح عن آخره وسط حلقة من التجاجيد. انتحى سام جانباً وأشار لچوچن بالمرور فمرّ وتبعه سمر متشمماً، ثم حان دور بران. انحنى هودور وإنما ليس كفاية، ومست شفة الباب العليا قمة رأس بران بخفة، وسقطت قطرة ماء عليه وجرت ببطء على أنفه، وكانت دافئة على نحوٍ غريب، ومالحة كالدموع.

## دنیرس

تُعَادِل (میرین) مساحه (أستاپور) و (یونکای) مجتمعتین، وعلی غرار أختیها شُیِّدَت المَدینة من القرمید أیضًا، ولو أن (أستاپور) حمراء و (یونکای) صفراء، بینما (میرین) قرمیدها متعدد الألوان، كما أن أسوارها أعلى وأفضل ترمیمًا من أسوار (یونکای)، و مزوَّدة بالزوايا المحصَّنة وأبراج الحراسة الضَّخمة التي تَبْرُز من كلِّ رُكن، ومن ورائها تلوح قَمَّة (الهرم الأكبر) الذي يشهق بکُتلته الهائلة نحو السَّماء، وتُتَوَّجُه على ارتفاع ثمانمئة قدم هارپی سامقة من البرونز. حين رآها داریو نهاریس قال: «الهارپی مخلوق جبان. إن لها قلب امرأة و قدمي دجاجة، فلا عجب أن أبناءها يتوارون خلف أسوارهم».

لكن البطل لم يتواز، بل خرج من بؤابة المدينة مدرِّعًا بأقراص البرونز والكهرمان الأسود وممتطيًا جوادًا حربيًا يرتدي بدوره درعًا ثمائل خطوطها الوردية والبيضاء لونَي معطف البطل الحرير المنسدل من على كتفيه. الرُّمَح الذي يحمله يُناهز الأربعة عشر قدمًا طولًا ومغلف بشرائط من اللّونين نفسيهما، وشعره ممشَّط ومصقول ومشكل كقرني كبش ملتوين، وقد راح يعدو بجواده جيئةً وذهابًا أمام الأسوار ذات الألوان العديدة متحدِّيًا المحاصرين أن يُرسلوا بطلًا من بينهم ليواجهه في نزال فردي.

كان خيالة دمهًا تواقين إلى الذهاب ولقائه لدرجة أنهم كادوا يتشاجرون، إلَّا أن داني قالت لهم: «مكانكم هنا إلى جانبي يا دم دمي. هذا الرّجل ذبابة طنّانة لا أكثر، فتجاهلوه. قريبًا سيرحل». آجو وچوجو وراگارو مُحاربون شُجعان، لكنهم شبّان وأقيم من أن تُجازف بهم، ناهيك بأنهم يُحافظون على وحدة غالاسارها، إضافةً إلى كونهم أفضل كشافتها.



قال السير چورا وهو يُشاهد من أمام سُرادقها: «قرار حكيم. دعي الأحقق يركُض بلا انقطاع حتي يَكسَح حصانه. إنه لا يُسبب لنا أيَّ ضرر».

قال آرستان ذو اللحية البيضاء بإصرار: «بل يضرُّنا. الحروب لا تُريح بالشُيوف والحِراب فقط أيها الفارس. قد يلتقي جيشان قوتَهما متعادلتان، لكن أحدهما سينكسر ويفرُّ جنوده بينما يظلُّ الثاني صامداً، وهذا البطل يبني الشجاعة في قلوب رجاله ويزرع بذرة الشكِّ في قلوب رجالنا».

ردَّ السير چورا ساخراً: «وإذا خسِرَ بطلنا، فما البذرة التي يزرعها هذا؟».

- «مَن يخشي القتال لا ينتصر أبداً أيها الفارس».

- «لسنا نتكلم عن القتال. (ميرين) لن تفتح أبوابها إذا سقطَ هذا الأحقق،

فلمْ نُخاطر بنفس عبثاً؟».

- «بدافع الشرف».

قالت داني: «سمعتُ ما يكفي». إنها ليست في حاجةٍ إلى نقارهما علاوةً على ما تُعانيه من هموم، فد(ميرين) تُشكل خطراً أفذح من مجرد بطل يرتدي الوردي والأبيض ويرفع عقيرته بالشنائم، وهي لا ترغب في أن تُسبَّت أُنباهاها. بعد (يونكاي) أصبح جيشها يبلغ ثمانين ألفاً، لكن أقلَّ من رُبعمهم جنود، أمَّا البقية... قال السير چورا إنهم أفواه بأقدام، وقريباً سيتضوِّرون جوعاً.

كان أسياد (ميرين) العظام قد انسحبوا أمام تقدُّم داني، فحصدوا كلَّ ما استطاعوا من محاصيلهم وأضرَموا النَّار في كلِّ ما لم يستطيعوا حصاده، لُتحِيَّ جيشها الحقول المحروقة والآبار المسمَّمة في كلِّ مكان. الأسوأ أنهم علَّقوا طفلاً عبداً عند كلِّ صُوَّةٍ مِليَّةٍ بطول الطريق السَّاحلي من (يونكاي)، علَّقوهم وثبَّوهم بالمسامير وهم ما زالوا أحياء بينما تنسكب أحشاؤهم من بطونهم ويُشير كلُّ منهم بذراعه إلى الطريق نحو (ميرين). أمرَ داريو الذي يقود طليعتها برفع الأطفال قبل أن تراهم داني، لكنها أبطلت أمره بمجرد أن بلغها، وقالت: «سأراهم، سأرى كلَّ منهم وأحصيهم وأنظرُ إلى وجوههم، وسأتذكَّر».

وحين وصلوا إلى (ميرين) القابعة على السَّاحل المالح المتاخم لنهرها كان عدد الأطفال مئةً وثلاثة وستين، ومرةً أخرى تعهَّدت داني لنفسها: سأنلُ هذه المدينة.

ظَلَّ البطل الوردِي والأبيض يتَهَكَّم على المحاصِرِين ساعةً، هازئًا  
 برجولتهم وأمهاتهم وزوجاتهم وآلهتهم، وهتَفَ له المدافعون عن (ميرين)  
 من فوق الأسوار. اسمه أوزناك زو پال كما أخبرها بن پلوم البني -القائد  
 الجديد للأبناء الثَّانِين الذي اختارَه رفاقه المرتزقة- عندما انضمَّ إلى مجلس  
 الحرب، وأضاف: «كنتُ حارسًا شخصيًّا لعمِّه ذات يوم قبل أن ألتحق بالأبناء  
 الثَّانِين. الأسياد العظام، يا لهم من رهطٍ من الدَّيدان السَّمِينَة. نساؤهم لسن بهذا  
 الشَّوء، وإن كان مجرَّد النَّظَر إلى الواحدة الخطأ بطريقتي خطأ كفيلاً بتكليف  
 الرَّجل حياته. عرفتُ رجلاً اسمه سكارب انتزعَ أوزناك هذا كبده من بطنه،  
 مدَّعيًا أنه كان يُدافع عن شرف سيِّدةٍ اغتصبها سكارب بعينه. كيف يُمكن أن  
 يغتصب رجل امرأةً بعينه؟! لكن عمِّه أثرى رجل في (ميرين)، ويقود أبوه  
 حرس المدينة، فاضطرتُّ لأن أهرب كالفتران قبل أن يقتلني بدوري».

شاهدوا أوزناك زو پال يترجَّل عن جواده ويحلُّ أربطة ثيابه ويُخرج  
 ذكَّره ليبول في اتجاه بُستان الزَّيتون الذي نُصبَ فيه سُرادق داني الذهبِي  
 بين الأشجار المحروقة، وكان لا يزال يُفرغ مئنته عندما تقدَّم داريو نهاريِس  
 بحصانه حاملاً أراحه، وقال وسنَّته الذهبِيَّة تلمع وسط لحيته الزَّرقاء: «هل  
 أقطعه وأدسه في فمه من أجلك يا جلالة الملكة؟».

أجابت: «أريدُ مدينته وليس ذكَّره الضَّئيل». لكن الغضب كان قد بدأ يتابها  
 بالفعل، وفكَّرت: إذا تجاهلته فترةً أطول سيظنُّني قومي ضعيفاً. مَنْ يُمكنها  
 أن تُرسِلَ ليقَاتله؟ إنها تحتاج إلى داريو نهاريِس بقدر حاجتها إلى خيَّالة دهما،  
 ففي غياب التايروشي المبهرج لن تستطيع السَّيطرة على غربان العاصفة،  
 الذين كان كثيرون منهم أتباعاً لپرندال ناغزن وسالور الأصلح.

عاليًا فوق أسوار ميرين تصاعدت الهتافات المستهزئة أكثر فأكثر، وبدأ  
 مئات من المدافعين يحذون حذو بطلهم ويتبوَّلون من فوق المتاريِس ليُبدوا  
 احتقارهم للمحاصِرِين. يتبوَّلون على الرِّقيق ليُرَوِّنا أنهم لا يخشوننا على  
 الإطلاق. لو كان كالأسار من الدوثرافي على أبوابهم لما جرؤوا على هذا.  
 عاد آرستان يقول: «لا بُدَّ من الرَّدِّ على هذا التَّحدِّي».

قالت داني والبطل يدسُّ قضييه في سراويله: «سنردُّ عليه. قُل لبلواس  
 القوي إنني أريده».

وجدوا الخصيَّ البنيَّ الضَّخْم جالسًا في ظلِّ سُرادقها يلتهم إصبعًا من السُّجق، فالتهمه على ثلاث قضمات ومسح يديه الملوَّثتين بالدهن على سراويله وأرسل آرستان ذا اللحية البيضاء يُحضِر سلاحه. تعودُ المُرَافِق المسنُّ أن يشحذ أراخ بلواس الفولاذي كلَّ ليلةٍ ويُنظِّفه بالزَّيت الأحمر الزَّاهي، وحين جلَّبه إليه ضيقُ بلواس عينيه متفحَّصًا الحافة، ثم همهم مستحسنًا وأعاد التَّصل إلى غمده الجلدي وشدَّ وسطه العريض بالحزام. أتاه آرستان بترسه أيضًا، وهو قرص فولاذي مستدير لا يتعدَّى حجم الطَّبَق الكبير، يُمسكه الخصيُّ بيده بدلًا من تثبيته على ساعده كدأب الوستروسيين. قال بلواس مخاطبًا ذا اللحية البيضاء: «أريدُ كبدًا بالبصل، ليس الآن، بعد أن أفرغ. القتل يُصيب بلواس القوي بالجوع»، ولم ينتظر إجابةً وتحركَ بخُطى ثقيلة صوب أوزناك زو پال.

سألها راكارو: «لماذا هو يا گاليسي؟ إنه بدين وأبله».

- «بلواس القوي كان عبدًا هنا في حلبات القتال، وإذا سقطَ أوزناك ابن عليّة القوم أمام واحدٍ على شاكلته ستكون إهانةٌ مخزيةٌ للأسباد العظام، بينما إذا فاز... سيكون انتصارًا تافهًا لنبيْلٍ مثله ولن تجد فيه (ميرين) مدعاةً للفخر». وعلى عكس السير چورا وداريو وبن البنيّ وخيالة دمها الثلاثة، لا يقود الخصيُّ جنودًا أو يُخطِّط للمعارك أو يمدُّها بالمشورة. لا يفعل إلا الأكل والتفأخر والزَّعيق في آرستان. بلواس أسهل من تستطيع الاستغناء عنهم، وأنَّ أو ان تعرف كنه الحارس الذي أرسله الماچستر إليريو إليها.

تعالت الهتافات الحماسية من صفوف الحصار لما أبصروا بلواس يمضي نحو المدينة، ومن على أسوار (ميرين) تردَّد التَّشجيع والصَّياح الهازئ. عادَ أوزناك زو پال يمتطي جواده وانتظرَ رافعًا رُمحه كالعلم، ونفضَ الحصان رأسه بصبر نافذ وراح ينبش الأرض الرَّمليّة بحوافره، وعلى الرغم من حجمه الضَّخْم بدأ الخصيُّ صغيرًا مقارنةً بالبطل على متن جواده.

قال آرستان: «لو كان شهيمًا لترجَّل».

أمَّا أوزناك زو پال فخفض رُمحه وانطلق.

وقف بلواس بقدمين متباعدين، في يده ترسه المستدير الصَّغير وفي

الثانية الأراخ الذي يُعالجه آرستان بمنتهى العناية، ولا يرتدي فوق الزُنار الحرير الأصفر المعقود حول خاصرته إلا صُدْرَةً جَلْدِيَّةً مطعّمةً بالحديد، صغيرة الحجم لدرجة مضحكة ولا تُغطّي حلمته حتى، وتترك بطنه الكبير وصدره المترهل مكشوفين. قالت داني شاعرةً بتوتّر مفاجئ: «كان علينا أن نُعطيه قميصًا معدنيًا».

قال السير چورا: «كان ليعوقه لا أكثر. إنهم لا يرتدون الحلقات المعدنية في حلبات القتال، فالجماهير تأتي لرؤية الدّم».

تطايّر التراب من تحت حوافر الحصان الأبيض إذ اندفعَ ينهب الأرض نحو بلواس وعلى سهوته أوزناك الذي يخفق معطفه المخطط وراءه، ومن (ميرين) تعاطم الهتاف حتى بدا كأن المدينة كلّها تحضُّ بطلها على التّقدّم، فجعل صياح المحاصرين ضعيفًا خافتًا بالمقارنة، وقد وقفَ المطهّرون في صفوفهم صامتين يُشاهدون بوجوهٍ حجريّة. بلواس أيضًا ظلّ واقفًا كأنه تمثال من حجر، يعترض طريق الحصان وهو يُولي جيش داني ظهره العريض الذي يكاد يفتق نسيج صدرته الضيّقة. كان رُمح أوزناك مستويًا مسدّدًا إلى منتصف صدره ورأسه الفولاذي المصقول يتلألأ في ضوء الشّمس، ووجدت داني نفسها تُفكّر: سيُخوّزه... في اللّحظة نفسها التي تفادى فيها بلواس الهجمة بحركةٍ جانبيّة، وفي غمضة عين مرّ به أوزناك ودارَ رافعًا الرُمح. لم يتحرّك بلواس ليوجّه له ضربةً، ودوّى صراخ الميرينيزيين فوق الأسوار أعلى وأعلى. سألت داني: «ماذا يفعل؟».

أجابها السير چورا: «يُقَدِّم استعراضًا للرّعا».

دارَ أوزناك دورةً واسعةً حول بلواس، ثم غرسَ كعبيه في جانبيّ الحصان وعادَ ينقضُّ، ومرّةً أخرى انتظرَ بلواس ثم دارَ حول نفسه وضربَ رأس الرُمح مزيجًا إياه، وسمعت داني ضحكته تُدوّي عبر السّهّل إذ تخطّاه البطل ثانيةً.

قال السير چورا: «الرُمح طويل جدًا وما على بلواس إلا أن يتفاداه. حرّي بالأحمق أن يدعسه مباشرةً بدلًا من أن يستعرض براعته ويحاول أن يُخوّزه». انقضّ أوزناك زوپال مرّةً ثالثةً، والآن رأت داني بوضوح أنه يركب متجاوزًا بلواس مثلما يفعل فرسان (وستروس) مع منافسيهم في مضامير النّزال، بدلًا

من الانقضاض عليه مباشرةً كما يفعل الدوثر اكي ليدعسوا أعداءهم. أتاحت الأرض المسطحة المستوية للجواد أن يعدو بسرعة، لكنها سهّلت أيضًا على الخصي أن يتحاشى الرّمح الثقيل الذي يبلغ الأربع عشرة قدمًا طولًا.

حاول بطل (ميرين) الوردى والأبيض أن يتوقع حركة بلواس هذه المرّة، ودور رّمحه جانبًا في اللحظة الأخيرة هادفًا إلى إصابته قبل أن يتفادى الطعنة، لكن الخصي توقع حركة الميرينيزي بدوره وانخفض بدلًا من أن يميل إلى الجانب، فمرّ الرّمح فوق رأسه دون أن يمسه، وفجأة تدرج بلواس رافعًا أراخه الماضي وهاويًا به في قوس فضي، وسمعوا الجواد يصرخ إذ مرّق النّصل أوتار قائمته الأماميتين، وفي لحظة سقط مُسقطًا البطل من فوق ظهره. خيم صمت مبالغت على شرفات (ميرين) القرميد، وأصبح قوم داني وحدهم من يهتفون ويهلّلون.

وثب أوزناك مبتعدًا عن الحصان واستطاع أن يستل سيفه قبل أن يبلغه بلواس، وتعلت أنشودة الفولاذ أسرع وأعنف من أن تلاحق داني الضربات، لكن لا بُدَّ أن ثواني معدودة مرّت قبل أن تُغرق الدماء صدر بلواس من جرح تحت ثدييه، بينما انغرس الأراخ بين قرني الكبش في رأس أوزناك زو پال، ثم انتزع الخصي النّصل وفرّق بين رأس البطل وجسده بثلاث ضربات ضارية على عنقه، ورفع الرأس عاليًا ليراه الميرينيزيون قبل أن يلقيه نحو بوابة المدينة ليتدرج على الرّمال.

قال داريو ضاحكًا: «يبدو أن بطل (ميرين) من ورق».

قال السير چورا: «نصر بلا معنى. إننا لن نفوز بـ(ميرين) بقتل المدافعين عنها واحدًا واحدًا».

ردّت داني: «نعم، لكني مسرورة لأننا قتلنا هذا».

بدأ المدافعون على الأسوار يُطلقون نَشابياتهم على بلواس، لكن السّهام لم تبلغه أو انزلت على الأرض دون أن تؤذيه، أمّا الخصي فأدار ظهره للوابل ذي الرّؤوس الفولاذية وأنزل سراويله وقرص وتبرّز في اتجاه المدينة، ثم مسح نفسه بمعطف أوزناك المخطط وتوقف لحظات يُجرّد جثة البطل من مقتنياتهما ويُخلّص الحصان المحتضر من عذابه، قبل أن يتّجه متهاديًا إلى بستان الرّيتون.

استقبله المحاصرون بهتافاتٍ جهوريةٍ بمجرد أن عادَ إلى المعسكر، وضحكَ الدوثرაკي وصرخوا، ودَقَّ المطهَّرون تروسهم بحراهم صانعين دويًّا عظيمًا، وقال له السير چورا: «أحسنْتَ»، بينما ألقى بن البني للخصي حبةً ناضجةً من البرقوق قائلاً: «فاكهة حُلوة للقتال الحلو»، وحتى وصيفتا داني الدوثراكيتان أثنتا عليه، وقالت چيكوي: «كنا لنجدل شعرك ونُعَلِّق فيه جرسًا يا بلواس القوي، لكنك بلا شعر».

قال الخصي: «بلواس القوي لا يحتاج إلى رنين الأجراس»، والتهم برقوقة بن البني على أربع قضمات كبيرة وطوَّح بالنَّواة جانبًا مضيئًا: «بلواس القوي يُريد الكبد بالبصل».

قالت داني: «ستناله، لكن بلواس القوي مصاب». كان الدَّم يسيل من الجرح أسفل ثدييه ملطِّحًا بطنه بالأحمر.

- «ليس شيئًا ذا بال. إنني أترك كلَّ رجل أقاتله يجرحني مرَّةً قبل أن أقتله»، وربَّت الخصي على بطنه الدامي مردفًا: «أحصي الجروح وستعرفين كم رجلًا قتلهم بلواس القوي».

على أن داني فقدت كمال دروجو بسبب جرح مشابه، ولن تسمح بأن تُتركه بلا مداواة. هكذا أرسلت ميسانداي تبحث عن رجل يونكي مشهور بمهارته في فنون العلاج، ولَمَّا جاء راح بلواس يُولول ويتدمر، لكن داني وبخته ونعته بالطفل الأصلع الكبير، إلى أن ترك المعالج يُوقف التزيف بالخلِّ ويخيط الجرح ويربط صدره بشرائط من الكتان المنقوع في التبيد النَّاري، وعندها فقط ذهبَت مع قادتها إلى سُرادقها لعقد مجلس الحرب.

- «يجب أن أنال هذه المدينة»، قالت لهم وهي جالسة بساقين متقاطعتين على كومةٍ من الوسائد وتنانينها حولها، بينما تصبُّ إيري وچيكوي التبيد. «صوامع الغلال ملأى لدرجة الانفجار، وفي سُرفات الأهرامات تنمو أشجار التين والتَّمر والزيتون، وفي الأقبية براميل وبراميل من الأسماك المملحة واللحوم المدخنة».

قال داريو مذكرًا: «وهذا بخلاف الصناديق الممتلئة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة. دعونا لا ننسى الأحجار الكريمة».

قال السير چورا مورمونت: «ألقيت نظرةً على الأسوار المواجهة لليابسة

ولم أرَ أيَّ نقاطٍ ضَعَف. مع الوقت قد نتمكَّن من الحفر تحت أحد الأبراج ونصنع ثغرةً، لكن ماذا سنأكل ونحن نحفر؟ مؤننا على وشك النَّفاد».

ردَّدت داني: «لا نقاط ضَعَف في الأسوار المواجهة لليابسة؟». (ميرين) مقامة على لسانٍ أرضي من الرَّمال والحجارة حيث يصبُّ نهر (السكاهازاذان) البنيّ البطيء في (خليج النَّخاسين)، فيرتفع سور المدينة الشِّمالي بمحاذاة ضفَّة النَّهر، والغربي على شاطئ الخليج. «أيعني هذا أن باستطاعتنا الهجوم من النَّهر أو البحر؟».

- «بثلاث سفن؟ سنجعل الرُّبَّان جروليو يُلقِي نظرةً فاحصةً على الشُّور المواجه للنَّهر، لكن ما لم يكن متداعياً فهي وسيلة أكثر ابتلاءً للموت لا أكثر».

- «وماذا لو بنينا أبراج حصار؟ أخي فسيرس كان يحكي عنها، وأعرفُ أن بناءها ممكن».

- «من الخشب يا جلالة الملكة، لكن النَّخاسين أحرَقوا كلَّ شجرةٍ في محيط عشرين فرسخاً من هنا. دون أخشاب لا نستطيع بناء مقاذيف نهدم بها الأسوار أو سلالم نصعد عليها أو أبراج حصار أو سلاح<sup>(1)</sup> أو مدكات. يُمكننا مهاجمة البوابة بالفؤوس، نعم، ولكن...».

قال بن بلوم البنيّ: «هل رأيت الرُّؤوس البرونز فوق البوابة؟ تلك الضُّفوف من رؤوس الهاربي بأفواها المفتوحة؟ سيصبُّ الميرينزيون الزيت المغلي من هذه الأفواه ويطبُّخوا حاملي الفؤوس في مكانهم».

ابتسم داريو نهاريِس قائلاً للدودة الرَّمادي: «ربما على المطهَّرين أن يحملوا الفؤوس. سمعتُ أن الزيت المغلي بالنسبة لكم كالحمَّام الساخن».

لم يردِّ الدودة الرَّمادي الابتسامة، وقال: «غير صحيح. هؤلاء الآحاد لا يشعرون بالحروق كبقية النَّاس، لكن الزيت المغلي يُعمي ويقتل. لكن المطهَّرين لا يخافون الموت. أعطوا هؤلاء الآحاد المدكات وسنُحطِّم البوابة أو نموت ونحن نحاول».

---

(1) السُّلحفاة واحدة من أنظمة الوقاية في الحروب القديمة، يرفعها الجنود فوق رؤوسهم في أثناء الهجوم على بوابات القلاع أو المُدن لحمايتهم من السَّهام وغيرها، على غرار صدفة السُّلحفاة. (المترجم).

قال بن البني: «ستموتون». في (يونكاي)، عندما تولّى قيادة الأبناء الثّانين، زعمَ أنه قاتلَ في مئة معركة، لكنه أضاف: «وإن كنت لن أدعي أنني قاتلتُ فيها جميعاً بشجاعة. ثمةَ مرتزقة مسنون ومرزقة شُجعان، لكن لا يوجد مرتزقة شُجعان مسنون»، ورأت داني أن كلامه سليم.

زفرت داني، وقالت: «لن أفرّط في أرواح المطهّرين هباءً أيها الدودة الرّمادي. ربما يُمكننا تجويع المدينة».

بدا عدم الرضا على السير جورا وهو يقول: «سنجوع نحن قبلها بكثير يا جلالة الملكة. لا يوجد طعام هنا، أو أعلاف للبعال والخيول، ولا تروقي مياه هذا النهر كذلك. (ميرين) تتخلّص من فضلاتها في (السكاهازان)، لكنها تسحب مياه الشرب من الآبار العميقة، ولقد بلغتنا أبناء بالفعل عن أمراض في المخيمات، حمى وساق بيّنة<sup>(1)</sup> وثلاث حالات من الإسهال الدّموي، وستتفشّى هذه الأمراض أكثر إذا بقينا. العبيد ضعفاء من الزحف». ردّت داني مصحّحةً: «المحرّرون. إنهم لم يعودوا عبيداً».

- «أحرار أو عبيد، إنهم جوعى وقريباً سيُصبحون مرضى. المدينة لديها ذخيرة من المؤن أفضل منا بكثير، ويُمكن إعادة تزويدها بالماء، لكن سُفنك الثّلاث لا تكفي لإغلاق النهر والبحر أمامهم في آنٍ واحد».

- «بمّ تنصح إذن أيها السير جورا؟».

- «لن تُعجِبِك نصيحتي».

- «لكني سأسمعها».

- «كما ترغيبين. نصيحتي أن ندع هذه المدينة وشأنها. لا يُمكنك تحرير كلّ عبدٍ في العالم يا گاليسي، ثم إن حربك في (وستروس)».

- «لم أنسَ (وستروس)». أحياناً تحلمُ بها داني، تلك الأرض الأسطوريّة التي لم ترها قط. «لكن إذا تركتُ أسوار (ميرين) القرميد القديمة تهزمني بهذه البساطة، فكيف سأستولي على القلاع الحجريّة العظيمة في (وستروس)؟». قال السير جورا: «كما فعلَ إجون، بالتّار. عندما نبُلع (الممالك السبع)

---

(1) السّاق البنيّة مرض مستوحى غالباً من داء شامبرج الذي يُصيب القدمين والسّاقين ويتسبّب في تغيير مزمن للون الجلد، جاعلاً إياه يبدو كالصدأ البني. (المترجم).



ستكون تنانينك قد نمت، وستكون معنا أبراج حصار ومجانيق وكل ما نفتقر إليه هنا... لكن الطريق عبر أراضي الصَّيف الطَّويل طويل وشاق، وثمة أخطار نجهلها. لقد توقفت في (أستاپور) لتشتري جيشًا لا لتشتي حربًا. ادخري سيوفك ورماحك لـ(الممالك السبع) يا مليكتي، دعي (ميرين) لأهلها وازحفي غربًا إلى (پنتوس)». قالت داني حانقة: «أزحف مهزومة؟».

قال الكو چوجو: «عندما يختبئ الجبناء وراء الأسوار العالية فهم المهزومون يا گاليسي».

أيده خيالًا الدم الآخران، وقال راگارو: «يا دم دمي، عندما يختبئ الجبناء ويحرقون الطعام والنبات يتجاهلهم الكالات العظام ويسعون إلى أعداء أشجع. هذا معلوم».

رددت چيکوي وهي تصبُّ التبيذ: «هذا معلوم». قالت داني: «ليس معلومًا لي». صحيح أنها تقيم وزنًا كبيرًا للنصائح السير چورا، لكنها لن تستطيع أبدًا أن تهضم فكرة أن تترك (ميرين) كما هي. إنها لم تنسِ الأطفال المعلقين والطيور تمزق أمعاءهم بينما تشير أذرعهم الناحلة إلى الطريق على السَّاحل. «سير چورا، تقول إن طعامنا ينفد، فكيف سيمكثني إطعام المحرَّرين إذا زحفنا غربًا؟».

- «لا يُمكنك. آسف يا گاليسي، لكن إمَّا أن يُطعموا أنفسهم وإما أن يتضوَّروا جوعًا. كثيرون منهم سيموتون في أثناء الزحف. سيكون هذا صعبًا، لكن ليست هناك سبيل لإنقاذهم. علينا أن نُدير ظهورنا لهذه الأرض المحروقة».

حين عبرت داني (القفر الأحمر) تركت وراءها أثرًا طويلًا من الجُثث، وهذا منظر لا تنوي أن تراه ثانية أبدًا. قالت: «لا. لن أجعل قومي يزحفوا إلى حتفهم». أطفالها. «لا بُدَّ من وسيلة لدخول المدينة».

ملس بن پلوم البني على لحيته المرقطة بالأبيض والرَّمادي قائلاً: «أعرفُ وسيلة، البالوعات».

- «البالوعات؟ ماذا تعني؟».

قال بن: «ثمة بالوعات قرميد كبيرة تحمل فضلات المدينة وتفرغها في

(السكاهازاذان)، وقد تَصَلَحَ لأن يَدْخُلَ منها عدد قليل. هكذا فررتُ من (ميرين) حينما فقدَ سكارب رأسه»، ولاحَ عليه الاشمئزاز وهو يُضيف: «لم أنسَ الرَّائحةَ قَطُّ، وما زلتُ أحلمُ بها أحياناً».

قال السير چورا والارتياب يبدو عليه: «إنها طريقة أسهل للخروج لا الدُخول في تصوُّري. تقول إن هذه البالوعات تصبُّ في النَّهر؟ معنى هذا أن فتحاتها تحت الأسوار مباشرة».

أجابَ بن البني: «ومغلقةً بشباك حديد، وإن كان الصِّدأ قد أصابَ بعضها، وإلاً لكنتُ قد غرقتُ في الغائط. من يَدْخُلُ عليه أن يصعد في متاهةٍ مظلمة تماماً من القرميد يُمكن أن يتوه فيها إلى الأبد. القدرة لا تنخفض عن مستوى الخاصة أبداً، والبُقع التي رأيتها على الحوائط تشي بأنها ترتفع فوق مستوى الرَّأس أحياناً، وثمة أشياء تعيش هناك أيضاً، أكبر جردان يراها المرء في حياته، وأشياء أخرى مقرّزة».

ضحك داريو نهاريس قائلاً: «مقرّزة كما كنت عندما خرجت من البالوعة؟ إذا كان أي أحد بالحمق الكافي لأن يفعل هذا، لشَمَّ كلُّ نحّاس رائحته بمجرد أن يَخْرُج».

هزَّ بن البني كتفيه مجيباً: «جلالتها سألت إن كانت هناك وسيلة للدُّخول، فأخبرتها... لكن بن پلوم لن يخوض في تلك البالوعات ثانية أبداً ولو مقابل كلِّ الذهب في (الممالك السَّبع). إذا كان هناك آخرون يرغبون في التَّجربة، فهنيئاً لهم».

حاول آجو وچوجو والدُّودة الرَّمادي أن يتكلَّموا في آنٍ واحد، لكن داني رفعت يدها أمرّةً بالصَّمت، وقالت: «تلك البالوعات لا تبدو واعدةً بالنَّجاح». تعرف أن الدُّودة الرَّمادي سيقود مطَّهريه هناك إذا أمرت، وأن خيالة دمها سيُسعدهم أن يُلبُّوا الأمر كذلك، لكن لا أحد منهم يصلح لتلك المهمة، فالدوثرافي خيالة، وقوَّة المطَّهرون تكمن في انضباطهم ونظامهم في ميدان المعركة. هل بإمكانني أن أرسل رجالي ليموتوا في الظلام من أجل أملٍ واهن كهذا؟ «عليَّ أن أفكر أكثر. عودوا إلى واجباتكم».

انحنى قادتها وتركوها مع وصيفاتها وتنانينها، لكن بينما تحرَّك بن البني ليخْرُج بسطَ فُسيريون جناحيه الشَّاحيين وحلَّق إلى رأسه بكسل، وضرب

أحد الجناحين وجهه بخفّة، قبل أن يحطّ التّنين الأبيض واضعاً إحدى ساقيه على رأس المرتزق والثّانية على كتفه، ثم صرّخ وعاد يُحلق، فقالت داني: «إنه يحبُّك يا بن».

ضحك قائلاً: «كما ينبغي له. إن في عروقي قطرةً من دماء التّنين لعلمك». قالت داني ذاهلةً: «أنت؟ كيف؟». بلوم من مخلوقات جماعات المرتزقة الحرّة، وليس أكثر من هجين ودود الطّابع له وجه بُني عريض وأنف مكسور وشعر أشيب زغب، وقد ورث من أمّه الدوثرائية عينها اللوزيتين الواسعتين الدّاكتين، ويَرعَم أن جزءاً منه من (جُزر الصّيف) وجزءاً براؤوسي، وجزءاً إيبينيزي، وجزءاً كوهوري، وجزءاً دوثرافي، وجزءاً دورني، وجزءاً وستروسي، لكن هذه هي المرّة الأولى التي تسمع فيها أن فيه شيئاً من دماء تارجارين.

- «كان هناك بلوم قديم في ممالك غروب الشّمس تزوّج أميرةً من التّنين. حكّت لي جدّتي حكايته وقالت إنه عاش في عصر الملك إجون».

- «أي إجون؟ هناك خمسة اسمهم إجون حكموا (وستروس)». وكان ابن أخيها ليصبح السّادس لولا أن رجال الغاصب هشّموا رأسه على جدار.

- «خمسة؟ هذا مربك. لا أستطيع أن أحدّد الرّقم يا مليكتي، لكن بلوم القديم هذا كان لوردًا، ولا بُدّ أنه كان شهيرًا في تلك الأيام وحديث البلاد كلّها، لأنه - وأستميح صاحبة الجلالة عذرًا - كان يملك قضيبًا طوله ستّ أقدام».

رنت الأجراس الثّلاثة في ضفيرة داني حين ضحكت قائلةً: «تعني ستّ بوصات».

قال بن البني بجديّة: «أفدام. لو أنها بوصات فمن كان ليتكلّم عنه يا جلالة الملكة؟».

فهقّهت داني كطفلةٍ صغيرة وسألته: «هل قالت جدّتك إنها رأت تلك الأعجوبة؟».

- «تلك العجوز الشّمطاء لم تره. كانت نصف إيبينيزيّة ونصف دوثرائية، ولم تذهب إلى (وستروس) قط، لكن لا بُدّ أن جدّي أخبرها. قتله بعض الدوثرافي قبل أن أولد».

- «ومن أين أتى جدُّك بالحكاية؟».

قال بن البني: «ربما كانت واحدةً من حكايات الرّضاعة القديمة»، وهزّ كتفيه مردفًا: «أخشى أن هذا كلُّ ما أعرفه عن إجون الذي بلا رقم أو اللورد بلوم القديم وذكّره العظيم. الأفضل أن أعود إلى أبنائي».

قالت له: «افعل هذا».

حين غادرَ استلقت على وسائدها وقالت لدروجون وهي تحكّه بين قرنيه: «لو كنتم كبارًا كفايةً لطرتُ بكم إلى الأسوار وأذبتُ تلك الهاربي حتى تُصبح كتلةً مشوهةً». لكن سنينًا ما زالت أمامها حتى يكبر تنانينها ويكونوا صالحين للامتطاء. ومن سيمتطيهم عندما يكبرون؟ للتّنين ثلاثة رؤوس، وأنا برأس واحد. فكّرت في داريو. إذا كان هناك رجل يستطيع أن يغتصب امرأةً بعينه... لا شك أن داني تُشاطرُه الدّنب، فكثيرًا ما وجدت نفسها تختلس النّظر إلى التايروشي كلما اجتمع مجلس قادتها، وأحيانًا وهي ممتددة في فراشها ليلاً تتذكّر لمعة سنّه الذهبيّة عندما يبتسم، وتذكّر عينيه، وعينه الزرقاوين الباشتين. على الطّريق من (يونكاي) أتاها داريو بزهرة أو عُصين من نبات ما كلّ مساءً وهو يُقدّم لها تقريره، لمساعدتها على معرفة هذه الأرض على حدّ تعبيره؛ صَفصاف الدّبابير وورد الغسق والتّنعع البرّي وحرير الخاتون وأذن الأسد والرّتم والزّهر الشّائك وذهب الهاربي... وحاول أن يُجَنّبي رؤية الأطفال الموتى أيضًا. لم يكن يجدرُ به أن يفعل هذا، لكنه قصد أن يترفّق بها، كما أن داريو نهاريس يُضحكها، وهو ما لا يحدث مع السير چورا أبدًا.

حاولت أن تتخيّل ما سيحدث إذا سمحت لداريو بأن يُقبّلها كما فعل چورا على السّفينة، ووجدت الفكرة مثيرةً ومزعجةً في آن واحد. المخاطرة كبيرة جدًا. المرتزق التايروشي ليس بالرجل الصّالح، وهي ليست في حاجةٍ إلى أن يُخبرها أحد بهذا، وتعلم أن تحت ابتهاماته ودُعاباته تكمن خطورته وقسوته. سالور وپرنдал استيقظا ذات صباح وهما شريكاه، وفي الليلة نفسها أعطاهما رأسيهما. گال دروجو كان يقسو أحيانًا أيضًا، ولم يكن هناك رجل أخطر منه. وعلى الرغم من هذا أحبّته. أيمكن أن أحبّ داريو؟ وإذا أخذته إلى فراشي فماذا سيعني هذا؟ هل سيكون واحدًا من رؤوس التّنين الثلاثة؟

إنها واثقة بأن السير چورا سیغضب، لكن هو من قال أن تتزوج رجلین. ربما علیّ أن أتزوج الاثنين وأفرغ من كل هذا.

لكنها مجرد خواطر حمقاء. ثمّة مدينة لا بُدَّ أن تستولي عليها، وتخیل القُبلات وعینی المرتزق الزرقاوين اللامعتین لن یُساعدها علی اقتحام أسوار (میرین). ذکرت نفسها قائلة: أنا دم التین، لكن أفكارها ظلّت تطارد بعضها بعضاً فی دوائر كفأر یجری وراء ذیله، وفجأة لم تعد تُطیق البقاء فی حدود سُرادقها المقیّدة لحظةٍ إضافیّة. أریدُ أن أحسَّ بالریح علی وجهی وأشمّ البحر. نادّت میساندای وأمرتها بتجهیز فرسها الفضیّة وحصان لها یضاً. انحنّت المترجمة الصغیرة قائلة: «كما تأمر الملكة. هل أستدعی خیالة دمك لیحرسوك؟».

- «سنأخذ آرستان. لن أخرج من المخیمات». لیس هناك أعداء لها بین أطفالها، والمُرافق العجوز لن یظلل یثرثر کبلواس أو یُنظر إليها کداریو. یطلُّ بُستان أشجار الزیتون المحروقة الذی أقامت فیهِ سُرادقها علی البحر بین معسکر الدوثراکی ومعسکر المطهرین، ولما جهزت الخیول خرجت دانی ورفیقاها متحرکین بمحاذاة السّاحل بعيداً عن المدينة، وعلی الرغم من هذا شعرت بـ(میرین) وراء ظهرها تسخر منها، وحين نظرت من فوق كتفها رأتها تحت شمس الأصيل التي توهجت فیها الهاریبی العظيمة علی قمّة (الهرم الأكبر). بعد قلیل، وراء أسوار (میرین)، سیضطجع النّخاسون فی توکاراتهم الموشاة لیتلدّذوا بأكل الضّان والزیتون والجراء الأجنة والزّغبات<sup>(1)</sup> وغيرها من الأطایب، بینما یعانی أطفالها الجوع. أفعمها غضب مفاجئ وأفسمت للمدينة: سأسقطك.

تجاوزوا الخوازیق والخنادق التي تُحیط بالمعسکر، وسمعت دانی الدودة الرّمادی وعُرفاء المطهرین یُتابعون تدریبات إحدى الفرق علی التّرس والسّیف القصیر والحربة الثّقيلة، بینما كان أفراد فرقة أخرى یستحمّون فی البحر مرتدین ثياباً داخلیّة بیضاء من الكتّان. كانت قد لاحظت أن المخصّیین

(1) الزّغبة حیوان ثدی صغیر من القوارض ویُشبه السّنجاب، ومنه فصيلة تصلّح للأكل. (المترجم).

شديدو النَّظَافَة. بعض مرتزقتها تفوح منهم رائحة توحى بأنهم لم يغتسلوا أو يبدّلوا ثيابهم منذ خسر أبوها العرش الحديدي، أمّا المطهَّرون فيستحمّون كل مساءً حتى إذا كانوا يمشون طيلة النَّهار، وعندما لا يتوافر الماء يُنظفون أنفسهم بالرَّمْل كديدن الدوثر اكي.

ركع المطهَّرون إذ مرّت بهم ورفعوا قبضاتهم المضمومة إلى صدورهم، فردّت داني التَّحِيَّة. كان المَدُّ يعلو والأمواج المتكسِّرة تُزبد حول حوافر فرسها، ورأت سُفنها راسيةً بعيداً بعض الشيء، أقربها بأشرعته المَطْوِيَّة الكوج العظيم (بالريون) الذي حمل اسم (سادوليون) من قبل، وبعده الفادسان (ميراكسس) و(فاجهار) المعروفان فيما سبق بـ(مزحة چوسو) و(شمس الصَّيف). إنها سُفن الماچستر إلبيو في الواقع وليست سُفنها على الإطلاق، لكنها أطلّقت عليها أسماء جديدةٌ دون تفكير تقريباً، أسماء تنانين وأكثر، ففي (فاليريا) القديمة قبل هلاكها كان بالريون وميراكسس وفاجهار آلهةً.

جنوب أرض النُّظام، حيث الخوازيق والخنادق والتدريبات والمخصَّيين المستحمّين، تقع مخيّمات المحرَّرين، وهو مكان أكثر فوضى وضوضاء بكثير. كانت قد زوّدت العبيد السَّابقين قدر استطاعتها بالأسلحة التي استولت عليها من (أستاپور) و(يونكاي)، وقسّم السير چورا المقاتلين إلى أربع فرق قويّة، لكنها لم تر أيّ تدريبات هنا. مرّوا ببؤرة نار حطّبتها من الخشب المجروف اجتمع حولها مئة من النَّاس يشوون جثّة حصان، واشتمّت داني اللّحم وسمعت طقطقة الدُّهن وهم يُدوِّرون السَّيخ، لكن المنظر جعلها تعبس.

جرى الأطفال وراء خيولهم ضاحكين متواثبين، وبدلاً من التَّحِيَّات نادتها الأصوات من كلِّ جانب بمزيج من اللغات. دعاها بعض المعتقّين بـ«أمّاه»، على حين توّسل آخرون الهبات والعطايا، ودعا البعض آلهةً غريبةً أن تُباركها وطلبَ غيرهم منها أن تُباركهم. ابتسمت لهم وهي تتلّفت يميناً ويساراً وتلمس أيديهم المرفوعة وتسمح للرَّاكعين بأن يمشوا ركابها أو ساقها. معتقّين كثر يُؤمنون بأن في لمستها بركة، ولذا فكرت: فيلمسوني إذا بثّ فيهم هذا شيئاً من الشَّجاعة، فما زالت أماننا صعباً ومشاقاً...

كانت داني قد توقّفت لتكلّم امرأةً حُبلَى تُريد أن تُسمّي أم التَّنانين وليدها،

عندما مَدَّ أحدهم يده وأطبقَ على معصمها الأيسر، فالتفتت ورأت رجلاً طويلاً أشعث برأس حليق ووجهٍ لَوَّحته الشَّمْس، وبدأت تقول: «ليس بهذه الشَّدَّة...»، لكن قَبْلَ أن تُنهي كلامها جذبها الرَّجل بكلِّ بأسه من فوق السَّرج، وارتطمت بالأرض لِيُفرغ صدرها ما فيه من أنفاس بينما صهلت فَرسها الفُضِيَّة وتراجعت.

مذهولةً اعتدلت داني على جانبها ودفعت نفسها على مرفقها...  
... ثم رأت النَّصل.

قال الرَّجل: «ها هي الخنزيرة الخائنة. كنتُ أعرفُ أنك ستأتين لتغسلي قدميكِ بالْقُبَلات ذات يوم». رأسه أصلع كحَبَّة الشَّمَام، وأنفه أحمر متقرِّش، لكنها ميَّزت الصَّوت والعينين الخضراوين الشَّاحبتين. «سأبدأ بقطع ثديك». سمعت داني ببلادةٍ ميسانداي تصيح طالبةً النَّجدة، وتقدِّم أحد المعتقين وإنما خُطوة لا أكثر، فبضربةٍ واحدةٍ سريعة سقط على رُكبتيه والدم يجري من وجهه، ومسحَ ميرو سيفه على سراويله قائلاً: «مَنْ التَّالي؟».

- «أنا»، أجابه آرستان ذو اللحية البيضاء وهو يثب من فوق حصانه، ووقفَ فوقها والريِّح تنفث شعره الأبيض النَّاصع وقد أحاط عُكَّازُه الخشبي الصُّلب بكلتا يديه.

قال ميرو: «اسمع يا جدِّي، اهْرَبْ قبل أن أكسر عصاك وأدسُّها في...». حرَّك العجوز أحد طرفي العُكَّاز مموِّهاً وسحبَه وهوى بالطرف الآخر بسُرعةٍ لم تُصدِّقها داني، وتراجع نغل المارد متعنِّراً بين الأمواج وبصقَ الدَّم والأسنان المكسورة من فمه الخرب، ثم تقدِّم ذو اللحية البيضاء واضعاً داني وراءه. لَوَّح ميرو بسيفه في وجهه، لكنه وثبَ إلى الورااء متفادياً إياه بسُرعة القِط، وهوى بالعُكَّاز على ضلوع خصمه الذي ترنَّح لكنه عادَ ينقضُّ، ومالَ آرستان جانباً متحاشياً ضربةً دَوَّارةً وقفزَ متفادياً ضربةً ثانيةً وصدَّ الثالثة. كان حركاته خاطفةً أعجزت داني عن المتابعة، وكانت ميسانداي تُساعدُها على التُّهوض حين سمعت شيئاً يتحطم، وخطرَ لها أنه عُكَّاز آرستان إلى أن رأت العظمة النَّاتئة من رِبلة ساق ميرو المشقوقة، لكن نغل المارد تلوى وانقضَّ وهو يسقط مسدِّداً رأس السَّيف إلى صدر العجوز، الذي أراح النَّصل بحركة أدنى إلى الاحتقار قبل أن يهشَّم صُدغ ميرو بطرف عُكَّازِه، وسقطَ المرتزق

والدِّماء تتدفَّق من فمه لتكنسه الأمواج، وبعد لحظةٍ اكتنسه المحرِّرون بدورهم وهووا عليه بالسِّكاكين والحجارة والقبضات الغاضبة مهتاجين. أشاحت داني عن المنظر شاعرةً بالغثيان وقد تفاقمَ خوفها عمَّا كان والقتال دائر. كان سيقتلني.

ركعَ آرستان أمامها قائلاً: «جلالة الملكة، إنني عجوز مكلَّل بالعار. لم يكن يجب أن يقترب منك ويقبض عليك، لكنني تراخيتُ ولم أتعرفه دون شعره ولحيته».

- «ولا أنا تعرَّفته»، قالت داني والتقطت نفساً عميقاً لتتوقَّف عن الارتجاف مفكرةً: أعداء في كلِّ مكان. «أعدني إلى خيمتي من فضلك».

حين وصل مورمونت كانت متدثرةً بفروة الأسد وتشرب كوباً من النِّبيد المتبَّل، وبادرها السير چورا قائلاً: «ألقيت نظرةً على الشُّور المطلِّ على النُّهر. إنه أعلى من الأسوار الأخرى بوضع أقدام، وقويٌّ مثلها، كما أن الميرينزيين أرسوا دسنةً من الشُّفن الثَّقيلة المحمَّلة بقاذفات اللهب تحت المتاريس...».

قاطعته داني: «كان عليك أن تُبْهني إلى فرار نغل المارد».

ردَّ مقطّباً وجهه: «لم أرَ داعياً لإخافتك يا جلالة الملكة. لقد عرضتُ مكافأةً لمن يأتيني برأسه...».

- «ادفعها لذي اللِّحية البيضاء إذن. ميرو كان معنا طوال الطَّريق من (يونكاي)، حلق رأسه واختفى بين المحرِّرين منتظراً فرصة الانتقام. آرستان قتله».

حدجَ السير چورا العجوز بنظرةٍ طويلة قبل أن يقول: «مُرافق بعصا قتل ميرو البراقوسي؟».

قالت داني: «بعصا، لكنه لن يعود مُرافقاً. سير چورا، أريد أن يُنصَّب آرستان فارساً».

- «لا».

كان الرِّفض العالي الصَّريح مفاجئاً، والأغرب أنه أتى من الاثنين في آنٍ واحد.

شهرَ السير چورا سيفه قائلاً: «نغل المارد كان رجلاً بغيضاً خطيراً وبارعاً في القتل. من أنت أيها العجوز؟».



قال آرستان ببرود: «فارس أفضل منك».

فارس؟ حائرةٌ قالت داني: «لكنك قلت إنك مُرافق لا أكثر».

جثا على رُكبته مجيبًا: «كنتُ كذلك يا جلاله الملكة، خدمتُ اللورد سوان كمُرافقٍ في شبابي، وخدمتُ بلواس القوي بتوصيةٍ من الماچستر إيريو، لكن خلال السَّنوات بين هذا وذاك كنتُ فارسًا في (وستروس). إنني لم أكذب عليك يا مليكتي، لكن هناك حقائق حجبتها عنك، ولا يسعني إلا أن أتوسَّل أن تغفري لي هذا وكل خطاياي الأخرى».

لم يَرُق داني كلامه، وقالت: «وما الحقائق التي حجبتها؟ ستُخبرني بها الآن».

حتى رأسه قائلاً: «في (كَارث) حين سألتني عن اسمي قلت إنه آرستان، وهذا صحيح، فكثيرون دعوني بهذا الاسم وأنا وبلواس في الطريق شرقًا لتعثر عليك، لكنه ليس اسمي الحقيقي».

فكرت شاعرةً بارتباكها يفوق غضبها: تلاعب بي، تمامًا كما حذرتني چورا، لكنه أتقدَّ حياتي حالًا.

احتقنَ وجه مورمونت، وقال: «ميرو حلقَ لحيته لكنك أطلقت لحيتك، أليس كذلك؟ لا عجب أنك بدوت مألوفًا للغاية...».

تائهةً سألت داني الفارس المنفي: «هل تعرفه؟».

- «رأيتُه دستةً من المرَّات ربما... من بعيدٍ في أغلب الأحيان، واقفًا وسط إخوته أو راكبًا في مضممار النَّزال، لكن كلَّ رجلٍ في (الممالك السَّبع) يعرف باريستان الباسل»، ووضع مورمونت رأس سيفه على عُنق العجوز مواصلاً: «گاليسي، أمامك يركع السير باريستان سلمي، حضرة قائد الحرس الملكي الذي خانَ عائلتك ليخدم الغاصب روبرت باراثيون».

لم يطرف للفارس المسنَّ جفن وهو يقول: «الغراب يُعيِّرُ العُداف بلونه الأسود، وأنت من يتكلَّم عن الخيانة؟».

سألته داني بنبرة أمة: «ماذا تفعل هنا؟ إذا أرسلك روبرت لقتلي فلم أنقذت حياتي؟». لقد خدم الغاصب وخان ذكرى ريجار وتخلَّى عن فُسيرس ليعيش ويموت في المنفى، لكن إذا أراد موتي فما كان عليه إلا أن يقف ويتفرَّج... «أريدُ الحقيقة كاملةً الآن، بشرفك كفارس. هل أنت رجل الغاصب أم رجلي؟».

أجاب السير بارستان وفي عينيه الدُموع: «رجلك إذا قبلتني. لقد تلقيتُ عفواً من روبرت، نعم، وخدمته في حرسه الملكي ومجلسه، خدمتُ مع قاتل الملك وآخرين يُدانونه في السُوء ممَّن لَوَّثوا المعطف الأبيض الذي ارتديته، ولا عُذر لي في هذا. وربما كنتُ لأظلُّ أخدم في (كينجز لاندنج) الآن لو أن ذلك الصَّبي الكريه الجالس على العرش الحديدي لم يُنحني عن موقعي، ويُخجلني أن أترف بهذا. لكن حينما سلَّبتني المعطف الذي كساني به الثَّور الأبيض وأرسلَ رجاله لقتلي في اليوم ذاته فكأنه رفعَ الغمامة عن عيني، وعندها علمتُ أن عليّ أن أعرثر على الملك الحقيقي وأموت في خدمته...».

قال السير چورا بوجه مكفهر: «يُمكني أن أحقق لك هذه الأمانة».

قالت داني: «صمتًا. أريدُ أن أسمعهُ».

واصلَ السير بارستان: «ربما ينبغي لي أن أموت ميتة الخائن، وإذا كان لا مناص من هذا فلن أموت وحدي. قبل أن أتلقَى عفوَ روبرت قاتلت ضده في معركة (الثالوث)، وكنت أنت على الجانب الآخر من هذه المعركة يا مورمونت، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر إجابةً وتابع: «إنني أسفُّ لأنني ضللتك يا جلالة الملكة، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لمنع آل لانستر من المعرفة بانضمامي إليك. إنك مراقبة كما كان أخوك مراقبًا. اللورد فارس أبلغ عن كلِّ حركة لفيسرس طيلة أعوام، وفي أثناء وجودي في المجلس الصَّغير سمعتُ المئات من تقاريره، ومنذ تزوّجتِ گال دروجو وهناك واش إلى جانبك يبيع أسراركَ، يهمس بها إلى العنكبوت مقابل الذهب والوعود».

لا يُمكن أنه يقصد... قالت داني: «أنت مخطئ»، ونظرت إلى چورا مورمونت قائلةً: «قُل له إنه مخطئ، ليس هناك واش، قُل له يا سير چورا. لقد عبرنا (بحر الدوثراكي) معًا، والصَّحراء الحمراء...». كان قلبها يخفق كطائرٍ في شَرِك. «قُل له يا چورا، قُل له إنه أخطأ».

ألقي السير چورا سيفه الطويل على الأرض قائلاً: «فليأخذك (الآخرون) يا سلمى. گاليسي، كان هذا في البداية فقط، قبل أن أعرفك... قبل أن أحب...». صاحت متراجعةً عنه: «لا تقل هذه الكلمة! كيف استطعت؟ بِمِ وعدك الغاصب؟ بالذهب؟ أهو الذهب؟». لقد قال الخالدون إنها ستعرف الخيانة مرَّتين أخريين، مرَّةً من أجل الذهب ومرَّةً من أجل الحُب. «أخبرني بِمِ وعدك».

خفضَ رأسه مجيبًا: «فارس قال... إنني أستطيعُ العودة إلى الوطن». كنتُ سأخذك إلى الوطن! استشعرَ تنانينها غضبتها، وزأَرَ فُسيريون وتصاعدَ الدُّخان الرَّمادي من منخرية، وضربَ دروجون الهواء بجناحين أسودين، ولوى ريجال عنقه ورفعَ رأسه وتجشأَ لهبًا. حريُّ بي أن أقول الكلمة وأحرق الاثنين معًا. أليس هناك من يُمكنها أن تثق به؟ أما من أحدٍ يُحافظ على سلامتها؟ «أكلُ فُرسان (الممالك السَّبْع) زائفونٍ مثلكما؟ اخرُجًا قبل أن يُحرقكما تنانيني. تُرى ما رائحة لحم الكذَّاب المشوي؟ شنيعة كبالوعات بن البنيِّ؟ اخرُجًا!».

نهضَ السير باريستان بجمودٍ وبُطاء، وللمرَّة الأولى لاحت سِنُّه على ملامحه وهو يسألها: «أين نذهب يا جلالة الملكة؟».

- «إلى الجحيم، لتخدما الملك روبرت». أحسَّت داني بالدموع الحارقة على وجنتيها، وصرخَ دروجون ملوِّحًا بذيله. «فليأخذكما (الآخرون)». أرادت أن تقول: فليرحل كلاكما إلى الأبد. إذا رأيتهما مرةً أُخرى سأضربُ عنقكما أيها الخائنان، لكن لسانها لم يُطأوعها، وراحت تُفكر: خاناني، لكنهما أنقذاني، لكنهما كذبا... «اذهبا...». دَبِّي، دَبِّي القوي الشرس، ماذا سأفعلُ دونه؟ والعجوز صديق أخي... «اذهبا... اذهبا...». إلى أين؟ ثم إنها أدركت الإجابة.

## تيريون

ارتدى ثيابه في الظلام مصغيًا إلى أنفاس زوجته النَّاعمة وهي نائمة في فراشهما، وخطر له أنها تحلم عندما تمتمت بشيء ما بخفوت -اسم ربما، وإن كان صوتها أوهن من أن يميّزه- وانقلبت على جانبها. باعتبارهما رجلًا وامرأة فإنهما يتقاسمان فراش زوجيّة واحدًا، لكن هذا كل شيء. حتى دموعها تحتفظ بها لنفسها.

حين أبلغها بموت أخيها كان يتوقّع منها اللوعة والغضب، لكن ملامح سانزا ظلت ثابتة تمامًا حتى إنه خشي لحظةً أنها لم تفهم. بعدها فقط، وبينهما باب ثقيل من البلوط، سمعها تيريون تبكي، وفكر في الذهاب إليها لحظتها ليقدّم لها ما يمكنه من مواساة، لكنه امتنع مذكرًا نفسه: لا. إنها لن تتطلع إلى العزاء من ابن للانستر أبدًا. أقصى ما استطاع أن يفعله أنه حفظها من التفاصيل الأقيح للزفاف الأحمر التي أتتهم من (التوأمتين)، وقرّر أن سانزا ليست في حاجة إلى معرفة أنهم مثلوا بجثة أخيها وشوهوها، أو أن جثة أمّها قد ألقيت عارية في مياه (الفرع الأخضر)، في سخرية وحشيّة من شعائر عائلة تلي الجنائزيّة، فأخر ما يعوز الفتاة المزيد من الوقود لكوابيسها.

غير أن ما فعله لا يكفي. لقد سربلها بمعطفه وأقسم أن يحميها، لكن هذا كان مجرد دُعاية قاسية لا تختلف عن التّاج الذي تبنّته أولاد فراي على رأس دُثب روب ستارك الرّهب، بعد أن خيّطوه بجثمانه مبتور الرّأس. وسانزا تعلم هذه الحقيقة مثلما يعلمها. الطّريقة التي تنظر إليه بها، وجمودها كلما دخلت فراشهما... عندما يكون معها لا يستطيع أن ينسى ولو لحظةً من يكون أو ماذا يكون، تمامًا كما لا تنسى هي. ما زالت تذهب كل ليلة لتُصلي في

أبيكة الآلهة، ويبقى تيريون يتساءل إن كانت نُصَلِّي لموته. الفتاة فقدت وطنها ومكانها في العالم وكل من أحببهم أو وثقت بهم. تقول كلمات عائلة ستارك إن الشتاء قادم، ولقد أتاهم بالفعل محملاً على أجنحة الانتقام. لكن صيف عائلة لانستر في أشده، فلم أشعرُ بكل هذا البرد؟

انتعل حذاه وثبت معطفه بمشبك على شكل رأس أسد، ثم خرج إلى الرُواق المضاء بالمشاعل. على الأقل أتاح له زواجه الهرب من (حصن ميجور)، فالآن وقد أصبحت له زوجة وأهل بيت وافقه أبوه على أنه يتطلب مسكنًا أنسب، وفجأة وجد اللورد جايلز نفسه مجردًا من مسكنه الفسيح على قمة (برج المطابخ)، وهو مسكن فاخر حقًا، يضم غرفة نوم واسعة وغرفة شمسية ملائمة، وحمّامًا وغرفة تبديل ملابس لزوجته، بالإضافة إلى غرف صغيرة ملاصقة لپود ووصيفات سانزا، وحتى غرفة برون عند السلالم فيها نافذة أو ما هو أقرب إلى نافذة. إنها فتحة لإطلاق السهام، لكنها تسمح بدخول الضوء على الأقل. صحيح أن مطبخ القلعة الرئيس يقع عبر الساحة مباشرة، إلا أن تيريون وجد أنه يُفضّل تلك الروائح والأصوات لدرجة لا تُقاس على مشاركة أخته (حصن ميجور)، وكلما قلت رؤيته سرسي زادت سعادته.

سمع غطيط بريلا وهو يمرُّ بحجيرتها، الغطيط الذي اشتكت منه شاي لكنه وجدته ثمنا زهيدا. كان فارس هو من اقترح عليه المرأة، وقال إنها كانت تُدير مسكن اللورد رنلي في المدينة فيما مضى، وهو ما مرسها في أن تكون عمياء وصمًا وبكماء.

أشعل شمعةً وشق طريقه إلى سلالم الخدم، ونزل سامعًا وقع قدميه فقط في الطوابق الأدنى من طابقه، حتى بلغ الطابق السفلي وتجاوزته متوغلاً تحت الأرض، ثم خرج في قبو معتم له سقف حجري مقنطر. أغلب القلعة متصل تحت الأرض، و(برج المطابخ) ليس استثناءً، وهكذا سار تيريون متمائلاً في ممرٍ طويل مظلم إلى أن وجد الباب الذي يُريده ودفعه.

وفي الدّاخل كانت جماجم التنانين تنتظره، ومعها شاي التي قالت: «حسبت سيدي نسيني». كان ثوبها معلقاً على سنٍّ سوداء تكاد تُناهزها طوياً، وقد وقفت عارية بين فكّي التنين. بالريون. أم أنه فاجهار؟ لا فرق، فجمامج التنانين كلها تتشابه.

مجرّد منظرها آثاره، وقال لها: «تعالى من عندك».  
 رسمت أكثر ابتساماتها خبثًا على شفيتها قائلة: «لا. أعرف أن سيدي  
 سيُنقِذني من فكّي الثنّين»، لكن حين دنا منها مالت ونفخت مطفئة الشمعة.  
 - «شاي...»، قال مادًا يده، لكنها دارت وتملّصت منه، وأتاه صوتها من  
 يساره يقول: «يجب أن تُمسِكيني. لا بُدَّ أن سيدي لعبَ (وحوش وعداري)  
 في صغره».

- «هل تقولين إنني وحش؟».

الآن أصبحت وراءه، تتحرّك بخطوات رقيقة على الأرض وتقول: «لو  
 أنك وحش فأنا عذراء، لكن عليك أن تُمسِكيني رغم ذلك».  
 في النهاية أمسكها، وإنما فقط لأنها سمحت له، وحين ارتمت بين ذراعيه  
 كانت أنفاسه متقطّعةً ووجهه محتقنًا بالدماء من جرّاء تخبّطه بين جماجم  
 الثنّانين، لكنه نسي كلَّ هذا في لحظةٍ لَمَّا ضغطتْ ثدييها الصّغيرين على وجهه  
 وأحسَّ بحلمتيها المتصببتين على شفتيه والندبة التي تحتل مكان أنفه. سحبها  
 تيريون إلى الأرض، وإذ ولجها شهقت قائلة: «عملاقي، عملاقي أتى يُنقِذني».  
 بعدها، وهما مستلقيان متعانقان وسط الجماجم، أراح رأسه على رأسها  
 مستنشقا رائحة شعرها الناعم النّظيفة، وعلى مضضٍ قال: «يجب أن نعود.  
 الفجر على وشك الطلوع، وقريبًا ستستيقظ سانزا».

قالت شاي: «عليك أن تسقيها نبيد الثّوم كما تفعل الليدي تاندا مع  
 لوليس. كوب واحد قبل أن تخلد إلى الثّوم ويُمكننا أن نتضاجع إلى جوارها  
 على السرير دون أن تصحو»، وقهقهت متابعه: «ربما يجدر بنا أن نفعل هذا  
 ذات ليلة. ما رأي سيدي؟»، وحركت يدها إلى كفه وبدأت تُدلك عضلاته  
 قائلة: «عُنقك متصلب كالحجر. ما الذي يُكدرُك؟».

لم يكن تيريون يرى أصابعه أمام وجهه، لكنه راح يعدُّ همومه عليها قائلاً:  
 «زوجتي، أختي، ابن أختي، أبي، آل تايرل»، وانتقل إلى يده الأخرى مواصلاً:  
 «فارس، بايسل، الإصبع الصّغير، أفعوان (دورن) الأحمر»، ولَمَّا وصلَ إلى  
 إصبعه الأخيرة قال: «الوجه الذي ينظر إليّ من الماء كلما اغتسلت».  
 لثمت أنفه المشوّه، وقالت: «وجه شجاع، وجه طيّب وجميل. ليتني أراه  
 الآن».

في صوتها براءة العالم كلها. براءة؟ أيها الأحمق، إنها عاهرة، كل ما تعرفه عن الرجال هو ما بين سيقانهم. أحمق، أحمق. قال تيريون: «أوثر أن أرى أنا وجهك»، واعتدل جالسًا، وأردف: «أمانا يوم طويل. لم يكن عليك أن تُطفئي الشمعة. كيف سنجد ملابسنا الآن؟».

أجابت ضاحكة: «فلتخرُج عاريين إذن».

وإذا رأنا أحد سيثنفك السيد والدي. تعيين شي واحد من وصفات سانزا منحه عُذراً لأن يُرى وهو يتكلم معها، لكن تيريون لم يُوهِم نفسه بأههما آمنان، وقد حذره فارس قائلاً: «لقد أعطيت شي تاريخًا زائفاً، لكنه كان للوليس والليدي تاندا، أما أختك فأكثر ميلاً للشك، وإذا سألتني عمّا أعرفه...».

- «سترُدُّ بكذبة ذكيّة ما».

- «لا، سأقول لها أن الفتاة تابعة معسكرات تحصّلت عليها قبل معركة (الفرع الأخضر) وأحضرتها معك إلى (كينجز لاندنج) خلافاً لأمر السيد والدك المباشر. لن أكذب على الملكة».

- «لقد كذبت عليها من قبل، فهل أخبرها بهذا؟».

تنهّد الخصيُّ قائلاً: «قولك هذا يجرحني أكثر من سكين يا سيّدي. لقد خدمتك بإخلاص، لكن عليّ أيضاً أن أخدم أختك حينما أستطيع. في رأيك كم من الوقت ستتركني أنتفس إذا لم أعد أمثل لها نفعاً بأيّ شكل؟ إنني بلا مرتزق قوي يحميني أو أخ شجاع يثار لي، وليس لي إلا بعض الطيور الصغيرة التي تهمس في أذني، وبهذه الهمسات أجدد شراء حياتي كل يوم».

- «اعذرنِي إذا لم أذرف الدمع عليك».

- «سأفعل، لكن عليك أن تعذرنِي إذا لم أذرف الدمع على شي. أعترف

بأنني لا أفهم ما تراه فيها ويجعل رجلاً ذكياً مثلك يتصرّف بهذا التهور».

- «كنت لتفهم لو أنك لست خصيًّا».

قال فارس: «هكذا إذن؟ إمّا أن يملك الرجل عقلاً وإمّا أن يملك قطعة من

اللحم بين ساقيه؟»، وقهقهة مضيّفاً: «ربما عليّ أن أشعر بالامتنان لأنهم قطعوا أعضائي إذن».

العنكبوت كان محقّقاً. تحسّس تيريون الظلام المسكون بالتنانين بحثاً

عن ثيابه الدَّاخِلِيَّةِ وهو يَشْعُرُ بالبؤسِ. هذه المخاطرة التي أَقبلَ عليها تركته مشدودًا كالطَّبلَةِ، وفي نفسه يعتمَلُ الذَّنْبُ أيضًا. ففكر وهو يرتدي قميصه: فليأخذ (الأخرون) ذنبي. لماذا أشعرُ بالذَّنْبِ؟ زوجتي لا ترغب فيَّ على الإطلاق، وبخاصَّةٍ أكثرَ جزءٍ مني يرغب فيها. ربما الأخرى به أن يُخبرها بأمرٍ شاي. إنه ليس أول رجل تكون له عشيقَةٌ، وحتى أبو سانزا الذي كان آيَّةً في الشَّرَفِ أنجبَ لها أختًا نعلًا. على حدِّ علمه قد تبتهج زوجته لحقيقة أنه يُضاجع شاي، ما دامَ هذا يُجنِّبها لمسته المنفِّرة.

لا، لن أجرؤ. سواء أكانت بينهما عهود زواج أم لم تكن، فلا يستطيع أن يثق بزوجه. قد تكون سانزا بكرًا بين السَّاقين، لكنها ليست بريئةً من الخيانة على الإطلاق، وقد سبقَ لها أن وشتَ بخطط أبيها لسرسي، كما أن الفتيات في سنِّها لسنَّ شهيرات بالكتمان.

الوسيلة المأمونة الوحيدة أن يُخلِّص نفسه من شاي. ففكر متردِّدًا: ربما أرسلها إلى شاتايا. في ماخور شاتايا ستجد كلَّ ما تشتتهي من حرير وجواهر، علاوةً على ألطف الزبائن الثبلاء حاشيةً، وستكون حياتها أفضل كثيرًا جدًّا مما كانت عندما وجدها.

وإذا تعبت من كسب رزقها على ظهرها فيمكنه أن يُرتِّب لها زيجَةً. برون ربما؟ لم ينكف المرتزق قط عن الأكل من طبق سيِّده، ثم إنه فارس الآن، أي أنه زوج أفضل مما يُمكنها أن تأمل على الإطلاق. أو السير تالاد؟ لقد لاحظته تيريون يتطلَّع إلى شاي بحنين أكثر من مرَّة. ولمَ لا؟ إنه فارغ الطول وقويٌّ ووسيم الطلعة، وفارس شابٍ موهوب من رأسه إلى قدميه. لكن بالطبع لا يعرف السير تالاد عن شاي إلا أنها وصيفة حسناء شابَّة تخدم في القلعة. إذا تزوجها ثم علم أنها عاهرة...

- «أين أنت يا سيدي؟ هل أكلتك التنانين؟».

مدَّ يده يستند إلى جمجمة قائلًا: «لا، أنا هنا. عثرتُ على فردة حذاء،

لكنها لك».

- «صوت سيدي واجم للغاية. ألم أُرْضِك؟».

أجاب بنبرة مقتضبة أكثر من اللازم: «إنك تُرضيني دائمًا». وهنا تكمن الخطورة. ربما يُفكِّر في أن يصرفها في مثل هذه الأوقات، لكن الفكرة لا



تدوم طويلاً أبداً. رأى تيريون حدود جسدها في العتمة وهي تسحب جورياً من الصوف على ساقها النحيلة، فقال لنفسه: الرؤية تتضح. كان ضوء باهت يتسرّب من صفّ الثؤاخذ الطويلة الضيّقة في أعلى جدار القبر، وبدأت جماجم تنانين آل تارجارين تَبْرُغ من الظلام حولهما، سوداء في بحر من الرمادي. «النّهار أتى سريعاً جداً». يوم جديد، عام جديد، قرن جديد. لقد نجوت من معركة (الفرع الأخضر) و(النّهر الأسود)، وبالتأكيد يُمكنني أن أنجو من يوم زفاف الملك جوفري.

التقطت شيئا ثوبها من على سِنِّ الثّنين وارتدته قائلة: «سأصعدُ أولاً. ستحتاج بريلا إلى مساعدتي على تجهيز مياه الاستحمام»، ثم مالت تطبع قبلةً أخيرةً على جبينه، وقالت: «عملاتي اللانستر، أحبّك». وأنا أيضاً أحبّك يا خلوتي. عاهرة هي، لكنها تستحقُّ أفضل مما يمنحها إياه. سأزوجهما السير تالاد. إنه يبدو رجلاً لطيفاً، ثم إنه طويل...



## سانزا

قالت لنفسها بخمول: كم كان حُلْمًا جميلًا. في منامها رأت نفسها في (ويتترفل)، تجري في أَيْكَة الألهة مع ذئبتها ليدي، وكان أبوها هناك، وإخوتها أيضًا، وكلهم دافئون آمنون. ياليت الأحلام تُصبح واقعًا...  
أزاحت أغطيتها مفكرةً: يجب أن أتحدى بالشجاعة. قريبًا سينتهي عذابها بوسيلةٍ أو بأخرى. لو كانت ليدي هنا لما خفتُ. لكن ليدي ماتت، ومات روبر وبران وريكون وآريا وأبوها وأمها، وحتى السَّيِّئة موردن. كلهم ماتوا إلّاي. إنها وحيدة في العالم الآن.

لم يكن السيّد زوجها إلى جوارها، لكنها اعتادت هذا، فتيريون لا ينام إلّا قليلاً، وغالبًا ما يستيقظ قبل الفجر. عادةً تجده في عُرفته السَّمسيَّة حائياً ظهراً إلى جوار شمعةٍ ومستغرقاً في مخطوطةٍ قديمةٍ أو كتابٍ مغلفٍ بالجلد، وأحياناً تأخذه رائحة الخُبز الطَّازج في الصُّباح إلى المطابخ، وفي أحيانٍ أخرى يصعد إلى حديقة السُّطح أو يجول حول بُرج (مشية الخونة) الذي يضمُّ مدخل الزَّنازين.

دفعت مصراعِي النَّافذة وارتجفت إذ سرت القشعريرة على ذراعها. كان السَّحاب يحتشد في الشُّرق وتخلَّله خيوط من ضوء الشَّمس. يبدو كفلعتين ضخمتين هائلتين في سماء الصُّبح. رأت أسوارهما الحجر المتهدمة وحصونهما القويَّة وراياتهما السُّبْحِيَّة تخفق أعلى الأبراج وترتفع إلى النُّجوم التي تخبو بسرعة، ولَمَّا بدأت الشَّمس تطلع من ورائهما شاهدت سانزا لونها يستحيل من الأسود إلى الرمادي إلى ألف درجةٍ من الوردية والذهبي والقرمزي، وسرعان ما مزجتهم الرِّيح معاً فأصبحتا قلعةً واحدةً بدلاً من اثنتين.

سمعت الباب يفتح وقد جلبت وصيفتها الماء الساخن من أجل حمّامها. كلتاها حديثتا العهد في خدمتها، بما أن تريون صرف النسوة الأخريات قائلًا إنهن يتجسّسن لحساب سرسي جميعًا، تمامًا كما شكّت دائمًا. قالت لهما: «انظرا، هناك قلعة في السماء».

تقدّمتا لتلقيًا نظرةً، وقالت شيّاي: «إنها من الذهب. قلعة من الذهب الخالص، منظر أحبُّ أن أراه». للفتاة شعر داكن قصير وعينان جريبتان، وتلبّي كلَّ ما يُطلب منها، لكنها ترمي سانزا أحيانًا بنظرات في غاية الوقاحة. زرّت بريلا عينيها قائلةً: «أهي قلعة؟ يبدو أن هذا البرج متداعٍ. إنها أنقاض».

لم تُرد سانزا أن تسمع شيئًا عن الأبراج المتداعية وأنقاض القلاع، فقالت وهي تُغلق النّافذة: «علينا حضور إفطار الملكة. هل السيّد زوجي في عُرفته الشمسيّة؟».

أجابت بريلا: «لا يا سيّدي، لم أره». وأضافت شيّاي: «ربما ذهب لرؤية أبيه، ربما احتاج يد الملك إلى نصيحته».

تنشّقت بريلا قائلةً: «ليدي سانزا، الأفضل أن تضعي نفسك في الحوض قبل أن يفتّر الماء».

تركت سانزا شيّاي تخلع غلالة النّوم، ثم نزلت في الحوض الخشبي الكبير شاعرة بالرغبة في أن تطلب كأس نبيذ لتهدئ أعصابها. عندما يتصّف النهار سيتمّ الزّفاف في (سپت بيلور الكبير) على الجانب الآخر من المدينة، وبحلول المساء ستقام المأدبة في قاعة العرش في حضور ألف ضيف يستمتعون بسبعة وسبعين صنفًا من الطّعام وعروض المطربين والحواة والممثلين، لكن قبل هذا هناك الإفطار في قاعة حفلات الملكة، الذي سيحضره آل لانستر ورجال تايرل (نساء تايرل سيتناولن إفطارهن مع مارچري)، بالإضافة إلى مئةٍ وثيّف من الفرسان واللوردات. قالت سانزا لنفسها بمرارة: جعلوني من آل لانستر مثلهم.

أرسلت بريلا شيّاي لإحضار المزيد من الماء الساخن، وقالت لسانزا وهي تغسل ظهرها: «إنك ترتعشين يا سيّدي».

رَدَّتْ كاذبَةً: «الماء ليس ساخناً كفاية».

كانت وصيفتها تُسَاعِدُهَا على ارتداء ثيابها حين ظهرَ تيريون وفي أعقابهِ  
پودريك پاين، وقال لها: «تبدين جميلة يا سانزا»، ثم التفتَ إلى مُرافِقِهِ قائلاً:  
«پود، صُبَّ لي كأساً من النَّبيذ من فضلك».

قالت سانزا: «سيكون هناك نبيذ على الإفطار يا سيدي».

أجابها القزم: «وثمة نبيذ هنا. لستِ تتوقعين أن أواجه أختي وأنا مستفيق،  
ليس كذلك؟ إنه قرن جديد يا سيدي، العام الثلاثمئة منذ غزوة إجون»،  
والتقط كأس النَّبيذ الأحمر من پود ورفعها عاليًا مضيئًا: «نخب إجون. يا له  
من رجل محظوظ. أختان وزوجتان وثلاثة تنانين كبيرة، وهل يتمنى المرء  
أكثر من هذا؟»، وشرَبَ ومسحَ فمه بظُهر يده.

لاحظت سانزا أن ملابس العفريت مجعّدة متسخة كأنه نامَ فيها، فقالت:  
«هل سُبْدَلُ ثيابك بأخرى نظيفة يا سيدي؟ سترتك الجديدة جميلة حقًا».  
قال تيريون: «السُّترَة جميلة، نعم»، ووضعَ الكأس جانبًا مردفًا: «هيا بنا يا  
پود، لنرَ إن كانت عندي ثياب تجعلني أبدو أقلَّ تقزُّمًا، فلستُ أريدُ أن أُخجل  
السَّيِّدة زوجتي».

وحين عادَ العفريت بعد فترة قصيرة كان حسن البزّة بما فيه الكفاية، بل  
وبدا أطول قامَةً بعض الشيء، كما بدّل پودريك پاين ثيابه أيضًا، وعلى سبيل  
التَّغيير كادَ يبدو كمرافقٍ حقيقي، وإن أفسدت بثرة حمراء كبيرة إلى جوار  
أنفه تأثير ثيابه الأرجوانيَّة والبيضاء والذهبيَّة الأنيقة. إنه صبيٌّ خانع حقًا.  
في البدء تعاملت سانزا بحذر مع مُرافِقِ تيريون باعتباره من عائلة پاين وابن  
عمِّ السير إلين الذي قطعَ رأسَ أبيها، لكنها أدركت بعد مدَّة لم تَطُل أن پود  
يهاها كما تهاب ابن عمِّه، وكلما خاطبته يحتقن وجهه حتى يبدو على وشك  
الانفجار. سألته بأدب: «هل الأرجواني والذهبي والأبيض ألوان عائلة پاين  
يا پودريك؟».

أجابَ بوجهٍ متورّد خفضه إلى قدميها: «لا. أقصدُ نعم، الألوان. رمزنا  
مربّعات أرجوانيَّة وبيضاء يا سيدي، بعمّلات ذهبيَّة في المربّعات، في  
المربّعات الأرجوانيَّة والبيضاء».

قال تيريون: «هناك حكاية وراء تلك العمّلات. لا شك أن پود سيُوح بها

لأصابع قدميك ذات يوم، لكنهم ينتظروننا في قاعة حفلات الملكة الآن، فهلأ ذهبنأ؟».

راودت سانزا رغبة في الاعتذار عن الذهاب. يُمكنني أن أقول له إن معدتي متوعكة، أو إن نزيبي القمري قد أتى. لا تُريد شيئأ الآن أكثر من العودة إلى الفراش وإغلاق الستائر حولها، لكنها قالت لنفسها: علي أن أكون شجاعأ مثل روب، وتأبطت ذراع زوجها بجمود.

في قاعة الملكة تناولوا فطورأ من كعكات العسل المخبوزة بالتوت الأسود والمكسرات، ولحم الخنزير المدخن واللحم المقدد، وأصابع السمك المحمرة بالبسماط، والكمثرى الخريفية، وطبق دورني من البصل والجبنة والبيض المفروم بالفلفل الحريف. علق تيريون فيما ملئت أطباقهم: «لا شيء يفتح الشهية لوليمة من سبعة وسبعين صنفا كإفطار دسم». صاحبت الطعام أباريق من الحليب والبتع والتبند الذهبي الخفيف المحلي، وتحرك الموسيقيون وسط الموائد عازفين على المزامير والتأيات والقرب، بينما توابت السير دونتوس على حصانه الخشبي المصنوع من عصا مكنسة، وأصدر فتى القمر أصوات ضراط من فمه ورفع عقيرته بأغان فجة عن الضيوف.

لاحظت سانزا أن تيريون لم يمست الطعام تقريبا، وإن تجرع عدة كؤوس من التبند، أمأ هي فجربت شيئأ من البيض الدورني فحرق الفلفل فمها، وفيما عدا هذا قضمت القليل من الفواكه والسمك وكعكات العسل. كلما نظر إليها چوفري تهيجت معدتها وأحست كأنها ابتلعت وطواطا.

عندما رُفعت الأطباق قدمت الملكة لچوفري معطف الزوجة الذي سيضعه على كتفي مارچري، وقالت بوقار: «إنه المعطف الذي ارتديته حين اتخذني روبرت ملكة له، والمعطف نفسه الذي ارتدته أمي الليدي چوانا يوم رُفت إلى السيد والدي». خطر لسانزا أنه يبدو مهترأ في الحقيقة، ولكن ربما لأنه استعمل من قبل.

ثم حان وقت الهدايا. من تقاليد (المرعي) أن تُقدم للعروسين صبيحة زفافهما، وغدا سيتلقيان المزيد منها كزوجين، لكن هدايا اليوم لكل منهما على حدة.

من چالابار شو تلقى چوفري قوسًا عظيمًا من الخشب المذهب وكنانة من السهام الطويلة ذات الريشات الخضراء والقرمزية، ومن الليدي تاندا حذاء ركوب مرناً، ومن السير كيقان سرج نزال أحمر جلدًا شديد الأناقة، ومن الأمير أوبرين الدورني مشبكًا من الذهب الأحمر مطرّق على شكل عقرب، وركابين فضيين من السير أدام ماربراند، وسرادق مباريات من الحرير الأحمر من اللورد مائيس روان، أمّا اللورد باكستر ردواين فقدّم نموذجًا خشبيًا جميلًا للقادس الحربي ذي الممتي مجذاف الذي يُبنى الآن في (الكرمة)، وقال: «بعد إذن صاحب الجلالة، سنسمّي السفينة (بسالة الملك چوفري)»، فأبدى چوف رضاه البالغ قائلاً: «سأجعلها سفينة القيادة حين أبحرُ إلى (دراجونستون) لأقتل عمّي الخائن ستانيس».

يلعب دور الملك الأيس اليوم. تعرف سانزا أن چوفري يتصرّف بدمائة عندما يُناسبه هذا، وإن بدا أنها تُناسبه أقل فأقل، وبالفعل تلاشت تمامًا من على ملامحه لمّا قدّم تيريون له هديّتهما المتمثّلة في كتاب قديم ضخّم عنوانه (سيرة أربعة ملوك)، مغلف بالجلد ومزّين بزخارف رائعة الجمال، وقد تصفّحه الملك بلا مبالاة متسائلًا: «وما هذا يا خالي؟». كتاب. تساءلت إن كان چوفري يُحرّك هاتين الشفتين الدوديتين الممتملتين عندما يقرأ.

أجاب زوجها الصّغير: «تأريخ المايستر الأكبر كايت لحكم كل من دايرون الثنتين الصّغير وبيلور المبارك وإجون غير الجدير ودايرون الصّالح». قال السير كيقان: «كتاب على كل ملك قراءته يا صاحب الجلالة». دفع چوفري المجلّد عبر المائدة قائلاً: «لم يكن لدى أبي وقت للكتب. إذا قلّت من القراءة يا خالي العفريت لكان في بطن الليدي سانزا طفل الآن»، وضحك... وحين يضحك الملك يضحك البلاط. «لا تحزني يا سانزا. بمجرد أن تحمل الملكة مارچري مني سأزورك في غرفة نومك لأري خالي الصّغير الطريقة».

احمرّ وجهها ونظرت بتوتّر إلى تيريون متخوّفةً مما سيقوله فيُحيل الموقف من سيئ إلى أسوأ كما حدث مع الإضجاع يوم زفافهما، لكن القزم اكتفى بملء فمه بالتّبيذ بدلًا من الكلام.

تقدّم اللورد مايس تايرل بهديّته: كأس ذهبيّة طولها ثلاثة أقدام، لها مقبضان محدّبان منمّقان وسبعة جوانب تلتمع عليها الأحجار الكريمة. قال أبو العروسي: «سبعة أوجه لممالك جلالتك السبع»، وعرض عليهم كيف يحمل يحتل رمز إحدى العائلات الكبرى كلّ وجه؛ أسد من الياقوت، ووردة من الزمرد، ووعل من الجزع، وسمكة ترويت من الفضة، وصقر من اليشب الأزرق، وشمس من الأوپال، وذئب رهيب من اللؤلؤ.

قال چوفري: «كوب بديع، لكن علينا أن نُزيل الذئب ونضع في مكانه حَبْرًا عليّ ما أعتقد»، فتظاهرت سانزا بأنها لم تسمع بينما رفع الكأس فوق رأسه ليتطلع إليها الجميع مردفًا: «مارچري وأنا سنشرب طويلًا خلال المأدبة يا حمائي».

دمدمَ تيريون بصوتٍ واطعى: «الشيء السخيف يُناهزني طولًا. سيشرّب چوف نصفه ويسقط سكرانًا». عظيم. ربما يكسر عنقه.

انتظرَ اللورد تاويين حتىّ النّهاية ليقدّم للملك هديّته. كانت سيفًا طويلًا، غمده من خشب الكرز والذهب والجلد الأحمر المزيّت، ومرصّع برؤوس أسودٍ ذهبيّة رأت سانزا أن أعينها من الياقوت. خيّم الصمت على قاعة الحفلات إذ استلّ چوفري السيف ورفعَه فوق رأسه، وومضت التّموجات السّوداء والحمراء في التّصل الفولاذي في ضوء الصّباح. أعلنَ مائيس روان: «مبهر».

وقال اللورد ردواين: «سيف جدير بالأغاني يا مولاي».

وأضاف السير كيثان لانستر: «سيف يليق بملك».

بدا چوفري كأنه يُريد أن يقتل أحدًا في التّوّ واللّحظة من فرط الحماسة التي اضطرت بها قسماته، وشقّ الهواء وضحك قائلاً: «لا بُدّ أن يكون للسيف العظيم اسم أيها السّادة! ماذا أسميه؟».

تذكّرت سانزا (ناب الأسد)، السيف الذي ألقتّه آريا في (الثالوث)، وتذكّرت (أكل القلوب) الذي جعلها تُقبّله قبل المعركة، وتساءلت إن كان سيجعل مارچري تُقبّل هذا.

راح الضيوف يصيحون بأسماء للسيف الجديد، ونبذَ چوفري دسّته منها

قبل أن يسمع واحدًا أعجبه، فصاح: «عويل الأرامل! نعم! وسوف يُرْمَلُ نساءٌ كثيراتٍ أيضًا!»، وعادَ يشقُّ الهواءَ متابعًا: «وعندما أواجهُ عمِّي ستانيس سيَشْطُر سيفه المسحور إلى نصفين»، ثم إنه جرَّب ضربةً من أعلى مجبرًا السير بالون سوان على التراجع مسرعًا، ودوى الضحك في القاعة للنظرة على وجه الفارس.

قال السير أدام ماربراند للملك: «حذارِ يا جلالة الملك، الفولاذ الثاليري حاد لأقصى درجة».

ردَّ چوفري: «أذكرُ هذا»، وبكلتا يديه هوى بـ(عويل الأرامل) على الكتاب الذي أهده تيريون إياه، وبضربةٍ واحدة انشقَّ الغلاف الجلدي الثَّقيل، وصاح الصَّبِي: «حاد! قلتُ لك إن الفولاذ الثاليري ليس غريبًا عليّ»، ثم عادَ يهوي على المجلد السَّميك عدَّة مرَّات حتى مزَّقه تمامًا، وحين فرغ كان يلهث. أحسَّت سانزا بزوجها يُقاوم غضبه بينما صاح السير أوزموند كِتْلَبلاك: «أتمنَّى ألا تُصَوِّب هذا النصل المريع إليَّ أبدًا يا مولاي».

قال چوفري: «احرص على ألا تعطيني سببًا أيها الفارس»، ونقرَ قطعةً من (سيرة أربعة ملوك) من على المائدة برأس السِّيف، ثم دَسَّ (عويل الأرامل) في غمده. قال السير جارلان تايرل: «جلالة الملك، ربما لم تكن تعلم، لكن في (وستروس) كلُّها لم تكن هناك إلا أربع نُسخ من هذا الكتاب المزخرف بيد كايث».

أجابَ چوفري وهو يحلُّ حزام سيفه القديم ليتمنطق بالجديد: «الآن هناك ثلاث. أنت والليدي سانزا مدينان لي بهديَّة أفضل يا خالي العفريت، هذه ممزَّقة عن آخرها».

حدَّق تيريون إلى ابن أخته بعينه غير المتمائلتين قائلاً: «سكِّين ربما يا مولاي، ليتماشى مع سيفك، خنجر من الفولاذ الثاليري أيضًا... بمقبضٍ من عظم التَّنين، ما رأيك؟».

رماه چوف بنظرةٍ حادَّة، وقال: «أيها... نعم، خنجر يتماشى مع سيفي، عظيم»، وأوماً مضيئًا: «مقبض... مقبض ذهبي مطعَّم بالياقوت. عظم التَّنين بسيط جدًّا».

قال تيريون: «كما تشاء يا جلالة الملك».



كان كأنه وحده في عُرفته الشَّمْسِيَّة من قَلَّة ما أعطى سانزا من انتباهه، لكن حين أتى وقت المغادرة إلى الزَّفَاف التقطَ يدها في يده.

لحقَّ بهما الأمير أوبرين الدورني وهما يقطعان السَّاحة، تتأبَّط ذراعاه خليلته ذات الشَّعر الفاحم التي تطلعت سانزا إليها بفضول. إنها ابنة غير شرعيَّة وعزباء وحملت ابنتين نغلتين للأمير، لكنها لا تخشى أن تنظر للملكة نفسها في عينيها مباشرة. كانت شيئا قد ذكرت لها أن إاريا تتعبَّد لرَبَّة حُبِّ لايسيئيَّة، وقالت: «كانت أدنى إلى العاهرة عندما وجدها يا سيِّدتي، والآن تكاد تكون أميرة». لم تكن سانزا على هذه المقربة من المرأة الدورنيَّة من قبل، ففكرت: ليست جميلة حقًّا، لكن فيها شيئًا ما يجتذب العين.

كان الأمير أوبرين يقول لزوجها: «ذات مرَّة أسعدني الحظُّ برؤية نُسخة (القلعة) مني (سيرة أربعة ملوك). الزَّخارف كانت مبهرَّة حقًّا، لكن كايت غالى في ترفقه بالملك فسيرس».

رمقه تيريون بحدَّة قائلاً: «غالى في ترفقه؟ إنه يضنُّ على فسيرس بلا حياء في رأيي. كان ينبغي أن يكون الكتاب (سيرة خمسة ملوك)».

قال الأمير ضاحكاً: «فسيرس حكم أقلَّ من أسبوعين».

- «بل حكم أكثر من عام».

قال أوبرين هازًا كتفيه: «عام أو أسبوعان، ما الفرق؟ لقد سمَّ ابن أخيه لينال العرش ولم يفعل شيئًا لمَّا ناله».

قال تيريون: «بييلور صامَّ وجوَّع نفسه حتى الموت، وعمُّه خدمه بإخلاص وهو يده كما خدم التَّنين الصَّغير قبله. ربما جلس فسيرس على العرش عامًّا فقط، لكنه كان الحاكم الفعلي طيلة خمسة عشر عامًّا في ما انشغل دايرون بالحرب وبييلور بالصَّلَاة»، وأضاف بامتعاض: «وإذا أزاح ابن أخيه حقًّا، فهل تلومه؟ كان على أحد أن يُنقذ البلاد من حماقات بييلور».

قالت سانزا مصدومة: «لكن بييلور المبارك كان ملكًا عظيمًا. لقد قطع (طريق العظام) حافي القدمين ليُقيم السَّلام مع (دورن)، وأنقذ الفارس التَّنين من جُحر ثعابين، لكنها رفضت أن تلدغه من فرط نقائه وتقواه».

ابتسم الأمير أوبرين قائلاً: «لو أنك أفعى يا سيِّدتي، فهل كنت لترغبين في لدغ عصا مهزولة كييلور المبارك؟ أوثر أن أدخر أنيابي لشيء أشهى...».

أسرعت إلاريا ساند تقول: «أميري يُعابثك يا ليدي سانزا. السِّبْتونات والمعنُون يقولون إن الثَّعابين لم تلدغ بيلور، لكن الحقيقة مختلفة تمامًا. لقد لدغته عشرات المرَّات، وكان يُفترض أن يموت».

قال تيريون: «ولو مات لطال حُكم فُسيرس سنينًا وعرفت (الممالك السَّبع) حياة أفضل. البعض يعتقد بشدَّة أن عقل بيلور اختلَّ من جرَّاء السُّم». قال الأمير أوبرين: «نعم، لكني لا أرى أيَّ ثعابين في (القلعة الحمراء)، فبِمَ تُبرِّر چوفري؟».

ردَّ تيريون: «أفضَّلُ ألا أفعل»، وحنى رأسه بجمودٍ مردفًا: «بعد إذنك، هودجنا منتظر»، وساعد القزم سانزا على الصُّعود ثم لحقَّ بها بحركاتٍ خرقاء، وقال: «أغلقِ السِّتائر يا سيِّدتي إذا سمحت».

لم تكن ترغب في أن تحتجب عنها المناظر، فقالت: «أهذا ضروري يا سيِّدي؟ الطقس جميل جدًّا اليوم».

- «إذا رأني أهل (كينجز لاندنج) الكرام داخل الهودج فلربما يقذفونه بالرُّوث. أسدي كلينا معروفًا يا سيِّدتي وأغلقِ السِّتائر».

فعلت كما طلب، ثم ظلًّا صامتين مدَّة بينما بدأ الهواء يسخن ويفسد، قبل أن تجعل نفسها تقول: «أسفة لما حدثت لكتايك يا سيِّدي».

قال: «كان كتاب چوفري. ربما كان ليتعلم شيئًا أو اثنين لو قرأه»، وبدا مشغول البال وهو يُضيف: «كان عليَّ أن أعرف، كان عليَّ أن أرى... أشياء كثيرة جدًّا».

- «قد يسرُّه الخنجر أكثر».

عبس القزم فتقلَّصت نُدبته والتوت، وقال: «الصَّبي يستحقُّ خنجرًا بالفعل، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر إجابتها لحسن الحظِّ، وتابع: «چوف تنابذ مع أخيك روب في (ويتترفل). أخبريني، هل كانت هناك ضغينة بين بران وجلالته أيضًا؟».

حيرها السُّؤال، فقالت: «بران؟ تقصد قبل أن يسقط؟»، وحاوت أن تعود بذاكرتها إلى ذلك الزَّمن البعيد، قبل أن تقول: «بران كان صبيًّا جميلًا أحبَّه الجميع. أذكرُّ أنه تبارز مع تومن بسيفين خشب، لكنه كان مجرد لعب».

عادَ تيريون يغوص في صمته المضطرب، وسمعت سانزا صلصلة

سلاسل في الخارج فعرفت أن الشبكة الحديدية تُرْفَع، وبعد لحظة ارتفعت صيحة وبدأ هودجها يتحرك. أمعنت النظر إلى يديها المطويتين في حجرها وقد حُرِّمَت التَّفْرُجُ بمنظر المدينة، دون أن تغيب عنها نظرات عيني زوجها غير المريحة. لماذا يَرْمُقني بهذه الطريقة؟

- «لقد أحببت إخوتك مثلما أحبُّ چايمي».

أهذا فُخٌّ نصبه آل لانستر كي أعترف بخيانة ما؟ «إخوتي كانوا خونةً وذهبوا إلى قبور الخونة. حُبُّ الخائن خيانة».

أطلقَ زوجها نخيرًا ساخرًا، وقال: «روب رفعَ السِّلاح ضد ملكه الشَّرعي، وقانونًا جعله هذا خائنًا، لكن الآخرَين ماتا في سنِّ أصغر من أن يعرفا فيها معنى الخيانة»، ثم حَكَّ أنفه متسائلًا: «سانزا، هل تعرفين ماذا حدث لبران في (ويتترفل)؟».

- «بران سقط. كان يتسلَّق طول الوقت وأخيرًا سقط كما خشينا دائمًا، وقتله ثيون جرايچوي لكن فيما بعد».

تنهَّد تيريون قائلًا: «ثيون جرايچوي. السيِّدة والدتك اتَّهمتني ذات يوم ب... لن أثقلُ عليك بالتفاصيل الكريهة، لكنها اتَّهمتني جزافًا. إنني لم أودُّ أخاك بران قَطُّ، ولا أضمرُّ لك أيَّ أذى».

ماذا يُريدني أن أقول؟ «جيدٌ أن أعرف هذا يا سيِّدي». إنه يُريد شيئًا منها، شيئًا تجهله. يبدو كطفلٍ جائعٍ لكني لا أملكُ طعامًا أعطيه إياه. لماذا لا يدعني وشأني؟

مرَّةً أخرى حَكَّ تيريون أنفه المشوَّه، تلك العادة القبيحة التي تلفت النظر إلى وجهه القبيح، وقال: «لم تسأليني قَطُّ كيف ماتَ روب أو السيِّدة والدتك».

- «أ... أفضلُ ألا أعرف وألا طاردتني الكوابيس».

- «لن أقول المزيد إذن».

- «هذا... هذا لطف منك».

قال تيريون: «أوه، نعم، إنني اللُّطف مجسَّدًا، ولي باع في الكوابيس أيضًا».

## تيريون

التَّاجُ الجديد الذي أهدها أبوه إلى (العقيدة) أطول مرتين من الآخر الذي حطَّه الدهماء، مفخرة من البلُّور والذهب المغزول جعلت الصَّوء يَوْمِضُ وَيَبْرُقُ بألوان قوس قزح كلما حرَّك السِّتُون الأعلى رأسه، وإن تساءل تيريون كيف يحتمل الرَّجل وزنه الثَّقيل، لكن حتى هو أقرَّ مذعنًا بأن چوفري ومارچري شكلا زوجين في غاية البهاء وهما واقفان جنبًا إلى جنب بين تمثالي (الأب) و(الأم) المذهَّبين الشَّاهقين.

تجلَّت روعة حُسن العروس في فُستان من الحرير العاجي والشَّرائط المايريَّة، تُورته مزينة بأشكال زهرية من اللؤلؤ الصَّغير. باعتبارها أرملة رنلي كان من المتوقع أن ترتدي لونيَّ عائلة باراثيون، الذهبي والأسود، لكنها أتتهم كابنة تايرل، في معطف عذراء مفصَّل من المخمل الأخضر عليه مئة وردة من قماش الذهب. تساءل تيريون إن كانت عذراء حقًا، وأجاب نفسه: كأن چوفري سيعرف الفرق.

داني الملك عروسه في الألق إذ ارتدى سُترَةً من الوردية الدَّاكن تحت معطف من المخمل القرمزي القاني المزرکش بوعله وأسده، واستقرَّ التَّاج بنعومة فوق خُصلاته الشَّقراء، ذهب على ذهب. أنا من أنقذ له هذا التَّاج اللعين، فكَّر تيريون وهو ينقل ثقله بضيق من ساق إلى ساق، غير قادر على الوقوف بثبات.. شربتُ نبيذًا كثيرًا. كان عليه أن يتذكَّر أن يقضي حاجته قبل أن يتحرَّكوا من (القلعة الحمراء)، كما أنه بدأ يشعُر بأثار اللَّيلة التي قضاهَا مع شاي بلا نوم، لكن أقصى ما يُريده الآن أن يُطبق بيديه على عُنق ابن أخته الملوكي المقيت. الصَّبي قال متبجَّحًا إن الفولاذ الثَّاليري ليس غريبًا عليه، والسِّتونات لا

يَكْفُونَ عن الثَّرَثرة عن حُكْم (الأب في الأعلى) علينا جميعاً... وإذا تَلَطَّفَ (الأب) وسَقَطَ فوقِ چوفِ لیسحقه كالخُنْفسة فقد أصدَقهم.

كان يجب أن يرى الجواب منذ زمنٍ طويلٍ. مستحيل أن يُرسلِ چایمی رجلاً آخرَ یقتلُ بدلاً منه، وسرسي أذکی من تستخدم خنجرًا یمكن اقتفاء أثره إليها، أمّا چوفِ بكلِّ ما في نفسه من غطرسةٍ ووحشيةٍ وغباءٍ ووضاعةٍ... تذكّر صباحًا باردًا نزل فيه سلالم مكتبة (وينترفل) الخارجیة شديدة التحدُّر، لیجد الأمير چوفري یمزح مع كلب الصید عن قتل الذئاب. يومها قال: أرسلُ كلبًا لیقتلُ ذئبًا، لكن حتى چوفري لیس أحمق لدرجة أن یامر ساندور کلیچاین بقتل ابن إدارد ستارك، إذ كان الكلب لیذهب إلى سرسي ويُخبرها، وبدلاً من هذا وجد الصَّببي أجيًّا بين سفلة القوم من المُحاربين غير النظاميين والتُّجَّار وأتباع المعسكرات الذين أصدَّقوا أنفسهم برُكْب الملك في طريقه شمالاً. أبله أجرب علی استعدادٍ للمخاطرة بحياته في سبيل حظوة الأمير والقليل من المال. تساءل تيريون عن صاحب فكرة الانتظار حتى یرحل روبرت من (وينترفل) قبل ذبح بران. چوف علی الأرجح. لا بُدَّ أنه حسبها آيةٌ في الدَّهاء.

یذكر تيريون أن خنجر الأمير كانت له قبیعة محلاةً بالجواهر ونصل منقوش بالذهب، لكن علی الأقل لم یكن چوف بالغباء الذي یجعله یستخدمه، وإنما نَقَب عن غيره وسط أسلحة أبيه. كان روبرت باراثيون أرعن في سخائه، وكان لیعطي ابنه أيَّ خنجرٍ یريد إذا طلب... لكن تخمین تيريون أن الصَّببي أخذَه وحسب. لقد ذهبَ روبرت إلى (وينترفل) ووراءه ذیلٌ طويلٌ من الفرسان وأفراد الحاشية ومركبة ضخمة وقافلة أمتعة، ولا شك أن خادماً مجدداً ما حرص علی أن تُصاحب الملك أسلحته في حالة احتاجَ إلى أيِّ منها.

الخنجر الذي اختاره چوف بسيط، لا جواهر علی المقبض ولا نقوش ذهبيَّة أو فضيَّة علی النصل، ولم یستخدمه الملك روبرت قَطٍ وغالبًا نسي أنه یملكه، لكن الفولاذ الفاليري بئار، حدته قمينة بالغوص في الجلد واللحم والعضلات بضربة سريعة واحدة. الفولاذ الفاليري لیس غريبًا علیّ. لكنه كان غريبًا علیهِ بالفعل، أليس كذلك؟ وإلا لما اختارَ -بكلِّ بلاهةٍ- خنجر الإصبع الصَّغير دوناً عن غيره.

لكن السَّبب ما زال يُراوِغه. وحشيّة محضة ربما؟ إنها خَصلة يملك ابن أخته ذخيّرة وافرة منها. كان تيريون يُجاهد لكي لا يتقيّاً كلَّ ما شرَّبه من خمير أو يبول في سراويله، أو هذا وذاك، وعادَ يتملّم بضيق بالغ مفكراً أنه كان عليه أن يحفظ لسانه على الإفطار. الآن يعرف الصَّبي أنني أعرف. أفسم أن فمي الكبير هذا سيكون السَّبب في مماتي.

رُدِّدَت التُّدور السَّبعة والتَّمسَّت البركات السَّبْع وتبودِلت الوعود السَّبعة، وحين صدحت أغنيّة الرِّفاف ولم يتقدّم أحد ليعلن عن سبب للتفرقة بين العروسين، آن أو ان تبادل المعطفين، ونقل تيريون ثقله من ساق ناقصة النمو إلى الأخرى محاولاً أن يرى من بين أبيه وعمّه كيثان وهو يفكر: إذا كانت الآلهة تعرف العدل سيفسد چوفري الأمر. عمل على ألا ينظر إلى سانزا خشية أن تلوح المرارة في عينيه. كان يُمكنك أن تركعي عليك اللعنة. أكان عصياً عليك لهذه الدرّجة أن تثني رُكبتيّ ستارك اليباستين هاتين وتترُكيني أحتفظُ بشيء من كرامتي؟

خلع مايس تايرل معطف البُكورة عن كتفي ابنته بحنان، فيما تناول چوفري معطف العروس المطوي من أخيه تومن ونفضه بحركة مسرحيّة. الملك الصَّبي في الثالثة عشرة من العمر ويُناهِز عروسه التي تكبره بثلاثة أعوام طويلاً، ولا يحتاج إلى الوقوف على ظهر مهرّج، فكسا مارچري بالقرمزي والذهبي ومال عليها ليُنبت المعطف عند حلقتها، وبهذه البساطة انتقلت الفتاة من حماية أبيها إلى حمايته. لكن من سيحميها منه؟ رمق تيريون فارس الزهور الواقف مع رجال الحرس الملكي الآخرين مفكراً: خير لك أن يظل سيفك مسنوناً يا سير لوراس.

أعلن چوفري بنبرة رنانة: «بهذه القُبلة أتعهّد بحُبي!»، ولمّا رُدَّت مارچري الكلمات جذبها إليه وقبّلها طويلاً وعميقاً، وعادت أنوار قوس قزح ترُقص حول تاج السِّبتون الأعلى إذ رفع صوته الوقور، معلناً چوفري سليل عائلتي باراثيون ولانستر ومارچري سليلة عائلة تايرل جسداً واحداً وقلباً واحداً وروحاً واحدة.

عظيم، انتهينا، والآن لنعد إلى القلعة اللّعيّنة كي أتبول.

قاد السير لوراس والسير مرين الموكب إلى خارج السِّيت في درعيهما

البيضاوين ومعطفيهما النَّاصِعَيْنِ، ثم جاءَ الأميرُ تومن بسَلَّةٍ يَنْثُرُ مِنْهَا بَتَلَاتٍ  
إِلَى أَمَامِ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ، وَتَبَعَتِ الزَّوْجِيْنَ الْمَلِكَةَ سَرَسِي وَاللَّوْرِدَ تَايْرِلَ ثُمَّ  
أُمُّ الْعُرُوسِ مَتَابُطَةٌ ذِرَاعُ اللَّوْرِدِ تَايُوِيْنَ، وَتَحَرَّكَتْ مَلِكَةُ الْأَشْوَاكِ فِي أَعْقَابِهِمْ  
مَتَكْنَةً بِيَدٍ عَلَى ذِرَاعِ السَّيْرِ كَيْفَانِ لَانْسْتِرِ وَبِالْثَّانِيَةِ عَلَى عُكَّازِهَا، وَوَرَاءَهَا  
بِمَسَافَةٍ قَصِيْرَةٍ حَارِسَاهَا التَّوَامَانُ تَحْشُبًا لِأَنَّ تَقَعُ، وَبَعْدَهُمُ السَّيْرُ جَارِلَانِ  
تَايْرِلَ وَالسَّيْدَةَ زَوْجَتَهُ، وَأَخِيْرًا هُمَا. رَفَعَ تَيْرِيُونُ ذِرَاعَهُ لِسَانِزَا قَائِلًا: «سَيِّدَتِي»،  
فَالْتَقَطَتْهَا بِطَاعَةٍ وَإِنْ أَحْسَسَ بِجَمُودِ الْفَتَاةِ وَهَمَا يَقْطَعَانِ الْمَمْشَى مَعًا دُونَ أَنْ  
تَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلَوْ مَرَّةً.

سَمِعَهُمْ يَهْلَلُونَ فِي الْخَارِجِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْبَابَ. الْغَوْغَاءُ يُحِبُّونَ مَارْچَرِي  
لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنَّ يُحِبُّوْا چَوْفَرِي ثَانِيَةً، فَقَدْ كَانَتْ تَنْتَمِي فِي  
السَّابِقِ إِلَى رَنْلِي، الْأَمِيرِ الشَّابِّ الْوَسِيمِ الَّذِي عَادَ مِنْ وَرَاءِ الْقَبْرِ لِيُنْقِذَهُمْ،  
وَمَعَ مَجِيئِهَا تَدَفَّقَتْ مَحَاصِيلُ (هَائِجَارْدِنِ) الْوَفِيْرَةِ عَلَى (الطَّرِيْقِ الْوَرْدِيِّ) مِنْ  
الْجَنْوْبِ، وَلَا يَبْدُو أَنَّ الْحَمَقِيَّ يَذْكُرُونَ أَنَّ مَائِسَ تَايْرِلَ هُوَ مِنْ أَعْلَقِ (الطَّرِيْقِ  
الْوَرْدِيِّ) فِي بَادِيِ الْأَمْرِ وَسَبَّبَ مَجَاعَتَهُمْ.  
خَرَجَا إِلَى هَوَاءِ الْخَرِيْفِ الْجَافِ، وَقَالَ تَيْرِيُونُ مَا زَحَا: «خَشِيْتُ أَلَّا نَهْرَبَ  
أَبَدًا».

لَمْ تَجِدْ سَانِزَا خِيَارًا إِلَّا النَّظْرَ إِلَيْهِ، وَقَالَتْ: «أَنَا... نَعَمْ يَا سَيِّدِي، كَمَا  
تَقُولُ»، وَوَلَّخَ عَلَيْهَا الْحُزْنَ وَهِيَ تُرْدِفُ: «لَكِنِ الْمَرَاسِمُ كَانَتْ جَمِيْلَةً حَقًّا».  
وَمَرَاسِمُنَا لَمْ تَكُنْ. «سَأَكْتَفِي بِأَنَّ أَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ طَوِيلَةً. أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ  
إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَرِيحَ مِثَانَتِي الْمَسْكِينَةَ»، وَحَكَ جَدْعَةً أَنْفَهُ مُضِيْفًا: «لِيَتْنِي تَذَرَعْتُ  
بِمَهْمَّةٍ مَا تُخْرِجُنِي مِنَ الْمَدِيْنَةِ. الْإِصْبَعُ الصَّغِيْرُ كَانَ الذِّكْرِي فِينَا».

وَقَفَ چَوْفَرِي وَمَارْچَرِي مَحَاطِيْنِ بِفَرْسَانَ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ عَلَى قَمَّةِ  
السَّلَالِمِ الَّتِي تَنْصَدِّرُ السَّاحَةَ الرُّخَامِ الْوَاسِعَةَ، وَاحْتَجَزَ السَّيْرُ أَدَامَ وَذَوُو  
الْمَعَاطِفِ الذَّهِيْبَةِ الْجَمَاهِيْرِ، بَيْنَمَا تَطْلُعُ تَمَثَالُ الْمَلِكِ بِيَلُورِ الْمُبَارَكِ إِلَيْهِمْ مِنْ  
أَعْلَى بِسَمَاحَةٍ. لَمْ يَرَ تَيْرِيُونُ خِيَارًا إِلَّا الْإِنْضِمَامَ إِلَى الطَّابُورِ لِيُقَدِّمَ تَهَانَتَهُ،  
فَلْشَمَ أَصَابِعَ مَارْچَرِي وَتَمَنَّى لَهَا سَعَادَةَ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَلِحُسْنِ الْحَظِّ كَانَ هُنَاكَ  
آخَرُونَ وَرَاءَهُ فِي انْتِظَارِ دَوْرِهِمْ، فَلَمْ يَضْطُرَّ لِلْبَقَاءِ طَوِيلًا.

كَانَ هُوَ دَجَمَا قَابِعًا فِي الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ دَافِئًا لِلْغَايَةِ وَرَاءَ السَّتَائِرِ، وَلَمَّا بَدَأَ

يتحرّك استندَ تيريون إلى مرفقه على حين حملت سائرا إلى يديها. ليست أقلّ جمالاً من ابنة تايرل. شعرها بلون كستناء الخريف الغني، وعيناها بزُرقة أعين أولاد تلي العميقة، وقد صبغها الحزن بطابع من الهشاشة والشجن جعلها بشكل ما أكثر فتنة. أراد أن ينفذ إليها، أن يخترق درع الكياسة التي تقي نفسها بها. أهذا ما دفعه إلى الكلام؟ أم مجرد الحاجة إلى إلهاء نفسه عن امتلاء مئنته حتي الانفجار؟

- «كنتُ أفكرُ في أن نذهب إلى (كاسترلي روك) بعد أن تعود الطُرق آمنة». بعيداً عن چوفري وأختي. كلما فكر أكثر في ما فعله چوف بدسيرة أربعة ملوك) ازداد قلقه. كان يوجّه رسالةً، أوه، واضح تماماً. «سيسرني أن أريك (الشُرفة الذهبية) و(فم الأسد)، و(قاعة الأبطال) التي كنتُ ألعب فيها مع چايمي في صغرنا. ستسمعين الرعد من أسفل حيث يدخُل البحر...».

رفعت رأسها إليه بتودة فعلم ما تراه: الجبين البهيمي المنتفخ، وجدعة أنفه المسحوجة، والندبة الوردية المعوجة، والعينين غير المتماثلتين... أما عيناها هي فواسعتان وزرقاوان وخاويتان.

- «سأذهبُ حيثما يريد السيد زوجي».

- «كنتُ أملُ أن يسرك هذا يا سيدي».

- «سيسرني أن أسر سيدي».

زَمَ فمه قائلاً لنفسه: يالك من رجل ضئيل منفر. هل حسبت أنك ستجعلها ستبسم بالثرثرة عن (فم الأسد)؟ متى جعلت امرأة تبسم إلا بالذهب؟ «لا، إنها فكرة حمقاء. لا يحبُّ (الصخرة) إلا لانستر».

- «نعم يا سيدي، كما تقول».

سمع العوام يهتفون باسم الملك چوفري، ففكر: في غضون ثلاثة أعوام سيصير ذلك الوحش الصغير رجلاً وينفرد بالحكم... وعندها سيكون كل قزم ينصف عقل قد ولّى الأدبار من (كينجز لاندنج). إلى (البلدة القديمة) ربّما، أو حتى المُدن الحرة. لطالما تاق إلى رؤية مارد (برافوس). ربّما يسرُّ هذا سائرا. برفق شرع يتكلّم عن (برافوس) فواجهه حائط من الكياسة الجليدية القاسية ذكرته بـ(الجدار) الذي سار على قمته ذات يوم في الشمال، وتماّمًا كأنذاك أحسّ بالتعب.



قضايا بقيّة الرّحلة في صمت، وبعْد فترةٍ وجَدَ تيريون نفسه يتمنّى أن تقول سانزا شيئاً، أيّ شيء، أن تنبس بكلمةٍ واحدة، لكن شفيتها لم تفرقاً قط. حين توقّف الهودج في ساحة القلعة ترك أحد السّاسة يُساعدها على التّزول، وقال لها: «علينا أن نذهب إلى المأدبة خلال ساعةٍ يا سيّدي. سألقُ بكِ بعد قليل»، وابتعد بساقيين متخشّبتين سامعاً ضحكة مارچري اللاهئة عبر السّاحة إذ حملها چوفري من فوق حصانها. ذات يوم سيّضاهاهي الصّبي چايمي في القوّة والطول، وسأطلّ قرماً تحت قدميه، وقد تأتي لحظة ويقرّر أن يجعلني أفصر مما أنا...

وجدَ مرحاضاً وتنهّد ممتنّاً وهو يُخلّص نفسه من نبيذ الصّباح. ثمة أوقات يكاد فيها التّبؤل يكون ممتعاً كامرأة، والآن أحدها. تمنّى لو أنه يستطيع تخليص نفسه من الشُّكوك والذنوب بنصف هذه الشّهولة.

كان پودريك پاين منتظراً خارج مسكنه، وقال له: «جهّزت لك السّترّة الجديدة، ليس هنا، على سريرك، في غرفة النّوم».

- «نعم، إننا نحفظ بالسّرير هناك». ستكون سانزا في الدّاخل، تُبدّل ثيابها من أجل المأدبة. وشاي أيضاً. «نبيذ يا بود».

شربه تيريون جالساً إلى جوار نافذته وهو مستغرق في التّطلّع إلى الفوضى السّائدة في المطابخ في الأسفل. لم تكن الشّمس قد مسّت سور القلعة بعد، لكن روائح خبز العجين وشواء اللحم ملأت أنفه. قريباً سينهمر الضّيوف على قاعة العرش مغممين بالترقّب، وستكون ليلةً للأبهة والغناء، ليس الغرض منها الوحدة بين (هايجاردن) و(كاسترلي روك) فحسب، بل إعلان سطوتهما وثروتتهما كدرس لكلّ من يُفكّر في مناوأة چوفري.

لكن من لا يزال بالجنون الكافي لأن يُعارض حُكم چوفري بعد ما جرى لستانيس باراثيون وروب ستارك؟ أجل، ما زال هناك قتال في أراضي النّهر، لكن الخناق يضيق في كلّ مكان، خصوصاً أن السير جريجور كليجاين عبر (الثّالوث) واستولى على (مخاضة الياقوت)، ثم عاود الاستحواذ على (هارنهال) بلا جهدٍ يُذكر، واستسلمت (سيجارد) لوالدر فراي الأسود، واللورد راندل تارلي يُسيطر الآن على (بركة العذارى) و(وادي الغسق) و(طريق الملوك)، وفي الغرب انضمّ السير داغن لانستر إلى السير فورلي

پرستر عند (النَّابِ الذَّهَبِي) ومَعًا يَزْحَفَانِ عَلَي (رِيْقِرَرَن)، ومن (التَّوَأْمَتَيْن) يقود السير رايمان فراي أَلْفَيْنِ من حَامِلِي الحِرَابِ لِلانضمام إِلَيْهِمَا، كما أن پاكستر ردواين يَزْعُمُ أن أسطوله سَيُبْحِرُ قَرِيبًا من (الكَرْمَة) لِيبدأ الرِّحْلَة الطَّوِيلَة حول (دورن) عبر جُزُرِ (الأَعْتَابِ)، توطئةً لِمَوَاجَهَة قِراصنة ستانيس اللايسينيين بأعداد تفوقهم عشر مرَّات. الصُّراع الَّذِي سَمَّاه المايسترات حرب الملوك الخمسة يُشارَف على وضع أوزاره، حتى إن مايس تايرل سَمِعَ يقول متذمِّرًا إن اللورد تايوين لم يَتْرُكْ له أيَّ انتصارات.

وقَفَ پود إلى جانبه قائلاً: «سَيِّدِي، هل سَتُبَدَّلُ ثيابك؟ وضعتُ السُّترة على السَّرِيرِ، سُترة المأدبة».

قال تيريون بكآبة: «المأدبة؟ أيُّ مأدبة؟».

فأتت پود السُّخْرِيَة بالطَّبع، فأجاب: «مأدبة الزَّفَافِ، الملك چو فري والليدي مارچري، أقصدُ الملكة مارچري».

قال تيريون عازماً على أن يشرب حتى الثَّمَالَة اللَّيْلَة: «ليكن أيها الصَّغِيرِ پودريك، لنذهب ونُجَهِّزَنِي للاحتفال».

كانت شاي تُسَاعِدُ سانزا على تزيين شعرها لدى دخولهما عُرفَة النَّوْمِ، ولَمَّا رَأَها مَعًا فَكَّرَ: الفرح والحُزْنُ، الضَّحْكُ والدُّمُوع. ارتدَّت سانزا فُستَانًا من الساتان الفضي الموشى بالفراء، يكاد كُمَاه الفضاضان المبطَّان بقماش الجوخ الأرجواني النَّاعِم يمسُّ الأرض، وكانت قد صَفَّفت شعرها بأناقةٍ تحت شبكة فضيَّة رقيقةٍ تلتصق فيها جواهر أرجوانيَّة قاتمة. لم يرها تيريون بهذا الجمال من قبل قط، لكن الأسي ظلَّ مهيمًا على ملامحها. قال لها: «ستكونين أجمل امرأة في القاعة اللَّيْلَة».

- «سَيِّدِي شديد اللطف».

قالت شاي باستياء: «ألا يُمكنني المجيء والخدمة على الموائد يا سَيِّدَتِي؟ أريدُ بشدَّة أن أرى الحمام يطير من الكعكة».

رمقتها سانزا باستغراب مجيئة: «الملكة اختارت الخدم جميعاً».

أضاف تيريون محاولاً ابتلاع ضيقه: «والقاعة ستكون مزدحمةً للغاية، لكنك ستجدين موسيقيين يتنقلون في جميع أنحاء القلعة، وموائد في السَّاحة الخارجيّة عليها أطعمة ومشروبات للجميع»، وتفحص سترته الجديدة

المفصّلة من المخمل القرمزي ذات الكتفين المبطّنتين والكمّين المنفوشين والشقوق التي تُظهر طبقة سفليّة من الساتان الأسود. سِترة مليحة، لا يتفصّها إلا رَجُلٌ مليحٌ يرْتديها. «بود، تعال وساعدني على ارتدائها».

شرب كأساً أخرى من النّبذ وهو يُعيّر ملبسه، ثم أخذ زوجته من ذراعها واصطحبها من (بُرج المطابخ) لينصبّها في نهر الحرير والساتان والمخمل المتدفّق إلى قاعة العرش. بعض المدعوّين دخلوا بالفعل ليجدوا أماكنهم على الدّكك، بينما تلكأ غيرهم عند الباب مستمتعين بدفء الأصيل الآتي في غير أوانه، ودارَ تيريون بسانزا حول السّاحة لتبادل المجاملات الصّروية.

فكّر وهو يُشاهدها تقول للورد جايلز إن صوت سُعاله تحسّن، وتُطري على فُستان إلبينور تايرل، وتساءل چالابار شو عن أعراف الرّفاف في (جُزر الصّيف): إنها بارعة في هذا. جاء عمّه كيثان بابنه لانسِل الذي بارح فراش المرض للمرة الأولى منذ المعركة. يبدو مريعاً. ابيضّ شعر لانسِل وصار هشّاً، وأصاب جسده نحول جعله يبدو كالعصا، وكان ليتداعى أرضاً لولا أنه مستند إلى أبيه الواقف إلى جواره، لكن حين أئنّت سانزا على شجاعته وقالت إن من الرّائع أن تراه وقد استردّ قوّته، انبسطت أسارير لانسِل والسير كيثان معاً. كانت لتُصبح ملكة صالحةً وزوجةً أصلح لچوفري لو أنه تحلّى بالعقل وأحبّها. تساءل إن كان ابن أخته قادراً على الحبّ أصلاً.

قالت الليدي أولينا تايرل لسانزا عندما دنت منهما في فُستان من قماش الذهب لا بدّ أنه يفوقها وزناً: «تبدين فاتنة حقّاً يا صغيرتي، لكن الرّيح أفسدت شعرك»، ومدّت العجوز يدها وعدّلت الخصل السّائبة مثبتة إياها في مكانها ومسوية شبكة الشعر، وقالت وهي تشدّ وترخي: «أسفتُ للغاية حينما سمعتُ بمصيبتك. أعرف أن أخاك كان خائئاً فظيماً، لكن إذا بدأنا نقتل الرّجال في حفلات الرّفاف فسينفرون من الزّواج أكثر مما يفعلون الآن. حسن، هذا أفضل»، وابتسمت مضيئةً: «يسرّني أن أقول إنني راحلة إلى (هايجاردن) بعد غد. لقد اكتفيتُ تماماً من هذه المدينة ورائحتها الكريهة، شكرًا. هل تودّين مصاحبتي في زيارة قصيرة بينما يخوض الرّجال حربهم؟ سأفتقدُ عزيزتي مارچري كثيرًا، وجميع رفيقاتها الجميلات، وستكون في صُحبتك عزاء يُطيّب القلب».

قالت سانزا: «أنتِ في غاية اللطف يا سيّدي، لكن مكاني إلى جوار السيّد زوجي».

ألقت الليدي أولينا تيريون بابتسامة متغضّنة بلا أسنان، وقالت: «أوه؟ سامحني يا سيّدي، إنني امرأة عجوز سخيفة، ولم تكن نيتي أن أسرق زوجتك الجميلة، لكنني افترضتُ أنك ستذهب لتقود أحد جيوش لانستر ضد عدوّ شرير ما».

- «إنه جيش من التنانين والأياثل. على أمين التّقد أن يبقى في البلاط ليعمل على تمويل الجيوش».

- «بالأكيد. تنانين وأياثل، هذا طريف، وبنسات القزم أيضًا. لقد سمعتُ بنسات القزم تلك. لا ريب أن جمعها عمل شاق حقًا».

- «إنني أتركُ الجمع لآخرين يا سيّدي».

- «أوه، حقًا؟ حسبتك تحبُّ أن تتولاه بنفسك، فيجب ألا نسمح بأن يحتال أحد على التّاج في بنسات القزم، أليس كذلك؟».

أجاب تيريون وهو يتساءل إن كان لوثور تايرل العجوز قد ألقى نفسه في الهاوية عمدًا: «حاشا للآلهة. بعد إذنك يا ليدي أولينا، علينا الجلوس في أماكننا الآن».

- «وأنا أيضًا. هناك سبعة وسبعون صنفًا على ما أظنُّ. ألا تجد في هذا شيئًا من المبالغة يا سيّدي؟ إنني لن أكل أكثر من ثلاث أو أربع لقيمات عن نفسي، لكن كلينا صغير الحجم جدًّا، أليس كذلك؟»، وربّبت العجوز على شبكة شعر سانزا ثانية، وأردفت: «حسن، اذهبي يا صغيرتي، وحاولي أن تكوني أكثر مرحًا. أين ذهب حارساي؟ شمال، يمين، أين أنتما؟ تعاليا وساعداني على الصُّعود إلى المنصّة».

على الرغم من أن المساء ما زال بعيدًا بساعة كاملة فقد توهّجت قاعة العرش عن آخرها بأضواء المشاعل الموقّدة على كلّ حامل. وقف الضيوف بطول الموائد فيما أعلن الحُجّاب أسماء وألقاب الدّاخلين من لوردات وليديئات، يصطحبهم وُصفاء يرتدون الزّي الملكي الرّسمي على الممشى الأوسط الواسع، بينما ازدحمت الشُّرفة في الأعلى بشتّى الموسيقيين والآلات؛ طبول ومزامير وكمنجات وقيثارات وأبواق وقرب.

أطبقَ تيريون علي ذراع سانزا وقطع الممشى بخطواتٍ سريعة ثقيلة، شاعرًا بأعينهم المسلطة عليه مستهجنةً النَّدبة الجديدة التي جعلته أقبح مما كان. ففكر وهو يرفع نفسه إلى مقعده: فليَنظروا، فليَحملقوا وبتهماسوا حتى يشبعوا. لن أخفي نفسي لأجل خاطرهم. تبعتهما ملكة الأشواك إلى الدَّاخل بَخطى قصيرة بطيئة، وتساءلَ تيريون أيهما يبدو أكثر سخفًا؛ هو مع سانزا أم المرأة الضئيلة الذَّابِلة بين حارسِها التَّوأمين بطولهما الفارع.

دخلَ چوفري ومارچري قاعة العرش على صهوتيَّ جوادين حربيَّين متمثلين في البياض، وجرى الوُصفاء أمامهما ناثرين بتلات الورود تحت حوافرهما. كان الملك والملكة قد بدلًا ملابسهما من أجل المأدبة أيضًا، فارتدى چوفري سراويل مخططةً بالأسود والقرمزي وسُترَةً من قماش الذهب بكمَّين من الساتان الأسود وأزرار من الجَزَع، واستبدلت مارچري الفُستان المحتشم الذي ارتدته في السَّبت بآخر كاشف عنه بكثير، قطعة فنيَّة من السَّميت الأخضر الباهت بصِدار مشدود الأربطة ينحسر عن كتفيها ويُظهر أعلى ثدييها الصَّغيرين، وقد حلَّت شعرها البني النَّاعم وتركته ينسدل على كتفيها البضاوين وظَّهرها حتى خاصرتها تقريبًا، وبجبهتها أحاطَ تاج ذهبي رفيع. أضواءً وجهها بابتسامةٍ عذبة خجول، وقال تيريون لنفسه: فتاة جميلة، ومصير أرحم مما يستحقُّه ابن أخي.

اصطحبهما الحرس الملكي على المنصَّة إلى موضعيَّ الشَّرَف في ظلِّ العرش الحديدي الذي كُسيَّ من أجل المناسبةِ بشرائطٍ حريريَّة طويلة ملوَّنة بذهب باراثيون وقرمز لانستر وحُضرة تايرل. عانقت سرسي مارچري ولثمتها على وجنتيها، وحذا اللورد تاويون حذوها، ثم لانسِل والسير كيثان، وتلقَى چوفري قُبلات المحبَّة من والد العروس وأخويه الجديدين لوراس وجارلان، لكن أحدًا لم يبدُ تواقًّا إلى تقبيل القرم. عندما اتَّخذ الملك والملكة مكانيهما نهَض السَّبتون الأعلى ليقود القاعة في الصَّلَاة، فقال تيريون لنفسه معزِّيًّا: على الأقل لا يستطرد كسلفه.

أجلَّسوه وسانزا بعيدًا إلى يمين الملك، فجاورا السير جارلان تايرل وزوجته الليدي ليونيت، وجلست دسطة من الآخرين أدنى إلى چوفري، وهو

ما كان رجل أصعب إرضاءً ليعتبره إهانةً بما أنه كان يد الملك قبل فترة قصيرة جدًا، لكن تيريون كان ليسعد لو أن مئةً منهم فصلوا بينه وبين الصَّبي .  
بعد أن أدَّى الواجب إلى الآلهة أعلنَ چوفري: «فلمتلى الكؤوس!»،  
وصبَّ ساقيه إبريقًا كاملًا من نبيذ (الكرمة) القاني في كأس الزَّفاف الذهبية التي أهداه اللورد تايرل إياها في الصَّباح، واضطرَّ الملك لأن يرفعها بكلتا يديه وهو يقول: «نخب زوجتي وملكتي!».

ردَّت عليه القاعة: «مارچري! مارچري! مارچري! نخب الملكة!»،  
وُقرعت ألف كأس، وبهذا بدأت مأدبة الزَّفاف. شربَ تيريون لانستر مع الآخرين، مفرغًا كأسه في جوفه مع النخب الأول ومشيرًا بإعادة ملئها بمجرد أن عاودَ الجلوس.

الصَّنْف الأول كان حَسَاءً من القشدة والفطر والحلزونات بالزُّبدة، قدّموه في أوعية مذهّبة، ولمّا كان تيريون قد تناولَ لقيماتٍ معدودة من إفطاره وبدأ مفعول التَّبَيُّذ يدير رأسه، فقد رحّب بالطعام وأنهى حَساءه سريعًا. فرغنا من صنفٍ وتبقّى ستّة وسبعون. سبعة وسبعون صنفًا بينما لا يزال هناك أطفال جوعى في المدينة ورجال يُمكنهم أن يقتلوا من أجل حبة فجل. ربما يُراجعون أنفسهم في حُبِّهم لآل تايرل لو رأونا الآن.

تذوّقت سانزا ملعقةً من الحساء ثم دفعت الوعاء، فسألها تيريون: «ألا يُعجبك يا سيّديتي؟».

قالت: «سيّدمون أصنافًا كثيرةً يا سيّدي، وبطني صغير»، وداعبت شبكة شعرها بتوتّرٍ وتطلّعت عبر المائدة إلى حيث يجلس چوفري مع ملكته ابنة تايرل.

عبسَ تيريون مفكرًا: هل تتمنّى لو أنّها كانت في مكان مارچري؟ حتى طفلة مثلها ينبغي أن تكون أعقل من هذا. أشاح بوجهه عنها راغبًا في شيءٍ يُلهمه، لكن أينما نظرَ رأى نساءً، نساءً رقيقات ناعمات جميلات سعيدات ينتمين إلى رجالٍ آخرين، على رأسهن بالطبع مارچري المبتسمة بعدوية وهي ترشّف مع چوفري من كأس الزَّفاف الكبيرة ذات الأوجه السبعة، ووالدتها الليدي اليرى الحسناء ذات الشعر الفضّي الجالسة بفخرٍ إلي جوار مايس تايرل، وبنات عمومة الملكة الثلاث الصّغيرات التّيّرات كالطير، وزوجة اللورد ميريويدر

المأيرية ذات الشعر الفاحم والعينين السوداوين الواسعتين المثيرتين، وإلاريا ساند وسط الدورنيين تضحك لشيء ما قاله الأفعوان الأحمر. كانت سرسي قد أجلستهم إلى مائدتهم الخاصة أسفل المنصة مباشرة، في موضع شرف عالٍ وإنما بعيداً عن آل تايرل بقدر ما سمح عرض القاعة.

وثمة امرأة جالسة بالقرب من قدم المائدة الثالثة إلى اليسار، زوجة أحد أبناء فوسواي كما خمن، وحُبلى، لكن بطنها المنتفخ لم يخصم من حُسنها الرقيق شيئاً على الإطلاق، ولا من استمتاعها بالطعام والمرح. راقب تيريون بينما أطمعها زوجها من طبقه وشرب معها من الكأس نفسها وطبع على شفيتها قُبلاتٍ كثيرة بمناسبة ودونها، وكلما فعل استراحت يده على بطنها كأنه يقيه بحنانه.

تساءل تيريون عن ردة فعل سانزا إذا مال عليها وقبلها الآن. ستجفل غالباً. أو ربما تشجع وتتحملها مطيعة كما ينص واجبها. وماذا تكون زوجتي إن لم تكن رمزاً للطاعة؟ لو قال لها إنه يريد أن يفص بكارتها الليلة فسُطيعه وتتحمل أيضاً، ولن تبكي إلا قدر الحاجة.

طلب المزيد من النبيذ، ولما وصل كان الصنف الثاني يُقدّم، عجين مخبوز محشو بلحم الخنزير وجوز الصنوبر والبيض. لم تأكل سانزا إلا قضمة من طبقها على حين استدعى الحجاب أول المغنين السبعة.

أعلن أشيب اللحية هاميش ذو القيثارة أنه سيُعني «على مسامع الآلهة والبشر أغنية لم تُسمع في (الممالك السبع) من قبل قط»، وسماها (هجمة اللورد رنلي). تحركت أصابعه على أوتار قيثارته السامية لتمتلئ القاعة بالأنغام الرخيمة، وبدأ هاميش يُعني: «من فوق عرشه العظمي تطلع إله الموت إلى اللورد القتييل...»، ثم حكى كيف تاب رنلي عن محاولته اغتصاب عرش ابن أخيه، وتحدى إله الموت نفسه وعبر إلى أرض الأحياء ليدافع عن البلاد ضد أخيه.

قال تيريون في سريره: ومن أجل هذا انتهى المطاف بسايمون المسكين في وعاء من النبي. كانت الملكة مارچري دامعة العينين مع نهاية الأغنية، عندما حلق طيف اللورد رنلي الشجاع إلى (هايجاردن) ليسترق نظرة أخيرة إلى وجه محبوبه عمره. قال تيريون لسانزا: «رنلي باراثيون لم يُتب عن شيء

في حياته قَطُّ، لكن إذا كان حُكْمِي صَحِيحًا فقد فَازَ هَامِيشَ بَعْدِ مَذْهَبٍ». أنشد ذو القيثارة لهم أغانيَّ معروفةً أيضًا؛ (وردة من ذهب) تملقُ بها آل تايرل بلا شك، تمامًا كما تملقُ أباه بـ(أمطار كاستامير)، وأبهجت (العذراء والأم والعجوز) السِّتُون الأعلى، وسرَّت (السيدة زوجتي) كلَّ الفتيات الشاعريَّات علاوةً على عددٍ من الصَّبيَّة بالتأكيد. أصغى تيريون بنصف أذنٍ وهو يتذوقُ فطائر الذرة الحُلوة وكعكات الشوفان الساخنة المخبوزة بقطعٍ من البلح والتَّفَاح والبرتقال، وينهش ضلع خنزير بريّ.

بعدها توالَّت الأطباق وفقرات اللُّهُو باستفاضةٍ مدهشة، تعوم على فيضان من النَّبِيذ والمِزْر. غادرهم هاميش وحلَّ محلُّه دُبُّ عجوز صغير الحجم نوعًا راح يَرُقُصُ بحرقٍ على ألحان الطُّبلة والمِزمار، بينما أكلَ ضيوف الحفل سمك الترويت المحمَّر في قشرةٍ من اللُّوز المسحوق. ركبَ فنى القمر ساقيه الخشبيَّتين الطويلتين ودارَ حول الموائد مطاردًا مهرج اللورد تايرل مفرط البدانة المسمَّى برميل الزُّبدة، وتناول اللوردات والليديئات طيور البَلشون<sup>(1)</sup> المشويَّة مع فطائر الجُبنة والبصل. أدَّت فرقة من البهلوانات البتوشيين ألعاب الشُّقْلبة في الهواء والوقوف على الأيدي، ووازَنوا الأطباق على أرجلهم الحافية، ووقف بعضهم على أكتاف بعض مشككين هرمًا، وصاحبت عروضهم سراطين البحر المسلوقة في البهارات الشَّرقيَّة الحرَّيفة، وصحاف ملأى بقطع من الضَّان المطبوخ في حليب اللُّوز مع الجزر والزَّبيب والبصل، وكعكات سَمك طازجة من الفرن قَدِّمَت ساخنة تحرق الأصابع.

ثم استدعى الحُجَّاب مطربًا آخر، كوليو كواينيس التايروشي ذو اللِّحية القرمزيَّة واللِّكنة الهزليَّة التي حدَّر سايمون تيريون منها. بدأ كوليو بتنويع على (رقصة التنانين)، التي يُفترَض أن يُغنيها رجل وامرأة معًا، وكابدها تيريون بحصَّتين من الحَجَل<sup>(2)</sup> المطبوخ بالعسل والزَّنجيل، بالإضافة إلى عدَّة كؤوس من النَّبِيذ. تحكي القصيدة الآسرة تحكي عن مصرع حبسَيْن في هلاك (فاليريا)، وكانت لتروق من في القاعة أكثر لو لم يغنيها كوليو بالفاليريَّة

(1) البَلشون طائر شهير بصوته العذب، ويُعرَف أيضًا باسم مالك الحزين. (المترجم)

(2) الحَجَل طائر متوسِّط الحجم يُشبه الحمام. (المترجم).



الفُصحى التي يجهلها معظمهم، لكن (بسا ساقية الحانة) كسبتهم من جديد بكلماتها البديئة، وقُدِّمت الطواويس المشويّة بريشها محشوّة بالبلح بينما استدعى كوليو طَبَّالًا وانحنى بشدّة أمام اللورد تايوين، قبل أن يشرع في غناء (أمطار كاستامير).

إذا كان عليّ أن أسمع سبعة تنوعات لهذه الأغنيّة، فربما أذهبُ إلى (جُحر البراغيث) وأعتذرُ للحساء. التفتَ تيريون إلى زوجته متسائلًا: «أيهما تُفضّلين؟». حدّثت إليه سانزا بخواء، وقالت: «سيّدي؟».

- «المغنيان، أيهما تُفضّلين؟».

- «أنا... أسفة يا سيّدي، لم أكن مصغيّة».

كما أنها لا تأكل. سألتها: «سانزا، أأنتِ بخير؟». تكلم بلا تفكير، وفي اللّحظة التّالية أحسّ كم هو أحمق. أهلها كلهم قتلوا وتزوّجتني، وأنساء إن كانت بخير.

أجابت: «نعم يا سيّدي»، وأشاحت بنظرها عنه متصنّعة اهتمامًا لا يُقنع طفلًا بمنظر فتى القمر الذي يرجم برميل الزُبدة بحبّات البلح.

صنّع أربعة پايرومانسرات وحوشًا من اللّهب الحي راح بعضها يُمزّق بعضًا ببرائث من نار، على حين غرّف الخدم أوعيةً من البلانديسوري، وهو خليط من مرق اللّحم البقري والتّيذ المغلي، محلّى بالعسل ومُضاف إليه اللّوز المسلوق وقطع من لحم الدّيوك، ثم جاء عدد من الرّمارين والكلاب المدرّبة ومبتلعي السّيوف، تُصاحبهم البازلاء بالزُبدة والمكسّرات المفرومة، مع شرائح من لحم الإوز المطبوخ في صلصةٍ من الخوخ والرّعفران، فتمتَم تيريون «ليس الإوز ثانية»، وقد تذكّر عشاءه مع أخته عشية المعركة. بعد ذلك أخذَ حاو يُشَقِّب نِصف دِستة من السّيوف والفؤوس في الهواء فيما وُضِعَت على الموائد أسياخ من السّجق الدّموي الذي لا يزال يُطَقِّط، وهو ما حسبه تيريون نوعًا من التّجاوُر الطّريف، وإن كان يفتقر إلى الدّوق.

نفخَ الحُجّاب في أبواقهم، وصاحَ أحدهم: «منافسًا على العود الذّهبي، نَقِّدْمْ لكم جاليون بن (كاي)».

جاليون رجل عريض الصّدر له لحية سوداء ورأس أصلع وصوت جهوري بلغ كلّ ركنٍ من قاعة العرش، وقد جلب معه ستّة موسيقيّين لا أقل

ليعزفوا له، وأعلن: «أيها اللوردات النبلاء والليديئات الحسان، هذه أغنية (النَّهر الأسود) وحكاية إنقاذ البلاد».

بدأ الطَّبَّال يدقُّ طبلته ببطءٍ كثيب، وغنَّى جاليون: «جلس سيِّد الظَّلام يتحرَّق كمدًّا في بُرْجه العالِي، في قلعة بُباري اللَّيل في السَّواد».

ودندن الموسيقيُّون بنغمةٍ متساوقة: «أسود شعره وسوداء روحه»، وبدأ ناي يعزف.

تابع جاليون: «كان زاده شهوة الدَّم والحسد، وكأسه تطفح بالأحقاد. قد حكم أخي ممالك سبعا، قال لزوجه الشَّمطاء. سأخذ ما كان له وأجعله لي أنا، وسيشعرُ ابنه بطعنتي النَّجلاء».

انضمت إلى الجوقة قيثارة خشبية وكمنجة، وتغنَّى العازفون: «صبيُّ شجاع شعره من ذهب».

قال تيريون بصوت أعلى من اللازم: «إذا أصبحت يداً مرةً أخرى فأول ما سأفعله هو شق المغنِّين جميعاً».

أطلقت الليدي ليونيت ضحكةً خفيفةً، ومال السير جارلان ليقول: «لا يحطُّ من شجاعة مأثرة ما ألا تردُّ في الأغاني».

- «حشد سيِّد الظلام جحافلَه، وحوله تحلقوا كالمجرمين. وعطشي للدِّماء اعتلوا سفنهم...».

- «... وقطعوا أنف تيريون المسكين!».

قهقهت الليدي ليونيت، وقالت: «ربما يُمكنك أن تحترف الغناء يا سيِّدي، إنك تُجيد التَّقفية مثل جاليون هذا».

قال السير جارلان: «لا يا سيِّدي، سيِّدي لانستر وُلِدَ لتحقيق المآثر العظيمة وليس الغناء عنها. لولا سلسلته وناره الشَّعواء لعبَر العدو النَّهر، ولو لم يَقْتُل همجيُّو تيريون أغلب كَشافة ستانيس لما تمكَّنَّا من مباغتته قَط».

أشعرت كلماته تيريون بامتنانٍ عميق وساعدت عليَّ تهدئته بينما أطنب جاليون في الغناء عن بسالة الملك الصَّبي وأمّه الملكة الذهبيَّة.

اندفعت سانزا تقول فجأة: «لكنها لم تفعل شيئاً من هذا».

قال تيريون: «لا تُصدِّقي شيئاً تسمعيه في أغنيَّة أبداً يا سيِّدي»، وأشار لخادمٍ بإعادة ملء كؤوسهم.

سرعان ما جَنَّ اللَّيْلَ خارجَ التَّوَاظِدِ الطَّوِيلَةِ ولم يَفْرُغْ جالِيونَ بعدُ من أَعْيَتِهِ المَوْلُفَةِ من سَبْعَةٍ وسَبْعِينَ بَيْتًا، وإن بَدَتْ لتيرِيونَ ألفًا. بيت لكلِّ ضَيْفٍ في القَاعَةِ. أُسْرَفَ القَزْمُ في الشُّرْبِ خلالَ آخِرِ عَشْرِينَ بَيْتًا أو نحوها لِيُقَاوِمَ الرُّغْبَةَ في أن يحشوا أذنيه بالفِطْر، وحين انحنى المغنِّي وانصرفَ أخيرًا كان بعض الضيُوف قد ثملوا بما فيه الكفاية لأن يُقدِّموا إلا إراديًّا فقرات خاصَّةَ بهم من التَّسْلِيَةِ. غاب المايستر الأكبر پايسل في النَّوْمِ بينما دارَ وتمايلَ راقصون من (جُزْر الصَّيْفِ) بَثِيابٍ من الرِّيشِ الرَّاهِي والحريِرِ الدُّخَانِي، وكان الخدم يُقدِّمونَ حلقات من لحمِ الإلِكةِ محشُوَّةً بالجُبْنَةِ الرُّرْقَاءِ النَّاضِجَةِ عندما طعنَ أحدُ فُرسانِ اللوردِ رِوانَ رجلًا دورنِيًّا، وجَرَّ ذِووَ المعاطفِ الذَّهَبِيَّةِ الاثْنَيْنِ إلى خارجِ القَاعَةِ، حيث سينتَعِنُ أحدهما في زِنانَةِ ويُدَاوي المايستر بالابار الثَّانِي.

كان تيريون يعبث بطبق من لحم الخنزير البارد المتبل بالقرفة والقرنفل والشُّكْرَ وحليب اللُّوز حين انتفضَ الملكُ چوفري واقفًا فجأةً وصَفَّقَ صائِحًا بصوتٍ أثقله النَّبِيذُ: «أَدْخِلُوا المُنَازِلَيْنِ المَلِكِيَّيْنِ!».

فكر تيريون بينما فتحَ ذِووَ المعاطفِ الذَّهَبِيَّةِ البابَ العَظِيمَ في آخِرِ القَاعَةِ: ابنَ أُختِي سِكرانَ أَكْثَرَ مِنِّي. لم يستطعَ حيث جلسَ أن يرى أَكْثَرَ من رَأْسِي رُمَحِينِ مَخْطُطَيْنِ إذ دخلَ الرَّاكِبَانِ جَنبًا إلى جَنبِ، ورافقتُهما موجة من الضَّحْكَ وهما يقطعان الممشى الأوسط نحو الملك. خَمَّنَ أَنَّهُمَا يَمْتِطِيَانِ مُهْرَيْنِ... إلى أن دخلا مجال رؤيته.

كانا قزمين، يركب أحدهما كلبًا قبيحًا طويل السيقان وثقيل الفك، والثَّانِي خنزيرة مرقطة ضخمة. طقطقت الدُّروع الخشب الملوثة والفارسان الصَّغِيرَانِ يرتجان فوق سرجهما، يحمل كل منهما ثرسًا يفوقه حجمًا ورُمحًا جاهدًا لتبئته وهو يتقدم متثاقلاً متهاديًا ومفجَّرًا الضَّحْكَاتِ، وقد ارتدى واحد ثيابًا ذهبيَّةً بالكامل ورسمَ على ثُرسِهِ وعَلَا أسود، على حين ارتدى الثَّانِي الرَّمَادِي والأبيض وحملَ رمز الذئب، واكتسى كلا حيوانيهما بلون راكمه.

تطلع تيريون عبر المنصة إلى الوجوه الضاحكة. چوفري محمَّرُ الوجهِ متقطع الأنفاس، وتومن يصيح ويتفأفز على مقعده، وسرسي تضحك بخفوتٍ مهذب، وحتى اللورد تايوين يبدو عليه شيء من الاستمتاع. من بين

كُلَّ الجالسين إلى المائدة العالية كانت سانزا ستارك الوحيدة التي لم تبتسم، وكان ليحُبُّها من أجل هذا لولا أن نظرات ابنة ستارك كانت شاردةً تمامًا كأنها لا ترى الرَّاكِبِينَ الهزليِّين المنطلقين نحوها.

حزَمَ تيريون أمره. لا لوم على القزمين. عندما يفرُّغان سأثني عليهما وأعطيهما كيسًا منتفخًا بالفضة، وحين يأتي الغد سأعثرُ على مَنْ رَبَّ لهذه الفقرة أيًّا كان وأوجِّه له نوعًا مختلفًا من الشكر.

حين توقَّفَ القزمان أسفل المنصَّة لتحيَّة الملك أسقطَ فارس الذُّبُّ ثُرسه، ولمَّا مالَ يلتقطه فقدَ فارس الوعل السَّيطرة على رُمحِه الثَّقيل، فارتطمَ بظهر فارس الذُّبُّ وأوقعه من فوق الخنزيرة، وطارَ رُمحُه ضاربًا غريمه في رأسه، وانطرحَ الاثنان متشابكين على الأرض، قبل أن ينهضا ويحاول كلاهما ركوب الكلب في آنٍ واحد، وتبعَ هذا الكثير من التَّصايح والتَّدافع، وأخيرًا عادا فوق سرجهما، وإن امتطى كل منهما حيوان الثَّاني بالعكس وحملَ الثُّرس الخطأ.

استغرقا وقتًا حتى حَلَّ هذه الأزمة، وفي النَّهاية انطلقا إلى طرفي القاعة ودارا ليتواجهها استعدادًا للثَّزال، وبينما دوى الضَّحك من أفواه اللوردات والليديئات تصادم الصَّغيران وضربَ رُمح فارس الذُّبُّ خوذة فارس الوعل موقعًا رأسه من فوق كتفيه، ليطيروا في الهواء ناثرا الدِّماء قبل أن يحطَّ في حجر اللورد جايلز. ترنَّح القزم مقطوع الرُّأس بين الموائد ملوِّحًا بذراعيه، ونبحت الكلاب وصرخت النَّساء، وتمايلَ فتى القمر إلى الأمام والخلف على ساقيه الخشبيَّتين بشكل استعراضي خطير، ثم إن اللورد جايلز سحبَ حَبَّةً من البَطِيخ يَقَطُر منها الأحمر من داخل الخوذة المهشَّمة، وفي تلك اللَّحظة أخرجَ فارس الوعل رأسه من داخلِ درعه، فوجَّت عاصفة أخرى من الضَّحك القاعة. انتظرَ الفارسان حتى خمدت الضَّحكات ثم راحَ كلاهما يدور حول الثَّاني ويقذفه بالشَّتائم المقدَّعة، وكانا على وشك الانفصال توطئةً للثَّزال مجددًا عندما ألقى الكلب راكبه من على ظَهْره واعتلى الخنزيرة الضَّخمة التي صرخت مرتاعةً، ليستحيل ضحك ضيوف الزَّفاف إلى رعد، خصوصًا لَمَّا قفزَ فارس الوعل على فارس الذُّبُّ وأنزلَ سراويله الخشبيَّة وبدأ يحكُّ نفسه بنصف الثَّاني السُّفلي كالمسعود.

صرخَ القزم الذي في الأسفل: «أستسلم، أستسلم! ضع سيفك أيها الفارس الكريم!».

أجابَ القزم الذي يعتليه: «سأفعلُ إذا توقَّفت عن تحريك الغمد!».  
وعادَ الجميع يضحكون.

كان النبيذ يتناثر من منحريّ چوفري، وهبَّ الصَّبي واقفاً وهو يلهث فكاد يُسقط كأس الزَّفاف الطويلة، وصاح: «بطل! لدينا بطل!».  
بدأت القاعة تهدأ حين رأوا الملك يتكلَّم، وافترق القزمان متوقِّعين الشكر الملكي لا ريب، بينما أضافَ چوف: «وإن لم يكن بطلاً حقيقياً، فالبطل الحقيقي يهزم كل من يتحدّاه»، وصعدَ فوق المائدة متابعاً: «هل من أحدٍ يتحدّى بطلنا الضئيل؟»، وبابتسامة جذلة التفت إلى تيريون صائحاً: «خالي! ستُدافع عن شرف مملكتي، أليس كذلك؟ يُمكنك امتطاء الخنزير!».

هوى الضحك عليه كموجة عارمة تتكسّر. لا يذكر تيريون لانستر أنه نهض أو صعدَ فوق مقعده، لكنه وجد نفسه واقفاً على المائدة في قاعة هي غمامة من وجوه تنظر إليه شزراً ويُلطخها ضوء المشاعل. لوى ملامحه راسماً عليها أشبع ابتسامة شهدتها (الممالك السبع) على الإطلاق، ورفع صوته قائلاً: «سامططي الخنزير يا جلالة الملك... إذا امتطيت الكلب!».

حدّق چوف إليه حائراً، وقال: «أنا؟ ولماذا أنا؟ إنني لستُ قزماً».

أوقعت نفسك بنفسك يا چوف. «لأنك الوحيد في القاعة الذي أثقُ بأني سأهزمه!».

لا يدري أيها أحلى؛ الصمت المصدوم الذي ران على المكان لحظة، أم إعصار الضحك الذي تلاه، أم نظرة الغضب الأعمى على وجه ابن أخته. وثب القزم إلى الأرض شاعراً بالرّضا، وحين عادَ ينظر كان السير أوزموند والسير مرين يُساعدان چوف على التزول بدوره، ولَمَّا لاحظَ سرسي تُحدّق إليه نفخ لها قبلةً في الهواء.

انتابته الرّاحة مع عودة الموسيقيين إلى العزف، بينما قاد المُنازلان الصَّغيران الكلب والخنزيرة من القاعة، وعادَ الضيوف إلى أطباق اللحم البارد، لكن فجأةً شعرَ تيريون بيد السير جارلان على كُمّه، وسمعه يقول: «احذر يا سيّدي، الملك».

التفت تيريون ليجد چوفري على وشك الوصول إليه بوجه محتقن وساقين خرعتين، والتبئذ ينسكب من على حافة الكأس الذهبية الضخمة التي يحملها بكلتا يديه، ولم يجد القزم وقتاً إلا ليقول: «جلالة الملك»، قبل أن يقلب الملك الكأس فوق رأسه ويسيل التبيذ على وجهه كوابل أحمر فيغرق شعره ويلسع عينيه ويحرق جرحه ويجري على وجنتيه ويغوص في مخمل سترته الجديدة.

قال چوفري ساخرًا: «ما رأيك في هذا أيها العفريت؟».

أحس تيريون بحريق في عينيه، وربّت على وجهه بظهر كفه وهو يحاول أن يرمش حتى تتضح الموجودات في عينيه ثانية، وسمع السير جارلان يقول بهدوء: «لم يكن هذا يليق يا جلالة الملك».

- «بالعكس يا سير جارلان»، قال تيريون الذي لا يجسر على أن يزيد الطين بلّة، ليس هنا ونصف البلاد يتفرّج. «لن تجد ملكًا يفكر في تكريم أحد رعاياه الأذلاء بتقديم التبيذ له من كأسه الملكية. مؤسف أنه انسكب».

ردّ چوفري الأكثر سماجةً من أن ينتهز فرصة التراجع التي يُقدّمها له تيريون: «التبيذ لم ينسكب، ولم أكن أقدمه لك كذلك».

ظهرت الملكة مارچري عند مرفق چوفري فجأة، وقالت مناشدةً: «تعال يا ملكي العزيز، عُد إلى مكانك، هناك مغنٌّ آخر منتظر».

- «ألاريك الأيزيني»، قالت الليدي أولينا تايرل المتكئة على عُكازها دون أن تُعير القزم الغارق في التبيذ اهتمامًا أكثر مما فعلت حفيدتها. «أتمنى أن يُعني لنا (أمطار كاستامير). لقد مضت ساعة منذ آخر مرّة ونسيت كلماتها».

قالت مارچري: «والسير أدام يُريد أن يرفع نخبًا أيضًا. أرجوك يا جلالة الملك».

أعلن چوفري: «ليس معي نبيذ. كيف أشرب نخبًا إن لم يكن معي نبيذ؟ يُمكنك أن تُقدّمه لي يا خالي العفريت. ستكون ساقِي ما دُمت لن تُشارك في التّزال».

- «شرف عظيم لي يا جلالة الملك».

صرخ چوفري: «لا أعنيها كشرّف!»، وأشار مضيفًا: «انحن والتقط كأسِي من على الأرض»، ففعل تيريون كما أمره، لكن إذ مدّ يده إلى المقبض ركل

چوف الكأس من بين ساقيه قائلاً: «التقطها! أنت قبيح وأخرق أيضاً؟». مرغماً زحفَ تيريون تحت المائدة ليجدها، فقال الملك: «عظيم، والآن املاها بالنبيذ»، فتناول خاله إيريقياً من خادمةٍ وملاً ثلاثة أرباع الكأس، لكن چوف قال: «لا، على رُكبتيك أيها القزم»، وركعَ تيريون رافعاً الكأس الثقيلة وهو يتساءل؛ إن كان سيتلقى حمّاماً ثانياً، إلا أن چوفري التقطَ الكأس بيدٍ واحدة وشرب طويلاً ثم وضعها على المائدة، وقال: «يُمكنك أن تنهض الآن يا خالي».

تشنّجت ساقاه وهو يُحاول النهوض وكادتا تُسقطاه، واضطرَّ تيريون لأن يتشبّث بالكرسي ليُثبت نفسه، وقد مدَّ له السير جارلان يده. ضحك چوفري، وضحكت سرسي، ثم ضحك آخرون لم يرهّم لكنه سمعهم.

قال اللورد تايوين بصوتٍ مثالي في انضباطه: «إنهم يدخلون بالكَعكة يا جلالة الملك، ونحتاج إلى سيفك».

ردّد چوفري: «الكعكة؟»، ثم أخذ الملكة من يدها قائلاً: «هلمّي يا سيّدتي، إنها الكعكة».

وقفَ الصُيوف صائحين مصفّقين وقارعين الكؤوس بينما تقدّمت الكعكة بتؤدّة عبر القاعة، يدفعها على عجلات ستّة من الطهاة التّائهيّن فخراً. عرضها ياردتان، وطبقتها الخارجيّة بنّيّة مائلة إلى الذهبي، ومن داخلها سمعوا صياحاً وضرباتٍ مكتومة.

عادَ تيريون إليّ مقعده. كلُّ ما يَنقُصه الآن حمّامة تبرز عليه وسيكتمل يومه. كان النّبذ قد تخلل سُترته وثيابه الدّاخليّة ويشعر ببلله على جلده. المفترض أن يُبدّل ملابسَه، ولكن ليس مسموحاً لأحدٍ بأن يُعادر القاعة قبل مراسم الإضجاع، أي أن عليه أن ينتظر عشرين أو ثلاثين صنفاً حتى ذلك الحين.

قابلَ الملك وملكته الكعكة أسفل المنصّة، وإذ بدأ چوف يسحب سيفه وضعتَ مارچري يدها على ذراعه قائلةً: «عويل الأرامل) ليس السيف المناسب لتقطيع الكعك».

ردّد چوفري: «صحيح»، ثم رفعَ عقيرته قائلاً: «سير إلين، سيفك!».

ظهرَ السير إلين باين من بين الظلال في مؤخّرة القاعة، وفكرَ تيريون وهو يُشاهد جلاّد الملك يتقدّم بجسده الهزيل ومُحيّاه الكئيب: الشّبح الكامن في المادّبة. كان أصغر من أن يعرف السير إلين وقت أن فقدَ لسانه. لا بُدّ أنه كان

رجلاً مختلفاً في ذلك الحين، لكن الصّمت جزء لا يتجزأ منه الآن، كهاتين العينين الخاويتين وهذا القميص المعدنيّ الصّدئ والسيف العظيم على ظهره. انحنى السير إلين أمام الملك والملكة، ثم مَدَّ يده من فوق كتفه وسحب سِنَّة أقدام من الفضة المنمّقة تتألّق عليها الحروف القديمة، وركعَ ليقدم السيف الضّخم لچوفري من المقبض، وقد التمعت نُقطتان ناريتان في عينين من الياقوت على القبعة المصنوعة من زجاج التّنين المنقوش على شكل جمجمة مبتسمة.

تحركت سانزا باضطراب قائلة: «ما هذا السيف؟». كان التّبيذ لا يزال يلسع عينيّ تيريون، فرمشَ ونظرَ ثانية. سيف السير إلين العظيم بطول (جلید) وعرضه، على أنه يبرق بلون فضي ملحوظ، بينما الفولاذ الثاليري قاتم دائماً وفي روحه طابع دُخاني. أطبقت سانزا على ذراعه، وسألته: «ماذا فعل السير إلين بسيف أبي؟».

فكر تيريون: كان عليّ أن أرسل (جلید) إلى روب ستارك، ورمقَ أباه لكنه وجد اللورد تاوين يُراقب الملك.

صمّ چوفري ومارچري يديهما ليرفعا السيف العظيم، ثم هويا به معاً في قوس فضي، وحين انكسرت قشرة الكعكة تفجّرت منها الحمايم في دوامة من الرّيش الأبيض وتفرّقت في كلّ اتجاهٍ محلّقة إلى الثّوافذ وعوارض السّقف، وهدر الضيوف على دككهم بالهتاف، وشرعَ عازفو الكمنجات والمزامير في الشّرفة يعزفون لحناً عابثاً، واحتوى چوفري عروسه بذراعيه ودارَ بها بحبور. وضع خادم شريحة من كعكة الحمام أمام تيريون وغطاها بملعقة من القشدة بالليمون. تحتوي الكعكة نفسها على لحم حمام مطبوخ، لكنه لم يجدها أكثر إثارة للشّهية من الحمايم التي تضرب هواء القاعة. سانزا أيضاً لم تأكل، فقال لها: «وجهك ممتقع للغاية يا سيّدي. إنك في حاجة إلى الهواء النقي، وأنا إلى سترّة نظيفة»، ونهضَ يمدُّ إليها قائلًا: «هيا بنا».

لكن قبل أن ينسبحا رجّع چوفري، وقال: «إلى أين أنت ذاهب يا خالي؟ هل نسيت أنك ساقبي؟».

- «عليّ أن أبذل ثيابي بأخرى نظيفة يا جلالة الملك. هل تأذن لي في الانصراف؟».



- «لا، إنك تُعجِبنِي كما أنت. قدّم لي نبيذِي».

كانت كأس الملك على المائدة حيث تركها، واضطرَّ تيريون لأن يتسلَّق مقعده مجدّدًا ليلبّغها. اختطفها چوفري من يده وجرعَ طويلًا ليتحرّك حلّقه والنبيذ يسيل أرجوانيًا على ذقنه، وقالت مارچري: «يجدُر بنا أن نعود إلى مكاننا يا سيّدي. اللورد باكلر يُريد أن يرفع لنا نخبًا».

ردّ چوف: «خالي لم يأكل نصيبه من كعكة الحمام»، وتخلّت إحدى يديه عن الكأس واندستت في نصيب تيريون، ثم قال بسخرية وهو يحشو فمه بالحمام المتبل الساخن: «حظ سيّئ ألا يأكل من الكعكة. أترى؟ إنها لذيذة»، وتناثرت رُقاقات من القشرة الرّفيعة من فمه إذ سعلَ وعادَ يدسُّ قبضته في شريحة الكعك مضيّفًا: «لكنها جافّة، تحتاج إلى ما أبلعها به». أخذ چوفري جرعةً أخرى من النبيذ وعادَ يسعلُ بعنفٍ أكثر هذه المرّة، قبل أن يقول: «أريدُ أن أرى، كُح، أراك تركب هذا، كُح كُح، الخنزير يا خالي. أريدُ...»، وانبترت عبارته إذ استولت عليه نوبة من السعال.

رمقته مارچري بتوتّر قائلةً: «جلالة الملك؟».

- «إنها، كُح، الكعكة، لا ش... كُح، الكعكة»، وأخذ چوف جرعةً أخرى من نبيذه، أو بالأحرى حاول، لكنه قاءَ النبيذ كلّهُ عندما أرغمته موجة جديدة من السعال على الانثناء على نفسه وقد بدأ وجهه يحتقن وهو يُحاول أن يتكلّم: «لا، كُح، أستطيعُ، كُح كُح كُح...»، وانزلت كأس من يده لينسكب النبيذ الأحمر القاني على المنصّة.

شهقت الملكة مارچري صائحةً: «إنه يختنق!».

اقتربت جدّتها ملكة الأشواك منها صارخةً بصوتٍ يفوقها حجمًا عشر مرّات: «ساعدوا الصّبي المسكين! أيها الحمقى! هل ستكتفون بالوقوف والحملقة؟ ساعدوا ملككم!».

دفع السير جاران تيريون جانبًا وأخذ يدقّ چوفري على ظهره، وفتح السير أوزموند كتبلاك ياقة الملك ممزّقًا إياها، ومن خلق الصّبي خرج صوت خائف عال رفيع، صوت رجل يُحاول أن يمتصّ نهرًا بعودٍ من البوص، ثم توقّف الصّوت، وكان هذا أشنع. هدرَ مايس تايرل في الجميع ولا أحد: «اقلّبوه! اقلّبوه وانفضوه من قدميه!»، وصاح صوت آخر: «ماء!».

اسقوه ماء!»، وراح السِّبْتون الأعلى يتهل بصوتٍ مسموع، وزعق المايستر الأكبر پايسل طالبًا أن يُساعده أحد على العودة إلى مسكنه ليجلب أدويته، بينما بدأ چوفري يخمش حلقة لتحفر أظفاره في لحمه وتُدْميه، وتحت جلده نفرت عروقه وبرزت عضلاته مشدودةً عن آخرها بصلاية الحجر، وانفجر الأمير تو من في البكاء والعيول.

أدرك تيريون ما سيحدث، وقال لنفسه: سيموت. ساوره هدوء عجيب على الرغم من الجعجعة المضطربة في كل مكان حوله. كانوا يدقون ظهر چوفري ثانية، لكن وجهه ظلَّ يسودّ ويسودّ، والكلاب تنبح، والأطفال يصرخون، والحضور يصيحون في بعضهم بعضًا بنصائح عديمة الجدوى. كان نصف ضيوف الزفاف على أقدامهم الآن، يتدافع بعضهم من أجل نظرة أفضل ويهرع البعض الآخر إلى الأبواب لائتداء بالفرار.

فتح السير مرين فم الملك قسرًا ليدسّ ملعقته في حلقة، وإذ فعل هذا التقت عينا الصبي عيني تيريون، الذي فكّر: له عينا چايمي. غير أنه لم ير چايمي خائفًا هكذا قط. الصبي في الثالثة عشرة لا أكثر. كان حلق چوفري يُصدر صوتًا جافًا كالطقطقة وهو يُحاول أن يتكلم، وجحظت عيناه على اتساعهما رعبًا، ورفع يده... يمدّها إلى خاله، أو يُشير إليه... هل يطلب مني المغفرة أم يحسب أنني أستطيع أن أنقذه؟

ولوت سرسي: «لا!!! أبي، ساعده، فليُساعده أحد، ابني، ابني...».

وجد تيريون نفسه يُفكّر في روب ستارك. زفاني يبدو أفضل كثيرًا الآن. التفت ليرى وقع ما يجري على سانزا، لكن كل ما في القاعة من هزج ومرج حال دون أن يجدها، وإن وقعت عيناه على كأس الزفاف المنسيّة على الأرض، فاتّجه إليها والتقطها. في قاعها كان نصف بوصة من التبيد الأرجواني الدّاكن، وتفكّر تيريون لحظة ثم صبّه على الأرض.

كانت مارچري تايرل تتحب بين ذراعي جدتها، والعجوز تقول: «تشجعي، تشجعي»، وكان معظم الموسيقيين قد فرّ، لكن زمارًا واحدًا بقي في الشرفة يعزف لحنا جنائزيًا، وفي مؤخرة قاعة العرش شبّ الشجار عند الأبواب والهاربون يطئون بعضهم بعضًا، وقد تدخّل رجال السير آدم لإعادة

النَّظَامَ إِلَى صَفُوفِ الضُّيُوفِ الَّذِينَ انْدَفَعُوا إِلَى اللَّيْلِ فِي الْخَارِجِ، بَعْضُهُمْ يَبْكِي  
وَبَعْضُهُمْ يَتَعَثَّرُ وَيَتَقَيَّأُ وَبَعْضُهُمُ الدَّمَاءَ غَائِضَةً مِنْ وَجْهِهِ مِنْ فِرَاطِ الْخَوْفِ.  
مَتَأَخَّرًا خَطَرَ لِتِيرِيُونَ أَنْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُغَادِرَ بِدَوْرِهِ.

وَحِينَ سَمِعَ صَرِيخَةَ سَرَسِيِّ عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ انْتَهَى.  
قَالَ لِنَفْسِهِ: عَلَيَّ أَنْ أَغَادِرَ حَالًا، وَبَدَلًا مِنْ هَذَا تَقَدَّمَ مِنْهَا.  
كَانَتْ أُخْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ فِي بَرَكَةٍ مِنَ النَّبِيدِ تَحْتَوِي جَسَدَ ابْنِهَا، فَسْتَانَهَا  
مَمْرُقٌ مَلَطَّخٌ وَوَجْهَهَا أَيْضًا كَالطَّبَاشِيرِ. زَحَفَ كَلْبٌ أَسْوَدٌ نَحِيلَ صُوبَهَا  
وَتَشَمَّمَتْ جَثَّةٌ چُوفَرِي، وَقَالَ لِلرُّودِ تَايُوبِينَ: «الصَّبِي مَاتَ يَا سَرَسِي»، وَفِيمَا  
طَرَدَ أَحَدَ حُرَّاسِهِ الْكَلْبَ وَضَعَ يَدَهُ الْمَقْفُزَةَ عَلَى كَتِفِ ابْنَتِهِ مُرَدِّفًا: «ارْفَعِي  
يَدَيْكَ عَنْهُ، دَعِيهِ»، لَكِنَّمَا لَمْ تَسْمَعَهُ، وَتَطَلَّبَ الْأَمْرَ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِ الْحَرَسِ  
الْمَلِكِيِّ لِيَحْلَأَ أَصَابِعَهَا كَيْ يَنْزِلَ جَثْمَانِ الْمَلِكِ چُوفَرِي بَارِاثِيُونَ إِلَى الْأَرْضِ  
رُخْوًا خَالِيًا مِنَ الْحَيَاةِ.

رَكَعَ السَّبَّيْتُونَ الْأَعْلَى إِلَى جِوَارِهِ، وَرَتَّلَ بَادئًا صَلَاةَ الْمَوْتَى: «أَبَانَا الَّذِي فِي  
الْأَعَالِي، احْكَمْ عَلَيَّ مَلِكُنَا الْعَزِيزِ چُوفَرِي بَعْدَكَ»، وَبَدَأَتْ مَارچَرِي تَايِرْلَ  
تَبْكِي، وَسَمِعَ تِيرِيُونَ أُمَّهَا اللَّيْدِي آلِيرِي تَقُولُ: «لَقَدْ اخْتَنَقَ يَا صَغِيرَتِي، اخْتَنَقَ  
بِالْكَعْكَةِ، لَا عِلَاقَةَ لَكَ بِالْأَمْرِ، لَقَدْ اخْتَنَقَ، كَلْنَا رَأِينَا».

بِصَوْتِ حَادِ كَسِيفِ السَّيْرِ إِلَيْنِ قَالَتْ سَرَسِي: «لَمْ يَخْتَنَقْ. ابْنِي مَاتَ  
مَسْمُومًا»، وَنَظَرَتْ إِلَى الْفُرْسَانِ الْبَيْضِ الْوَاقِفِينَ بِعَجْزٍ حَوْلَهَا قَائِلَةً: «فَلْيُؤَدِّ  
رِجَالُ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ وَاجِبَهُمْ».

سَأَلَهَا السَّيْرُ لُورَاسَ تَايِرْلَ حَائِرًا: «مَاذَا يَا سَيِّدَتِي؟».  
أَجَابَتْهُ أَمْرَةٌ: «اقْبِضُوا عَلَيَّ أَخِي. الْقَزْمُ هُوَ مَنْ فَعَلَ هَذَا، هُوَ زَوْجَتُهُ  
الصَّغِيرَةُ، قَتَلَا ابْنِي، مَلِكِكُمْ. خُذُوهُمَا الْآنَ! خُذُوهُمَا!».



## سانزا

في مكانٍ بعيدٍ في المدينة بدأ أحدهم يقرع ناقوسًا.  
أحسَّت سانزا كأنها في حُلْم، ولترى إن كانت ستُفِيق منه قالت للأشجار:  
«چوفري مات».

لم يكن قد قضى أجله بعدُ عندما خرجت من قاعة العرش. تركته وهو  
على رُكبتيه، يخمش حلقه ويُمزق لحمه مقاتلاً لالتقاط أنفاسه في منظرٍ شنيعٍ  
لم تحتمل مشاهدته وهربت من المكان وهي تنشج. كانت الليدي تاندا تفرُّ  
أيضًا، وقالت لها: «إنكِ طيِّبة القلب حقًّا يا سيِّدتي. ليس بمقدور كلِّ فتاةٍ أن  
تبكي الرَّجُل الذي نبذها وزوَّجها قرمًا».

طيِّبة القلب، أنا طيِّبة القلب. ارتفع الضَّحك المحموم من أعماقها إلي  
حلقومها، لكن سانزا خنقته. كانت الأجراس ترنُّ بحُزنٍ بطيء، وترنُّ وترنُّ  
وترنُّ كما رنَّت للملك روبرت من قبل. چوفري مات، چوفري مات، مات،  
مات، مات، فلم تبكي إذن على حين تُريد أن ترُقِّص؟ أهي دموع الفرح؟  
وجدت ثيابها حيث خبأتها ليلة أول من أمس، ودون وصيفاتٍ يُساعِدنها  
استغرقت وقتًا أطول من اللازم حتى حلت أربطة فُستانها بيدين متخادلتين  
خرقاوين، مع أنها لم تكن خائفةً لهذه الدَّرَجَة كما يُفترَض. تذكَّرت الليدي  
تاندا تقول: «قسوة من الآلهة أن تأخذه في ريعان شبابه ووسامته، وفي حفل  
زفافه أيضًا».

الآلهة عادلة. روب أيضًا مات في حفل زفاف، وروب هو من تبكيه الآن.  
هو ومارچري. مارچري المسكينة التي تزوجت مرَّتين وفي المرَّتين ترمَّلت.  
سحبَت سانزا ذراعها من كُمِّ وأنزَلت الفُستان وخلعته، ثم كَوَّرتِه ودسَّته داخل

جذع شجرة سَنديان، قبل أن تُخرج الملابس التي أخفَتها هناك وتنفضها. قال السير دونتوس أن ترتدي ثياباً ثقيلةً داكنةً، ولأنها لا تملك شيئاً أسود فقد انتقتُ فُستاناً من الصُوف البنيِّ السَّميك، وإن كان صدره مرصعاً بلألأى المياه العذبة. المعطف سيُخفيها. ارتدَّت الفُستان ثم المعطف الأخضر الداكن ذا الفلنسة الكبيرة التي لم ترفعها على رأسها في الحال. كانت قد خبأت حذاءً بسيطاً متيناً أيضاً، بكعيين مسطحين ومقدمتين مرتبعتين. فكَّرت شاعرةً بالخدر كأنها تحلمُ: الآلهة سمعتُ صلاتي، لكن جلدي استحال إلى بورسِلين، إلى عاج، إلى فولاذ. تحرَّكت يداها بتيئسٍ غريب كأن هذه أول مرَّة تستخدمهما لحلَّ شعرها، وتمنَّت لحظةً لو أن شيأٍ معها الآن لتُساعدَها على خلع الشَّبِكة.

ولمَّا خلعتها انسدلَّ شعرها الكستنائي الطويل على كتفيها وظَّهرها، وتدلَّت شبكة الفضة المغزولة من أصابعها، يلتمع معدنها النقي بنعومةٍ وتصطبغ أحجارها الكريمة بالأسود في نور القمر. جَمِشتُ أسود من (آشاي). ألفتُ سانزا أحد الأبحار مفقوداً، ورفعت الشَّبِكة تنفَحَّصها، فرأت لطحَّة داكنةً في التَّجويف الفضي الذي سقطَ منه الحجر.

انتابها فرع مفاجئ، وتسارعت دقات قلبها وراء الصُّلوع وحبست أنفاسها وهلةً. لماذا أشعربُ بكلِّ هذا الخوف؟ إنه مجرد حجر جَمِشت، جَمِشت أسود من (آشاي) لا أكثر. لا بُدَّ أنه كان مخلخلًا فحسب، كان مخلخلًا وانخلع، ومُلقي الآن على الأرض في قاعة العرش أو السَّاحة، ما لم...

السير دونتوس قال إن الشَّبِكة مسحورة وستُعيدها إلى الوطن، وشدَّد على أن ترتديها ليلة زفاف چوفري. كانت الأوتار الفضيَّة مشدودةً على مفاصل أصابعها، وراح إبهامها يُداعِب الفجوة التي كان يحتلها الحجر. حاولت أن تتوقَّف لكن أصابعها لم تكن تحت سيطرتها، وظلَّ إبهامها منجذباً إلى الفجوة كما ينجذب اللسان إلى سنِّ مفقودة. أيُّ سحر هذا؟ لقد مات الملك، الملك الذي كان أميرها الشَّهم قبل ألف عام. إذا كذَّب دونتوس بشأن شبكة الشَّعر، فهل كان كل ما قاله كذباً؟ ماذا لو لم يأت؟ ماذا لو لم تكن هناك سفينة أو قارب ينتظر على شاطئ النَّهر؟ ماذا لو لم يكن هناك مهرب؟ ما الذي سيحدث لها عندئذٍ؟

سمعت حفيف أوراق الشجر الخافت، فدرست الشبكة في قاع جيب معطفها، وصاحت: «من هناك؟ من أنت؟».

كانت أيكة الآلهة مظلمة مبهمّة، والأجراس تزفُ چوفري إلى قبره.

- «أنا»، أجابها وهو يخرج من تحت الأشجار مترنحًا من الشكر، ووضع يده على ذراعها ليثبت نفسه مضيضًا: «لقد جئتُ يا جميلتي چونكويل، فارسك فلوريان جاء، لا تخافي».

سحبت ذراعها من لمستة قائلّة: «قلت إن عليّ أن أرتدي شبكة الشعر، الشبكة الفضّية ذات... أي نوع من الأحجار هذا؟».

- «جمّشت، جمّشت أسودّ من (أشاي) يا سيّدي».

- «ليس هذا جمّشتًا، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ لقد كذبت عليّ».

- «جمّشت أسود مسحور».

- «جمّشت أسود قاتل!».

قال دونتوس: «مهلاً يا سيّدي، مهلاً. لا قتل، لقد اختنق بكعكة الحمام»، وأطلق ضحكة مكتومة متابعًا: «أوه، كعكة لذيدة لذيدة. فضّة وأحجار كريمة، هذا كل شيء، فضّة وأحجار كريمة وسحر».

كانت الأجراس ترنُّ والريّح تُصدر صوتًا كالذي أصدره هو إذ كافح لالتقاط أنفاسه.

قالت: «لقد سمّته، أنت سمّته، أخذت حجرًا من شبكتي...».

- «صه وإلا أهلكنا معًا. لم أفعل شيئًا. تعالي الآن، يجب أن نذهب. إنهم يبحثون عنك، وألقوا القبض على زوجك».

قالت مصدومة: «تيريون؟».

- «ألك زوج غيره؟ العفريت، الخال القزم، إنها تحسب أنه فعلها»، وأمست يدها وجذبها قائلًا بالحاح: «من هنا، يجب أن نذهب، هيا بسرّعة، لا تخافي».

تبعتّه بلا مقاومة. ذات مرّة قال چوف إنه لا يُطيق بكاء النساء، لكن أمّه المرأة الوحيدة التي تبكي الآن. في حكايات العجوز نان تصنع الجرامينات أشياء سحرية تجعل الأمانى تتحقّق. تساءلت سانزا: هل أماتته أميتي؟ ثم إنها تذكّرت أنها أنضح من أن تعتقد في وجود الجرامينات. «تيريون هو من

سَمِّه؟». تعرف أن زوجها الفزَم كان يكره ابن أخته، فهل يُمكن أنه قتله حقاً؟ هل كان على علم بامر شبكة الشعر والجمشت الأسود؟ لقد قدّم لچوف نيذِه. كيف تخنق أحداً بوضع حجر جمشت في نيذِه؟ قالت لنفسها ووجل مفاجئ يعترِبها: إذا كان تيريون من فعلها فسبحسون أي شريكته. وكيف لا؟ إنهما زوج وزوجة، وچوف قتل أباهما وتهكّم عليها بموت أخيها. جسد واحد، قلب واحد، روح واحدة.

قال دونتوس: «عليك أن تلوذِي بالهدوء الآن يا حلوتي. يجب ألا نُصدِر صوتاً خارج الأيكة. ارفعي قلنسوتك ووارِي وجهك»، فأومأت سانزا وفعَلت كما قال.

كان سكراناً لدرجةٍ دفعَتها لأن تمدد ذراعها إليه بين الحين والآخر كي لا يقع، والأجراس مستمرة في الرنين عبر المدينة وينضمُّ المزيد منها إلى الجوقة الجنائزية كل لحظة. أبقت سانزا رأسها منخفضاً وظلت تتحرك وسط الظلال بمسافة قصيرة وراء دونتوس، الذي هوى على رُكبتِه فجأةً وهما على السّلالم الملتفة وأفرغ معدته. فكرت وهي تُشاهده يمسح فمه بكُمّه الفضفاض: فلوريان المسكين. قال لها أن ترتدي ثياباً داكنة، لكن تحت معطفه البني ذي القلنسوة ارتدى سُترته الطويلة القديمة ذات رمز عائلة هولارد، الخطوط الأفقية الحمراء والوردية التي يعلوها شريط أسود عريض عليه ثلاثة تيجان ذهبية. سألتُه: «لماذا ترتدي سُترتك؟ چوفري قضى أن تُقتل إذا ضُبطت في ثياب الفُرسان ثانية، وقال... أوه...». ما عاد شيء قضاه چوف يهيم.

أجاب دونتوس: «أردت أن أكون فارساً، من أجل هذا على الأقل»، ونهض ملتقطاً ذراعها، وقال: «هيا، والزمي الصمت، لا أسئلة».

واصلاً هبوط السّلالم الملتوية ثم عبرا فناءً صغيراً غائصاً في الأرض، حيث دفع السير دونتوس باباً ثقيلاً وأضاء شمعةً. كانا الآن في رواق طويل، وبمحاذاة جداريه وقفت حُلل مدرّعة فارغة يكسوها الثراب والظلام، خوداتها لها ريشات على شكل حراشف تمتد حتى الظهر، وإذ مرّ بها مسرعين جعل ضوء الشمعة ظل كل حرشف يستطيل ويتلوّى. الفُرسان الجوف يتحوّلون إلى تنانين.

أفضت بهما مجموعة أخرى من الدرجات إلى باب من البلوط المدعم بالحديد، وقال دونتوس: «تحلي بالقوة الآن يا عزيزتي چونكويل، إنك على وشك الوصول»، ولما رفع القضيب العرضي وفتح الباب شعرت سانزا بنسيم بارد على وجهها، وعبرت بين جدارين يمتدان اثني عشر قدماً قبل أن تجد نفسها خارج القلعة، واقفة على قمة جرف. في الأسفل النهر وفي الأعلى السماء، وكلاهما يُنافس الثاني في السواد.

قال دونتوس: «علينا أن نزل. ثمة رجل عند السفح ينتظر أن يقلنا إلى السفينة».

- «سأسقط». بران سقط، ولكم أحمّ التسلق.

قال: «لا، لن تسقطي. هناك سلم، سلم سرّي محفور في الصخر. ضعي يدك وستجدينه يا سيّدي»، وجثا على ركبتيه معها وجعلها تميل من فوق الحافة والتقط يدها وجعلها تتحسس إلى أن وجدت الدرجة المنحوتة في وجه الجرف، فقال: «لا تختلف كثيراً عن الدرجات الحديد».

وعلى الرغم من هذا فالمسافة إلى أسفل طويلة. «لا أستطيع!».

- «لا بدّ أن تنزلي».

- «أما من سبيل آخر؟».

أجابها بعينين تلمعان: «هذا هو السبيل. لن يكون صعباً على فتاة شابة قوّة مثلك. تمسّكي جيّداً ولا تنظري إلى أسفل إطلاقاً وستجدين نفسك عند السفح في غمضة عين. فارسك المسكين فلوريان بدين وعجوز وسكير، والمفترض أن يكون هو الخائف. لقد اعتدت أن أقع من فوق حصاني، ألا تذكرين؟ هكذا بدأنا. كنتُ سكراناً ووقعتُ من فوق حصاني وأرادَ چوفري أن يقطع رأسي السخيف، لكنك أنقذتني، أنت أنقذتني يا حلوتي».

قالت متبيّنة أنه يبكي: «والآن أنقذتني أنت».

- «فقط إذا ذهب، لكن إذا لم تذهبي فقد قتلتُ كلينا».

هو من فعلها، هو من قتلَ چوفري. يجب أن تذهب، من أجله أيضاً كما من أجل نفسها. «أنت أولاً أيها الفارس». إذا سقط فإنها لا تُريده أن يسقط فوق رأسها فيقع كلاهما في الهوة.

قال: «كما تشائين يا سيّدي»، وأعطاهما قبلة لزجة ثم أنزل ساقيه بخرقٍ من



فوق الحافة وركلَ بهما إلى أن وجدَ موطنَ قدم، فقال لها: «دعيني أنزلَ قليلاً ثم الحقي بي. هل ستأتين؟ يجب أن تُقسِمي». وعدته قائلة: «سأتي».

اختفى السير دونتوس، وسمعته يلهث إذ بدأ التزول. أصغرت سانزا إلى الأجراس وهي تعدُّ رناتها، وعند الرنة العاشرة أنزلت نفسها بحذر من فوق حافة الجرف وتحسست بأصابع قدميها إلى أن وجدت بقعةً تريحها عليها. ارتفعت أسوار القلعة شاهقةً فوقها، ومرّت لحظة لم ترغب خلالها في شيءٍ أكثر من سحب نفسها إلى أعلى والهروع إلى مسكنها الدافئ في (بُرج المطابخ)، لكنها قالت لنفسها: تشجعي، تشجعي كيدي في أغنية.

لم تجرؤ على النظر إلى أسفل، وأبقت ناظريها على الجرف وهي تتأكد من كل درجة قبل أن تهبط إلى التالية. كان الحجر خشناً بارداً، وأحسّت أحياناً بأصابعها تنزلق، كما أن المسافات التي تفصل بين الدرجات ليست متساوية. لم تكف الأجراس عن الرنين، وقبل أن تبلغ سانزا منتصف المسافة راحت ذراعاها ترتجفان وعرفت أنها ستقع. قالت لنفسها: درجة أخرى، درجة أخرى. عليها أن تواصل الحركة. إذا توقفت فلن تتحرك ثانية أبداً، وسيطلع عليها الفجر وهي لا تزال متشبّتهً بالجرف وقد جمدها الخوف. درجة أخرى، ودرجة أخرى.

باغتتها الأرض، وتعثرت وسقطت وقلبها ينبض بعنف، وعندما انقلبت على ظهرها وحدقت إلى البقعة التي نزلت منها دار رأسها وانغرست أصابعها في التراب. فعلتها، فعلتها، لم أسقط، نزلت السلالم والآن سأعود إلى الديار. ساعدها السير دونتوس على الوقوف قائلاً: «من هنا، بهدوء الآن، بهدوء، بهدوء»، وظلّ يتحرك في الظلال السوداء الكثيفة التي تطبق على سفوح الجروف، لكنهما لم يقطعا مسافةً طويلةً لحسن الحظ، وعلى بُعد خمسين ياردةً في اتجاه مصبّ النهر وجدا رجلاً جالساً في قارب صغير شبه مخنف وراء بقايا قادم عظيم جنح إلى الشاطئ في هذه البقعة واحترق. توجه دونتوس إليه لاهئاً، وقال: «أوزويل؟».

قال الرجل المنحني فوق مجدافيه: «لا أسماء. في القارب». كان عجوزاً طويل القامة هزيل الجسد، له شعر أبيض مسترسل وأنف كبير معقوف، وتوارى عيناه تحت قلنسوة. «هيا بسرعة، يجب أن نتحرك».

حين أصبح الاثنان على متن القارب أنزل ذو القلنسوة المجذافين إلى الماء بعضلات ظهرٍ مشدودة وبدأ يتحرك إلى المجرى. من ورائهم كانت الأجراس لا تزال تترنُّ معلنةً موت الملك الصَّبي، ومن أمامهم النَّهر المظلم لهم وحدهم.

بضرباتٍ بطيئةٍ ثابتةٍ موزونةٍ بالمجدافين مخروا المياه في اتجاه المصب، مارين فوق القوادم الغارقة وبالصَّواري المكسورة والأبدان المحروقة والأشربة الممزقة. كان محبسا المجذافين مكتومين، فتحركوا بصوتٍ في غاية الخفوت بينما بدأت غشاوة ترتفع فوق صفحة النَّهر، ورأت سانزا متاريس أحد بُرجي الأوناش اللذين شيدهما العفريت تلوح من أعلى، وإن كانت السلسلة قد خُفِضت، فعبروا بلا عراقيل في البقعة التي احترق فيها ألف رجل. ابتعد الشاطئ وتكاثف الصَّباب وأخذ رنين الأجراس يخفت، وأخيراً اختفت أضواء المدينة نفسها وضاعت في مكانٍ ما وراءهم. كانوا الآن في (الخليج الأسود)، وتقلص العالم حتى أمسى مياهاً مظلمةً وضباباً يذروه الهواء، والرَّفيق الصَّامت المنحني على المجذافين.

سألت: «كم سنبعد؟».

قال الملاح: «لا كلام». كان أقوى مما يبدو على الرغم من سنِّه المتقدِّمة، وصوته صارم، وفي وجهه شيء مألوف على نحوٍ غريب، وإن لم تستطع سانزا إدراكه.

قال السير دونتوس: «لن نبتعد كثيراً»، والتقطَ يدها وفرَّكها برقةٍ مضيِّفاً: «صديقك قريب ومنتظر».

دمدم الملاح: «لا كلام! الماء يحمل الأصوات أيها السير مهرج». عضت سانزا شفتها بارتباكٍ وطأطأت رأسها صامتةً، ومضت بقيَّة الرِّحلة في التَّجذيف والتَّجذيف والتَّجذيف.

كانت سماء الشُّرق مضاءةً بأولى خيوط الفجر الباهتة حين أبصرت سانزا الجسم الشُّبهي في الظلمة أمامهم، قادمًا تجاريًا مطويَّ الأشربة يتحرك بتؤدةٍ بصفٍ واحدٍ من المجاذيف، وإذ دنوا رأَت تمثال مقدِّمة السَّفينة الذي يتخذ شكل عريس بحر يعتمر تاجًا ذهبيًا وينفخ في بوقٍ كبيرٍ من الأصداف. سمعت صيحةً وبدأ القادس يدور بيضاء نحوهم.

توقّفوا إلى جوار القادس الذي ألقى سلّمًا من الحبال من فوق الحاجز، ورفع الملاح مجدافيه ثم ساعدَ سانزا على التّهوض قائلاً: «اصعدي، هيا يا فتاة، لا تخافي»، فشكرته على لطفه لكنها لم تتلقَ إجابةً إلا دمدمةً. كان صعود سلّم الحبال أهون بكثيرٍ من نزول الجرف، وتبعها الملاح أوزويل إلى أعلى، بينما ظلّ السير دونتوس في القارب.

وجدت بحارين ينتظرانها عند الحاجز لمساعدتها على الصعود إلى السطح. كانت ترتعد، وسمعت أحداً يقول: «إنها باردة»، وخلع الرجل معطفه ووضعَه على كتفها قائلاً لها: «هاك، أهذا أفضل يا سيّدي؟ اطمئني، الأسوأ انتهى بلا رجعة».

ميّزت الصّوت في الحال. لكنه في (الوادي). كان السير لوثور برون واقفاً إلى جواره يحمل مشعلاً.

نادى دونتوس من القارب: «لورد بيتر، عليّ أن أعود الآن قبل أن يفكروا في البحث عني».

وضع بيتر بايلش يده على الحاجز قائلاً: «لكنك تُريد أجرك أولاً. عشرة آلاف تينين، أليس كذلك؟».

فرك دونتوس فمه بظُهر يده مجيئاً: «عشرة آلاف، كما وعدت يا سيّدي».

- «سير لوثور، المكافأة».

خفض لوثور برون المشعل، وخطا ثلاثة رجالٍ إلى الحاجز ورفعوا نُشائياتهم وأطلقوها.

أصاب سهم صدر دونتوس وهو ناظر إلى أعلى وانغرس في التّاج الأيسر على سُترته، واخترق الآحران حلّقه وبطنه. حدث ما حدث بسرّعة شديدة حتى إن كلا دونتوس وسانزا لم يجدا وقتاً للصّياح، ولمّا انتهى الأمر ألقى لوثور المشعل على الجثّة، وإذ بدأ القادس يتعدّ كانت النّار تلتهم القارب الصّغير.

صاحت سانزا: «لقد قتلته!»، وأطبقت على الحاجز وأشاحت بوجهها مفرغةً معدتها. هل فرّت من آل لانستر لتقع في ما هو أسوأ؟

غمغم الإصبع الصّغير: «سيّدي، لا تبدي حُزنك على رجلٍ مثله كان سكيّراً وليس صديقاً لأحد».

- «لكنه أنقذني!».

- «لقد باعك لقاء وعدٍ بعشرة آلاف تينٍ ذهبي. اختفاؤك سيجعلهم يشتهون بك في مقتل چوفري، وسيطاردك ذُوو المعاطف الذهبية ويُلوِّح الخصيُّ بكيس نقودٍ ممتلئ، لكن دونتوس... كما سمعت. لقد باعك مقابل الذهب، وكان ليبيعك ثانيةً عندما يُنفقه كله على الشراب. كيس من التنانين يشتري صمت المرء فترةً، لكن سهماً في المكان الصحيح يشتريه إلى الأبد»، وابتسم بحُزنٍ متابعاً: «كلُّ ما فعله كان بتعليماتٍ مني. إنني لم أجروُ على مصادقتك على الملأ، لكن عندما سمعتُ أنك أنقذت حياتَه في دورة چوف علمتُ أنه سيكون الأجير المثالي».

قالت سانزا والإحساس بالغبثان يُعاودها: «قال إنه فارسي فلوريان».

- «هل تذكُرِين ما قتلته لك يوم اعتلى أبوك العرش الحديدي؟».

استرجعت اللحظة بوضوح، وأجابت: «قلت لي إن الحياة ليست أغنيَّةً، وإنني سأتعلم هذا ذات يوم للأسف»، وشعرت بالدموع تنبع في مُقلتيها، لكن سواء أتبكي السير دونتوس هولارد أم چوف أم تيريون أم نفسها فلا تدري. «أكل شيءٍ كذب؟ إلى الأبد؟ كل شخص وكل شيء؟».

قال: «كل شخص تقريباً، باستثناءنا نحن الاثنين بالطبع»، وابتسم مردفاً: «تعالى إلى أيكَة الألهة الليلة إذا أردتِ العودة إلى ديارك».

- «الرّسالة... كانت منك؟».

- «كان ضروريّاً أن تكون أيكَة الألهة، فلا مكان غيرها في (القلعة الحمراء) لا تتلصص عليه طيور الخصيِّ الصّغيرة... أو فترانه الصّغيرة كما أسَمِّي جواسيسه. في أيكَة الألهة أشجار بدلاً من الجُدران، وسماء بدلاً من السّقف، وجذور وثرّبة وصخور بدلاً من الأرضيّة، ولا مكان تختبئ فيه الفئران، وعلى الفئران أن تختبئ خشية أن يطعنها البشر بالسّيوف»، والتقط اللورد پيتر ذراعها مضيئاً: «دعيني أصحبك إلى قمرتك. أعرفُ أن يومك كان طويلاً عصيباً، ولا بُدَّ أنك متعبَةٌ».

كان القارب الصّغير قد أصبح دَوامَةً من الدُّخان والنّار وراءهم بالفعل، يكاد يختفي في رحابة بحر الفجر. لا عودة الآن، وسيلها إلى الوحيد إلى الأمام. قالت: «متعبَةٌ جداً».

قال وهو يقودها إلى أسفل: «احك لي عن الحفل. لقد تجسّمت الملكة الكثير؛ المغنّين والحواة والدّب الرّاقص... هل استمتع السيّد زوجك بنزال القزمين؟».

- «كانا قزميك؟».

- «اضطرتُّ لأن آتي بهما من (برافوس) وأخفيهما في ماخور حتى الرّفاف. لم يُفكّ التّكلفة إلا الإزعاج. من الصّعب إلى حدّ مدهش أن يستطيع المرء إخفاء الأقرام، وچوفري... يُمكنك أن تقودي ملكاً إلى الماء، لكن مع چوف عليك أن تُثريه أولاً حتى يتتبه إلى كونه ماءً ويشرب منه. حين أخبرته بأمر مفاجأتي الصّغيرة قال جلالته: ولم أرغب في وجود قزمين قبيحين في زفاني؟ إنني أكره الأقرام، فكان عليّ أن أضع يدي على كتفه وأقول: ليس كما سيكرههما خالك».

اهتزّ سطح السّفينة تحت قدميها، وأحسّت سانزا كأن العالم نفسه فقد توازنه، وقالت: «يظنّون أن تيريون سمّم چوفري. السير دونتوس قال إنهم قبضوا عليه».

ابتسم الإصبع الصّغير قائلاً: «التّرمل سيُناسبك يا سانزا».

جعلت الفكرة معدتها تضطرب. إنها لن تضطرّ للنّوم في سرير واحد مع تيريون ثانية أبداً، وهذا ما أرادته... أليس كذلك؟

كانت القمرة ضيّقة واطئة السّقف، لكنها وجدّت حسيّة من الرّيش موضوعة على رّف النّوم الضيّق لجعله مريحاً أكثر، وفوقها تكوّمت أغطية سميقة من الفرو. قال الإصبع الصّغير: «فراش صغير، أعرف، لكنه لن يُضايقك كثيراً»، وأشار إلى صندوق من خشب الأرز تحت الكوة، وأردف: «ستجدين ثياباً نظيفة هنا؛ فساتين وملابس داخلية وجوارب ثقيلة ومعطفاً، لكنني أخشى أنها من الصّوف والكتّان فقط، لا تليق بفتاة في جمالك، لكنها تصلح للحفاظ عليك جافةً نظيفةً إلى أن نجد لك شيئاً أفضل».

كل هذا أعدّه من أجلي. «سيّدي، إنني... إنني لا أفهم... چوفري أعطاك (هارنهال) وجعلك سيّد أراضي (الثالوث) الأعلى... فلم...».

قال الإصبع الصّغير: «لماذا أردتُ موته؟»، وهزّ كتفيه مواصلاً: «لم يكن لديّ دافع، كما أنني في (الوادي) الآن، أبعُد ألف فرسخ عن المدينة. ضعي

أعداءك في حيرة دائمة. إذا ظلُّوا يجهلون مَنْ تكونين وماذا تُريدين، فلن يعرفوا الخطوة التَّالية التي ستُقدِّمين عليها أبدًا. أحيانًا أفضل وسيلة لإرباكهم أن تتَّخذي خطواتٍ بلا هدف، بل وقد تبدو في غير صالحك. تذكري هذا يا سانزا عندما تدخُلين اللعبة».

- «أيُّ... أيُّ لعبة؟».

أجابها: «اللعبة الوحيدة، لعبة العروش»، وأزاح خُصلةً من شعرها متابعًا: «إنك كبيرة بما يكفي لأن تعرفي أن السيِّدة والدتك وأنا، كنا أكثر من صديقين. في وقتٍ ما كانت كات كل ما أردته من العالم، وجرؤت على الحلم بالحياة التي سنعيشها معًا والأطفال الذين سنُنجبهم لي... لكنها كانت ابنة (ريقرن) وهوستر تلي. العائلة، الواجب، الشرف يا سانزا، ومعنى العائلة والواجب والشرف أن حصولي على يدها كان مستحيلًا، لكنها أعطتني شيئًا أسمى، هديةً تستطيع المرأة أن تمنحها مرَّةً واحدةً في حياتها كلِّها، فكيف أديرُ ظهري لابنتها؟ في عالم أفضل كان من الممكن أن تكوني ابنتي لا ابنة إدارد ستارك، ابنتي المحبَّة المُخلصة... دعيك من چوفري يا حلوتي، ودونيتوس وتيريون وبقيتهم، فلن يُزعجوك مجددًا أبدًا. إنك آمنة الآن، وهذا كل ما يهمُّ، آمنة معي، وتبحرين إلى الوطن».

## چایمی

قالوا له ماتَ الملكُ، ولا يدرون أن چوفري كان ابنه علاوةً على مولاه.  
في الخان المجاور للطريق الذي أمضوا فيه الليل أعلنَ بائعُ خُضْر متجوّل:  
«ذبحَ العَفْرِيتَ بخنجرٍ وشربَ دمه من كأسٍ ذهبيةٍ كبيرة».  
لم يتعرّف الرَّجُلُ الفارس الملتحي ذا اليد الواحدة والخُفَّاش الكبير على  
تُرسه كما لم يتعرّفه أيُّ من الموجودين، فقال أشياء كان ليُطبّق فمه عليها لو  
أنه عرفَ هُويّةَ مَنْ يُصغي.  
قال صاحب الخان مصرّاً: «لقد ماتَ بالسُّم. وجه الصّبي اسودَّ كحَبّة  
برقوق».

تمتَمَ سِبتون حاضر: «عسى (الأب) أن يحكّم عليه بالعدل».  
أكد رام في زيِّ جُند اللورد روان: «زوجة القزم شاركتَه ارتكاب الجريمة،  
وبَعدها اختفت من القاعة في سحابةٍ من الكبريت، وشوهدَ ذئب رهيب  
شبحي يجوب (القلعة الحمراء) والدّماء تقطر من فكّيه».  
جلسَ چایمی بصمتٍ وفي يده السُّليمة قرن منسيٌّ من المزمر بينما تكلموا  
وتكلموا، تاركًا كلامهم يَدْخُل من أذنٍ ويَخْرُج من الثانية. چوفري، دمي،  
ولدي الأول، ابني. حاول أن يستحضر وجه الصّبي في مخيّلته، لكن ملامحه  
ظلت تتبدّل إلى ملامح سرسي. لا بُدَّ أنها في حداد، شعرها أشعث وعيناها  
محمّرتان من البكاء وفمها يرتجف كلما حاولت الكلام. سوف تبكي ثانيةً  
حين تراني، مع أنها ستقاوم الدُّموع. نادرًا ما تبكي أخته إلا وهي معه، إذ  
لا تُطبق أن يحسبها الآخرون ضعيفةً. فقط في حضور توأمها تكشف عن  
جراحها. ستتطلّع إليّ ناشدةً المواساة والانتقام.

بأبصارٍ منه ركبوا بأقصى سرعةٍ في اليوم التالي. لقد ماتَ ابنه، وأخته في حاجةٍ إليه.

عندما رأى المدينة أمامه بأبراج حراستها المظلمة في الغسق المتوغل، حَبَّ چايمي لانستر إلى والتون ذي السَّاقين الفولاذ في مقدِّمة الرِّكب، وراء نايج الذي يحمل راية السَّلام.

قال الرَّجل الشَّمالي متأفِّقاً: «ما هذه الرَّائحة الشَّنيعة؟».

فكَّر چايمي: رائحة الموت، لكنه أجاب: «دُخان وعرق وخراء، (كينجز لاندنج) باختصار. إذا كان أنفك قويًّا فستشمُّ رائحة الخيانة كذلك. ألم تشمَّ مدينة من قبل؟».

- «شممتُ (الميناء الأبيض)، لكن رائحتها لم تكن كريهةً هكذا».

- «مقارَنة (الميناء الأبيض) بـ(كينجز لاندنج) كمقارَنة أخي تيريون بجريجور كليجاين».

قَادهم نايج إلى أعلى هضبةٍ واطئة، ترتفع راية السَّلام ذات الذُّيول السَّبعة فوقه وتموِّج في الهواء، وتلتهم النَّجمة السُّباعيَّة المصقولة على ساريتها. قريبًا سيرى سرسي وتيريون وأباهم. أيُّمكن أن أخي قتلَ ولدي حقًّا؟ يجدُ چايمي هذا عصيًّا على التَّصديق.

كان هادئًا على نحو غريب. يعلم أن من المفترَض أن يُجنَّ جنون المرء إذا ماتَ فلذة كبده، أن يُمزَّق شَعره من الجذور، أن يلعن الآلهة ويُقسِم على الانتقام الدَّامي، فلمَ لا يَشعرُ إلا بأقلِّ القليل؟ الصَّبي عاشَ وماتَ معتقدًا أن روبرت باراثيون أبوه.

صحيحٌ أن چايمي شهدَ مولده، لكن ذلك كان من أجل سرسي أكثر من الصَّبي نفسه، كما أنه لم يحمله قط، إذ قالت سرسي لَمَّا تركت النَّسوة ثلاثهم وحدهم أخيرًا: «كيف سيبدو المنظر؟ سيِّء كفاية أن چوف يُشبهك دون أن يراك النَّاس تُهدِّده وتُدلِّله»، وأذعنَ چايمي بلا اعتراض يُذكر. كان الصَّبي شيئًا وردئيًّا صارخًا يتطلَّب الكثير من وقت سرسي وعناية سرسي وثنديني سرسي، فهنيئًا لروبرت.

والآن مات. تخيَّل چوف على الأرض جثةً هامدةً باردةً بوجه سوَّده السُّم، ولم يزل لا يَشعرُ بشيء. ربما يكون وحشًا كما يتقولون عليه حقًّا. إذا نزل



(الأب في الأعلى) إليه من سمائه مخيّرًا إياه بين استعادة ابنه أم يده، فچايمي يعرف الجواب. ما زال لديه ابن آخر، وما يكفي من نُطفةٍ لإنجاب كثيرين غيره. إذا أرادت سرسي طفلًا آخر فسأعطيها إياه... وهذه المرّة سأحمله، وليأخذ (الأخرون) من لا يروقه هذا. روبرت يتعقّن في قبره، وچايمي ضاق ذرعًا بالكذب.

دارَ فجأةً وهرولاً عائداً ليجد بريان. وحدها الآلهة تعلم لماذا أجشّم نفسي هذا العناء. إنها أقل مخلوق يصلح للرفقة دفعني الحظّ العائر إلى لقاءه. كانت الفتاة راكبةً وراءهم بمسافة بعيدة نوعًا على جانب الطريق، كأنما تُعلن أنها ليست منهم. خلال الرحلة وجدوا لها ثيابًا رجاليّةً؛ سُترّةً هنا، حرملةً هناك، سراويل، معطفًا بقلنسوة، بل وواقى صدرٍ قديمًا أيضًا، والآن تبدو مستريحةً أكثر وهي ترتدي ثياب الرّجال، لكن لا شيء في العالم سيجعلها تبدو مليحةً. أو سعيدةً. بمجرد أن خرجوا من (هارنهال) عادَ عندها الخنزيري المتأصل يفرض نفسه، وقالت بالباح: «أريدُ أسلحتي ودرعي»، فأجابها چايمي: «أوه، حتّمًا، لندعك ترتدي الفولاذ ثانيةً، بالذات الخوذة، فكلنا سنسعد إذا كتمتِ فمكِ وأخفيتِ وجهك».

وهذا ما فعلته بريان، لكن سرعان ما بدأ مزاجه ينحرف من صمتها الواجم بقدر ضجره من محاولات كايرن اللانهاية أن يتزلف إليه. لم أحسب قطّ أنني سأجد نفسي أفتقدُ صُحبة كيلوس فراي، ولترحمي الآلهة. والآن يجد نفسه يتمنّى لو أنه تركها للدّب.

حين بلغها أعلن: «كينجز لاندنج). ها قد انتهت رحلتنا يا سيّدتى وصنّت عهدك وأوصلتني إلى المدينة سالمًا، باستثناء بضعة أصابع ويد». رفقته بريان بعينين خاملتين قائلةً: «نصف عهدي فقط. قلتُ لليدي كاتلين إنني سأعيدُ ابنتها إليها، أو سانزا على الأقل، لكن الآن...».

لم تلتق روب ستارك ولو مرّةً، لكن حُزنها عليه أبلغ من حُزني على چوف. أو ربما تندب الفتاة الليدي كاتلين. كانوا في قرية اسمها (الدّغل الرّمادي) عندما سمعوا ذلك الخبر من فارس بدين متورّد الوجه يُسمّى برترام بيزبوري، رمزه ثلاث خلايا نحل على خلفيّةٍ مخططة بالأسود والأصفر. قال لهم إن فرقةً من رجال اللورد پایير مرّت من (الدّغل الرّمادي) قبل يومٍ واحد،

مسرعةً إلى (كينجز لاندنج) تحت راية سلام هي الأخرى، وأضاف: «بموت الذئب الصَّغير لم يجد بايبر جدوى من مواصلة القتال، كما أن ابنه أسير في (التَّوأمين)». لحظتها حملت بريان مشدوهةً فبدت كبقرة على وشك الاختناق بطعامها المجتر، ووقع على عاتق چايمي أن يستجوب بيزبوري عن حكاية الزَّفاف الأحمر.

قال لها بعدها: «كلُّ لورد عظيم لديه حامل راية منفلت يحسده على مكانته. أبي مُني بال راين وآل تاربك، وآل تايرل بال فلورنت، وهوستر تلي بوالدر فراي. فقط القوَّة تُلزم رجالاً كهؤلاء حدودهم، لكن لحظة أن يشتُموا نفحةً من الضَّعف... في عصر الأبطال كان آل بولتون يسلخون آل ستارك ويصنعون معاطف من جلدهم».

الأسى الذي بدا عليها كان بالغاً لدرجة أن چايمي أحسَّ في نفسه بشيءٍ أقرب إلى الرَّغبة في مواساتها.

ومنذ ذلك اليوم وبريان أقرب إلى الموتى، وحتى دعوتها بـ«يا هذه» لم تُفلح في استفزازها فتستجيب. قوتها خارت تماماً. هذه المرأة أسقطت صخرةً على روبن رايجر، وصارعت دُباً بسيفٍ مثلوم، وقضمت أذن فارجو هوت، وقاتلت چايمي حتى أعيته... لكنها كليلة مهیضة الجناح الآن. قال لها: «سأكلُّم أبي بخصوص إعادتكِ إلى (تارث) إذا أردت، أو إذا فضلت البقاء فيمكنني أن أجد لك مكاناً في البلاط».

سألته بفتور: «كواحدة من ريفقات الملكة؟».

تذكر چايمي منظرها في الفُستان الوردی، وحاول ألا يتخيل ما قد تقول له أخته عن ريفقةٍ مثلها. «ربما منصب في حرس المدينة إذن...».

- «لن أخدم مع ناقضي العهد والقتلة».

أراد أن يرَدَّ سائلاً إياها: لماذا كلَّفتِ نفسكِ عناء التَّمَنُّق بسيفٍ إذن؟ إلا أنه ابتلع السُّؤال، وبدلاً من هذا قال: «كما ترغيبين يا بريان»، ويبدٍ واحدة دار بحصانه وتركها.

كانت (بوابة الآلهة) مفتوحةً حين بلغوها، لكنهم وجدوا نحو دستين من العربات المصطفة على جانب الطريق، محملةً ببراميل التُّفاح وعصيره ورزم التبنِّ وعددٍ من أكبر ثمار اليقطين التي رآها چايمي على الإطلاق. لكلِّ عربةٍ

تقريبًا حراستها الخاصّة؛ رجال مسلّحون على صدورهم شارات لورداتٍ صغار، ومرتزة يرددون قمصان الحلقات المعدنيّة والزّيّ المقوّى، وبعضها يحُرّسه ابن مزارع ما متورّد الوجه يحمل حربةً منزليّة الصُّنع ذات رأس مقوّى بالنّار. ابتسمَ چايّمي لهم وهو يمرُّ بهم، وعند البوّابة كان ذوو المعاطف الذهبيّة يجمعون العملة من كلّ حوذي قبل السّماح لعربته بالدّخول. سألَ والتون: «ما هذا؟».

قال أحد الجنود: «يجب أن يدفعوا من أجل الحقّ في البيع داخل المدينة، بأمر يد الملك وأمين النّقد».

رمقَ چايّمي طابور العربات والخيول المحمّلة الطّويل متسائلًا: «ومع ذلك يصطفون ليدفعوا؟».

أجابَه الطّحّان الجالس على أقرب عربيّة ببشاشة: «التّجارة رائجة هنا الآن وقد انتهى القتال. آل لانستر يُسيطرون على المدينة الآن، اللورد تايبين سيّد الصّخرة). يقولون إنه يتبرّز فضّة».

قال چايّمي مصحّحًا بجفاف: «ذهبًا، وأقسمُ أن الإصبع الصّغير يسكّه من عصا الذهب<sup>(1)</sup>».

قال قائد البوّابة: «العفريت أمين النّقد الآن، أو كان كذلك حتى قبضوا عليه لاغتياله الملك»، ثمّ تطلّع إلى الشماليّين بارتياب، وسأل: «من أنتم؟».

- «رجال اللورد بولتون. جيئنا لنرى يد الملك».

حدّجَ القائد نايج وراية السّلام التي يحملها قائلاً: «تعني أنكم جيئتم لتركعوا. لستم الأوائل. اصعدوا إلى القلعة مباشرةً واحرصوا على عدم إثارة المتاعب»، وأشارَ لهم بالمرور وعادَ يلتفت إلى العربات.

إذا كانت (كينجز لاندنج) حزينةً على ملكها الصّبي الميت فإن چايّمي لم يرَ دلالةً على هذا إطلاقًا. في (شارع البذور) كان أخ شحاذ في ثياب رثة يُصلي بصوتٍ عالٍ لروح چوفري، لكن عابري السّبيل لم يُعيروه انتباهًا أكثر من مصراع نافذةٍ مخلوع تدقّه الرّيح، وفي أماكن أخرى اختلطت الجموع

---

(1) عصا الذهب أو القضبان الذهبيّة جنس يحتوي على نحو مئة من النّباتات المزهرة ذات اللّون الأصفر الرّاهي. (المترجم).

المعتادة بلا نظام؛ ذوو المعاطف الذهبية في قمصانهم المعدنية السوداء، وصبيان الخبازين يبيعون الكعك والخُبز والفطير الساخن، وبائعات الهوى يملن من التوافذ بصداراتٍ نصف مفتوحة، والبالوعات تعبق بالفضلات. مرّوا بخمسة رجالٍ يُحاولون جرَّ حصانٍ ميت من مدخل زُقاق، وفي موضعٍ آخر بحاوٍ يُشَقِّلب السكاكين في الهواءٍ مثيراً غبطة عددٍ من جنود تايرلٍ السكاري والأطفال الصغار.

راكبًا في الشوارع المألوفة في ضُحبةٍ مئتين من الشماليين ومايستر بلا سلسلة وامرأةٍ قبيحة إلى جواره، وجدَ چايمي أن أحدًا تقريبًا لم يُكَلِّف نفسه أن يُلقِي عليه نظرةً ثانية، فلم يدرِ إن كان عليه أن يشعُر بالاستمتاع أم الضيق، وقال لذي الساقين الفولاذ وهُم يقطعون (ميدان الأساكفة): «إنهم لا يعرفونني».

قال الشمالي: «لأن ملامحك تبدّلت، والرّمز الذي تحمله كذلك، كما أن هناك قاتلٍ ملكٍ جديدًا الآن».

كانت بؤاية (القلعة الحمراء) مفتوحةً، لكن مجموعةً من ذوي المعاطف الذهبية المسلحين بالرّماح وقفت تعترض الطريق، وقد سدّدوا رماحهم بمجرد أن رأوا والتون يقترب، وإن تعرّف چايمي الفارس الأبيض الذي يقودهم، فقال: «سير مرين».

اتّسعت عينا السير مرين ترانت الكئيبتان، وقال: «سير چايمي؟».

- «جميل أن أجدك تذكّرني. أزح هؤلاء الرّجال».

وقت طويل انقضى منذ هرع أحدهم يُلبّي أمره بهذه السرعة، وكان قد نسيّ كم يحبُّ هذا.

وجدوا اثنينٍ آخرَين من الحرس الملكي في السّاحة الخارجيّة، اثنين لم يكونا يرتديان المعطف الأبيض عندما خدمَ چايمي هنا آخرَ مرّة. لا يدهشني أن تُصّبني سرسي فائدًا ثم تختار زُملائي دون استشارتي. قال وهو يترجل: «أرى أن أحدهم أعطاني أخوين جديدين».

- «لنا هذا الشرف أيها الفارس»، ردّ فارس الزهور الذي تألّق بوسامةٍ ونقاءٍ في المعدن والحريير الأبيضين، حتى إن چايمي أحسّ كأنه يرتدي أسماءًا بالمقارنة.

التفتَ چايمي إلى السير مرين قائلاً: «توانيت عن تعليم أخوينا الجديدين واجباتهما أيها الفارس».

سأله مرين ترانت بنبرة دفاعية: «وما تلك الواجبات؟».

- «الحفاظ على حياة الملك. كم ملكاً فقدتم منذ غادرتُ المدينة؟ اثنين؟».

ثم إن السير بالون سوان رأى جدعته، فقال: «يدك...».

قال چايمي جاعلاً نفسه يبتسم: «أقاتلُ بيسراي الآن. السَّجال أكثر إثارة هكذا. أين أجدُ السيّد والدي؟».

- «في عُرفته الشَّمسيّة مع اللورد تايرل والأمير أوبرين».

مايس تايرل والأفعوان الأحمر يأكلان العيش والملح معاً؟ عجباً! «هل الملكة معهم أيضاً؟».

أجابهُ السير بالون: «لا يا سيّدي، ستجدها في السَّبتِ تُصَلِّي على جُثمان الملكِ چوف...».

- «أنتِ!».

رأى چايمي أن آخر الشَّماليين ترَجَّل عن مُطيته، والآن لمحَ لوراس تايرل بريان، التي وقفت ممسكةً لجام حصانها والغباء بادٍ عليها، وقالت: «سير لوراس».

تقدّم لوراس تايرل منها بخطواتٍ واسعة قائلاً: «لماذا؟ ستُخبريني بالسَّبب. لقد عاملك بمنتهى الرِّقة وأعطاك معطف قوس قزح. لماذا قتلته؟».

- «لم أقتله، كنتُ لأموت في سبيله».

قال السير لوراس ممتشقاً سيفه الطويل: «ستموتين».

- «لم أفعلها».

- «إمون كاي أقسم وهو يلفظ آخر أنفاسه أنكِ قاتلته».

- «لقد كان خارج الخيمة، ولم ير...».

- «لم يكن في الخيمة إلاك والليدي ستارك، فهل تزعمين أن تلك العجوز استطاعتِ اختراق الفولاذ المَقوَّى؟».

- «كان هناك ظل! أعرفُ أن ما أقوله يبدو جنونياً، لكن... كنتُ أساعدُ نرلي على ارتداء درعه، وانطفأت الشموع وتناثر الدَّم في كلِّ مكان. الليدي

كاتلين قالت إن ستانيس هو من فعلها، ظل... ظل ستانيس. لم يكن لي دور في مقتله، أقسمُ بشرفي...».

- «إنك بلا شرف. اسحبي سيفك. لن أجعلهم يقولون إنني قتلتك وأنت عزلاء».

خطا چایمی بينهما قائلاً: «أعمد سيفك أيها الفارس».

قال السير لوراس وهو يتحرك ليدور من حوله: «أأنتِ قاتلة وجبنة أيضاً يا بريان؟ ألهذا فررتِ ودماؤه تُلطخ يديك؟ اسحبي سيفك يا امرأة!». .

اعترض چایمی طريقة ثانية، وقال: «خيرٌ لك ألا تسحبه وإلا حملنا جثتك أنت. الفتاة بقوة جريجور كليجاين، وإن لم تكن بوسامته».

قال السير لوراس دافعاً إياه جانباً: «ليس هذا من شأنك».

أطبقَ چایمی على سُترة الصَّبي بيده السَّليمة وسحبه بعنف قائلاً: «أنا حضرة قائد الحرس الملكي أيها الجرو المتعطرس، فائدك ما دُمت ترتدي هذا المعطف الأبيض. والآن أعمد سيفك اللعين قبل أن آخذه منك وأدسه في موضع منك لم يجده رنلي نفسه».

تردد الصَّبي لحظةً كانت كافيةً لأن يقول السير بالون سوان: «افعل كما يقول حضرة القائد يا لوراس». كان بعض ذوي المعاطف الذهبية قد استلوا فولاذهم عندئذ، وهو ما دفع بعضاً من رجال (معقل الخوف) إلى أن يفعلوا المثل، ففكر چایمی: مرحى، لا أكاد أترجلُ عن حصاني حتى يقع حمام دم في السَّاحة.

ودسَّ السير لوراس تايرل سيفه في غمده مغتاضاً.

- «لم يكن هذا صعباً، أليس كذلك؟».

قال السير لوراس مشيراً إلى الفتاة: «أريدُ أن يُقبض عليها. ليدي بريان، إنني أتُهمك بقتل اللورد رنلي باراثيون».

قال چایمی: «قولي أن الفتاة شريفة، بل وفيها شرف أكثر مما رأيتُ منك، وربما تقول الحقيقة كذلك. أي نعم لا أستطيعُ نعتها بالذكاء، لكن حتى حصاني نفسه يستطيعُ اختلاق كذبة أفضل من هذه إذا كانت تكذب، لكن ما دُمت مصرّاً... سير بالون، اصحب الليدي بريان إلى زنزانه بُرج واحتجزها هناك تحت الحراسة، واعثر على مسكنٍ لائق لذي السَّاقين الفولاذ ورجاله إلى أن يراهم أبي».

- «أمرك يا سيدي».

كانت عينا بريان الزرقاوان الواسعتان مليئتين بالألم إذ ابتعدَ بها السير بالون ودسته من ذوي المعاطف الذهبية، فأرادَ أن يقول لها: حريٌّ بك أن ترميني بقُبلةٍ في الهواء يا هذه. لماذا يُسيئون فهم كلَّ شيءٍ لعينٍ يفعله كلَّ مرّةٍ؟ إيرس، كل شيءٍ يُنبغ من إيرس. أدارَ چايمي ظهره للفتاة وقطع السّاحة بِخُطى واسعة.

فارس آخرٍ يرتدي الدُّرع البيضاء كان يحرسُ باب السّبت الملكي، رجل طویل القامة أسود اللحية عريض المنكبين معقوف الأنف، ولَمَّا رأى چايمي رَمَقَه وعلى شفّته ابتسامة مستهترة، وقال: «إلى أين تحسب نفسك ذاهباً؟». رفع چايمي جدعته مشيراً، وأجاب: «إلى داخل السّبت، هذا السّبت الذي خلفك. أريدُ أن أرى الملكة».

- «جلالته في حداد، ولمَ سترغب في رؤية أمثالك؟».

أرادَ أن يقول: لأني عشيقها وأبو ابنها القليل، لكنه سأل: «من أنت بحقّ الجحائم السّبع؟».

- «فارس في الحرس الملكي، ومن صالحك أن تتعلّم الاحترام أيها المُعاق وإلا بترتُ يدك الأخرى وجعلتك تأكل إفطارك بمِمَص».

- «أنا أخو الملكة أيها الفارس».

ضحكُ الفارس الأبيض ساخرًا، وقال: «هل هربت إذن؟ وكبرت بعض الشّيء كذلك؟».

- «أخوها الآخر أيها المغفل، وحضرة قائد الحرس الملكي. والآن تنحّ جانباً وإلا ستمنّي لو أنك فعلت».

حدجّه المغفل بنظرةٍ طويلة هذه المرّة قبل أن يقول: «أهدا... سير چايمي»، شدّد قامته مردفًا: «أستميحك العُذر يا سيدي، لم أتعرّفك. لي الشرف أن أكون السير أوزموند كتلبلاك».

وما الشرف في هذا؟ «أريدُ بعض الوقت على انفرادٍ مع أختي. احرص على عدم دخول أحد السّبت أيها الفارس. إذا أزعجنا أحد سأقطعُ رأسك السّخيف هذا».

قال السير أوزموند: «نعم يا سيدي، كما تأمر»، وفتح الباب.

وجدَ سرسي راکعةً أمامَ مذبحِ (الأم)، وقد وُضِعَ تابوتُ چوفري أمامَ تمثالِ (الغريب) الذي يقود الموتى إلى العالمِ الآخرِ، وأفعمتِ رائحةُ البخورِ الهواءَ وأتقدت مئةَ شمعةٍ حاملةً مئةَ صلاةٍ إلى السماءِ. ولا بُدَّ أنَ چوف في حاجةٍ إلى كلِّ صلاةٍ منها.

نظرت أخته من فوق كنفها متسائلةً: «مَن؟»، ثم: «چایمي؟»، ونهضت بعينين أترعتهما الدُّموعُ قائلةً: «أهذا أنت حقًّا؟»، لكنها لم تذهب إليه، ففكرت: لم تأتني قط، دائمًا تنتظر أن أذهب إليها أنا. إنها تمنح، لكن يجب أن أطلب أولاً. حين احتواها بين ذراعيه غمغمت: «كان عليك أن تُعجِّلَ بالمجيءِ. لم تأت مبكرًا التحميه؟ ابني...».

ابننا. قال: «أتيتُ بأقصى ما أستطيعُ من سرعةٍ»، وفَضَّ العناق وتراجعَ حُطوةً قائلاً: «الحرب مندلعة يا أختاه».

- «تبدو مهزولاً للغاية، وشعرك، وشعرك الذهب...».

- «الشعر سينبت ثانيةً»، ورفعَ چایمي عاهته قائلاً لنفسه: يجب أن ترى. «أمَّا هذه فلا».

أتسعت عيناها قائلةً: «أولاد ستارك...».

- «لا، فأرجو هوت هو من فعلَ هذا».

- «مَن؟». الاسم لا يعني لها شيئاً.

- «كبش (هارنهال)، أو أنه كان كذلك فترة».

التفتت سرسي تتطلَّع إلى نعش چوفري. كانوا قد ألبسوا الملك الميت درعاً مذهبةً تُشبهُ درعَ چایمي على نحو غريب، وقد انغلقت مقدمة الخوذة لكن ضوءَ الشُّموعِ انعكسَ بنعومةٍ على الذهب، فتألَّق الصَّبي بشجاعةٍ في موته. أيقظت الشُّموعُ النَّارَ في الياقوت الذي يُزيِّن صدرَ فُستانِ سرسي أيضاً، وانسدلَ شعرها على كتفيها أشعثٌ مكشوفاً. قالت له: «لقد قتله يا چایمي، تماماً كما توعدتني. سيأتي يومٌ أتوهمُ فيه نفسي آمنةً سعيدةً، وسيُحيل فرحتي إلى رمادٍ في فمي، هذا ما قاله».

- «تيريون قال هذا؟». لم يكن چایمي يُريد أن يُصدِّق. قتل ذوي القربى أسوأ من قتل الملوك عند الآلهة والبشر. كان يعلم أن الصَّبي ابني. لقد أُجبتُ



تيريون وأحسنَتْ معاملته. باستثناء تلك المرّة الوحيدة... لكن العِفرية  
يجعل حقيقتها. أم أنه يعلم؟ «لماذا يقتل خوف؟».

قالت: «من أجل عاهرة»، وأمسكت يده السليمة وتشبّثت بها مواصلةً:  
«قال لي إنه سيفعلها، وچوف أدرك هذا، أشار إلى قاتله وهو يُحتصر، إلى  
أخينا الصّغير الوحش»، ولثمت أصابعه قبل أن تُردف: «ستقتله من أجلي،  
ليس كذلك؟ ستتقم لابننا».

سحب چايمي يده من يدها قائلاً: «إنه لا يزال أخي»، ولوّح بجذعته في  
وجهها في حال لم ترها مضيئاً: «ولست في حالة تسمح بقتل أيّ أحد».  
- «إن لك يداً أخرى، أليس كذلك؟ لست أطلب منك أن تغلب كلب  
الصّيد في مبارزة. تيريون قزم محبوس في زنزانه. سيفسح حُرّاسه الطريق  
لك».

قال وقد قلبت الفكرة معدته: «يجب أن أعرف المزيد عمّا حدث وكيف  
حدث».

ردّت سرسي: «ستعرف. ستقام محاكمة، وحين تسمع كلّ ما فعله ستريد  
موته مثلي تماماً»، ومسّت وجهه متابعه: «كنت ضائعة في غيابك يا چايمي،  
كنت أخشى أن يُرسل لي آل ستارك رأسك. لم أكن لأحتمل ذلك»، وقبّلتها،  
قبلة خفيفة، مجرد لمسة من شفيتها لشفتيه، لكن إذ طوّقها بذراعيه أحسّ بها  
ترتجف وهي تقول: «لم أكن كاملة دونك».

لم تكن هناك رقّة في القبلة التي أجابها بها، فقط الجوع، وانفتح فمها  
مستقبلاً لسانه، لكنها قالت بضعفٍ لما انتقلت شفثاه إلى عنقها: «لا، ليس  
هنا. السّبتونات».

قال: «فليأخذ (الآخرون) السّبتونات»، وقبّلتها ثانيةً، قبّلتها فصمتت، قبّلتها  
حتى تأوّتت، ثم إنه أطاح بالشّموع جانباً ورفعها على مذبح (الأم) مزيجاً  
تتورتها والغلالة الحرير أسفلها، وراحت هي تدق صدره بوهن متممة بكلام  
ما عن المجازفة، عن الخطر، عن أبيهما، عن السّبتونات، عن غضبة الآلهة،  
إلا أنه لم يسمع شيئاً مما قالت، وحلّ أربطة سراويله وصعد فوق المذبح  
وباعد بين ساقها البيضاء العاريتين، وانزلت يده على فخذاها واندست  
تحت ثوبها الداخلي، وحين انتزع وجهه ملوثاً بنزيفها القمري، لكنه لم يبالي.

والآن كانت تهمس: «أسرع، بسرعة، بسرعة، الآن، الآن، افعلها الآن، ضاجعني الآن، چایمی چایمی چایمی». بيديها ساعدته على الولوج، وقالت سرسي وهو يدفع نفسه داخلها: «أخي، أخي الحبيب، نعم، هكذا، نعم، أنت معي، أنت في دارك الآن، أنت في دارك الآن، أنت في دارك». قَبِلَتْ أذنه ومَلَسَتْ على شَعْره القصير الزَّعْب، وفقدَ چایمی نفسه في لحم سرسي، وشعرَ بقلبيهما يخفقان معًا لحظةً بلحظة، وببلل الدِّماءِ والمنيِّ حيث التَحَمَا.

لكن فور أن فرغا قالت الملكة: «دعني أنهض. إذا ضَبِطْنَا هكذا...».

على مضض قامَ من فوقها وساعدها على التُّزول من فوق المذبح. كان المرمر الشَّاحِب ملطَّخًا بالدمِّ، فمسحَه چایمی بكَفِّه، ثم انحنى يلتقط الشُّموع التي أسقطها، ولحُسن الحظِّ كانت قد انطفأت كلها قبل أن تَسْقُط. لو شَبَّت النَّار في السَّبَّت لما لاحظتُ البتَّة.

سوَّت سرسي فُستانها قائلةً: «ما فعلناه حماقة. في وجود أينا في القلعة... چایمی، لا بُدَّ أن نتوَحَّى الحذر».

- «سَمْتُ الحذر. آل تارجارين كانوا يُزَوِّجون الأشقاء، فلمَ لا نفعل مثلهم؟ تزوّجيني يا سرسي، ففي أمام البلاد وقولي إنك تُريدني أنا. سنقيم احتفالاً بزفافنا وننجب ابناً آخر بدلاً من چوفري».

قالت متراجعةً عنه: «ليس هذا طريفاً».

- «هل تسمعينني أضحك؟».

بصوتٍ فيه شيء من الحدة قالت: «هل تركت عقلك في (ريقررن)؟ جلوس تو من على العرش يَنْجُم عن نسبه إلى روبرت، وأنت تعلم هذا».

قال: «سيحظي بـ(كاسترلي روك)، أفلا يكفي هذا؟ فليجلس أبونا على العرش، فلا أريدُ إلّاك»، ورفع يده يمسُّ وجتها، لكن العادات القديمة تموت بصعوبة، وكانت اليُمْنى هي ما رفع.

نكصت سرسي من جدعته قائلةً: «لا... لا تتكلّم هكذا. إنك تُخيفني يا چایمی. لا تكن غيبياً. كلمة خطأ واحدة ستُكلِّفنا كلَّ شيء. ماذا فعلوا بك؟».

- «بتروا يدي».

قالت: «لا، هناك ما هو أكثر. لقد تغيّرت»، وتراجعت خُطوةً مردفةً:

«ستكلم لاحقًا، غدًا. وصفات سانزا ستارك حبيسات في زنانه، ويجب أن أستجوبهن... عليك أن تذهب إلى أبي».

- «لقد قطعْتُ ألف فرسخ لأرجع إليك، وفقدتُ أفضل جزءٍ مني في الطريق، فلا تقولي لي أن أغادر».

أشاحت بجسدها عنه مرددةً: «غادِرنِي».

عقدَ چایمی أربطة سراويله وفعلَ كما أمرت، لكن على الرغم من إرهاقه لم يكن بمقدوره الذهاب إلى الفراش الآن، فلا ريب أن نبأ عودته إلى المدينة قد بلغ السيد والده بالفعل.

تعرفه رجال لانستر القائمون على حراسة (برج اليد) في الحال، وقال أحدهم وهو يفتح له الباب: «كل الشكر للآلهة على إعادتك إلينا يا سيدي».

- «لا علاقة للآلهة بالأمر. كاتلين ستارك أعادتني، هي وسيد (معقل الخوف)».

صعد السلالم ودفع باب العُرفة الشمسية داخلًا بلا استئذان، ليجد أباه جالسًا عند النار. كان اللورد تايوين وحده، وهو ما سرَّ چایمی الذي لم يرغب في أن يزدهي بيده المبتورة أمام مايس تايرل أو الأفعوان الأحمر الآن، ناهيك بالاثنين في آن واحد.

قال اللورد تايوين كأنما التقيا آخر مرة على الإفطار هذا الصباح: «چایمی. اللورد بولتون جعلني أتوقُّ وصولك مبكرًا. كنتُ أملُ أن تصل قبل الزفاف». أغلق الباب بهدوءٍ مجيبًا: «تعطلتُ على الطريق. يُقال إن أختي تفوقت على نفسها. سبعة وسبعون صنفًا من الطعام ومصرع ملك، زفاف لم يشهد العالم له مثيلًا. منذ متى وأنت تعرف أنني حر؟».

- «الخصيُّ أخبرني بعد هروبك بأيام قليلة. أرسلتُ رجالًا إلى أراضِي النَّهر لِيبحثوا عنك؛ جريجور كليجاين وسامويل سپايسر والتوأمين پلوم، كما أن فارس أبلغ البعض أيضًا، وإنما بهدوء. اتفقنا على أن عدم إعلان الخبر سيجعل عددًا أقلَّ يُطاردك».

سأله چایمی: «وهل ذكر فارس هذا؟»، ودنا من النار ليجعل أباه يرى.

هَبَّ اللورد تايوين من مقعده وأنفاسه تهسُّ من بين أسنانه، وقال: «من فعلَ هذا؟ إذا كانت الليدي كاتلين تحسب...».

- «الليدي كاتلين وضعت سيفًا على عنقي وجعلتني أقسم على إعادة ابنتيها. هذا من صنع كبشك، فأرجو هوت، سيّد (هارنهال)!».
- أشاح اللورد تايوين بوجهه بامتعاض قائلًا: «لم يعد كذلك. السير جريجور أخذ القلعة. جميع المرتزقة تقريبًا هجروا قائدهم السابق، وفتح عدد من خدم الليدي ونت القدامى بوابةً جانبيّةً، ووجد كليجان هوت وحده في قاعة الألف مستوقد» وقد أصابه الخبال من الألم والحُمى بسبب جرح تعفن، أذنه حسبما سمعتُ».
- ضحك چايمي مرغمًا. رائع! أذنه! لا يكاد يُطيق الانتظار حتى يُخبر بريان، مع أن الفتاة لن تجد الخبر طريقًا كما وجدته. «هل مات؟».
- «قريبًا. لقد قطعوا يديه وقدميه، لكن كليجان مستمتع بالطريقة التي يسيل بها لعاب الكوهوري».
- تخثرت ابتسامة چايمي وهو يتساءل: «وماذا عن رفقة الشجعان؟».
- «القلة التي ظلت في (هارنهال) ماتت، والبقية تشتتت. أعتقد أنهم سيّجّهون إلى المواني أو يتوهون في غياهب الغابات»، وعادت عيناه إلى عاهة چايمي وزمّ فمه غضبًا وهو يقول: «سنقطع رؤوسهم كافة. هل تستطيع المباراة بيسراك؟».
- أستطيعُ ارتداء ملابس في الصباح بالكاد. رفع چايمي اليد المذكورة ليعرضها على أبيه، وقال: «خنصر وبنصر ووسطى وسبابة وإبهام، تمامًا كالأخرى، فلم لا تصلح للمبارزة مثلها؟».
- قال أبوه معاودًا الجلوس: «عظيم، هذا عظيم. عندي هدية لك بمناسبة عودتك. بعد أن أخبرني فارس...».
- قاطعته چايمي: «ما لم تكن يدًا جديدةً فلتنتظر»، وأخذ المقعد المواجه له، وسأله: «كيف مات چوفري؟».
- «مسمومًا. كان يُفترض أن يبدو الأمر كأنه اختنق بقطعة من الطعام، لكنني جعلت المايسترات يشقون حلقة فلم يجدوا انسدادًا».
- «سرسي تدعي أن تيريون فعلها».
- «أخوك قدّم التبيد المسموم للملك تحت أعين ألف من الحضور».
- «حُمق بالغ منه أن يفعل هذا».

- «لقد قبضتُ على مُرافِقِ تيريون ووصيفات زوجته، وسنرى إن كان هناك لديهم ما يقولونه. رجال السير أدام يبحثون عن ابنة ستارك، وفارس عرضَ مكافأةً. سوف تُقام عدالة الملك». عدالة الملك. «ستُعدم ابنك؟».

- «إنه متهم باغتيال الملك الذي هو ابن أخته. إذا كان بريئاً فليس هناك ما يخشاه، لكن علينا أولاً أن ندرس ما في صالحه وضده من الأدلة».

الأدلة. في مدينة الكذابين هذه يعرف چايمي نوع الأدلة التي سيعثرون عليها. «رنلي ماتَ بطريقة غريبة أيضاً حين أراد ستانيس موته».

- «اللورد رنلي قضى نحبه بيد أحد حُرَّاسه، امرأة ما من (تارث)».

- «تلك المرأة ما من (تارث) هي السَّبب في وجودي هنا الآن. لقد ألقيتها في زنازة استرضاءً للسير لوراس، لكنني سأصدقُ أن شبح رنلي حقيقي قبل أن أصدقُ أنها آذته بأيِّ شكل. لكن ستانيس...».

قاطعهُ اللورد تايوين: «چو فري ماتَ بالسُّمِّ لا السَّحر»، وعادَ يرمُقُ جدعة چايمي مردفاً: «لا يُمكنك أن تخدم في الحرس الملكي دون يدٍ تحمل بها السَّيف...».

هذه المرّة قاطعه چايمي: «يُمكنني، وسأفعلُ. هناك سابقة. سأبحثُ في (الكتاب الأبيض) وأجدها إذا أردت. عاجزاً أو كاملاً، فارس الحرس الملكي يخدم مدى الحياة».

- «سرسي وضعت نهايةً لهذا حين استبدلت السير بارستان بدعوى الشَّيخوخة. هدية مناسبة لـ(العقيدة) ستقنع السَّبتون الأعلى بعثتك من يمينك. أختك كانت حمقاء عندما صرفت سلمي بالتأكيد، لكن الآن وقد فتحت الباب...».

- «... فعلى أحدهم أن يُغلقه مجدداً»، ونهضَ چايمي مضيقاً: «لقد ضقتُ ذرعاً بقذف النساء النبيلات إياي بدلاء الخراء يا أبناهُ. لا أحد سألني إن كنتُ أريدُ أن أكون قائد الحرس الملكي، لكن يبدو أنني كذلك، ولديّ واجب...». نهضَ اللورد تايوين أيضاً قائلاً: «نعم، واجب نحو عائلة لانستر. أنت وريث (كاسترلي روك)، ومكانك هناك، وينبغي أن يصحبك تو من باعتباره ربيك ومُرافِقك. في (الصخرة) سيتعلَّم كيف يكون لانستر حقاً، كما أنني

أريده بعيدًا عن أمّه. إنني أنوي أن أجد زوجًا جديدًا لسرسي، أوبرين مارتل ربما، بمجرد أن أقنع اللورد تايرل بأن الزبيجة لا تُمثّل تهديدًا لـ (هايجاردن)، ثم إن وقت زواجك قد حانَ أيضًا. آل تايرل يُصِرُّون الآن أن تتزوَّج مارچري تومن، لكن إذا عرضتكَ بدلًا منه...».

- «لا!». قد سمعَ چايمي كلَّ ما يُمكن أن يحدث. لا، بل أكثر مما يُمكنه أن يحدث، وقد سئمَ الأمر كلّه، سئمَ اللوردات والأكاذيب، سئمَ أباه وأخته، سئمَ كلَّ هذا حتى الثُّخاع. «لا، لا، لا، لا، لا. كم مرّة عليّ أن أقولها حتى تسمعها؟ أوبرين مارتل؟ إنه سيئ السمعة، وليس لأنه يُسمّم سيفه فحسب. لقد أنجبَ نغولا أكثر من روبرت، ويضاجع الغلمان أيضًا... وإذا حسبت لحظةً حمقاء واحدةً أني سأتزوَّجُ أرملة چوفري...».

- «اللورد تايرل يُقسِم أنها لا تزال بكرًا».

- «فلتُمتِ بكرًا إذن ولن أبالي. لستُ أريدها، ولستُ أريد صخرتك!».

- «أنت ابني...».

- «أنا فارس في الحرس الملكي، قائد الحرس الملكي، ولا أنوي أن أكون غير هذا!».

توهَّج ضوء النَّار ذهبيًا على الشَّعر اليباسي الذي يُوطِّرُ وجه اللورد تاويين، ونفَرَ عرق في عنقه، لكنه لم يتكلَّم، ولم يتكلَّم، ولم يتكلَّم. وطال الصَّمت المشدود حتى فاق احتمال چايمي، الذي قال أخيرًا: «أبي...».

أشاح اللورد تاويين بوجهه قائلاً: «أنت لست ابني. تقول إنك قائد الحرس الملكي ولا شيء غير هذا. ليكن إذن أيها الفارس، اذهب وأدِّ واجبك».

## دافوس

ارتفعت أصواتهم بالصلاة كالجِمار المنطفئة إلى سماء المساء الأرجوانية.  
- «نجنا من الظلام يا إلهنا، املاً قلوبنا ناراً لنمشي في سبيلك المنير».  
كانت النار الليلية متقدة في الغسق المتوغل، فبدت كوحش هائل أجاج  
يلقي وهجه البرتقالي المتراقص ظلالاً تُناهز العشرين قدماً طويلاً عبر  
الساحة، وعلى أسوار (دراجونستون) بدا جيش الكراجل والمسوخ كأنما  
يتحرك ويتقلب.

نظر دافوس من نافذة مقنطرة في الشرفة بالأعلى، وشاهد مليساندرا ترفع  
ذراعيها كأنها ستعانق اللهب الراجف، وبصوت عالٍ واضح ترنمت: «أيا  
راهلور، أنت الضوء في أعيننا، النار في قلوبنا، الحرارة في أقطاننا، شمسك  
الشمس التي تدفئ نهاراتنا، نجومك النجوم التي تحمينا في ظلمة الليل».  
قادت الملكة سيليس إجابة المصلين والحماسة تضطرم على وجهها  
الممصوص: «أيا إله الضياء، دافع عنا، فالليل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال». إلى  
جوارها وقف الملك ستانيس مطبقاً فكاهةً بشدة، تومض رؤوس تاجه المطرق  
من الذهب الأحمر كلما حرك رأسه، وفكر دافوس رامقاً إياه: هو معهم، لكنه  
ليس منهم. بينهما كانت الأميرة شيرين، تكاد الرقع الرمادية المرقشة على  
وجهها ورقبتها تبدو سوداء في ضوء النار. ترنمت الملكة: «أيا إله الضياء،  
احفظنا»، ولم يجيب الملك مع الآخرين وظلَّ يُحدق إلى اللهب، فتساءل  
دافوس عمّا يراه فيه. أهي رؤيا أخرى من الحرب المقبلة أم شيء أقرب؟  
واصلت مليساندرا مترنمة: «راهلور يا من مننت علينا بأنفاسنا، نشكرك.  
راهلور يا من مننت علينا بالنهار، نشكرك».

وأجابت الملكة سيليس والمتعبدون الآخرون: «نشكرك على الشمس التي تُدْفِننا، نشكرك على النجوم التي تحمينا، نشكرك على المواقد والمشاعل التي تطرد الظلام البهيم».

بدا لدافوس أن أصواتاً أقل من ليلة البارحة تستجيب الآن، ووجوهها أقل تتورّد في الضوء البرتقالي حول النار، لكن هل ستُنقّص أكثر غداً... أم أنها ستزيد؟

تردّد صوت السير آكسل فلورنت رناناً كالنّفير، وقد وقف بصدرة العريض وساقيه المتقوّستين وضوء النار يغسل وجهه كأنه لسان برتقالي يخرج من فم وحش ما. ساءل دافوس نفسه إن كان الرجل سيّشكره بعد ما سيحدث، فما سيفعلونه الليلة سيجعله يد الملك على الأرجح، تماماً كما يتمنى.

رفعت مليساندرا عقيرتها متابعة الصلاة: «نشكرك علي ستانيس الذي هو ببركتك مليكنا، نشكرك على نيران صلاحه البيضاء الطاهرة، وعلى سيف العدالة الأحمر في يده، وعلى الحبّ الذي يُكِنُّه لقومه المخلصين. اهده ودافع عنه أيا راهلور، وامنحه القوّة ليُنكّل بأعدائه».

أجابت الملكة سيليس والسير آكسل ودثان والباقون: «امنحه القوّة، امنحه الشّجاعة، امنحه الحكمة».

في صباه علم السّبتونات دافوس أن يطلب الحكمة من (العجوز) والشّجاعة من (المُحارب) والقوّة من (الحدّاد)، لكنه يدعو (الأم في الأعلى) الآن أن تحمي ابنه الغالي دثان من مليساندرا وربّها الشّيطان.

- «لورد دافوس، يحسّن أن نتحرّك الآن»، قال السير أندرو، ولمّا لم يستجب مسّ مرفقه بخفّة قائلاً: «سيدي؟».

ما زال للقب وقع غريب في أذنيه، لكن دافوس التفّت عن النّافذة قائلاً: «نعم، حان الوقت». سيستغرق ستانيس ومليساندرا ورجال الملكة في صلاتهم ساعة أو أكثر، فالرّهبان الحمر يُشعلون نارهم كلّ يوم عند الغروب، ليشكروا راهلور على النّهار الذي انتهى ويتضرّعوا إليه أن يعيد شمسهم في الغد لتطرد الظلام. على المهرّب أن يعرف تقلبات المدّ والجزر، ومتى يغتنمها. في النّهاية هو ليس أكثر من دافوس المهرّب. ارتفعت يده المشوّهة إلى عنقه ساعة إلى حظه ولم تجد شيئاً، فأنزلها بحدّة وحثّ الخطي.



جارى رفاقه حُطواته السريعة. لنغزل (التغريدة) وجه مجدور وطابع من الشَّهامة المنهكة، والسير چيرالد جاور عريض الصِّدر وأشقر وفظ، والسير أندرو إسترمونت أطول منه بعض الشيء وله لحية مدببة وحاجبان بيَّان خشنان. كلهم رجال صالحون على طريقتهم الخاصَّة في رأي دافوس. وكلهم سيموتون قريباً إذا فشلت مهمَّة الليلة.

عندما طلب من المرأة الحمراء أن تُعلِّمه كيف يرى المستقبل في اللهب قالت له: «النَّار كائن حي، دائماً تتحرَّك، دائماً تتغيَّر... ككتاب تترافص حروفه وتتبدَّل وأنت تُحاول أن تقرَّأها. رؤية الأشكال وراء اللهب تتطلَّب أعواماً من التَّدريب، وأعواماً أكثر للتمييز بين شكل ما سيكون وما قد يكون أو ما كان، وحتى في ذلك الحين يظل الأمر صعباً، صعباً، وأنتم لا تفهمون هذا يا أهل أراضي غروب الشَّمس». ولهذا سألتها كيف تعلِّم السير أكسل حيلة قراءة اللهب بهذه السرعة، فاكتمت بأن ابتمت بغموضٍ مجيئة: «يُمكن لأيِّ قِطِّ أن يتطلَّع إلى النَّار ويرى فتراناً حمراء تلعب».

لم يكذب دافوس على رفاقه من رجال الملك بشأن هذا أو أيِّ شيءٍ آخر، وقال لهم منذراً: «قد ترى المرأة الحمراء ما نوي أن نفعله». قال لويس السَّمَّاك: «علينا أن نبدأ بقتلها إذن. أعرفُ مكاناً نستطيع أن نستدرجها إليه، أربعة منا بسيفٍ حادَّة...».

قاطع دافوس: «ستحکم علينا جميعاً بالهلاك إذن. المايستر كرسن حاول أن يقتلها وعرفت في الحال، من لهبها على ما أعتقد. يبدو لي أنها تستشعر أيَّ تهديدٍ لشخصها سريعاً جداً، لكن مؤكِّد أنها لا ترى كلَّ شيء. إذا تجاهلناها فربما لا تُلاحِظنا».

قال السير تريستون ابن (هضبة تالي) باستنكار: «ليس هناك شرف في التَّخفيِّ والتَّسلل». كان واحداً من رجال صنجلاس قبل أن يلقي اللورد جانسر حتفه في نيران مليساندرا.

سأله دافوس: «وهل هناك شرف في الموت حرقاً؟ لقد شهدت موت اللورد صنجلاس بنفسك، فهل هذا ما تريده؟ لستُ في حاجةٍ إلى الشُّرفاء الآن، بل إلى المهزَّبين، فهل أنتم معي أم لا؟». وكانوا معه، بحقِّ الآلهة كانوا معه.

كان المايستر پايلوس يُراجع مع إدريك ستورم دروس الحساب عندما فتح دافوس الباب، وقد وقف السير أندرو وراءه بمسافة قصيرة، بينما ترك الآخرون لحراسة السلالم وباب القبو. قطع المايستر الدرس قائلاً: «يكفي هذا الآن يا إدريك».

قال الصّبي محتارًا من الدّخول المفاجئ: «لورد دافوس، سير أندرو، إننا في درس حساب».

ابتسم السير أندرو قائلاً: «كنتُ أكره الحساب وأنا في سنّك يا ابن ابن عمّتي».

- «لا أجدّه صعبًا لهذه الدّرجة، لكني أفضلُ التّاريخ لأنه مليء بالحكايات».

قال المايستر پايلوس: «أحضِر معطفك يا إدريك، ستذهب مع اللورد دافوس».

نهض الصّبي متسائلًا: «حقًا؟ إلى أين؟»، وزمّ فمه بعنادٍ مضيّفًا: «لن أصليّ لإله الصّياء. إنني رجل (المُحارب) مثل أبي».

قال دافوس: «أعرف. هلمّ يا فتى، يجب ألا نُضيّع الوقت».

ارتدى إدريك معطفًا بقلنسوة من الصّوف السّميك غير المصبوغ، وساعده المايستر پايلوس على تثبيته ورفع القلنسوة ليخفي وجهه. سأله الصّبي: «هل ستأتي معنا أيها المايستر؟».

أجاب پايلوس متحمسًا للسلسلة ذات المعادن المختلفة حول عنقه: «لا، إن مكاني هنا في (دراجونستون). اذهب مع اللورد دافوس الآن وافعل كما يقول. تذكر أنه يد الملك. ماذا قلتُ لك عن يد الملك؟».

- «اليد يتكلّم بصوت الملك».

قال المايستر الشّاب مبتسمًا: «بالضّبط. اذهب الآن».

لم يكن دافوس يضمن پايلوس، وربما أحسّ بالاستياء منه في السّابق لأنه أخذ مكان كرسن العجوز، لكنه لا يشعُر الآن إلا بالإعجاب بشجاعته. قد يكلفه عملنا هذا حياته أيضًا.

كان السير جيرالد جاور منتظرًا عند السلالم خارج مسكن المايستر،

فرمقه إدريك ستورم بفضول، وبينما نزلوا سأل: «إلى أين سنذهب يا لورد دافوس؟».

- «إلى الماء. هناك سفينة تنتظرك».

توقف الصبي فجأةً مرددًا: «سفينة؟».

- «واحدة من سفن سالادور سان. سالا صديق مقرب لي».

قال السير أندرو محاولاً طمأنته: «سأذهبُ معك يا ابن عمّتي. ليس هناك ما يستدعي الخوف».

مغتاطًا قال إدريك: «لستُ خائفًا... لكن... هل ستأتي شيرين أيضًا؟».

أجابته دافوس: «لا. يجب أن تبقى الأميرة هنا مع أبيها وأمّها».

- «يجب أن أراها إذن لأودّعها وإلا حزنت».

ليس بقدر حزنها إذا رأتك تحترق. «لا يوجد وقت. سأخبرُ الأميرة بأنك كنت تُفكر فيها، ويمكنك أن تكتب لها حينما تصل إلى وجهتك».

قطب الصبي وجهه قائلاً: «أيجب أن أرحل حقًا؟ لماذا يصرفني عمّي مني (دراجونستون)؟ هل أغضبته؟ لم أكن أقصد»، وعادت النظرة العنيدة تحتل

وجهه وهو يُضيف: «أريد أن أرى عمّي، أريد أن أرى الملك ستانيس».

تبادل السير أندرو والسير جيرالد نظرةً، ثم قال الأول: «ليس هناك وقت لهذا يا ابن عمّتي».

رفع إدريك صوته مكرّرًا بإصرار: «أريد أن أراه!».

كان على دافوس أن يقول شيئًا يحرك الفتى، فردّ: «إنه لا يريد أن يراك. أنا يد الملك وأتكلّم بصوته. أيجب أن أذهب إلى الملك وأقول له إنك ترفض

أن تُطيع الأمر؟ أندري كم سيغضبه هذا؟ هل رأيت عمك غاضبًا من قبل؟»، وخلق قفازه ليُري الصبي الأصابع الأربعة التي قصّرها ستانيس مردفًا: «أنا رأيت».

تحدّث دافوس كذبًا. يوم بتّر ستانيس باراثيون أطراف أصابع فارسه

البصلي لم يكن غاضبًا على الإطلاق، وإنما يُنفذ عدالته الحديدية، لكن إدريك ستورم لم يكن قد وُلد وقتها ولا يعرف هذا. على أن التهديد حقّق

الأثر المطلوب، وقال الصبي: «لم يكن يجدر به أن يفعل هذا»، لكنه ترك دافوس يقوده من يده وينزل به السّلام.

انضمَّ إليهم نغل (التَّغْرِيدَة) عند باب القبو، وساروا بسرَّعةٍ قاطعين ساحةً  
ظليلاً، ثم هبطوا بضع درجاتٍ تحت الدَّيْل الحجري لتتَّين مجمَّد، قبل أن  
يجدوا لويس السَّمَاك وأمر بلاكبري منتظرين عند البوابة الخلفيَّة، وعند  
أقدامهما حارسان مقيَّدان ومكَّمَّمان. سألهما داؤوس: «القارب؟»  
أجاباه لويس: «في مكانه. أربعة مجدفين، والقادس منتظر وراء اللِّسان،  
اسمه (پرنديوس المجنون)».

قهقهه داؤوس. سفينة على اسم رجل مجنون. نعم، اسم لائق. سالا يتمنَّع  
بمسحةٍ من روح دُعابة القراصنة السَّوداء.  
جثا علي رُكبته أمام الصَّبي، وقال: «يجب أن أترك الآن. هناك قارب  
ينتظر أن يُقلِّك إلى القادس الذي سيأخذك عبر البحر. أنت ابن روبرت، لذا  
أعلمُ أنك ستكون شجاعاً مهما حدث».

قال الصَّبي: «نعم، ولكن...»، وبتَرَ عبارته متردِّداً.  
حاول داؤوس أن يبدو مرحاً وهو يقول: «اعتبرها مغامرةً يا سيِّدي، بداية  
مغامرة حياتك الكبرى. عسى (المُحارب) أن يحميك».  
قال الصَّبي: «وعسى (الأب) أن يحكُم عليك بالعدل يا لورد داؤوس»،  
وخرج مع السير أندرو ابن خال أبيه من البوابة الخلفيَّة، وتبعه الآخرون كلهم  
باستثناء نغل (التَّغْرِيدَة). فكَّر داؤوس بكآبة: عسى (الأب) أن يحكُم عليَّ  
بالعدل. لكن حُكم الملك هو ما يهتُمه الآن.

- «ماذا عن هذين الاثنين؟»، سأله السير رولاند مشيراً إلى الحارسين  
بَعدا ما أغلق البوابة وأوصدها.  
- «اسحبهما إلى قبو الآن، ثم أطلق سراحهما عندما يتعد إدريك مسافةً  
كافيةً».

أوماً التَّغل برأسه باقتضاب، ولم يُعد هناك ما يُقال، فقد انتهى الجزء  
السَّهل. عاد داؤوس يرتدي قُفَّازَه وهو يتمنَّى لو أنه لم يفقد حَظَّه. لقد كان  
رجلاً أفضل وأشجع حين كان جراب العظام يتدلَّى من عُنقه. مرَّ أصابعه  
المقصَّرة في شعره البني الخفيف، وتساءل إن كان في حاجةٍ إلى حلاقة،  
فيجب أن يبدو في صورةٍ لائقة عندما يمثُل بين يديَّ الملك.  
لم تبدُ له (دراجونستون) مظلمةً مخيفةً هكذا من قبل قَطُّ وهو يمشي ببطءٍ

فتردّد أصداء خُطاه على الجُدران والتنانين السوداء. التنانين الحجرية التي أتمنى ألا تستيقظ أبدًا. لآح بُرج (الطَبلة الحجرية) شاهقًا ضخماً أمامه، ومع دنوّه أزاح الحارسان الواقفان عند الباب حربتيهما المتصالبتين. ليس لفارس البصل، وإنما ليد الملك. لم يزل دافوس اليد وهو داخل على الأقل، لكن ترى ماذا سيكون وهو خارج؟ هذا إذا خرجت...

أحسّ كأن الدَّرجات صارت أعلى وأكثر انحدارًا من قبل، لكن ربما يكون السَّبب أنه متعب لا أكثر. (الأم) لم تخلقني لمهامّ كهذه. لقد ترقّيتني إلى مرتبة عالية جدًا بسُرعةٍ شديدة جدًا، والهواء هنا على قمة الجبل أقل من أن يتنفسه. في صغره حلم بالثراء، لكن ذلك كان منذ زمن طويل، ولَمَّا كبر لم يُعد يرغب إلا في فدادين قليلة من الأرض الطيبة وبيت يتقدّم فيه في السنّ، وحياة أفضل لأبنائه. اعتاد النعل الأعمى أن يقول له إن المهربّ الذكي لا يطمح إلى الكثير ولا يلفت الانتباه إلى نفسه. بضعة فدادين وسقف من الخشب و«سير» قبل اسمي. كان عليّ أن أقع بهذا. إذا عاش بعد الليلة سيأخذ دقان ويُبحر إلى (رأس الغضب) حيث بيته وزوجته الرقيقة ماريّا. ستشاطر الحُزن على أبنائنا الموتى ونزويّ الأحياء ليكونوا رجالاً صالحين ولا تنتكّم عن الملوك ثانيةً. كانت القاعة التي تضمّ المائدة المرسومة خاليةً مظلمةً حين دخل، فلا بُدّ أن الملك لا يزال عند النَّار الليلية مع مليساندرا ورجال الملكة. ركع وأشعل النَّار في المستوقد ليطرّد البرد من القاعة المستديرة ويدفع الظلال إلى العودة إلى أركانها، ثم دار على كل نافذة مزيحًا الستائر المخملية الثقيلة وفتحًا المصاريع الخشبية، فدخلت الرّيح محمّلةً بروائح الملح والبحر القويّة وجذبت معطفه البني التقليدي.

عند النَّافذة الشماليّة مال على العتبة ملتقطًا نفسًا من هواء الليل البارد وهو يأمل أن يلمح (برندوس المجنون) ترفع أشرعتها، لكنه وجد البحر أسود خاليًا على مدى البصر. هل أبحرت إذن؟ ليس في وسعه إلا أن يأمل أن تكون قد رحلت بالفعل وعلى متنها الصّبي. كان الهلال يبرّز ويختفي وسط السّحاب الخفيف العالي، وميّز دافوس عددًا من الأجرام السماوية المألوفة، فها هي كوكبة (القادس) تُبحر غربًا، و(مشكاة العجوز) التي تتكوّن من أربع نجمات لامعة وتطوّق سديمًا ذهبيًا، بينما تخفي السّحب (التنين الجليدي)

بالكامل باستثناء العين الزرقاء البراقة التي تُومئ إلى الشمال. السماء ملأى  
بنجوم المهريين. هذه النجوم أصدقاؤه القدامى، فتمنى أن وجودها يعني  
حُسن الحظ.

لكن حين خفصَ ناظره من السماء إلى شُرَفات القلعة تسللت الشوك  
إلى فؤاده. كانت أجنحة التنانين الحجرية تُلقي ظلالاً سوداء كبيرة في ضوء  
النَّار اللَّيْلِيَّة، فحاول أن يقول لنفسه إنها مجرد منحوتات باردة لا حياة فيها.  
كان هذا مكانها ذات يوم، مكان التنانين وسادتها، مقرَّ عائلة تارجارين. وآل  
تارجارين كانوا من دم (فاليريا) القديمة...

تهدت الرِّيح عبر القاعة، وفي المستوفد تراقص اللَّهب ودار. أصغى  
داؤوس إلى طقطقة الحطب، ثم إنه ابتعدَ عن النَّافذة وسبقَه ظلُّه الطويل  
النَّحيل لِيَسْقُط على المائدة المرسومة كالسيف، وهناك وقفَ فترةً طويلةً  
منتظرًا، قبل أن يسمع وقع أقدامهم على السَّلام وهم يصعدون، وقد سبقَ  
الملك صوته وهو يقول: «... ليسا ثلاثة».

جاءت إجابة مليساندرا: «الثلاثة ثلاثة. أقسم لك يا جلالة الملك أنني  
رأيتَه يموت وسمعتُ ولولة أمه».

قال ستانيس وهو يدخُل مع المرأة الحمراء: «في النَّار اللَّيْلِيَّة. اللَّهب  
خداع. ما هو كائن، ما سيكون، ما قد يكون. لا يُمكنك أن تجزمي...»  
تقدَّم داؤوس قائلاً: «جلالة الملك، الليدي مليساندرا رأت الحقيقة.  
چوفري ابن أخيك مات».

إذا كان الملك قد اندهشَ من العثور عليه عند المائدة المرسومة، فإنه لم  
يُبدِ دلالةً على هذا، وقال: «لورد داؤوس. الصَّبي لم يكن ابن أخي، مع أنني  
اعتقدتُ هذا طيلة أعوام».

قال داؤوس: «لقد اختنقَ بقطعةٍ من الطَّعام في حفل زفافه، أو ربما مات  
مسموماً».

قالت مليساندرا: «إنه الثالث».

ردَّ ستانيس: «أستطيعُ العدَّ يا امرأة»، وسارَ بمحاذاة المائدة مارًا بـ(البلدة  
القديمة) و(الكرمة) ونحو (جُزر التُّروس) ومدخل نهر (الماندر)، وتابع: «يبدو  
أن حفلات الزَّفاف أصبحت أخطر من المعارك. من سممه؟ هل يعرفون؟».

- «يُقَالُ إِنَّهُ خَالَه الْعِفْرِيَّة».

صَرَ ستانيس بأسنانه قائلاً: «رجل خَطِر. تَعَلَّمْتُ هَذَا فِي (النَّهْر الْأَسْوَد). كَيْفَ بَلَّغْتَ الْخَبْرَ؟».

- «مَا زَالَ اللَّائِسِيُّونَ يُمَارِسُونَ التَّجَارَةَ فِي (كِينْجَز لَانْدِنْج). لَا يُوجَدُ مَا يَدْعُو سَالَادُور سَانَ إِلَى الْكُذْبِ عَلَيَّ».

قَالَ ستانيس: «أَطْنُ هَذَا»، وَمَرَّرَ أَصَابِعَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ مُرَدِّفًا: «چَوْفْرِي... أَذْكَرُ مَرَّةً كَانَتْ هُنَاكَ هَرَّةٌ مَطْبُخ... اعْتَادَ الطَّهَاءُ إِطْعَامَهَا فَضَلَاتِ الطَّعَامِ وَرُؤُوسِ الْأَسْمَاكِ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلصَّبِيِّ إِنَّهَا تَحْمَلُ هُرَيْرَاتٍ صَغِيرَةً فِي بَطْنِهَا مَعْتَقِدًا أَنَّهُ قَدْ يُرِيدُ إِحْدَاها، فَفَتَحَ چَوْفْرِي بَطْنَ الْمَسْكِينَةِ بِخَنْجَرٍ لِيرَى إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، وَلَمَّا وَجَدَ الْأَجِنَّةَ أَخَذَهُمْ لِيُرِي أَبَاهُ. يَوْمَهَا ضَرَبَ رُوبِرْتِ الصَّبِيَّ بِقُوَّةٍ غَاشِمَةً جَعَلْتَنِي أَنْصُورًا أَنَّهُ قَتَلَهُ»، وَخَلَعَ الْمَلِكُ تَاجَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ مُضِيْفًا: «سِوَاءِ أَكَّانِ الْقَزْمِ أَمْ عَلْفَةً، فَقَدْ أَسَدَى الْقَاتِلِ الْمَمْلَكَةَ خِدْمَةً عَظِيمَةً. لَا مَنَاصَ مِنْ أَنْ يُرْسِلُوا فِي طَلْبِي الْآنَ».

قَالَتْ مَلِيسَانْدْرَا: «لَنْ يَفْعَلُوا. چَوْفْرِي لَهُ أَخٌ».

غَمَعَمَ الْمَلِكُ بِتَبْرُمٍ: «تُومَنْ».

- «سَيُتَّوَجُّونَ تُومَنْ وَيَحْكُمُونَ بِاسْمِهِ».

كَوَّرَ ستانيس قَبْضَتَهُ قَائِلًا: «تُومَنْ أَرْقُ مِنْ چَوْفْرِي، لَكِنَّهُ وَلِيدُ زَنَى الْمُحَارَمِ ذَاتِهِ، وَحَشَّ آخَرَ قَيْدِ الْإِعْدَادِ، طُفِيلٌ آخَرَ سِيَمْتَصُّ دِمَاءَ الْبِلَادِ. (وَسْتَرُوسُ) فِي حَاجَةٍ إِلَى يَدِ رَجُلٍ لَا طِفْلَ».

دَنَّتْ مَلِيسَانْدْرَا مِنْهُ، وَقَالَتْ: «أَنْقِذْهُمْ يَا مُوَلَايَ، دَعْنِي أَوْقِظُ التَّنَّانِينَ الْحَجْرِيَّةَ. الثَّلَاثَةُ ثَلَاثَةٌ. أَعْطِنِي الصَّبِيَّ».

قَالَ دَاڤُوسُ: «إِدْرِيكَ سْتُورَمْ».

دَاهَمَهُ ستانيس قَائِلًا بِغَضَبٍ بَارِدٍ: «أَعْرِفُ اسْمَهُ، فَاعْفِنِي مِنْ تَأْنِيكِ. الْأَمْرُ لَا يَرُوقُنِي أَكْثَرَ مِمَّا يَرُوقُكَ، لَكِنْ وَاجِبِي تَجَاهَ الْبِلَادِ، وَاجِبِي...»، وَالتَفَّتْ إِلَى مَلِيسَانْدْرَا، وَقَالَ لَهَا: «أَتُقَسِّمِينَ أَنْ لَا وَسِيلَةَ أُخْرَى هُنَاكَ؟ فَلْتُقَسِّمِي بِحَيَاتِكِ وَإِلَّا أَعْدُكَ بِأَنَّكَ سَتَمُوتِينَ شَرَّ مِيتَةٍ».

قَالَتْ: «إِنَّكَ أَنْتَ مِنْ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاجِهَ (الْآخِرُ)، مِنْ تَنْبِيءٍ بِمَجِيئِهِ مِنْذُ خَمْسَةِ آلَافِ عَامٍ. الْمَذْئَبُ الْأَحْمَرُ كَانَ بِشِيرِكَ. أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمَوْعُودُ، وَإِذَا سَقَطَتْ

سقط العالم معك»، ودنت منه أكثر بشفتين حمرأوين مفترقتين والياقوتة تنبض على عنقها، وهمست: «أعطني الصبي وسأعطيك مملكتك».

قال دافوس: «لا يستطيع إدريك ستورم رحل».

التفت إليه ستانيس سائلاً: «رحل؟ ماذا تعني؟».

أجابته دافوس: «إنه على متن قادس لايسيبي خرج بأمان إلى البحر»، وراقب وجه مليساندرا الشاحب ذا شكل القلب، وشاهد الفزع يرتجف عليه، والارتباب المبالغت، ففكر: لم ترَ ما حدث!

قال الملك وعيناه ككدمتين زرقاوين قاتميتين في محجريهما: «أخذوا النغل من (دراجونستون) دون إذني؟ تقول إنه على متن قادس؟ إذا كان الفُرصان اللايسيبي يحسب أنه سيستغل الصبي ويبتز مني الذهب...».

رمت مليساندرا دافوس بنظرة العليم قائلة: «يدك هو من فعل هذا يا مولاي. ستعيده إلى هنا يا سيدي، ستعيده».

قال دافوس: «الصبي بعيد عن منالي الآن، وبعيد عن منالك أيضًا يا سيدي».

قالت وعيناها الحمرأوان تُثيران فيه القشعريرة: «كان عليّ أن أتركك في الظلام أيها الفارس. أتدرك ما فعلته؟».

- «أديت واجبي».

قال ستانيس: «ما فعلته في نظر البعض خيانة»، وذهب إلى النافذة يتطلع إلى الليل، فتساءل دافوس في أعماقه: هل يبحث عن السفينة؟ وتابع الملك بلهجة فيها من التعب أكثر من الغضب: «لقد رفعتك من التراب يا دافوس. أكان الولاء أكثر مما عليّ أن أملي؟».

كان دافوس سيوورث قد فكر مليًا في ما عليه أن يقوله، إذ يعلم أن حياته تعتمد على كلامه هذا، فقال: «أربعة من أبنائي ماتوا من أجلك في (التهر الأسود)، وكان يُمكن أن أموت أيضًا. إن ولائي لك دائمًا. جلالة الملك، لقد جعلتني أقسم أن أعطيك شديد التصيحة وسريع الطاعة وأن أدافع عن مملكتك ضد خصومك وأحمي شعبك. أوليس إدريك ستورم فردًا من شعبك؟ فردًا ممن أقسمت على أن أحميهم؟ لقد حافظت على قسمي، فكيف تكون هذه خيانة؟».



عَادَ ستانيس يصرُّ بأسنانه وهو يقول: «لم أطلب هذا التَّاجَ قَطُّ. الذَّهَبُ بارد وثقيل على الرَّأس، لكن ما دمْتُ الملكَ فعلى عاتقي واجب... إذا كان واجبي أن أضحي بصبيٍّ واحدٍ للهب لأنقذ مليوناً من الظَّلام... التَّضحية... التَّضحية ليست سهلةً أبداً يا دافوس، وإلا فهي ليست تضحيةً حقيقيَّةً. أخبريه يا سيِّدتي». قالت مليساندرا: «أزور أهائي سقَى (جالِبِ الضِّيَاء) بدماء قلب زوجته الحبيبة. إذا ضحَى رجل يملك ألف بقرة بواحدةٍ للآلهة فإنه لم يُكَلِّف نفسه شيئاً، لكن إذا ضحَى بالبقرة الوحيدة التي يملكها...».

خاطبَ دافوس الملكَ قائلاً: «إنها تتكلَّم عن الأبقار، وأنا أتكلَّم عن صبي، صديق ابنتك، ابن أخيك».

ردَّت عليه مليساندرا وياقوتتها تتألَّق كنجم أحمر: «ابن ملكٍ في عروقه قوَّة دماء الملوك. أتحسب أنك أنقذت الصَّبي يا فارس البصل؟ عندما يحلُّ الليل الطَّويل سيموت إدريك ستورم مع البقيَّة أينما اختبأ، وأبناؤك كذلك. سيُعْطِي الظلام والبرد الأرض. إنك تدسُّ أنفك في أمور لا تفهمها».

قال دافوس: «هناك الكثير مما لا أفهمه، ولم أدع العكس قَطُّ. إنني أعرفُ البحار والأنهار وأشكال السَّواحل وأماكن الصُّخور والمياه الضَّحلة، وأعرفُ الكهوف الخفيَّة حيث يُمكن أن يرسو قارب دون أن يُرى، وأعرفُ أن الملك يحمي رعاياه وإلا فهو ليس بملكٍ على الإطلاق».

اربدَّ وجه ستانيس، وقال: «هل تسخر مني في وجهي؟ أيفترَض أن أتعلَّم واجبات الملوك من مهرَّب بصل؟».

ركعَ دافوس أمامه قائلاً: «إذا أسأتُ إليك فاقطع رأسي. سأموثُ كما عشتُ، رجلك الوفي، لكن اسمعني أولاً، اسمعني بحقِّ البصل الذي هرَّبته لك والأصابع التي قطعتها».

استلَّ الملك ستانيس (جالِبِ الضِّيَاء) من غمده ليملاً وهجه القاعة، وقال وعضلات عنقه مشدودة كالأوتار: «قُل ما لديك، لكن قلْه بسرِّعة».

دسَّ دافوس يده في جيبٍ معطفه وأخرجَ ورقة الرِّقوق المجدَّعة التي بدت شيئاً ضئيلاً رقيقاً، لكنها كل ما لديه من وقاية الآن. قال: «على يد الملك أن يقرأ ويكتب. المايستر پايوس يُعلِّمني منذ فترة»، وسوَّى الرِّسالة على رُكبته وبدأ يقرأ على ضوء السِّيف المسحور.

## چون

في منامه رأى نفسه في (وينترفل)، يعرُج مارًا بالملوك الحجريين على عروشهم، فتدور عيونهم الجرانيت الرَّماديَّة لتتبعه، وتنضغط أصابعهم الجرانيت الرَّماديَّة على مقابض سيوفهم الصِّدئة المستقرَّة على سيقانهم، وبأصوات جرانيتيَّة ثقيلة يسمعونهم يُتِمِّمون: أنت لست ابن ستارك، لا مكان لك هاهنا، ارحل. يتوغَّل أكثر في الظلمة مناديًا: «أبي؟ بران؟ ريكون؟»، وما من مجيب. يحسُّ بريح باردة تهبُّ على عنقه، ويُنادي: «عمِّي؟ عمِّي بنجن؟ أبي؟ أرجوك يا أبي، سَاعِدني». يسمع طبولًا تدقُّ بالأعلى، فيقول لنفسه: إنهم يحتفلون في القاعة الكبرى، لكن لا أحد يُرَحِّب بي هناك. لستُ من آل ستارك، وليس هذا مكاني. ينزلق عُكازه ويسقُط على رُكبتيه، وتبدأ حلَكة السَّرايب تشتدُّ. ثمَّة ضوء انطفأ في مكان ما. يهمس: «إيجريت؟ سامحيني أرجوك»، ولا يرى إلا ذئبًا رهيبًا رماديًّا يبدو كشبحٍ تُلطِّخه الدِّماء وتلتمع عيناه الذهبيتان بحُرْن في الظلام...

كانت الحُجيرة مظلمةً والفِراش صُلبًا من تحته، فِراشه في حُجيرة الوكيل تحت مسكن الدُّب العجوز، والحقُّ أنه كان يُفترَض أن يجعله يرى أحلامًا أحدى. على الرغم من أغطيته الثَّقيلة شعرَ بالبرد. قبل الحملة كان جوست يُقاسمه حُجيرته ويُدفئها في برودة اللَّيل، وفي الخلاء تَعَوَّدت إيجريت أن تنام ملتصقةً به. وكلاهما راحل. جُثمان إيجريت أحرَقه بنفسه وقد علم أنها كانت لثريد هذا، أمَّا جوست... أين أنت؟ هل مات أيضًا؟ أهذا مغزى الحُلم والذئب الدَّامي في السَّرايب؟ لكن الذئب الذي رآه في الحُلم كان رماديًّا لا أبيض. رماديًّا كذئب بران. هل طارده الثَّيُون وقتلوه بعد تلك اللَّيلة اللَّيلاء

عند (تاج الملكة)؟ إذا كان هذا ما حدث حقًا فقد ضاعَ منه بران بلا رجعة.

كان چون يُحاول استيعاب كلِّ هذا عندما دَوَّى النَّفِير.

فَكَرَّ لحظةً والنَّومَ لا يزال يُشوّش عقله: بوق الشتاء... لكن مانس لم يَعثرُ على بوق چورامون، فلا يُمكن أن يكون هو. تردّدت دفقة ثانية بطول وعُمق الأولى،

وعلمَ چون أن عليه أن ينهض ويذهب إلى (الجدار)، ولكم وجدَ هذا صعبًا...

أزاحَ أغطيته الفرو واعتدلَ جالسًا، وأحسَّ بالألم في ساقه أخفَّ، ليس

بالشيء الأقوى من احتمالهِ. كان قد نامَ مرتديًا سراويله وسُترته وثيابه

الدَّاخليَّة طلبًا للمزيد من الدَّفء، وما عليه إلا أن يتنعل حذاءه، ويرتدي

الجلد المقوَّى وقميص الحلقات المعدنيَّة والمعطف. مرَّةً أُخرى دَوَّى النَّفِير

بدفقتين طويلتين، فعَلَّقَ (المخلب الطَّويل) وراء كتفه والتقطَ عُكَّازَه، ثم نزلَ

الدَّرجات حاجلاً.

في الخارج كان الظلام مدلهماً والبرد يَنُحِرُ العظام والسَّماء ملبَّدةً بالغيوم،

وشاهدَ چون إخوته يتدقِّقون من الأبراج والحصون وهم يربطون أحزمتهم

ويَتَّجهون صوب (الجدار)، ويبحثُ عن پيپ وجرن بعينه لكنه لم يجدهما.

ربما يكون أحدهما الحارس الذي يَنفُخُ في البوق. ففكر: إنه مانس، لقد أتى

أخيراً. وهذا جيّد حقًا، سنخوض معركة ثم نستريح، أحياء أو موتى سنستريح.

لم يتبقَّ حيث كانت السَّلامم إلا كومة ضخمة من الأخشاب المتفحَّمة

والجلد المكسور أسفل (الجدار). الآن تحملهم الرِّافعة إلى القمَّة، لكن

القفص لا يتسع لأكثر من عشرة في المرَّة، وكان في طريقه إلى أعلى بالفعل

حين وصلَ چون، وعليه أن ينتظر نزوله من جديد. انتظرَ آخرون معه، منهم

ساتان ومولي وذو النَّعل الواحد وكِجز، بالإضافة إلى هارث الكبير بشعره

الأشقر وأسنانه البارزة، والذي يدعوه الجميع بالجواد. كان عامل اصطبل

في (بلدة المناجد)، وهو واحد من أهل القرية القلائل الذين بقوا في (القلعة

السَّوداء)، على حين عادَ البقيَّة إلى حقولهم وأكواخهم أو أسرتهم في

الماخور تحت الأرض، لكن الجواد -ذلك الأحمق الكبير بارز الأسنان-

أرادَ ارتداء الأسود، وبقيت أيضاً زاي العاهرة التي أبدت مهارةً بالغةً في

استخدام النَّشابيَّة، كما احتفظَ نوي بثلاثة أيتام مات أبوهم على السَّلامم. إنهم

صغار -في التَّاسعة والثَّامنة والخامسة من العُمُر- لكن لا أحدٌ غيره أرادهم.

بينما انتظروا عودة القفص من أعلى أحضر لهم كلايداس أكوأبا من التبيد  
المتبل السّاخن، وورّع هوب ذو الثلاثة أصابع عليهم قطعاً من الخبز الأسمر،  
وتناول چون منه واحدةً والتهمها.

سأل ساتان بتوتّر: «أهو مانس رايدر؟».

- «هذا ما نأمله». في الظلام ثمة أشياء أسوأ من الهمج، وتذكر چون ما  
قاله الملك الهمجي على قمة (قبضة البشر الأوائل) وهم واقفون وسط الثلوج  
الملوثة بالوردي: حين يأتي الموتى السّائرون لا تكون للأسوار والخوازيق  
والسيوف جدوى. لا يمكنك أن تقا تل الموتى يا چون سنو. لا أحد يعرف هذا  
بقدر ما أعرفه. مجرد التفكير في هذا جعل الريح تبدو أكثر برودةً.

أخيراً نزل القفص يَصِلُ ويتأرجح من طرف السلسلة الطويلة، واحتشدوا  
في داخله صامتين وأغلقوا الباب. شدّ مولى حبل الجرس ثلاث مرّات، وبعد  
لحظة بدأوا يرتفعون مرتجّين بشدّة أولاً ثم بنعومة أكثر، ولم يتكلّم أحد.  
على القمة دار القفص إلى الجانب وخرجوا واحداً تلو الآخر، وساعد الجواد  
چون على النزول إلى الجليد، فضرب به البرد في أسنانه كأنه قبضة مضمومة.

بطول قمة (الجدار) اتقد صف من المشاعل في سلال من الحديد على  
أعمدة أطول من قامة أيّ رجل، وأخذ سكين الريح البارد ينخس اللهب  
ويُدوّره، فما انفك الضوء البرتقالي الوهاج يتراقص. في كل مكان ارتصت  
حُزم سهام الأقواس والنشائيات والحِراب وقذائف العرّادات، وكومت  
الصُخور حتى ارتفاع عشرة أقدام، وإلى جوارها براميل القار وزيت المصباح  
الخشبيّة الكبيرة. الحقيقة أن باون مارش ترك للقلعة مخزوناً وافراً من كل  
شيء باستثناء الرّجال.

كانت الريح تمضغ المعاطف السوداء على أكتاف الفزاعات المصفوفة  
بطول الحاجز وفي أيديها الحِراب، وقال چون لدونال نوي لمّا وقف إلى  
جواره: «أتمنى ألا يكون أحدها هو من نفخ في البوق».

سأله نوي وأنفاسه تتجلّد في الهواء، إذ تخرّج من أنفه المفلطح العريض:

«هل سمعت هذا؟».

ترامت إلى مسامعه أصوات الريح والخيول... وشيئاً آخر. قال: «ماموث،

صوت ماموث».

كان شمال (الجدار) بحرًا من الظلام يمتدُّ إلى ما لا نهاية، لكن چون مَيَز الوهج الأحمر الخافت المنبعث من النيران البعيدة التي تتحرَّك في الغابة. إنه مانس لا محالة، ف(الأخرون) لا يُوقِدون المشاعل.  
سأَل الجواد: «كيف نُقاتِلهم إذا كنا لا نراهم؟».

التفت دونال نوي إلى المِقْدافين العظيمين اللذين أعادَ باون مارش تشغيلهما، وصاح: «أشعلوا لي ضوءًا!».

وُضِعَ برميل من القار بسرعة على كفة كلِّ مِقْداف وأوقده رجل بمشعل، وأججت الرِّيح اللهب حتى أصبحَ سعيرًا أحمرَ غاضبًا، فهدَرَ نوي: «الآن!»، واندفعَ ثقل الموازنة في كلا المِقْدافين إلى أسفل، وارتفعت ذراعا الإلقاء لترتطم بصوت مكتوم بالقضيبين المستعرضين المغلفين بالأقمشة الثقيلة. هوى القار المشتعل في الظلام ملقيًا ضوءًا متذبذبًا غريبًا على الأرض في الأسفل، ولمحَ چون الماموثات التي تتحرَّك بثقل في الضوء الخافت قبل أن يُغلفها السواد مجددًا. دستة، وربما أكثر. ارتطم البرميلان بالأرض وانفجرا، وسمعوا صريخًا جهيرًا عميقًا، وهدَرَ عملاق بشيء ما باللغة القديمة، صوته رعد عتيق جعل جلد چون يقشعُر.

صاح نوي: «مرَّة أخرى!»، وحُمِّلَ برميلان آخران على المِقْدافين وهويا في الظلام بقارهما المشتعل لينفجرا وسط الأعداء، وهذه المرَّة ضرب أحدهما شجرة ميتة فاكتنفها اللهب.

ورأى چون. ليست دستة من الماموثات، بل مئة. خطأ إلى حافة الجُرف قائلاً لنفسه: حذار، إنها سقطة طويلة.

نفخ آلن الأحمر في بوق الحراسة ثانية، أهوووووووووووووووووووووو  
وووووو! أهوووووووووووووووووووووو! وبدأ الهمج يُجيبون، ليس ببوق واحد وإنما بدسته دُفعةً واحدةً، وبالطبول والمزامير أيضًا، فبدأ كأنهم يُعلنون: ها قد أتينا، أتينا لِنُقوِّصَ جداركم، لنستولي على أراضيكم ونختطف بناتكم. عوت الرِّيح وصَرَ المِقْدافان وطارت البراميل، ووراء العمالة والماموثات رأى چون رجالًا يتقدِّمون نحو (الجدار) بالأقواس والفؤوس. أهمُّ عشرون أم عشرون ألفًا؟ في الظلمة لا سبيل للتمييز. هذه معركة عميان، لكن عميان مانس يفوقونا عددًا بالآلاف.

صاح يبيب: «البوابة! إنهم عند البوابة!».

(الجدار) أضخم من أن يُقتَحَمَ بالأساليب التَّقْلِيدِيَّةِ، فهو عالٍ للغاية على السَّلالم وأبراج الحصار، وأغلظ من أن يُضْرَبَ بالمدكَّات، وما من منجنيق يُمكن أن يرميه بحجر كبير بما يكفي لاختراقه، وإذا حاولت أن تُضرم فيه النَّار سيُطفئ الجليد الذائب اللهب. يُمكنك أن تتسلفه كما فعلَ الهَجَّاتُ بالقُرب من (الحارس الرَّمادي)، ولكن بشرط أن تتمتع بالقوَّة واللياقة والثبات، ومع ذلك فيجوز أن ينتهي بك الأمر وأنت مخوزق على شجرةٍ مثل چارل. يجب أن يقتحموا البوابة والأفلن يستطيعوا المرور.

لكن وراء البوابة نفق يتمعج عبر الجليد، أصغر من أيِّ بوابة قلعةٍ في (الممالك السَّبع) بأسرها، وضيِّق لدرجة أن الجوّالة يضطُّرون لقيادة أحصتهم خلاله في طابورٍ فردي، وهناك ثلاث شباك حديدية تُغلق الممرَّ الداخلي، كل منها موصدة ومسلَّسة ومحمية بكوَّة دفاع، والباب الخارجي من البلوط القديم الذي يبلغ البوصات التَّسع سُمكًا ومدعم بالحديد، وليس من السَّهل اختراقه أبدًا. لكن مانس معه ماموثات وعمالقة أيضًا.

قال نوي: «لا بُدَّ أن البرد شديد في الأسفل. ما رأيكم أن ندْفِئهم يا أولاد؟». كانت دسنة من جِرار زيت المصابيح مصفوفة على الحاجز، فجرى يبيب مارًا عليها بمشعل، وتبعه أوين الجحش دافعًا إياها من على الحافة واحدة تلو الأخرى، ودارت ألسنة من النَّار الصَّفراء الشَّاحبة حول الجِرار وهي تندفع إلى أسفل، ولَمَّا سقطَ آخرها ركلَ جرن الأسافين التي تُنبت برميلاً من القار لیسقط بدوره دائرًا في الهواء، وسرعان ما استحالت الأصوات في الأسفل إلى زعيقٍ وصريخٍ تناهيا إليّ مسامعهم على القمَّة كأعذب الألعان.

لكن الطبول ظلَّت تدق، وارتعدَ المقدفان ملقيين البراميل، وتصاعد صوت القُرب من جوف الليل كغناء طيور جارحة غريبة، وشرع السِّبتون سلا دور يُعني أيضًا بصوتٍ راجفٍ ثقيلٍ من فرط ما شرب.

لكِ نصلي،

أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم

أنقذي أبناءنا من هذي الحرب

ثَبَّتِي السِّوْفَ وَاحْفَظِي الْأَسْهَمَ  
وَدْعِيهِمْ يَشْهَدُونَ...

قَاطَعَهُ دُونَالِ نَوِي بِصَوْتِ جَهْوَري: «كُلُّ مَنْ لَا يَحْمِلُ سِلَاحًا سَادَفَعَهُ مِنْ  
فَوْقَ هَذَا الْجِدَارِ... بِدَايَةِ بَكِ أَيُّهَا السَّيِّتُونَ. الرُّمَاتُ! أَيْنَ الرُّمَاتُ الْمَلَاعِينُ؟!».   
قال سَاتان: «هنا».

وقال مولي: «وهنا، لكن كيف أَعَثُّ عَلَى هَدَفٍ؟ كُلُّ شَيْءٍ أَسْوَدٌ كَأَحْشَاءِ  
الْخَنْزِيرِ. أَيْنَ هُمُ؟».

أَشَارَ نَوِي إِلَى الشَّمَالِ مَجِيئًا: «أَطْلِقِ سَهَامَكَ وَرَبْمَا تُصِيبُ بَعْضَهُمْ، عَلَى  
الْأَقْلِ سَتُخَيِّفُهُمْ»، وَتَطَّلَعَ إِلَى حَلْقَةِ الْوَجْهِ الْمَضَاءَةِ بِالنَّارِ مُضِيغًا: «أَرِيدُ  
قَوْسِينَ وَحَرْبَتَيْنِ لِمَسَاعِدَتِي عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْقِ إِذَا اقْتَحَمُوا الْبَوَابَةَ»،  
فَتَقَدَّمَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ انْتَقَى مِنْهُمُ الْحَدَّادَ الْأَرْبَعَةَ الَّذِينَ يُرِيدُهُمْ، وَقَالَ: «چون،  
(الجدار) تحت قيادتك إلى أن أعود».

مَرَّتْ لِحِظَةٌ وَچونَ يَحْسَبُ أَنَّهُ أَخْطَأَ السَّمْعَ، فَمَا بَلَغَ أُذُنِيهِ أَنَّ دُونَالِ نَوِي  
تَرَكَ الْقِيَادَةَ لَهُ. غَمِغَمَ: «سَيِّدِي؟».

- «سَيِّدُكَ؟ أَنَا حَدَّادٌ. قُلْتُ إِنَّ (الجدار) تحت قيادتك».

أَرَادَ چونَ أَنْ يَقُولَ لَهُ: ثَمَّةَ رِجَالٍ أَكْبَرَ مِنِّي وَأَفْضَلَ. أَنَا مَا زَلْتُ أَخْضُرُ  
كَالْعُشْبِ فِي الصَّيْفِ، ثُمَّ إِنِّي جَرِيحٌ، وَمَتَّهَمٌ بِالْتَهْرُوبِ مِنَ الْخِدْمَةِ، لَكِنْ فَاهُ  
صَارَ جَافًا كَالْعِظَامِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: «نعم».

فِي مَا بَعْدَ سَيِّدُو لِچونَ سَنُو أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَرُمَتْهَا كَانَتْ حُلْمًا. جَنِبًا إِلَى جَنْبِ  
الْجُنُودِ الْقَشِ، بِالْأَقْوَاسِ الطَّوِيلَةِ وَالتُّشَابِيَّاتِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَيْهَا الْأَيْدِي شِبْهَ  
الْمَتَجَمِّدَةِ، أَطْلَقَ رُمَاتَهُ آفَافِ السَّهَامِ عَلَى خُصُومٍ لَا يُبْصِرُونَ، وَبَيْنَ الْحَيْنِ  
وَالْآخِرِ يَأْتِي سَهْمٌ مِنَ الْهَمَجِ مَجِيئًا. أَرْسَلَ رِجَالًا إِلَى الْمُجَانِقِ الصَّغِيرَةِ مَلَأُوا  
الْهَوَاءَ بِصُخُورٍ مَحْرُزَةٍ بِحِجْمِ قَبْضَةِ عَمَلِاقٍ، لَكِنْ الظُّلْمَةُ ابْتَلَعَتْهَا كَمَا يَبْتَلَعُ  
الْمَرْءُ حَفْنَةً مِنَ الْمَكْسَّرَاتِ، وَتَعَالَى نَهِيمُ الْمَامُوثَاتِ فِي الْعَتَمَةِ وَمَعَهُ أَصْوَاتُ  
غَرِيْبَةٍ تُنَادِي بِلِغَاتٍ غَرِيْبَةٍ، وَبِأَعْلَى صَوْتِهِ الَّذِي أَثْقَلَهُ الشُّكْرُ صَلَّى السَّيِّتُونَ  
سِلَادُورٍ مُسْتَجِدًّا طُلُوعِ الْفَجْرِ، لِدَرَجَةٍ أَنَّ چونَ أَحْسَسَ بِالرَّغْبَةِ فِي أَنْ يَدْفِعَهُ  
مِنْ فَوْقِ الْحَافَةِ بِنَفْسِهِ. سَمِعُوا مَامُوثًا يَمُوتُ عِنْدَ أَقْدَامِهِمْ وَرَأَوْا ثَانِيًا يَنْدَفِعُ فِي

الغابة محترقًا، يدعس الأشجار والرّجال بلا تفرقة، وهبّت الرّيح ببرودةٍ أشدّ وأشدّ. صعَدَ إليهم هوب بأكوابٍ من مرق البصل، وقَدّمها أوين وكلايداس للرّماة في أماكنهم ليتجرّعوها بين رميةٍ وأخرى، وقد أخذت زاي مكانًا بينهم حاملةٌ نُشايّتها. ساعات من الرّجفات والصّدّامات المتكرّرة خلخلت شيئًا ما في تركيب المِقْذاف الأيمن، فانخلعَ ثقل موازنته وسقطَ فجأةً بشكلٍ فاجع، والتوّت ذراع الإلقاء إلى الجانِبِ بصوتٍ يصمُّ الأذان، أمّا المِقْذاف الأيسر فظلَّ يرمي، لكن الهَمْج تعلموا سريعًا أن يتحاشوا البُقعة التي تسقط فيها المقذوفات.

المفترَض أن يكون لدينا عشرون مقذافًا لا اثنان فقط، وأن تكون مرَكَبَةٌ على مزِلاجٍ ومحاوِرٍ كي نستطيع تدويرها. لكنها فكرةٌ عقيمة، كأنه يتمنى أن ينضمَّ إليهم ألف من الرّجال، وربما تئِين أو ثلاثة.

لم يرجع دونال نوي أو أيٌّ من الرّجال الذين ذهبوا معه للدِّفاع عن التَّفَقُّ البارد المظلم، وكلما شعرَ چون بقواه تخور قال لنفسه في قرارتها مذكّرًا: (الجدار) تحت قيادتي. كان قد التقطَ قوسًا طويلًا بدوره، والآن يحسُّ بأصابعه خرقاء يابسةً شبه متجمّدة، كما عادت الحُمى تُهاجمه، وبين الفينة والفينة ترتجف ساقه بشدّةٍ بلا سيطرةٍ منه وتطعن كيانه كله بسكين حارقٍ كالحمم. لنفسه قال عشرات المرّات: سهم آخر ثم أستريح، سهم آخر فحسب، لكن كلما فرغت كنانته جلبَ له أحد المناجذ الأيتام أخرى مليئةً، فيقول لنفسه: كنانة أخرى ثم أستريح. إنه الهزيع الأخير من الليل، وليس الفجر ببعيد.

وحين انبلج الصُّبح لم يُدرك أحد منهم في البداية. كان العالم لا يزال مظلمًا، لكن الأسود استحال إلى رماديٍّ وبدأت أشكال الموجودات تبرز بغموض من العتمة. خفضَ چون قوسه ليُحدّق إلى كُتلة السحاب القاتم الذي يَگسو سماء الشّرق، ورأى وهجًا وراءه، ولكن ربما كان يتوهّمه لا أكثر. هكذا ثبّت سهمًا آخر إلى قوسه.

ثم اخترقت الشّمس المشرقة الشُّحب برماح من الضّوء الشّاحب منيرةً أرض المعركة، ووجدَ چون نفسه يحبس أنفاسه إذ تطلّع إلى مساحة نصف الميل من الأرض الخالية بين (الجدار) وحافة الغابة، التي أحالوها



في غضون نصف ليلةٍ إلى بياب من الكلاً المتفحّم والقار الفائر والحجارة المحطّمة والجُثث. كانت جثّة الماموث الميت قد بدأت تجتذب الغربان بالفعل، وعلى الأرض رأى عمالقة قتلَى كذلك، لكن وراءهم... إلى يساره أطلق أحدهم أئينًا، وسمع السّبتون سلا دور يقول: «رُحماك يا أمّنا، أوه، أوه، أوه، أوه، رُحماك يا أمّنا».

تحت الأشجار كان همج العالم كافّة؛ مُغيرون وعمالقة، أوزاج ومبدّلو جلدة، سُكّان الجبال وبحّارة البحر المالح، أكلو لحوم البشّر قاطنو الأنهار الجليديّة وأهل الكهوف بوجوهم المصبوغة، عربات تجرّها الكلاب من (السّاحل المتجمّد) وذوو الحوافر بأقدامهم الغليظة كالجلد المقوّى، جميع الأقوام الأعراب الذين حشدّهم مانس لهزيمة (الجدار). أرادَ چون أن يصيح فيهم: هذه ليست أرضكم، لا مكان لكم هنا، ارحلوا، وبأذن خياله سمع تورموند بليّة العماليق يُجيب ضاحكًا وإيجريت تقول: «لست تعلم شيئًا يا چون سنو». ثنى يد سيفه وبسطها مع أنه يعلم تمام العلم أن الشّيوف لن تلعب دورًا في هذه المعركة.

كان محمومًا ويرتعش بردًا، وفجأةً فاقَ وزن قوسه الطويل احتمالَه. أدرك أن المعركة مع الماجتر لم تكن شيئًا، وأن كلّ القتال الذي دارَ ليلاً أقلّ من لا شيء، مجرد وخرة، طعنة في الظلام في محاولةٍ لمداهمتهم وهم غير متأهّبين. الآن فقط تبدأ المعركة الحقيقيّة.

قال ساتان: «لم أعرف قطّ أنهم بهذه الكثرة».

لكن چون كان يعلم. لقد رآهم من قبل، وإن لم يكن هكذا على الإطلاق، ليس وهم مصطفون في تشكيل المعركة. خلال الرّحف امتدّ طابور الهمج فراسخ عديدة كدودة هائلة الطول، إلا أنه لم يرهم جميعًا في آنٍ واحد، أمّا الآن... قال أحدهم بصوتٍ مبوح: «ها هم قادمون».

رأى الماموثات تتوسّط صفوف الهمج، مئة أو أكثر يمتطيها عمالقة حاملين الهراوات والفؤوس الحجرية الضخمة، وإلى جوارها يمشي المزيد من العمالقة بخطواتهم الثّقيلة دافعين جذع شجرة على عجالاتٍ خشبيّة كبيرة، طرفه مدبّب مشحوذ. قال لنفسه بكآبة: مددك. إذا كانت البوّابة لا تزال قائمة في الأسفل فقبّلات معدودة من هذا الشّيء كفيّلة بتحويلها إلى شطايا. على

جانبي العمالقة جاءت موجة من الخيالة الذين يرتدون الجلد المقوى بالزيت المغلي ويحملون الرماح المقوَّاة بالنَّار، وجمهرة من الرُّماة الرَّاكضين، ومئات من المُشاة حاملِي الحِرَاب والمقاليع والهِراوات والثُّروس الجلد، فيما تقدَّمت عربات (السَّاحل المتجمِّد) العظميَّة على الجانبين متقافزةً فوق الصُّخور والجذور وراء فِرَق من الكلاب البيضاء الضَّخمة. غضبة البراري، فكَّرَ چون وهو يُنصت إلى صُداح القرب ونباح الكلاب وزمجرتها ونهيم الماموثات وصفير الأحرار وصرائحهم وهدير العمالقة باللغة القديمة وصدى الطبول على الجليد كأنه الرِّعد.

وأحسَّ چون باليأس يعتمل في أنفُس كلِّ من حوله، وسمع ساتان يُولول: «لا بُدَّ أنهم مئة ألف. كيف نصدُّ هذه الأعداد؟».

سمع چون نفسه يقول: «(الجدار) سيصدُّهم»، والتفت وبصوت أعلى كرَّر: «(الجدار) سيصدُّهم، (الجدار) يُدافع عن نفسه!». كلمات جوفاء، وإنما عليه أن يقولها بقدر حاجة إخوته إلى سماعها. «مانس يُريد أن يُفزعنا بأعداده. هل يحسبنا أغبياء؟». كان يصيح الآن وقد نسي ساقه، وكلُّ رجل يُصغي. «العربات والخيالة وكلُّ هؤلاء المُشاة الحمقى... ماذا سيفعلون بنا ونحن هنا على القمَّة؟ هل رأى أحدكم ماموثاً يتسلَّق جداراً من قبل؟»، وضحك فضحك معه بيپ وأوين ونصف دستة من الآخرين. «إنهم لا شيء، أقلُّ جدوى من إخوتنا القش، لا يستطيعون الوصول إلينا، لا يستطيعون مسنا بأذى، ولا يُخيفوننا. هل يُخيفوننا؟».

صاح جرن: «لا!».

واصل چون: «هُم عند السَّفح ونحن على القمَّة، وما دُمنَّا ندافع عن البوابة فلا يُمكنهم المرور، لا يُمكنهم المرور!». في هذه اللَّحظة كانوا يهتفون جميعاً، يردُّون عليه بكلماته بصوتٍ هادر، يُلوِّحون بالأقواس والسُّيوف الطويلة في الهواء، وقد تورَّدت وجوههم. رأى چون كجز واقفاً ببوقٍ حربيٍّ يتدلَّى من ذراعه، فقال له: «أخي، أطلق نفيِر المعركة».

مبتسمًا، رفع كجز البوق إلى شفتيه وأطلقَ دفتين طويلتين تعنيان الهَمَج، وانضمت إليه أبواق أخرى دوَّت ودوّت إلى أن بدا (الجدار) نفسه كأنه يرتجف، وأغرق صوت الأئين العظيم العميق كلَّ ما عداه من أصوات.

ولمَّا خَبَتِ الأبواق قال جون: «أيها الرُّماة، سُنْصُوبُون سَهاِمَكُم إلى العِمالِقة والمِدك، جَمِيعَكُم بلا استثناء. أَطْلِقُوا عِندما أَلْقِي الأمر وليس قبلها. العِمالِقة والمِدك. أريدُ أن تنهَمِرَ عليهم السَّهام بلا انقطاع، لكننا سننتظر إلى أن يَدْخُلُوا مرماها. كل مَنْ يُبَدِّد سَهْمًا سينزل ويستعيده، هل تسمعون؟».

صاحَّ أوين الجحش: «أسمعك، أسمعك يا لورد سنو».

وضحكَ جون، ضحكَ كالسَّكاري، ضحكَ كالمجانين، ومعه ضحكُ رجاله.

رأى أن العربات والخِيالة المنطلقين على الجانبين قد سبقوا قلب جيش الأعداء بمسافة كبيرة الآن، ولم يكن الهَمَج قد قطعوا ثلث مسافة نصف الميل بعدُ لكن الفوضى بدأت تعمُّ صفوفهم بالفعل. قال: «حمّلوا المِقذاف بأرجلِ الغُربان. أوين، كَجِز، وجَّها المجانيق نحو القلب. أريدُ تسليم العرَّادات بالحِراب النَّارية وإطلاقها عندما أعطي الأمر»، وأشارَ إلى صِبية (بلدة المناجذ) الثلاثة قائلاً: «أنت وأنت وأنت، استعدُّوا بالمشاعل».

أطلقَ رُماة الهَمَج سَهاِمهم وهم يتقدَّمون بالنمط نفسه؛ يندفعون إلى الأمام ويتوقَّفون ويُطلقون ثم يجرون عشر ياراتٍ أخرى. عددهم كبير جدًّا لدرجة أن الهواء امتلأ بالسَّهام باستمرار، لكن أياً منها لم يُصِب هدفه، ومع المنظر البائس فكَّر جون: خسارة، افتقارهم إلى الانضباط بادٍ للغاية. أقواس شعب الأحرار المصنوعة من الأخشاب وقرون الحيوانات مداها أقصر كثيرًا من أقواس حرس اللَّيل الطويلة المصنوعة من خشب الطقسوس الممتاز، والهَمَج يُحاولون إرداء رجالٍ يعلونهم بسبعمئة قدم. قال جون: «دعوهم يُطلقون، انظروا، تمهلُّوا». كانت معاطفهم تخفق وراءهم، فأضاف: «الرَّيح في وجوهنا وستُكلِّفنا المدي، انتظروا». اقتربوا، اقتربوا.

ناحت القرب ورعدت الطبول وارتعشت سهام الهَمَج في الهواء وسقطت. صاحَّ جون: «اسحب»، ورفع قوسه وسحب السَّهم إلى أذنه، وحذا ساتان حذوه، وجرن وأوين الجحش وذو النَّعل الواحد وچاك بولووار الأسود وأرون وإمريك، وثبتت زاي نُسَابِيَّتِها إلى كتفها. كان جون يُراقب المِدك يتقدَّم ويتقدَّم وعلى جانبيه الماموثات والعِمالِقة، حجهم متناهي الصَّغر حتى إنه كان ليسحقهم بكفِّه بضريةٍ واحدة. لو أن يدي كبيرة كفايةً. على أرض المقتلة

تقدّموا، وحلّق مئة غراب من على جثة الماموث إذ دبدب الهمج على جانبيها  
يدفون الأرض، واقتربوا، واقتربوا، إلى أن...  
- «أطلق!».

فحّت السهام في طريقها إلى أسفل كثعابين بأجنحة من ريش، ولم ينتظر  
چون أن يرى ما أصابته، بل مدّ يده إلى سهم ثانٍ بمجرد أن أطلق الأول، و«ثبّت،  
اسحب، أطلق». فور أن حلّق السهم وجدّ غيره، و«ثبّت، اسحب، أطلق»،  
مرّة ومرّة ومرّة. زعق أمرًا المِقْداف بالإطلاق، وسمع الصّيرير والارتطام  
الثقيل المكتوم إذ شقّت عشرات من أرجل الغربان الفولاذيّة الهواء. صاح:  
«المجانيق، العرّادات، الرّماة، أطلقوا بلا حساب». الآن كانت سهام الهمج  
تصيب (الجدار) أسفلهم بمئة قدم، وترنّح عملاق ثانٍ وسقط. ثبّت، اسحب،  
أطلق، وارتطم ماموث بآخر إلى جواره فهوى عملاقهما على الأرض. ثبّت،  
اسحب، أطلق، ورأى چون المدك وقد انتهى أمره والعمالقة الذين دفعوه  
موتى أو يموتون. صاح: «السهام النّاريّة، أريد أن يحترق هذا المدك عن  
آخره». اختلط صراخ الماموثات الجريحة وصياح العمالقة الجمهوري بالطبل  
والمزامير صانعًا موسيقى شنيعة، غير أن رّماته ظلّوا يسحبون ويطلقون كأن  
الصّمم أصابهم كأخيهم الرّاحل ديك فولارد. ربما يكونون كُناسة الكُناسة،  
لكنهم ما زالوا رجالًا في حرس الليل أو أدنى شيء إلى هذا، فلا فرق. ولذا  
لن يمرّ الهمج.

كان أحد الماموثات يعدو بهياج ساحقًا الهمج بجذعه وداعسًا الرّماة  
بأقدامه، فعاد چون يلتقط قوسه وأطلق سهمًا جديدًا على ظهر الدّابة الأشعث  
ليدفعها إلى العدو أكثر. إلى الشّرق والغرب بلغ جناح جيش الهمج (الجدار)  
بلا مقاومة، تتقدّم العربات أو تدور بينما يتحرّك الخيالة بلا نظام أو هدفٍ  
تحت جُرف الجليد الشّاهق.

ارتفعت عقيرة أحدهم - ذي النّعل الواحد ربما - بصيحة: «عند البوّابة!  
ماموث عند البوّابة!».

هتف چون: «النّار. جرن، يبيب».

ألقي جرن قوسه ودفع برميلاً من الزّيْت على جانبه ودحرجه إلى حافة  
(الجدار)، حيث ضرب يبيب سدّادته وحشا مكانها قطعة من القماش وأوقدها

بمشعل، ومَعًا دَفَعَ الاثنان البرميل إلى الخارج، وتحتهم بمئة قدم ارتطمَ البرميل بـ(الجدار) وانفجرَ مائلًا الهواء بالشَّظايا والزَّيت المشتعل. فَي تَلِك الأثناء كان جرنٌ يُدحرج برميلًا ثانيًا إلى الحافة وِكجز برميلًا ثالثًا، وأشعلَ بيب الاثنين، على حين صاحَ ساتان: «أصبتَه!» وهو يطل برأسه بعيدًا من فوق الحافة لدرجة أن چون كان واثقًا بأنه سَيَسْقُط من حالق. ظلَّ ساتان يصيح: «أصبتَه! أصبتَه! أصبتَه!»، وسمع چون زئير النَّار، وبرَزَ عملاق يتعثر ويندحرج على الأرض محترقًا.

وفجأةً كانت الماموثات كلها تفرُّ، تجري من الدُّخان واللَّهب وترطم بمن وراءها من فرط الخوف، وبدأ هؤلآء يلوذون بالفرار أيضًا، العمالقة ومن ورائهم الهمج يُحاولون الابتعاد عن طريق الوحوش الفارَّة. في غمضة عينٍ انهارَ قلب الجيش بأكمله، ورأى الخيالة على الجناحين أنفسهم مهجورين من رفاقهم ففرَّروا الهرب بدورهم دون أن يُريق أحدهم قطرة دماء واحدة، وحتى العربات راحت تنسحب بعد أن لم تفعل شيئًا إلا أن تبدو مخيفةً وتُصدر الكثير من الضَّجَّة. قال چون سنو في أعماقه وهو يُشاهدهم يتقهقرون متخبطين: عندما ينكسرون ينكسرون بشدَّة. حتى الطبول صممت. هل تُعجبك هذه الموسيقى يا مانس؟ هل يُعجبك مذاق زوجة الدورني؟ سأَل إخوته: «ألدينا مصابون؟».

رَدَّ ذو النَّعل الواحد: «أولاد الزَّواني أصابوا ساقِي»، وانتزع السَّهم ولوَّح به فوق رأسه مضيئًا: «السَّاق الخشيَّة!».

ارتفع هتاف مبحوح، وجذبت زاي أوين من يديه ودارت به قبل أن تُلصق شفيتها بشفتيه في قُبلة مبتلة طويلة أمام أعين الجميع. حاولت أن تُقبَّل چون أيضًا، لكنه أمسكها من كتفها ودفعها برفق وإنما بحزم قائلاً: «لا». ولَّى عهدي مع القُبَل. أحسَّ بغتةً بإنهاك يفوق قُدرتَه على الوقوف، وبساقه عذابًا ممضًا من الرُّكبة إلى القطن، فمدَّ يده إلى عُكازه قائلاً: «بيب، ساعدني على ركوب القفص. جرن، (الجدار) تحت قيادتك».

قال جرن: «أنا؟»، وقال بيب: «هو؟!». كان صعبًا أن يُميِّز أيهما أكثر خوفًا، وتمتم جرن متلعثمًا: «لكن... لكن ماذا أفعل إذا استأنف الهمج الهجوم؟».

أجابته: «أوقفهم».

لَمَّا بدأ القفص رحلته إلى أسفل خلعَ بيبَ خوذته ومسحَ جبينه قائلاً: «عرق متجمّد. أهنك شيء مقرف أكثر من العرق المتجمّد؟»، وضحك مواصلاً: «لا أظنُّ أنني شعرتُ بمثل هذا الجوع من قبل بحقِّ الآلهة. أقسمُ أن بإمكانني أن ألتهم ثورًا كاملاً الآن. هل تظنُّ أن هوب سيطهو جرن لنا؟»، لكن ابتسامته ماتت حين رأى وجه چون، فتساءل: «ما الأمر؟ أهي ساقك؟». وافقه قائلاً: «ساقِي». مجردَ نطق الكلمة كان مجهودًا شاقًا.

- «لكن ليس المعركة؟ لقد ربحنا المعركة».

أجابَ عابَسًا: «سَلني عندما نرى البوابة»، وقال لنفسه: أريدُ نازًا ووجبةً ساخنةً وسريرًا دافئًا وشيئًا يضع للآلم في ساقِي حدًا. لكن عليه أولاً أن يتفكّد النَّفق ويرى ما جرى مع دونال نوي.

بعد معركتهم مع الثَّنين استغرقوا نحو يوم في إخلاء البوابة الدَّاخِلِيَّة من الجليد والعوارض المكسورة، وكان كِجز وبأيت الأرقط وعدد من البنائين الآخرين قد ألحوا بحماسة على ترك الأنقاض في مكانها، وبذلك يضعون عائقًا آخر في طريق مانس، ولكن كان معنى هذا التَّخْلِي عن الدِّفاع عن النَّفق، وهو ما رفضه نوي تمامًا، وقال إن عددًا من الرِّجال في كَوَات الدِّفاع بالإضافة إلى الرُّماة وحاملي الحِراب وراء كلِّ شبكةٍ داخِلِيَّة يكفل لعددٍ قليل من الإخوة العازمين أن يردعوا عددًا يفوقهم مئة مرَّة من الهَمج ويسدُّوا الطَّرِيق بَجُثثهم. إنه لا ينوي أن يدع مانس رايدر يمرُّ من الجليد بسهولة، وهكذا بواسطة المعاول والمجارف والحبال أراحوا السَّلام المحطمة وفتحوا الطَّرِيق إلى البوابة.

انتظرَ چون عند القضببان الحديدية الباردة فيما ذهبَ بيب إلى المايستر إيمون ليحلب المفتاح الاحتياطي، ولدهشته أتى معه المايستر وفي صُحبتهما كلايداس حاملاً مصباحًا، وقال العجوز لچون بينما حلَّ بيب السَّلاسِل: «تعال إليَّ بعد أن تنتهي. يجب أن أُغيِّر ضَمادتك وأضع كَمادَةً جديدةً، وعليك أن تشرب المزيد من نبيذ التَّوم من أجل الآلم»، فأجابته چون بإيماءةٍ ضعيفة.

انفتحَ الباب وقادهم بيب إلى الدَّاخِل، يتبعه كلايداس ومصباحه، وبذلَ چون جهده كله لِيُجاري خُطوات المايستر إيمون. أحسَّ بالجليد ينضغط عليهم وبالبرد ينفذ إلى عظامه ويثقل (الجِدار) فوق رأسه، كأنه يمشي في

حُلُقُومٍ تَنْبِيْنٍ جَلِيْدِي. انْعَطَفَ النَّقْقَ مَرَّةً ثُمَّ مَرَّةً أُخْرَى، وَفَتَحَ بِيْبِ الشَّبَكَةِ الْحَدِيْدِيَّةِ الثَّانِيَةَ، وَقَطَعُوا مَسَافَةً أُخْرَى وَانْعَطَفُوا ثَانِيَةً، ثُمَّ رَأَوْا أَمَامَهُمْ ضَوْءًا خَافِتًا شَاحِبًا يَتَسَرَّبُ عِبْرَ الْجَلِيْدِ، وَقَدْ أَدْرَكَ چُونُ مَعْنَاهُ فِي الْحَالِ، وَفَكَّرَ: هَذَا سَيِّءٌ، هَذَا سَيِّءٌ لِلْغَايَةِ.

ثم قال بيب: «هناك دماء على الأرض».

العشرون قدماً الأخيرة من النَّقْقِ هِيَ الْبُقْعَةُ الَّتِي قَاتَلُوا فِيهَا وَمَاتُوا. كَانَ الْبَابُ الْخَارِجِي الْبَلُوطُ الْمَدْعَمُ بِالْحَدِيْدِ قَدْ تَلَقَّى مَا تَلَقَّاهُ مِنْ ضَرْبَاتٍ حَطَمَتْهُ قَبْلَ أَنْ يُتَنَزَّعَ مِنْ مَفْصَلَاتِهِ، وَزَحَفَ أَحَدَ الْعَمَالِقَةِ إِلَى الدَّخْلِ وَسَطِ الشُّطَايَا. غَسَلَ الْمَصْبَاحَ الْمَشْهُدَ الرَّهِيْبَ بِضَوْءٍ مُحَمَّرٍ قَابِضٍ، وَالتَفَتَ بِيْبٌ جَانِبًا لِیُفْرِغَ مَعْدَتَهُ، وَوَجَدَ چُونُ نَفْسَهُ يَحْسُدُ الْمَايْسْتِرَ إِيْمُونُ عَلَى عَمَاهُ.

كان نوي ورجاله منتظرين داخل النَّقْقِ، وراء شبكة من القضبان الحديد الثقيلة كالاثنتين اللتين فتحهما بيب، وقد أطلقت الشَّابِيْتَانِ نَحْوَ دَسْتَةٍ مِنْ السَّهَامِ بَيْنَمَا تَحْرُكُ الْعَمَالِقُ صَوْبَهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنْ حَامِلِي الْحَرْبَةِ قَدْ تَقَدَّمَا إِلَى الْأَمَامِ، وَرَاحَا يَطْعَنَانِ مِنْ بَيْنِ الْقُضْبَانِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا وَجَدَ الْعَمَالِقُ الْقُوَّةَ الْكَافِيَةَ لِأَنْ يَمُدَّ يَدَهُ وَيَقْتُلِعَ رَأْسَ پَايْتِ الْأَرْقَطِ، وَيَقْبِضَ عَلَى الْحَدِيْدِ وَيَتَنَزَّعَ الْقُضْبَانَ، وَعَلَى الْأَرْضِ تَنَاطَرَتْ حَلَقَاتُ السَّلْسَلَةِ الْمَحْطَمَةِ. عَمَالِقُ وَاحِدٌ، كُلُّ هَذَا فَعَلَهُ عَمَالِقُ وَاحِدٌ.

سأل المايستر إيمون بخفوت: «كلُّهم موتى؟».

- «أجل. كان دونال آخرهم». كان سيف نوي مغروساً حتى منتصف المقبض في حلق العملاق، ولئن بدا الحداد رجلاً كبيراً لچون دوماً، فإنه يبدو الآن أقرب إلى طفل بين ذراعي العملاق الضخمتين. «العملاق حطم عموده الفقري. لا أدري مَنْ مِنْهُمَا مَاتَ أَوْلاً»، وتناول چون المصباح من كلايداس وتقدَّم ليُلْقِي نَظْرَةً أَفْضَلَ، ثُمَّ قَالَ: «ماج». أنا آخر العمالقة. استشعر ما في الأمر من حُزن، لكن لا وقت لديه للحُزن. «إنه ماج الجبَّار، ملك العمالقة». شعرَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الشَّمْسِ. النَّقْقُ شَدِيدُ الْبُرُودَةِ وَالظَّلَامِ، وَرَائِحَةُ الدَّمَاءِ وَالْمَوْتِ خَائِقَةٌ. أَعَادَ چُونُ الْمَصْبَاحَ إِلَى كَلَايْدَاسِ، وَدَارَ حَوْلَ الْجُثْثِ وَدَسَّ جَسَدَهُ بَيْنَ الْقُضْبَانِ الْمَلْوِيَّةِ وَتَحْرَكَ صَوْبَ نَوْرِ النَّهَارِ لِيَرَى مَا يَقَعُ وَرَاءَ الْبَابِ الْمَحْطَمِ.

كانت جثة الماموث الضخمة تسد الطريق جزئيًا، واشتبك أحد نابي الوحش بمعطفه ومزقه وهو يمر، وفي الخارج وجد ثلاثة عمالقة آخرين منظر حين في الثلج، شبه مدفونين تحت ما أهيل عليهم من أعلى من حجارة وشحم وقار تجمد. رأى البقاع التي أذابت فيها النيران (الجدار) فهوت ألواح الجليد الهائلة من الحرارة لتتحطم على الأرض المسودة، ونظر إلى حيث أتت من أعلى قائلًا لنفسه: يبدو مهولًا حقًا حين تقف هنا، كأنه على شفا أن يسحقك.

رجع چون إلى الداخل حيث ينتظر الآخرون، وقال لهم: «لا بُدَّ أن نُصلح البوابة الخارجية قدر المستطاع ثم نسد هذا الجزء من النفق. سنستخدم الحطام والجليد وأي شيء، ونسده حتى الشبكة الثانية إذا قدرنا. يجب أن يتولى السير ويتون القيادة بما أنه آخر من لدينا من فرسان، لكن عليه أن يتحرك حلالًا، فلن يلبث العمالقة أن يعودوا. يجب أن نُخبره...».

قاطعهُ المايستر إيمون برفق: «أخبره بما تشاء. سيبتسم ويومئ برأسه وينسى. قبل ثلاثين عامًا دنا السير ويتون ستاوت من الفوز بمنصب حضرة القائد بدستته من الأصوات، وكان ليُصبح قائدًا ناجحًا، وقبل عشرة أعوام كان ليظل يتحلَّى بالمقدرة، لكنه لم يعد قادرًا على شيء. إنك تعلم هذا كما كان نوي يعلمه يا چون».

ما قاله المايستر صحيح، فردَّ عليه: «فلتُعطِ أنت الأمر إذن. لقد أمضيت حياتك كلها على (الجدار) وستتبعك الرجال. يجب أن نُغلق البوابة».

- «أنا مايستر مسلسل ومحلف. جماعتي تخدم ولا تقود يا چون، تُعطي النَّصائح لا الأوامر».

- «على أحدهم أن...».

- «أنت، عليك أنت أن تقود».

- «لا».

- «نعم يا چون. لست مضطرًا لأن تفعلها طويلاً، فقط حتى ترجع الحامية. دونالد اختارك، وكورين ذو النصف يد من قبله، وحضرة القائد مورمونت جعلك وكيله. أنت ابن (ويتترفل)، ابن شقيق بنجن ستارك. إمَّا أنت وإمَّا لا أحد. (الجدار) تحت قيادتك يا چون سنو».



## آريا

كلما استيقظت صباحًا أحسّست بالفجوة التي في داخلها. ليس ما تشعُر به جوعًا - مع أنه كذلك أحيانًا - وإنما خواء، فراغ في الموضع الذي كان قلبها يحتله، قلبها الذي سكنه إخوتها وأبواها. ثم إن رأسها يُؤلمها أيضًا، ليس الألم الممضّ الفظيع الذي لازمها في البداية، لكنه لا يزال شديدًا، وإن أصبح معتادًا الآن، وعلى الأقل بدأ الورم يتقلص... أمّا الفجوة في أعماقها فتظل كما هي، وحين تخلد آريا إلى النّوم تقول لنفسها: الفجوة لن تنسدّ أبدًا.

أحيانًا لا تجد لديها رغبة في الاستيقاظ على الإطلاق، فتربض تحت معطفها وتغلق عينها بشدّة وتُحاول أن تُجبر نفسها على العودة إلى النّوم. لو يدعها كلب الصّيد وشأنها ستنام طيلة الليل وطيلة النهار.

وتحلّم. أفضل ما في النّوم الأحلام. كل ليلة تقريبًا تحلّم بالذئاب، بقطيع عظيم تنزعّمه هي. في الحلم تكون أكبر منها جميعًا وأقوى وأرشق وأسرع، وبإمكانها أن تسبق الخيول وتغلب الأسود، وحين تُكشّر عن أنيابها يولد منها البشر أنفسهم بالفرار. معدتها لا تبقى خاليةً طويلًا أبدًا، وفروها يُدفئها حتى عندما تهبّ الرّيح الباردة، وإخوتها وأخواتها معها، أعدادهم كبيرة للغاية، وقوتهم وشراستهم هائلة للغاية، وجميعهم تحت إمرتها، وأبدًا لن يهجرّوها. لكن إذا حفلت لياليها بالذئاب فنهاراتها تنتمي إلى الكلب. كل صباح يُرغمها ساندور كليجاين على الاستيقاظ سواء أرغبت أم لم ترغب، يشتمها بصوته الأَجش أو يسحبها لتقف رغم أنفها ويرجّها، وفي مرّة سكب عليها ملء خوذّة من الماء البارد، فهبّت من مضجعها باصقّة مرتعشة وحاولت أن تتركّله، إلّا أنه ضحك وقال لها: «جفّفي نفسك وأطعمي الحصانين اللّعينين»، ففعلت.

إن معهما حصانين الآن، سترينچر و فرس ذات لونٍ أسود ضارب إلى الحمرة أطلقت عليها آريا اسم كريغن، لأن ساندور قال إنها جبانة وغالباً فرت من (التوأمتين) مثلهما. كانا قد وجداها تجول بلا راكب في أحد الحقول في الصباح التالي للمجزرة، وهي فرس لا بأس بها على الإطلاق، لكن آريا لا يُمكنها أن تحبَّ مخلوقاً جباناً أبداً. كان سترينچر ليثقال. وعلى الرغم من هذا اعتنت بالفرس بأفضل ما تستطيع، كما أن ركوبها أفضل من ركوب حصانٍ واحدٍ مع كلب الصيد. وربما تكون كريغن الجبانة اسماً على مسمى، لكنها صغيرة وقوية، وفكرت آريا أنها قد تسبق سترينچر إذا دعت الحاجة.

لم يعد كلب الصيد يُراقبها من كثب كما اعتاد أن يفعل، وفي بعض الأحيان يبدو أنه لا يكثرث إن ظلت معه أو تركته، كما لم يعد يُكبّل حركتها بمعطفٍ ليلاً. كثيراً قالت لنفسها: ذات ليلة سأقتله وهو نائم، لكنها لم تفعل قط، ومراراً قالت لنفسها: ذات يوم سأهربُ على متن كريغن ولن يلحق بي، وهذا أيضاً لم تفعله. وأين ستذهب؟ (ويترفل) احترقت، وأخو جدّها في (ريقررن)، لكنه لا يعرفها وهي لا تعرفه. ربما تقبل الليدي سمولود أن تنزل عندها في (بهو البلوط) وربما لا، كما أن آريا ليست واثقة بقدرتها على العثور على (بهو البلوط) ثانية أصلاً. أحياناً تُفكر في العودة إلى خان شارنا إذا لم يكن الفيضان قد اكتسحه. يُمكنها البقاء مع هوت پاي، ولربما يجدها اللورد بريك هناك. ستتعلم كيف تستخدم القوس من أنجاي، وتركب مع جندي وتصير خارجة عن القانون كالظبية البيضاء وندا في الأغاني.

لكنها مجرد خواطر حمقاء كواحدٍ من أحلام سانزا. هوت پاي و جندي تركاها فور أن استطاعا، واللورد بريك والخارجون عن القانون لم يُريدوا إلا أن يقبضوا فديتها، تماماً ككلب الصيد. لا أحد منهم أراد بقاءها معه. لم يكونوا قطيعي قط، حتى هوت پاي و جندي. كان غباءً مني أن أتوهم ذلك. إنني مجرد فتاة صغيرة بلهاء ولست ذئبة على الإطلاق.

وهكذا ظلت مع كلب الصيد، فركباً كل يوم دون أن يناما في المكان نفسه مرتين أبداً، متحاشيين البلدات والقرى والقلاع قدر الإمكان. في مرة سألت ساندور كليجاين عن وجهتهما، فأجابها: «بعيداً، هذا هو كل ما عليك أن

تعرفيه. إنك لا تسوين بصقةً عندي الآن، ولست أريدُ سماعِ شكواكِ. ليتني تركتِكِ تدخلينِ القلعةَ اللّعينَةَ».

قالت مفكِّرةً في أمِّها: «نعم، كان عليك أن تفعل».

- «ولو فعلتُ لمُتَّ. حريُّ بك أن تشكرني، حريُّ بك أن تُعني لي أغنيَّةً جميلةً كما فعلتِ أختك».

- «هل ضربتها بفأسٍ أيضًا؟».

- «ضربتكِ بالجانبِ المسطحِ من الفأسِ أيتها الصَّغيرةُ الحقيرةُ الحمقاء. لو ضربتِكِ بالتَّصلِ لكانتِ قطع من رأسكِ تسبح في (الفرع الأخضر) الآن. أطبقي فيكِ السَّخيف هذا. لو كنتُ عاقلاً لأعطيكِ للأخوات الصَّامات. إنهن يقطعن ألسنة الفتيات اللاتي لا يتوقَّفن عن الكلام».

لم يكن قوله عادلاً. باستثناء هذه المرَّة الوحيدة كانت آريا بالكاد تتكلَّم، وتمرُّ أيام كاملة دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة. الخواء في داخلها أقوى من قُدرتها على الكلام، وكلب الصَّيد يتحرَّق غضبًا. إنها تحسُّ بالحنق الذي يعتمل في نفسه وتراه علي وجهه كلما التوى فمه وارتعش وكلما رماها بنظراته، ومتى التقطَ فأسه ليقطع القليل من الخشب من أجل النَّار تتابه ثورة باردة، ويظل ينهال بالضربات على جذع الشَّجرة أو الشَّجيرة الميتة أو الفرع المكسور، إلى أن يُصبح لديهما حطب يفوق حاجتهما عشرين مرَّة. أحيانًا يكون شديد الإرهاق بعدها لدرجة أنه يستلقي ويغيب في النَّوم في الحال دون أن يُشعل النَّار حتى، وهو ما تكره آريا حدوثه، وتكره الكلب لَمَّا يحدث. تلك هي اللَّيالي التي تُطيل فيها التَّحديق إلى الفأس الطويلة مفكِّرةً: تبدو ثقيلةً جدًّا، لكن أراهنُ أني أستطيعُ أن أضربه بها. وإذا فعلت فلن تضربه بالجانب المسطح.

بين الحين والحين في أثناء تجوالهما يلمحان أناسًا آخرين؛ فلا حين في حقولهم أو رُعاة يسوقون خنازيرهم أو حلابةً تقود بقرةً أو مُرافقًا يحمل رسالةً على طريق مليء بالحُفر. لم تُواتها رغبة في الكلام معهم أيضًا، كأنهم يعيشون في أرضٍ بعيدة غريبة ويتكلمون لغةً أجنبيَّةً تجهلها، لا علاقة لها بهم ولا علاقة لهم بها.

كما أنه ليس مأمونًا أن يراها أحد. من فترةٍ إلى أخرى تمرُّ فرق من الخيالة

على الطُّرُق الزَّرَاعِيَّةِ الملتوية، يسبقهم بُرجا عائلة فراي التَّوَأمان، وقد قال لها كلب الصَّيْد لما مَرُّوا: «يُطارِدون الشَّمَالِيَّين السَّارِدِين. اخفضي رأسك متى سمعت صوت حوافر، فعالبًا لن يكون القادم صديقًا».

في أحد الأيام، في تجويفٍ أرضي صنَعته جذور شجرة سَنديان ساقطة، وجدا ناجيًا آخر من (التَّوَأمتين)، الشَّارة على صدره عبارة عن فتاة وردية تَرَقص في دَوَامةٍ من الحرير. قال لهما إنه قَوَّاس من رجال السير مارك بايبر، وإن فقد قوسه. كانت كتفه اليُسرى متورِّمة مشوَّهة حيث تتَّصل بذراعه، وقال إنه تلقى ضربةً بهراوةٍ كسرت الكتف وغَوَّصت الحلقات المعدنية في لحمه، وحكى باكيًا: «كان شماليًا على شارته رجل دام، ولمَّا رأى شارتي ألقى دُعبَةً عن الرِّجل الأحمر والفتاة الوردية، وكيف يجدر بهما أن يتعارفا. لقد شربت لسيدِّه اللورد بولتون وشرب للسير مارك، وشربنا معًا للورد إدميور والليدي روزلين والملك في الشَّمال، ثم قتلني». كانت عيناه متقدتين من الحُمى عندما قال هذا، ورأت آريا أنه يموت بالفعل، فكفته ملتبهة على نحو شنيع، والدَّم والصَّديد يُلوِّثان جانبه الأيسر كله، ومنه تفوح رائحة مقيته. رائحته كالجُثث. توَسَّل الرِّجل منهما شربة نبيذ، فأجابَه كلب الصَّيْد: «لو كان معي نبيذ لشربته بنفسِي. يُمكنني أن أعطيك ماءً، وهدية الرَّحمة».

تطلَّع إليه القَوَّاس طويلًا قبل أن يقول: «أنت كلب چوفري».

- «كلب نفسي الآن. هل تريد الماء؟».

ازدردَ الرِّجل لعابه قائلاً: «نعم، والرَّحمة، أرجوك».

كانا قد مرَّا ببركةٍ صغيرة قبل قليل، فأعطى ساندور لآريا خوذته وقال لها أن تملأها، فعادت بخطواتٍ مجهدة إلى حافة المياه، حيث غاصت مقدِّمة حذائها في الطُّمي، واستخدمت خوذة الكلب كدلو. تسرَّب الماء من فتحتي الرُّويَّة، لكن قاع الخوذة ظلَّ محتفظًا بكميَّة كبيرة، ولمَّا عادت رفع القَوَّاس وجهه إلى أعلى لتصبَّ الماء في فمه فتجرَّعه بلهفة، وما لم يشربه جرى على وجنتيه وامتزج بقشرة الدَّماء البنيَّة المتجلطة على لحيته إلى أن تدلت منها دموع وردية باهتة. فرغ الماء فأطبق على الخوذة ولعق فولاذها، ثم قال: «لا بأس، لكن لبتِه كان نبيذًا. أردتُ النبيذ».

- «وأنا أيضًا»، قال كلب الصَّيْد، وأعمدَ خنجره في صدره بحركةٍ أدنى

إلى الرِّق، ودفَع ثِقْل جسده النَّصْل عبر سُترة الرَّجُل وقميصه المعدني وما تحتهما من بطانة، وإذ سحبَ الخنجر ومسحَه على ثياب الميت نظرَ إلى آريا قائلاً: «هذا هو مكان القلب يا فتاة. هكذا تَقْتُلين المرء». إنها وسيلة واحدة للقتل. «هل ستدفنه؟».

قال ساندور: «لماذا؟ إنه لا يُبالي، وليس معنا مجراف. لندعه للذئاب والكلاب البرِّيَّة، إخوتك وإخوتي»، ورمَقها بنظرة قاسية مضيئاً: «لكن أولاً نسرقه».

في جراب القوَّاس كان أيلان فضيَّان ونحو ثلاثين قطعةً نُحاسيَّةً، وفي مقبض خنجره حجر وردي جميل. وازنَ كليجانين السكين في يده ثم ألقاه إلى آريا، فالتقطته من المقبض ودسَّته في حزامها وأحسَّت بشيءٍ من التَّحسُّن. ليس السكين إبرتها، لكنه فولاذ. كانت مع القوَّاس الميت جعبة مليئةً بالسَّهام أيضاً، لكن السَّهام لا تُفيد كثيراً في غياب القوس، ووجدوا حذاءً أكبر من أن تتعله آريا وأصغر من أن ينتعله الكلب، فتركاها، لكنها أخذت قَبَعته الفولاذ، على الرغم من أنها كادت تتجاوز أنفها عندما ارتدَّتْها، وعليها أن تُمِيلها إلى الورااء كي ترى.

قال كليجانين متلفتاً حوله: «لا بُدَّ أنه كان يركب حصاناً أيضاً وإلَّا لما استطاع الهرب، لكن يبدو أنه ابتعد كثيراً. لا أدري منذ متى وهو هنا». حين وجدا نفسيهما عند التُّلال السَّفحيَّة المتاخمة لـ(جبال القمر) كانت الأمطار قد توقفت تقريباً، وعادت آريا ترى الشَّمس والقمر والتُّجوم، وبدا لها أنهما متَّجهان شرقاً، فسألَتْ من جديد: «أين سنذهب؟».

هذه المرَّة أجبَّها: «إن لكِ خالَّةً في (العُش)، ولربما ترغب في دفع فديتك أيتها الحمقاء النَّحيلة، مع أن الآلهة وحدها تعلم لِمَ قد تفعل هذا. بمجرد أن نجد (الطَّريق العالي) سنتبعه إلى (البوابة الدَّامية)».

الخالدة لايسا. أشعرتْها الفكرة بالخواء. إنها تُريد أمَّها لا أخت أمَّها، ثم إنها لا تعرف خالتها أكثر مما تعرف السَّمكة السَّوداء. كان علينا أن ندخل القلعة. إنهما لا يعلمان يقيناً أن أمَّها ماتت، أو روب كذلك، فلم يشهدا موتها بنفسيهما. ربما أسرهما اللورد فراي لا أكثر، ربما كانا مقيَّدين بالسَّلاسل الآن في زنزانته، وربما يأخذهما أولاد فراي إلى (كينجز لاندنج) ليضرب

چوفري رأسيهما. إنهما لا يعلمان. قالت فجأةً وقد حزمت أمرها: «يجب أن نعود، يجب أن نعود إلى (التوأمتين) ونُنقذ أُمِّي. لا يُمكن أنها ماتت. يجب أن نُساعدها».

دمدمَ كلب الصَّيد: «حسبتُ رأسِ أختكِ وحدها المحشوَّ بالأغاني. ربما احتفظَ فراي بأُمَّكِ حيَّةً ليفتديها، هذا صحيح، لكن هيهات بحقِّ الجحائم السَّبْع أن أعود لإنقاذها من قلعته اللعينة بمفردي».

- «لن تكون بمفردك، سأذهبُ معك».

أصدرَ صوتًا شبيهًا بالضَّحك، وقال: «نعم، وجودكِ سيجعل العجوز يبول على نفسه من الخوف».

قالت بازدراء: «أنت خائف من الموت ليس إلَّا!».

ضحك كليجان هذه المرَّة مجيئًا: «الموت لا يُخيفني، فقط النَّار. والآن أطبقي فمكِ على لسانكِ وإلَّا قطعته بنفسِي ووفَّرتُ على الأخوات الصَّامتات العناء. إننا ذاهبان إلى (الوادي)».

لم تحسب آريا أنه قد يقطع لسانها حقًا، وإنما يقول هذا ليُخيفها لا أكثر، كما كان ذو العين الوردية يُهدِّدها دائمًا بأن يضربها حتى يُدميها، على أنها قرَّرت إلَّا تمتحنه. ساندور كليجان ليس ذا العين الوردية، فالثَّاني لا يَشْطُر النَّاسَ إلى أنصافٍ ولا يضربهم بالفؤوس، ولا حتى بالجانب المسطح.

ليلتها خلدت إلى النَّوم وهي تُفكِّر في أمِّها وتتساءل إن كان يُمكنها أن تُقتل كلب الصَّيد في نومه وتُنقذ الليدي كاتلين بنفسها، وحين أسبلت جفניה رأت وجه أمِّها منطبعا عليهما. إنها قريبة لدرجة أني أكادُ أشمُّها...

... ثم إنها استطاعت أن تشمَّها بالفعل.

الرَّائحة ضعيفة، تطغى عليها الرِّوائح الأخرى الفائحة من الطَّحالب والأوحال والمياه، ويكاد يكتُمها ذفر البوص المتفنن والإنس المتحللين. تمضي على مهل على الأرض اللَّينة إلى حافة النَّهر وتلغ القليل من الماء، ثم ترفع رأسها وتتشمَّم. السَّماء رمادية مثقلة بالشُّحب، والنَّهر أخضر زاخر بالأشياء الطَّافية. يسدُّ الموتى الجزء الضَّحل من المياه، ولا يزال بعضهم يتحرَّك مدفوعًا بالتَّيار، والبعض الآخر مجروف إلى الضِّفَّة التي تعجُّ بإخوتها وأخواتها إذ يُمزَّقون اللَّحم النَّاضج الغني.

والغريبان حاضرة أيضًا، تصرّخ في الذئاب وتملأ الهواء بالرّيش. دماؤها أكثر سخونةً من الجثث، وبينما يُحاول أحدها التّحليق تنفضّ عليه إحدى أخواتها وتقبض على جناحه بفكيها، فيجعلها هذا تُريد غرابًا لنفسها أيضًا. تُريد أن تتذوّق الدّماء وتسمع العظام تنسحق بين أسنانها وتُتخّم معدتها باللحم الدّافئ لا البارد. إنها جائعة واللحم في كل مكانٍ حولها، لكنها تعلم أنها لا تستطيع أن تأكل.

الرّائحة أقوى الآن. تُرهف السّمع وتُصغي إلى زمجرات قطيعها وصريخ الغريبان الغاضبة وطين الأجنحة وخرير المياه الجارية، ومن مكانٍ ما بعيد تسمع حوافر خيولٍ وصياح بشرٍ أحياء، إلّا أنهم لا يهتمون. وحدها الرّائحة تهتمُّ الآن. تشمّم الهواء ثانية وتلتقط رائحته ثم تراه، الشّيء الأبيض الشّاحب الطّافي على صفحة المياه، يدور إذ احتكَّ بغُصنٍ ناتئ، وأمامه تتحني أعواد البوص.

تخوض بصخب في المياه الضّحلة وتُلقي نفسها في المياه الأعماق ماخضةً إياها بقواثمها. التّيّار قويٌّ للغاية لكنها أقوى، وهكذا تسبح متبّعةً أنفها. روائح النّهر غنيّةٌ بليلة، لكنها ليست الروائح التي تجذبها، بل تسبح ساعيةً إلى العبق الأحمر الحاد بالغ الخفوت المنبعث من الدّماء الباردة، إلى ذفر الموت الحلو المشيع. تُطارِد الرّائحة كما طارَدَت الغزلان الحمراء وسط الأشجار مرارًا، وفي النّهاية تَبْلُغ الشّيء وتنغلق فكّاها على ذراع بيضاء شاحبة، فتَهزّها لتجعلها تتحرّك، لكن في فم صاحبها ليس هناك إلّا الموت والدّم. الآن يبدأ التّعب في مراودتها، وبكل قوّتها تسحب الجُثمان إلى الشّط، وبينما تجرّه على الضّفة الموحلة يأتي أحد إخوتها الصّغار جائسًا حولها ولسانه يتدلّى من فمه، فتزوم فيه ليبعد وإلّا أكل. عندئذٍ فقط تتوقّف لتنفض الماء من فروها، ويستلقي الشّيء الأبيض على وجهه في الوحل، لحمه الميت ممتقع متغضّن والدّم البارد يقطر من حلقة، فتفكر: انهضي، انهضي وكلي واركضي معنا.

تسمع أصوات خيول فتلتفت برأسها قائلةً لنفسها: بشر. إنهم قادمون في اتجاه الرّيح، ولذا لم تشمّمهم، لكنهم على وشك الوصول إليها الآن. رجال على متون الخيول، أجنحتهم الخفّاقة سوداء وصفراء ووردية، وفي أيديهم مخالب طويلة برّاقة. يُكشّر عدد من إخوتها الصّغار عن أنيابهم ليُدافعوا عن الطّعام الذي

عثروا عليه، لكنها تَزْمَجِرُ فيهم إلى أن يتفرَّقوا. إنه سَمَتِ البرية؛ من الذئاب تفرُّ الغزلان والأرانب والغربان، ومن البشر تفرُّ الذئاب، وهكذا تهجر الغنمة البيضاء الباردة في الوحل الذي جرَّتها إليه وتفرُّ لا يساورها الخجل.

في الصُّباح لم يضطرَّ كلب الصَّيد للزَّعيق في أريا أو رجَّها لتصحو، إذ استيقظت قبله هذه المرَّة على سبيل التَّغيير وسقت الحصانين أيضًا. تناولا إفطارهما بصمتٍ دامٍ حتى قال ساندور: «بخصوص أمك...».

قاطعته بصوتٍ خامل: «لا يهْمُ. أعرفُ أنها ماتت. رأيتها في الحُلْم». رمقها كلب الصَّيد طويلًا ثم أومأ برأسه، ولم يقل أحدهما شيئًا إضافيًا عن الأمر وهما راكبان نحو الجبال.

في التَّلال الأعلى صادفا قريةً صغيرةً منزعلةً تُحيط بها أشجار الحارس الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار الصَّنوبر الجُندي الزَّرقاء الباسقة، فقرَّر كليجان أن يُخاطِرا ويَدْخُلاها، وقال لها: «نحن في حاجةٍ إلى الطَّعام وسقفٍ فوق رأسينا. إنهم لا يعرفون بما حدث في (التَّوأمين) على الأرجح، وإذا حالفنا الحظ فلن يتعرَّفوني».

كان القرويون يبنون سياجًا من الأوتاد الخشبيَّة حول بيوتهم، وحين رأوا كتفَي كلب الصَّيد العريضتين عرضا عليهما طعامًا ومأوىً بالإضافة إلى القليل من المال إذا ساعدَهم، فمدمَّ مجيبيًا: «سأفعلُ إذا كان لديكم نبيذ أيضًا»، وفي النَّهاية رضيَ بالمزر وشربَ حتى الثَّمالة لينام كلَّ ليلة.

لكن حُلْمه ببيع أريا لليدي آر ن مات هناك وسط التَّلال، عندما قال له كبير القرية: «ثُمَّ صقيع فوقنا وثلج في الممرَّات العالية. إذا لم تتجمَّد أو تموتا جوعًا فستنال منكما قطعة الظلِّ أو دبة الكهوف. وهناك القبائل أيضًا. الرِّجال المحروقون لم يعودوا يعرفون الخوف منذ رجَع تيميت الأعور من الحرب، وقبل نصف عام قاد جونثور بن جورن الغربان الحجريَّة وهاجم قريةً تَبعد أقلُّ من ثمانية أميال عن هنا، واختطفوا كلَّ امرأةٍ وسرقوا كلَّ ذرَّةٍ من الحبوب وقتلوا نصف الرِّجال. إن معهم فولاذًا الآن، سيوفًا قويَّة وقمصانًا معدنيَّة، وُبراقيون (الطَّريق العالي) طوال الوقت. الغربان الحجريَّة وثعابين الحليب وأبناء الصُّباب، القبائل جميعها. ربما تقتل بعضهم، لكنهم سيقتلوك في النَّهاية ويرحلون بابتك».



لولا إرهاقها الشديد كانت آريا لتصبح: لستُ ابنته. إنها ليست ابنة أحدٍ الآن، إنها لا أحد، ليست آريا وليست بنت عرس أو نان أو آري أو الكتكوت، ولا رأس الجزل. إنها مجرد فتاةٍ ترتحل مع كلبٍ بالنَّهار وتَحلم بالذَّئاب ليلاً. القرية هادئة. فراشاهما محشوان بالفش الذي لا يسكنه الكثير من القمل، والطعام عادي وإنما مشبع، والهواء تُفعمه رائحة الصنوبر، وعلى الرغم من هذا سرعان ما قرّرت آريا أنها تكره المكان. أهل القرية جبناء، ولا أحد منهم يُكلّف نفسه النّظر إلى وجه كلب الصّيد، أو أنهم لا يُطيلون النّظر إليه على الأقل. حاولت بضع نسوة أن يلبسنها فُستاتاً ويجعلنها تشتغل بالإبرة، لكنهن لسن الليدي سمولوود وكان رفضها قاطعاً، كما أن هناك تلك الفتاة التي اعتادت أن تتبعها، ابنة كبير القرية التي تُداني آريا في السنّ وإن كانت مجرد طفلة. إنها تبكي إذا خدشت رُكبتها، وأينما ذهبت تحمل معها دُميةً سخيفةً من القماش مصنوعةً نوعاً على شكل جُندي، فسَمّتها الفتاة السير جُندي وراحت تتباهى بحمايتها إياها. عشرات المرّات قالت لها آريا أن تذهب وتدعها وشأنها، لكن الفتاة لم تُدعِ قط، وفي النّهاية انتزعت منها الدُمية ومزقتها وأخرجت حشوها بإصبعها صائحةً: «الآن يبدو كجُندي حقاً!»، ثم ألقتهَا في غدير. بعدها كَفّت الفتاة عن إزعاجها، وأمضت آريا أيامها في سياسة كريفن وسترينچر أو التّجوال في الغابة. أحياناً تُعثر على عصا فتدرب على شغل الإبرة الحقيقي، قبل أن تتذكّر ما حدث في (التّوأمتين) وتظلّ تضرب بها شجرةً ما إلى أن تتحطم.

- «ربما علينا أن نبقي هنا فترة»، قال لها كلب الصّيد بعد أسبوعين. كان ثملاً من المزر لكن يبدو واجماً أكثر من ناعس. «لن نبلغ (العُش) أبداً، ولا بُدّ أن أولاد فراي ما زالوا يُلاحقون النّاجين في أراضي النّهر. يبدو أنهم في حاجةٍ إلى حمايةٍ هنا من غارات القبائل. يُمكننا أن نستريح هنا، وربما نجد وسيلةً لإيصال رسالةٍ إلى خالتك».

اربدّ وجه آريا حين سمعت كلامه هذا. إنها لا تُريد البقاء، لكن ما من مكانٍ تذهب إليه كذلك.

وفي الصّباح التّالي، عندما ذهبَ كلب الصّيد لقطع الأشجار وحمل الأخشاب، عادت إلى فراشها.

لكن حين انتهى العمل وفرغوا من بناء السّياج الخشبي الطّويل أعلنَ كبير القرية أن لا مكان لهما هناك، وقال: «بمجيء الشتاء سنستطيع إطعام ذوينا أنفُسهم بصعوبة، وأنت... رجلٌ مثلك يستجلب معه الدّماء».

زَمَّ ساندور فمه قائلاً: «تعرفون من أنا إذن».

- «أجل. صحيحٌ أن المسافرين لا يأتون هنا، لكننا نذهب إلى الأسواق والمهرجانات، ونعرف بأمر كلب الملك چوفري».

- «ربما تسعدون لوجود كلبٍ بينكم عندما يأتي رجال الغربان الحجريّة لزيارتكم».

قال الرّجل: «ربما»، وتردّد لحظةً قبل أن يستجمع شجاعته متابعًا: «لكنهم يقولون إنك فقدت قُدرك على القتال في معركة (النّهر الأسود)، ويقولون...».

قاطعه ساندور بصوتٍ كمنشارين يحتكّان معًا: «أعرف ما يقولونه. انقدوني أجري وسنرحل».

وعندما غادرا كانت مع كلب الصّيد صُرّة ملأى بالعمّلات النّحاسيّة وقربة من المِزر المرّ وسيف جديد. في الحقيقة هو سيف قديم للغاية، لكنه جديد عليه، وقد بادل صاحبه الفأس الطويلة التي أخذها من (التّوأمتين)، تلك التي ورَمَ رأس آريا بواسطتها. نفذ المِزر خلال أقلّ من يوم، لكن كليجانين شحذ السّيف كلّ ليلة وهو يلعن الرّجل الذي أخذه منه على كلّ حَزٍّ وبُقعةٍ من الصّدأ في النّصل. إذا كان قد فقدَ قُدْرته على القتال، فلمَ يهتمُّ بأن يكون سيفه حادًّا؟ لم يكن سؤالًا تجسّر آريا على إلقاءه عليه، لكنه جالّ بالها كثيرًا. ألهذا هرب من (التّوأمتين) وحملها معه؟

في أراضي النّهر وجدا الأمطار توقّفت ومياه الفيضان تنحسر. انعطف كلب الصّيد جنوبًا في اتجاه (الثالوث)، وقال لآريا وهما يشويان أرنبًا برّيًّا قتله: «سنذهب إلى (ريقررن). ربما يُريد السّمكة السّوداء أن يبتاع لنفسه ذبّة».

- «إنه لا يعرفني، بل ولن يعرف إن كنتُ ابنة بنت أخيه حقًا». لقد ضاق صدرها بمحاولات الذهاب إلى (ريقررن). يبدو لها أنها في الطّريق إليها منذ سنين دون أن تبُلغها أبدًا. كلما اتّجهت إلى (ريقررن) انتهى بها المطاف في مكانٍ أسوأ. «ولن يدفع لك فديّة، وغالبًا سيكتفي بشنقك».

قال مدورًا السَّيِّخُ: «يُمْكِنُهُ أَنْ يُحَاوَلَ».

لا يَتَكَلَّمُ كَشَخْصٍ فَقَدْ قُدِّرَتْهُ عَلَيَّ الْقِتَالُ. قَالَتْ: «أَعْرِفُ أَيْنَ يُمَكِّنُنَا الدَّهَابُ». مَا زَالَ لَدَيْهَا أَخٌ وَاحِدٌ حَيٌّ. چُونِ سِيرِيدِنِيِّ حَتَّى إِذَا لَمْ يَرُدَّنِي غَيْرَهُ، سَيِّئَانِي بـ«أَخِي الصَّغِيرَةَ» وَيَنْفَسُ شَعْرِي. لَكِنِ الطَّرِيقُ طَوِيلٌ، وَلَا تَحْسَبُ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ الْوَصُولَ بِمَفْرَدِهَا وَهِيَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى (رِيْقِرَرَن) حَتَّى. «يُمْكِنُنَا الدَّهَابُ إِلَى (الْجِدَارِ)».

أَطْلُقُ سَانْدُورَ ضَحْكَةٍ كَالزَّمَجْرَةِ قَائِلًا: «هَلْ تُرِيدُ الذَّبَّةَ الصَّغِيرَةَ الْإِنْضِمَامَ إِلَى حَرَسِ اللَّيْلِ؟».

رَدَّتْ بَعْنَادُ: «أَخِي عَلَيَّ (الْجِدَارِ)».

أَخْتَلَجَ فَمَهُ، وَقَالَ: «(الْجِدَارُ) يَبْعُدُ أَلْفَ فَرَسِيخٍ عَن هُنَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَشُقَّ طَرِيقَنَا قِتَالًا وَسَطَ أَوْلَادِ فِرَايِ الْمَلَاعِينِ لِنَبْلُغَ (الْعُنُقِ) فَحَسَبُ. فِي تِلْكَ الْمَسْتَنْقَعَاتِ أَسْوَدُ زَوَاحِفٍ<sup>(1)</sup> تَلْتَهُمُ الذَّبَابُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَيَّ الْإِفْطَارِ، وَحَتَّى إِذَا بَلَّغْنَا الشَّمَالَ سَلِيمِينَ فَهَنَّاكَ الْحَدِيدِيُّونَ فِي نِصْفِ الْقَلَاعِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى آلَافٍ مِّنْ أَوْلَادِ الْقَحْبَةِ الشَّمَالِيِّينَ».

سَأَلَتْهُ: «وَهَلْ تَخْشَاهُمْ؟ هَلْ فَقَدْتَ قُدْرَتَكَ عَلَيَّ الْقِتَالِ؟».

حَسَبَتْ لِحِظَةً أَنَّهُ سَيَضْرِبُهَا، لَكِنِ الْأَرْنَبُ كَانَ قَدْ نَضَجَ، تَشَقَّقَ جِلْدُهُ وَبِيَنَزُّ الدَّهْنُ مِنْهُ إِلَى النَّارِ مَطْقَطًا، فَرَفَعَهُ سَانْدُورٌ مِنْ عَلَيَّ السَّيِّخِ، وَبِيَدَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ مَزَّقَهُ إِلَى نِصْفَيْنِ أَلْقَى أَحَدَهُمَا فِي حِجْرِ آرِيَا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْتَزِعُ سَاقًا: «قُدْرَتِي كَمَا هِيَ لَمْ تَتَأَثَّرْ بِشَيْءٍ، لَكِنِّي لَا أَبَالِي بِمِقْدَارِ خَرْدَلَةٍ بِكَ أَوْ بِأَخِيكَ. أَنَا أَيْضًا لِي أَخٌ».

(1) الاسم الذي يُطلقه الوستروسيون على التماسيح التي تعيش في المستنقعات. (المترجم).

## تيريون

قال السير كيثان لانستر بضجر: «تيريون، إذا كنت بريئًا حقًا من موت چوفري، فلن تجد صعوبةً في إثبات براءتك في المحاكمة».

التفت عن النافذة متسائلًا: «ومن سيحكم عليّ؟».

- «العدالة شأن العرش. الملك مات، لكن أباك يظلُّ اليد، وبما أن المتهم ابنه والضحية حفيده فقد طلب من اللورد تايرل والأمير أوبرين أن يجلسا معه على منصة الحكم».

لم يُطمئن رُده تيريون. مايس تايرل كان حما چوفري ولو ساعاتٍ معدودة، والأفعوان الأحمر... تُعبان! «هل مسموحٌ لي بأن أطلب بمحاكمةٍ بالنزال؟».

- «لا أنصحك بهذا».

- «ولِمَ لا؟». المحاكمة بالنزال أنقذته من قبل في (الوادي)، فلم لا تُنقذه هنا؟ «أجبنِي يا عمّاه. هل مسموحٌ لي بمحاكمةٍ بالنزال ونصير يُثبت براءتي؟».

- «بالأكيد، إذا كانت هذه رغبتك، لكن ينبغي أن تعلم أن أختك تنوي تسمية السير جريجور كليجاين نصيرًا لها في حالة اللجوء إلى محاكمةٍ من هذا النوع».

الحقيرة تكبح خطواتي قبل أن أتخذها. مؤسف أنها لم تختَر أحد الإخوة كتبلاك. كان برون ليفتك بأيّ من الإخوة الثلاثة في غضون دقائق، لكن الجبل راكب الخيول مصنوع من خامةٍ أخرى. قال: «يجب أن أدرس الأمر». ويجب أن أتكلّم مع برون، وفي القريب العاجل. لا يُريد أن يُفكّر في ما سيكلّفه هذا، فبرون يُغالي كثيرًا في تهمين نفسه. «ألدى سرسي شهود ضدي؟».

- «المزيد يوميًا».

- «إذن يجب أن يكون لديّ شهود أيضًا».

- «أخبرني بمن تُريد وسيُرسِل السير آدم حرس المدينة للإتيان بهم إلى المحاكمة».

- «أحبُّد أن أجدهم بنفسي».

- «إنك متهم بقتل الملك الذي هو قريبك، فهل تتخيّل حقًا أننا سنسمح لك بالذهاب والمجيء على راحتك؟»، وأشار السير كيثان إلى المنضدة مردِّفًا: «عندك حبر وريشة وورق. اكتب أسماء الشهود المطلوبين وسأفعلُ كلَّ ما في وسعي للعثور عليهم، لك كلمتي كلانستر. لكنك لن تبرح هذا البُرج إلا للذهاب إلى محاكمتك».

رافضًا أن يحط من قدر نفسه ويتوسَّل، سأله تيريون: «هل مسموح لمُرافقي بالذهاب والمجيء؟ الصَّبي پودريك باين».

- «بالتأكيد، ما دُمت تُريده. سأرسله إليك».

قال تيريون: «افعل هذا، عاجلاً خيراً من آجلاً، والآن خيراً من عاجلاً»، واتَّجه متمائلاً إلى المنضدة، لكن لمَّا سمع الباب يُفتَح التفت قائلاً: «عمَّاه». توقَّف السير كيثان، وقال: «نعم؟».

- «إنني لم أفعلها».

- «ليتني أستطيع أن أصدِّق هذا يا تيريون».

حين انغلق الباب رفع تيريون لانستر نفسه إلى مقعده، حيث شحذ ريشة كتابة والتقط ورقة رقوق سائلاً نفسه: مَنْ سيُدافع عني؟ وغمس الرِّيشة في قنينة الحبر.

وكانت الورقة لا تزال بِكرًا عندما ظهر پودريك باين بعد فترةٍ قائلاً: «سيّدي».

وضع تيريون الرِّيشة، وقال: «اعثر على برون واثت به في الحال. قُل له إن في المسألة ذهبًا، ذهبًا أكثر من الذي حلم به في حياته كلها، ولا تُعد إلا وهو معك».

قال الصَّبي: «نعم يا سيّدي. أقصدُ لا، لن أعود»، وذهبَ.

وبحلول الغروب لم يكن الصَّبي قد عادَ، ولا عندما ارتفع القمر في السَّماء. غاب تيريون في النَّوم في مقعده المجاور للنَّافذة واستيقظ في الفجر شاعرًا

بالألم في جسده المتبّس. جلبَ له خادم فطورًا من الثريد والثَّفاح مع قرنٍ من المِزر، وأكلَ على المنضدة والورقة الخالية أمامه، وبعد ساعة رجع الخادم ليستعيد الوعاء، فسأله تيريون: «هل رأيت مُرافقي؟»، وهزَّ الرَّجل رأسه نفيًا. عادَ يلتفت إلى المنضدة زافرًا وغمسَ الرِّيشة في الدَّواة مجددًا، ثم كتبَ على الرِّق: سانزا، وطفقَ يُحدِّق إلى الاسم وأسنانه منطبقة على بعضها بعضًا بقوةٍ أوجعتها.

بافتراض أن چوفري -ببساطة- لم يختنق حتى الموت بقطعةٍ من الطعام، وهو ما لا يستسيغه تيريون نفسه، فلا بُدَّ أن سانزا سمّمته. چوف وضع كأسه في حجرها تقريبًا، ثم إنه أعطها دوافع عدَّة لقتله. أيُّ شكوكٍ كانت تُراود تيريون اختفت مع اختفاء زوجته. التوى فمه وهو يقول لنفسه: جسد واحد، قلب واحد، روح واحدة. لم تُبدد وقتًا في إثبات قيمة تلك النذور، أليس كذلك؟ وماذا كنت تتوقَّع أيها القزم؟

ومع ذلك... أتى لسانزا بالسُّم؟ إنه لا يُصدِّق أن الفتاة تصرّفت وحدها في أمر كهذا. هل أريدُ أن أعثر عليها حقًا؟ هل سيُصدِّق القضاة أن زوجة تيريون الطفلة سمّمت ملكًا دون معرفة زوجها؟ لم أكن لأصدِّق عن نفسي. سرسي ستصرُّ على أنهما ارتكبا الجريمة معًا.

وعلى الرغم من هذا أعطى عمّه الرِّق في اليوم التَّالي، فرمق السير كيثان الورقة مقطبيًا وجهه، وقال: «الليدي سانزا شاهدتك الوحيدة؟». - «سأفكر في غيرها مع الوقت».

- «خيرٌ لك أن تُفكر فيهم الآن. القضاة ينتون عقد المحاكمة بعد ثلاثة أيام».

- «قريبًا جدًّا. إنني حبيس تحت الحراسة هنا، فكيف أجدُ شهودًا على براءتي؟».

قال السير كيثان: «أختك لم تجد صعوبةً في إيجاد شهودٍ لإدانتك»، وطوى الرِّق مضيغًا: «رجال السير أدام يبحثون عن زوجتك، وفارس عرضَ مئة أيل لقاء أيِّ خبرٍ عن مكانها ومئة تئين لقاء الفتاة نفسها. إذا كان العثور عليها ممكنًا فسيعثرون عليها وأتي بها إليك. لستُ أرى ضررًا في اشتراك زوج وزوجته في الزنزانة نفسها وتبادل المواسة».

- «لطف بالغ منك أن تقول هذا. هل رأيت مُرافقي؟».
- «أرسلته إليك البارحة. ألم يأت؟».
- «أتي ثم ذهب».
- «سأرسله إليك ثانية».

لكن بودريك باين لم يرجع قبل الصّباح التّالي. خطا إلى العُرفة متردّدا والخوف مرسوم على قسماته، ودخل برون وراءه. كان الفارس المرتزق يرتدي سترّة طويلةً مرصّعةً بالفضة ومعطف ركوبٍ ثقيلاً، وقد دسَّ قفازينٍ جلديّين أنيقين في حزام سيفه.

نظرة واحدة إلى وجه برون أفعمت تيريون بالقلق وقلبت معدته، غير أنه قال: «استغرقت وقتاً طويلاً».

- «الصّبي توّسل إليّ، وإلاّ لما جئتُ على الإطلاق. إنهم ينتظرونني على العشاء في (قلعة ستوكورث)».

وثب تيريون من الفراش قائلاً: «(ستوكورث)؟ وما لك في (ستوكورث)؟».

أجاب برون مبتسماً كذبٍ يتأمّل حملاً تائهاً: «عروس. سأعقد قراني على لوليس بعد غد».

- «لوليس». رائع، حقاً رائع. تحضّل ابنه الليدي تاندا البلهاء على زوج فارس، وبشكل ما على أب للتغل الذي في بطنها أيضاً، ويتسلق السير برون بطل معركة (التّهر الأسود) درجةً أخرى. المسألة كلها تضوع برائحة أصابع سرسي الكريهة. «أختي الحقيرة باعتك حصاناً عاجزاً. الفتاة غبيّة».

- «لو أردتُ الذّكاء لتزوّجتك أنت».

- «لوليس تحمل طفل رجل آخر».

- «ولمّا يخرُج منها سأضعُ طفلي في بطنها مكانه».

- «إنها ليست وريثة (ستوكورث)، بل لها أخت أكبر، فاليس، أخت متزوّجة».

- «متزوّجة منذ عشر سنوات ولا تزال عاقراً. السيّد زوجها يجتنب فراشها، ويُقال إنه يُفضّل العذراوات».

- «حتى إذا كان يُفْضَلُ الماعز فلا فرق. أراضني العائلة ستنتقل إلى زوجته عندما تموت الليدي تاندا».

- «ما لم تُمِتْ فاليس قبل أمّها».

تساءلَ تيريون إن كانت لدى سرسي أدنى فكرة عن حقيقة الثَّعبان الذي أعطته لليدي تاندا لترعاه. وإذا كانت تعرف، فهل بُبالي؟ «ماذا تفعل هنا إذن؟». هزَّ برون كتفيه مجيبًا: «قلت لي ذات مرّة إنك ستُضاعِفُ الثَّمَنَ إذا طلبَ مني أحد أن أبيعك».

نعم. «وهل تُريد زوجتين أم قلعيتين؟».

- «لا بأس بواحدة وواحدة، لكن إذا أردتني أن أقتل جريجور كليجانين من أجلك، فلا بُدَّ أن تكون قلعةً كبيرةً حقًّا».

(الممالك السَّبع) ملأى بكريمات المحتد، لكن حتى أكثر العوانس عجزًا وفقرًا وقُبْحًا في البلاد ستمتنع عن الزَّواج بِحُثَالَةٍ وضيع المولد كبرون. إلا إذا كانت ضعيفة البدن والعقل، وتحمل في بطنها جنينًا بلا أب بعد أن اغْتَضِبَتْ عشرات المرّات. كانت الليدي تاندا ملهوفةً على إيجاد زَوْجٍ للوليس لدرجة أنها لاحقتَ تيريون فترةً، وكان هذا قبل أن يستمتع بها نصفَ رجال (كينجز لاندنج). لا شك أن سرسي حلَّت العرض في عينها بوسيلةٍ ما، كما أن برون فارس الآن، وهو ما يجعله زوجًا مناسبًا لابنةٍ صُغرى من عائلةٍ صغيرة.

قال تيريون: «الحقيقة أنني أفتقرُ بشدَّةٍ إلى القلاع والفتيات شريفات النَّسب في الوقت الرَّاهن، لكن يُمكنني أن أعرض عليك الذهب والامتنان مثلما فعلتُ من قبل».

- «لديّ ذهب، فماذا يُمكنني أن أشتري بالامتنان؟».

- «قد تجد ما يُدهشك. اللانستر يُسدِّد ديونه».

- «أختك أيضًا لانستر».

- «السيدة زوجتي وريثة (وينترفل)، وإذا خرجتُ من هذا المأزق ورأسي لا يزال على كتفي، فقد أحكمُ الشَّمال باسمها ذات يوم، ويُمكنني أن أقطع لك شريحةً كبيرةً منه».

- «إذا ومتى وربما، كما أن الأجواء باردة للغاية هناك. لوليس ناعمة ودافئة وقريبة، وبإمكانني أن ألجها بعد ليلتين من الآن».



- «لا أجدها فكرةً تفتح الشَّهِيَّةَ».

قال برون: «حقًا؟»، وبابتسامة عريضة أضاف: «اعترف أيها العفريت، إذا كان خيارك بين مضاجعة لوليس وقاتل الجبل، فستنزِل سراويلك وتُخرج قضيبك قبل أن يرتدَّ إليك طرفك».

فكَّر تيريون: إنه يعرفني جيدًا جدًا. هكذا حاول تجربة مسلكٍ مختلف قائلًا: «سمعتُ أن السير جريجور جُرح عند (الفرع الأحمر)، وجُرح ثانيةً في (وادي الغسق)، ولا شك أن إصاباته ستبطل حركته».

لأح الضيق على برون وهو يقول: «إنه لم يكن سريعًا قط، فقط مفرط الحجم والقوَّة، مع أنني اعترفُ بأنه أسرع مما تتوَّع من رجل بحجمه، كما أن متناول يده طويل لدرجةٍ مرعبة، ولا يبدو أنه يشعُر بالضربات كأني رجل عادي».

سأله تيريون أملاً أن يستفزّه: «أيخيفك لهذه الدرجة؟».

قال برون: «إذا لم يُخفني فأنا أحمق كبير»، وهزَّ كتفيه مواصلاً: «ربما يُمكنني أن أهزمه، أرقصُ حوله حتى يتعب من تسديد الضربات إليّ ولا يعود قادراً على رفع سيفه، ثم أسقطه بوسيلةٍ ما. عندما يسقطون على ظهورهم يخرج طولهم أياً كان من المعادلة. لكن المسألة محفوفة بالخطر رغم ذلك، خطوة واحدة خاطئة وأموت، فلم أجازفُ؟ إنني أحبُّك حقاً مع أنك ابن عاهرة قبيح... لكن إذا خضتُ معرفتك من أجلك فأنا الخاسر في الحالتين. إمّا أن يبقُر الجبل بطني ويُرِيق أحشائي وإمّا أن أقتله وأخسر (ستوكورث). إنني أبيعُ سيفي ولا أمنحه مجاناً، ولستُ أخاك اللعين».

قال تيريون بحُزن: «نعم، لست هو»، ولوّح بيده مضيئاً: «اذهب إذن، اركضُ إلى (ستوكورث) والليدي لوليس. عسى أن تجد في زواجك سعادةً أكثر مما وجدتُ في زواجي».

تردَّد برون عند الباب متسائلاً: «ماذا ستفعل أيها العفريت؟».

- «سأقتل جريجور بنفسِي. ألن يكون منظرًا يصلح لأغنيّةٍ بهيجة؟».

قال برون: «أملُ أن أسمعهم يُغنونها»، وابتسم له مرّةً أخيرةً، ثم خرج من الباب، ومن القلعة، ومن حياته.

حرَّكُ بود قدميه قائلاً: «أنا أسف».

- «لماذا؟ أهي غلظتك أن برون متشرّد وقح أسود القلب؟ لطالما كان متشرّدًا وقحًا أسود القلب، وهذا ما راقني فيه».

صَبَّ تيريون لنفسه كوبًا من النّبيذ وأخذه إلى مقعد النّافذة. في الخارج كان النّهار غائمًا مطيرًا، لكن المشهد ظلّ أكثر مدعاةً للبهجة مما ينتظره. ربما يُمكنه أن يُرسِل بودريك باين يسعى إلى شاجا، لكن أعماق (غابة الملوك) زاخرة بالمخابئ التي تُتيح للخارجين عن القانون التّملص من الاعتقال عقودًا كاملة. وپود يجد عسرًا في العثور على المطابخ نفسها أحيانًا عندما أرسله لإحضار قطعة من الجبنة. ولا بُدّ أن تيميت بن تيميت قد عادَ إلى (جبال القمر) بالفعل، وعلى الرغم مما قاله لبرون فمواجهته السير جريجور كليجاين بنفسه ستكون مهزلةً أكبر من النّزال بين قزميّ چوفري، وهو لا ينوي أن يموت وأمواج الصّحك تتلاطم في أذنيه. لاجدوي من المحاكمّة بالنّزال إذن.

زاره السير كيثنان لاحقًا يومها، ومرّةً أخرى في اليوم التّالي، وأخبره عمّه برفق بأنهم لم يَعثروا على سانزا أو السير دونتوس المهرج الذي اختفى في الليلة نفسها، وسأله إن كان هناك شهود آخرون يرغب في استدعائهم، فأجابته بالتّفي. كيف أثبتُ أنني لم أَسْمُ النّبيذ بحقّ الجحيم وقد رأني ألف شخصٍ أملاً كأس چوفري؟

لازمه الأرق طيلة اللّيل.

وبدلاً من النّوم تمدّد في الظّلام يُحْمَلِق إلى مظلة الفِراش ويعدُّ أشباحه. رأى تايشا تبتسم وهي تُقبّله، ورأى سانزا عاريةً ترتجف من الخوف، ورأى چوفري يخمش حلّقه والدمّ يجري على عنقه إذ اسودّ وجهه، ورأى عينيّ سرسي وابتسامة برون الذّبيّة وبسمة شاي الخبيثة. حتى التّفكير في شاي لم يُثّرهُ، وداعب نفسه مفكّرًا أنه إذا أيقظ قضيبه وأشبعه فلربما يجد الرّاحة أسهل بعدها، لكن بلا فائدة.

ثم طلع الفجر، وآن أو ان محاكمته.

لم يكن السير كيثنان من جاءه هذا الصّباح، بل السير أدام ماربراند مع دستةٍ من ذوي المعاطف الذّهبيّة، وكان تيريون قد ارتدى أفضل ثيابه وتناول إفطارًا من البيض المسلوق واللحم المقدّد المحروق والخُبز المحمّر، ولمّا رأى

السير أدام قال: «حسبتُ أن أبي سيرسل الحرس الملكي لاصطحابي إلى المحاكمة، فما زلتُ فردًا من العائلة الملكية، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيدي، لكن أخشى أن معظم رجال الحرس الملكي شهود ضدك، وقد ارتأى اللورد تايوين أن من غير اللائق أن يخدموا كحرسك».

- «حاشا للآلهة أن نعمل شيئًا غير لائق. تفضّل، فُد الطريق».

ستُعقد المحاكمة في قاعة العرش حيث مات جوفري، وإذ قادَه السير أدام بين مصراعِي الباب البرونز العملاقين وعلى البساط الطويل أحسن تيريون بالنظرات المنصبّة عليه. مئات تراحموا ليشهدوا محاكمته، أو أنه يأمل أن هذا سبب مجيئهم على الأقل. ربما يكونون شهودًا ضدي جميعًا. لمح الملكة مارجري واقفة في الشرفة، تبدو شاحبة جميلة في حدادها. تزوّجت مرتين وفي المرتين ترمّلت، ولا تزال في السادسة عشرة لا أكثر. إلى جانبها وقفت أمّها بقامتها الطويلة، وإلى الجانب الآخر جدّتها الضئيلة الذابلة، فيما امتلأت بقيّة الشرفة برفيقاتها وفرسان أهل بيت أبيها.

كانت المنصبّة لا تزال منصوبةً عند قدم العرش الحديدي الخالي، وإن رُفعت الموائد كلها باستثناء واحدة جلس وراءها اللورد مايس تايرل بجسده الممتلى في معطفٍ ذهبي فوق سترّة خضراء، والأمير أوبرين مارتل بقوامه الممشوق في ثوب فضفاض مخطط بالبرتقالي والأصفر والقرمزي، وبينهما اللورد تايوين لانستر. ربما لم يزل هناك أمل لي. الدورتيون والهايجاردنيون ييغضون بعضهم بعضًا. وإذا وجدتُ وسيلة لاستغلال هذا...

بدأ السّبتون الأعلى بصلاةٍ سائلاً (الأب في الأعالي) أن يهديهم إلى العدالة، وحين فرغ مال الأب في الأسفل إلى الأمام ليقول: «تيريون، هل قتلت الملك جوفري؟».

لم يُضَيّع لحظةً واحدةً. «لا».

سأله اللورد تايرل: «هل فعلتها سانزا ستارك إذن؟».

لو كنتُ مكانها لفعلتها. لكن أينما كانت سانزا وأيًا كان دورها في هذا، فإنها تظل زوجته التي طوّق كتفيها بمعطف حمايته، وإن وقف على ظهر مهرّج كي يفعل هذا. «الآلهة قتلت جوفري. لقد اختنق بقطعة من كعكة الحمام».

احتقنَ وجه اللورد تايرل وهو يسأله: «هل تلوم الخبازين إذن؟». ردَّ تيريون: «هم أو الحماثم. أخرجوني من الأمر فحسب»، ولمَّا سمعَ الضَّحكات العصبية أدركَ أنه أخطأ، وقال لنفسه: صُن لسانك أيها الأبله قبل أن يحفرُ لك قبرك.

قال اللورد تايرين: «هناك شهود ضدك. سنسمعهم أولاً، ثم يُمكنك تقديم شهودك. ليس مسموحاً لك بالكلام إلا بإذنا».

ولم يكن بيد تيريون إلا أن يؤمى برأسه راضحاً. كان السير أدام على حق، فأول رجل أدخلوه هو السير بالون سوان فارس الحرس الملكي، وقد قال عقب أن حلَّقه السِّبتون أن يقول الحقيقة ولا شيء غيرها: «حضرة اليد، لقد تشرَّفتُ بالقتال إلى جانب ابنك على جسر الشفن. إنه شجاع على الرغم من حجمه، ولا أصدِّقُ أنه ارتكبَ هذه الجريمة».

ارتفعَ لغط في القاعة، وتساءلَ تيريون عن اللعبة المجنونة التي تلعبها سرسي. لماذا تُقدِّمُ شاهداً يُصدِّقُ أنني بريء؟

سرعان ما عرفَ الإجابة. روى السير بالون على مضض كيف سحبَ تيريون بعيداً عن چوفري يوم الشَّعب، وقال: «لقد لطمَ الملكُ، هذا صحيح، لكنها كانت نوبة غضبٍ لا أكثر، عاصفة صيف. يومها كادَ الغوغاءُ يقتلوننا جميعاً».

علتُ الأفعوان الدورني الأحمر: «في زمان آل تارجارين كان من يضرب أحداً من أصحاب الدَّم الملكي يفقد اليد التي ضربه بها، فهل نبتت يد القزم ثانيةً أم أنكم نسيتم واجبكم أيها السُّيوف البيضاء؟».

أجابَ السير بالون: «إنه من الدَّم الملكي عن نفسه، وكان يد الملك».

قال اللورد تايرين: «لا، بل كان قائماً بأعمال اليد بدلاً مني».

أسعدَ السير مرين ترانت حين اتَّخذ مكانه كشاهد أن يُضيف مزيداً من التفاصيل إلى رواية السير بالون، وقال: «طرحَ الملكُ أرضاً وراحَ يركُله، وصاحَ إن من الظلم أن جلالته فرَّ من الرِّعاع دون أن يمسه أذى».

بدأ تيريون يتبين مخططَ أخته. بدأت برجل معروف بصدقه واستنزفت منه كلَّ ما لديه. كل شاهدٍ يتبعه سيحكي حكايةً أسوأ إلى أن أبدو أتماً كميحور المتوحش وإيرس المجنون معاً، مع رشَّة من إجون غير الجدير على سبيل التوابل.

وأصل السير مريـن حاكياً كيف أوقفَ تـريون تأديبـن چوفري سانزا ستارك، فقال: «سألَ القزم جلالته إن كان يعلم ما حدثَ لإيرس تارجارين، ولمَّا تكلمَ السير بوروس مدافعاً عن الملك هدَّده العفريت بالقتل».

بعده جاءَ بوروس بنفسه ليؤكِّد تلك الحكاية المؤسفة، ومهما كان ما يُضمره بلاونت لسرسي من بغضاء لتسريحه من الحرس الملكي، فقد قال ما أرادته بالضبط رغم ذلك.

ولم يعدَ تـريون قادراً على الاحتفاظ بلسانه في فمه، ورفعَ صوته قائلاً: «لِمَ لا تُخبرَ القضاة بما كان چوفري يفعله؟».

حدَّقَ إليه الرّجل الكبير ذو اللغد، وردَّ: «لقد قلتَ لرجالك الهمجيين أن يقتلوني إذا فتحتُ فمي، هذا ما سأخبرهم به».

قال اللورد تايوين: «تريون، ستتكلّم عندما نطلبُ منك الكلام فقط. اعتبر هذا تحذيراً».

وأذعنَ تـريون وهو يغلي غيظاً.

تلا بلاونت الإخوة كتلبلاك الثلاثة واحداً تلو الآخر، وروى أوزني وأوزفريد عن عشائه مع سرسي عشية معركة (النهر الأسود) وتهديده إياها، فقال السير أوزفريد: «قال لجلالته إنه سيؤذيها، إنه سيجرحها»، وفسَّر أخوه أوزني: «قال إنه سينتظر يوماً تكون فيه سعيدةً ويُحيل فرحتها إلى رمادٍ في فمها»، ولم يذكُر أيهما ألياًيا.

ثم تقدّم السير أوزموند كتلبلاك بادياً كآية في الفروسية وقد ارتدى درعه النَّاصعة ومعطفه الصُّوف الأبيض، وأقسمَ أن الملك چوفري كان يعرف منذ فترةٍ طويلة أن خاله ينوي أن يغتاله، وقال للقضاة: «كان هذا يوم أعطوني المعطف الأبيض أيها السادة. قال لي الصّبي الشجاع: أيها السير أوزموند الكريم، احمني جيّداً، فخالي لا يكتُنُّ لي حُبًّا ويُرِيدُ أن يكون ملكاً بدلاً مني». كان كلامه أكثر مما يستطيع تـريون أن يبتلع، فصاح: «كاذب!»، وأخذَ خُطوتين إلى الأمام قبل أن يجرّه ذوو المعاطف الذهبيّة إلى الوراء مجدّداً.

حدّجه اللورد تايوين بنظرةٍ عابسة قائلاً: «أينبغي أن نُقيّد يديك وقدميك بالأغلال كاللصوص؟».

صرَّ تـريون بأسنانه مفكراً: خطأ ثانٍ. أحمق، أحمق، قزم أحمق، حافظ

على هدوئك وإلا هلكت. أجاب: «لا. معذرةً أيها السّادة، لكن أكاذيبه أغضبيني».

قالت سرسي: «تعني حقائقه. أبي، أتوسّلُ إليك أن تُكَبِّله بالسّلاسل حمايةً لكم. إنك ترى كيف يتصرّف».

ردّ الأمير أوبرين: «أرى أنه مجرد قزم، ويوم أخشى غضبة قزمٍ سأغرِق نفسي في برميل من النّبيد الأحمر».

قال اللورد تايوين: «لسنا في حاجةٍ إلى أغلال»، وألقى نظرةً على النّوافذ ثم قام مستطرّداً: «تأخّر الوقت. سنستأنف غداً».

ليلتها، وهو وحيد في زنزانته مع رقّ خال وكوب من النّبيد، وجد نفسه يُفكّر في زوجته... ليس سانزا، بل زوجته الأولى تايشا. العاهرة لا الذّبتة.

حُبّها له كان ادّعاءً لكنه صدّقها ووجد مسرّةً في تصديقه. أعطوني الأكاذيب الحلوة واحتفظوا بـحقائقكم المرّة. شرب نبيده وفكّر في شي، ولاحقاً عندما

زاره السير كيثان ككلّ ليلةٍ طلب أن يأتيه بفارس.

- «هل تعتقد أن الخصي سيترككم دفاعاً عنك؟».

- «لن أعرف حتى أتكلّم معه. أرسله إليّ يا عمّي إذا تفضّلت».

- «كما تشاء».

افتتح المايستران بالابار وفرنكن اليوم الثّاني من المحاكمّة، مؤكّدين أنّهما فتحا جثة الملك چوفري المبعّلة ولم يجدا أيّ قطع من كعكة الحمام

أو غيرها من الطّعام تسدّ الحلق الملكي، وقال بالابار: «السّم هو ما أودى بحياته أيها السّادة»، وهزّ فرنكن رأسه مؤمّناً بوقار.

ثم إنهم أدخلوا المايستر الأكبر پايسل المتكئ بشدّة على عكاز ملته ويرتجف وهو يمشي، ومن عنقه الطويل الأشبه بعنق الدّجاجة تبتّ بضع

شعيرات بيضاء. كان الرّجل قد صار أوهى من أن يقف، فسمّح القضاة بأن يجلبوا له مقعداً يجلس عليه، ومنضدةً أيضاً.

على المنضدة رُصّت مجموعة من القوارير الصّغيرة، وقد سرّ پايسل بإعلامهم بمحتوى كل منها، وقال بصوت مرتعش: «هذا فطر الغاريقون

الرّمادي، وهذا عنب الثّعلب، وهذا حلّو الكرى، وهذا رقصة الشّيطان، وهذا العين العمياء، وهذا يُسمّى دم الأرملة بسبب لونه. عقّار شنيع، يسدّ مائة المرء

وشرَّجه إلى أن يغرق في سموم جسده. وهذا آفة الذُّئب، وزُعاف البازيليسق، ودموع ليس. نعم، أعرَفها جميعًا. العِفرِيت تيريون لانستر سرَقها من مسكني حين سجنني بلا جريرة».

ناداه تيريون مخاطبًا بإثارة غضب أبيه: «پايسل، هل يُمكن لأيِّ من هذه السُّموم أن يكتُم أنفاس المرء حتى الموت؟».

- «لا. لغرض كهذا عليك أن تستعين بسُمَّ أندر. في صباي في (القلعة) أطلق عليه أساتذتي اسمًا بسيطًا هو الخنَّاق».

- «لكن أحدًا لم يَعثر على هذا السُّمِّ النَّادر، أليس كذلك؟».

حدَّق إليه پايسل مجيبًا: «نعم يا سيِّدي، لأنك استخدمته كلَّه لقتل أنبل صبيٍّ وضعته الآلهة على هذه الأرض».

قال تيريون وقد غلبت غضبته عقله: «چوفري كان متوحِّشًا وغبيًّا، لكنني لم أقتله. اضربوا رأسي إذا أردتم، لكن لا دخل لي بموت ابن أختي».

صاح اللورد تايوين: «صممتُ! لقد أنذرتك ثلاث مرَّات. المرَّة القادمة ستُكِّم وتُقَيِّد».

بعد پايسل تعاقب الشُّهود بلا نهايةٍ على نحوٍ يُثير الضَّجر، لوردات وليديهات وفُرسان نُبلَاء، كريمو المحتد ووضيعوه، كلُّهم كانوا حاضرين في مأدبة الرِّفَاف، وكلُّهم رأوا چوفري يختنق ووجهه يسودُّ كبرقوقةٍ دورنيَّة. اللورد ردواين واللورد سلتيجار والسير فليمنت براكس سمعوا تيريون يُهدِّد الملك، ورآه خادمان وحاوٍ واللورد جايلز والسير هوبر ردواين والسير فيليپ فوت يملأ كأس الرِّفَاف، والليدي ميريويذر أفسمت أنها لمحت القزم يُسقط شيئًا في نبذ الملك، بينما انشغل چوف ومارچري بتقطيع الكعكة، وحكى اللورد إستمونت وپكلدون الشَّاب والمعني جاليون ابن (كاي) والمُرافقان موروس وچوثوس سلينت كيف التقط تيريون الكأس وچوف يُحتضِر وسكب ما تبقى من النِّبذ المسموم على الأرض.

متى صنعتُ كلَّ هؤلاء الأعداء؟ الليدي ميريويذر غريبة تمامًا، وتساءل تيريون أن كانت عمياء أم مرتشبة. على الأقل لم يُدل جاليون بشهادته غناءً، وإلا لاحتوت على سبعةٍ وسبعين بيتًا لعينا.

حين زاره عمُّه ليلتها بعد العشاء كَلَّمه بأسلوبٍ باردٍ مقتضب. هو أيضًا يظنُّ أنني فعلتها. سأله السير كيثان: «ألديك شهود لنا؟».

- «لا، ما لم تكونوا قد عثرتم على زوجتي».

هَزَّ عمُّه رأسه نفيًا مجيبًا: «يبدو أن المحاكمة تمضي في غير صالحك على الإطلاق».

قال تيريون: «أوه، أهذا رأيك؟ لم ألاحظ»، وداعبَ نَدْبته مضيئًا: «فارس لم يأت».

- «ولن يأتي. غدًا سيشهد ضدك».

مرحى! اعتدل في مقعده قائلاً: «مفهوم. لديَّ سؤال. لطالما كنت رجلًا عادلًا يا عمَّاه، فما الذي أفتنك؟».

قال السير كيثان بلا موازبة: «لماذا سرقت سموم پايسل إن لم يكن لاستخدامها؟ والليدي ميريويدز...».

- «... لم ترَ شيئًا! لم يكن هناك ما يُرى! لكن كيف أثبت ذلك؟ كيف أثبتُ أيَّ شيءٍ وأنا حبيس هنا؟».

- «ربما أن الأوان لأن تعترف».

على الرغم من جُدران (القلعة الحمراء) السميكة سمعَ تيريون صوت المطر الثَّابت في الخارج وهو يقول: «هَلَّا كَرَّرت ما قلته يا عمَّاه؟ أكاذُ أقسمُ أنني سمعتك تحثني على الاعتراف».

- «إذا أقررت بذنبك أمام العرش وأبديت ندمك على جريمتك فلن يُنقذ أبوك حُكم الإعدام. سيُسمح لك بارتداء الأسود».

ضحك تيريون في وجهه قائلاً: «الشُّروط نفسها التي عرضتها سرسي على إدارد ستارك، وكلنا نعلم نهاية تلك الحكاية».

- «لم يكن لأبيك دور في هذا».

هذا القدر على الأقل حقيقي، لكن تيريون رَدَّ: «(القلعة السوداء) تعجُّ بالقتلة واللصوص والمغتصبين، لكني لا أذكرُ أنني التقيت الكثير من قاتلي الملوك وأنا هناك. هل تتوقَّع مني أن أصدق أنه إذا اعترفت بكوني قاتل ملكٍ وقاتل أقربين، فسيفتني أبي بالإيحاء برأسه ويعفو عني ويُرسِلني إلى (الجدار) بالقليل من الثياب الداخليَّة الصُّوف؟». قالها وأطلقَ ضحكةً صاخبةً وفتحَةً.



أجابَه السير كيْثان بصرامة: «لم يَقُلْ أحدٌ شيئاً عن العفو. الاعتراف سيحسم المسألة، ولهذا السَّبب أرسلني أبوك إليك بهذا العرض». - «بلغه سُكري الحار يا عمَّاه، لكن أخبره بأنني لستُ في مزاج اعتراف في الوقت الحالي».

- «لو كنتُ مكانك لغيَّرتُ مزاجي. أختك تُريد رأسك، واللورد تايرل على الأقل ميَّال إلى منحها إياه».

- «إذن فقد أدانني أحدُ قضايتي بالفعل دون أن يسمع كلمةً دفاعاً عني؟». ليس هذا أكثر مما توفِّع. «أما زال مسموحاً لي بالكلام وتقديم الشُّهود؟».

قال عمُّه: «ليس لديك شهود! تيريون، إذا كنت مذنباً في هذه الجريمة المنكرة، فد(الجدار) مصير أرفق مما تستحقُّ، وإذا كان لا تثريب عليك... أعلمُ أن هناك قتالاً في الشَّمال، وعلى الرغم من هذا ستكون أكثرُ أمناً هناك من (كينجز لاندنج) أيَّاً كانت نتيجة المحاكمة. النَّاس مقتنعون بذنبك، وإذا استحتمت وخرجت إلى الشَّوارع سيَمزِّقوك إرباباً».

- «أرى كم تُقلِّقك فكرة كهذه».

- «أنت ابن أخي».

- «ربما عليك أن تُدكِّره بهذا!».

- «أتحسب أنه كان يسمح لك بارتداء الأسود لو لم تكن من دمه ودم چوانا؟ أعرِفُ أن تاويون يبدو لك رجلاً قاسياً، لكنه ليس أقسى مما عليه أن يكون. أبونا كان رفيقاً وديعاً، لكن ضعيفاً لدرجة أن حملة رايتنا اعتادوا التَّهكُّم عليه وهم ثملون، بل وتجاسرَ البعض على تحدِّيهِ علانيةً. هناك لوردات اقترضوا منا الذهب ولم يُزعجوا أنفسهم بتسديد ديونهم، وفي البلاط كانوا يسخرون من الأسود التي بلا أنياب، وحتى عشيقته سرقت منه، امرأة لا تكاد تعلقو درجةً واحدةً على العاهرة وانتقت كما تشاء من حُلِّي أمِّي! هكذا وقعَ على عاتق تاويون أن يُعيد عائلة لانستر إلى عزَّتِها، تماماً كما وقعَ على عاتقه أن يتولَّى زمام هذه البلاد وهو لم يتعدَّ العشرين من العمر. لقد حملَ هذا العبء الثقيلَ عشرين عاماً كاملةً، ولم يجن شيئاً إلا حسد ملك مجنون. بدلاً من التَّكريم الذي استأهله عانى إهاناتٍ لا تُحصى، لكنه أعطى (الممالك السَّبع) السَّلام والازدهار والعدالة. إنه رجل عادل، ومن الحكمة أن تثق به».

حدَّق تيريون إليه مبهورًا. لطالما كان السير كيثان رجلاً ضلِّبًا عمليًّا متبدِّل الحِس، ولم يسمعه يتكلَّم بهذه الحرارة من قبل قط. قال له: «إنك تحبُّه».

- «إنه أخي».

- «س... سأفكِّر في ما قلته».

- «فكِّر جيِّدًا إذن، وسريعًا».

ولم يفكِّر تيريون في شيءٍ آخر تقريبًا ليلتها، ولكن بحلول الصِّباح لم يكن قد دنا خطوةً واحدةً من البتِّ في قدرته على الثِّقة بأبيه. جلب له خادم إفطارًا من الثَّريد والعسل، فلم يستطع أن يتذوَّق إلا ما تولَّده فكرة الاعتراف من مرارة. سينتوِّني بقاتل الأقربين ما حييت، وطيلة ألف عام أو أكثر - إذا تذكَّرني أحد أصلًا - سأبقى القزم الوحش الذي سمَّ ابن أخته الصَّغير في حفل زفافه. هيِّج الخاطر فيه غضبًا أعمى جعله يطوِّح بالوعاء والملعقة عبر العُرْفَة ويُلطِّخ الحائط بالثَّريد، الذي رمقه السير أدام ماربراند بفضولٍ عندما أتى يصطحبه إلى المحاكمَّة، لكنه أحجم بأدب عن التعلُّيق.

أعلن الحاجب: «اللورد فارس، وليُّ الهامسين».

مكسوفًا بالمساحيق والزَّينة بينما تفوح منها رائحة ماء الورد، ظلَّ العنكبوت يفرك يديه معًا طيلة الوقت وهو يتكلَّم. يغسلهما من حياتي، فكَّر تيريون منصتًّا لحكاية الخصيِّ الأسيانة عن تأمر العفريت على إبعاد چوفري عن حماية كلب الصَّيد، وكيف تكلم مع برون عن فوائد جعل تومن ملكًا. أنصاف الحقائق قيمتها أعلى من الأكاذيب الخالصة. وعلى عكس الآخرين كانت مع فارس وثائق، أوراق مليئة باجتهادٍ بالملاحظات والتفصيل والتواريخ والحوارات الكاملة، مواد كثيرة للغاية استغرق سردها النَّهار بطوله، وكثير منها يُدينه. أكَّد فارس زيارة تيريون في منتصف الليل إلى مسكن المايستر الأكبر پايسل وسرقته سموه وعقايره، وأكَّد تهديده سرسي ليلة تناولا العشاء معًا، أكَّد كل شيءٍ لعين باستثناء التسميم نفسه.

حين سأله الأمير أوبرين عن كيفيَّة معرفته بكلِّ هذا وقد كان غائبًا عن جميع تلك الأحداث، قهقه الخصيُّ وقال: «طيوري الصَّغيرة أخبرتني المعرفة غايتها وعايتي».

كيف أستجوبُ طائرًا صغيرًا؟ كان حريًّا بي أن أضرب رأس الخصيِّ في

يومي الأول في (كينجز لاندنج). سَحَقًا له، وسُحَقًا لي لما وضعته فيه من ثقة.

سأل اللورد تايوين ابنته فيما غادرَ فارس القاعة: «هل سمعنا الجميع؟». أجابت سرسي: «تقريبًا. أطلبُ منك الإذن في تقديم شاهدٍ أخيرٍ أمامكم غدًا».

قال أبوها: «كما ترغيبين».

فكَّر تيريون بشراسة: أوه، عظيم. بعد هذه المهزلة سيكون الإعدام عتقًا. ليلتها، وهو جالس إلى النَّافذة يشرب، سمعَ أصواتًا خارج الباب، فقال لنفسه على الفور: السير كيفان، جاءَ يَطلبُ إجابتي، لكن من دخلَ لم يكن عمّه.

نهضَ تيريون لينحني بسخريةٍ للأمير أوبرين، وقال: «هل مسموح للفضاة بزيارة المتَّهمين؟».

أجابَه الأفعوان الأحمر: «مسموح للأمرء بالذهاب حيثما يعنُّ لهم، أو أن هذا ما قلته للحُرَّاس»، وجلس.

- «سيستاء أبي منك».

- «سعادة تايوين لانستر لم تكن على قَمَّة أولويَّاتي قطُّ. أهذا نبذ دورني الذي تشربه؟».

- «من (الكرمة)».

أبدى أوبرين امتعاضه قائلاً: «ماء أحمر. هل سمَّته؟».

- «لا. هل سمَّته أنت؟».

قال الأمير مبتسمًا: «أكلُّ الأقرام ألسنة كلسانك؟ ذات يومٍ سيقطعه أحدهم».

- «لست أول من يقول لي هذا. ربما عليَّ أن أقطعه بنفسِي، فيبدو أنه يتسبَّب في متاعب بلا نهاية».

- «هذا ما رأيته. أعتقدُ أنني سأشربُ القليل من عصير عنب اللورد

ردواين».

قال تيريون: «كما تُريد»، وقَدَّم له كوبًا.

أخذ الرَّجل رشفةً ودوَّرها في فمه ثم ابتلعها، وقال: «لا بأس به في الوقت

الحالي. غدًا سأرسلُ لك نبيذًا قويًا من (دورن)، وأخذَ رشفةً ثانيةً قبل أن يُتابع: «عثرْتُ على العاهرة ذات الشَّعر الدَّهبي التي كنتُ أبحثُ عنها».

- «وجدتُ ماخور شاتايا إذن؟».

- «هناك ضاجعتُ الفتاة سوداء البشرة. اسمها أليايا على ما أعتقد. إنها فاتنة على الرغم من التُّدوب على ظَهرها... لكن العاهرة التي أعنيها هي أختك».

سأله تيريون بلا دهشة: «هل حاولتُ إغراءك بعدُ؟».

أطلقَ أوبرين ضحكةً عاليةً، وأجاب: «لا، لكنها ستفعل إذا دفعتُ الثَّمَن الذي تطلبُه. لقد لَمَّحت الملكة إلى الزَّواج أيضًا. جلاتنها في حاجةٍ إلى زوج جديد، ومن أفضل من أمير دورني؟ إلاريا تعتقد أن عليَّ أن أقبل. مجرد فكرةٍ وجود سرسي معنا في فراشنا تُبَلِّل تلك المرأة الشَّهوانية، ولن نضطرَّ حتى لدفع بنس القزم. كل ما تطلبُه أختك مني هو رأس واحد، كبير إلى حدِّ ما ويعوزُه أنف».

قال تيريون منتظرًا: «ثم؟».

على سبيل الإجابة دَوَّر الأمير أوبرين نبيذه في الكوب، وقال: «عندما غزا التَّنين الصَّغير (دورن) منذ زمن طويل ترك سيِّد (هايجاردن) ليحكُمنا بعد خضوع (صنسيبر)، وتنقَل هذا اللورد تايرل بذيل من رجاله من قلعةٍ إلى قلعةٍ مطارداً المتمرِّدين وعاملاً على أن نبقي راعين. كان يصل بقوَّة كبيرة ويستولي على قلعةٍ ويبقى فيها قمرًا، ثم يتَّجه إلى القلعة التَّالية، وكانت عادته أن يطرُد اللوردات من عُرفهم ويأخذ أسرَّتَهم لنفسه. ذات ليلةٍ وجدَ نفسه تحت مظلةٍ ثقيلة من القطيفة، وقد علَّق شريطاً بالقرب من الوسائد في حال أراد أن يستدعي فتاةً ما إلى الفراش. كان هذا اللورد تايرل يحبُّ مذاق الدورتيات، ومن يلومه؟ هكذا جذب الشَّريط، ولَمَّا فعل انشقت المظلة التي تعلوه وسقطت مئة عقرب أحمر على رأسه. أشعل موته نارًا سرعان ما اكتسحت دورن ضاربةً بكلِّ انتصارات التَّنين الصَّغير عرض الحائط خلال أسبوعين لا أكثر، ونهض الرَّاكعون وُعِدنا أحرارًا».

قال تيريون: «أعرفُ هذه الحكاية. ما المغزى منها؟».

- «هذا. إذا وجدتُ شريطًا إلى جوار فراشي وجذبتَه، فإنني أوثرُ أن تسقُط عليَّ العقارب على أن أحظى بالملكة بكلِّ جمالها العاري».

رَدَّ تيريون بابتسامةٍ عريضة: «أنا وأنت نشترك في هذا إذن».

قال الأمير وعينه الدَّاكتنان تلمعان استمتاعًا: «بالطبع هناك الكثير مما أشكُرُ أحتك عليه، فلولا أتهاهما في الحفل ربما كنت أنت من يحكُم عليَّ الآن بدلًا من أن أحكم أنا عليك، فمن يعرف السُّموم أكثر من أفعوان (دورن) الأحمر؟ ومن لديه سبب أدعى لإبعاد آل تايرل عن التَّاج؟ وبذهاب چوفري إلى قبره ينصُّ القانون الدورني على انتقال العرش الحديدي إلى أخته مارسلا، التي يتصادف أنها مخطوبة لابن أخي بفضلك».

قال تيريون الذي كان منهمكًا في محنته للغاية فلم يتوقَّف لِيُفكِّر في مسألة الخلافة: «القانون الدورني لا يُطبَّق هنا. أبي سيُتَّوَّج تومن، لك أن تثق بهذا».

- «قد يُتَّوَّج تومن هنا في (كينجز لاندنج) بالفعل، وهو ما لا يعني بالضرورة أن أخي لن يُتَّوَّج مارسلا هناك في (صنسبير). هل سيعلن أبوك الحرب علي ابنة أختك نيابةً عن ابنها؟ هل ستعلنها أحتك؟»، وهزَّ الأمير كتفيه مواصلاً: «ربما يجدر بي أن أتزوَّج الملكة سرسي، بشرط أن تُناصر ابنها لا ابنها. أُنحسب أنها ستفعل؟».

أرادَ تيريون أن يقول: مستحيل، لكن الكلمة احتبست في حلقه. لطالما كرهت سرسي استبعادها من السُّلطة بسبب جنسها. إذا طُبِّقَ القانون الدورني في الغرب فستُصبح وريثة (كاسترلي روك) بمفردها. هي وچايمي توأمان، لكن سرسي جاءت العالم أولاً، والأمر لا يتطلَّب أكثر من هذا. إذا ناصرَت قضيةَ مارسلا فإنها تُناصر قضيةَ نفسها. قال: «لا أدري كيف قد تختار سرسي بين تومن ومارسلا، لكن لا فرق، فأبي لن يُعطيها الخيار أبدًا».

قال الأمير أوبرين: «قد لا يعيش أبوك إلى الأبد».

شيء ما في الأسلوب الذي قالها به جعلَ الشَّعيرات على مؤخرَة عُنق تيريون تنتصب، وفجأةً عادَ ينتبه إلى قصَّة إلبا وكلِّ ما قاله أوبرين وهما يقطعان حقل الرَّماد. يُريد الرِّأس الذي أعطى الأمر، وليس اليد التي ضربت بالسِّيف وحسب. «ليس من الحكمة أن تتفوَّه بهذه الخيانات في (القلعة الحمراء) يا سموَّ الأمير. الطيور الصَّغيرة تنتصَّت».

قال الدورني: «دعها تنتصَّت. أهي خيانة أن أقول إن البَشَر فانون؟ فالأر مورجولس. هكذا كانوا يقولونها في (قاليريا) قديمًا. كل البشر يُدرِكهم

الموت، وحلَّ الهلاك وأثبت صحَّة المقولة»، وذهب إلى النَّافذة ليرمُق اللَّيل مضيِّقًا: «يُقَال إنك بلا شهود تُقدِّمهم لنا».

- «كنتُ أملُ أن تكفي نظرة واحدة إلى وجهي الوسيم لإقناعكم ببراءتي».

- «أنت مخطئ يا سيِّدي. زهرة (هايجاردن) البدينة مقتنع تمامًا بذنبك وعازم على موتك. عزيزته مارچري كانت تشرب من الكأس نفسها كما ذكرنا عشرات المرَّات».

- «وأنت؟».

- «نادرًا ما يكون جوهر المرء كظاهره. إنك تبدو مذنبًا للغاية لدرجة

أقنعتني ببراءتك، لكنك ستدان غالبًا رغم ذلك. مخزون العدالة طفيف على هذه النَّاحية من الجبال. لم تكن هناك عدالة لإليا أو إجون أو رينيس، فلم تكون هناك عدالة لك؟ ربما التهم قاتلِ چوفري الحقيقي دُب، فيبدو أن هذا يحدث كثيرًا في (كينجز لاندنج). أوه، مهلاً. المُدب كان في (هارنهال)، تذكَّرتُ الآن».

- «أهذه هي اللَّعبة التي نلعبها إذن؟». فركَ تيريون أنفه مفكرًا أنه ليس

هناك ما يخسرُه بإخبار أوبرين بالحقيقة. «كان هناك دُب في (هارنهال) فعلاً، وقتلَ السير آموري لورك».

قال الأفعوان الأحمر: «مخزن أن يحدث له هذا، ولك. تُرى هل يكذب

كلُّ مجدوعي الأنوف على هذا النَّحو الفاضح؟».

- «لستُ أكذبُ. السير آموري جرَّ الأميرة رينيس من تحت فراش أبيها

وطعنَها حتى الموت. كان معه عدد من الجنود، لكنني أجهلُ أسماءهم»، ومالَ تيريون إلى الأمام مردفًا: «السير جريجور كليجاين هو من هشم رأس الأمير إجون على جدار واغتصبَ أختك إليا بينما كانت دماء ابنها وقطع من مخَّه لا تزال على يديه».

ابتسمَ أوبرين ببرودٍ قائلاً: «ما هذا؟ الحقيقة من لانستر؟ أبوك هو من

أعطى الأمر، أليس كذلك؟».

- «لا». لفظَ الكذبة بلا تردُّد، ولم يتوقَّف لحظةً ليسأل نفسه عن السَّبب.

رفعَ الدورني حاجبًا أسود رفيعًا، وقال: «ابن بار حقًا، وكذبة واهية حقًا».

اللورد تاويين هو من قدّم طفليّ أختي للملك روبرت ملفوفين بمعطفيّ لانستر قرمزيّين».

- «ربما الأحرى بك أن تُناقش هذا مع أبي. لقد كان هنا، أمّا أنا فكنتُ في (الصّخرة)، لا أزالُ صغيرًا وأحسبُ أن هذا الشّيء بين ساقِي لا يصلحُ إلاّ للتّبؤل».

قال الأمير الدورني: «نعم، لكنك هنا الآن، وفي مآزق على ما يبدو لي. قد تكون براءتك جليّة كهذه العاهة على وجهك، لكنها لن تُنقذك، كما لن يُنقذك أبوك»، وابتسم مضيقًا: «لكن ربما أنقذك أنا».

تمعّن تيريون فيه قائلاً: «أنت؟ إنك قاضٍ واحد من ثلاثة، فكيف يُمكنك أن تُنقذني».

- «ليس بصفتي قاضيك، بل نصيرك».

## چایمی

کتاب أبيض على طاولة بيضاء في حُجرة بيضاء.  
الحُجرة مستديرة، جُدرانها الحجرية المطلية بالجير مُزدانة بالمعلقات  
الصُوف البيضاء، وتحمل الطابق الأول من (بُرج السيف الأبيض)، البناء  
الرَفيع الذي يرتفع أربعة طوابق من زاوية في سور القلعة المطل على الخليج.  
يضمُّ القبو الأسلحة والعتاد، والطابق الثاني والثالث حُجيرات النُوم  
الصغيرة المتواضعة الخاصة بستّة من إخوة الحرس الملكي.

إحدى تلك الحُجيرات كانت له طيلة ثمانية عشر عامًا، لكنه نقلَ حاجياته  
هذا الصُّباح إلى الطابق العلوي المخصَّص بالكامل لمسكن حضرة القائد،  
وهو مسكن متواضع أيضًا وإنما فسيح، كما أنه يعلو فوق الأسوار الخارجيَّة،  
أي أنه سيُتيح له الاستمتاع بمنظر البحر. سير وُقني هذا، المنظر والبقية كلها.  
شاحبًا كالحُجرة ذاتها، جلسَ چایمی إلى الطاولة عند الكتاب مرتديًا  
أبيض الحرس الملكي، ينتظر حضور إخوته المحلِّفين وقد تدلَّى سيف  
طويل من وركه. من الورك الخطأ. في الماضي كان يُعلق سيفه من يساره  
دومًا ويسحبه على جسده عندما يشهره، لكنه نقله إلى وركه الأيمن صباح هذا  
اليوم كي يستلّه بيده اليسرى بالنسق نفسه، غير أنه استشعرَ غرابة ثقله هناك،  
ولمَّا حاول أن يسحب التَّصل من الغمد بيُسراه أحسَّ بالحركة كلها خرقاء  
غير طبيعيَّة. ثم إن ثيابه لا تُناسبه كذلك. كان قد ارتدى زيَّ الحرس الملكي  
الشُّتوي، سُرَّة وسراويل من الصُوف الأبيض النَّاصع ومعطفًا أبيض ثقيلًا،  
لكن كلَّ قطعة بدت فضفاضةً عليه.

يقضي چایمی أيامه في محاكمة أخيه واقفًا بعيدًا عند مؤخِّرة القاعة. إمَّا أن



تيريون لم يلحظه قَطُّ وإمَّا أنه لم يتعرّفه، لكن هذا لا يُدهِشه، فيبدو أن نصف البلاط ما عادَ يتعرّفه. غريب في داري. ابنه مات، وأبوه تبرأ منه، وأخته... إنها لم تسمح له بالانفراد بها ولو مرّةً بعد ذلك اليوم في السِّبْتِ الملكي حيث سُجِّيَ چوفري وسط الشُّمُوع، عندما حملوه عبر المدينة إلى لَحده في (سِبْتِ بيلور الكبير) حافظت سرسي على مسافةٍ حذرةٍ بينهما.

عادَ يتطلّع إلى الحُجرة المستديرة. المعلقات الصُّوف البيضاء تُغطّي الجدران، وفوق المستوقد تُرس أبيض وسيفان طويلان متقاطعان، والكرسي الموضوع وراء الطّاولَة من البلوط الأسود القديم، ووسائده من جلد الأبقار المبيّض البالي. أبلتّه مؤخّرةً باريستان الباسل العظيمة والسير چير ولد هايتار من قبله، والأمير إيمون الفارس الثنّين، والسير ريام ردواين، وشيطان (داري)، والسير دنكان الطويل، والجريفين الشّاحب آين كونجتون. أنّى لقاتل الملك بالانتماء إلى صُحبةٍ مجيدة كهذه؟

لكن ها هو ذا.

الطّاولَة نفسها من خشب الويروود القديم، شاحبة كالعظم ومنحوتة على شكل تُرس. ضخّم تحمله ثلاثة فحول بيضاء. جرّت العادة على جلوس القائد عند رأس التُّرس، فيما يجلس ثلاثة من الإخوة على كلِّ جانب، في المناسبات النّادرة التي يجتمع فيها سبعتهم في آنٍ واحد. الكتاب المستقرُّ عند مرفقه ضخّم، طوله قدمان كاملان وعرضه قدم ونصف، ويبلُغ ألف صفحةٍ من ورق الرّقوق الأبيض الممتاز بين دفتين من الجلد الأبيض، ومزوّد بمفصلات وأبازيم من الذهب. اسمه الرّسمي (كتاب الإخوة)، ولكن غالبًا ما يُسمّى ببساطة (الكتاب الأبيض).

وفحوى (الكتاب الأبيض) تاريخ الحرس الملكي. كلُّ فارس خدَم في هذه الأخوة له صفحة تُسجّل اسمه ومآثره إلى الأبد. في الرُّكن العلوي الأيسر من كلِّ صفحةٍ رُسم التُّرس الذي كان صاحبها يحمله وقت اختياره للخدمة بچير زاهي الألوان، وفي الرُّكن السُّفلي الأيمن تُرس الحرس الملكي، أبيض كالثلج، فارغ، نقي. التُّروس العلوية مختلفة كلها، والسُّفلية واحدة، وفي الفضاء بينها تُسجّل وقائع حياة كلِّ رجلٍ وخدمته. شعارات النّبالة والزّخارف

يعمل عليها سبتونات يُرسلهم (سبت بيلور الكبير) ثلاث مرّات في العام، لكن تحديث المُدرجات واجب القائد.

واجبي الآن. بمجرّد أن يتعلّم الكتابة يُسراه بالطّبع. وجدّ (الكتاب الأبيض) في حاجةٍ إلى تحديث، إذ لم يُدرج موت السير ماندون مور أو السير پرستون جرينفيلد، علاوةً على خدمة ساندر كليجاين الدّامية الموجزة في الحرس الملكي، ويجب إضافة صفحاتٍ جديدة لكل من السير بالون سوان والسير أوزموند كيتلبلاك وفارس الزهور. عليّ أن أَسْتدعي سبتوناً يرسم تروسهم.

سبق السير باريستان سلمي چايمي إلى قيادة الحرس الملكي، وعلى قَمّة صفحته حمل تُرسه رمز عائلة سلمي، ثلاث سنابل قمح صفراء على خلفيّة بَنِيّة، وعلى الرغم من أن چايمي لم يندهش، فقد وجدّ من الطريف أن السير باريستان استغرق وقتاً لتدوين صرفه من الخدمة قبل أن يُغادر القلعة.

السير باريستان سليل عائلة سلمي. الابن الأول للسير لايبول سلمي ابن (بهو الحصاد). خدم مُرافقاً للسير مانفريد سوان. لُقّب بـ«الباسل» وهو في العاشرة من العُمر، عندما ارتدى درعاً مستعارةً ليظهر كفارس غامض في دورة المباريات التي أقيمت في (المرفا الأسود)، حيث هُزِمَ وأُيْط لثامه على يد دنكان أمير (قلعة اليعاسيب). نصّبهُ الملك إجون تارجارين الخامس فارساً وهو في السّادسة عشرة من العُمر، بعد إبداء فائق البراعة والشّجاعة كفارس غامض في دورة المباريات الشّتويّة في (كينجز لاندنچ)، هازماً الأمير دنكان الصّغير وحضرة قائد الحرس الملكي السير دنكان الطويل. قتل ميليس الوحش آخر مدّعي آل بلاكفاير في نزالٍ فردي خلال حرب ملوك التسع بنسات. هزِمَ لورمل الرّمح الطويل وسدريك ستورم نغل (بوابة البرونز). رَفاه حضرة القائد السير چيرولد هايتاور إلى الحرس الملكي وهو في الثّالثة والعشرين من العُمر. دافع عن المعبر ضد جميع المتحدّين في دورة مباريات (جسر الفضّة). انتصر في الالتحام الجماعي في (بركة العذارى). حملَ الملك إيرس الثّاني إلى الأمان خلال تحدّي (وادي الغسق) على الرغم من إصابته بسهم في الصّدر. انتقم لمصرع أخيه المحلف السير جواين جونت. أنقذَ الليديّ چاين سوان وسپنتها من أخوة غابة الملوك، هازماً سيمون توين

والفارس الباسم وقاتلاً الأول. في دورة مباريات (البلدة القديمة) هزم الفارس الغامض الترس الأسود، وأماط لثامه كاشفاً عن هويته كنفعل (النجد). الفائز الأوحده في دورة مباريات اللورد ستفون في (ستورمز إند)، حيث أسقط كلا من اللورد روبرت باراثيون والأمير أوبرين مارتل، واللورد لايتون هايتاور، واللورد چون كونجتون، واللورد چيسون مالمستر، والأمير ريجار تارجارين عن خيولهم. أصيب بسهم وحرية وسيف في معركة (الثالوث) وهو يقابل إلى جوار إخوته المحلفين وريجار أمير (دراجونستون). عفا عنه الملك روبرت باراثيون الأول وعينه قائداً للحرس الملكي. خدم في حرس الشرف الذي صاحب الليدي سرسي سليلة عائلة لانستر إلى (كينجز لاندنج) لتزواج الملك روبرت. قاد الهجوم على (ويك القديمة) خلال تمرّد بالون جرابچوي. بطل دورة مباريات (كينجز لاندنج) وهو في السابعة والخمسين من العمر. صرفه الملك چوفري باراثيون الأول من الخدمة وهو في الحادية والستين من العمر بدعوى الشيخوخة.

الجزء الأول من سيرة السير باريستان سجّله خط السير چيرولد هايتاور التّضيد الكبير، وبداية من إصابته في معركة (الثالوث) تابع سلمي التّسجيل بخطه الأصغر الأكثر أناقة.

أمّا صفحة چايمي فمتواضعة بالمقارنة.

السير چايمي سليل عائلة لانستر. الابن الأول للورد تايوين لانستر والليدي چوانا ولدي (كاسترلي روك). خدم ضد أخوة غابة الملوك كمراقب للورد سمنر كراكهول. نصّب السير آرثر داين رجل الحرس الملكي فارساً وهو في الخامسة عشرة من العمر لشجاعته في ميدان القتال. اختاره الملك إيرس تارجارين الثاني للخدمة في الحرس الملكي وهو في الخامسة عشرة من العمر. قتل الملك إيرس الثاني عند قدم العرش الحديدي خلال نهب (كينجز لاندنج)، ومنذ ذلك الحين وهو معروف باسم «قاتل الملك». تلقى عفواً عن جريمته من الملك روبرت باراثيون الأول. خدم في حرس الشرف الذي صاحب أخته الليدي سرسي لانستر إلى (كينجز لاندنج) لتزواج الملك روبرت. فاز في دورة المباريات التي أقيمت في (كينجز لاندنج) بمناسبة زفافهما.

كم تبدو حياته ضئيلةً هزيلةً وهي ملخّصة هكذا. كان يُمكن للسير بارستان أن يُسجّل عددًا من انتصاراته الأخرى في المباريات على الأقل، وكان السير چيرو ولد يستطيع أن يُدوّن بضع كلماتٍ إضافيّةٍ عن صنائعه حينما حطّم السير آرثر داين أخوّة غابة الملوك. لقد أنقذ حياة اللورد سَمَنر بينما أوْشك بن ذو البطن الكبير على تهشيم رأسه، مع أن المجرم فرّ منه، وتصدّى للفارس الباسم رغم أن السير آرثر هو من قتله في النّهاية. ويا له من قتال، ويا له من غريم. كان الفارس الباسم مجنونًا، الوحشيّة والفُروسيّة وقد انصهرتا معًا في أتون واحد، لكن الرّجل لم يكن يعرف معنى الخوف. وداين و(فجر) في يده... قُرب النّهاية كان سيف المجرم الطويل مفلولًا عن آخره، لدرجة أن السير آرثر توقّف ليسمح له بالتقاط واحد جديد، وإذا استأنفا القتال قال له الفارس اللص على الرغم من الدّماء النّازفة من جسده في غير موضع: «سيفك الأبيض هذا هو ما أريد»، فأجابَه سيف الصّباح: «ستناله إذن أيها الفارس»، وأجهزَ عليه.

كان العالم أبسط آنذاك، والرّجال كالشّيوف، مصنوعين من فولاذ أنقى. أم أن السّبب أنه كان صبيًّا في الخامسة عشرة؟ جميعهم في قبورهم الآن؛ سيف الصّباح والفارس الباسم، والثّور الأبيض والأمير ليوين، والسير أوزويل ونت بروح دُعابته السّوداء وچون داري بسجّيته الجادّة، وسيمون توين وإخوانه في عصابة غابة الملوك وسَمَنر كراكهول العجوز الفظ. وأنا، ذلك الصّبي الذي كنته... متى مات يا تُرى؟ حين ارتديتُ المعطف الأبيض؟ حين شققتُ حلق إيرس؟ ذلك الصّبي أراد أن يُصبح السير آرثر داين، لكنه في مكانٍ ما في أثناء رحلته صارَ الفارس الباسم.

سمعَ الباب يفتح فأغلقَ (الكتاب الأبيض) ونهضَ يستقبل إخوته المحلّفين. وصلَ السير أوزموند كتلبلاك أولًا، وبابتسامةٍ عريضة كأنهما أخوان قديمان في السّلاح خاطبَ چايمي قائلاً: «سير چايمي، لو بدوت هكذا في اللّيلة إياها لتعرّفتك في الحال».

قال چايمي الذي يشك في صحّة هذا: «حقًا؟». لقد حمّمه الخدم وحلقوا لحيته وغسلوا شعره ومشطوه، ولَمّا نظَرَ في المرآة لم يُعد يرى الرّجل الذي عبرَ أراضي النّهر مع بريان... لكنه لم يَرَ نفسه كذلك، فوجهه ممصّوص

مهزول، وتحت عينيه خطوط. أبدو كرِجِلٍ عجوز. قال لِكِتْلِبلاك: «قِف عند مقعدك أيها الفارس».

أطاعه الرَّجُل، وانصَمَّ إليهم الإخوة الآخرون واحداً تلو الآخر، وحين اجتمعَ خمستهم سأَلهم چايمي بلهجةٍ رسمِيَّة: «مَنْ يَحْرُس الملك أيها الفرسان؟».

أجابَه السير أوزموند: «أخوای السير أوزني والسير أوزفريد».

أضافَ فارس الزُّهور: «وأخي السير جارلان».

- «هل سيُحافظون على سلامته؟».

- «نعم يا سيّدي».

- «تفضّلوا بالجلوس إذن».

كلماتهم هذه طقس ينصُّ على تأكيد أمن الملك قبل أن يعقد الإخوة السَّبعة جلستهم.

جلسَ السير بوروس والسير مرين إلى يمينه تاركين مقعداً شاغراً بينهما للسير آريس أوكهارت الغائب في (دورن)، وجلسَ السير أوزموند والسير بالون والسير لوراس إلى يساره. القُدماء والجُدود. تساءل چايمي إن كان لهذا معنى ما. خلال تاريخه عرفَ الحرس الملكي أوقاتاً انقسمَ فيها رجاله على أنفسهم، أبرزها وأقساها في إِبَّان رقصة التَّنانين. أهدا شيء آخر عليه أن يخشاه؟

أحسَّ بغرابة جلوسه في مقعد القائد الذي احتلَّه باريستان الباسل سنواتٍ طويلة. والأغرب أن أجلس هنا مُعاقفاً. لكنه مقعده الآن، وهذا حرسه الملكي. حُرَّاس تومن السَّبعة.

خدمَ چايمي مع مرين ترانت وبوروس بلاونت أعواماً، وهما مقاتلان بارعان، لكن ترانت خبيث قاس، وبلاونت أفك كبير. السير بالون سوان يُناسِبُه المعطف الأبيض أكثر، وبالطبع يُفترَض أن يكون فارس الزُّهور نموذجاً لما يجب أن يكونه الفارس، أمَّا الرَّجُل الخامس فغريب عليه، هذا الأوزموند كِتْلِبلاك.

تساءلَ عمَّا كان السير آرثر داين ليقوله عن هذه الزُّمرة. كان ليسأل: «كيف انحطَّ الحرس الملكي هكذا حتى بلغَ الحضيض؟»، ولكان عليَّ أن أجيبه:

«إنه صنيعي. أنا من فتحَ الباب ولم يفعل شيئاً حين بدأ الهوام يزحفون إلى الدّاخل».

حدّثهم چایمی قائلاً: «الملك مات، ابن أختي، صبيّ في الثالثة عشرة، اغتيلَ في حفل زفافه في قاعة عرشه. كان خمستكم حاضرين، وكان خمستكم يحمونّه، ورغم ذلك مات». انتظرَ ليرى ما سيردّون به، لكن أحداً منهم لم يتنحّح حتى صبيّ تايرل غاضب، وبالون سوان خجلان. أمّا الثلاثة الآخرون فلم يستشفّ منهم إلا عدم الاكتراث. سألهم بغلظة: «هل فعلها أخي؟ هل سمّم تيريون ابن أختنا؟».

تململَ السير بالون بضيق في مقعده، وكوّر السير بوروس قبضته، واكتفى السير أوزموند بهزّ كتفيه بكسل، وأخيراً أجابَ مرين ترانت قائلاً: «لقد ملأ كأس چوفري بالنبيذ، ولا بدّ أنه دسّ فيه السّم عندئذ».

- «أنتم واثقون بأن النبيذ كان مسموماً؟».

قال بوروس بلاوتن: «وما غيره؟ العفريت أفرغَ الثمالة على الأرض، فلايّي غرض بخلاف سكب النبيذ الذي كان ليثبت ذنبه؟».

وقال السير مرين: «كان يعرف أن النبيذ مسموم».

قطّب السير بالون سوان وجهه قائلاً: «العفريت لم يكن وحده على المنصّة، بالعكس. في تلك السّاعة المتأخّرة من الحفل كان النّاس واقفين أو يتحرّكون هنا وهناك، يُبدّلون أماكنهم أو يدخلون المرحاض، والخدم يجيئون ويذهبون... كان الملك والملكة قد فتحا كعكة الزّفاف، وأعيُن الجميع عليهما وعلى تلك الحمايم الملعونة ثلاثاً. لا أحد كان يُراقب كأس النبيذ».

سألَ چایمی: «من أيضاً كان على المنصّة؟».

أجابَ السير مرين: «عائلة الملك، عائلة العروس، المايستر الأكبر پايسل، السّپتون الأعلى...».

قاطعَه السير أوزموند كتبلباك بابتسامةٍ ماكرة واسعة: «ها هو المسمّم. ذلك العجوزُ يبالغ في التّظاهر بالتّقوى، لكن عن نفسي لم يرّقني منظره قطّ». قالها وضحك.

قال فارس الزّهور بجديّة: «لا. سانزا ستارك هي المسمّمة. تنسون جميعاً

أن أختي أيضًا شربت من الكأس نفسها، وسانزا ستارك كانت الوحيدة في القاعة التي لديها سبب يجعلها تُريد موت مارچري والملك أيضًا، وكان أملها أن تتخلص من الاثنين بدسّ السّم في كأس الزّفاف. ولم هربت بعدها إن لم تكن مذنبّة؟».

كلام الصّبي معقول. قد يكون تيريون بريئًا حقًا. عليّ أن أحدًا لم يدنّ خطوةً من العثور على الفتاة. ربما يجدرّ بچايمي أن ينظر في الأمر بنفسه، وسيُفنيه كبدائية أن يعرف كيف خرجت من القلعة. قد تكون لدى فارس فكرة أو فكرتان في هذا الصّدّد. لا أحد يعرف مسالك (القلعة الحمراء) أكثر من الخصي.

لكن على هذه المسألة أن تنتظر، فالآن أمامه شؤون عاجلة تتطلّب اهتمامه. قال أبوه: تقول إنك قائد الحرس الملكي، فاذهب وأدّ واجبك، وهؤلاء الخمسة ليسوا الإخوة الذين كان ليختارهم، لكنهم الإخوة الذين لديه، وحان الوقت لأن يقبض على زمامهم.

قال لهم: «أيّا كان من فعلها فقد مات چوفري، والعرش الحديدي يمتي إلى تومن الآن، ونيتي أن يجلس عليه إلى أن يبيضّ شعره وتتساقط أسنانه، وليس بسبب السّم»، والتفت إلى السير بوروس بلاونت. خلال الأعوام الأخيرة أصبح ممتلئ الجسد، مع أن عظامه كبيرة بما فيه الكفاية لأن تحمل ثقل لحمه. خاطبه قائلاً: «سير بوروس، تبدو كرجل يستمتع بالطعام. من الآن فصاعدًا ستتذوّق أيّ شيء يأكله أو يشربه تومن».

تردّدت ضحكة السير أوزموند كتبلبلاك عالية، وابتسم فارس الزّهور، لكن وجه السير بوروس احمرّ كالبنجر، وقال: «لست ذوّاقًا! إنني فارس في الحرس الملكي!».

- «يؤسفني أنك كذلك». ما كان يجب أن تُجرّد سرسي الرّجل من معطفه الأبيض قط، لكن أباهما ضاعف العار بإعادته إليه. «أختي حكّت لي كيف سلّمت ابنها إلى مرتزقة تيريون عن طيب خاطر، لكنني أمل أنك ستجد الجزر والبازلاء أقلّ تهديدًا. بينما يتمرّن إخوتك المحلفون في السّاحة بالسّيف والرّس ستمرّن أنت بالمعلقة والطّبّق. تومن يحبّ كعكات التّفّاح، فحاول ألاّ تسمح لأيّ مرتزقة باختطافها».

- «أنت تُكَلِّمَنِي هَكَذَا؟ أَنْتِ؟!».

- «كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ تُتْرَكَهُمْ يَأْخُذُوا تَوْمَنَ».

قال السير بوروس: «كَمَا مُتُّ وَأَنْتِ تَحْمِي إِيْرَسَ أَيُّهَا الْفَارْسُ؟»، وَهَبَّ مِنْ مَقْعَدِهِ وَأَطْبَقَ عَلَى مَقْبِضِ سَيْفِهِ مَوَاصِلًا: «لَنْ... لَنْ أَسْمَحُ بِهَذَا. الْمَفْتَرِضُ أَنْ تَكُونِ أَنْتِ الذُّوَّاقُ عَلَى مَا يَبْدُو لِي، فَمَا فَائِدَةُ مُعَاقِ مِثْلِكَ غَيْرِ هَذَا؟».

أَجَابَ چَايْمِي مَبْتَسِمًا: «أَتَفْقُ مَعَكَ. كَلَانَا لَا يَصْلُحُ لِحِرَاسَةِ الْمَلِكِ، فَاسْحَبِ هَذَا السَّيْفَ الَّذِي تُدَاعِبُهُ وَسِنْرِي كَيْفَ تُبْلِي يَدَاكَ الْاِثْتِنَانِ ضِدَّ يَدِي الْوَاحِدَةِ. فِي النِّهَآيَةِ سَيَمُوتُ أَحَدُنَا وَتَحْسُنُ حَالِ الْحَرَسِ الْمَلِكِي»، وَنَهَضَ مُضِيْفًا: «أَوْ، إِذَا كُنْتَ تُفْضِّلُ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى وَاجِبَاتِكَ».

صَاحَ السَّيْرُ بَوْرُوسَ: «بَاه!»، وَتَنَحَّعَ كُنْتَلَةً مِنَ الْبَلْغَمِ الْأَخْضَرِ وَبَصَقَهَا عِنْدَ قَدَمَيْ چَايْمِي، ثُمَّ خَرَجَ وَسَيْفِهِ لَا يَزَالُ مَغْمَدًا.

مِنْ صَالِحِي أَنْ الرَّجُلَ جَبَانَ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ بَدَائْتِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي السَّنِّ وَكَوْنِهِ تَقْلِيدِيًّا عَلَى الْأَكْثَرِ، فَلَمْ يَزَلِ السَّيْرُ بَوْرُوسَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَزِّقَهُ إِرْبًا دَامِيَةً. لَكِنْ بَوْرُوسَ لَا يَعِي هَذَا، وَيَجِبُ أَلَّا يَعِيهِ الْآخَرُونَ كَذَلِكَ. إِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتَهُ، أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي صِرْتَهُ فَيَسْتَشْفِقُونَ عَلَيْهِ.

عَاوَدَ چَايْمِي الْجُلُوسَ وَالتَّفَتَّ إِلَى كِتْلِبْلَاكٍ قَائِلًا: «سَيْرُ أَوْزْمُونْدَ، إِنَّنِي لَا أَعْرِفُكَ، وَأَجْدُ هَذَا مِثِيرًا لِلْفُضُولِ. لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي مَبَارِيَاتِ وَالتَّحَامَاتِ جَمَاعِيَّةٍ وَمَعَارِكِ فِي طُولِ (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ) وَعَرَضَهَا، وَأَعْرِفُ كُلَّ فَارْسٍ مُتَجَوِّلٍ وَمُحَارِبٍ غَيْرِ نِظَامِي وَمُرَافِقٍ اِنْتِهَازِي بِأَيِّ قَدْرٍ مِنَ الْمَهَارَةِ حَاوِلًا أَنْ يَكْسِرَ رُمْحًا فِي مَضَامِيرِ الْقِتَالِ، فَكَيْفَ لَمْ أَسْمَعْ بِكَ الْبَتَّةَ يَا سَيْرُ أَوْزْمُونْدَ؟».

- «لَيْسَتْ عِنْدِي إِجَابَةٌ يَا سَيِّدِي»، قَالَ السَّيْرُ أَوْزْمُونْدَ وَعَلَى وَجْهِهِ اِبْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ مِنَ الشُّدْقِ إِلَى الشُّدْقِ كَأَنَّهُ وَچَايْمِي رَفِيقِي نُكْنَاتٍ قَدِيمَيْنِ يَلْعَبَانِ لُغْبَةً ظَرِيفَةً مَا. «لَكِنِّي جُنْدِي لَا فَارْسَ مَبَارِيَاتٍ».

- «أَيْنَ خَدِمْتَ قَبْلَ أَنْ تَعْتُرَّ عَلَيْكَ أُخْتِي؟».

- «هَنَا وَهَنَّاكَ يَا سَيِّدِي».

- «لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى (الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ) فِي الْجَنُوبِ وَ(وَيَنْتَرِفَلُ) فِي الشَّمَالِ، وَإِلَى (لَانَسْپُورْتِ) فِي الْغَرْبِ (وَكَيْنَجَزْ لَانْدَنْجِ) فِي الشَّرْقِ، لَكِنِّي لَمْ أَذْهَبْ قَطُّ إِلَى هُنَا أَوْ هَنَّاكَ»، وَبَدَلًا مِنَ الْإِصْبَعِ الَّذِي يَعُوزُهُ أَشَارَ چَايْمِي بِجَدْعَتِهِ إِلَى



أنف السير أوزموند المعقوف قائلاً: «سأسألك مرّةً أخرى. أين خدمت؟».  
- «في (الأعتاب)، وبعض الوقت في أراضي النّزاع. ثمة قتال هناك دائماً.  
وركبتُ مع جماعة الرّجال الشّهام، وقاتلنا لحساب (ليس)، وفترةً لحساب  
(تايروش)».

أي أنك قاتلت لحساب من يدفع. «وكيف تحصّلت على فُروسيتك؟».  
- «في ميدان معركة».

- «ومن نصّبك فارساً؟».

- «السير روبرت... ستون. لكنه مات يا سيّدي».

- «بالطبع». ربما كان السير روبرت ستون هذا نغلاً من (الوادي) تعودّ

أن يبيع سيفه في أراضي النّزاع، لكن من ناحيةٍ أخرى قد لا يكون أكثر من  
كذبة ألفها السير أوزموند من اسم ملكٍ ميت وحجر في سور قلعة. فيمَ كانت  
سرسِي تُفكّر حين أعطت هذا الرّجل معطفاً أبيض؟ لكن على الأقل يعرف  
كتلبلاك كيف يستخدم السّيف والرّس. نادراً ما يتحلّى المرتزقة بالشّرف،  
لكن يجب أن يتمتّعوا ببراءةٍ معيّنة في السّلاح ليقبوا أحياء. قال چايمي:  
«ليكن أيها الفارس. يُمكنك الانصراف».

عادَت ابتهامة الرّجل العريضة تحتل وجهه، وغادرَ المكان متبخّتراً.

ابتسم چايمي للفارس العابس ذي الشّعر الأحمر كالصدأ والانتفاخات

تحت عينيه، وقال: «سير مرين، سمعتهم يقولون إن چوفري استعان بك

لعقاب سانزا ستارك»، ودور (الكتاب الأبيض) بيدٍ واحدةٍ مضيفاً: «هاك،

أخبرني أين تقول يمينا أن نضرب النّساء والأطفال».

- «لقد فعلتُ كما أمرني جلالته. إننا مقسمون على الطّاعة».

- «من الآن فصاعداً ستحدّ من هذه الطّاعة. أختي الملكة الوصيّة على

العرش، وأبي يد الملك، وأنا قائد الحرس الملكي، فأطعننا نحن ولا أحد

غيرنا».

لاح العناد على وجه السير مرين وهو يقول: «هل تقول لنا ألا نطبع

الملك؟».

- «الملك طفل في الثامنة. واجبنا الأول حمايته، وهو ما يتضمّن حمايته

من نفسه. استخدم هذا الشّيء القبيح الذي تحتفظ به تحت خوذتك. إذا

أرأدك تومن أن تُرَكِّبَ سَرَجَ حِصَانِهِ فَأَطْعَهُ، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ الْحِصَانَ فَتَعَالَ إِلَيَّ».

- «حاضر. كما تأمر يا سيّدي».

- «انصراف». وإذ غادرَ الرَّجُلُ التَّفْتَ چاييمي إلى السير بالون سوان قائلاً: «سير بالون، لقد رأيتك في مضامير النَّزالِ مرارًا، وقاتلتُ معك وضدك في الالتحامات الجماعيَّة، ويُقال لي إنك أثبتتُ شجاعتك مئة مرَّة في معركة (النَّهر الأسود). وجودك في الحرس الملكي شرف له».

رَدَّ السير بالون بلهجة حذرة: «الشرف لي يا سيّدي».

- «هناك سؤال واحد أريدُ أن أطرحه عليك. معلوم أنك خدمتنا بإخلاص... لكن فارس يقول لي إن أخاك ركبَ مع رنلي ثم ستانيس، بينما اختارَ السيّد والدك ألا يستدعي راياته على الإطلاق وظلَّ وراء أسوار (ستونهلْم) طوال الحرب».

- «أبي كهل تجاوزَ الأربعين من العُمُر يا سيّدي، وولتَ الأيام التي كان يُقاتل فيها».

- «وأخوك؟».

- «دونل أصيبَ في المعركة واستسلمَ للسير إلوود هارت، وبعدها دُفِعَت فديته وتعهدَ بالولاء للملك چوفري ككثيرٍ من الأسرى».

- «هذا صحيح، ومع ذلك... رنلي، ستانيس، چوفري، تومن... كيف أغفلَ بالون جرايچوي وروب ستارك؟ كان ليصير أول فارسٍ في البلاد يُقسم بالولاء لِسُنَّةِ الملوك».

قال السير بالون وتوتَّرَه بادٍ على ملامحه: «دونل أخطأ، لكنه رجل الملك تومن الآن، لك كلمتي».

قال چاييمي: «ليس السير دونل الثَّابت مَنْ يهْمُنِي، بل أنت»، ومالَ إلى الأمام متابعًا: «ماذا ستفعل إذا تعهدَ السير دونل الشُّجاع بسيفه لغاصِبِ آخرٍ واقتحمَ قاعة العرش ذات يوم؟ ستكون واقفًا في ثيابك البيضاء بين ملكك ودمك، فماذا تفعل؟».

- «أنا... سيّدي، لن يحدث ذلك أبدًا».

- «لقد حدثَ معي».

ومسح سوان جبينه بكم سترته دون أن يتكلم.

- «لا إجابة؟».

شدَّ السير بالون قامته مجيبًا: «سيدي، أقسم بسيفي وشرفي واسم أبي... لن أفعل ما فعلته أنت».

ضحك وقال: «عظيم. عد إلى واجباتك... وقل للسير دونل أن يضع رمز دَوَّارة رياح على تُرسه».

ثم أصبح چايمي وحده مع فارس الزهور.

على جسده الممشوق الرشيح اللدن ارتدى السير لوراس تايرل سترّة ناصعة من الكتان وسراويل من الصوف الأبيض، وعلى خصره شدَّ حزامًا ذهبيًا وثبت معطفه الحريري الثمين بوردة من الذهب. شعره شلال بني ناعم، وعينه بيتان أيضًا، وفيهما تلمع الصفاقة. يحسب أننا في دورة مباريات واستدعوه للنزال. خاطبه چايمي قائلاً: «في السابعة عشرة وفارس في الحرس الملكي. لا بُدَّ أنك فخور بنفسك. الأمير إيمون الفارس التين كان في السابعة عشرة أيضًا حين انخرط في أخوتنا، أكنت تعلم هذا؟».

- «نعم يا سيدي».

- «وهل تعلم أنني كنت في الخامسة عشرة؟».

أجاب مبتسمًا: «هذا أيضًا أعلمه يا سيدي».

قال چايمي شاعرًا بالكرهية نحو هذه الابتسامة: «كنت أفضل منك يا سير لوراس، كنت أكبر حجمًا وأقوى وأسرع».

ردَّ الصبي: «والآن أنت أكبر في السن... يا سيدي».

ضحك مضطربًا. يال للسخافة. كان تيريون ليتهمك عليّ بلا رحمة إذا سمعني أفارن قضيبي بقضيب هذا الفتى الأخضر. «أكبر في السنّ وأكثر حكمةً أيها الفارس. حرّي بك أن تتعلّم مني».

- «كما تعلمت أنت من السير بوروس والسير مرين؟».

قال چايمي بحدّة وقد انغرس السهم قريبًا للغاية من الهدف: «لقد تعلمت من الثور الأبيض وباريستان الباسل. تعلمت من سيف الصباح السير آرثر داين، الذي كان بإمكانه أن يفتك بخمستكم يُسراه بينما يتولّ يُمناه. تعلمت

من ليوين الأمير الدورني والسير أوزويل وِنت والسير چونو ثور داري، وكلهم بلا استثناء رجال صالحون».

- «كلهم بلا استثناء رجال موتى».

أدركَ چايمي الأمر الواقع فجأةً. إنه أنا. إنني أكلّم نفسي كما كانت، غطرسة واثقة وفروسيّة فارغة. هذا ما يفعله بك أن تكون شديد البراعة في سنّ صغيرة جدًّا.

كما في المبارزة، من الأفضل أحيانًا أن تُجربَ ضربةً مختلفةً، وهكذا قال چايمي: «يقال إنك قاتلت على نحوٍ باهر في المعركة... ببراعةٍ دانت شبح اللورد رنلي إلى جوارك. الأخ المحلّف لا يُخفي أسرارًا عن قائده، فأخبرني أيها الفارس، مَنْ كان يرتدي درع رنلي؟».

بدا على لوراس تايرل برهه أنه سيرُفض الإجابة، لكنه تذكّر يمينه في النهاية وأجاب بوجوم: «أخي. رنلي كان أطول قامه وأعرض صدرًا مني، فوجدتُ درعه كبيرةً أكثر من اللازم عليّ، لكنها ناسبت جاران تمامًا».

- «أكانت تلك التمثيلية فكرتك أم فكرته؟».

- «اللورد الإصبع الصّغير اقترحها، قال إنها ستُخيف جنود ستانيس الجُهلاء».

- «وقد أخافتهم فعلاً». وبعض الفرسان وصغار اللوردات أيضًا. «طيب، لقد أعطيتهم المغنّين شيئًا ينظمونه على الأقل، ولا أجد في هذا ما يشين. ماذا فعلت بجثّة رنلي؟».

- «دفنته بيديّ في مكان أراني إياه مرّةً عندما كنتُ مُرافقًا في (ستورمز إند)»، ورمقَ چايمي بتحدٍّ مردفًا: «سأدافع عن الملك تومن بكلّ قوّتي، وأقسمُ على هذا، وسأبذل حياتي لإنقاذ حياته إذا دعت الحاجة، لكنني لن أخون رنلي أبدًا، قولاً أو فعلاً. إنه الملك الذي كان ينبغي أن يُتوجّ، كان أفضلهم».

فكّر چايمي: أفضلهم هندامًا ربما، لكنه لم يبيح بأفكاره هذه المرّة. لحظةً أن بدأ السير لوراس يتكلّم عن رنلي تسرّب كل ما فيه من عنجهيّة. أجاب بالحقيقة. إنه معتدّ بنفسه وأرعن وأهوج، لكنه ليس كذابًا. «كما تقول. شيء إضافي ثم يُمكنك العودة إلى واجباتك».

- «نعم يا سيّدي؟».

- «إنني ما زلتُ محتفظًا بـبريان التارثيَّة في زنزانة بُرج».  
التوى فم الصَّبي بقسوة، وقال: «زنزانة سوداء تُناسِبها أكثر».  
- «أنت واثق بأن هذا ما تستحقُّه؟».

- «إنها تستحقُّ الموت. قلتُ لرنلي إن لا مكان لامرأةٍ في حرس قوس قزح. لقد فازت في الالتحام الجماعي بخدعة».  
- «أذكرُ فارسًا آخرَ مولعًا بالخدع. في مرَّةٍ ركبَ فرسًا تُعاني الاحترار ضد خصم على صهوة فحل معتل المزاج. ما الخدعة التي لجأت إليها بـبريان؟».  
بوجهٍ محتقن أجابَّ السير لوراس: «وثبت... لا عليك. لقد فازت ولن أنكر هذا، وخالج جلالته عليها معطف قوس قزح ثم قتلته، أو تركته يموت».  
- «شئان ما بين هذا وذاك». إنه الفارق بين جرّيمتي وعار بوروس بلاونت.  
- «لقد أقسمت على حمايته، كما أقسم كل من السير إمون كاي والسير روبار رويس والسير پارمن كرين. كيف يُمكن لأحدٍ أن يؤذيه وهي داخل الخيمة والأخرون واقفون خارجها ما لم يكونوا متواطئين؟».  
علّق چايمي: «كتم خمسةً في احتفال الزَّفاف، فكيف ماتَ چوفري ما لم تكونوا متواطئين؟».

شدَّ السير لوراس قامته بجمودٍ قائلاً: «لم يكن هناك ما يُمكننا أن نفعله».  
- «وهذا ما تقوله الفتاة أيضًا. إنها حزينة على رنلي مثلك تمامًا، ودعني أوكدُ لك أنني لا أشعرُ بذرةٍ حُزن على إيرس. بـبريان قبيحة وحرّون كالخنازير، لكنها تفتقر إلى الذكاء الذي يجعلها تكذب، ومخلصة بما يتجاوز كل درجات التّعقّل. لقد أقسمت على إعادتي إلى (كينجز لاندنج)، وها أنا أمامك. اليد التي فقدتها... إنها غلطتي كما هي غلطتها، لكن باعتبار كل ما فعلته لتحميني، فلا أشكُ إطلاقًا في أنها كانت تُقاتل لحماية رنلي إن كان هناك خصم تُقاتله. لكن ظلّ؟»، وهزَّ چايمي رأسه مضيئًا: «امتشق سيفك يا سير لوراس، أرني كيف يُمكنك أن تُقاتل ظلًا. أودُّ أن أرى هذا».

لم يتزحّح السير لوراس من مكانه، وقال: «لقد هربت. هي وكاتلين ستارك تركتاه غارقًا في دمائه وهربتا، فلمَّ هربنا إن لم تكن الجريمة جرّيمتهما؟»، وحدّق إلى الطاولة متابعًا: «رنلي ولاني قيادة طليعة جيشه، وإلا لكنتُ أنا من يُساعده على ارتداء درعه. كثيرًا ما عهد إليَّ بهذا الواجب، وقد... صلينا معًا

ليلتها، ثم تركته معها. السير پارمن والسير إِمون كانا يَحْرُسَان الخيمة، والسير روبر كان موجودًا أيضًا. السير إِمون أقسم أن بريان... مع أن...».

حُثَّ چایمی على المواصلة مستشعرًا ارتيابًا في كلامه: «نعم؟». قال الصَّبِي: «واقِي العُنُق كان مخترَقًا. ضربة واحدة نظيفة نفذت من الفولاذ. دِرْع رنلي كانت الأفضل على الإطلاق، مصنوعة من أجود أنواع الفولاذ، فكيف فعلتها؟ لقد جرَّبتُ بنفسِي وعجزتُ. بريان مفرطة القوة بالنسبة لامرأة، لكن حتى الجبل نفسه كان ليحتاج إلى بلطة ثقيلة. ولم تُدرِّعه أولًا ثم تَقْتله؟»، ورمقَ چایمی حائرًا، وتابع: «إن لم يكن هي... فكيف يُمكن أن يكون ظلًّا؟!».

أجابَه چایمی وقد حزمَ أمره: «سلها. اذهب إلى زنراتها وألق عليها ما لديك من أسئلة واسمع إجاباتها. إذا ظللت مقتنعًا بأنها اغتالت اللورد رنلي فسأحرصُ على أن تدفع الثمن. الخيار سيكون لك، إمَّا أن تتهمها وإمَّا أن تُطلق سراحها. كل ما أطلبه منك أن تحكُم عليها بالعدل، بشرَّفك كفارس».

نهضَ السير لوراس قائلًا: «سأفعل، أقسمُ بشرِّي».

- «انتهينا إذن».

تحركَ الشَّاب إلى الباب، لكنه توقَّف هناك، وقال: «رنلي حسبها سخيفة، مجرد امرأة ترتدي معدن الرِّجال وتظاهر بأنها فارس».

- «لو رأها في الساتان الوردِي وشرائط الرِّينة المايريَّة لما اشتكي».

- «سألته عن سبب احتفازه بها على مقربةٍ منه ما دام يراها شاذةً هكذا، فقال إن فُرسانه الآخرين كافةٌ يُريدون منه شيئًا ما، قلاعًا أو ألقابًا أو ثروات، إمَّا بريان فلا تُريد إلا أن تموت في سبيله. حين رأيتُه ملطَّخًا بالدم وقد فرَّت هي ولم يحلَّ بالثلاثة الآخرين أذى... إذا كانت بريئةً، فروبار وإمون كانا أيضًا...»، وبتَر فارس الزُّهور عبارته وقد بدا عاجزًا عن قولها.

لم يكن چایمی قد توقَّف ليدرس هذا الجانب من الموقف، لكنه قال: «كنتُ لأفعل المِثل أيها الفارس». أتته الكذبة بسهولة، لكن السير لوراس بدا ممتنًا لها.

حين رحلَ، جلسَ حضرة القائد وحده في الحُجرة البيضاء مُسائلًا نفسه. لقد جُنَّ جنون فارس الزُّهور من حُزنه على رنلي فجنَدل اثنين من إخوته

المحلّفين، لكن لم يَخطر لِحَايَمِي على الإِطْلَاق أن يفعل المثل بالخمسة الذين خذلوا چوفري. لقد كان ابني، ابني السَّرِّي... ماذا أكون إذا لم أرفع اليد التي لديّ لأثار لدمي ونُظفتي؟ حريٌّ به أن يَقتل السير بوروس على الأقل، فقط ليتخلّص منه.

رمقَ جَدعته وتجهّم وجهه. عليّ أن أفعل شيئاً بخصوصها. إذا كان السير چاسلين بايووتر الرّاحل يرتدي يدًا حديديةً، فيَجدرُ به أن تكون يده من الذهب. قد تروق سرسي. يد ذهبية تُملس على شعرها وتضمّها إليّ بقوة. ولكن لتنتظر يده، فثمّة أمور أخرى عليه أن يعتني بها، وثمّة ديون أخرى عليه أن يُسدّها.

## سانزا

السُّلَمُ الذي يقود إلى أعلى مقدّمة السّفينة شديد الانحدار وملِيء بالشُدْفِ الخشبيّة الجارحة، فالتقطت سانزا يد لوثور برون حين مدّها إليها، السير لوثور بالأحرى كما ذكّرت نفسها، إذ نُصِبَ الرَّجُلُ فارسًا لما أبداه من إقدام في معركة (النّهر الأسود)، مع أنها لا تعرف فارسًا حقيقيًّا تليق به هذه السّرّاويل البنيّة المرقّعة أو الحذاء البالي أو الشّترّة الجلد المشقّقة المبقّعة بالماء. لوثور رجلٌ مربّع الوجه ممتلئ الجسد، له أنف عريض وشعر أشيب زغب، وقلّمًا يتكلم. لكنه أقوى مما يبدو. نَمَّ عن هذا اليسر الذي رفعها به كأن لا وزن لها على الإطلاق.

أمام مقدّمة (ملك البحار) امتدّ شاطئٌ حجري أجرد مكشوف للريّح، لا ترتفع عليه شجرة واحدة ولا يحوي أيّ معالم جذّابة، وعلى الرغم من هذا رحّبت بمرآه. لقد قضوا وقتًا طويلًا في العودة إلى مسارهم بمشقّة، بعد أن جرّفتهم العاصفة الأخيرة بعيدًا عن منظر اليابسة، ودفّعت أمواجًا عارمةً ما انفكت تتكسّر على جانبيّ القادس بشراسة جعلت سانزا تُوقن بأنهم سيغرقون جميعًا. سمعت أوزويل العجوز يقول إن الموج اكتسحّ رجلين من على السّطح، وسقط آخر من فوق الصّاري وانكسر عنقه.

لِماّما غامرت بالخروج إلى السّطح عن نفسها. قمرتها باردة رطبة، لكن سانزا أمضت معظم الرّحلة متوعّكة، سواء أمن الخوف أم الحمّى أم دُوار البحر... الخلاصة أنها لم تستطع الاحتفاظ بشيءٍ أكلته في معدتها، وحتى التّوم أتاها بصعوبة. كلما أغلقت عينها رأّت چوفري يُمزّق ياقته ويخمش جلد حلقه النَّاعم ويموت برُقاقاتٍ من قشرة الكعكة على شفّتيه وبقع



النَّيِّدَ عَلَى سُتْرَتِهِ، كَمَا أَنَّ الرِّيحَ الَّتِي ظَلَّتْ تَهْبُّ بِهَا هَوَادَةٌ، ذَكَرَتْهَا بِصَوْتِ  
الْإِمْتِصَاصِ الرَّفِيعِ الْفَظِيعِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ وَهُوَ يُقَاتِلُ لِالْتِقَاطِ أَنْفَاسِهِ. أحيانًا  
تَحْلُمُ بِتِيرِيونَ أَيْضًا، وَفِي مَرَّةٍ قَالَتْ لِلْإصْبَعِ الصَّغِيرِ عِنْدَمَا زَارَهَا فِي قَمَرِهَا  
لِيرَى إِنْ كَانَتْ حَالَتَهَا قَدْ تَحَسَّنَتْ: «تِيرِيونَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا».

- «لَمْ يَقْتُلْ چوفري، نعم، لكن يَدِّي القزم بعيدتان كلَّ البُعد عن النَّظَافَةِ.  
كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ قَبْلِكَ، هَلْ تَعْلَمِينَ هَذَا؟».

- «لَقَدْ أَخْبَرَنِي».

- «وَهَلْ أَخْبَرَكِ بِأَنَّهُ أَهْدَاهَا إِلَى حُرَّاسِ أَبِيهِ حِينَ مَلَّهَا؟ رُبَّمَا كَانَ لِيَفْعَلَ  
الشَّيْءَ نَفْسَهُ بِكَ مَعَ الْوَقْتِ. لَا تَذْرَفِي دَمْعًا عَلَى الْعِرْفِيتِ يَا سَيِّدَتِي».

مَرَّرَتْ الرِّيحُ أَصَابِعَ مَالِحَةً فِي ثَنَائِهَا شَعْرَهَا، وَارْتَجَفَتْ سَازِنَا. حَتَّى عَلَى  
هَذِهِ الْمُقْرَبَةِ مِنَ السَّاحِلِ يُصِيبُهَا ارْتِجَاجُ السَّفِينَةِ بِالْغَثِيانِ، ثُمَّ إِنَّهَا فِي أَمْسٍ  
الْحَاجَةَ إِلَى الْاسْتِحْمَامِ وَتَبْدِيلِ ثِيَابِهَا. لَا بُدَّ أَنْ يَأْبُو ضَامِرَةً كَالْجُثْثِ  
وَرَائِحَتِي قِيءٌ.

انضمَّ إِلَيْهَا اللوردُ بِيْتَرُ وَالبِشَاشَةُ لِأَيْحَةَ عَلَيْهِ كَالْمَعْتَادِ، وَقَالَ: «طَابَ  
صَبَاحِكِ. الْهَوَاءُ الْمَالِحُ مَنَعَشٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ إِنَّهُ يَفْتَحُ شَهِيَّتِي دَوْمًا»، وَطَوَّقَ  
كَتْفَيْهَا بِذِرَاعِهِ، وَسَأَلَهَا مَتَعَاظِفًا: «هَلْ أَنْتِ بِخَيْرٍ؟ تَبْدِينَ شَاحِبَةً لِلْغَايَةِ».

- «إِنَّهَا مَعْدَتِي لَا أَكْثَرَ، دُورَ الْبَحْرِ».

- «قَلِيلٌ مِنَ النَّيِّدِ سِيرِيحِكِ. سَنُحْضِرُ لَكَ كَأْسًا فُورَ أَنْ نَرَسُو»، وَأَشَارَ بِيْتَرُ  
إِلَى حَيْثُ يَقِفُ بُرْجٌ قَدِيمٌ مِنَ الصَّوَّانِ تَرَسِمُ السَّمَاءَ الرَّمَادِيَّةَ الْكَثِيْبَةَ حُدُودَهُ  
وَيَتَكَسَّرُ الْمَوْجُ عَلَى الصُّخُورِ أَسْفَلَهُ، وَأَرْدَفَ: «مَنْظَرٌ مَبْهَجٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟  
أَخْشَى أَنَّهُ لَا يُوْجِدُ مَرَسِيَّ آمِنَ هُنَا. سَنَذْهَبُ إِلَى الشَّاطِئِ بِقَارِبٍ».

- «هَنَا؟». إِنَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَنْزَلَ إِلَى الْيَابِسَةِ هُنَا. لَقَدْ سَمِعَتْ أَنَّ (الْأَصَابِعِ)  
مَكَانَ قَفَرٍ، وَثُمَّ طَابِعَ مِنَ الْوَحْشَةِ وَالتَّعَاسَةِ فِي مَنْظَرِ الْبُرْجِ الصَّغِيرِ. «أَلَا  
يُمْكِنُنِي الْبَقَاءُ عَلَى السَّفِينَةِ حَتَّى نُبْحِرَ إِلَى (الْمِينَاءِ الْأَبْيَضِ)؟».

- «مِنْ هُنَا سَتَدُورُ (الْمَلِكُ) شَرْقًا إِلَى (بِرَافُوسِ)، وَلَنْ نَكُونَ عَلَى مَتْنِهَا».

- «لَكِنْ... سَيِّدِي، لَقَدْ قَلْتُ... قَلْتُ إِنَّا مَبْحَرُونَ إِلَى الْوَطَنِ».

- «وَهَا هُوَ ذَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ بؤْسِهِ، وَطَنِ أَسْلَافِي. أَخْشَى أَنَّهُ بَلَا اسْمِ.  
وَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ لِمَقَرِّ اللوردِ الْكَبِيرِ اسْمٌ، أَلَا تَتَّفَقِينَ مَعِي؟ (وَيَنْتَرَفِلُ)،

(العُش)، (ريفررن)، تلك قلاع. سيّد (هارنهال) لها وقع جذّاب، لكن ماذا كنتُ قبل ذلك؟ سيّد خراء الغنم وزعيم معقل الكآبة؟ شيء ما ناقص، ورمقتها عيناه الخضراوان الضّاربتان إلى الرّمادي ببراءة، وقال: «تبدّين مضطربةً. أكنتِ تحسّينا ذاهبين إلى (ويتترفل) يا حلوتيّ؟ (ويتترفل) احتلّت وأحرقّت ونُهبت، كلُّ من عرفِ وأحبّبت ماتوا، والشمالثيون الذين لم يسقطوا أمام الحديديين يُقاتلون بعضهم بعضًا. حتى (الجدار) يتعرّض للهجوم. (ويتترفل) كانت موطن طفولتكِ يا سانزا، لكنكِ لم تعودِي طفلةً، إنكِ امرأةٌ بالغة، وعليكِ أن تبني موطنكِ بنفسكِ».

قالت مذعورةً: «لكن ليس هنا. المكان يبدو...».

- «صغيرًا وموحشًا وأجذب؟ هو كلُّ هذا وأقلُّ. (الأصابع) مكان جميل لو أنكِ حجرتِ، لكن لا تخافي، فلن نبقي هنا أكثر من أسبوعين. أعتقدُ أن خالكِ في الطريق إلينا بالفعل»، وابتسم مضيئًا: «أنا والليدي لا يساستزوّج». قالت سانزا بذهول: «تتزوّج؟ أنت وخالتي؟».

- «سيّد (هارنهال) وسيّدة (العُش)».

قلت إن أمّي هي من أحبّبت. لكن الليدي كاتلين ماتت بالطبع، وإذا كانت قد أحبّبت بيتر في الخفاء وسلمته بتولتها حقًا، فلا فرق الآن. قال: «ما بالكِ صامته يا سيّدي؟ كنتُ أعتقدُ أنكِ ستباركين لي. من النّادر أن يتزوّج صبيٌّ وُلدَ وريثًا للحجارة، وبراز الخراف ابنة هوستر تلي وأرملة چون آر».

- «أ... أتمنى أن تقضيا أعوامًا طويلةً معًا وتنجبا أطفالًا كثيرين ويجد كلُّ منكما السّعادة في الآخر». سنوات مضت منذ رأيت سانزا أخت أمّها. مؤكّد أنّها ستُحسّن معاملتي لأجل خاطر أمّي، إننا دم واحد. (وادي آر) جميل كما تقول الأغاني كلها. ربما لن يكون البقاء هنا فترةً بهذا السّوء.

جذّف لوثور وأوزويل العجوز بهما إلى الشّاطيء، وقد قبعت سانزا في المقدّمة تحت معطفها ورفعت القلنسوة لتقي نفسها من الرّيح، تتساءل طيلة الرّحلة القصيرة عمّا ينتظرها. خرج الخدم من البرج للقائهم؛ امرأة عجوز نحيلة وامرأة سمينة في منتصف العمر وشيخان ابيضّ شعرهما وفتاة في الثّانية أو الثّالثة على أحد جفنيها دُمّل. ركعوا على الصّخور حين تعرّفوا للورد بيتر،

الذي قال لسانزا: «أهل بيتي. لا أعرفُ الطَّفلة. أظنُّها واحدةٌ أخرى من نغول  
كِلا. إنها تلد واحدًا كل بضعة أعوام».

خاضَ الشَّيخان في الماء حتى الورك ليرفعا سانزا من القارب لثلاثًا تبتلَّ  
تُورتهما، بينما نزلَ أوزويل ولوثور وتحركا إلى الشَّاطِئِ مشيًا كما فعلَ الإصبع  
الصَّغير نفسه. طبعَ قُبلةً على حَدِّ العجوز، وابتسم للثانية قائلاً: «مَن أبوها يا  
كِلا؟».

ضحكتَ السَّمينة مجيبةً: «لا أعرفُ بالصَّبط يا سيِّدي. إنني لا أرفضهم  
أبدًا».

- «أنا واثق بأن كلَّ الفِتيّة المحليِّين ممتنون».

قال أحد الشَّيخين: «مرحبًا بك في دارك يا سيِّدي. كم سُنَّيم معنا؟». يبدو  
الرَّجل في الثمانين على الأقل، لكنه يرتدي سِتْرَةً طويلةً مطعَّمةً بالحديد،  
ويتدلَّى سيف طويل من جانبه.

- «أقصر مدَّة ممكنة يا برايان، لا تخف. هل المكان صالح للإقامة الآن؟».  
أجابته العجوز: «لو علمنا بقدمك لوضعنا حصيرًا نظيفًا يا سيِّدي. ثمة  
نار موقَّدة في الرُّوث».

قال بيتر: «لا شيء أفضل لاستقبال المرء في الوطن من رائحة الرُّوثِ  
المحروق»، والتفت إلى سانزا مردفًا: «جريزل كانت مرضِعتي، لكنها تتولى  
قلعتي الآن. أومفريد وكيلي، وبرايان... ألم أسمِّك قائدًا للحرس عندما كنتُ  
هنا آخر مرَّة؟».

- «بلى يا سيِّدي، وقلت إنك ستجلب لنا مزيدًا من الرِّجال أيضًا، لكنك  
لم تفعل. أنا والكلاب نتولَّى نوبات الحراسة كلَّها».

- «وخير حراسة بالتأكيد. أرى بوضوح أن لا أحد سرق شيئًا من صخوري  
أو بُراز خرافي»، وأشار بيتر إلى السَّمينة متابعًا: «كِلا ترعى قُطعاني الغفيرة.  
كم خروفاً أملك الآن يا كِلا؟».

تفكرت لحظةً قبل أن تُجيب: «ثلاثة وعشرون يا سيِّدي. كانت تسعةً  
وعشرين، لكن كلاب برايان قتلت واحدًا، وذبحنا عددًا آخر وملحنا اللحم».

- «آه، لحم الضَّأن المملَّح البارد. لا بُدُّ أني في الوطن حقًا. حين أفضُرُّ  
على بيض التُّوارس وحساء الطحالب سأتأكَّد تمامًا».

قالت جريزل العجوز: «إذا أردت يا سيدي».

قال بيتر وامتعاضه باد عليه: «هيا، لنر إن كانت قاعتي تغم النفس كما أذكرها»، وقادهم على الشاطئ فوق الصُخور الرُّلقة مما عليها من طحالب تتعفن. كانت مجموعة من الأغنام تسرح وترعى حول قاعدة البُرج الصَّوَّان، تأكل من العُشب النَّامي بين الزَّربية والاسطبل المسقوف بالقش، وخطت سانزا بحذر متفادية البُراز المنتشر في كلِّ مكان.

من الدَّاخِل يبدو البُرج أصغر. يلتف سلَّم حجري بلا حاجز حول الجدار الدَّاخلي صاعدًا من القبو إلى السَّقْف، ويتكوَّن كلُّ طابق من عُرفةٍ واحدة، ويضمُّ الطابق الأرضي المطبخ الذي يعيش فيه الخدم ويتقاسمون مساحته مع درواس ضخم لونه رداميٌّ داكن ونصف دستة من كلاب رعي الماشية، وتعلو المطبخ قاعة متواضعة تعلوها عُرفة النَّوم. ليست هناك نوافذ، وإنما فتحات رماية محفورة على مسافات منتظمة في الجدار الخارجي بمحاذاة انحناءات السُّلَّم، وفوق المستوقد عُلق سيف طويل مكسور وُرس بلوطي بالِ طلاؤه مشقَّق متقشَّر.

لم تتعرَّف سانزا الرَّمز المرسوم على الثُّرس، الرَّأس الحجري الرَّمادي ذو العينين النَّاريَّتين على خلفيَّة من الأخضر اليناع، ولمَّا رآها بيتر ترَّمقه قال: «ثُرس جدِّي. كان أبوه من مواليد (برافوس)، وجاء (الوادي) كمرتزق استأجره اللورد كوربراي، فاتَّخذ جدِّي رأس (المارد) رمزًا له لدى تنصيبه فارسًا».

قالت سانزا: «يبدو عاتيًّا جدًّا».

- «عات أكثر من اللازم بالنسبة لشخصٍ وديعٍ مثلي. أفضلُّ طائر المُحاكي

الذي اتَّخذته رمزًا عن هذا كثيرًا».

عادَ أوزويل إلى (ملك البحار) مرَّتين لإفراغ المون، وبين الحمولات التي جلبها إلى الشاطئ عدَّة براميل من التَّبِيد، فصَبَّ بيتر لسانزا كأسًا كما وعد، وقال: «تفضلي يا سيديتي، أمل أن يُريح معدتك».

كان وقوفها على أرض ثابتة قد أراحها بالفعل، لكنها أذعنَّت ورفعت الكأس بكلتا يديها وأخذت رشفةً، لتجده نبيدًا ممتازًا للغاية، من قِطاف (الكرمة) كما خمَّنت، في مذاقه السَّنديان والفواكه وليالي الصَّيف الحارَّة، وأينعت النَّكهات في فمها كزهرةٍ تفتَّح في الشَّمس، وإن تمَّنت أن تستطيع

الاحتفاظ به في معدتها، فاللورد پيتر يُعَامِلُهَا بِمُنْتَهَى المودَّة، وليست تُريد أن تقيء عليه وتُفسد كلَّ شيء.

رأته يتمعنَّ فيها من فوق كأسه وعينه الخضران المائلتان إلى الرمادي يملأهما... أهو الاستمتاع أم شيء آخر؟ لا تدري حقًا.

نادى العجوز قائلاً: «جريزل، أحضري لنا طعامًا. لا شيء ثقيلًا، فسيئتي رقيقة المعدة. القليل من الفاكهة ربما. أوزويل جلب برتقالًا ورمانًا من (الملك)».

- «أمرك يا سيدي».

سألت سانزا: «ألي بحمام ساخن أيضًا؟».

- «سأجعلُ كلاً تُسخنُ ماءً يا سيدي».

أخذت سانزا رشفةً أخرى من النبيذ، وحاولت أن تُفكِّر في شيء مهذب تقوله، لكن اللورد پيتر وفرَّ عليها الجهد، وقال عندما رحلت جريزل والخدم الآخرون: «لا يسا لن تأتي وحدها. يجب أن نتفق على هويتك قبل أن تصل».

- «هو... لا أفهم».

- «جواسيس فارس في كلِّ مكان، وإذا شوهدت سانزا ستارك في (الوادي) فسيعلم الخصيُّ قبل أن يدور القمر، وسيصنع هذا... تعقيدات مؤسفة. ليس مأمونًا أن تكوني ستارك الآن، ولذا سنُخبر قوم لا يسا بأنك ابنتي الطبيعيَّة».

قالت مفزوعةً: «الطبيعيَّة؟ تعني الثغلة؟».

- «لا يُمكنك أن تكوني ابنتي الشرعيَّة، فأنا لم أتزوَّج قطُّ، وهذا معروف للجميع. ماذا سيكون اسمك؟».

- «أ... أستطيع أن أخذ اسم أمِّي...».

- «كاتلين؟ اسم لافِت أكثر من اللازم... لكن لا بأس إذا أخذت اسم أمِّي أنا، إليني. ما رأيك؟».

أجابت متمنيَّة أن تتذكَّره: «إليني اسم جميل، لكن ألا يُمكن أن أكون ابنةً شرعيَّةً لفارس ما في خدمتك؟ ربما مات وهو يُقاتل بشجاعة في معركة ما و...».

- «ليس هناك فُرسان شجعان في خدمتي يا إليني. حكاية كهذه ستجذب

أَسْئَلَةٌ غَيْرَ مَرْغُوبَةٍ كَمَا تَجْتَذِبُ الْجُثْثَ الْغُرْبَانَ، بَيْنَمَا مِنَ الْوَقَاحَةِ أَنْ يَتَطَفَّلَ النَّاسُ عَلَى أَوْلَادِ الْمَرْءِ الطَّبِيعِيِّينَ»، وَمَالَ بِرَأْسِهِ سَائِلًا: «مَنْ أَنْتِ إِذَنْ؟». قَالَتْ: «إِلَيْنِي... سَتُونَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»، وَلَمَّا أَوْمَأَ إِيْجَابًا سَأَلَتْهُ: «لَكِنْ مَنْ أُمِّي؟».

- «كَيْلَا؟».

رَدَّتْ مَرْغُوبَةً: «لَا، أَرْجُوكِ».

- «كُنْتُ أَمْزُحٌ. أُمُّكِ كَانَتْ نَبِيلَةً مِنْ (بِرَاثُوسِ)، ابْنَةُ أَمِيرِ تَاجِرِ التَّقِينَا فِي (بَلَدَةِ النَّوَارِسِ) حِينَ كُنْتُ مَسْؤُولًا عَنِ الْمِينَاءِ، وَمَاتَتْ وَهِيَ تَلْدُكِ وَعَهَدَتْ بِكِ إِلَى (العَقِيدَةِ). عِنْدِي بَعْضُ كُتُبِ الْعِبَادَةِ الَّتِي يُمَكِّنُكَ أَنْ تَطَّلِعِي عَلَيْهَا. تَعَلَّمِي أَنْ تَقْتَبِسِي مِنْهَا. لَا شَيْءَ يَصْرِفُ الْمَرْءَ عَنِ الْأَسْئَلَةِ غَيْرَ الْمَرْغُوبَةِ كَالثَّرَثَةِ فِي الدِّينِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ، حِينَ أَزْهَرَتْ وَجَدْتِ أَنْكِ لَا تُرِيدِينَ أَنْ تُصَبِّحِي سِبْطَةً وَكُتِبَتْ إِلَيَّ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَعْلَمُ بِوُجُودِكِ»، وَسَأَلَهَا مَدَاعِبًا لِحَيْتِهِ: «هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَذَكَّرِي كُلَّ هَذَا؟».

- «أَمَلُ هَذَا. كَأَنَّهَا لُعْبَةٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

- «هَلْ تَحْبِبِينَ الْأَلْعَابَ يَا إِلَيْنِي؟».

رَدَّتْ مَفْكَرَةً أَنَّهَا سَتَسْتَعْرِقُ وَقْتًا حَتَّى تَعْتَادَ الْاسْمَ الْجَدِيدَ: «الْأَلْعَابُ؟... أَظُنُّ أَنْ الْأَمْرَ يَعْتمَدُ عَلَيَّ...».

قَبْلَ أَنْ يُقَالَ الْمَزِيدَ ظَهَرَتْ جَرِيْزَلٌ مُوَازِنَةٌ صَحْفَةٌ كَبِيرَةٌ وَوَضَعَتْهَا بَيْنَهُمَا وَعَلَيْهَا تُفَاحٌ وَكَمْثَرَى وَرُؤْمَانٌ وَالْقَلِيلُ مِنَ الْعَنْبِ الذَّابِلِ وَبِرْتَقَالَةٍ دُمُوعِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، كَمَا جَلَبَتِ الْعَجُوزُ رَغِيْفًا مِنَ الْخُبْزِ وَقَالْبًا مِنَ الرُّبْدَةِ.

قَطَعَ پيْتَرُ رُؤْمَانَةً إِلَى نِصْفَيْنِ بِخَنْجَرِهِ، وَقَدَّمَ أَحَدَهُمَا إِلَى سَازِنَا قَائِلًا: «عَلَيْكَ أَنْ تَأْكُلِي يَا سَيِّدَتِي».

- «أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي». لَكِنْ أَكَلَ حَبَّ الرُّؤْمَانِ يَصْنَعُ الْكَثِيرَ مِنَ الْفَوْضَى، فَانْتَقَتْ ثَمْرَةً كَمْثَرَى بَدَلًا مِنْهُ وَأَخَذَتْ قِضْمَةً صَغِيرَةً رَقِيْقَةً، فَوَجَدَتْهَا نَاضِجَةً لِلْغَايَةِ وَسَأَلَ الْعَصِيرَ عَلَى ذَقْنِهَا.

خَلَخَلَ اللُّورْدُ پيْتَرَ حَبَّةَ رُؤْمَانٍ بِرَأْسِ خَنْجَرِهِ، وَقَالَ: «لَا بُدَّ أَنْكِ تَمْتَقِدِينَ أَبَاكَ كَثِيرًا، أَعْلَمُ هَذَا. اللُّورْدُ إِدَارْدُ كَانَ رَجُلًا شَجَاعًا وَصَادِقًا وَوَفِيًّا... وَإِنَّمَا

لاعب خائب تمامًا»، ورفع الحبة إلى فمه بالخنجر مواصلاً: «في (كينجز لاندنج) هناك نوعان من النَّاس، اللاعبون والبيادق». سألته متوجِّسَةً من الإجابة: «وأنا كنتُ بيدقًا؟».

- «نعم، لكن لا تدعي هذا يُزعجك. إنك ما زلتِ طفلةً. كلُّ رجلٍ بيدق في البداية، وكلُّ فتاةٍ أيضًا، حتى بعض من يتصوِّرون أنفسهم لاعبين»، وأكل حبةً أخرى قبل أن يتابع: «سرسى على سبيل المثال تحسب نفسها ماهرةً، لكن جميع تصرفاتها يُمكن التنبؤ به. قوتها تركز على جمالها ونسبها وثروتها، وأول هذه الأشياء فقط ملكها وحدها، وقريبًا سيتخلَّى عنها، وكم أشفقُ على ما ستصيره وقتها. إنها تشتهي السطوة، وإن كانت لا تملك أدنى فكرة عمَّا تفعله بها بمجرد أن تنالها. كل امرئٍ يُريد شيئًا ما يا إني، وعندما تعلمين ما يُريده المرء فستعلمين من يكون وكيف تُحرِّكينه».

- «كما حرَّكت السير دونتوس لتسميم چوفري؟». كانت قد قرَّرت أن دونتوس هو من فعلها بالتأكيد.

ضحك الإصبع الصَّغير، وقال: «السير دونتوس الأحمر كان قربة خمر لها ساقان، ولم يكن بإمكانه ائتمانه على مهمَّة بهذه الجسامه على الإطلاق. كان ليُفسد الأمر. أو يخونني. لا، ما كان على دونتوس إلا أن يخرج بك من القلعة... ويحرص على أن ترتدي شبكة الشَّعر الفضيَّة».

الجَمَّسْتُ الأسود. «لكن... إن لم يكن دونتوس، فمن؟ ألدك... بيادق أخرى؟».

قال بيتر: «يُمكنك أن تقبلي (كينجز لاندنج) رأسًا على عقب ولن تجدي رجلًا أوحد على قلبه رمز المُحاكي، لكن هذا لا يعني أنني بلا أصدقاء»، وذهب إلى السَّلام منادياً: «أوزويل، تعال لتلقني الليدي سانزا نظرةً عليك». ظهر العجوز بعد دقائق قليلة وعلى وجهه ابتسامة واسعة، وانحنى لسانزا التي حدجته بحيرة متسائلة: «ما المفترض أن أراه؟».

- «هل تعرفينه؟».

- «لا».

- «أمعني النَّظر».

تفحَّصت وجه العجوز الذي لوَّحته تقلبات الرِّياح وأنفه المعقوف وشعره

الأبيض ويديه الضَّخمتين بارزَتِي المفاصل. فيه شيءٌ مألوف بالفعل، لكن سانزا هزَّت رأسها قائلةً: «لا أعرفه. لم أرَ أوزويل قطُّ قبل أن أركب قاربه، إنني واثقة».

ابتسمَ أوزويل كاشفاً عن أسنانه المعوجَّة، وقال: «نعم، لكن ربما التقت سيِّدتي أبنائي الثلاثة».

ذَكَرهُ أولئك الأبناء الثلاثة مجتمعاً بهذه الابتسامة هو ما جعلها تظنن إلى هُوِيَّتِهِ أخيراً، واتَّسعت عينها صائحةً: «كتلبلاك! أنت كتلبلاك!».

- «أجل يا سيِّدتي، بعد إذن سعادتك».

قال اللورد پيتر: «إنها تطير سعادةً»، وصرَّفه بإشارةٍ من يده وعادَ إلى رُمانته بينما نزلَ أوزويل السَّلام، وسألها: «أخبريني يا إني، أيهما أخطر؟ خنجر يُلوِّح به عدوٌّ مهدِّداً في وجهك أم خنجر خفي يُوجِّهه أحد لا تريئه إلى ظهرِك؟».

- «الخنجر الخفي».

ابتسمَ وحُمْرة الرُّمَّان تلمتَّع على شفَّتيه الرِّفيعتين، وقال: «فتاة ذكيَّة. عندما صرفَ العِفرِيت حرسها جعلت الملكة السير لانسل يستأجر لها مرتزقةً، وعثرَ لانسل على الإخوة كتلبلاك، وهو ما أسعدَ السيِّد زوجكِ الصَّغير، بما أن الثلاثة كانوا يعملون لحسابه بالفعل عن طريق رجله برون»، وقهقهة مضيِّفاً: «لكن أنا من قال لأوزويل أن يُرسلَ أبناءه إلى (كينجز لاندنج) لدى معرفتي ببحث برون عمَّن يستأجرهم. ثلاثة خناجر خفيَّة يا إني، ثلاثة خناجر في مكانها المثالي الآن».

سألته متذكِّرةً أن السير أوزموند كان قريباً من الملك طيلة اللَّيلة: «إذن أحد الإخوة كتلبلاك هو من وضعَ السُّمِّ في كأسِ چوف؟».

شطرَ اللورد پيتر البرتقالة إلى نصفين بخنجره، وقَدَّم إليها أحدهما قائلاً: «هل قلتُ هذا؟ الفتية غادرون ولا يُمكن أن يكونوا جزءاً من مخطِّط كهذا... وأوزموند بالذات أصبحَ أقلَّ جدارةً بالثقة منذ التحقَّ بالحرس الملكي. لقد وجدتُ أن ذلك المعطف الأبيض يفعل أشياءً عجيبةً بالرجال، حتى من على شاكلته»، وأمالَ رأسه إلى الوراء واعتصرَ البرتقالة ليسيل العصير في فمه، ثم قال وهو يمسحُ أصابعه: «أحبُّ العصير لكني أكرهُ الأصابع اللزجة. الأيدي النَّظيفة يا سانزا. احرصي مهما فعلتِ على أن تبقى يداكِ نظيفتين».



تناولت سانزا القليل من العصير بملعقة، وقالت: «لكن إذا لم يكن القاتل أحد الإخوة كِتلبلادك ولم يكن السير دونتوس... أنت لم تكن في المدينة حتى، ولا يُمكن أنه تيريون...».

- «لا تخمينات أخرى يا حلوتي؟».

قالت وهي تهزُّ رأسها: «لستُ...».

قال مبتسمًا: «أراهنك أن في وقتٍ ما خلال الأُمسيَّة قال لك أحدهم إن شبكة شعرك ملتوية وسوَّاهَا لك».

مصدومة رفعت سانزا يدها إلى فمها، وقالت: «لست تعني... لقد أرادت أن تأخذني إلى (هايجاردن)، أن تزوّجني حفيدها...».

- «ويلاس تايرل العطوف التقيّ طيّب القلب. عليك أن تمتني لخلاصك منه. كان ليُضجرك حتى الموت. أمّا العجوز فأعترف بأنها ليست مضجرة البتَّة. إنها حيزبون مخيفة، وليست بالهشاشة التي تتظاهر بها إطلاقًا. عندما ذهبتُ إلى (هايجاردن) لأساوم على يد مارچري تركت ابنها اللورد يُرغي ويُزبد فيما وجَّهت هي أسئلةً قاطعةً عن طبيعة چوفري، وقد أسهبتُ في الإشادة به بالطبع... على حين نشرَ رجالي حكاياتٍ مروّعة بين خدم اللورد تايرل. هكذا تُلعَب اللعبة. ثم إنني زرعتُ فكرة انضمام السير لوراس إلى الحرس الملكي، وإن لم أقترحها مباشرةً كي لا أبدو فجأً، لكن رجالاً ممن صاحبوني ردّدوا حكاياتٍ بشعة عن قتل الغوغاء السير پرستون جرينفيلد واغتصاب الليدي لوليس، ونقدوا جيش اللورد تايرل من المطربين القليل من الفضة ليُعْثُوا عن ريام ردواين وسروين ذي الثُرس المرأة والأمير إيمون الفارس التّنين. القيثار لا تقلّ خطورةً عن السيف في اليد السليمة. الحقيقة أن مايس تايرل اعتقد أن جعل انضمام السير لوراس إلى الحرس الملكي جزءًا من عقد الزّواج فكرة تفتق عنها ذهنه هو، فمن أفضل لحماية ابنته من أخيها الفارس المغوار؟ ثم إنها أغتته عن مشقّة العثور على أراض وعروس لابنه الثّالث، وهو الشّيء الذي ليس سهلاً أبدًا، وصعوبته مضاعفةً في حالة السير لوراس. لكن على الرغم من كلِّ هذا لم تكن الليدي أولينا ستسمح لچوف بأن يُؤذي حفيدتها الغالية الحبيبة، وعلى عكس ابنها أدركت أن تحت الزُّهور والثياب الثمينة لا يقلُّ السير لوراس نزقًا عن چايمي لانستر. ضعي چوفري

ومارچري ولوراس معًا في إناءٍ واحد وستكون لديك مقادير حساء قاتل ملك. والعجوز استوعبت شيئًا آخر أيضًا، أن ابنها عازم على جعل مارچري ملكةً، ولأجل هذا فإنه يحتاج إلى ملك... لكنه لا يحتاج إلى چوفري تحديدًا. قريبًا سيقيم زفاف آخر، انتظري وسترين. مارچري ستتزوج تومن، وستحفظ بتاجها وعذريتها، مع أنها ليست راغبةً في أيهما بشكل خاص، لكن ما الفرق؟ الحلف الغربي العظيم سيظل محفوظًا... فترةً على الأقل».

مارچري وتومن. لم تدرِ سانزا بَم تردُّ. لقد أحبَّت مارچري تايرل وجدَّتْها الضَّيِّلة سليطة اللسان. فكرت بحزنٍ في (هايجاردن) بساحتها وموسيقيتها وقوارب التُّزْهة على صفحة (الماندر)، التَّقْيِض من هذا السَّاحل الكئيِّب. إنني آمنة هنا على الأقل. چوفري مات ولا يُمكنه أن يُؤذني ثانيةً، وأنا مجرد نغلة الآن. إليني ستون فتاة بلا زوج أو تركة. ثم إن حالتها ستصل قريبًا. كابوس (كينجز لاندنج) الطَّويل أصبح وراءها، ومهزلة زواجها أيضًا، والآن تستطيع أن تبني لنفسها موطنًا جديدًا، تمامًا كما قال بيتر.

ثمانية أيام طويلة مرَّت قبل وصول لايسا آرن، وطوال خمسة منها انهمرَ المطر بينما جلست سانزا شاعرةً بالملل والقلق إلى جوار النَّار، ومعها كلب عجوز كفيف سقطت أسنانه ولم يُعد مرضه يسمح له بمشاركة برايان الحراسة، فيقضي معظم الوقت نائمًا، لكن عندما ربَّت عليه أصدر أنينًا ولعقَ يدها، ومنذ ذلك الحين وهما صديقان. لَمَّا انقطع المطر تجوَّل بيتر معها حول أملاكه، وهو ما استغرق أقلَّ من نصف يوم. إنه يملك الكثير من الصُّخور كما قال، وثمَّة بقعة ينبثق فيها الماء من خيشوم ساحلي<sup>(1)</sup> ويرتفع ثلاثين قدمًا في الهواء، وبقعة أخرى نقش أحدهم فيها نجمة الآلهة الجديدة السُّباعية على جُلمود. قال بيتر إن الجُلمود يُعلِّم أحد الأماكن التي رسا فيها الأندالوثيون عندما عبروا البحر لينتزعوا (الوادي) من البشر الأوائل.

إلى الدَّاخل أكثر تعيش دسنة من الأسر في أكواخ من الحجارة المكوَّمة تطل على مستنقع، وقال بيتر إنهم قومه، مع أن أكبرهم سنًا فقط عرفوه. على

(1) الخيشوم السَّاحلي ظاهرة جيولوجية تنشأ عن تضاعف الأمواج داخل الكهوف البحرية التي تضمُّ شقوقًا أو فواصل رأسية، فتخرج المياه على هيئة رذاذ من سطح الأرض. (المترجم).

أرضه كهف ناسك أيضًا، لكن النَّاسك غائب، وقد شرحَ بيتر: «لقد مات، لكن أبي أخذني لزيارته في صباي. لم يكن الرَّجل قد اغتسل منذ أربعين عامًا، فلك أن تتخيَّلي رائحته، لكن يُفترض أنه كان يتمتَّع بموهبة النَّوَّة. تلمَّسني قليلًا وقال إنني سأصبحُ رجلًا عظيمًا، ولأجل هذا أعطاه أبي قربة نبيذ»، وأطلقَ خبيرًا ساخرًا، وأضاف: «كنتُ لأقول له الكلام نفسه مقابل نصف كوب».

أخيرًا، ذات أصيل غائم قوي الرِّيح، عادَ برايان جريًا إلى البُرج وكلايه تنبح في أعقابه، ليعلِّن أن هناك خيَّالة يقتربون من الجنوب الغربي، فقال اللورد بيتر: «لايسا. هلمِّي يا إليني، لنخرُج ونستقبلها».

ارتديا معطفيهما وانتظرا في الخارج. لم يكن عدد الرَّاكبين يزيد على العشرين، فرقة متواضعة للغاية بالنسبة لسيدة (العُش). كانت معها ثلاث وصفات ودسته من الفُرسان مرتديي القمصان والدُّروع المعدن، كما جلبت سبتونًا ومطرَبًا وسيماً له شارب خفيف وشعر طويل بلون الرَّمَل.

أهذه خالتي حقًا؟ لايسا تصغر أمها بعامين، لكن هذه المرأة تبدو أكبر منها بعشرة أعوام كاملة. تنسدل الخُصلات الكستنائية الغزيرة متجاوزةً خصرها، لكن تحت الفُستان المخملي الثمين والصُّدار المحلّي بالجواهر يبدو جسدها منتفخًا مترهلاً، ووجهها متورِّد مطلي بالمساحيق، وثدياها ثقلان، وأطرافها غليظة، كما أنها أطول قامةً من الإصبع الصَّغير وأثقل وزنًا، وعن حركتها غابت الرِّشاقة تمامًا عندما ترجَّلت من على ظهر حصانها.

ركعَ بيتر ليلثم أصابعها، وقال: «مجلس الملك الصَّغير أمرني بأن أتودَّد إليك وأربحك يا سيِّدتي، فهل تقبلينني سيِّدًا وزوجًا لك؟».

مطَّت الليدي لايسا شفيتها وسحبته لينهض وطبعت قبلةً على وجنته محببةً: «أوه، ربما هناك وسيلة لإقناعي»، وفهقهت مضيفةً: «هل أحضرت هدايا تُذيب بها قلبي؟».

- «سلام الملك».

- «أوه، خراء على السَّلام. ماذا أحضرت أيضًا؟».

أشارَ الإصبع الصَّغير لسانزا بالاقتراب قائلاً: «ابنتي. سيِّدتي، اسمحي لي بأن أقدم لك إليني ستون».

لم يبدُ الشُّرور على الليدي لايسا لمرآها. انحنت سائزاً بشدَّةٍ خافضةً رأسها، وسمعتَ خالتها تقول: «نغلة؟ بيتر، يا لك من مشاغب. مَن كانت أمُّها؟».

- «لقد ماتت. كنتُ أملُ أن آخذَ إليني إلى (العُش)».

- «وماذا أفعلُ بها هناك؟».

- «عندي بضعُ أفكار، لكنني مهتمُّ أكثر الآن بما أفعله أنا بكِ يا سيِّدتي».

ذابَ التَّجهمُ كله من على وجه لايسا آرَن المتورِّد المستدير، وحسبتَ سائزاً لحظةً أن خالتها ستجھش بالبكاء وهي تقول: «بيتر الحبيب، لست تعلم كم اشتقتُ إليك، لست تعلم. يون رويس أثارَ الكثير من المتاعب ويطالِبني بأن أستدعي رياتي وأدخل الحرب، والآخرون لا يتركونني في حالي أبداً، هنتر وكوربراي وذلك البغيض نستور رويس، كلهم يُريدون أن يتزوَّجوني ويُرَبُّوا ابني، لكن لا أحد منهم يحبُّني حقًّا. ليس هناك إلاك يا بيتر، لقد حلمتُ بك طويلاً».

قال: «وأنا بكِ يا سيِّدتي»، وطوَّقها بذراعه وقبَّلَ عنقها متسائلاً: «متى يُمكننا أن نتزوَّج؟».

أجابَت الليدي لايسا متنهِّدةً: «الآن. لقد أحضرتُ سِبْتوناً ومطرباً، وبتعاً لمأدبة الزِّفاف».

لم يبدُ راضيًّا عن إجابتها وهو يقول: «هنا؟ أفضلُ أن أتزوَّجكِ في (العُش) في حضور بلاطِكِ كله».

- «خراء على بلاطي. لقد انتظرتُ طويلاً جدًّا ولا أحتملُ الانتظار لحظةً أخرى»، واحتوته بذراعه متابعَةً: «أريدُ أن أشارككِ فراشكِ الليلة يا حبيبي، أريدُ أن نُنجب طفلاً آخر، أحًا لروبرت أو بنتًا جميلةً».

- «أنا أيضًا أحلمُ بهذا يا جميلتي، لكن هناك الكثير مما يُمكننا أن نجنيه من زفافِ عني عظيم، و(الوادي) كله...».

قاطعته ضاربةُ الأرض بقدمها: «لا. أريدك الآن، الليلة، وعليَّ أن أحذرك، بعد كلِّ هذه السنين من الصَّمْت والهَمس سأصرخُ حين تُطارِحني الغرام، سأصرخُ بأعلى صوتي لسمعوني في (الوادي)!».

- «ربما يُمكنني أن أشارككِ الفراش الآن وأعقدُ قراني عليكِ لاحقًا».

قهقهتَ الليدي لايسا بجذَلٍ كفتاةٍ صغيرة، وقالت: «أوه، بيتر بايلش، كم

أنت خبيث! لا، لا، أنا سيّدة (العُش) وأمرُك بأن تتزوَّجني في التَّوِّ واللَّحظة!». هَزَّ بيتر كتفيه قائلاً: «كما تأمر سيّدتي إذن. إنني بلا حيلةٍ أمامك كالمعتاد». وقبل انقضاء السَّاعة ردَّدًا نذورها تحت مظلة بلون السَّماء بينما غاصَّت الشَّمس في الغرب، وبعدها نُصِبَت الموائد أمام البُرْج الصَّوَّان الصَّغير، وأكلوا وليمةً من طيور السَّمَّان ولحم الغزلان والخنازير البرِّيَّة المشوي، وشرَبوا بتعًا خفيفًا طيَّب المذاق. أُضِيَّت المشاعل عندما بدأ الغسق يزحف على العالم، وغنَّى مطرب لايسا (العهد الصَّامت) و(مواسم حبيبي) و(قلبان ينبضان كواحد)، وطلبَ عدد من الفُرسان الشُّبَّان الرِّقص مع سانزا، ورقصت خالتها أيضًا لتدور تُنورتها كدَوَّامة وبيتر يُدوِّرها بذراعيه. خصمَ الشَّراب والزَّواج سنيًا من سِنِّ الليدي لايسا التي ضحكَّت على كلِّ شيءٍ ما دامت ممسكةً يد زوجها، وبرقت عيناها كلما نظرت إليه.

لَمَّا حَانَ وقت الإضجاع حملها فُرسانها إلى البُرْج مجردين إياها من ثيابها في الطَّرِيق ورافعين أصواتهم بالنِّكات البذيئة، ففكرت سانزا: تيريون أعفاني من هذا. ليس الأمر بهذا الشَّوء إذا خُلِعت ثيابها لرجل تحبُّه على يد أصدقاء يحبُّونها. أمَّا إذا كان چو فري... بترت الخاطر مرتجفةً.

أحضرت خالتها ثلاث زفيقاتٍ فقط، فألححن على سانزا أن تُساعدهن على خلع ثياب اللورد بيتر وقيادته إلى فراش الزوجية، وقد استسلمَ لهن بطيب نفس ولسانٍ لاذع ورَدَّ على كلِّ ما تلقَّاه منهن، وحين أدخلته البُرْج وأخرجته من ملبسه كانت أوجه الأخریات محتقنةً وأربطة ثيابهن محلولةً والثياب نفسها منفوشةً معجَّدةً، لكن الإصبع الصَّغير اكفى بالابتسام لسانزا بينما قادته الأخریات إلى عُرفة التَّوم حيث تنتظر السيِّدة زوجته.

أوت الليدي لايسا واللورد بيتر إلى عُرفة الطَّابق الثَّالث وحدهما، لكن البُرْج صغير... وبرَّت خالتها بكلمتها وصرخت. كان المطر قد بدأ يسقط في الخارج دافعًا المحتفلين إلى القاعة تحتهما بطابق، فسمعوا كلَّ كلمةٍ تقريبًا وخالتها تتأوّه وتقول: «بيتر، أوه بيتر، بيتر، بيتر الحبيب، أوه أوه أوه، هنا، هنا يا بيتر، هذا مكانك»، واندفع مغني الليدي لايسا يُطربهم بتنوعٍ مقذعٍ على (عشاء سيّدتي)، لكن حتى غناءه وألحانه لم يُفلح في كتم صريخها عن أذانهم. «ضع طفلًا في بطني بيتر، ضع طفلًا جميلًا آخر في بطني. أوه، بيتر، حبيبي، حبيبي،

بيبيتر!». صرختها الأخيرة كانت في منتهى العلوّ لدرجة أنها جعلت الكلاب تنفجر في النباح، ولم تستطع اثنتان من رفيقات خالتها كتمان ضحككتهما. نزلت سانزا السّلام وخرّجت إلى الليل، حيث يتساقط مطر خفيف على بقايا الاحتفال، لكن رائحة الهواء نظيفة نقيّة. ظلّت ذكرى ليلة زفافها على تيريون تلازمها. ليلتها قال: في الظلام أنا فارس الزهور. يُمكنني أن أكون زوجًا صالحًا لك، لكن قوله لم يكن سوى كذبة أخرى من أكاذيب آل لانستر. ذات مرّة قال لها كلب الصّيد: الكلاب تشمُّ رائحة الكذب كما تعرفين، فانظري حولك واستنثقي جيّدًا. كلهم كذّابون هنا، وكلهم أبرع منك. تكاد تسمع بُحّة صوت ساندور كلجايين الآن وهي تتساءل عمّا حلّ به. هل يعلم أن جوفري قتل؟ هل يُبالي؟ لقد كان حارس الأمير الشّخصي أعوامًا.

ظلّت فترة طويلة في الخارج، وحين سعت إلى فراشها أخيرًا، وهي تُعاني البرد والبلل، وجدت البقاعة مضاءةً بوهج خافت منبعث من نار موقدة في فحم المستنقعات، ولا صوت يأتي من أعلى. رأيت المغنّي للشّاب جالسًا في رُكن يعزف أغنيّةً بطيئةً لنفسه، وإحدى رفيقات خطلتها تقبل أحد الفرسان في كرسي اللورد بيتز ويذا كلّ منهما مشغولتان تحت ملابسٍ الثّاني. كان عدد كبير من الرّجال قد شرب حتى النّوم، وأخذهم في المرحاض يتقيًا بصوت مزعج. ألقت سانزا كلب برايان العجوز الكفيف نائمًا في تجويفها الصّغير أسفل السّلام وتمدّدت إلى جواره، فصحا ولعنّ وجهها، وقالت نافسةً فروه:

«يا لك من كلب صيد عجوز تعيس».

فجأةً وجدت مغنّي خالتها واقفًا فوقها ويخطبها قائلاً: «إليني، إليني الجميلة، أنا ماريليون. رأيتك تدخلين من تحت المطر. اللّيلة باردة بليلة، فدعيني أدفئك».

رفع الكلب العجوز رأسه وزمجر، لكن المغنّي لطمه وجعله ينسحب متوجّعًا.

قالت حائرة: «ماريليون؟ إنك... لطف منك أن تُفكر فيّ، ولكن... أعدرني، إنني متعبّة للغاية».

- «وجميلة للغاية. طيلة المساء وأنا أوّلُك للأغاني في مخبّليتي؛ أنشودة لعينيك، قصيدة لشفتيك، لحنًا ثنائيًا لثديك. لكنني لن أغني شيئًا من

هذا. إنها مجرد مؤلفات رديئة لا تليق بجمالِك»، وجلس على الفراش ووضع يده علي ساقها متابعًا: «دعيني أغني لك بجسدي بدلًا من هذا».

تسللت رائحة أنفاسه إلى أنفها، فقالت: «أنت سكران».

قال: «لا أسكرُ أبدًا. البتة يُثير مرحي لا أكثر. إنني أحترقُ»، وأضاف ويده ترتفع إلى فخذها: «وأنت أيضًا».

- «ارفع يدك عني. لقد نسيت نفسك».

- «الرَّحمة. إنني أردُّدُ أغاني الحُبِّ منذ ساعات ودمائي فائرة، ودمائوك أيضًا، أعلمُ هذا... لا فتاة شبقة في العالم كفتاة نغلة. هل بللتك؟».

قالت باستنكار: «أنا عذراء!».

- «حقًا؟ أوه، إيني، إيني، فتاتي الجميلة، امنحيني براءتك هديَّة. ستشكرين الآلهة على هذا. سأجعلك تُعنين بصوت أعلى من الليدي لايسا». انتفضت سانزا مبتعدة عنه والخوف يغمرها، وقالت: «إذا لم تدعني وشأني فإن خال... أبي سيشتقك، اللورد پيتر».

قال ضاحكًا: «الإصبع الصَّغير؟ الليدي لايسا مولعة بي، ثم إنني مغني اللورد روبرت المفضل. إذا أهأنتي أبوك سأدمره بيت واحد»، ووضع يده على ثديها واعتصره مواصلاً: «لنُخرجك من هذه الثياب المبتلة. مؤكَّد أنك لا تُريدينها أن تتمزق. هيا يا سيّدتي الجميلة، اسمعي قلبك...».

لكن ما سمعته سانزا هو صوت احتكاك الفولاذ بالجلد وأحدهم يقول بخشونة: «أيها المغني، خيرٌ لك أن تذهب إذا أردت أن تُعني ثانية». كان الضوء ضعيفًا، لكنها رأت وهج نصل خافتًا.

ورآه المغني أيضًا، فقال: «اعثر على فتاة لنفسك...»، وومض السكين وصاح الفتى: «لقد جرحتني!».

- «وسأفعلُ بك ما هو أسوأ إذا لم تذهب».

وفي لمح البصر رحل ماريليون، على حين بقي الآخر واقفًا فوق سانزا في الظلام، وقال: «اللورد پيتر أمرني بأن أحرسك». كان صوت لوثر برون. ليس كلب الصَّيد، لا، فكيف يُمكن أن يكون هو؟ إنه لوثر بالطبع...

لم تنم سانزا تقريبًا ليلتها، بل أخذت تتقلب في فراشها كما كانت تفعل على متن (ملك البحار). حلمت بموت چوفري، لكن إذ خمس حلقه وسأل

الدَّم على أصابعه رأت والرُّعب يُفَعِّمها أنه أخوها روب. وحلَّمت بلبلة زفافها أيضًا وبعينيَّ تيريون تلتهمانها إذ خلَّعت ثيابها، لكنه كان أكبر حجمًا من تيريون بكثير، ولمَّا دخل الفِراش رأت جانب وجهه محروقًا. بصوتٍ أجش قال لها: سأنازلُ منكِ أغنيَّةً، واستيقظتْ سانزا لتجد الكلب العجوز الكفيف إلى جوارها مجددًا، فقالت له: «ليتك كنت ليدي».

في الصُّباح صعَدتْ جريزل إلى مخدع اللورد والليدي حاملةً صحفةً عليها خُبز طازج ورُبدة وعسل وفواكه وقشدة، وعادَت لتقول إن إليني مطلوبة، وكانت سانزا لا تزال وسنانةً فاستغرقتْ وهلةً حتى تذكَّرت أنها هي إليني. كانت الليدي لايسا في الفِراش، على حين نهَض اللورد بيتر وارتدى ثيابه، وقال لسانزا وهو يتتعل فردة حذاءه: «خالتك تُريد أن تتكلَّم معكِ. لقد قلتُ لها من تكونين».

يا للالهة! «أ... أشكركِ يا سيِّدي».

انتعل الفرده الأخرى قائلاً: «لقد هضمتُ كلَّ ما أستطيعُ من الوطن. سنُعادرُ إلى (العُش) اليوم بعد الظهر»، وقبَل السيِّدة زوجته ولعقَ لطحه عسلٍ من على شفيتها، ثم أتجه إلى السَّلام. وقفتْ سانزا عند قدم الفِراش بينما أكلتْ خالتها حبةً كمثري ورمقتها بإمعان، ثم قالت وهي تضع اللب جانبًا: «أرى الشَّبه الآن. إنكِ تُشبهين كاتلين كثيرًا».

- «لطف منك أن تقولي هذا».

- «لم يكن إطرًا. الحقيقة أنك تُشبهين كاتلين أكثر من اللازم. أعتقدُ أن علينا أن نصبِّغ شعركِ بلونٍ داكنٍ قبل أن نأخذكِ إلى (العُش)».

تصبغون شعري؟ «إذا كان هذا يُرضيكِ يا خالة لايسا».

قالت: «إياكِ أن تُناديني بهذا الاسم. يجب ألا نسمح لكلمةٍ واحدة عن وجودكِ هنا ببلوغ (كينجز لاندنج)، فلن أعرض ابني لأيِّ خطرٍ»، وقضمتْ من قُرص عسلٍ متابعَةً: «لقد أبقىتُ (الوادي) خارج هذه الحرب. حصادنا وفير، والجبال تحميننا، و(العُش) يستحيل اختراقه، وعلى الرغم من هذا فلن ينفعنا أن نستجلب غضبة اللورد تايوين على أنفسنا»، ووضعتْ القُرص على الصَّحفة ولعقتْ العسل من على أصابعها، وأضافت: «بيتر أخبرني بأنكِ كنتِ متزوِّجةً بتيريون لانستر، ذلك القزم المقيت».



- «جعلوني أتروّجه، لكنني لم أرغب فيه قَطُّ».

قالت خالتها: «كما لم أرغب في الزّواج عن نفسي. چون آرَن لم يكن قرماً، لكنه كان مسنّاً. ربما لا يكون هذا رأيك بالنظر إلَيَّ الآن، لكنني بدوت يوم زفافنا في غاية الجمال لدرجة أن منظري طغى على منظر أمك تماماً. على أن كلَّ ما أراده چون كان سيوف أبي لمناصرة صبيّه العزيزين. كان عليّ أن أرفضه، لكنه كان عجوزاً للغاية، وكم يُمكن أن يعيش؟ نصف أسنانه كان قد سقطَ وأنفاسه رائحتها كالجبنة العفنة. لا أطيقُ رجلاً كره الأنفاس أبداً. أنفاس بيتر عطرة دائماً... إنه أول رجل قبّلتُه. قال أبي إنه وضع النسب جدّاً، لكنني علمتُ أنه سيترقى إلى أرفع المناصب. چون ولاه الجمارك في (بلدة الثوراس) مرضاهة لي، لكن حين ضاعف الدّخل عشر مرّات رأى السيّد زوجي مدى مهارته وكلفه بوظائف أخرى، بل وأخذَه إلى (كينجز لاندنج) ليصبح أمين النّقد. كان صعباً أن أراه كلَّ يوم وأنا متزوّجة بذلك العجوز البارد. لقد أدّى چون واجبه في عُرفة النّوم، لكنه لم يمنحني من المُتعة أكثر مما منحني من الأطفال. كانت نُظفته عجوزاً ضعيفةً، وماتَ جميع أطفالها باستثناء روبرت، ثلاث بنات وصبيّان. ماتَ جميع أطفالها الأعباء، وعاشَ ذلك العجوز وعاشَ وعاشَ بأنفاسه الكريهة. ترين إذن أنني عانيتُ أيضاً»، وتنشّقت الليدي لايسا، وسألتهما: «تعرفين أن أمك المسكينة ماتت، أليس كذلك؟».

- «تيريون أخبرني، قال إن آل فراي قتلوها وروب في (التّوأمتين)».

اغرورقت عينا الليدي لايسا بالدموع فجأةً، وقالت: «أنا وأنتِ امرأتان وحيدتان الآن. هل أنتِ خائفة يا صغيرتي؟ تشجعي، فلا يُمكنني أن أتُنكر لابنة كات أبداً. إننا دم واحد»، وأشارت لسانزا بالاقتراب مضيفة: «يُمكنك أن تُقبلي وجتتي يا إلهي».

بطاعة اقتربت وركعت إلى جوار السرير، وفغمت أنفها الرائحة الطيبة التي تفوح من خالتها، وإن اشتمت معها رائحةً لبيّنةً فاسدةً أيضاً، وتذوّقت الطلاء والمساحيق على وجنتها.

وإذ خطت سانزا إلى الورا قبضت الليدي لايسا على معصمها، وبعدها قالت: «أخبريني الآن. أأنتِ حامل؟ أريد الحقيقة. سأعرف إذا كذبت».

أجابت مندهشةً من الشّؤال: «لا».

- «إنك امرأة مزهرة، أليس كذلك؟».

قالت سانزا عالمة أن حقيقة إزهارها لن تبقى طَيِّ الكتمان طويلاً في (العُش): «بلى، لكن تيريون لم... إنه لم...»، وأحسَّت بحمرة الخجل ترحف على خديها وهي تقول: «إنني ما زلتُ بكرًا».

- «أكان الفزرم عاجزًا؟».

- «لا، لكنه كان... كان...». رقيقًا؟ لا يُمكنها أن تقول هذا، ليس هنا، ليس لخالتها التي تكرهه لهذا الحد. «كان... كان لديه عاهرات يا سيّديتي. هكذا أخبرني».

أطلقت لايسا سراح معصمها قائلة: «عاهرات، طبعًا. من المرأة التي تُصاَجع مخلوقًا مثله إلا مقابل الذهب؟ كان عليّ أن أقتل العفريت وهو تحت تصرّفني، لكنه خدعني. إنه مليء بالحيل الدنيئة. رجله المرتزق قتلَ فارسي الشُّجاع السير فارديس إيجن. لم يكن يجدرُ بكاتلين أن تأتي به، وقد قلتُ لها هذا، ثم إنها رحلتُ آخذةً عمَّنَا معها أيضًا، ولم يكن هذا يليق. السمكة السوداء كان فارس البوابة، ومنذ تركنا وقبائل الجبال تتجرأ أكثر فأكثر، لكن بيتر سيُصحح كل هذا قريبًا. سأُنصِّبه حافظًا لـ(الوادي)»، وللمرّة الأولى ارتسمت على وجه خالتها ابتسامة أقرب إلى الدّفء، وأضافت: «ربما لا يبدو طويلًا أو قويًا كالبعض، لكنه يعدُّ بهم جميعًا. ثقي به وافعلي ما يقوله لك».

- «سأفعل يا خالتي... يا سيّديتي».

بدا السُرور على الليدي لايسا، وقالت: «لقد عرفْتُ الصّبي چوفري. كان ينعت ابني روبرت بألفاظ قاسية، وفي مرّة لطمه بسيفٍ خشبي. سيقول لك الرّجال إن لا شرف في القتل بالسُّم، لكن شرف النّساء يختلف. (الأم) سوّتنا على حماية أطفالنا، وخزينا الوحيد يكمن في الفشل. ستعلمين هذا حين تُنجبين طفلًا».

ردّدت سانزا بارتباك: «طفلاً؟».

لوّحت الليدي لايسا بيدها بلا مبالاة قائلة: «ليس قبل سنوات. إنك ما زلتِ أصغر من أن تكوني أمًا، لكنك ستريدين أطفالًا ذات يوم، كما ستريدين أن تنزوّجي».

- «إنني... إنني متزوّجة يا سيّديتي».

- «نعم، لكن قريبًا ستصيرين أرملة. عليك أن تسعدي لأن العفريت فضّل

عاهراته، فلن يليق بابني أن يأخذ فُضالة القزم، لكن ما دام لم يلمسكِ قَطُّ... ما رأيكِ في الزَّواجِ بابنِ خالتكِ اللورد روبرت؟».

أصابتِ الفكرة سائرا بالفتور. كل ما تعرفه عن روبرت آرن أنه صبيٌّ صغير سقيم. ليست تُريد تزويج ابنها بي أنا، بل بإرثي. لا أحد سيتزوَّجني بدافع الحُبِّ أبداً. لكن الكذب يأتيها بسهولة الآن، فقالت: «لا... لا أطيعُ الانتظار حتى أراه يا سيِّدتي، لكنه ما زال طفلاً، أليس كذلك؟».

- «إنه في الثامنة، وليس قوياً، لكنه صبيٌّ طيِّب للغاية، شديد الذكاء والفطنة. سيكون رجلاً عظيماً يا إلهي. البذرة قويَّة كما قال السيِّد زوجي قبل وفاته، كلماته الأخيرة. أحياناً تسمح لنا الآلهة بأن نُبصر المستقبل ونحن نُحتصر. لا أرى سبباً يحول دون زواجكما بمجرَّد أن نعرف أن زوجكِ لانستر قد مات. سيكون زفافاً سرِّياً بالتأكيد، فيجب ألا نسمح للنَّاس بأن يعتقدوا أن سيِّد (العُش) قد تزوَّج نغلة. شيء كهذا لا يجوز. ستأتينا الغدبان بالنبأ من (كينجز لاندنج) فوق أن يطير رأس العفريت، ويُمكنكِ أن تتزوَّجي روبرت في اليوم التَّالي. ألن يكون هذا بهيجاً؟ سيُفيدة أن تكون له رفيقة صغيرة. كان يلعب مع ابن فاردريس إيجن لدي عودتنا إلى (العُش)، ومع أبناء وكيلي أيضاً، لكنهم كانوا خشنين أكثر من اللازم، ولم أجد خياراً إلاَّ صرفهم من البلاط. هل تُجيدين القراءة يا إلهي؟».

- «السَّيِّئة موردن كانت بالكرم الكافي لأن تقول هذا».

قالت الليدي لايسا: «اللورد روبرت عيناه ضعيفتان، لكنه يحبُّ أن يقرأ عليه أحدهم القصص، ويحبُّ قصص الحيوانات أكثر من غيرها. أتعرفين أغنيَّة الدَّجاجة التي تنكرت في هيئة ثعلب؟ إنني أغنيها له طول الوقت ولا يملها أبداً، ويحبُّ أن يلعب (الضَّفدع النطاط) و(السَّيف الدوَّار) و(تعال إلى قلعتي)، لكن عليك أن تدعيه يفوز دائماً. من اللياقة أن تفعلني هذا، أليس كذلك؟ إنه سيِّد (العُش)، ويجب ألا تنسى هذا أبداً. إنكِ نبيلة المولد، ولطالما كان آل ستارك أولاد (وينترفل) معتدِّين بأنفسهم، لكن (وينترفل) سقطت وما أنتِ إلاَّ متسولة الآن، فنجِّي هذا الاعتداد جانباً. الامتان يُناسِبكِ أكثر في ظروفكِ الحاليَّة، نعم، والطاعة أيضاً. ابني سيحظى بزوجةٍ ممتنة ومطبعة».

## چون

ليل نهار تدقُّ الفؤوس.

لا يَدُكَّرُ چون متى نام آخر مرّة. حين يُغلق عينيه يحلم بالقتال، وحين يستيقظ يُقاتل. حتى في (بُرج الملك) يسمع ضربات البرونز والصّوّان والفولاذ المسروق تهوي على الخشب بلا انقطاع، ويعلو الصّوت أكثر إذا حاول أن يستريح في سقيفة التّدفئة على قمّة (الجدار). يستعين مانس بمطارق ثقيلة في العمل أيضًا، ومناشير طويلة بأسنان من العظم والصّوّان، وفي مرّة فيما أخذه الوسن إلى نوم مكدود سمع چون قرّعة عظيمة من (الغابة المسكونة)، وتهاوت شجرة حارس في سحابة من الغبار والإبر.

حين أتاه أوين كان مستيقظًا، متمدّدًا يُفعمه القلق والاضطراب تحت كومة من الأغصية الفرو على أرضية سقيفة التّدفئة. قال أوين وهو يهزُّ كتفه: «لورد سنو، إنه الفجر»، ثم مدّ يده يساعده على النهوض، وبدأ آخرون يستيقظون بدورهم، يتزاحمون محتكين ببعضهم بعضًا بين جدران السقيفة الضيقة وهم ينتعلون أحذيتهم ويربطون أحزمة سيوفهم دون أن يتكلّم أحد. جميعهم أكثر كلاً من أن يتكلّموا، فقلائل منهم يُعادرون (الجدار) هذه الأيام، بما أن الصّعود والهبوط في القفص يستغرق وقتًا طويلًا، وقد تُركت (القلعة السوداء) للمايستر إيمون والسير ويتنون ستاوت وقلة من العجائز والمرضى الذين لا يستطيعون القتال.

قال أوين بسعادة: «حلمتُ بأن الملك جاء. أرسل المايستر إيمون غدًا فاجاء الملك روبرت بقوّته كلّها. حلمتُ بأنني أرى راياته الذهبية».

جعل چون نفسه يبتسم، وقال: «سيكون منظرًا نُرحّب برؤيته يا أوين»،

ومتجاهلاً وخزة الألم في ساقه وضع معطفاً من الفرو الأسود على كتفيه والتقط عُكازه وخرج إلى (الجدار) ليجابه اليوم الجديد.

هبت الرِّيح دافعة تُدْف الجليد لتتخلَّل حُصَلات شِعْره النَّبِي الطَّويل. على بُعدِ نصف ميل إلى الشَّمال كانت الحركة تدبُّ في معسكر الهَمَج، وتتصاعد أصابع الدُّخان من بؤر نيرانهم لتخدش سماء الفجر الباهتة. كانوا قد نصبوا بطول حافة الغابة خياماً من جلود الحيوانات والفرو، بل وقاعةً طويلةً بسيطةً من جذوع الأشجار والأغصان المجدولة. إلى الشَّرْق صفوف الخيل، وإلى الغرب الماموثات، وفي كلِّ مكانٍ رجال يشحذون سيوفهم ويُرْكَبون الرُّؤوس على قنوات حِرابهم البدائية ويرتدون دروعاً مجمَّعةً من الجلود والقرون والعظام. مقابل كل رجل يراه، يعلم چون أن هناك عشرين لا يراهم متوارين في جنبات الغابة، التي تمدُّهم بشيءٍ من الوقاية من عوامل الجَوِّ وتُخفِئهم عن أعين الغربان الكريهين.

كان رُماتهم يتقدَّمون بالفعل دافعين الجَنَوِيَّات<sup>(1)</sup> على عجالاتها صوب (الجدار)، فأعلن پيب بمرح كما يفعل كل صباح: «سهام الإفطار في الطريق». قال چون لنفسه: جيّد أنه يجِد في الأمر فُكاهةً ما. على أحدنا أن يفعل هذا. قبل ثلاثة أيام أصاب أحد سهام الإفطار هذه ألن الأحمر بن (غابة الورد) في ساقه، وما زال يُمكنك أن ترى جثته عند سفح (الجدار) إذا ملت كفايةً إلى الخارج، لكن چون يرى أن الأفضل للرِّجال أن يتبسّموا لدُعاة پيب من أن يتجهّموا لجثة ألن.

الجَنَوِيَّات خشبيّة مائلة، عريضة بما يكفي لاستتار أربعة أو خمسةٍ من شعب الأحرار خلفها، ويدفعها الرُّماة على مقربةٍ من بعضها بعضاً ثم يركعون وراءها ويطلقون السَّهام عبر فتحاتٍ في الخشب. أول مرّة خرج بها الهَمَج أمرَ چون برميها بالسَّهام النَّاريّة وأشعل نصف دسّته منها بالفعل، لكن مانس بدأ يُعطِئها بالجلود الخام بعد ذلك، والآن لا يستطيع كلُّ ما في العالم من سهام ناريّة أن يجعل اللهب يشبُّ فيها. ثم إن الإخوة بدأوا يتراهنون على أيِّ الحرس القش سيجمع أكبر عددٍ من السَّهام قبل نهاية المعركة، فتصدَّر

(1) الجَنَوِيَّة تُرس كبير من الخشب يتوارى الجنود خلفه عند الرِّحف على الأسوار. (المترجم).

إد الكئيب الرَّهَان بأربعة، بينما حازَ كلُّ من أوثيل يارويك وتامبر چون ووات بن (البحيرة الطويلة) ثلاثة. پيب أيضًا هو من شرعَ في إطلاق أسماء إخوتهم المفقودين على الفزاعات، وقال: «كأن هناك المزيد منا هكذا».

قال جرن متذمّرًا: «المزيد منا بسهام في بطونهم»، وإن بدا أن العادة تُشجّع إخوته، فتركَ چون الأسماء تبقى والرَّهَان يستمرُّ.

على حافة (الجدار) وقفت العين المايريّة المنمّقة المصنوعة من النحاس الأصفر على ثلاث سيقان طويلة، وكان المايستر إيْمون يستخدمها فيما مضى لمراقبة النجوم قبل أن تخذله عيناه. دوّر چون الأنبوب إلى أسفل ليُلقي نظرةً على العدو، وحتى من هذه المسافة لم يكن هناك مجال لإخطاء خيمة مانس رايدر البيضاء الضخمة المخيطة من فرو دبية الثلوج. قرّبت العدسات المايريّة الهمج بما يكفي لأن يُميّز وجوههم، وبينما لم يرَ أثرًا لمانس نفسه هذا الصّباح، فقد وقفت امرأته دالا في الخارج تُزكي النَّار، على حين انشغلت أختها فُال بحلب عنزة إلى جوار الخيمة. بدا بطن دالا كبيرًا للغاية لدرجة أن چون استعجب من قدرتها على الحركة، وفكر: لا بدُّ أن الطفل سيأتي قريبًا جدًّا، ثم إنه دوّر المرصاد شرقًا وبحثَ بين الخيام والأشجار إلى أن وجد السُّلحفاة. هذه أيضًا ستأتي قريبًا جدًّا. كان الهمج قد سلخوا جثّة أحد المامونات خلال الليل، والآن يستخدمون الجبال لتثبيت الفروة الدّامية على سطح السُّلحفاة، طبقة أخرى فوق جلود الحيوانات وفرو الغنم. للسُّلحفاة قَمّة مستديرة وثمان عجلات ضخمة، وتحت طبقات الجلود يتوارى هيكلها الخشبي المتين. حين بدأ الهمج تركيبها حسب ساتان أنهم بينون سفينة. ولم يُجانبه الصّواب كثيرًا. السُّلحفاة بدن سفينة مقلوب ومفتوح من المقدّمة والمؤخّرة، قاعة طويلة على عجلات.

سأله جرن: «هل انتهت إذن؟».

أجاب چون مزيحًا الأنبوب: «على وشك. ستأتي اليوم غالبًا. هل ملأت

البراميل؟».

– «جميعها. لقد تجمّدت تمامًا خلال الليل، پيب تفقّدها».

تغيّر جرن كثيرًا عن الصّبي الكبير الأخرق اللفظ الذي صادقه چون في البداية، فاستطاعت قامته نصف قدم وغلظ صدره وكتفاه، كما أنه لم يقصّ

شعره أو يُشَدَّب لحيته منذ ذهابهم إلى (قبضة البشر الأوائل)، ويبدو الآن ضخماً أشعث كالثور، الكنية السّاخرة التي علّقها عليه السير أليسر ثورن في أثناء التّدريب. على أنه يبدو مرهقاً الآن، ولمّا قال چون هذا أو ما برأسه موافقاً، وردّ: «سمعتُ فؤوسهم طوال اللّيل. لم أستطع النّوم بسبب أصوات التّقطيع».

- «اذهب ونمّ الآن إذن».

- «لستُ محتاجاً إلى...».

قاطعهُ: «بل تحتاج إليه. أريدك أن تستريح. هيا، اذهب. لن أترك تنام في غمرة القتال»، ودفع نفسه إلى الابتسام مضيئاً: «أنت الوحيد الذي يستطيع تحريك تلك البراميل اللّينة».

ذهب جرن مدمدماً وعادّ چون إلى المرصاد ليجوس في معسكر الهَمَج. بين الحين والآخر يُحلّق سهم فوق رأسه، لكنه تعلم أن يتجاهل تلك السّهام، فالمدى طويل وزاوية الرّماية سيّئة، وفرص إصابته ضعيفة. ما زال لا يرى مانس رايدر في المعسكر، وإن أبصر تورموند بليّة العماليق واثنين من أبنائه حول السّلحفاة. كان الابنان يُجاهدان لرفع فروة الماموث، على حين التهمّ تورموند ساق جدي مشويّة وجارّ بالأوامر، وفي بقعة أخرى رأى چون مبدّل الجلد الهمجّي فأرامير ست جلود يمشي وسط الأشجار وفي أعقابهِ قِط الظل.

عندما سمع صلصلة سلاسل الرّافعة وأنين باب القفص الحديدي إذ انفتح، علم أن هوب جلبَ فطورهم كما يفعل صبيحة كلّ يوم، لكن مشهد سلحفاة مانس أفقده شهيتّه. لقد نصب الزيت تماماً، وآخر براميل القارح دُحرج من على حافة (الجدار) قبل ليلتين، وعمّا قريب ستفد منهم السّهام أيضاً، وليس هناك رجال يصنعون المزيد. ليلة أول من أمس أتى عُداًف من السير دينس ماليستر في الغرب حاملاً رسالة تقول إن باون مارش -على ما يبدو- طارد الهَمَج حتى (بُرج الظلال) وبعدها، دافعاً إياهم إلى ظلمات (الغور)، وعند (جسر الجماجم) التقى البكاء وثلاثمئة همجّي وانتصر في معركة دامية، لكن النّصر كان باهظ الثمن، إذ قُتل أكثر من مئة أخ، منهم السير إندرو تارث والسير ألابيل وينش، وحمل الرّمانة العجوز نفسه إلى (بُرج الظلال) مشحناً

بالجراح. إنه في عناية المايستر مولين الآن، لكن بعضًا من الوقت سيمضي قبل أن يُصبح في حالةٍ تسمح بعودته إلى (القلعة السوداء).

عقب أن قرأ چون الرسالة بعثَ زاي إلى (بلدة المناجد) على متن أفضل خيولهم لتُنشِد أهل القرية أن يُسَاعِدُوا على الدِّفاع عن (الجدار)، لكنها لم ترجع، ولَمَّا أرسل مولِي وراءها عادَ وأبلغه بأنه وجدَ القريةَ كُلَّها مهجورةً، بما فيها الماخور، وعلى الأرجح تبعَهم زاي على (طريق الملوك) مباشرةً. ساعتها قال لنفسه بكآبة: ربما علينا أن نحدو حدوهم.

أرغمَ نفسه على الأكل سواء أكان جائعًا أم لم يكن، فسَيَّ بما فيه الكفاية أنه لا يستطيع التَّوَم، ولا يُمكنه أن يستمرَّ بلا طعام كذلك. كما أنها قد تكون وجبتي الأخيرة، بل قد تكون وجبتنا الأخيرة جميعًا. هكذا كان بطن چون مليئًا بالخُبز واللَّحْم المَقْدَّد والبصل والجُبنة حينما سمعَ الجواد يزَعق: «إنها قادمة!».

لم يكن أحدهم مضطرًّا لأن يسأله عمَّا يعنيه، ولا احتاجَ چون إلى عين المايستر المايريَّة ليراها تزحف من بين الأشجار والخيام. علَّتْ ساتان: «لا تُشبه السُّلحفاة كثيرًا. ليس للسُّلحاف فرو». قال پيب: «معظمها بلا عجلات أيضًا».

رفعَ چون صوته أمرًا: «أطلق بوق الحرب»، ونفخَ كِجَز مرَّتين طويلتين ليُوقِظ جرن والنِّيام الآخرين الذين يتولُّون الحراسة اللَّيْلِيَّة. إذا كان الهَمَج قادمين فدِ (الجدار) في حاجةٍ إلى كلِّ رجل. والآلهة تعلم أن عددنا قليل جدًا. نظرَ چون إلى پيب وكِجَز وساتان والجواد وأوين الجحش وتيم المُتهتِه ومولي وذي النَّعل الواحد والبقِيَّة، وحاولَ أن يتخيلَهم وجهًا لوجهٍ ونصلاً لنصل يُقاومون مئةً من الهَمَج الصَّارخين في ظلام النَّفق الجليدي، لا يفصل بين هؤلاء وأولئك إلا قضبان حديدية قليلة. هذا ما ستصل إليه الأمور في النهاية ما لم يستطيعوا إيقاف السُّلحفاة قبل اختراق البوابة. قال الجواد: «إنها كبيرة».

تلَمَّظ پيب قائلاً: «فكروا في قدر الحساء الذي سنطبخه منها»، لكن دُعابته وُلِدَتْ جهيضةً، وحتى نبرة صوته كانت متعبَّة. يبدو أقرب إلى الموتى، لكننا ندو كذلك جميعًا. مع ملك ما وراء الجدار أعداد كبيرة للغاية من الرِّجال



تُمْكِّنُهُ مِنْ إِقَاءِ مَهَاجِمِينَ جُدِدَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَرَّةٍ، بَيْنَمَا عَلَى الْحَفْنَةِ نَفْسَهَا مِنَ الْإِخْوَةِ السُّودِ أَنْ تَصْدَكَ كُلَّ هَجْمَةٍ، وَقَدْ أَعْيَاهُمْ هَذَا حَتَّى التُّخَاعِ.

يَعْرِفُ چُونُ أَنَّ الرِّجَالَ الْمُتَوَارِينَ تَحْتَ الْخَشْبِ وَالْجُلُودِ يَسْحَبُونَ بِقَوَّاتِهِمْ كُلَّهَا وَيَشْدُونَ عَضَلَاتِ أَكْتَافِهِمْ عَنْ آخِرِهَا لِتُظَلَّ الْعَجَلَاتُ تَدُورُ، لَكِنْ بِمَجْرَدِ أَنْ تُصْبِحَ السُّلْحَفَةُ فِي مَوَاجِهَةِ الْبُؤَابَةِ تَمَامًا سَيَسْتَبَدُّونَ الْحِبَالَ بِالْفُؤُوسِ. عَلَى الْأَقْلِ لَمْ يُرْسِلِ مَنْسَ مَامُوثَاتِهِ الْيَوْمَ، وَهُوَ مَا سَرَّ چُونُ، فَقَوَّاتُهَا الْهَائِلَةُ مَهْدُورَةٌ عَلَى (الْجِدَارِ)، وَحَجْمُهَا يَجْعَلُهَا أَهْدَافًا سَهْلَةً. آخِرُهَا يُحْتَضِرُ مِنْذُ يَوْمِ وَنِصْفِ، وَلِنَهِيمِهِ الْحَزِينِ وَقَعَ رَهِيْبٌ عَلَى الْأَذَانِ.

زَحَفَتِ السُّلْحَفَةُ بِتَوْدَةٍ بَيْنَ الْحِجَارَةِ وَجَذُوعِ الْأَشْجَارِ الْمَبْتُورَةِ وَالْأَجْمَاتِ. كَانَتْ الْهَجْمَاتُ السَّابِقَةُ قَدْ كَلَّفَتْ شَعْبَ الْأَحْرَارِ مِئَةَ نَفْسٍ أَوْ أَكْثَرَ، مَعْظَمُهُمْ لَمْ يَزَلْ مَنْظَرًا حَيْثُ سَقَطَ، وَفِي فتراتِ الْهُدُوءِ تَجِيءُ الْعَرَبَانِ لَزِيَارَتِهِمْ، لَكِنِهَا حَلَفَتْ نَاعِبَةً الْآنَ وَقَدْ سَاءَ مَا مَنْظَرُ السُّلْحَفَةِ كَمَا سَاءَ.

وَيَعْرِفُ چُونُ أَيْضًا أَنَّ سَاتَانَ وَالْجُودِ وَالْآخَرِينَ يَتَطَلَّعُونَ إِلَيْهِ مِنْتَظِرِينَ الْأُؤَامِرِ. كَانَ مِنْهَكًا تَمَامًا وَبِالْكَادِ يَدْرِي مَا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ نَفْسَهُ: (الْجِدَارِ) تَحْتَ قِيَادَتِي، وَقَالَ لَهُمْ: «أُوَيْنَ وَالْجُودِ، إِلَى الْمَجَانِيْقِ. كِجْزِ، أَنْتِ وَذُو النَّعْلِ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَرَادَاتِ. لِيُبَيِّنَتْ بِقِيَّتِكُمْ أُوَتَارِ أُقُؤَاسِكُمْ. سَهَامٌ نَارِيَّةٌ. لَنْزِ إِنْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحْرِقَهَا». غَالِبًا سَتَذْهَبُ مَحَاوِلَاتُهُمْ سُدَى، لَكِنِهَا أَفْضَلُ مِنْ وَقُؤْفِهِمْ مَكْتُؤُفِي الْأَيْدِي بِالتَّؤَاكِيدِ.

حَرَكَةُ السُّلْحَفَةِ الْبَطِيئَةُ وَوَزْنُهَا الثَّقِيلُ جَعَلَاهَا هَدَفًا سَهْلًا، وَسُرْعَانَ مَا حَوَّلَهَا رُمَاةَ الْقُؤُوسِ وَالتَّشَابِيَةَ إِلَى قُنْفُذٍ خَشْبِيٍّ... لَكِنِ الْجُلُودُ الْمَبْتُلَةُ حَمَّتْهَا كَمَا حَمَّتِ الْجَنُؤِيَّاتُ مِنْ قَبْلِ، وَانْطَفَأَتِ السَّهَامُ النَّارِيَّةُ فُؤُرَ أَنْ أَصَابَتْهَا تَقْرِيْبًا. أَطْلَقَ چُونُ سَبَابًا بِصُؤْتِ خَفِيضِ، ثُمَّ قَالَ أَمْرًا: «الْعَرَادَاتُ وَالْمَجَانِيْقُ».

اخْتَرَقَتْ قِذَائِفُ الْعَرَادَاتِ الْجُلُودَ، لَكِنِهَا لَمْ تُحَدِّثْ تَلْفًا أَكْثَرَ مِنَ السَّهَامِ النَّارِيَّةِ، وَارْتَدَّتِ الصُّخُؤُرُ عَنْ سَقْفِ السُّلْحَفَةِ تَارِكَةً انْبِعَاجَاتٍ فِي الطَّبَقَاتِ السَّمِيكَةِ. رُبَمَا كَانَ حَجْرٌ مِنْ أَحَدِ الْمِقْدَافَيْنِ لِيَتَكْفَلَ بِسَحْقِهَا، لَكِنْ إِحْدَى الْأَلْتَيْنِ مَا زَالَتْ مَتَعَطِّلَةً، وَالْهَمْجُ ابْتَعَدُوا كَثِيرًا عَنِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تُسْقِطُ فِيهَا الْآخَرَى أَحْمَالَهَا.

قَالَ أُوَيْنَ الْجَحْشُ: «چُونُ، إِنَّهَا لَا تَزَالُ قَادِمَةً».

كان يرى هذه الحقيقة بنفسه. بوصةً بوصةً وباردةً باردةً دنت السُّلحفاة على عجالاتها مقعقةً رجراجةً وهي تقطع أرض المقتلة، وفور أن تستوي على (الجدار) ستمنح الهمج كل ما يحتاجون إليه من حماية بينما تهوي فؤوسهم على البوابة الخارجية التي رُممت على عجل، وفي الدّاخل، تحت الجليد، سيُخلون النّفق من الدّبش في غضون ساعات، وعندها لن يعود هناك ما يُوفّقهم إلاّ شبكتان حديديتان وبضع جُثثٍ شبه متجمّدة ومن يُلقيه چون في طريقهم من إخوةٍ يُقاتلون ويُقتلون في الظلام.

إلى يساره أحدث أحد المجانيق صوتًا مكتومًا وملاً الهواء بالأحجار التي سقطت دائرةً وانهالت على السُّلحفاة كالوابل ثم ارتدت عنها دون أن تؤذيها. كان رُماة الهمج مستمرّين في إطلاق سهامهم من وراء الجنويّات، وانغرس أحدها في وجه أحد الحُرّاس القش، فقال بيپ: «أربعة لوات ابن (البحيرة الطويلة)! تعادل!»، لكن السهم التالي مرّ مصفراً إلى جوار أذنه، فصاح: «تبا! لستُ مشاركاً في هذه المباراة!».

- «الجلود لن تحترق»، قال چون لنفسه بقدر ما قالها للآخرين. أملمهم الوحيد أن يُحاولوا تحطيم السُّلحفاة حين تَبْلُغ (الجدار)، ولأجل هذا فإنهم يحتاجون إلى جلاميد، فمهما كانت السُّلحفاة متينةً فلا بُدَّ أن تُحدث كتلة من الصّخر تُلقى عليها مباشرةً من ارتفاع سبعمئة قدم شيئاً من الضّرر. «جرن، أوين، كجز، حان الوقت».

بمحاذاة سقيفة التّدفئة تستقرُّ دسّته من البراميل البلوط الكبيرة في صف، كلّها مليء بالصُّخور المسحوقة، الحصى الذي اعتاد الإخوة السُّود نثره على الممرّات على قَمّة (الجدار) ليعطوا أنفسهم مواطئ أقدام أفضل. البارحة، حين شهد الهمج يُعطون السُّلحفاة بفرو الغنم، قال چون لجرن أن يصبّ في البراميل أكبر كمّيّة تستوعبها من الماء، بغرض أن يتخلّل الفراغات بين الحصى، وخلال الليل يتجمّد عن آخره. إنه أقرب شيءٍ لجلمود في استطاعتهم تديبره. سأله جرن: «لماذا يجب أن نُجمّده؟ ألا يكفي أن نرمي البراميل كما هي؟».

أجابّه چون: «إذا ارتطمت ب(الجدار) في طريقها إلى أسفل ستنفجر ويتناثر الحصى المفتّت في كل مكان، ونحن لا نريد إِمطار أولاد العاهرات

بالحصى».

دفع أحد البراميل بكتفه مع جرن، بينما تولَّى كجز وأوين واحداً آخر، ومعا هزاه إلى الأمام والخلف ليكسرا طبقة الجليد التي تكوّنت عليه من أسفل، وقال جرن: «الملعون يزن طنّاً».

- «أقلبه على جانبه ودحرجه، واحذر، إذا تدحرج على قدمك ستصبح مثل ذي النعل الواحد».

بمجرد أن صار البرميل على جانبه التقطَ چون مشعلاً ولوّح به فوق سطح (الجدار) جيئةً وذهاباً ليذيب الجليد بعض الشيء، فجعلت طبقة الماء الرقيقة البرميل يتدحرج بسهولة أكبر، بسهولة أكثر من المطلوب في الحقيقة، إذ كاد يخرج عن سيطرتهم، لكن أخيراً وقد تكاتف أربعهم دحرجوا الجلمود إلى الحافة وعدلوه من جديد.

كانوا قد رصّوا أربعة من البراميل البلوط الكبيرة فوق البوابة حين صاح بيپ: «هناك سلحفاة على باننا!».

ثبت چون ساقه الجريحة ومال إلى الخارج ليُلقي نظرةً مفكراً: سقّلات. كان على مارش أن ييني سقّلات. أشياء كثيرة للغاية كان عليهم أن يفعلوها. الآن كان الهمج يجزّون جثث العمالقة بعيداً عن البوابة، فيما أسقط الجواد ومولي عليهم الصُخور، وحسب چون أنه رأى أحدهم يُصاب، لكن الصُخور أصغر من أن تُحدث أيّ تلفٍ في السلحفاة نفسها. تساءل عمّا سيفعله شعب الأحرار بشأن الماموث الميت الذي يعترض الطريق، ثم إنه رأى. السلحفاة عرضها أقرب إلى عرض قاعةٍ طويلة، وقد دفعها الهمج ببساطة فوق الجثة. ارتجفت ساقه، لكن الجواد أمسك ذراعه وسحبته إلى الأمان قائلاً: «لا يجدر بك أن تميل إلى الخارج هكذا».

قال: «كان علينا أن نبنى سقّلات»، وخطر له أن يسمع ارتطام الفؤوس بالخشب، لكنه غالباً رنين الرّهبة في أذنيه ليس إلّا. هكذا التفت إلى جرن قائلاً: «نفذ».

ووقف جرن وراء برميل وأراح كتفه عليه وأصدر أنيناً وبدأ يدفع، وتحرك أوين ومولي ليساعده، ومعا دفعوا البرميل إلى الخارج قدماً ثم قدماً آخر، وفجأة لم يعد هناك.

سمعوا ارتطامًا مكتومًا إذ أصابَ (الجِدَار) في طريقه إلى أسفل، ثم، وبصوتٍ أعلى كثيرًا، سمعوا الاصطدام وطققة الخشب المتشتم، يتبعها الصُّراخ والزَّعيق. شهقَ ساتان ورقصَ أوين الجحش في دوائر، على حين مألٍ يبيب إلى الخارج وصاح: «السُّلحفاة كانت محشوةً عن آخرها بالأرانب! انظروا كيف تهرب متقافرة!».

هتفَ چون: «مرّةً أخرى»، ودفعَ كِجز وجرنِ البرميل التَّالي بكتفيهما وأرسلاه يتأرجح في الهواء.

ولمَّا فرغوا كانت مقدّمة سُلحفاة مانس قد أصبحت خرابًا من الخشب المسحوق، والهَمْج ينسكبون من طرفها الآخر ويهرعون إلى معسكرهم. التقطَ ساتان نُشَابِيَّتَه وأطلقَ بضعة سهام وراءهم وهم يعدون ليزيدوا سرّعتهم، بينما ابتسمَ جرن ملء السُّدقين من وراء لحيته وألقى يبيب التُّكات، ولا أحد منهم سيموت اليوم.

أمَّا غدًا... ألقى چون نظرةً نحو السَّقيفة. ثمانية براميل تبَّتت حيث استقرَّ اثنا عشر قبل دقائق. أدركَ مدى إرهاقه لحظتها، وكم يُوجعه جرحه. يجب أن أنام، بضع ساعاتٍ على الأقل. ربما يُساعده أن يذهب إلى المايستر إيمن ليسيقيه قليلًا من نبيذ التَّوم، وهكذا قال لهم: «سأنزلُ إلى (بُرج الملك). استدعوني إذا فعلَ مانس شيئًا. يبيب، (الجِدَار) تحت قيادتك».

قال يبيب: «أنا؟!».

وقال جرن: «هو؟!».

مبتسمًا، تركهم چون وركبَ القفص إلى أسفل. ساعده كوب من نبيذ التَّوم بالفعل، فلم يكد يستلقي على السرير الضيق في حُجيرته حتى غابَ عن الوعي، وكانت أحلامه غريبةً عديمة الملامح، ملأى بالأصوات المجهولة والصِّياح والصَّريخ وصوت بوقٍ حربيٍّ يتردّد بارتفاع وانخفاض، نغمته الواحدة المدوِّية عالقة في الهواء.

وحين استيقظَ كانت السَّماء سوداء وراء فتحة الرِّماية التي تعمل كنافذة، ووجدَ أربعة رجال لا يعرفهم واقفين فوقه، يحمل أحدهم مصباحًا ويقول أطولهم قامَةً بغلظة: «لورد سنو، انتعل حذاءك وتعال معنا».

الفكرة الأولى التي جالت بباله النَّاعس أن (الجِدَار) قد سقطَ بشكلٍ

ما وهو نائم، أن مانس رايدر أرسلَ المزيد من العمالقة أو سُلحفاةً أخرى واخترقَ البوابة، ولكن لما فركَ عينيه رأى أن الغُرباء يرتدون الأسود، فقال لنفسه: رجالٌ من حرس اللّيل، ثم سأل: «آتي إلى أين؟ من أنتم؟».

أشار الطويل، وسحبَه اثنان من الآخرين من الفِراش، وساقوه على ضوء المصباح من حُجبرته صاعدين به نصف دورةٍ من السّلام إلى عُرفة الدُّب العجوز الشَّمسيّة، حيث رأى المايستر إيمون واقفاً عند النّار وقد طوى يديه على رأس عُكّازٍ من خشب البرقوق، ومعه السّبتون سلا دور المخمور كالعادة، والسير وينتون ستاوت النائم على المقعد المجاور للنّافذة. أمّا الإخوة الآخرون فأغرب عليه، جميعهم باستثناء واحد.

متأنّقا بمعطفه الموشى بالفرو وحذاءه اللامع، التفتَ السير أليس ثورن قائلاً: «ها هو المارق يا سيّدي، نغل ند ستارك ابن (ويترفل)».

قال چون ببرود: «لستُ مارقاً يا ثورن».

- «سنرى»، قال الجالس في المقعد الجلد وراء المنضدة التي اعتاد الدُّب العجوز أن يكتُب رسائله عليها. كان كبير الحجم وعريض الصّدر وثقيل اللغد ولا يعرفه چون، وقد ردّد: «نعم، سنرى»، ثم أردف مخاطباً إياه: «آمل أنك لن تُنكر كونك چون سنو نغل ستارك».

قال السير أليس التحيل المكتنز ذو العضلات المفتولة والاستمتاع يلتمع في ظلّمة عينيه الصّوّانيتين: «يحبُّ أن يُسمّي نفسه اللورد سنو».

ردّ چون: «أنت من سمّيتني اللورد سنو». كان السير أليس مغرماً بإطلاق الألقاب على الفتية الذين يُدرّبهم خلال فترته كقيّم السّلاح في (القلعة السّوداء)، قبل أن يُرسله الدُّب العجوز إلى (القلعة الشّرقيّة) على البحر. لا بُدّ أن الآخرين من رجال (القلعة الشّرقيّة). الطائر بلغ كوتر بايك وأرسل لنا مبدأً. سأل الجالس وراء المنضدة: «كم رجلاً أحضرت معك؟».

أجاب ذو اللغد: «أنا من سيّلقني الأسئلة هنا. إنك متّهم بالحنث بيمينك والجبن والتّهوّب من الخدمة يا چون سنو. هل تُنكر أنك تخلّيت عن إخوتك ليموتوا على (قبضة البشر الأوائل)، وانضممت إلى مانس رايدر الذي يُسمّي نفسه ملك ما وراء الجدار؟».

ردّد چون والكلمة تكاد تخنّقه: «تخلّيت...؟».

عندها تكلم المايستر إيمون قائلاً: «سيدي، أنا ودونال نوي ناقشنا هذه المسائل لدى عودة چون سنو إلينا، ورضينا بتفسير چون». قال ذو اللغد: «وأنا لست راضياً أيها المايستر. سأسمع هذا التفسير بنفسني، نعم، سأسمعه!».

ابتلع چون غضبه قائلاً: «لم أتخلّ عن أحد. لقد تركتُ (القبضة) في ضحبة كورين ذي النصف يد لاستطلاع (الممر الصّادح)، وانضمتُ إلى الهمج طبقاً لأوامري. ذو النصف يد كان يخشى أن مانس عشر على بوق الشتاء...». قاطعه السير أليسر مقهقهةً: «بوق الشتاء؟ هل كانت أوامرك أن تُحصي ما لديهم من سناركات أيضاً يا لورد سنو؟».

- «لا، لكنني أحصيتُ عمالقتهم قدر المستطاع».

قال ذو اللغد بحدّة: «أيها الفارس! ستُخاطب السير أليسر ب«أيها الفارس» وتُخاطبني ب«يا سيدي». أنا چانوس سلينت سيّد (هارنهال) والقائد هنا في (القلعة السوداء) إلى أن يعود باون مارش بحاميته. ستُخاطب كلاً منا بلقبه اللائق، نعم، فلن أسمح لنغل خائن بأن يسخر من فارس ممروخ بالزيوت المقدّسة كالسير أليسر الكريم»، ورفّع يده مشيراً بإصبعٍ لحيمة إلى چون، وأردف: «هل تُنكر أنك أخذت امرأةً همجيّةً إلى فراشك؟». كان حُزنه على إيجريت لا يزال طازجاً ولا يُمكنه أن يتبرأ منها الآن، فأجاب: «لا. لا يا سيدي».

سأله السير أليسر متكلّفاً الابتسام: «وأظنّ أن ذا النصف يد هو من أمرك بمضاجعة تلك العاهرة الوسخة؟».

- «أيها الفارس، إنها لم تكن عاهرةً أيها الفارس. كورين قال لي ألا أرفض مهما طلب الهمج مني، لكن... لن أنكر أنني تجاوزتُ ما كان عليّ أن أفعله، أنني... اهتمتُ بأمرها».

قال چانوس سلينت: «تعترف بمروقك إذن؟».

يعرف چون أن نصف رجال (القلعة السوداء) تعودوا زيارة (بلدة المناجد) بين الحين والحين للتّقيب عن الكنوز الدّفين في الماخور، لكنه قال رافضاً أن يُلوّث شرف إيجريت بمساواتها بعاهرات القرية: «لقد حثتُ بقسمي مع امرأة، أعتزُّ بهذا، نعم».

- «نعم يا سيدي!». حين يعبس سلينت يرتعش لُغده. إنه عريض الصِّدر  
والكتفين كما كان الدُّب العجوز، ولا شكَّ أنه سيُصبح أصلع مثل مورمونت  
إذا عاش وبلغ سنَّه، فِصْفَ شعره سقطَ بالفعل، مع أنه لا يتجاوز الأربعين.  
قال چون: «نعم يا سيدي، ركبتُ مع الهَمَج وأكلتُ معهم كما أمرني ذو  
النَّصف يد، وتقاسمتُ أغطية نومي مع إيجريت، لكنني أقسمُ لك أنني لم أُمِرَق  
إطلاقاً. لقد فررتُ من الماجنر فور أن استطعت، ولم أرفع سلاحاً ضد إخوتي  
أو أهل البلاد ولو مرَّة».

أمعن اللورد سلينت النَّظر إليه بعينيه الصَّغيرتين، ثم قال: «سير جلندون،  
أدخل السَّجين الآخر».

السير جلندون هو الرَّجل الطَّويل الذي جرَّه من فراشه، وقد خرج أربعة  
رجال معه من العُرْفَة، وسرعان ما عادَ خمستهم بالأسير، رجل صغير الحجم  
شاحب الوجه قُيِّدَت يداه وقدماه بالأصفاد، له حاجب واحد وشعر يزحف  
عليه الصَّلع وشارب يبدو كِلطخة من التُّراب فوق شفته العليا، لكن وجهه  
متورِّم مرضوض، ومعظم أسنانه الأمامية مكسور.

ألقي رجال (القلعة الشَّرقيَّة) الأسير بخشونة على الأرض، وحدَّق إليه  
اللورد سلينت بتجهم قائلاً: «أهذا من تكلمت عنه؟».

طرف السَّجين بعينيه المصفرَّتين، وأجاب: «أجل». في هذه اللَّحظة فقط  
تعرَّف چون ذا القميص المُخشخِش، فقال لنفسه: يبدو مختلفاً تماماً دون  
درعه، بينما تابع الهَمَجِي: «أجل، هو الجبان الذي قتلَ ذا النَّصف يد. كان هذا  
في (أنياب الصَّقيع) بعد أن طاردنا الغربان الآخرين وقتلناهم جميعاً. كنا لنقتل  
هذا أيضاً لولا أنه توسَّل إلينا أن نُبقي على حياته الحقيرة، وعرض الانضمام  
إلينا إذا قبلناه. ذو النَّصف يد أقسم أن يُقتل الجبان أولاً، لكن الذئب مرَّق  
كورين وشقَّ هذا حلقه»، ومنح چون ابتسامة كَشَفَت عن أسنانه المفقودة،  
وبصقَ دماً على قدمه.

سأل چانوس سلينت چون بقسوة: «إذن؟ هل تُتكر هذا؟ أم أنك ستدعي  
أن كورين أمرك بأن تقتله؟».

أته الكلمات بصعوبة وهو يُجيب: «قال لي... قال لي أن أفعل ما يُطلب  
مني أيّاً كان».

تطلّع سلينت عبر العُرفة وخاطبَ رجال (القلعة الشَّرقيَّة) قائلاً: «هل يحسب هذا الصَّبي أنني سقطتُ من فوق عربة لفت على رأسي؟». قال السير أليسر ثورن: «أكاذيبك لن تُنقذك الآن يا لورد سنو. سننال الحقيقة منك أيها النُّغل».

- «لقد قلتُ الحقيقة. خيولنا كانت منهكةٌ وذو القميص المُخشخش يكاد يُطبِق علينا، فقال لي كورين، أن أتظاهر بالانضمام إلى الهَمج، قال ألا أرفض مهما طلبوا مني. كان يعلم أنهم سيجعلوني أقتله. ذو القميص المُخشخش كان سيقتله على أيِّ حال، وكان يعلم هذا أيضاً».

قال سلينت: «هل تزعم أن العظيم كورين ذا النِّصف يد كان يخشى هذا المخلوق؟»، ورمقَ ذا القميص المُخشخش، وأطلقَ نخرًا ساخرًا. دمدمَ الهمججي: «كلُّ الرِّجال يخشون سيِّد العظام»، فركله السير جلندون معيدًا إياه إلى صمته.

قال چون بإصرار: «لم أقل هذا».

ضربَ سلينت المنضدة بقبضته قائلاً: «لقد سمعتك! يبدو أن السير أليسر أصابَ في حُكمه عليك. إنك لا تنطق إلاَّ كذبًا من بين أسنانك التُّغلة هذه. طيب، أنا لن أسمح بهذا، لن أسمح! ربما انطلى كذبك على ذلك الحدِّاد المُعاق، لكن ليس چانوس سلينت! أوه، لا، چانوس سلينت لا يتلع الأكاذيب بهذه البساطة. هل تحسب أن جمجمتي محشوة بالكرب؟».

- «لا أدري شيئًا عن حشو جمجمتك... يا سيِّدي».

قال السير أليسر: «اللورد سنو كُتلة من الغطرسة. لقد قتلَ كورين كما قتلَ رفاقه المارقون اللورد مورمونت، ولن يُدهشني إذا اتَّضح أن كلَّ هذا جزء من المؤامرة الدنيئة نفسها. ربما تكون لبنچن ستارك يد في الأمر أيضًا. على حدِّ علمنا قد يكون جالسًا في خيمة مانس رايدر الآن. أنت تعرف آل ستارك هؤلاء يا سيِّدي».

- «أعرفهم، أعرفهم جيِّدًا جدًّا».

خلع چون قفازه وأراهم يده المحروقة قائلاً: «لقد حرقتُ يدي وأنا أدافع عن اللورد مورمونت ضد جثة حيَّة، وعمِّي كان رجلًا شريفًا، ومستحيل أن يخون قسمة».



قال السير أليسر هازئا: «كما لم تَحْن قَسْمك؟».

تتحنح السِّبتون سلا دور، وقال: «لورد سلينت، هذا الصَّبِي رفضَ أن يَرُدَّ قَسْمه كما ينبغي في السِّبت، بل ذهب وراء (الجدار) ليقول الكلمات أمام شجرة قلوب. قال إنها آلهة أبيه، لكنها آلهة الهَمَج أيضًا».

قال المايستر إيمون بكياسةٍ وإنما بحزم: «إنها آلهة الشَّمال أيها السِّبتون. أيها السَّادة، حين قُتِلَ دونالد نوي تولَّى هذا الشَّاب چون سنو قيادة (الجدار) ودافع عنه ضد غضبة الشَّمال كلها، وقد أثبت شجاعته وإخلاصه وسعة حيلته. لولاه لوجدت مانس رايدر جالسًا هنا عندما وصلت يا لورد سلينت. إنك مخطئ في حقِّه تمامًا. چون سنو كان وكيل اللورد مورمونت ومُرافقه، واختير لهذا الواجب لأن حضرة القائد رأى كم هو واعد، مثلما أرى تمامًا».

قال سلينت: «واعد؟ أحيانًا يتضح كذب الوعود. دماء كورين ذي النِّصف يد على يديه. تقول إن مورمونت وثق به، لكن ما قيمة هذا؟ إنني أعرف معنى أن يخونك رجال وثقت بهم، أوه، نعم، وأعرف أساليب الذئاب كذلك»، وأشار إلى وجه چون مضيئًا: «أبوك مات خائئًا».

- «أبي اغتيل». لم يُعد چون يُيالي بما يفعلون به، لكنه لن يتحمَّل مزيدًا من الأكاذيب عن أبيه.

اربدَّ وجه سلينت، وقال: «اغتيل؟ يا لك من جرو صفيق. جثمان الملك روبرت لم يكن قد بردَ بعدُ حين تحرَّك اللورد إدارد ضد ابنه»، ونهض لتلوح قامته الأقصر من مورمونت وغلظة صدره وذراعيه وانتفاخ بطنه، وقد التمعت الحربة الذهبية الصَّغيرة ذات الرُّأس المطلي بالميْنا الأحمر التي تُبَّت معطفه إلى كتفه. أردف الرَّجل: «أبوك مات بالسِّيف، لكنه كان من الأعيان ويد الملك، أمَّا أنت فتكفيك أنشودة. سير أليسر، خذ هذا المارق إلى زنزانية جليديَّة».

قال السير أليسر قابضًا على ذراع چون: «سيدي حصيف».

انترع چون ذراعه من يد الفارس وأطبق على حلقه بقوةٍ رفعتَه عن الأرض، وكان ليخنقه خنقًا لو لم يسحبه رجال (القلعة الشرقيَّة) بعيدًا عنه.

تراجع ثورن مترنحًا يفرِّك العلامات التي تركتها يد چون على رقبته، وقال: «كما رأيتم بأنفسكم أيها الإخوة، الصَّبِي همجي».

## تيريون

حين أبلج الفجر وجد أنه لا يطيق فكرة الطعام. قد يحلُّ عليَّ المساء وأنا مدان. في معدته حمض ومرة، وفي أنفه حكة لا تتوقف، فحكّه برأس سكينه مفكرًا: شاهد أخير أتحمّله ثم يأتي دوري. لكن ماذا يفعل؟ يُنكر كل شيء؟ يتهم سانزا والسير دونتوس؟ يعترف على أمل أن يقضي بقيّة عمره على (الجدار)؟ يُقامر ويصلي أن يهزم الأفعوان الأحمر السير جريجور كليجاين؟ راح تيريون يطعن قطعةً رماديّة من السُّجق بفتور وهو يتمنى لو أنها أخته. البرد قارس على (الجدار)، لكن على الأقل سأكون منعزلاً عن سرسي. لا يظنُّ أن بإمكانه أن يُصبح جوّالاً ناجحًا، لكن حرس الليل في حاجةٍ إلى الأذكىاء كحاجتهم إلى الأقوياء، وقد قال حضرة القائد مورمونت له هذا بنفسه عندما زار (القلعة السوداء). مع أن هناك تلك النذور المزعجة. سيعني هذا نهاية زواجه وأيِّ دعوىٍ لحقه في (كاسترلي روك)، وإن كان لا يبدو مقدّرًا له أن يستمتع بأيهما على كلّ حال، كما أنه يذكّر أن هناك ماخورًا في قريةٍ قريبة. ليست الحياة التي حلمَ بها على الإطلاق، لكنها حياة، وما عليه لينالها إلا أن يثق بأبيه ويقف على قدميه القصيرتين ناقصتي الثُمو ويقول: «نعم، أعتزُّ بأني فعلتها». هذا هو الجزء الذي يقلب معدته، لدرجة أنه يكاد يتمنى لو أنه فعلها حقًا، ما دام من الجليّ أنه سيُعاني بسبب جريمة لم يرتكبها في جميع الأحوال.

قال بودريك باين: «سيدي، إنهم هنا يا سيدي، السير أدام وذوو المعاطف الذهبية منتظرون في الخارج».

- «بود، قُل الحقيقة... هل تعتقد أنني فعلتها؟».

تردّد الصَّبِي، ولمّا حاولَ أن يتكلّمَ لم يَخْرُجَ من فيه إلّا كلماتٍ مختلطةً ضعيفةً.

إني هالك. زفرَ تيريون، وقال: «لا داعي للإجابة. لقد كنت مُرافقًا جيّدًا لي، أفضل مما أستحقُّ، ومهما حدثَ أشكرُك على خدمتكِ المخلصة». كان السير آدم ماربراند منتظرًا مع ستّة من حرس المدينة عند الباب، وبدأ أنه ليس هناك ما يقوله هذا الصَّبّاح. رجل صالح آخر يحسبني قاتلَ أُفريين. حشدَ تيريون كلّ ما يستطيع من كرامته وبدأ ينزل السِّلالمَ متمايلًا، وبينما يَعْبُرُ السَّاحةَ أحسَّ بهم جميعًا يُراقِبونه؛ الحُرَّاس على الأسوار والسَّاسة في الاسطبلات ومساعدو الطهاة والغسّالات والخادِمات، وحين دخلوا به قاعة العرش أفسحَ الفُرسان واللوردات لهم الطريق وهمسَ كل منهم بشيءٍ ما لليدي رفيقته.

ولم يكد تيريون يتخذ مكانه أمام القُضاة حتى دخلت مجموعة أخرى من ذوي المعاطف الذهبية بشاي.

اعتصرت قبضة باردة قلبه، وقال لنفسه: خانها فارس، ثم إنه تذكّر فأتبّع: لا، خُنتها أنا. كان عليّ أن أتركها مع لوليس. بالطبع استجوبوا وصيغات سانزا، كنتُ لأفعل المِثل. فرك تيريون النّدة الملساء التي تحتل مكان أنفه متسائلًا لماذا كلّفت سرسي نفسها. شاي لا تعرف شيئًا من شأنه أن يؤذيني. ثم قالت الفتاة التي أحبّها: «لقد تأمرا معًا، العفريت والليدي سانزا خططا للأمر بعد موت الذئب الصّغير. سانزا أرادت الانتقام لأخيها وتيريون أراد العرش. كان سيقتل أخته بعد قتل ابنها، ثم السيّد والده، كي يصبح يد الأمير تومن، لكن بعد عام أو نحوه كان سيقتل تومن أيضًا قبل أن يكبر ويأخذ التّاج لنفسه ويضعه على رأسه».

سألها الأمير أوبرين: «وأنتي لكِ بمعرفة كلّ هذا؟ لِمَ يبوح العفريت بهذه المخططات لوصيفة زوجته؟».

قالت شاي: «لقد سمعتهما يا سيّدي، وأحيانًا كان لسان سيّدتي يزلُّ أيضًا، لكنني سمعتُ أغلب الكلام منه شخصيًا. إنني لم أكن وصيفة الليدي سانزا فقط، بل كنتُ عاهرته أيضًا طيلة وجوده هنا في (كينجز لاندنج). صبيحة الزّفاف جرّني إلى حيث يحتفظون بجماجم التّنانين وضاجعني هناك

والوحوش تُحيط بنا، ولَمَّا بكيْتُ قال إن المفترَض أن أكون أكثر امتنانًا، فليست كل فتاة تنال فُرصة أن تكون عاهرة الملك، وعندها أخبرني ببيته أن يكون ملكًا، وقال إن الفتى المسكين چوڤري لن يعرف عروسه كما يعرفني هو أبدًا»، وأجهشت بالبكاء متباعدة: «لم أرد أن أكون عاهرة قَطُّ يا سادتي، بل نويتُ أن أتزوج. كان مُرافِقًا، صبيًّا طيبًا شجاعًا وكريم المولد أيضًا، لكن العفريت رأني عند (الفرع الأخضر) ووضع الصَّبي الذي أردتُ أن أتزوج في الصَّف الأمامي من طليعة الجيش، وبعد أن قُتِل أرسلَ همجيَّه ليأخذوني إلى خيمته، شاجا الكبير وتيميت ذا العين المحروقة. قال أن أمتعه وإلا أعطاهم إياي، ففعلتُ كما قال، ثم أحضرتني إلى المدينة لأكون قريبةً متى أرادني. جعلني أفعلُ أشياءً مشينةً...».

بدا الفضول على الأمير أوبرين إذ سأَلها: «أشياء مثل ماذا؟».

لا ريب أن كلَّ رجل في القاعة أراد أن يحتوي شاي بذراعيه ويواسيها وقد سألتَ الدُموع ببطءٍ على هذا الوجه الجميل وهي تُجيب: «أشياء لا تُوصَف! بغمي و... وغيره يا سيدي، بجسدي كله. لقد استعملني بكلِّ طريقةٍ ممكنة، و... جعلني أقول له كم هو كبير دائمًا، فكنتُ أناديه بعملاقي، عملاقي اللانستر».

كان أوزموند كِتلبلاك أول الضَّاحكين، وانضمَّ إليه بوروس ومرين، ثم سرسي والسير لوراس وعدد من اللوردات والليديئات أكبر من أن يُحصيه تيريون، وتردَّد رنين عاصفة الضَّحك المباغته على عوارض السَّقْف وهزَّ العرش الحديدي. قالت شاي معترضةً: «إنها الحقيقة، عملاقي اللانستر»، فتعاطم الضَّحك وتفاقمَ والتوت أفواههم مرحًا واهتزَّت بطونهم، بل وكان ضحك بعضهم شديدًا لدرجة أن المخاط تطايرَ من أنوفهم.

لقد أنقذتكم جميعًا، أنقذتُ هذه المدينة المقيمة وحيواتكم الرخيصة. في قاعة العرش مئات، كلهم يضحكون منه باستثناء أبيه، أو أن هذا ما تبدَّى له. حتى الأفعوان الأحمر قهقهة، وبدا بطن مايس تايرل كأنه على شك الانفجار، لكن اللورد تاويون لانستر جلسَ بينهما كأنه قُدَّ من حجر وقد شبَّك أصابعه تحت ذقنه. تقدَّم تيريون صائحًا: «أبيها السَّادة!». كان عليه أن يصيح إن كان يأمل أن يُسمع.

ورفع أبوه يده، وشيئًا فشيئًا هدأت القاعة.

قال تيريون: «أبعدوا هذه العاهرة الكاذبة عن نظري وسأعطيكم الاعتراف الذي تنشُدونه».

أوماً اللورد تايوين برأسه ولوّح بيده، وبدت شيًا أذنى إلى الرُّعب إذ اصطَفَّ ذوو المعاطف الذهبية حولها. التفت عيناها عيني تيريون إذ قادوها من القاعة، لكن أهو الخزي ما رأى فيهما أم الخوف؟ تساءل عمًا وعدتها به سرسي، وفكر وهو يرفب ظهرها يتضاءل: ستناين ما طلبت من ذهب أو جلي أيًا كان، لكن قبل أن يدور القمر ستكون قد جعلتك تسليّة لذوي المعاطف الذهبية في نُكثاتهم.

رفع تيريون ناظريه إلى عيني أبيه الخضراوين القاسيتين بما فيهما من رُقط الذهب الباردة البراقة، وقال: «مذنب، مذنب تمامًا. أهدا ما أردت أن تسمعه؟».

لم يقل اللورد تايوين شيئًا، وأوماً مايس تايرل برأسه، أمّا الأمير أوبرين فلاح عليه شيء من خيبة الأمل وهو يسأله: «تعترف بأنك سممت الملك؟».

قال تيريون: «على الإطلاق. إنني بريء من موت چوفري، لكنني مذنب في جريمة أكثر وحشية»، وأخذ خطوة صوب أبيه مواصلاً: «إنني وُلدت، أني عشت. إنني مذنب لكوني قزمًا، أعترف بهذا، ولا يهّم كم مرّة سامحني أبي، فقد أصريت على التّمادي في عاري».

أعلن اللورد تايوين: «ما تقوله حُمق يا تيريون. تكلم في الموضوع المطروح. إنك لا تُحاكم لكونك قزمًا».

- «مخطئ أنت في هذا يا سيّدي. إنني أحاكم لكوني قزمًا طيلة حياتي».

- «أليس لديك ما تقوله دفاعًا عن نفسك؟».

- «لا شيء إلا أنني لم أفعلها، لكنني أتمنى الآن لو أنني فعلتها»، والتفت

تيريون يواجه بحر الوجوه الممتعة الذي يُغرق القاعة مردفًا: «أتمنى لو أن

معني سُمًا يكفيكم جميعًا. إنكم تجعلونني أندم على أنني لست الوحش الذي

تريدونني أن أكونه، لكنها الحقيقة. أنا بريء، لكنني لن أنال عدالة هنا، ولا

تتركون لي خيارًا إلا التماسها من الآلهة. إنني أطلب بمحاكمة بالنزال».

قال أبوه: «هل طار صوابك؟».

- «بل عادَ إليَّ. أطالُبُ بمحاكَمَةِ النَّزالِ!».

لم تكن أخته الجميلة لتجد في نفسها سعادةً أكثر وهي تقول للقضاة: «إن له هذا الحقُّ أيها السَّادة. لتُصدِرِ الآلهةُ حُكمها. السير جريجور كليجان سيكون نصيرِ چوفري. لقد عادَ إلى المدينة ليلة أول من أمس ليضع سيفه في خدمتي».

كان وجه اللورد تايوين مكفهراً للغاية، حتى إن تيريون تساءل إن كان هو أيضاً قد شربَ نبيذاً مسموماً. صفقَ أبوه المنضدة بقبضته وقد أعجزه غضبه عن الكلام، لكن مايس تايرل هو من التفتَ إلى تيريون وألقى عليه السُّؤال: «ألديك نصير يُدافع عن براءتك؟».

نهضَ الأمير أوبرين الدورني مجيباً: «نعم يا سيّدي. لقد أفتنعي الفزم تماماً».

لحظتها عمَّ القاعة هدير يصمُّ الأذان، ووجدَ تيريون لذّةً خاصّةً في الشكِّ المفاجئ الذي لمحه في عينيّ سרسي. تطلّب الأمر أن يدقّ مئة من ذوي المعاطف الذهبية أرضية قاعة العرش بكعوب حِرابهم حتى عادَ إليها الهدوء، وعندما كان اللورد تايوين لانستر قد سيطرَ على أعصابه، وأعلنَ بنبرةٍ من حديد: «لُتَحَسَمِ المسألةُ غداً إذن. إنني أغسلُ يديّ منها»، وحدجَ ابنه القزم بنظرةٍ غاضبةٍ باردة ثم غادرَ القاعةَ بخطواتٍ سريعةٍ خارجاً من باب الملك وراء العرش الحديدي، وإلى جانبه أخوه كيثان.

لاحقاً في زنزانة البُرج صبَّ تيريون لنفسه كأساً من النبيذ، وأرسلَ بودريك باين يُحضِرُ جُبنةً وخُبزاً وزيتوناً، إذ يشكُّ في قدرته على الاحتفاظ بأيّ شيءٍ أنقل في معدته الآن. قال للظلال التي نقشتها شموعه على الجدار: هل ظننت أنني سأذهبُ بخنوعٍ يا أبي؟ لقد أورتني منك ما لا يجعلني أفعُلُ شيئاً كهذا. الآن يشعُرُ بسلامٍ غريبٍ وقد انتزعَ سلطَةَ الحياة والموت من يديّ أبيه ووضعها في أيدي الآلهة. بفرض أن هناك آلهةً، وبفرض أنها تُبالي مقدار ذرّة. وإن لم يكن فحياتي في يد الدورني. مهما حدثَ فتيريون قانع بمعرفته أنه ضربَ بخطط اللورد تايوين عرض الحائط. إذا فازَ الأمير أوبرين فسيلهبُ فوزه الأمور بين (هايجاردن) والدورنيين أكثر، وسيرى مايس تايرل الرّجل الذي أقدّه ابنه يُساعدُ القزم الذي كاد يُسمّم ابنته على النّجاة من عقابه العادل،

وإذا انتصرَ الجبل فلا بُدَّ أن دوران مارتل سيطَّلبُ بأن يعرف لماذا نالَ أخوه الموت بدلاً من العدالة التي وعدَه بها تيريون، وقد تُتَّوَّج (دورن) مارسلاً حقًّا. تكاد المتاعب التي سبَّها تستحقُّ أن يموت. هل ستأتين لتشهدِي النهاية يا شاي؟ هل ستقفين مع البقية لتفترجِي بينما يضرب السير إلين رأسِي القبيح؟ هل ستشتاقين إلى عملاقِك اللانستر بعد أن يموت؟ أفرغْ نبِيذه في جوفه وطوِّح بالكوب وبدأ يُعْنِي بشهوة.

ركبَ في شوارع المدينة  
نازلاً من تله العالي  
عبر الحارات والأعتاب والأحجار  
ركبَ إلى تنهيدة امرأة  
هي عاره ونعيمه  
هي كنزه وسِرُّ الأسرار  
وهل تُقَارَن سلسلة من الأيدي  
بقبلة امرأة؟

لم يَزُرْه السير كيثان ليلتها، فغالبًا ظلَّ مع اللورد تايوين الذي يُحاول استرضاء آل تايول. صَبَّ لنفسه كوب نبِيذٍ آخر مفكِّراً: أخشى أني رأيتُ عمِّي هذا للمرة الأخيرة. مؤسف أنه أمرَ بقتل سايمون لسان الفضة قبل أن يعرف كلمات الأغنية كلها. ليست أغنية سيئة في الحقيقة، بالذات مقارنةً بالأغاني التي سكتب عنه من الآن فصاعداً. «فالأيدي الذهب دوماً باردة، لكن يدي المرأة تشعان دفئاً». ربما يجدرُ به أن يكتب بقية الأبيات بنفسه... إذا عاش ليكتبها.

المدهش أن تيريون لانستر نامَ طويلاً وعميقاً ليلتها، واستيقظَ مع أولى خيوط الفجر مستريحاً مفتوح الشهية، وأفطرَ على الخبز المحمَّر والسُّجق الدُموي وكعكات التُّفَّاح وحصَّتين من البيض المطبوخ بالبصل والفلفل الدورني الحريِّف، ثم استأذَن من حرسه أن يذهب ويرى نصيره، فأعطاه السير أدام الإذن.

وجدَ تيريون الأمير أوبرين يشرب كأسًا من النَّيِّد الأحمر بينما يرتدي درعه، وقد صاحبه أربعة من اللوردات الدورتيين الأصغر سنًا ومقامًا. قال الأمير: «عِمت صباحًا يا سيّدي. هل تُريد كوب نبيذ؟».

- «أُجب أن تشرب قبل المعركة؟».

- «دائمًا أُشربُ قبل المعركة».

- «لكن هذا قد يتسبّب في مقتلِك، أو أسوأ، قد يتسبّب في مقتلِي أنا».

ضحك الأمير أوبرين، وقال: «الآلهة تُدافع عن الأبرياء، وأنت بريء، ليس كذلك؟».

- «مِن قتلِ چوفري فقط. أملُ أنك تُدرِك ما تُوشِك على مواجَهته. جريجور كليجاين...».

- «... ضخم؟ سمعتُ هذا».

- «إنه يُناهِز الأقدام الثمانية طولًا، ويزنُ أربعمئة رطل على الأقل، كُلها عضلات، كما أنه يُقاتل بسيفٍ عظيم يُحمَل باليدين لكنه يحمله بيدٍ واحدة، وحدث مرارًا أن شطرَ رجالًا إلى نصفين بضربةٍ واحدة، ودرعه ثقيلة لدرجة أن لا رجل يُصغره حجمًا يحتمل ثقلها، ناهيك بالحركة وهو يرتديها».

لم يبدُ تأثر على الأمير أوبرين وهو يردُّ: «سبق لي أن قتلت رجالًا كبار الحجم. الحيلة أن تُسقطهم أرضًا، فبمجرد أن يسقطوا ينتهي أمرهم». قالها الدورني بثقةٍ بالغة كادت تبعث تيريون على الاطمئنان، إلى أن التفّت وقال: «ديمون، حربتي!»، فألقاها السير ديمون إليه والتقطها الأفعوان الأحمر في الهواء.

- «تنوي أن تُواجه الجبل بحربة؟!». أعادَ هذا إلى تيريون كلَّ ما كان يُفِعمه من قلق. في المعارك تُكوّن صفوف الحِراب المكلّلة جبهةً لا يُستهان بها، لكن في التّزال الفردي ضد مُبارزٍ بارع يختلف الأمر كثيرًا.

- «إننا مغرّمون بالحِراب في (دورن)، كما أنها الوسيلة الوحيدة للتّصدّي لمدى ذراع الواسع. ألق عليها نظرةً يا سيّدي العفريت، لكن لا تلمسها».

كانت الحربة من خشب الدردار المخروط، تبلغ قناتها الملساء الغليظة الثّقيلة ثمانية أقدام طولًا، آخر قدمين منها من الفولاذ الذي يتخذ شكل ورقة شجرٍ رفيعة تضيق مكوّنة الرأس الذي يُنذر منظره بالويل، وتبدو حوافه الحادّة



صالحةً لأن تحلق بها لحيتك، وقد التمعت بالأسود حين دَوَّر أوبرين القناة بين راحتَي يديه. أهذا زيت أم سُم؟ قرَّر تيريون أنه لا يُؤثر أن يعرف الإجابة، وقال بريية: «أتمنى أنك تُجيد القتال بها».

- «لن تجد ما يدعو للشكوى، لكن السير جريجور قد يجد. أيًا كان سُمك درعه فستكون هناك ثغرات عند المفاصل، في باطن المرفقين والرُكبتين، تحت الدِّراعين... سأجد مكانًا أدغده فيه، أعدك»، ووضع الأمير الحربة جانبًا، وواصل: «يُقال إن اللانستر يُسدّد ديونه دائمًا. ربما عليك أن تعود معي إلى (صنسبير) بعدما نَفَرُغ من إراقة الدِّماء اليوم. سيُسِرُّ أخي كثيرًا للقاء وريث (كاسترلي روك) الشرعي... خصوصًا إذا جلبَ معه زوجته الجميلة سيِّدة (ويترفل)».

هل يحسب الثُّعبان أنني أجبُّ سانزا في مكانٍ ما كسنجاب يدخُر جوزةً للشِّتاء؟ إذا كان الأمر كذلك فتيريون لن يُفِيقه من وهمه الآن، وهكذا قال: «الحقيقة أن رحلةً إلى (دورن) ستكون سارَّةً للغاية».

رشف الأمير أوبرين من نبيذه، وقال: «خطَّ لزيارةً طويلةً إذن. هناك أمور ومصالح مشتركة كثيرة ستناقشها مع دوران. الموسيقى، التجارة، التاريخ، التَّبيذ، بنس القزم... قوانين الإرث والخلافة. لا شك أن مشورة خالها ستنتفع الملكة مارسلا في الأوقات العصيبة التي تنتظرنا».

إذا كانت طيور فارس الصَّغيرة تنصَّت الآن فقد أعطهاها أوبرين ما يُسيل اللعاب. قال تيريون: «أعتقد أنني سأشربُ كوب التَّبيذ هذا الآن». الملكة مارسلا؟ لو أنه يُخفي سانزا حقًا لكانت الفكرة أكثر إغراءً. إذا أعلنت تأييدها مارسلا بدلًا من تومن، فهل يتبعها الشِّمال؟ ما يُلمَح له الأفعوان الأحمر خيانة. هل يستطيع تيريون حقًا أن يرفع السِّلاح ضد تومن؟ ضد أبيه؟ سبِّصق سرسي دمًا. قد يستحقُّ الأمر أن يفعلها في سبيل هذا وحده.

قال الأمير أوبرين بينما ركع نعل (عطية الآلهة) أمامه ليربط واقِي السَّاقين: «هل تذكُر ما حكيتك لك عن لقائنا الأول أيها العفريت؟ أنا وأختي لم نذهب إلى (كاسترلي روك) من أجل رؤية ذلك فحسب، بل كنا في مهمَّة من نوع ما، مهمَّة أخذتنا إلى (ستارفول) و(الكرمة) و(البلدة القديمة) و(جُزر التُّروس) و(كراكهول)، وأخيرًا (كاسترلي روك)... لكن وجهتنا الحقيقيَّة كانت

الزَّوَّاجِ. كان دوران قد خطبَ الليدي ميلاريو ابنة (نورفوس)، فتركناه أمينًا للقلعة في (صنسيبر)، أمَّا أنا وأختي فلم نكن موعودين لأحدٍ بعدُ. إليا وجدَّت المسألة كلَّها مثيرةً، فقد كانت في تلك السنِّ إيَّاها، وصحَّتْها الضَّعيفة لا تُتيح لها السَّفَر كثيرًا، على حين فضَّلْتُ أنا تسليَّة نفسي بالسُّخرية من خُطابها. كان هناك اللورد غَمَش الصَّغير، والمُرافِق ذو الفم النَّافورة الذي سمَّيته الحوت الماشي، وأشياء من هذا القبيل. الوحيد الأقرب إلى القبول كان الشَّاب بيلور هايتاور. فتى وسيم، ووقعت أختي في حُبِّه نوعًا إلى أن جعله حَظُّه العاثر يُطلق ريحًا مرَّةً في حضورنا. بلا إبطاء سمَّيته اللورد ضرطة، وبعدها لم تُعد إليا تستطيع النَظَر إليه دون أن تضحك. كنتُ صغيرًا متوحِّشًا، وكان على أحدهم أن يقطع لساني السَّام هذا».

وافقه تيريون بصمت: نعم. لم يُعد بيلور هايتاور شابًا، لكنه يظلُّ وريث اللورد لايتون، كما أنه تُريُّ ووسيم وفارس لا عُبار على سُمعته، ويُلقَّب الآن ببيلور البشوش. لو تزوَّجته إليا بدلًا من ريجار تارجارين لكانت في (البلدة القديمة) الآن وحولها أطفالها يكبرون. تُرى كم نفسًا أزهَّقتها تلك الضَّرطة الواحدة؟

واصلَ الأمير أوبرين بينما ساعده أرون كورجايل على ارتداء سُترَةٍ جليديَّة مبطنَّة وبدأ يعقد أربطتها على ظهْره: «انتهت رحلتنا في (لانسپورت). هل تُدرك أن أمينا كانتا متعارفتين قديمًا؟».

- «أذكرُ أنهما كانتا في البلاط معًا في صباهما. رافقتا الأميرة ريبلا، أليس كذلك؟».

- «بالضَّبَط. كان اعتقادي أن الأُميين طبَّختنا هذه النخطة معًا. المُرافِق ذو الفم النَّافورة وأمثاله، والفتيات العديداً ذوات البثور اللائي عُرضن عليَّ... كلُّ هؤلاء لم يكونوا أكثر من المقبَّلات قبل الوليمة، شيء يفتح شهيتنا ليس إلَّا، أمَّا الطَّبَق الرَّئيسي فكان سيُقدِّم في (كاسترلي روك)».

- «سرسي وچايمي».

- «قزم ذكي. أنا وإليا كنا أكبر بالطَّبع، بينما لم يتجاوز أخوك وأختك الثَّامنة أو التَّاسعة على الأكثر، لكن فارق خمس أو ستَّ سنين ليس كبيرًا. ثم إن سفيتنا ضَمَّت قمرَةً خاليةً، قمرَةً أنيقةً للغاية كالتي يُحتفظ بها لعلية القوم،

كأن الغرض منها أن يَسْكُنَهَا أحد في طريق العودة إلى (صنسبير)، وصيف صغير مثلاً، أو رفيقة لإليا. كانت السيِّدة والدتي تهدف إلى أن يخُطَب چايمي أختي أو أخطب سرسي، وربما هذا وذاك».

قال تيريون: «ربما، لكن أبي...».

- «... كان يَحْكُم (الممالك السَّبْع)، وفي بيته تَحْكُمه السيِّدة زوجته، أو أن هذا ما اعتادت أمي قوله دائماً»، ورفع الأمير أوبرين ذراعيه ليُلْبِسه اللورد داجوس مانوودي ونغل (عطية الآلهة) قميصاً من الحلقات المعدنيَّة، وأكمل: «بلغنا خبر وفاة أمك في (البلدة القديمة)، والطفل الوحش الذي ولدته. كان يُمكن أن نعود أدراجنا من هناك، لكن أمي اختارت أن نُواصل الإبحار. حكيتُ لك عن التَّرحيب الذي وجدناه في (كاسترلي روك)، لكن ما لم أخبرك به أن أمي انتظرت أطول فترةٍ لائقة، ثم فاتحت أباك في غرضنا. بعدها بسنوات، على فراش الموت، قالت لي إن اللورد تايوين رفضنا بفظاظة، وقال لها إن ابنته ستزوِّج ريجار تارجارين، ولما عرضت أن يتزوِّج چايمي إليا عرضك عليها بدلاً منه».

- «وهو العرض الذي اعتبرته ذمًّا».

- «وكان كذلك بالفعل. حتى أنت ترى هذا بالتأكيد».

- «أوه، بالتأكيد». كل شيء يعود إلى الماضي، إلى أمهاتنا وآبائنا وأمّهاتهم وآبائهم من قبلهم. ما نحن إلا ذمي تتراقص على خيوط من جاءوا قبلنا، وذات يوم سيحل أطفالنا محلنا على الخيوط ويرقصون حيث رقصنا. «طيب، لقد تزوِّج الأمير ريجار الأميرة إليا ابنة (دورن) وليس سرسي لانستر ابنة (كاسترلي روك). يبدو أن أمك فازت في هذه المطاعنة».

ردَّ أوبرين: «هذا ما حسبته، لكن أباك ليس بالرجل الذي ينسى إساءة كهذه، وقد علم اللورد والليدي تاريك هذا الدرس، كما علمه لال راين أولاد (كاستامير)، وفي (كينجز لاندنج) علمه لأختي. خودتي يا داجوس». ناو له مانوودي الخوذة الذهبية الطويلة ذات القرص النحاسي المركب على جبهتها متخذاً شكل شمس (دورن)، ورأى تيريون أن المقدِّمة مخلوعة، بينما قال الأمير أوبرين: «إليا وطفلاها انتظروا العدالة زمناً طويلاً»، وارتنى قفازين من الجلد الأحمر اللدن والتقط حربته مضيئاً: «واليوم ينالونها».

اختيرت السّاحة الخارجيّة للنّزال، وفي الطّريق إلى هناك اضطرّ تيريون لأن يجري ويتوائب ليُجاري خطوات الأمير أوبرين الواسعة. الثّعبان تَوَاق إلى القتال. لنأمل أنه سامٌّ أيضًا. كان النّهار غائمًا قويّ الرّيح، والسّمس تُكافح كي تخترق أشعّتها السّحب، لكن تيريون لا يدري من سيربح معركة السّماء أكثر مما يدري من سيربح المعركة التي تعتمد عليها حياته.

بدا كأن ألفًا من النّاس قد أتوا ليروا إن كان سيعيش أم يموت، فاصطفّوا على ممّرات أسوار القلعة وتزاحموا وتدافعوا على سلالم الحصون والأبراج، ووقفوا يُشاهدون من أبواب الاسطبلات والتّوافذ والجسور والشرفات والسّطوح، وعجّت السّاحة بأعدادٍ غفيرة منهم لدرجة أن فرسان الحرس الملكي دفعوهم إلى الوراء ليكون هناك متّسع كافٍ للقتال. بعضهم سحبَ كراسي ليتفرّج براحةٍ أكثر، وقبّع البعض الآخر فوق براميل. فكّر تيريون بكآبة: كان علينا أن نفعل هذا في (جُب الثّنائين)، نأخذ بنسًا على كل رأس وندفع تكلفة زفاف چوفري وجنازته في آن واحد. على أكتاف بعض المشاهدين استقرّ أطفال صغار طلبًا لرؤية أفضل، ولما ظهر تيريون راحوا يصيحون ويُشيرون.

سرسى نفسها بدت أقرب إلى طفلةٍ إلى جوار السير جريجور، وفي درعه بدا الجبل أكبر مما ينبغي لأيّ رجل أن يكون. تحت سُترة صفراء طويلة عليها كلاب عائلة كليجاين الثّلاثة ارتدى صفائح ثقيلة فوق الحلقات المعدنيّة، يبدو فولاذها الرّمادي الباهت منبعجًا ومشوّهاً من فرط ما خاض من معارك، ولا بُدّ أنه يرتدي تحتها الجلد المقوّى بالرّيت المغلي وطبقة من البطانة، وإلى وافي عنقه تُبنت خوذة عظيمة مسطحة القمّة، بها فتحات تنفس حول الفم والأنف وفتحة رؤية ضيّقة، والرّيشة على قمّتها لها شكل قبضةٍ حجريّة.

إذا كان السير جريجور يتوجّع من إصاباته فتيريون لم يرَ أمارّة على هذا من مكانه عبر السّاحة. يبدو كأنه منحوت من الصّخر وهو واقف هكذا. كان سيفه العظيم مغروسًا في الأرض أمامه، ستّة أقدام من المعدن المشوّه، وقد أطبق جريجور على طرفيّ الوافي العرضي بيديه الصّخمتين المقفّزتين بأقراص الفولاذ.

حتى خلیلة الأمير أوبرین غاضت الدماء من وجهها لدى مرآه، وقالت  
إلاریا ساند بصوت مكتوم: «ستقاتل هذا؟!». أجابها عشيقها بلا مبالاة: «بل سأقتل هذا».

ساورت تیریون الشكوك الآن وهم واقفون على شفير المعركة، وعندما  
رمق الأمير أوبرین وجد نفسه يتمنى لو أن برون هو من يدافع عنه... أو  
من أفضل منه، چایمی. يرتدي الأفعوان الأحمر دروعًا خفيفة على ساقیه  
وساعديه وكتفيه وعنقه، بالإضافة إلى واقي صَفْن<sup>(1)</sup> من الفولاذ، وفيما عدا  
هذا لم يرتد إلا الجلد المرن والحريير الفضفاض، وفوق قميصه المعدني  
كانت سترة الأقراص النحاسية البراقة، لكن حلقات المعدن وأقراص النحاس  
لن تمده بُرع الحماية التي يكفلها الفولاذ الثقيل لجريجور. ثم إن الأمير خلغ  
مقدمة خوذته، وهو ما يجعلها كالخوذة القصيرة في أفضل الأحوال، دون  
واق للأنف حتى. أمّا تُرسه الفولاذي المستدير فمصقول حتى اللّمعان،  
وعليه رمز الشمس والحربة بالذهب الأحمر والأصفر والأبيض والنحاس.

أرقص حوله حتى يتعب من تسديد الضربات إليّ ولا يعود قادرًا على  
رفع سيفه، ثم أسقطه بوسيلة ما. يبدو أن فكرة برون راودت الأفعوان الأحمر  
أيضًا، لكن المرتزق ذكر مخاطر هذا الأسلوب بكل وضوح. أمل بحقّ  
الجحائم السبع أنك تعرف ما تفعله أيها الثعبان.

إلى جوار (بُرج اليد) نُصبت منصّة في منتصف المسافة بين النَّصيرين،  
وعليها جلس اللورد تايوين مع أخيه السير كيثان، أمّا الملك تومن فلم يكن  
حاضرًا، ولهذا على الأقل شعر تيريون بالامتنان.

ألقي اللورد تايوين نظرة عابرة على ابنه القزم ثم رفع يده، فنفتح دسّته من  
البواقون في أبواقهم النحاسية ليسكت الجمهور، وتقدم السّبتون الأعلى معتمرًا  
تاجه البلوري الطويل، وصلّى لـ(الأب في الأعلى) أن يساعدهم في هذا الحكم،  
ولـ(المُحارب) أن يبثّ قوته في ذراع صاحب القضية العادلة. كاد تيريون يصيح:  
أي أنا، لكنهم كانوا ليضحكوا لا أكثر، وقد سئم الضحك حتى الموت.

(1) واقي الصّفن نوع من الدروع يُثبت حول الحوض وبين السّاقين لحماية الخصيتين.  
(المترجم).

جَلَبَ السَّيْرَ أَوْزَمُونَدا كِتْلَبْلاكَ لِكَلِجائِنِ تُرْسَهُ البُلُوطَ الصَّخْمَ المَوْطَّرَ  
بالْحَدِيدِ الأَسْوَدِ، وَبَيْنَما دَسَّ الجَبَلَ ذِراعَهُ اليُسْرَى عَبرَ الشَّرائِطِ الجِلْدَ رَأى  
تيرِيونَ أنَ رَمَماً آخَرَ قَدْ طُلِيَ فِوقَ كِلابِ عائِلَةِ كَلِجائِنِ. هَذا الصَّبَاحَ يَحْمِلُ  
السَّيْرَ جَرِيجورَ النَّجْمَةَ السَّبَاعِيَّةَ الَّتِي آتَى بِها الأَندالِثيونَ إِلى (وَسْتروسَ)  
عَندَما عَبروا (البَحْرَ الضَّيِّقَ) ليقَهروا البَشَرَ الأَوائِلَ وآلَهْتَهُم. يا لورَعِكِ يا  
سَرسِي، لَكِنِّي أَشُكُّ في أَنَّ هَذا سَيسْتَهوي الأَلهَةَ.

بَينَهُما تَفضَلُ خَمسونَ يارَدَةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ الأَميرَ أوبرينَ سَريعاً وَالسَّيْرَ  
جَرِيجورَ بِتَؤدَّةٍ أَكثَرَ تَهديدًا، وَقالَ تيرِيونَ لِنَفْسِهِ: الأَرْضُ لا تَهْتَرُ حَينَ يَمشي،  
إِنَّها خَفيقاتُ قَلْبِي فَحَسِب. حَينَ تَقَلَّصتِ المِساْفَةَ بَينَ الرَّجَلينَ إِلى عَشرِ  
يارَداتِ تَوَقَّفَ الأَفْعوانَ الأَحْمَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ قائلاً: «هلَ قالوا لَكَ مَنَ أَنَا؟»  
دَمَدَمَ السَّيْرَ جَرِيجورَ عَبرَ فَتَحاتِ التَّنْفَسِ: «رَجُلَ مَيِّتٍ»، وَانْدَفَعَ نَحوَهُ لا  
يَلويَ عَلى شَيءٍ.

انزاحَ الدورني جانبًا، وَقالَ وَالجَبَلَ يَلتَفِتُ لِيُقييَ نَظْرَهُ عَلَيهِ: «أنا الأَميرُ  
الدورني أوبرينَ مارْتَلِ. الأَميرَةُ إِليَا كَانتِ أُختِي».  
- «مَن؟» -

سَدَّدَ أوبرينَ طَئِنَةً بِحَربَتِهِ الطَّويلَةَ، فَصَدَّ السَّيْرَ جَرِيجورَ رَأْسَها بِتُرْسِهِ  
وَأزاحَها، وَانقَضَّ عَلى الأَميرِ وَسيفُهُ العَظيمُ يَومِضُ، لَكِنَ الدورني دارَ مَبْتَعِداً  
دُونَ أَن يَمسَّهُ. انْدَفَعَتِ الحَربَةُ إِلى الأَمامِ وَهُوىَ عَلَيها كَلِجائِنِ بِسيفِهِ،  
فَسَحَبَها مارْتَلِ إِلى الوِراءِ ثَمَ عادَ يَدفَعُها، وَصرَخَ المَعْدنَ عَلى المَعْدنِ إِذْ  
انزَلَقَ رَأْسُ الحَربَةِ عَلى صَدْرِ الجَبَلَ ليشقَّ سَترَتَهُ وَيَتَرَكُ خَدشًا لامعًا طَويلاً  
عَلى الفِولاذِ تَحْتِها، وَبصوتِ كالفحيحِ قالَ الأَفْعوانَ الأَحْمَرَ: «إِليَا مارْتَلِ  
أَميرَةُ (دورنِ). أَنتِ اغتَصبْتِها، أَنتِ قَتَلْتِها، أَنتِ فَتَكْتِ بِطَفيْليها».

نَحَرَ السَّيْرَ جَرِيجورَ كالأَخْنازيرِ، وَانقَضَّ بِحَركَةٍ تَعوزُها الرِّشاْفَةُ هاوياً  
بِالسَّيفِ عَلى رَأْسِ الدورني، لَكِنَ الأَميرَ أوبرينَ تَفاداهُ بِسَهلَةٍ، وَرَدَّدَ:  
«اغْتِصبْتِها، وَقَتَلْتِها، وَفَتَكْتِ بِطَفيْليها».

- «هلَ جِئْتِ تَتَكَلَّمِ أَم تُقَاتِلِ؟» -

- «جِئْتُ أَسْمَعُ اعْتِرافَكَ»، وَوَجَّهَ أوبرينَ طَئِنَةً سَريعَةً إِلى بَطْنِ الجَبَلَ  
وَإنما بلا تأثيرٍ، وَنَزَلَ عَلَيهِ جَرِيجورَ بِسيفِهِ وَأَخطأَهُ. مَرَقَتِ الحَربَةُ الطَّويلَةَ في

الهواء فوق السيف، وكلسان الأفعى ومضت وهي تمتد مموهةً بطعنةٍ إلى أسفل، وتراجع موجّهةً طعنةً حقيقيةً إلى أعلى، تنزل هنا وهناك مستهدفةً الخاصرة والثرس والعينين. الجبل هدف كبير على الأقل. صعب أن يُخطئ الأمير أوبرين تسديد ضرباته، مع أن أيًا منها لم ينفذ من درع السير جريجور الثقيلة، وظلّ الدورني يدور ويطن ثم يتفهقر مجبرًا غريمه على الدوران بلا توقّف. كليجاين يجد عسرًا في رؤيته. فتحة الرؤية في خوذة الجبل ضيقة وتحدّ من مجال بصره كثيرًا، وهو ما استغلّه أوبرين كما استغلّ طول حربته وسُرعة حركته.

هكذا استمرّ النزال فترةً بدت طويلةً إقبالًا وإدبارًا تحركًا عبر السّاحة، يدور الخصمان ويدوران كاللدّومات، يشقّ السير جريجور الهواء بسيفه وتُصيب حربة الأمير أوبرين ذراعه وساقه وممرّتين صُدغته. تلقى ترس جريجور الخشبي الكبير نصيبه من الضربات أيضًا، إلى أن لآخ رأس كلب من تحت النّجمة، وفي مواضع أخرى تقشّر الطلاء تمامًا كاشفًا عن الخشب الخام. بين الفينة والفينة يُطلق كليجاين أئينًا خشنًا، وفي مرّة سمعه تيريون يَتمّ لعنا، لكن فيما عدا هذا قاتل بصمتٍ عنيد.

أمّا أوبرين مارتل فلا. مموهاً صاح: «اغتصبتها»، ومتفاديًا ضربةً دوارةً من سيف جريجور العظيم قال: «قتلتها»، وبُعنف ضرب حلق العملاق برأس حربته هاتفًا: «فتكت بطفليها»، لكن الرأس انزلق على وافي العنق الفولاذي السّميك بصريرٍ حاد.

قالت إلارياً ساند: «أوبرين يُلاعبه».

لُعبةٍ حمقاء. «الجبل أضحَم من أن يكون لُعبة أحد».

في كلّ أرجاء السّاحة كان حشد المتفرّجين ينطبق ببُطء على المقاتلين، يتقدّم زاحفًا بوصةً بوصةً سعيًا إلى رؤية أفضل، بينما يُحاول فرسان الحرس الملكي صدّهم بدفعهم بقوةٍ بتر وسهم البيضاء الكبيرة، لكن المتفرّجين مئات ومن يرتدون الدروع البيضاء ستّة فقط.

- «اغتصبتها». برأس حربته صدّ الأمير أوبرين ضربةً عنيفةً. «قتلتها». وسدّد الرأس إلى عيني كليجاين بسُرعةٍ أجفَلت الرّجل الكبير. «فتكت بطفليها». وومضت الحربة وهي تنحرف إلى أسفل محتكةً بواقى صدر

الجبل. «اغتصبتهَا، قتلتهَا، فتكت بطفليها». الحربة أطول بقدمين كاملين من سيف السير جريجور، أي ما يكفي وأكثر للحفاظ على مسافة مربكة بينهما، وكلما انقضَّ عليه أوبرين نزلَ علي قناتها بنصله محاولاً أن يَبْتُرَ رأسها بلا طائل، كأنه يُحاول أن يَبْتُرَ جناحي دُبابة. «اغتصبتهَا، قتلتهَا، فتكت بطفليها». حاول جريجور أن ينقضَّ عليه بوزنه كله كالثيران، لكن أوبرين وثب جانباً ودارَ وراء ظهره. «اغتصبتهَا، قتلتهَا، فتكت بطفليها».

قال السير جريجور: «اصمَّت». بدا أن حركته أبطأ بعض الشيء الآن، ولم يُعد سيفه العظيم يرتفع عاليًا كما في بداية النَّزال. «أطبق فمك اللعين». تحرَّك الأمير إلى اليمين قائلاً: «اغتصبتهَا».

زَعَقَ السير جريجور: «كفى!»، وتقدَّم خُطوتين طويلتين وهوى بسيفه على رأس أوبرين، إلا أن الدورني تقهقرَ مرَّةً أخرى، وقال: «قتلتها»، فصرخ جريجور: «اخرس!»، وانقضَّ مباشرةً على رأس الحربة الذي ارتطمَ بيمين صدره وانزلقَ جانباً بصرخة معدنيَّة شنيعة، وفجأةً أصبحَ الجبل على مسافةٍ تسمح بتوجيه ضربته، وومضَ سيفه الهائل كبرق فولاذي. كان المتفرِّجون يصرِّخون أيضًا في هذه اللحظة، وتملَّص أوبرين من الضربة الأولى وتخلَّى عن حربته التي أصبحت بلا فائدة الآن وقد اخترقَ السير جريجور مجالها الآمن، أمَّا الضربة الثانية فتلقَّها الدورني على تُرسه، والتقى المعدن المعدن برنينٍ يصمُّ الأذان دافعًا الأفعوان الأحمر يترنح إلى الورا، وتبعه السير جريجور هادرًا. لا يتكلم كالبشر بل يخور كالحيوانات. استحال انسحاب أوبرين إلى فرار صريح من السيف العظيم الذي يبعُد عنه الآن بوصاتٍ معدودة، يهوي محاولاً إصابة صدره وذراعيه ورأسه.

كان الاسطبل وراءه، وصرخ المتفرِّجون وتدافعوا محاولين الابتعاد عن الطريق، وتعثر أحدهم وارتطمَ بظهر أوبرين في اللحظة التي نزلَ فيها السير جريجور بسيفه بكل قوَّته العاتية، لكن الأفعوان الأحمر ألقى نفسه جانباً وتدحرج مبتعداً، بينما لم يتحلَّ عامل الاسطبل التَّعس وراءه بالشُّرعة نفسها، وإذا ارتفعت ذراعه تحمي وجهه أصابها نصل السير جريجور بين المرفق والكتف وبتَّرها. عوى الجبل مجيئاً صرخة العامل: «اخرس!»، وهذه المرَّة سدَّد السيف بضربةٍ جانبيَّة أطاحت بنصف رأس الصَّبي وطوَّحت



به إلى منتصف السّاحة نائرةً دماءه ومخّه في كلّ مكان. لحظتها فقدّ مئات المشاهدين اهتمامهم كلّه بذنب أو براءة تيريون لانستر، كما أوحت الطّريقة التي راحوا يدفعون بعضهم بعضًا بها ليهربوا من السّاحة.

لكن أفغوان (دورن) الأحمر كان قد نهض واستعاد حربته الطّويلة، وصاح في السير جريجور: «إليا. اغتصبتها، وقتلتها، وفكتك بطفليها. قُل اسمها». دارَ الجبل على عقبيه والدماء تُلطّخ خوذته وتُرسه وسيفه وسُترته، تُغرِقه من رأسه إلى قدميه، ودمدم: «إنك تتكلم كثيرًا وتجعل رأسي يُؤلمني».

- «سأسمعك تقول اسمها، إليا الدورنيّة».

نخرَ الجبل باحتقار وانقضّ... وفي هذه اللّحظة نفذت أشعة الشّمس من السّحاب الواطئ الذي أخفى السّماء منذ الفجر.

قال تيريون لنفسه: شمس (دورن)، غير أن السير جريجور هو من تحرك أولاً ليُولي الشّمس ظهره. رجل همجي محدود الذكاء، لكن لا تنقصه غريزة المُحاربين.

انحنى الأفغوان الأحمر مضيقًا عينيه وعادَ يطعن بحربته، فهوى السير جريجور عليها بالسّيف، لكن الطّعنة كانت تمويهاً فقط، وبلا توازنٍ تقدّم الجبل خطوةً خرقاء، وأمال الأمير أوبرين تُرسه المعدني المنبجج لينعكس خيط من ضوء الشّمس المُعمي على الذهب والنّحاس المصقولين ويغوص في فتحة الرّؤية الضيّقة في خوذة غريمه. رفع كليجاين تُرسه ليقى عينيه من الوهج، واندفعت حربة الأمير أوبرين وامضةً كلسان البرق ووجدت الثّغرة المرجوة في الدّرع الثّقيلة، المفصل تحت الدّراع، واخترق رأس الحربة الحلقات المعدنيّة والجلد. أطلق جريجور أنينًا مخنوقًا إذ دَوّر الدورني حربته وانتزعها صائحًا: «إليا. قُلها! إليا الدورنيّة!»، ودارَ مسدّدًا الحربة استعدادًا لـ طعنةٍ أخرى مكرّرًا: «قُلها!».

كان تيريون يُردّد صلواته الخاصّة لحظتها: اسقط ومُت، اسقط ومُت عليك اللّعنة! الآن الدّم السائل من إبط الجبل دمه هو، ولا بُدّ أنه يسيل بغزارةٍ أكبر داخل واقِي الصّدر، ولمّا حاول الرّجل أن يأخذ خطوةً اثنت ركبته وحسب تيريون أنه سيسقط.

عندئذٍ كان الأمير أوبرين قد دارَ وراءه ويصيح: «إليا الدورنيّة!»، وبدأ

السير جريجور يلتفت، لكن بطيئًا جدًا ومتأخرًا جدًا. هذه المرّة انغرس رأس الحربة في باطن رُكبتة مخترقًا طبقات الحلقات المعدنيّة والجلد المقوّى بين الفولاذ على فخذه وربّلة ساقه، وتمايلَ الجبل وترنّح ثم تهاوى ضاربًا الأرض بوجهه، وطارَ سيفه الهائل من يده.

ببطءٍ وثقلٍ انقلبَ الجبل على ظهره، وألقى الدورني تُرسه الخرب وأطبقَ على قنّاة الحربة بكلتا يديه وتراجعَ متئنًا. وراهه أصدَرَ الجبل أنينًا ودفعَ نفسه مستندًا على مرفقه، لكن أوبرين دارَ بسرّعة القِطط وانطلقَ نحو خصمه السّاقط، وإذ هوى برأس الحربة واضعًا ثقل جسده كلّه وراهه صرخَ: «إلّللّللّللّللّللّللّ!!!»، وكاد صوت تحطم القنّاة المصنوعة من خشب الدردار يُضاهي ولولة الغضب التي أطلقَتها سرسي، وللحظة أصبحَ للأمير أوبرين جناحان. الثّعبان طارَ فوق الجبل. أربعة أقدام من قنّاة الحربة المكسورة كانت تبرزُ من بطن كليجاين فيما تدحرجَ الأمير أوبرين ونهضَ ونفضَ التّراب عن ثيابه، ثم ألقى باقي الحربة جانبًا والتقطَ سيف عدوّه العظيم قائلاً: «لا تمّت قبل أن تقول اسمها أيها الفارس وإلّا طاردتك في دركات الجحائم السّبعة كلها».

حاولَ السير جريجور أن ينهض، غير أن الحربة المكسورة كانت قد نفذت من ظهره وثبتته إلى الأرض، فطوّقَ القنّاة بكلتا يديه متأوّهًا لكنه لم يستطع أن يسحبها، ومن تحته بدأت بركة من دمائه تتّسع. قال تيريون لإلاريا ساند الواقعة إلى جواره: «أشعرُ ببراءتي تزداد كلّ لحظة».

دنا الأمير أوبرين من الجبل قائلاً: «قل الاسم!»، ووضعَ قدمه على صدره ورفعَ السّيف العظيم بيديه معًا، وسواء أكان ينوي أن يضرب رأس السير جريجور أم يُغمِد الثّصل في فتحة الرّؤية، فلن يعرف تيريون أبدًا. اندفعت يد كليجاين إلى أعلى وأمسكتَ الدورني من باطن رُكبتة، فهوى الأفعوان الأحمر بالسّيف بضراوة ولكن بلا توازن، ولم يُحدِث الثّصل إلّا انبعاجًا إضافيًا في واطي ساعد الجبل. عندها نسيَ أمر السّيف وقد أحكمَ جريجور قبضته وشدَّ الدورني مسقطًا إياه فوقه، وتصارعَ الاثنان في التّراب والدّماء وقنّاة الحربة المكسورة تتمايلَ إلى الأمام والخلف، ورأى تيريون

بفزع أن الجبل طَوَّقَ الأمير بذراعه الضَّخمة ضاغطًا إياه إلى صدره كأنه حبيته.

ولمَّا صارَ الاثنان على مسافةٍ كفيِّلة بأن يتبادلا القبل سمعوا جميعًا صوت السير جريجور العميق يُدَوِّي من داخل خوذته: «إيا الدورتيّة. نعم، قتلتُ صغيرها الصَّارخ»، ودفعَ يده الحُرّة في وجه أوبرين المكشوف غارسًا إصبعين فولاذيَّين في عينيه مواصلاً: «ثم اغتصبتها»، وهوى بقبضته على فم الدورني محطّمًا أسنانه، وقال: «ثم حطّمتُ رأسها الحقيقير... هكذا»، ثم سحبَ قبضته المروّعة والدم يسيل على قفّازه الفولاذي ويتصاعد منه الدخان في هواء الصُّبح البارد. سمعوا صوت تحطم مغثٍ، وصرختَ إلاريا ساند رُعبًا، وصعدَ إفطار تيريون كميّاه النَّافورة من معدته إلى حلقه، ووجدَ نفسه على رُكبتيه يتقيًا اللحم المقدّد والسُّجق وكعك التُّفّاح وتلك الحصّة المزوجة من البيض المقلّي بالبصل والفلفل الدورني الحرّيف.

لم يسمع أباه ينطق حُكم إدانته، وربما لم يكن الكلام ضروريًا. وضعتُ حياتي بين يديّ الأفعوان الأحمر وأهدرتها.

وحين تذكّر متأخرًا جدًّا أن الثعابين لا أيادي لها انفجرَ تيريون في ضحكٍ هائج.

كان قد نزلَ حتى منتصف الدَّرجات الملتفّة قبل أن يُدرك أن ذوي المعاطف الذهبية لا يقودونه إلى زنارته في البرج، فقال بلهجةٍ تقريرية: «ستودعوني الزّنازين السّوداء»، ولمّا لم يُجبه أحدُهم قال في أعماقه: ولم يُدّدون أنفاسهم على الأموات؟

## دنيرس

تناولت إفطارها تحت شجرة التين الكاكي النامية في حديقة الشرفة بينما تُشاهد تانينها يُطارِد بعضهم بعضًا حول قَمَّة (الهرم الأكبر) التي كانت الهاربي البرونز الهائلة تجثم عليها من قبل.

تضمُّ (ميرين) نحو عشرين من الأهرامات الأصغر التي لا يبلغ أيها نصف ارتفاع هذا الهرم، ومن هنا تستطيع داني أن ترى المدينة بأكملها؛ الأزقة الضيقة الملتوية والشوارع الواسعة المعبّدة بالقرميد، والمعابد والصوامع، والمنازل والقصور، والمواخير والحمامات، والحدائق والتوافير، والدوائر الحمراء الكبيرة التي تُشكّل حلبات القتال، ووراء الأسوار البحر بلونه القصديري ونهر (السكاهازاذان) المتعرّج والتلال البيّنة الجذباء والبساتين المتفحمة والحقول المحروقة. هنا في شرفتها الشاهقة تُشعر داني أحيانًا كأنها إلهة تعيش على ذروة أعلى جبال العالم.

أيُشعر كل الآلهة بهذه الوحدة؟ بعضها يشعُر بها بالتأكيد. كانت ميسانداي قد حكّت لها عن إله الرِّفاء الذي يعبّده شعب المسالمين في (ناث)، وقالت مترجمتها الصّغيرة إنه الإله الحقيقي الوحيد، الإله الذي دوّمًا كان ودومًا سيكون، خالق القمر والتُّجوم والأرض وكلّ ما يُعمّرها من مخلوقات. مسكين إله الرِّفاء. كم تُشفق عليه داني. فطبع حقًا أن تكون وحدك أبد الدهر، لا أحد في حضرتك إلا حشود من النساء الفراشات اللاتي يُمكنك أن تُحيهن أو تُبيدهن بكلمة. في (وستروس) سبعة آلهة على الأقل، بيد أن فسيرس قال لها إن بعض البسّتونات يؤمن بأن أولئك السبعة ما هم إلا وجوه لإله واحد، سبعة أوجه لبلورة واحدة، وهو ما تجده داني مربكًا. سمعت أيضًا أن الرُّهبان

الحُمُر يُؤْمِنُونَ بِالْهَيْنِ فَقَطْ، لَكِنَّ الْإِثْنَيْنِ فِي حَرْبٍ أَرْزَلِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ، وَهُوَ مَا تَجَدُّهُ أَقْلٌ جَادِيْبِيَّةٌ، فَلَيْسَتْ تُرِيدُ أَنْ تَخْضِرَ حَرْبًا بِلَا آخِرٍ.

قَدَّمَتْ لَهَا مِيسَانْدَايَ بِيضَ الْبَطِّ وَشُجْقَ الْكِلَابِ وَنِصْفَ كَوْبٍ مِنَ النَّبِيذِ الْمَحَلِّيِّ الْمَخْلُوطِ بِعَصِيرِ لَيْمُونَةٍ خَضِرَاءَ. اجْتَذَبَ الْعَسَلُ بَضْعَ ذُبَابَاتٍ، لَكِنْ شَمْعَةٌ مَعْطَرَةٌ طَرَدَتْهَا، كَمَا أَنَّهَا وَجَدَتْ أَنَّ الذُّبَابَ لَيْسَ مَزْعَجًا كَثِيرًا هُنَا كَمَا فِي بَقِيَّةِ أَنْحَاءِ مَدِينَتِهَا، وَهُوَ شَيْءٌ آخَرَ يُعْجِبُهَا فِي الْهَرَمِ. قَالَتْ دَانِي: «عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا بِخُصُوصِ الذُّبَابِ. أَهْنَاكَ ذُبَابٌ كَثِيرٌ فِي (نَاث) يَا مِيسَانْدَايَ؟».

أَجَابَتْهَا الْمُرْتَجِمَةُ بِاللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ: «فِي (نَاث) هُنَاكَ فَرَّاشٌ. هَلْ تُرِيدِينَ الْمَزِيدَ مِنَ النَّبِيذِ؟».

- «لَا. يَجِبُ أَنْ أَعْقِدَ الْبِلَاطَ قَرِيبًا». أَصْبَحَتْ دَانِي شَغُوفًا بِمِيسَانْدَايَ، خُصُوصًا أَنَّ الْمُرْتَجِمَةَ الصَّغِيرَةَ ذَاتَ الْعَيْنَيْنِ الذَّهَبِيَّتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ تَتَحَلَّى بِحِكْمَةٍ تَتَجَاوَزُ سِنِّيَّ عُمْرِهَا. ثُمَّ إِنَّهَا شُجَاعَةٌ. كَانَ مُحْتَمًّا أَنْ تَكُونَ شُجَاعَةً لِتَتَحَمَّلَ الْحَيَاةَ الَّتِي عَاشَتْهَا. تَأْمَلُ أَنْ تَرَى جَزِيرَةَ (نَاث) الْأَسْطُورِيَّةَ ذَاتَ مَرَّةٍ، إِذْ قَالَتْ مِيسَانْدَايَ إِنَّ شَعْبَ الْمَسَالِمِينَ يَدُقُّ طَبُولَ الْمَوْسِيقَى بَدَلًا مِنْ طَبُولِ الْحَرْبِ، وَهُنَاكَ لَا يَقْتُلُونَ أَيَّ نَفْسٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الْحَيَوَانَاتِ، فَيَأْكُلُونَ الْفَوَاكِهَ فَقَطْ، أَمَّا اللَّحْمُ فَلَا يَذُوقُونَهُ. تَحْمِي أَرْوَاحَ الْفَرَاشَاتِ الْمَقْدَسَةِ عِنْدَ إِلِهِ الرِّفَاءِ جَزِيرَتَهُمْ مِمَّنْ يَرُومُونَ إِيْذَاءَهُمْ، وَقَدْ أَبْحَرَ غُزَاةٌ كَثُرَ إِلَى (نَاث) لِيُلْطَخُوا سَيُوفَهُمْ بِالْدَّمَاءِ، فَقَطْ لِيَبْتَلُوا بِالْأَمْرَاضِ وَيَمُوتُوا. لَكِنَّ الْفَرَاشَاتِ لَمْ تَحْمِهِمْ حِينَ أَنْتِ سَفُنُ النَّخَّاسِينَ مَغِيرَةً عَلَيْهِمْ. وَعَدَّتْهَا دَانِي قَائِلَةً: «ذَاتَ يَوْمٍ سَأَخْذُكَ إِلَى الْوَطَنِ يَا مِيسَانْدَايَ، أَقْسَمُ لَكَ». أَكَّانَ چُورَا الْبَيْعِيِّ حَتَّى لَوْ وَعَدْتَهُ بِالْمِثْلِ؟

- «هَذِهِ الْوَاحِدَةُ قَانِعَةٌ بِالْبَقَاءِ مَعَكَ يَا جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ. (نَاث) سَتَنْظُلُّ بَاقِيَةً دَوْمًا. إِنَّكَ تَعْطِفِينَ عَلَيَّ هَذِهِ... عَلَيَّ».

قَالَتْ دَانِي: «وَأَنْتِ عَلَيَّ»، وَالتَّقَطَّتْ يَدَ الْفَتَاةِ مُرْدَفَةً: «تَعَالِي وَسَاعِدِينِي عَلَيَّ ارْتِدَاءَ ثِيَابِي».

حَمَمَتْهَا چِيكُوي وَمِيسَانْدَايَ مَعًا بَيْنَمَا جَهَّزَتْ إِيرِي ثِيَابَهَا. الْيَوْمَ ارْتَدَتْ ثُوبًا مِنَ السَّمِيَةِ الْأَرْجَوَانِي وَوَشَاحًا فَضِيًّا، وَاعْتَمَرَتْ تَاجَ التَّيْنِ ذِي الرُّؤُوسِ الثَّلَاثَةِ الَّذِي أَهْدَتْهَا أُخُوَّةُ التُّورْمَالِينِ إِيَّاهُ فِي (كَارْت)، وَانْتَعَلَتْ خُفًّا

فَضِيًّا أَيْضًا، وَإِنْ كَانَ كَعْبَاهِ عَالِيَيْنَ لِلْغَايَةِ، وَدَائِمًا يَجْعَلَانَهَا تَخْشَى أَنْ تَقَعَ عَلَى وَجْهِهَا. عِنْدَمَا ارْتَدَّتْ ثِيَابُهَا جَلَبَتْ لَهَا مِيسَانْدَايَ مَرَأَةً مِنَ الْفِضَّةِ الْمَصْقُولَةِ لَتَرَى كَيْفَ تَبْدُو، وَحَدَّثَتْ دَانِي إِلَى نَفْسِهَا بِصَمْتٍ مُتَسَائِلَةً: أَهَذَا وَجْهٌ غَازِيَةٌ؟ حَسَبَ مَا تَرَاهُ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَبْدُو كَفَتَاةٍ صَغِيرَةٍ.

لَا أَحَدٌ يُلَقِّبُهَا بِدَنِيرَسِ الْفَاتِحَةِ بَعْدُ، وَلَكِنْ رُبَّمَا يَفْعَلُونَ. لَقَدْ رِيحَ إِجُونُ الْفَاتِحِ (وَسْتَرُوس) بِثَلَاثَةِ تَنَانِينَ، أَمَّا هِيَ فَاسْتَوَلَتْ عَلَى (مِيرِين) بِجَرْدَانِ الْبَالُوعَاتِ وَقَضِيبِ خَشْبِي خِلَالَ أَقَلِّ مِنْ يَوْمٍ. مَسْكِينُ جِرُولِيُو. تَعْرِفُ أَنَّ الرُّبَّانَ مَا زَالَ حَزِينًا عَلَى سَفِينَتِهِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ يُمَكِّنُ لِقَادَسِ حَرْبِي أَنْ يَدُكَ سَفِينَةً أُخْرَى، فَلِمَ لَا يَدُكَ بَوَابَةً؟ كَانَ هَذَا مَا يَجُولُ بِبَالِهَا حِينَمَا أَمَرَتْ الرِّبَابَةَ بِأَنْ يَرِسُوا بِسُفْنِهِمْ، فَصَارَتْ الصُّوَارِي مَدَكَّاتٍ، وَفَسَّخَتْ جِحَافِلَ مِنَ الْمَحْرَّرِينَ الْأَبْدَانَ صَانِعَةً مِنْهَا جَنَوِيَّاتٍ وَسِلَاحِفَ وَمَجَانِيقَ وَسِلَاحِمَ. أُطْلِقَ الْمُرْتَزِقَةَ عَلَى كُلِّ مَدَكٍّ اسْمًا بَدِيئًا، وَكَانَ الصَّارِي الرَّئِيسُ مِنَ (مِيرَاكْسِس) -الْمَعْرُوفَةِ سَابِقًا بِاسْمِ (مَرْحَةَ چوسو)- هُوَ الَّذِي ذَكَرَ الْبَوَابَةَ الشَّرْقِيَّةَ حَامِلًا اسْمَ (قَضِيبِ چوسو). اسْتَمَرَ الْقِتَالُ مَرِيرًا دَائِمًا طِيلَةَ النَّهَارِ وَبَعْدَ أَنْ تَوَعَّلَ اللَّيْلُ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْخَشْبُ فِي التَّنَشُّطِ وَيَقْتَحِمَهُ وَجْهَ الْمَهْرَجِ الضَّاحِكِ الَّذِي يَتَّخِذُ تَمَثَالًا مَقْدَمَةً (مِيرَاكْسِس) الْحَدِيدِي شَكْلَهُ.

أَرَادَتْ دَانِي أَنْ تَقُودَ الْهَجُومَ بِنَفْسِهَا، لَكِنْ جَمِيعُ قَادَتِهَا بَلَاسْتِنَاءٍ قَالُوا إِنَّ هَذَا جَنُونٌ، وَقَادَتِهَا لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ أَبَدًا. بَدَلًا مِنْ هَذَا ظَلَّتْ جَالِسَةً فِي الْمَوْخِرَةِ عَلَى صَهْوَةِ فَرَسِهَا الْفِضِّيَّةِ وَقَدْ ارْتَدَّتْ قَمِيصًا طَوِيلًا مِنْ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ، وَإِنْ سَمِعَتْ سِقُوطَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ نِصْفِ فَرَسِخٍ، حِينِ اسْتِحَالِ صِيَاحِ الْمَدَافِعِ الْمُتَحَدِّيِّ إِلَى صَرِيخِ خَائِفٍ. لَحِظْتُهَا جَارًا ثَلَاثَةَ تَنَانِينِهَا فِي أَنْ وَاحِدٍ وَمَلَأُوا اللَّيْلَ لَهَبًا، وَعَرَفْتُ فِي الْحَالِ أَنَّ الْعَبِيدَ يَنْتَفِضُونَ. جَرْدَانِي قَضَمَتْ سِلَاسِلَهُمْ.

عِنْدَمَا مَحَقَّ الْمُطَهَّرُونَ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنَ الْمَقَاوِمَةِ وَجَرَى النَّهَبُ مَجْرَاهُ دَخَلَتْ دَانِي الْمَدِينَةَ. كَانَ الْمَوْتَى مَكْوَمِينَ عَلَى ارْتِفَاعٍ عَالٍ لِلْغَايَةِ أَمَامَ الْبَوَابَةِ الْمَحْطَمَةِ، لِدَرَجَةِ أَنْ مَحْرَرِيهَا اسْتَغْرَقُوا نَحْوَ سَاعَةٍ لِإِخْلَاءِ طَرِيقٍ لِفَرَسِهَا، وَفِي الدَّخْلِ اسْتَقَرَّ (قَضِيبِ چوسو) مَهْجُورًا مَعَ السُّلْحَفَاتِ الْخَشْبِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الْمَغْطَاةِ بِجُلُودِ الْخَيْلِ الَّتِي حَمَّتْهُ. رَكِبَتْ مَرَاةً بِأَبْنِيَّةٍ مَحْرُوقَةٍ وَنَوَافِذَ مَحْطَمَةِ

وقطعت شوارع قرميد انسدّت مجاريها بالجُثث المتنفخة المتبيّسة، ورفع العبيد المهلّلون أياديّ ملطّخة بالدماء إليها وهي تمرُّ ونادوها بـ«أمّاه».

تلملم الميرينزيّون واجمين في السّاحة المقابلة لـ(الهرم الأكبر)، وفي ضوء الصّباح خلا الأسياد العظام من كلّ عظمة. كم بدوا وضيعين وقد جرّدوا من جواهرهم وتوكّاراتهم الموشاة، مجردّ قطع من الشيوخ ذوي الخصى الذابلة والبشرة المبّعة والشّبّان ذوي الشعر السّخيف، نساؤهم إمّا لدنات سمينات وإمّا جافّات كالعصيّ القديمة، وطلاء وجوههن تُلطّخه العبرات.

قالت لهم داني: «أريدُ قادتكم. سلّموهم وسأعفو عن بقيتكم». سألتها إحدى العجائز منتحبة: «كم؟ كم واحدًا من أجل أن تعفي عنا؟». أجابت: «مئة وثلاثة وستون».

علقتهم بالمسامير على أعمدة خشبيّة حول السّاحة، كلُّ منهم يُشير إلى الذي يليه. كان الغضب يعتمل بشراسةٍ وحرارةٍ في نفسها حين أعطت الأمر، وجعلها تحسُّ كأنها تبتنّ منتقم، لكنّ لاحقًا، حين مرّت بالرجال المحتضرين على الأعمدة، حين سمعت أنينهم وشمت غائطهم ودماءهم... وضعت داني كأس النّبذ متجهمةً، وقالت لنفسها: كان عدلاً، كان عين العدل. فعلتها من أجل الأطفال:

تحت مسكنها بمستوى واحد تقع قاعة الاجتماعات، قاعة فسيحة جدرانها من المرمر الأرجواني، وإنما باردة على الرغم من أبهتها. كانت تحوي عرشًا في السّابق، وكان تكوينًا رائعًا من الخشب المنقوش والمذهّب على شكل هاربي ضارية، ولمّا رآته داني ألقت عليه نظرةً طويلةً واحدةً ثم أمرت بتكسيّره واستخدام خشبه حطبًا للئار. قالت لهم: «لن أجلس في حجر الهاربي»، وبدلاً من العرش جلست على دكّة بسيطة من الأبنوس، وقد ناسبتّها مع أنها سمعت الميرينزيّين يُتمتمون أنها لا تليق بملكة.

ألقت حيّالة دمها في انتظارها، ترنّ الأجراس الفضيّة في جدائلهم المزيّنة ويرتدون ذهب وجواهر الموتى. لقد وجدوا في (ميرين) ثرواتٍ فاحشة تفوق الخيال، وحتى مرتزقتها بدوا شعبانين، في الوقت الرّاهن على الأقل. على الجانب الآخر من القاعة وقف الدودة الرّمادي مرتديًا زيّ المطهّرين التّقليدي ووضع قُبّعته البرونز ذات الطّرف المدبّب تحت إبطه. هؤلاء على

الأقل تستطيع الثقة بهم، أو أن هذا ما تأمله... وبين بلوم البني أيضًا، بن المتين بشعره الذي وخطه الأبيض والرّمادي ووجهه الذي لوّحته الأجواء، الرّجل الذي يُحِبُّه تنانينها كثيرًا. إلى جواره وقف داريو يبرق في ما تحلّى به من ذهب. داريو وبن بلوم والدودة الرّمادي وچيكنوي وإيري وميسانداي... إذ تطّعت إليهم داني وجدّت نفسها تتساءل عن الخائن التّالي بينهم.

للتّين ثلاثة رؤوس. في العالم رجلاّن أستطيعُ الثّقة بهما إذا أمكنتي العثور عليهما، وحيثُ لن أعود وحيدة. سنكون ثلاثة ضدّ العالم، مثل إجون وأخته.

سألّت داني: «هل كانت اللّيلة هادئةً كما بدت؟».

قال بن بلوم البني: «يبدو هذا يا جلاله الملكة».

سرّتها الإجابة. لقد نهبت (ميرين) بلا هوادة كما يحدث في كلّ المدائن السّاقطة، لكن داني عزمت على أن ينتهي هذا وقد أمست المدينة لها، فقضت أن يُسْتَقَ القتلة ويفقد كلّ لَصٍّ إحدى يديه وكلّ مغتصب ذكره، وهكذا تأرجح ثمانية قتلة على الأسوار وملأ المطهرون سلّة كبيرة بالأيدي المبتورة والذّيدان الحمراء الرّخوة، لكن سكون (ميرين) عاد إليها من جديد. لكن إلى متى؟

أزّت ذبابة حول رأسها، فذبّتها داني بضيق لكنها لم تلبث أن عادت تُزعجها، فقالت: «الذباب كثير في هذه المدينة».

جعجع بن البني ضاحكًا، وقال: «وجدتُ ذبابًا في مزري هذا الصّباح، وابتلعتُ واحدة».

قال داريو مبتسمًا وهو يملّس على شعبة لحيته الوُسطى: «الذباب انتقام الموتى. الجُثث تستولد اليرقات، واليرقات تستولد الذباب».

- «سُخِّلص أنفسنا من الجُثث إذن، بدايةً بالتي في السّاحة في الأسفل. هلاً تولّيت أمرها أيها الدودة الرّمادي؟».

- «الملكة تأمر وهؤلاء الآحاد يُطيعون».

قال له بن البني: «يَحْسُن أن تستعين بالأجولة علاوةً على المجارف أيها الدودة. لقد فضّجت تلك الجُثث كثيرًا، وبدأت قطع منها تتساقط من على الأعمدة بالفعل وتعجّ بال...».

قاطعته داني: «يعرف، وأعرف أيضًا»، وحدثت نفسها متذكّرة الرّعب



الذي أَحَسَّتْ به في (ساحة العقاب) في (أستاپور): صنعتُ رُعبًا مماثلاً هنا، لكنهم استحقُّوه بالتَّأكيد. العدالة القاسية تظل عدالةً.

قالت ميسانداي: «جلالة الملكة، الجيسكارثيون يدفنون موتاهم المكرَّمين في سراديب تحت إيواناتهم. سيكون تَلطُّفًا منك إذا سمحتِ بتنظيف العظام من اللحم العِضِّ وإعادتها إلى أهاليهم».

لا فرق، ستلْعني الأرامل رغم ذلك. قالت: «ليكن»، ثم أشارت إلى داريو سائلةً: «كم واحدًا يُريد المثل أمامي هذا الصَّبَاح؟».

- «اثنان طلبا التَّنعم بضيائك». كان داريو قد نهَبَ لنفسه ثيابًا جديدةً تمامًا من (ميرين)، وأعادَ صباغة لحيته ثلاثيَّة الشَّعب وشعره المَجعَّد بدرجَة غنيَّة عميقة من الأرجواني تتماشى مع الثَّياب، فبدل لون عينيه أقرب إلى الأرجواني أيضًا، كأنه فاليري مفقود. «وصلا ليلاً على متن قادسٍ تجاري أبحرَ من (كارث) اسمه (النَّجم النَّيلجي)».

تعني أنه قادس نخاسة. قطبت داني جبينها متسائلةً: «من هما؟».

- «رَبَّان (النَّجم) ورجل يدَّعي أنه يتكلَّم نيابةً عن (أستاپور)».

- «سأرى المندوب أولاً».

تبَيَّن أنه رجل له وجه شاحب ذكَّرها بحيوان ابن مِرْض، يرتدي ثيابًا من اللؤلؤ والذهب المغزول تُثقلُ عنقه، وقد صاح: «يا صاحبة العبادة! اسمي جايل، وجئتُ ملكة التَّنانيين بتحيَّات كليون ملك (أستاپور)، كليون العظيم». تصلَّبت داني في جلستها قائلةً: «لقد تركتُ مجلسًا يَحْكُم (أستاپور)، نطاسيًّا ومعلِّمًا وراهبًا».

- «هؤلاء الأشقياء المحتالون خانوا ثقتك يا صاحبة العبادة، وأتَّضح أنهم كانوا يتأمرون على إعادة الأسياد الكرام إلى الحُكم والشَّعب إلى السَّلاسل، لكن كليون العظيم فضح مكائدهم وضرب أعناقهم بساطور، ولشجاعته توجَّه أهل (أستاپور) شاكرين».

قالت ميسانداي بلكنة (أستاپور): «أيها النَّبيل جايل، أهو كليون نفسه الذي كان يملكه جرازدان مو أولهور؟».

ببساطة أجاب المبعوث على الرغم من القلق الواضح الذي أصابه به السُّؤال: «هو نفسه، رجل عظيم».

مألت الفتاة على داني وهمست في أذنها: «كان جزّارًا في مطبخ جرازدان، وقيل إنه يذبح الخنازير أسرع من أيّ رجل في (أستاپور)».

أعطيتُ (أستاپور) ملكًا جزّارًا. شعرتُ داني بالغيثان، وإن علمت أن عليها ألا تسمح للمبعوث برؤيتها متأثرة. قالت: «سأصلي أن يحكم الملك كليون بعدلٍ وحكمة. فيم يرغب مني؟».

فرك جايل فمه، وأجاب: «هل تسمح جلالة الملكة بأن نتكلم على انفراد».

- «لست أخفي أيّ أسرار عن قادتي».

- «كما تشائين. كليون العظيم أمرني بإعلان ولائه لأمّ التنانين. يقول لك إن أعداءك أعداؤه، وعلى رأسهم أسياد (يونكاي) الحكماء، ويعرض معاهدة بين (أستاپور) و(ميرين) ضد اليونكيين».

- «لقد أقسمتُ أن أدّى لن يمسه (يونكاي) إذا أطلقت سراح عبيدها».

- «كلاب (يونكاي) ليسوا أهلًا للثقة يا صاحبة العبادة. إنهم يتآمرون عليك. لقد جندوا رجالًا جددًا تمكن رؤيتهم يتدربون خارج أسوار المدينة، وبينون سفنًا حربيّة، وأرسلوا مبعوثين إلى (جيس الجديدة) و(قولانتيس) في الغرب لعقد التحالفات واستئجار المرتزقة، بل أرسلوا خيالة إلى (فايس دوثرانك) ليتفقوا مع كالاसार على مهاجمتك. كليون العظيم أمرني بأن أقول لك ألا تخافي. (أستاپور) تتدكّر، (أستاپور) لن تتخلى عنك. لإثبات إخلاصه يعرض كليون العظيم إبرام تحالفكما بالزواج».

- «الزواج؟ بي؟».

ابتسم جايل لتلوح أسنانه البنيّة النخرة، وقال: «كليون العظيم سيمنحك أبناء أقوياء كثيرين».

وجدت داني نفسها عاجزة عن الكلام، لكن ميسانداي أنقذتها بسؤالها:

«هل أنجبت له زوجته الأولى أبناء؟».

رمقها المبعوث باستياءٍ مجيبًا: «كليون العظيم له ثلاث فتيات من زوجته الأولى، واثنان من زوجته الجديدات حُبلان، لكنه ينوي أن يزيحهن جميعًا إذا وافقت أم التنانين على الزواج به».

قالت داني: «يا لئله. سأفكر في كل ما قلته يا سيدي»، ثم إنها أمرت بأن يُعطى جايل مسكنًا يأوي إليه الليلة في مكان ما من الدرجات الأدنى من الهرم.

انتصاراتي كلها تستحيل إلى خَبَثٍ في يَدَي. مهما فعلتُ لا أخلفُ إلا الموت والهلول. عندما يبلغُ نَبأ ما وقعَ لـ(أستاپور) الشَّوارع -ومؤكِّد أنه سيبلغها- فلا شكُّ أن عشرات الآلاف من الرِّقِيق الميرينيزيين المعتمقين سيُقرِّرون أن يتبعوها حين تذهب غربًا، خشيةً مما ينتظرهم هنا إذا بقوا... ولكن ربما ينتظرهم ما هو أسوأ في أثناء الزَّحف. حتى إذا أفرغت كلَّ صومعةٍ في المدينة وتركت (ميرين) تتصوَّر جوعًا فكيف يُمكنها إطعام كلِّ هذه الأعداد؟ الطَّرِيق الذي ستسلكه محفوف بالصَّعاب والدِّماء والمخاطر كما حدَّرها السير چورا، الذي حدَّرها من أشياء أخرى عديدة... و... لا، لن أفكر في چورا مورمونت. لينتظر فترةً أطول قليلاً. أعلنت: «سأرى الرُّبَّان التَّاجر». ربما يحمل الرَّجل أخبارًا أفضل.

لكن أمنيته راحت عبثًا. رُبَّان (النَّجم النَّيلجي) كارثيني، ولذا فقد بكى بغزارةٍ لَمَّا سألتَه عن (أستاپور)، وقال: «المدينة تنزف. الموتى يتعقِّنون بلا دفن في الشَّوارع، وكلُّ هرمٍ معسكرٍ مسلَّح، والأسواق خالية من أيِّ أطعمةٍ أو عبيدٍ للبيع... والأطفال المساكين! سفَّاحو الملك ساطور اعتقلوا كلَّ صبيٍّ عالي المقام في (أستاپور) ليصنعوا جُنْدًا مطهَّرين جديدين يُتاجرون بهم، مع أن أعمارًا ستمرُّ قبل أن يكتمل تدريبهم».

أكثر ما أدهشَ داني أنها لم تدهش. وجدَّت نفسها تتذكَّر إيرو، فتاة اللازارين التي حاولت أن تحميها ذات مرَّة وما حدث لها بعدها. سيتكرَّر الأمر في (ميرين) حالما أبدأ الزَّحف. عبيد حلبات القتال الذين استولدوا وتمرَّنوا على التَّقْطِيل يُبْتون كم هم مشاغبون مسبِّون للمتاعب بالفعل، ويبدو أنهم يحسبون أنفسهم الآن مُلَّاك المدينة وكلِّ رجلٍ وامرأةٍ فيها. اثنان منهم من الثمانية الذين شنقتهم. قالت لنفسها: يُمكنني أن أفعل المزيد، ثم سألت: «ماذا تُريد مني أيها الرُّبَّان؟».

- «أريدُ عبيدًا. مخازن سفينتي متخمة حتى الانفجار بالعاج والعنبر وجلود الزورس وغيرها من البضائع الثمينة، وأرغبُ في مبادلتها هنا بعبيدٍ يبيعهم في (ليس) و(فولانتيس)».

قالت داني: «ليس لدينا عبيد للبيع».

تقدّم داريو قائلاً: «يا صاحبة الجلالة، ضفّة النهر ملأى بالميرينزيين الذين يتوسّلون الإذن في بيع أنفسهم لهذا الكارثيني. إنهم أكثر من الذباب». قالت مصدومة: «يريدون أن يكونوا عبيدًا؟!».

- «المتقدّمون فصيحو الكلام وحسنو المولد أيتها الملكة الجميلة، والعبيد من هذا النوع ثمينون. في المُدن الحرّة سيكونون معلّمين وكتبةً وعبيد فراش، بل معالجون ورهبان. سينامون في أسرّةٍ وثيرة ويأكلون أطعمةً شهيةً ويقطنون في قصور. أمّا هنا فقد فقدوا كل شيءٍ ويعيشون في خوفٍ وقذارة». - «مفهوم». ليس الأمر صادمًا لهذا الحدِّ إذا صحَّ ما قيل عن (أستاپور). تأملت لحظةً، ثمّ قالت: «سأسمخ لأيّ رجل يرغب في بيع نفسه للعبودية بأن يفعلها، أو أيّ امرأة»، ورفعت يدها مضيفةً: «لكن ليس مسموحًا لهم ببيع أطفالهم، أو لأيّ رجل يبيع زوجته».

قالت لها ميسانداي: «في (أستاپور) جرّت العادة على أن تأخذ المدينة عشر الثمن كلما تبدّل مالك العبد».

- «سنفعل المثل». الحروب تُربح بالذهب كما تُربح بالسيوف. «العشر، ذهبًا أو فضةً أو عاجًا. (ميرين) لا يتقصها الزعفران أو القرنفل أو جلود الزورس».

قال داريو: «سيتمّ ما أمرت به أيتها الملكة المجيدة. سيجمع رجالي من غربان العاصفة عُشرك».

تعي داني أن نصف الذهب سيضلُّ الطريق إلى خزينتها ما دام غربان العاصفة مسؤولين عن جمعه، لكن الأبناء الثّانين لا يقلون عنهم سوءًا، أمّا المطهّرون فأمّيون على الرغم من استقامتهم. هكذا قالت: «أريدُ سجلاتٍ ابحت بين المحرّرين عمّن يُجيدون القراءة والكتابة والحساب».

انحنى رُبّان (التّجم النّيلجي) وانصرفَ وقد فرغَ من شأنه، تاركًا داني تعتدل بلا راحةٍ في جلستها على الدّكّة الأبنوس. إنها تخشى ما ينبغي أن يحدث الآن، لكنها تعرف أنها أرجأته طويلاً بالفعل. (يونكاي) و(أستاپور)، تهديدات الحرب، عروض الزّواج، الزّحف غربًا الذي يلوح طيفه فوق كلّ شيء... إنني محتاجة إلى فارسيّ، محتاجة إلى سيفيهما وإلى مشورتهما. على أن فكرة رؤية چورا مورمونت ثانية تُشعرها كأنه ابتلعت مِلء ملعقةٍ

من الدُّباب، تُغْضِبُهَا، تُبْلِبلُهَا، تَغْثِيهَا، حَتَّىٰ إِنهَا تَكَادُ تَشْعُرُ بِالذُّبَابَاتِ تَطْنُ فِي بَطْنِهَا. أَنَا دَمُ النَّيْنِ. لَا بُدَّ أَنْ أْتَمَاسَكَ. لَا بُدَّ أَنْ أَوَاجِهَهُمَا بَعِينِينَ تَقْدَحُ مِنْهُمَا النَّارَ لَا الدُّمُوعَ. قَبْلَ أَنْ تُعَيِّرَ رَأْيَهَا قَالَتْ أَمْرَةً: «قُولُوا لِبِلَاسِ أَنْ يُحْضِرَ فَارِسِي... فَارِسِي الصَّالِحِينَ».

كَانَ بِلَاسِ الْقَوِي يَلْهَثُ مِنْ جَهْدِ الصُّعُودِ عِنْدَمَا سَاقَهُمَا مِنْ بَيْنِ مَصْرَاعِي الْبَابِ مَطْوًوَقًا ذِرَاعَ كُلِّ مِنْهُمَا بِيَدٍ لَحِيمَةٍ. سَارَ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ بِرَأْسِ مَرْفُوعٍ، بَيْنَمَا حَمَلَقَ السَّيْرَ چُورَا إِلَى الْأَرْضِ الرُّخَامِ وَهُوَ يَقْتَرِبُ. وَاحِدَ أَبِيِّ وَالثَّانِي مَذْنَبٍ. كَانَ الْعَجُوزُ قَدْ حَلَقَ لِحِيْتَهُ الْبِيضَاءَ، فَبَدَأَ أَصْغَرَ عَشْرِ سَنِينَ دُونَهَا، لَكِنْ دُبَّهَا الَّذِي يَجْتَثُّ الصَّلْعَ شَعْرَهُ بَدَأَ أَكْبَرَ مِمَّا كَانَ. تَوَقَّفُوا أَمَامَ الدُّكَّةِ، وَتَرَاجَعَ بِلَاسِ وَوَقَفَ عَاقِدًا ذِرَاعِيَهُ عَلَى صَدْرِهِ النَّدِيبِ، ثُمَّ تَنَحَّجَ السَّيْرَ چُورَا قَائِلًا: «كَالِيسِي...».

لَكُمْ افْتَقَدَتْ صَوْتَهُ، وَلَكِنْ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ صَارِمَةً، فَطَاعَتَهُ: «صِمَّتًا. سَاقُولُ لَكَ مَتَى تَتَكَلَّمُ»، وَنَهَضَتْ مَرْدِفَةً: «عِنْدَمَا أُرْسَلْتِكَمَا إِلَى الْبَالُوعَاتِ كَانَ جِزْءٌ مِنْنِي يَأْمَلُ أَنِّي رَأَيْتِكَمَا لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ. بَدَأَ لِي أَنْ الْعَرَقُ فِي قَازِدُورَاتِ النَّحَّاسِينَ نَهَايَةَ لِقَائِكُمَا بِكَازِبِينَ مِثْلِكُمَا، وَحَسِبْتُ أَنْ الْآلِهَةَ سَتَتَوَلَّى أَمْرَكُمَا، لَكِنِكُمَا عُدْتُمَا إِلَيَّ بَدَلًا مِنْ هَذَا. فَارْسَايَ الْوَسْتَرُوسِيَّانَ الْمَغُورَانَ، الْجَاسُوسَ وَالْمَارِقَ. كَانَ أَخِي لِيُعَلِّقَكُمَا مِنَ الْمَشْنِقَةِ». كَانَ فُسَيْرِسُ لِيَفْعَلَهَا عَلَيَّ الْأَقْلَ، أَمَّا رِيَجَارُ فَتَجْهَلُ مَا كَانَ لِيَفْعَلَهُ. «أَقْرُ بِأَنْكُمَا سَاعِدْتُمَانِي عَلَى الظَّفْرِ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ...».

رَمَّ السَّيْرَ چُورَا فَمَهَ قَائِلًا: «بَلِ الظَّفْرِ لَكِ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ، نَحْنُ جِرْدَانُ الْبَالُوعَاتِ».

كَرَّرَتْ: «صِمَّتًا...» مَعَ أَنْ كَلَامَهُ لَا يَخْلُو مِنْ حَقِيقَةٍ، فَبَيْنَمَا ضَرَبَ (قَضِيبَ چُوسُو) وَالْمَدَكَّانَ الْآخِرَانَ بِوَبَابَاتِ الْمَدِينَةِ وَأَطْلَقَ رُمَاتَهَا أَسْرَابًا مِنَ السَّهَامِ النَّارِيَّةِ فَوْقَ الْأَسْوَارِ، كَانَتْ دَانِي قَدْ أُرْسَلَتْ مِثَّتَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى النَّهْرِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ لِيُضْرِمُوا النَّارَ فِي السُّفْنِ الثَّقِيلَةِ الرَّاسِيَةِ فِي الْمِيْنَاءِ، لَكِنْ هَذَا كَانَ لِإِخْفَاءِ الْغَرَضِ الْحَقِيقِيِّ، فِإِذْ اجْتَذَبَتْ السُّفْنُ الْمَشْتَعَلَةَ أَنْظَارَ الْمَدَافِعِينَ عَلَى الْأَسْوَارِ عَثَرَ عِدَدٌ مِنَ السَّبَّاحِينَ أَشْبَاهَ الْمَخَابِيلِ عَلَى فَوَاهِ الْبَالُوعَاتِ وَانْتَزَعُوا شَبَكَةً حَدِيدِيَّةً صَدْنَةً، وَغَاصَّ السَّيْرَ چُورَا وَالسَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ وَبِلَاسِ

القوي وعشرون من الحمقى الشجعان في المياه البتية ودخلوا النفق القرميد، قوتهم خليط من المرتزقة والمطهرين والمعتمقين، وكانت داني قد أمرت باختيار رجال بلا عائلات... ويُفَضَّلُ أنهم يفتقرون إلى حاسة الشم أيضًا. حالفهم الحظُّ كما ساندتهم الشجاعة. كان قمر قد مرَّ منذ سقطت أمطار غزيرة، ومياه المجاري ترتفع حتى الفخذ لا أكثر، وحافظ القماش المشمَّع الذي لفَّوه حول مشاعلهم على جفافها، فتمتَّعوا بالضوء أيضًا. كان بعض المحرَّرين خائفًا من الجرذان الضخمة، إلى أن قبضَ بلواس على أحدها وقضمه إلى نصفين. قتلت سحلية شاحبة ضخمة أحد الرجال حين برزت من المياه المظلمة وجرتَه من ساقه، لكن عندما لمحوا الماء يتموج ثانيةً قتلها السير چورا بسيفه. دخلوا بضعة منعطفات خاطئة، لكن ما إن وجدوا السطح قادم بلواس القوي إلى أقرب حلبة قتال، حيث باغتوا عددًا قليلًا من الحُرَّاس وضربوا سلاسل العبيد، وخلال ساعةٍ كان نصف رقيق (ميرين) المقاتلين قد انتفضوا.

رددت بعناد: «ساعدتما على الظفر بهذه المدينة»، ثم أردت: «وأحسنتما خدمتي في الماضي. السير باريستان أنقذني من نغل المارد ومن الرجل الآسف في (كارث)، والسير چورا أنقذني من المسمم في (فايس دوثراك)، ثم من خيالة دم دروجو بعد موت شمسي ونجومي». كثيرون أرادوا موتها، لدرجة أنها تنسى عددهم أحيانًا. «لكنكما كذبتما، خدعتما، خُتْماني»، والتفتت إلى السير باريستان قائلة: «أنت حميت أبي أعوامًا وقاتلت إلى جوار أخي في معركة (الثالوث)، لكنك تخليت عن فسيرس في منفاه وركعت للغاصب، فلمَ؟ أريد الحقيقة».

- «بعض الحقائق يصعب سماعه. روبرت كان... فارسًا صالحًا... شهيمًا، شجاعًا... لقد عفا عني وعن كثيرين غيري... الأمير فسيرس كان مجرد طفل، وكانت أمامه سنوات قبل أن يصبح صالحًا للحكم، و... سامحيني يا مليكتي، لكنك طلبت الحقيقة... حتى في طفولته أثبت أخوك فسيرس أنه ابن أبيه في كثير من الأحيان، على عكس ريجار تمامًا».

سألته مقطبةً وجهها: «ابن أبيه؟ ماذا تعني؟».

لم تطرف للعبوز عين وهو يُحيب: «أبوك كان ملقَّبًا بالملك المجنون في (وستروس). ألم يُخبرك أحد؟».

- «فسيرس أخبرني». الملك المجنون. «الغاصب هو من أطلق عليه هذا اللقب، الغاصب وكلابه». الملك المجنون. «كانت كذبة».

قال السير بارستان برفق: «لماذا تطلين الحقيقة إذا كنت ستصممين أذنك عنها؟»، وتردَّد لحظة قبل أن يتبع: «قلت لك من قبل إنني استخدمت اسمًا زائفًا كي لا يعلم آل لانستر بانضمامي إليك، لكن هذا أقل من نصف الحقيقة يا جلالة الملكة. الحقيقة أنني أردت أن أراقبك فترة قبل أن أتعهد لك بسيفي، لأنك من أنك لست...».

- «... ابنة أبي؟». إن لم تكن ابنة أبيها فمن تكون؟

- «... مجنونة. لكنني لا أرى الوصمة فيك».

رددت مغضبة: «الوصمة؟!».

- «لست مايستر لأقتبس لك من التاريخ يا جلالة الملكة، فحياتي كانت في السيف لا الكتب، لكن كل طفل يعرف أن آل تارجارين رقصوا دائمًا على حافة الجنون، ولم يكن أبوك أولهم. ذات مرة قال لي الملك جهيرس إن الجنون والعظمة وجهان لعملة واحدة، وإنه كلما وُلد تارجارين جديد تُلقني الآلهة العملة في الهواء ويحبس العالم أنفاسه ليرى على أي وجه ستسقط».

جهيرس. هذا الشيخ كان يعرف جدِّي. جعلتها الفكرة تتردَّد. معظم ما تعرفه عن (وستروس) أخبرها به أخوها، والباقي عرفته من السير چورا، ولا بُد أن السير بارستان نسي أكثر مما عرفه الاثنين في حياتهما كلها. هذا الرجل يستطيع أن يُخبرني من أين أتيت. «إذن فأنا عملة في أيدي الآلهة. أهذا ما تقوله أيها الفارس؟».

أجاب السير بارستان: «لا. أنت وريثة (وستروس) الشرعية، وإلى نهاية أيامي سأظل فارسك الوفي إذا وجدتي أستحق أن أحمل سيفًا من جديد. وإن لم يكن، فأنا قانع بأن أخدم بلواس القوي كمُرافق».

سألته داني هازنة: «وماذا لو قررت أنك لست جديرًا إلا بأن تكون مهرجي؟ أو طبّاحي؟».

قال سلمى بوقار هادئ: «سيكون هذا من دواعي شرفي يا جلالة الملكة».

يُمْكِنُنِي أَنْ أَخْبِزَ التُّفَّاحَ وَأَسْلُقَ اللَّحْمَ الْبَقْرِيَّ كَأَيِّ أَحَدٍ، كَمَا أَنِي شَوَيْتُ بَطًّا كَثِيرًا فَوْقَ بُورِ النَّارِ فِي الْمَعْسَكَرَاتِ. أَتَمَنَّى أَنْكَ تُحِبِّينَهُ دَسْمًا، الْجِلْدَ مَحْرُوقَ وَالْعَظْمَ دَامَ».

حَدَّثَ بِهَا كَلِمَاتِهِ إِلَى الْإِبْتِسَامِ، وَقَالَتْ: «لَا بُدَّ أَنْ أَكُونَ مَجْنُونَةً إِذَا أَكَلْتُ شَيْئًا كَهَذَا. بِنِ بِلُومِ، تَعَالَ وَأَعْطِ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ سَيْفِكَ الطَّوِيلَ».

إِلَّا أَنْ ذَا اللَّحِيَةِ الْبَيْضَاءَ رَفَضَهُ قَائِلًا: «لَقَدْ أَلْقَيْتُ سَيْفِي عِنْدَ قَدَمِي چَوْفَرِي وَلَمْ أَلْمَسْ وَاحِدًا مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ. لَنْ أَقْبَلَ سَيْفًا ثَانِيَةً إِلَّا مِنْ يَدِ مَلِيكَتِي».

رَدَّتْ دَانِي: «كَمَا تَشَاءُ»، وَتَنَاوَلَتْ السَّيْفَ مِنْ بِنِ الْبَنِيِّ وَقَدَّمَتْهُ لِسَلْمِي مِنَ الْمَقْبُضِ فَالْتَقَطَهُ الْعَجُوزُ بِتَوْقِيرٍ. قَالَتْ لَهُ: «وَالْآنَ ارْكَعْ وَتَعَهَّدْ بِهِ لِحَدْمَتِي».

رَكَعَ السَّيْرَ بَارِيَسْتَانَ عَلَى رُكْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَوَضَعَ السَّيْفَ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَهَا وَهُوَ يَحْلِفُ الْيَمِينَ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْهَا دَانِي تَقْرِيًّا. كَانَ هَذَا أَسْهَلَهُمَا، أَمَّا الثَّانِي فَنَسِيكُونَ أَصْعَبَ. حِينَ فَرَّغَ سَلْمِي التَّفَتَّتْ إِلَى چُورَا مَورْمُونْتِ قَائِلَةً: «وَالْآنَ أَنْتِ أَيُّهَا الْفَارَسُ. أُرِيدُ الْحَقِيقَةَ».

كَانَ عُنُقُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ مَحْمَرًا، لَكِنْ سِوَاءِ أَمْنِ الْغَضَبِ أَمْ الْخَجَلِ فَلَا تَدْرِي. قَالَ: «حَاوَلْتُ أَنْ أَقُولَ لِكَ الْحَقِيقَةَ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ. قُلْتُ لَكَ إِنْ أَرَسْتَانَ لَيْسَ كَمَا يَبْدُو، وَحَدَّرْتُكَ مِنَ الثَّقَّةِ بَزَارُو وَيِيَاتِ پَرِي، حَدَّرْتُكَ...».

قَاطَعَتْهُ وَقَدْ أَحْنَقَتْهَا صَفَاقَتُهُ: «حَدَّرْتَنِي مِنَ الْجَمِيعِ بَاسْتِثْنَاءِ نَفْسِكَ».

الْمَفْتَرِضُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ تَوَاضُعًا، الْمَفْتَرِضُ أَنْ يَتَوَسَّلَ مَغْفَرَتِي. «لَا تَتَّقِي بِأَحَدٍ إِلَّا چُورَا مَورْمُونْتِ، قُلْتُ... وَطِيلَةُ الْوَقْتِ كُنْتُ مَخْلُوقَ الْعِنْكَبُوتِ!».

- «لَسْتُ مَخْلُوقَ أَحَدٍ. نَعَمْ، أَخَذْتُ ذَهَبَ الْخَصْمِيِّ، وَتَعَلَّمْتُ بَعْضَ الرُّمُوزِ وَكُتِبَتْ بَعْضُ الرِّسَائِلِ، لَكِنْ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ...».

- «كُلُّ شَيْءٍ؟ لَقَدْ تَجَسَّسْتَ عَلَيَّ وَبِعْتَنِي لِأَعْدَائِي!».

قَالَ بِتَذَمُّرٍ: «فَتَرَةً فَقَطْ، لَكِنِّي تَوَقَّفْتُ».

- «مَتَى؟ مَتَى تَوَقَّفْتُ؟».

- «أَرَسَلْتُ تَقْرِيرًا وَاحِدًا مِنْ (كَارْتِ)، لَكِنْ...».

- «مِنْ (كَارْتِ)؟!». كَانَتْ تَأْمَلُ أَنْ جَاسُوسِيَّتَهُ انْتَهَتْ قَبْلَ هَذَا بِكَثِيرٍ.

«مَاذَا كُتِبَتْ مِنْ (كَارْتِ)؟ أَنْكَ أَصْبَحْتَ رَجُلِي؟ أَنْكَ لَا تُرِيدُ الْمَزِيدَ مِنْ دَسَائِسِهِمْ؟»، وَوَاصَلَتْ وَالسَّيْرَ چُورَا لَا يَسْتَطِيعُ النَّظْرَ فِي عَيْنَيْهَا: «عِنْدَمَا



ماتَ گال دروجو طلبت مني أن أذهب معك إلى (بي تي) و(بحر اليشب).  
أكانت تلك رغبتك أم رغبة روبرت؟». قال بإصرار: «كان هذا لحمايتك، لإبعادك عنهم. كنتُ أعرفُ أنهم  
ثعابين...».

صاحت: «ثعابين؟! وماذا تكون أنت أيها الفارس؟»، ثم خطرَ لها شيء  
مريع، فقالت: «قلت لهم إنني أحمل طفل دروجو...».  
- «گاليسي...».

قال السير باريستان بحدّة: «إياك أن تُحاول الإنكار أيها الفارس. كنتُ  
موجودًا عندما أخبرَ الخصميّ المجلس وأمرَ روبرت بموت جلالتها وطفلها.  
كنت أنت مصدر المعلومة أيها الفارس، بل ودارَ نقاش حول أن تفعلها  
بنفسك مقابل عفو».

قال السير چورا بوجهٍ اربدّ: «كذب. ما كنتُ لأفعل... دنيرس، أنا الذي  
منعتك من شُرْب النّبيذ».  
- «نعم، وكيف عرفت أن النّبيذ مسموم؟».

- «لقد... لقد شككتُ... القافلة جلبت رسالةً من فارس حدّرتني فيها من  
وقوع محاولاتٍ لاغتيالِك. لقد أراذك أن تظلي تحت المراقبة، لكنه لم يرغب  
في أديتك»، وهوى على ركبتيه مواصلاً: «لو لم أخبرهم لأخبرهم غيري،  
تعرفين هذا».

مسّت بطنها الذي ماتَ ابنها ريجو في داخله قائلةً: «أعرفُ أنك حُتنتي،  
أعرفُ أن مسمّمًا حاول أن يقتل ابني بسببك. هذا ما أعرفه».

هزّ رأسه قائلاً: «لا... لا. لم أقصد قط... سامحيني، يجب أن تُسامحيني».  
- «يجب؟!». كان أوان هذا قد فات. كان عليه أن يبدأ بتوسّل السّماح.  
لا يُمكنها أن تعفو عنه كما انتوت. لقد جرّت بائع النّبيذ وراء حصانها إلى  
أن لم يتبقّ منه شيء، أفلا يستحقُّ الرّجل الذي أتى به المثل؟ هذا چورا،  
دُبّي الشّرس، الذّراع اليمنى التي لم تخذلني قط. لولاه لِمَت، ولكن... «لا  
أستطيعُ أن أسامحك، لا أستطيعُ».  
- «لكنك سامحت العجوز».

- «العجوز كذب عليّ في اسمه. أنتِ بعثِ أسراري لَمَنْ قتلوا أبي وسرقوا عرش أخي».

- «لقد حميتكِ، قاتلتُ في سبيلكِ، قتلتُ في سبيلكِ».

قَبَلْتَنِي، حُتْنِي.

- «زحفتُ في البالوعات كالجرذان من أجلكِ».

كان الأرحم أن تموت هناك.

لم تقل داني شيئاً. لم يكن هناك ما يُقال.

- «دنيرس، لقد أحببتكِ».

بالضبط. ثلاث خياناتٍ ستعرفين، واحدةٌ من أجل الدّم وواحدةٌ من أجل الذهب وواحدةٌ من أجل الحُب. «يقولون إن الآلهة لا تفعل شيئاً بلا هدف. إنك لم تَمُتِ في المعركة، فلا بُدَّ أن عندها استخداماً ما لك، أمّا أنا فلا. لا أريدك قريباً مني. أنتِ منفيّةٌ أيها الفارس. عُدْ إلى سادتكِ في (كينجز لاندنج) وتلقِ عفوكِ إن استطعت، أو إلى (أستاپور). لا شكَّ أن الملكَ الجَزَّارَ في حاجةٍ إلى فُرسان».

قال ماداً يده إليها: «لا. دنيرس، أرجوكِ اسمعيني...».

صفعتُ اليدَ قائلةً: «إياك أن تتجرّأ وتُحاول لمسي ثانيةً أو تنطق اسمي. أمامك حتى الفجر لتجتمع حاجياتك وتُغادر المدينة. إذا وُجِدت في المدينة بعد طلوع النَّهار سأجعل بلواس القوي يحزُّ رأسك، سأفعل، صدّقني»، وأسرعتُ تُشيع بجسدها عنه لتدور تُنورتها في الهواء. لا أحتملُ النَّظْرَ إلى وجهه. قالت امرأةٌ: «أبعدوا هذا الكذاب عن نظري». يجب ألا أبكي. إذا بكيتُ سأسامحه. قبضُ بلواس القوي على ذراع السير چورا وجرّه إلى الخارج، وحين ألقَت داني نظرةً وراءها كان الفارس يمشي ببُطء متعثراً كأنه سكران، وعادتُ تُشيع بنظرها إلى أن سمعتُ الباب يُفْتَحُ ثم يُغْلَقُ، ثم جلستُ على الدُّكَّة الأبنوس. رحلَ إذن. أبي وأمِّي وأخواي والسير ويلم داري وشمسي ونجومي دروجو وابنه الذي ماتَ في بطني، والآن السير چورا...

قال داريو من تحت شواربه الأرجوانية الدّاكنة بصوتٍ كخرخرة القِطط:

«الملكة طيبة القلب، لكن هذا الرَّجل أخطر من كلِّ أوزناك وميرو في آنٍ واحد»، وداعبت يده القويّتان مقبضيّ سلاحيه، المرأتين الذهبيتين الشّبقتين،

وأردف: «ليس عليك أن تقول لها حتى يا نوري. مجرد إيماءٍ طفيفة للغاية وسياتيك داريو برأسه القبيح».

قالت: «دعه. لقد تساوت الكفتان. دعه يعود إلي الوطن». تخيلت چورا يمشي بين أشجار السنديان العجوز والصنوبر الطويلة، يمرُّ بالشجيرات الشائكة المزهرة والحجارة الملتحية بالطحالب والغدران الصغيرة المنهمة ببرودة الجليد على جوانب التلال. رأته يدخل قاعةً مبنيةً بجذوع الشجر الضخمة، تنام فيها الكلاب عند المستوقد وتُفعم هواءها الدخاني روائح اللحم والبتع. قالت لقادتها: «سنكتفي بهذا القدر اليوم».

شحذت إرادتها كلها كي لا تصعد السلالم الرخام الواسعة جرياً. ساعدتها إيربي على خلع ثياب البلاط وارتداء ثياب مريحة أكثر؛ سراويل واسعة من الصوف وسترة قصيرة فضفاضة من الجوخ وصدرة ملونة من التي يرتديها الدوثرافي. قالت الفتاة وهي راكعة تعقد أربطة صندلها: «إنك ترتجفين يا كاليبسي».

أجابت كاذبةً: «أشعر بالبرد»، ثم قالت للفتاة: «أحضري لي الكتاب الذي كنتُ أقرأه ليلة أمس». تُريد أن تفقد نفسها في الكلمات، في أزمته وأمكنة أخرى، والكتاب الكبير المغلف بالجلد مليء بأغان وحكايات من الممالك السبع، قصص أطفال في الحقيقة، أبسط وأجمع خيالاً من أن تكون حقيقية، فيها كل الأبطال طوال وسيمون، ويُمكنك أن تُميِّز الغادرين من خائنة أعينهم، لكنها أحببت القصص على الرغم من هذا، وليلة البارحة قرأت عن الأميرات الثلاث في البرج الأحمر، اللاتي حبسهن الملك لجريمة الجمال. حين جلّبت لها الوصيفة الكتاب لم تجد صعوبةً في العثور على الصفحة التي توقفت عندها، لكنها وجدت نفسها تقرأ الفقرة نفسها مراراً. السير چورا أعطاني هذا الكتاب كهدية عروس يوم زُففتُ إلى غال دروجو. لكن داريو مصيب، لم يكن عليّ أن أنفيه. كان عليّ أن أحتفظ به أو أقتله. تلعب دور الملكة، إلا أنها لا تزال تُشعر أحياناً كأنها فتاة صغيرة خائفة. لطالما قال فيسرس كم أنا مغفلة. هل كان مجنوناً بحق؟ أغلقت الكتاب مفكرةً أنها ما زالت تستطيع استدعاء السير چورا إذا شاءت، أو إرسال داريو لقتله.

هربت من الاختيار إلى الشرفة، حيث وجدت ريجال نائمًا إلى جوار

البركة، لفيفة من الحُضرة والبرونز تستدفع بالشمس، على حين جثم دروجون على قمة الهرم في البقعة التي كانت الهاربي البرونز الجسيمة تحتها قبل أن تأمر داني بإزالتها، ولما أبصرها التئمت بسط جناحيه وزأر. لم يكن هناك أثر لفسيريون، لكن عندما ذهبَت إلى السور وجاست بناظريها في الأفق رأت جناحين شاحبين يُشقان الهواء بعيداً فوق النهر. يصطاد. جراتهم تزداد كل يوم. ومع ذلك تقلق إذا حلّقوا بعيداً. ربما يأتي يوم ويذهب أحدهم ولا يعود. - «جلالة الملكة».

التفتت لتجد السير باريستان وراءها، فقالت: «ماذا تريد مني أكثر أيها الفارس؟ لقد عفوتُ عنك وضممتك إلى خدمتي، فاتركني في سلام». قال العجوز: «اعذريني يا جلالة الملكة. المسألة أن... الآن وقد عرفت من أكون...»، وتردّد قبل أن يكمل: «فارس الحرس الملكي يبقى في حضور الملك ليل نهار، ولهذا السبب تُحتم علينا يميننا أن نحمي أسراره كما نحمي حياته، لكن أسرار أبيك من حقك الآن، مثلها مثل العرش، و... خطر لي أن ربما لديك أسئلة توذّين طرحها عليّ».

أسئلة؟ إن لديها مئة سؤال، ألفاً، عشرة آلاف، فلم لا تستطيع التفكير في واحد فقط؟ اندفعت تقول: «هل كان أبي مجنوناً حقاً؟». لماذا هذا السؤال؟ «فسيرس قال إن هذا الكلام عن الجنون خدعة من الغاصب...».

- «فسيرس كان طفلاً، والملكة وقته قدر ما استطاعت. أعتقد الآن أن أباك كان فيه شيء من الجنون دائماً، لكنه كان جذاباً وسخيّاً أيضاً، فسامحه الناس على زلاته. حكمه بدأ واعدّاً للغاية... لكن مع مرور السنين تواترت الزلات أكثر، إلى أن...».

قاطعته داني: «هل أريد أن أسمع هذا الآن؟».

فكر السير باريستان لحظةً، ثم قال: «ربما لا، ليس الآن».

- «ليس الآن، لكن ذات يوم، ذات يوم يجب أن تخبرني بكل شيء، الجيد والسيئ. لا بد أن هناك أشياء جيّدة تُقال عن أبي، أليس كذلك؟».

- «بلى يا جلالة الملكة، عنه وعن من سبقوه، عن جدك جهيرس وأخيه وأبيهما إجون وأمك... وريجار، هو على وجه الخصوص».

قالت بنبرة حزينة: «ليتني عرفته».

رَدَّ الْفَارِسُ الْعَجُوزَ: «لَيْتَهُ عَرَفَكِ. سَأخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ مَتَى تَكُونِينَ مُسْتَعَدَّةً».

قَبَّلْتَهُ دَانِي عَلَى وَجْنَتِهِ وَصَرَفْتَهُ.

لَيْلَتَهَا أَحْضَرَتْ لَهَا وَصِيفَاتِهَا لِحْمِ الْحِمْلَانِ مَعَ سَلْطَةِ مِنَ الزَّيْبِ وَالْجِزْرِ الْمَنْقُوعَيْنِ فِي النَّيِّدِ وَخُبْزِ سَاخِنٍ يَقْطُرُ مِنْهُ الْعَسَلُ، لَكِنَّمَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْكُلَ وَلَوْ لِقَمَةً. هَلْ أَصَابَ رِيْجَارُ كُلِّ هَذَا الْإِنْهَاكُ؟ هَلْ أَصَابَ إِجُونٌ بَعْدَ غَزْوَتِهِ؟ لِأَحْقًا، عِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ، أَخَذَتْ يُبْرِي مَعَهَا إِلَى الْفِرَاشِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْذُ السَّفِينَةِ، لَكِن حَتَّى حِينَ ارْتَجَفَتْ مَفْرَعَةً لِدَتْهَا وَدَسَّتْ أَصَابِعَهَا فِي شَعْرٍ وَصِيفَتِهَا الْأَسْوَدِ الثَّقِيلِ تَظَاهَرَتْ بِأَنْ دَرُوجُو هُوَ الَّذِي مَعَهَا... غَيْرَ أَنْ وَجْهَهُ ظَلَّ يَتَحَوَّلُ بِشَكْلِ مَا إِلَى وَجْهِ دَارِيو. اسْتَلَقْتُ وَسَاقَاهَا تُعَانِقَانِ سَاقِي يُبْرِي قَائِلَةً لِنَفْسِهَا: إِذَا أَرَدْتُ دَارِيو فَمَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أَقُولَهَا. عَيْنَاهُ كَادَتَا تَبْدُو أَنْ أَرُجُو أَيَّيْنِ الْيَوْمِ...

كَانَتْ أَحْلَامُهَا مَظْلَمَةً لَيْلَتِهَا، وَاسْتَيْقَظَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ كَوَائِسِ نَسِيَتْ نِصْفَهَا، وَبَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ وَجَدَتْ نَفْسَهَا أَكْثَرَ تَوَثُّرًا مِنْ أَنْ تَعُودَ إِلَى النَّوْمِ. كَانَ نُورُ الْقَمَرِ يَتَدَقَّقُ مِنَ النَّوَاذِ الْمَائِلَةِ صَاحِبًا الْأَرْضِيَّةِ الرُّخَامِ بِالْفَضَّةِ، وَنَسِيمٌ مَعْتَدِلٌ الْبُرُودَةِ يَهْبُ مِنْ بَابِ الشُّرْفَةِ الْمَفْتُوحِ، وَإِلَى جَوَارِهَا يُبْرِي غَائِضَةٌ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ وَشَفَاتِهَا مَفْتَرَقَتَانِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَمِنْ ثَوْبِ نَوْمِهَا الْحَرِيرِ تَبْرُزُ حَلْمَةٌ بَيْتِيَّةٌ دَاكِنَةٌ. رَاوَدَ الْإِغْوَاءُ دَانِي وَهَلَّةً، لَكِن دَرُوجُو هُوَ مِنْ أَرَادَتْ، أَوْ رُبَّمَا دَارِيو، وَلَيْسَ يُبْرِي. الْوَصِيفَةُ عَذْبَةٌ وَبَارِعَةٌ، لَكِن قُبَلَاتِهَا كُلُّهَا مَذَاقُهَا كَالْوَاجِبِ.

نَهَضَتْ تَارِكَةً يُبْرِي النَّائِمَةَ فِي نُورِ الْقَمَرِ، بَيْنَمَا نَامَتْ كُلٌّ مِنْ چِيكُوي وَمِيسَانْدَايِ فِي سَرِيرِهَا. وَضَعَتْ دَانِي مَعْطَفًا وَمَشَتْ حَافِيَةً الْقَدَمَيْنِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ الرُّخَامِ وَخَرَجَتْ إِلَى الشُّرْفَةِ. كَانَ الْهَوَاءُ بَارِدًا، لَكِن رَاقَهَا الْإِحْسَاسُ بِالْعُشْبِ بَيْنَ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا وَأَصْوَاتِ تَهَامُسِ أَوْرَاقِ النَّبَاتِ، وَقَدْ أَخَذَتْ تَمُوجَاتِ الرِّيحِ تُطَارِدُ بَعْضَهَا بَعْضًا عَلَى سَطْحِ بَرَكَةِ الْاسْتِحْمَامِ الصَّغِيرَةِ وَجَعَلَتْ انْعِكَاسَ الْقَمَرِ يَرْقُصُ وَيَتَلَأَلُ.

مَالَتْ عَلَى الشُّورِ الْقَرْمِيدِ الْوَاطِئِ تَتَطَلَّعُ إِلَى مَدِينَتِهَا (مِيرِين) النَّائِمَةَ أَيْضًا. غَائِبَةٌ فِي أَحْلَامِ بِأَيَّامِ أَرْحَمِ رُبَّمَا. غَطَّى اللَّيْلُ الشُّوَارِعَ كَدَثَارِ أَسْوَدٍ، تُوَارِي الْجُثْثَ وَالْجَرْدَانَ الْكَرْمَادِيَّةَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الْمَجَارِي لِتَلْتَهُمَا وَأَسْرَابَ

الدُّبَابِ الوَحَّازِ، وتوهَّجت المشاعل البعيدة بالأحمر والأصفر حيث يدور  
حُرَّاسُهَا فِي مَنَاوِبَاتِهِمْ، وهنا وهناك رأت الوميض الخافت لمصباح يتحرَّك  
في الأزقة. ربما يكون أحدهم السير چورا، يقود حصانه ببطءٍ إِلَى البوَابِ.  
وداعًا أَيُّهَا الدُّب العجوز، وداعًا أَيُّهَا الخائن.

إنها دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، الكاليسي والملكة، أم  
التنانين، قاتلة المشعوذين، محطمة الأغلال... ولا أحد في العالم يُمكنها  
الثقة به.

- «جلالة الملكة»، قالت ميسانداي التي وجدتها واقفة وراءها متدثرةً  
بمعطف نوم وتتعل صندلاً خشبياً. «استيقظت ولم أجدك. هل نمت جيداً؟  
إلام تنظرين؟».

- «مدينتي. كنتُ أبحثُ عن منزلٍ بابٍ أحمر، لكن في الليل الأبواب  
كلها سوداء».

تساءلت ميسانداي حائرة: «باب أحمر؟ أيُّ منزلٍ هذا؟».

قالت داني: «لا منزل، لا عليك»، والتقطت يد الفتاة مستطردة: «لا تكذبي  
عليَّ أبداً يا ميسانداي، لا تخونيني أبداً».  
- «لن أفعل أبداً. انظري، الفجر يبزغ».

كانت السماء قد اكتسبت زُرقة الكوبالت الدّاكنة من الأفق إلى سمت  
الرأس، ووراء خطّ التلال إلى الشرق لآح وهج شاحب كالذهب ووردي  
كالمحار. أمسكت داني يد ميسانداي وهما شاهدان الشروق معاً، واستحال  
رماديُّ القرميد كله إلى أحمر وأصفر وأزرق وأخضر وبرتقالي، ولمّا لاحت  
حلبات القتال حوّلتها رمالها القرمزية إلى قروح نازفة في عينيها، وفي بقاع  
أخرى برقت قُبّة (معبد ذوات النعم) الذهبية، وألتمعت نجوم برونزية حيث  
مسّ ضوء الشمس المشرقة خوذات المطهرين. في الشرفة تحركت بضع  
دُباباتٍ بخمول، وبدأ طائر يُزقزق على شجرة التين الكاكي، وتلاه طائران  
آخران. مالت داني برأسها تسمع أنشودة الطيور، لكن سرعان ما طغت عليها  
أصوات المدينة المستيقظة.

أصوات مدينتي.

هذا الصبح استدعت قادتها إلى الشرفة بدلاً من النزول إلى قاعة

الاجتماعات، وقالت لهم: «إجون الفاتح جلب النار والدم إلى (وستروس)، لكنه أعطاها السلام والرخاء والعدالة بعدها، أمّا أنا فلم أجلب إلى (خليج النحاسين) إلا الموت والدمار. لقد كنتُ كالأكثر مما كنتُ ملكةً، أحطمُ وأنهبُ ثم أمضي في طريقي».

قال بن بلوم البني: «ليس هناك ما تبقين من أجله».

وقال داريو نهاريس: «جلالة الملكة، النحاسون جلبوا الدمار على أنفسهم».

وأضافت ميسانداي: «ثم إنك جلبتِ الحرّيةَ أيضًا».

سألتهم داني بحدّة: «حرّية أن يجوعوا؟ حرّية أن يموتوا؟ أنا تئين أم هاربي؟». «أنا مجنونة؟ موصومة؟»

أجاب السير بارستان بثقة: «تئين. (ميرين) ليست (وستروس) يا جلالة الملكة».

قالت: «لكن كيف أحكم سبع ممالك إذا كنتُ لا أقوى على حُكم مدينة واحدة؟»، ولمّا لم يُجبها التفتت عنهم تتطّلع إلى المدينة من جديد، وواصلت: «أطفالي في حاجة إلى وقت لتندمل جراحهم ويتعلّموا، وتنانيني في حاجة إلى وقت ليكبّروا ويختبروا أجنحتهم، وأنا أحتاجُ إلى كلِّ هذا أيضًا. لن أدع مصير (أستاپور) يَحِقُّ بهذه المدينة، لن أدع الهاربي في (يونكاي) تُسلسل من حرّرتهم مجددًا»، وعادت تلتفت إليهم وتُنظر إلى وجوههم مضيفةً: «لن أزحف».

سألها راگارو: «ماذا ستفعلين إذن يا كَاليسي؟».

أجابت: «سأبقى، سأحكم، سأكونُ ملكةً».

## چایمی

جلسَ الملك عند رأس الطاولة وتحت مؤخرته كومة من الوسائد، يُدبِّل كلَّ وثيقةٍ تُقدِّم إليه بتوقيعه.

قال له السير كيثان لانستر: «لم يتبقَّ الكثير يا جلالة الملك. هذا صكُّ تجريم اللورد إدميور تلي، يُجَرِّده من (ريفررن) وجميع أراضيها ودخولها عقابًا على تمردّه على ملكه الشرعي. وهذا صكٌّ مماثل لعمّه السير برايندن تلي، السمكة السوداء».

وَقَع تومن غامسًا الرِّيْشة بحرص في المحبرة وكاتبًا اسمه بخطِّ طفوليٍّ كبير. شاهدَ چایمی من عند قدم الطاولة مفكرًا في كلِّ أولئك اللوردات الذين يطمحون إلى مقعدٍ في مجلس الملك الصَّغير. هنيئًا لهم بمقعدٍ إن أرادوه. إذا كانت هذه هي السُّلطة، فلماذا لا يتدوَّق منها إلاَّ السَّام؟ ها هو جالس يُشاهد تومن يغمس الرِّيْشة في الدَّواة ثانيةً ولا يَشْعُر بأنه ذو نفوذٍ خاص، بل يَشْعُر بمللٍ مُمضٍ.

وإِعياء. كلَّ عضلةٍ في جسده تُؤلمه، وكتفاه وضلوعه ملأى بالرُّضوض التي خلقتها ضربات السير أدام ماربراند. التوت ملامحه لمجرّد التَّفكير في هذا، ولكن ليس في وسعه إلاَّ أن يأمل أن يُطبِق الرِّجل فمه على سرِّه. لقد عرفَ چایمی ماربراند منذ صباه لدى خدمته كوصيفٍ في (كاسترلي روك)، وثقته به كثفته بأيِّ أحد، تكفي لأن يطلُب منه أن يُنازله بترسٍ وسيف مباريات، إذ أرادَ أن يعرف إن كان يستطيع القتال بيُسراه.

والآن أعرفُ. والمعرفة أكثر إيلامًا من كلِّ الضَّرب الذي تلقَّاه من السير أدام، والضَّرب كان مبرِّحًا لدرجة أنه استطاع ارتداء ثيابه بالكاد هذا الصُّباح.



لو كان نزالهما حقيقياً لماتَ چایمی عشرين مرّةً. كم بدا تبديل الیدين بسیطاً قبل أن يتّضح أنه ليس كذلك على الإطلاق. كل حركة غريزيّة كانت خاطئة، ووجد أن عليه أن يفكر أولاً بينما ما كان عليه في السابق إلا أن يتحرّك، وفيما فكر كال له ماربراند الضربات. لا يبدو أن يُسراه تحمل السيف الطويل كما ينبغي حتى، وقد جرّده منه السير أدام ثلاث مرّات وطبّره في الهواء.

قدّم السير كيغان حزمة أخرى من أوراق الرقوق للملك قائلاً: «هذا الصكّ يمنح الأراضي والدخول والقلعة سالفة الذكر للسير إمون فراي والسيدة زوجته الیليدي چنا»، وغمسَ تومن الریشة في الدّواة ووقع. «هذا مرسوم شرعنة لابن طبعي للورد رروس بولتون سيّد (معقل الخوف)، وهذا يُنصّب للورد بولتون حاكماً للشمال»، وغمسَ تومن ووقع، وغمسَ ووقع. «هذا يمنح السير رولف سپایسر السيادة على قلعة (كاستامير) ويرقيه إلى مقام لورد»، وشخبط تومن اسمه.

فكر چایمی: كان حريّاً بي أن أذهب إلى السير إلين پاين. عدالة الملك ليس صديقاً كماربراند، وغالباً سيوسعه ضرباً حتى يدميه... لكن في غياب لسانه لن يتباهى الرّجل بهذا بعدها. لا يتطلّب الأمر أكثر من ملاحظة عرّضية من السير أدام وهو سكران ليغزف العالم كله أنه أصبحَ عديم الفائدة. حضرة قائد الحرس الملكي. دُعابة قاسية حقاً... وإن لم تكن بقسوة الهدية التي أرسلها له أبوه.

قال السير كيغان للملك: «هذا عفوك الملكي عن اللورد جاون وسترلينج والسيدة زوجته وابنته چاين، والذي يُرحّب بعودتهما إلى سلام الملك. هذا عفو عن اللورد چونوس براكن سيّد (السيّاح الحجري). هذا عفو عن اللورد فانس. هذا عن اللورد جودبروك. هذا عن اللورد موتون سيّد (بركة العذارى)». نهضَ چایمی قائلاً: «يبدو أن كلّ شيءٍ على ما يُرام معك هنا يا عمّاه. سأترك جلالته لك».

قال السير كيغان ناهضاً بدوره: «كما ترغب. چایمی، يجدر بك أن تذهب إلى أيبك. هذا الشقاق بينكما...».

- «... هو صانعه، كما أنه لن يُصلحه بالهدايا الهازئة. قل له هذا إذا استطعت الانفراد به بعيداً عن آل تايرل».

لاخ الانزعاج على عمّه وهو يقول: «الهدية كانت من القلب. خطرنا أنها قد تُشجّعك على...».

قاطعها چايمي: «... أن أُنبت يدًا جديدة؟»، والتفت إلى تومن. على الرغم من أن له شعر چوفرى الذهبى وعينه الخضراوين، فثمة أشياء قليلة أخرى مشتركة بين الملك الجديد وأخيه الرّاحل، إذ يميل إلى الامتلاء ووجهه متورّد مستدير، بل ويحبّ القراءة أيضًا. لم يبلغ التاسعة بعدُ ابني هذا. الصّبي ليس الرّجل. ما زالت سنوات سبع تفصل بين تومن وانفراده بالحكم، وحتى ذلك الحين ستبقى البلاد بين يديّ جدّه الوطيدتين. سأله: «هل تسمح لي بالذهاب يا مولاي؟». قال تومن: «كما تُريد يا خالي»، والتفت إلى السير كيثان متسائلًا: «هل أختمها الآن؟». يظلّ كبس ختمه الملكي في الشّمع الساخن الجزء المفضّل من كونه ملكًا حتى الآن.

غادرَ چايمي قاعة المجلس بخطواتٍ واسعة. خارج الباب كان السير مرين ترانت واقفًا حراسةً في درعه البيضاء ومعطفه النَّاصع. إذا عرفَ هذا الرّجل كم أنا واهن، أو عرفَ كتلبلاك أو بلاونت... قال له: «ابقَ هنا إلى أن يفرغَ جلالته، ثم اصحبه إلى (حصن ميچور)».

حتى ترانت رأسه قائلاً: «كما تأمر يا سيّدي».

وجدَ السّاحة الخارجيّة مزدحمةً صاحبةً هذا الصّباح، واتّجه إلى الاسطبلات حيث تُجَهّز مجموعة من الرّجال خيولها بالسّروج، ونادي: «والتون! هل عزمتم على الرّحيل إذن؟».

أجابَ والتون ذو السّاقين الفولاذ: «حالما تتركب سيّدتي حصانها. اللورد بولتون ينتظرنا. ها هي ذي».

قادَ سائس فرسًا رماديّة مطهّمةً من باب الاسطبل، تمتطيها فتاة نحيلة غائصة العينين ترتدي معطفًا ثقيلًا، معطفًا رماديًا كالفستان الذي ترتديه تحته وموشى بالساتان الأبيض، والدّبّوس الذي يُنبتّه إلى صدرها مطرّق على شكل رأس ذئب عيناه المشقوقتان من الأوپال. فهففت الرّيح نافشةً شعر الفتاة البني الطويل بقوّة، وخطرَ لچايمي أن لها وجهًا مليحًا، لكن عينها حزيتان حذرتان. حين رأتَه حنّت رأسها، وقالت بصوتٍ متوتّر رفيع: «سير چايمي، لطف منك أن تُودّعني بنفسك».

أَمَعْنَ النَّظَرَ إِلَيْهَا قَائِلًا: «أَتَعْرِفِينِي إِذْنَ؟».

عَصَّتْ شَفَتَهَا مَجِيئَةً: «ربما لا تُذَكِّرُ يَا سَيِّدِي لِأَنِّي كُنْتُ صَغِيرَةً وَقْتَهَا... لَكُنِي تَشَرَّفْتُ بِلِقَائِكَ فِي (وَيَتَرَفَّلُ) عِنْدَمَا زَارَ الْمَلِكُ روبرت أَبِي اللورد إدارد»، وَخَفَضَتْ عَيْنَيْهَا الْبَيْتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ، وَغَمِغَمَتْ: «أَنَا أَرِيَا سِتَارَكَ». لَمْ يُعِرْ چَايِمِي أَرِيَا سِتَارَكَ اِهْتِمَامًا كَبِيرًا وَقْتَ الزِّيَارَةِ، وَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ هَذِهِ الْفَتَاةُ أَكْبَرُ قَلِيلًا. قَالَ لَهَا: «بَلَّغْنِي أَنْكِ سِتْرَ وَجِينِ».

- «سَأَنْزُوجُ رَامِزِي ابْنَ اللورد بولتون. كَانَ اسْمُهُ سَنُو مِنْ قَبْلِ، لَكِنْ صَاحِبُ الْجَلَالَةِ جَعَلَهُ بُولْتُونَ. يَقُولُونَ إِنَّهُ شَدِيدُ الشَّجَاعَةِ. إِنِّي سَعِيدَةٌ لِلْغَايَةِ».

لِمَاذَا يَعْتَرِي صَوْتُكَ الْخَوْفَ إِذْنَ؟ قَالَ چَايِمِي: «أَتَمَنَّى لَكَ الْفَرَحَ يَا سَيِّدَتِي»، وَالتَفَتَ إِلَى ذِي السَّاقِينِ الْفُولَازِ مَتَسَائِلًا: «هَلْ قَبَضْتُمْ الْمَبْلَغَ الَّذِي وُعدْتُمْ بِهِ؟».

أَجَابَهُ الرَّجُلُ الشَّمَالِي: «نَعَمْ، وَتَقَاسَمْنَا. لَكَ شُكْرِي»، وَأَضَافَ بَابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ: «الْلَانِسْتَرُ يُسَدِّدُ دِيُونَهُ دَائِمًا».

- «دَائِمًا»، أَمَّنَ چَايِمِي مَلَقِيًّا نَظْرَةً أُخِيرَةً عَلَى الْفَتَاةِ، يَتَسَاءَلُ إِنْ كَانَ الشَّبَهَ كَبِيرًا بَيْنَ الْاِثْنَتَيْنِ، مَعَ أَنَّ هَذَا لَا يَهْمُ حَقًّا، فَأَرِيَا سِتَارَكَ الْحَقِيقِيَّةَ مَدْفُونَةً فِي قَبْرِ مَا بَلَا شَاهِدٍ فِي (جُحْرِ الْبَرَاغِيثِ) عَلَى الْأَرْجَحِ، وَبِمَوْتِ إِخْوَتِهَا وَوَالِدِيهَا مَنْ يَجْرُو عَلَى أَتْهَامِ هَذِهِ بِالزِّيْفِ؟ قَالَ لَوَالْتُونَ: «صَحْبَتِكُمْ السَّلَامَةُ»، وَرَفَعَ نَايِچَ رَايَةَ السَّلَامِ وَكَوَّنَ الشَّمَالِيُونَ طَابُورًا رَدِيئًا كَمُعَاطِفِهِمُ الْفَرُوقَ وَخَرَجُوا مَهْرُولِينَ مِنْ بَوَابَةِ الْقَلْعَةِ، تَبَدُّو الْفَتَاةَ النَّاحِلَةَ عَلَى الْفَرَسِ الرَّمَادِيَّةِ صَغِيرَةً بَائِسَةً وَسَطْهَمَ. مَا زَالَ عِدَدُ مِنَ الْخِيُولِ يَجْفَلُ مِنَ اللَّطِخَةِ الْقَانِيَةِ عَلَى بُقْعَةِ الْأَرْضِ الصُّلْبَةِ الَّتِي تَشْرَبَتْ فِيهَا التُّرْبَةُ دِمَاءَ عَامِلِ الْاِسْطَبْلِ الَّذِي قَتَلَهُ جَرِيغُورُ كَلِيجَايِنِ بِكُلِّ رَعُونَةٍ، وَأَعَادَ مَنَظَرَهَا إِلَى چَايِمِي سُخْطَهُ كُلَّهُ. لَقَدْ قَالَ لِرَجَالِ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ أَنْ يُبْعِدُوا الْمَتَفَرِّجِينَ عَنِ الطَّرِيقِ، لَكِنْ ذَلِكَ الْجَحْشُ السَّيْرُ بُوْرُوسِ سَمَحَ لِلنَّزَالِ بِأَنْ يُلْهِمِهِ، كَمَا أَنَّ جِزَاءً مِنَ اللُّومِ يَقَعُ عَلَى الصَّبِيِّ الْأَحْمَقِ نَفْسَهُ، وَعَلَى الدُّورِنِيِّ الْمَيْتِ أَيْضًا، لَكِنْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْهُ يَقَعُ عَلَى كَلِيجَايِنِ. الضَّرْبَةُ الَّتِي بَتَرَتْ يَدَ الصَّبِيِّ كَانَتْ سَوْءَ حَظٍّ، أَمَّا الثَّانِيَةُ...

جَرِيغُورُ يَدْفَعُ الثَّمَنَ الْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ. تَوَلَّى الْمَايسْتَرُ الْأَكْبَرُ پَايسِلُ

مداواة جروح الرّجل، لكن العويل الذي يسمعه الجميع آتياً من مسكن المايستر ينمُّ عن أن العلاج لا يمضي كما هو مرغوب، وقال پايسل للمجلس: «اللحم يتعفن والجروح تنزُّ قيحاً. حتى اليرقات ترفض أن تمسّ تلك التّانة، وتشنّجاته عنيفة للغاية لدرجة أنني اضطررتُ لأن أسدّ فمه بخرقة كي لا يقضم لسانه. لقد استأصلتُ ما جرؤتُ على استئصاله من أنسجة، وحاولتُ علاج اللحم المتعفنّ بالتبيد المغلي وعفن الخُبز بلا جدوى. عروق ذراعه تسودّ، ولمّا علقتُ له العلق ماتت العلقات. أيها السّادة، يجب أن أعرف المادّة الخبيثة التي طلى بها الأمير أوبرين حربته. لنحتجز الدورنيين الآخرين إلى أن يُقدّموا على المساعدة».

رفض اللورد تاويون اقتراحه قائلاً: «يكفي ما سيثار من متاعب مع (صنسيبر) بسبب موت الأمير أوبرين، ولستُ أنوي زيادة الطين بلة باحتجاز رفاقه».

- «أخشى إذن أن السير جريجور قد يموت».

- «بلا شك. لقد أقسمتُ على هذا في الرّسالة التي أرفقتها إلى الأمير دوران مع جثّة أخيه، لكن لا بدُّ أن يراه العيان يموت بسيف عدالة الملك لا بحربة مسمومة. عالجه».

حدّق إليه المايستر الأكبر پايسل مرتاعاً، وقال: «سيدي...».

- «عالجه!»، كرّر اللورد تاويون بغیظ. «تعلم أن اللورد فارس أرسلَ عددًا من الصّيّادين إلى المياه المحيطة بـ(دراجونستون)، وأبلغوه بأن قوّة رمزيّة فقط تبقتُ للدّفاع عن الجزيرة. اللايسيثيون رحلوا من الخليج ومعهم الجزء الأكبر من قوّة اللورد ستانيس».

أعلن پايسل: «نعم ما فعل. فليتّعفنّ ستانيس في (ليس). لقد تخلّصنا منه ومن مطامعه».

- «هل تحوّلت إلى أحرق خالص حين حلقَ تيريون لحيتك؟ إننا نتكلّم عن ستانيس باراثيون! هذا الرّجل سيقتلُ إلى النّهاية المريرة وما بعدها. إذا رحلَ فهذا لا يعني إلّا أنه ينوي مواصلة الحرب. غالبًا سيرسو في (ستورمز إند) ويُحاول استنهاض لوردات أراضي العواصف، وإذا حدث هذا فقد انتهى أمره، لكن رجلاً أجراً قد يُحاول المراهنة على (دورن)، وإذا نجح في ضمّ (صنسيبر) إلى قضيبته فقد يُطيل هذه الحرب سنينًا، ولهذا فلن نُغضب آل

مارتل أكثر لأبي سبب كان. الدورثيون لهم الحرثية في الرحيل، وأنت ستعالج السير جريجور».

وهكذا ظل صُراخ الجبل يتردد ليل نهار، ويبدو أن اللورد تايوين لانستر يستطيع إلقاء الرهبة في قلب (الغريب) ذاته.

بينما صعدَ چايمي درجات (برج السيف الأبيض) الملتفة ترامى إلى مسامعه غطيط السير بوروس في حُجيرته، ورأى باب السير بالون مغلقاً أيضاً، بما أن عليه تولي حراسة الملك الليلة وسينام النهار بطوله. بخلاف شخير السير بوروس كان الشكون يسود البرج، وهو ما يناسب چايمي تماماً. حريبي أن أستريح بدوري. ليلة البارحة، بعد رقصته مع السير أدام، حرّمه ألمه من النوم.

لكن حين دخلَ غرفة نومه وجدَ أخته في انتظاره.

كانت واقفةً عند النَّافذة المفتوحة تتطلع من فوق الأسوار إلى البحر، تدور رياح الخليج حولها ضاغطةً فُستانها على جسدها بطريقة جعلت نبض چايمي يتسارع، فُستانها الأبيض كالمعلقات على الحائط وستائر سريره، تُنير دَوّامات من الزمرد الدقيق طرفي كُمّيه الواسعين وتدور كالحلزونات على صدره، ويُزيّن الزمرد الكبير الشبّكة الذهبية التي تبتتها على شعرها الذهبي، والفُستان نفسه يكشف عن كتفها وأعلى نهدتها. يا لجمالها. لم يرغب في شيءٍ لحظتها أكثر من أن يحتويها بذراعيه.

أغلق الباب بهدوءٍ قائلاً: «سرسي، ماذا تفعلين هنا؟».

قالت: «وأين أذهب؟»، والتفتت إليه لتلوح الدُموع في عينيها مضيئةً: «أبي وضح تماماً أن وجودي في المجلس لم يعد مرغوباً. ألن تُكلمه يا چايمي؟». خلع معطفه وعلقه من مشجبٍ على الحائط، وقال: «إنني أكلّم اللورد تايوين بصفةٍ يوميةً».

- «أوجب أن تكون عنيداً هكذا؟ كل ما يُريده...».

- «... أن يُجبرني على الخروج من الحرس الملكي ويُعيدني إلى

(كاسترلي روك)».

- «ليس الأمر بهذا السوء. سيرسلني إلى (كاسترلي روك) أيضاً. يُريدني

بعيدة كي تكون له حرثية التصرف مع تومن. تومن ابني وليس ابنه!».

- «تومن الملك».

- «إنه طفل! طفل صغير خائف رأى أخاه يُقتل في زفافه، والآن يقولون له إن عليه أن يتزوَّج. الفتاة في ضِعْف سنِّه وترملت مرَّتين!».  
جلس برفق على أحد المقاعد محاولاً تجاهل ألم عضلاته المكدومة، وقال: «آل تايرل يصرون على هذا، ولست أرى ضرراً في الأمر. تومن يشعر بالوحدة منذ ذهبت مارسلا إلى (دورن)، ويحبُّ وجود مارجري ورفيقاتها حوله. فليتزوّجا».

- «إنه ابنك...».

- «إنه من صُلبي، لكنه لم يدعني بـ«أبت» قطُّ، مثله مثل چوفري. لقد حدَّرتني ألف مرَّة من إبداء أيِّ اهتمام مفرط بهم».  
- «للحفاظ على سلامتهم! وسلامتك أيضًا. كيف كان الأمر ليبدو إذا لعب أخي دور الأب مع أطفال الملك؟ حتى روبرت نفسه كان ليرتاب».  
- «طيب، إنه لم يعد يرتاب في شيء الآن». الحقيقة أن موت روبرت ترك مذاقاً مرّاً في فم چايمي. كان يجب أن أقتله أنا لا سرسي. «تمنيتُ فقط أن يموت بيدي». حين كانت لي يدان. «لو تركتُ قتل الملوك يُصبح عادةً كما أحبُّ أن يُردَّد لجعلتك زوجتي على مرأى من العالم أجمع. إنني لا أشعر بالخزي من حُبِّي لك، وإنما فقط من الأشياء التي فعلتها لأخفيه. ذلك الصَّبي في (وينترفل)...».

- «هل قلتُ لك أن تلقية من النَّافذة؟ لو ذهبت للصَّيد كما توسَّلتُ إليك أن تفعل لما حدث شيء. لكن لا، كان يجب أن تأخذني، لم تستطع أن تنتظر حتى نعود إلى المدينة».

- «لقد انتظرتُ طويلاً. كم كرهتُ رؤية روبرت يدخل فراشك سكراناً كلَّ ليلة، أتساءلُ دائماً إن كان سيُقرَّر أن يأخذ حقَّه كزوج الليلة». فجأةً تذكر چايمي شيئاً آخر خالجه بخصوص (وينترفل)، فقال: «في (ريقررن) بدتُ كاتلين ستارك مقتنعةً بأنني أرسلتُ قاتلاً أجيراً يذبح ابنها، بأنني أعطيتها خنجرًا».

- «كان هناك خنجر بالفعل. الثَّدوب على يديَّ الليدي كاتلين كانت حقيقيَّة، وقد أرنتني إياها. أأنتِ من...».

قاطعته سرسي مغلقةً النَّافذة: «أوه، لا تكن سخيفًا. نعم، كنتُ أملُ أن يموت الصَّبي كما أملت أنت، وحتى روبرت اعتقدَ أن موته أفضل، وقال لي: إننا نقتلُ خيولنا حين تكسر ساقًا وكلابنا حين يكفُّ بصرها، لكننا أضعف من أن نُعطي الأطفال المعاقين الرَّحمة نفسها. وقتها كان هو نفسه أعمى من فرط ما شربَه».

روبرت؟ لقد حرسَ چايمي الملك طويلاً بما يكفي لأن يعرف أن روبرت باراثيون اعتادَ أن يقول أشياء وهو سكران ويُنكرها جُملةً وتفصيلاً بغضبٍ في اليوم التَّالي. «أكنتما وحدكما عندما قال روبرت هذا؟».

قالت سرسي: «أملُ أنك لا تحسب أنه قاله لند ستارك. كنا وحدنا طبعًا، نحن والأطفال»، وخلعت شبكة شعرها وعلقتها على قائم السَّرير ونفضت خُصلاتها الذهبيَّة مردفةً: «ربما أرسلتُ مارسلا ذلك الرَّجل بالخنجر، أهذا ما تظُنُّه؟».

كانت سخريةً، لكن چايمي رأى من فوره أنها أصابت كبد الحقيقة، فقال: «ليس مارسلا، چوفري».

قطبت سرسي وجهها قائلةً: «چوفري لم يكن يحبُّ روب ستارك، لكن الصَّبي الآخر لم يعن له شيئًا. وقتها كان طفلًا عن نفسه».

- «طفلًا يتشوقُ لاستحسان السُّكير الذي جعلته يعتقد أنه أبوه»، وخطرت له فكرة مزعجة، فأضاف: «تيريون كاد يموت بسبب هذا الخنجر اللعين. إذا علم أن چوفري كان وراء الأمر كله، فربما لهذا...».

قاطعته سرسي: «لا أبالي بالسَّبب. فليأخذ أسبابه معه إلى الجحيم. لو رأيت كيف ماتَ چوف... لقد قاتلَ يا چايمي، قاتلَ محاولاً التقاط أنفاسه، ولكن كان روحًا شريرةً أطبقت بيديها على حلقة. الرُّعب الذي أفعم عينيه... في صِغره كان يهرع إليَّ حين يخاف أو ينجرح فأحميه، لكن ليلتها لم يكن هناك ما أفعله. تيريون قتله أمامي ولم يكن هناك ما أفعله»، وهوت على رُكبتها أمام مقعده وأخذت يده السَّليمة بين يديها، وتابعت: «چوفري ماتَ ومارسلا في (دورن). تو من كلِّ ما تبقي لي. يجب ألا تترك أبي يأخذه مني يا چايمي، أرجوك».

- «اللورد تاوين لم يطلب موافقتي. يُمكنني أن أكلِّمه، لكنه لن يُصغي...».

- «سيُصغي إذا وافقت على ترك الحرس الملكي».

- «لن أترك الحرس الملكي».

قاومت أخته دموعها قائلة: «چايمي، أنت فارسي الصنديد. لا يمكنك أن تتخلى عني وأنا في أشد احتياجي إليك! إنه يسرق ابني مني وسيرحلني من المدينة... وما لم تمنعه سيُجبرني أبونا على الزواج ثانية!».

لم يكن يُفترض أن يندesh چايمي، لكنه اندesh، وأصابت الكلمات أعماقه بعنف أكبر من أي ضربة وجَّهها له السير أدام ماربراند. «من؟».

- «وهل يهم؟ سيكون لوردًا ما أو غيره، أحدًا يظنُّ أبونا أنه في حاجة إليه. لا أبالي، لن أتزوج ثانية. أنت الرجل الوحيد الذي أريده في فراشي».

- «قولي له هذا إذن!».

سحبت يديها قائلة: «تتكلم كالمجانين ثانية. أتريد أن نفترق كما فرقتنا أمنا يوم ضببتنا ونحن نلعب؟ سيفقد تومن العرش ومارسلا زواجها... أريد أن أكون زوجتك حقًا، إن مكاننا معًا، لكن ذلك لا يمكن أن يحدث أبدًا يا چايمي. نحن أخ وأخت».

- «آل تارجارين...».

- «نحن لسنا من آل تارجارين!».

قال ساخرًا: «بهدوء، صوتك العالي سيوقظ إخوتي، ولا يمكنك أن نسبح بهذا، أليس كذلك؟ قد يعرف الناس أنك جئت لرؤيتي».

ردت باكية: «چايمي، ألا تحسبني أريدُ هذا كما تريده بالضبط؟ لا يهم بمن يُزوجوني. أنت من أريده إلى جانبي، أنت من أريده في فراشي، أنت من أريده في داخلي. لا شيء تغيّر بيننا، دعني أثبت لك»، ورفعت سُترته وبدأت تحلُّ أربطة سراويله.

أحسَّ چايمي بنفسه يستجيب، فقال: «لا، ليس هنا». لم يكونا قد فعلاها في (برج السيف الأبيض) قط، ناهيك بغرفة القائد. «سرسى، ليس هذا المكان المناسب».

قالت: «لقد أخذتني في السِّبت، وهنا لا يختلف»، وأخرجت ذكره ومالت عليه برأسها.

دفعها بجذعة يده اليمنى قائلاً: «لا، قلتُ ليس هنا»، وأجبر نفسه على الوقوف.



لحظة رأى الارتباك في عينيها الخضراوين اليانعتين مصحوبًا بالخوف، ثم حلَّ الغضب محلَّهما واستجمعت سرسي أعصابها ونهضت وسوت ثورتها قائلة: «أيدك التي قطعوها في (هارنهال) أم ذكورتك؟»، وهزت رأسها لينسدل شعرها على كتفيها البيضاوين العاريتين، وأردفت: «كان حُممًا مني أن آتي. لقد عازتكَ الشَّجاعة للانتقام لچوفري، فلم حسبت أنك ستحمي تومن؟ أخبرني، لو قتل العفريت جميع أولادك الثلاثة، أكنت لتغضب حينها؟».

- «تيريون لن يؤذي تومن أو مارسلا، وما زلت غير مقتنع بأنه قتل چوفري».

انقلبت سحتها حنقًا وهي تقول: «كيف تقول هذا؟ بعد كل تهديداته...».

- «التهديدات لا تعني شيئًا. إنه يُقسم أنه لم يفعلها».

- «أوه، يُقسم؟ وهل تحسب أن الأقرام لا يكذبون؟».

- «ليس عليّ، كما لا تكذِّبين عليّ أنت أيضًا».

- «أيها الأحق الذهبى الكبير. لقد كذب عليك ألف مرَّة، وأنا أيضًا، وعادت تربط شعرها والتقطت الشَّبْكة من حيث علقتها على قائم السرير متابعَةً: «اعتقد ما تعتقده. الوحش الصَّغير في ززانة سوداء، وقریبًا سيضرب السير إلين رأسه. ربما تحبُّ أن تحتفظ به كتذكُّار»، ورمقت الوسادة مضيئة: «يُمكنه أن يحرسك وأنت نائم في فراشك الأبيض البارد، إلى أن تتعفن عيناه على الأقل».

- «يُحسُن أن تذهبي الآن يا سرسي. إنك تُغضبيني».

قالت: «أوه، مُعاق غاضب، إنني أرتجف خوفًا»، وضحكت متابعَةً: «مؤسف أن اللورد تايوين لانستر لم يُنجب أبناءً قط. كان يُمكن أن أكون الوريث الذي أرادَه، لكن عازني القضيبي. وبهذه المناسبة، يُستحسن أن تدسَّ قضيبك في سراويلك يا أخي، إنه يبدو صغيرًا حزينًا وهو متدل هكذا».

أخذ چايمي بنصيحته حين ذهبت وعقدَ أربطة سراويله بصعوبة بيد واحدة ساعرا بوجع عميق في أصابعه الشَّبْحِيَّة. فقدتُ يداً وأبًا وابنًا وأختًا وعشيقةً، وقریبًا سأفقدُ أخًا، ومع ذلك يصرُّون على أن عائلة لانستر انتصرت في هذه الحرب.

ارتدى چايمي معطفه ونزل إلى الطابق السُّفلي، حيث وجد السير بوروس بلاونت يشرب كأسًا من النِّبيذ في الحُجرة المشتركة، فقال له: «حين تفرُّغ من شرابك قل للسير لوراس إنني مستعدُّ لرؤيتها».

سأله السير بوروس الأجن من أن يفعل أكثر من التحديق: «مستعدُّ لرؤية مَنْ؟» - «أخبر لوراس فحسب».

أفرغ السير بوروس كأسه في جوفه، وقال: «نعم، نعم يا حضرة القائد». إمَّا أنه تعمَّد استغراق وقتٍ طويل في تنفيذ الأمر وإمَّا أنه لم يعثر على فارس الزهور بسهولة، إذ مضت ساعات عدَّة قبل أن يصلًا، الشابَّ التَّحِيل الوسيم والفتاة الكبيرة القبيحة. كان چايمي جالسًا وحده في الحُجرة البيضاء يتصفَّح (الكتاب الأبيض) بشرود، وقال له السير لوراس: «حضرة القائد، أردت أن ترى عذراء (تارث)؟».

أجاب مشيرًا لهما بالاقتراب بيُسراه: «أجل. هل تكلمت معها إذن؟» - «كما أمرت يا حضرة القائد».

- «و؟».

توتّر الصَّبِي وهو يُجيب: «إنني... ربما حدث الأمر كما قالت أيها الفارس، إن ستانيس هو من فعلها. لست متأكَّدًا». - «فارس قال لي إن أمين القلعة في (ستورمز إند) ماتَ بطريقةٍ غريبة أيضًا».

قالت بريان بحُزن: «السير كورتناي پنروز، رجل صالح». ردَّ چايمي: «رجل عنيد. في يومٍ اعترضَ طريقَ ملك (دراجونستون)، وفي التَّالي وثبَّ من بُرج»، ونهضَ قائلًا: «سير لوراس، ستتكلَّم أكثر في هذه المسألة لاحقًا. يُمكنك أن تتركَ بريان معي».

قرَّر عندما تركهما تايرل أن الفتاة تبدو قبيحةً خرقاء كالمتعاد. ألبسها أحدهم ثياب النساء من جديد، لكن هذا الفُستان يُناسِبها أكثر كثيرًا من الخرقَة الوردية الفظيعة التي جعلها الكبش ترتديها. قال لها: «الأزرق يليق بك يا سيِّدتي، يتماشى جيِّدًا مع عينيك». وعيناها مدهشتان حقًّا.

خفضت بريان عينيها تنظر إلى نفسها قائلةً بارتباك: «السَّيِّة دونيس بطنت الصِّدر لتُعطيه هذا الشَّكل. قالت إنك أرسلتَ لي»، وأضافت وهي واقفة في مكانها عند الباب كأنها تنوي أن تفرَّ في أيِّ لحظة: «إنك تبدو...».

قال بابتسامة باهتة: «مختلفًا؟ لحم أكثر على ضلوعي وقمل أقل في شعري، هذا كل شيء. الجدعة كما هي. أغلِقِي الباب وتعالِي».

فعلت كما طلب، وقالت: «المعطف الأبيض...».

- «... جديد، لكنني واثق بأنني سألوّثه قريبًا».

- «لم يكن هذا... أردتُ أن أقول إنه يُناسِبك»، وتقدّمت بتردّدٍ متسائلةً:

«چايمي، هل عنيت ما قلته للسير لوراس؟ عن... عن الملك رنلي والظّل؟».

هزّ كتفيه معجبًا: «كنتُ لأقتل رنلي بنفسي لو التقينا في المعركة، فلم أبالي

بمن ذبحه؟».

- «لكنك قلت إنني شريفة...».

قاطعها: «هل نسيت أنني قاتل الملك الملعون؟ عندما أقول إنك شريفة

فكأن عاهرة تُشيدُ بعذريتك»، ومال إلى الوراء ورمقها قائلًا: «ذو الساقين

الفلواذ في طريق العودة إلى الشّمال ليُسَلِّمَ آريا ستارك إلى روس بولتون».

صاحتُ ملتاعة: «أعطيتها إياه؟! لقد أقسمت لليدي كاتلين...».

- «والسيف على عنقي، لكن لا عليك بهذا. الليدي كاتلين ماتت، ولا

أستطيعُ أن أعيد إليها البنتين حتى لو كانتا عندي، ثم إن الفتاة التي أرسلها أبي

مع والتون ليست آريا ستارك».

- «ليست آريا ستارك؟».

- «كما سمعت. السيّد والدي عثرَ على فتاةٍ شماليّةٍ أقرب إليها في السنِّ

واللون، وألبسها الأبيض والرّمادي وأعطاهَا ذئبًا فضيًّا تُنبتُ به معطفها

وأرسلها لتزوِّج نغل بولتون»، ورفعَ جدّعه ليُشير إليها مضيّفًا: «أردتُ أن

أخبرك بهذا قبل أن تهرعني لإنقاذها وتجلبني على نفسك الموت بلا داع.

البراعة لا تنفصلُ في استخدام السيف، لكن ليس لدرجة أن تغلّبي على

متي رجل بمفردك».

هزّت بريان رأسها قائلةً: «عندما يعرف اللورد بولتون أن أبالك دفع له بعملةٍ

زائفة...».

- «أوه، إنه يعرف. أولاد لانستر يكذبون، أتذكرين؟ لكن لا فرق، فهذه

الفتاة تفي بغرضه. من سيقول إنها ليست آريا ستارك؟ جميع من كانوا قريبين

من الفتاة ماتوا باستثناء أختها التي اختفت».

- «لماذا تُخبرني بهذا إذا كان حقيقيًّا؟ إنك تخون أسرار أهلك هكذا».

أسرار اليد. لم يعد لي أب. «إنني أسدّدُ ديوني ككل شبلٍ صالح. لقد

وعدتُ الليدي ستارك بابتئها... وإحداهما لا تزال حيَّة. ربما يعرف أخي مكانها، لكن إذا كان الأمر كذلك فإنه يَرْفُضُ أن يقول. سرسي مقتنعة بأن سانزا ساعدته على اغتيال چوفري».

زَمَّت الفتاة فمها بعنادِ قائلة: «لن أصدِّق أن تلك الفتاة الرِّقِيقَةُ يُمكنها أن تَقْتُلَ بالسُّمِّ. الليدي كاتلين قالت إن لها قلبًا محبًّا. أخوك هو من فعلها. السير لوراس قال إن محاكمة عَقِدَتْ».

- «محاكمتان في الواقع، وخذلته الكلمات والسُّيوف. كانت فوضى دامية. هل شاهدت من نافذتك؟».

- «زنازتي تُواجه البحر، لكنني سمعتُ الصِّياح».

- «الأمير أوبرين الدورني مات، والسير جريجور كليجاين يموت، وتيريون مُدان في أعين الآلهة والبشر. إنه محبوس في زنزانية سوداء إلى أن يَقتُلوه».

قالت بريان ناظرة إليه: «لست تُصدِّق أنه فعلها».

رماها چايمي بابتسامة قاسية قائلاً: «أترين يا هذه؟ كلانا يعرف الثاني جيِّدًا جدًّا. تيريون أراد أن يكون أنا منذ خطأ خطوته الأولى، لكن مستحيل أن يتبعني في قتل الملوك. سانزا ستارك قتلت چوفري وأخي صمَّت حماية لها. أحيانًا تُصيبه نوبات الشَّهامة هذه. آخر مرَّة كلفته أنفه، وهذه المرَّة ستُكلفه رأسه».

- «لا. ابنة سيِّدتي لم تفعلها، لا يُمكن أنها هي».

- «ها هي الفتاة الغبيَّة العنيدة التي أذكرها».

قالت بوجه محتقن: «اسمي...».

زفر چايمي، وقال: «بريان التارثيَّة. عندي هديَّة لك»، ومدَّ يده تحت كرسي القائد وأخرج الهدية المغلفة بطيَّات المخمل القرمزي.

اقتربت بريان كأن الحزمة على وشك أن تلدها، ومدَّت يدها الضَّخمة المنمَّشة وأزاحت طيَّة من القماش. تألَّق الياقوت في الضَّوء، والتقطت الفتاة الكنز بحذر وكوّرت أصابعها حول المقبض الجليدي وأخرجت السِّيف بيّطء من غمده، فبرقت تموجات الليل والدَّم وسرى خيط من الضَّوء المنعكس على الحافة. «أهذا فولاذ فاليري؟ لم أر ألونًا كهذه قط».

قال: «ولا أنا. كنت لأتخلى عن يُمناي في الماضي لأحمل سيفًا كهذا، والآن وقد فقدتها لم يعد السيف ينفعني. خُذيه»، وقبل أن تُفكر في الرِّفْض واصل: «يجب أن يكون لسيف بهذه الروعة اسم. سيسرُّني أن تُسمِّيه (حافظ العهد). شيء آخر، السيف له ثمن».

اربدَّ وجهها وهي تقول: «قلتُ لك إنني لن أخدم...».

- «... مخلوقات كريمة مثلنا، نعم، أذكرُ. اسمعيني يا بريان. كلانا حلفَ يمينًا تخصُّ سانزا ستارك. سرسي تُريد العثور على الفتاة وقتلها أينما اختبأت...».

التوى وجه بريان الدميم ثورةً، وقالت: «إذا كنت تعتقد أنني سأوذِي ابنة سيّدتي مقابل سيفٍ فأنت...».

قاطعها بحدّةٍ وقد أغضبَه ظنُّها: «اسمعي! أريدك أن تعثري على سانزا أولاً وتأخذها إلى مكانٍ آمن. هل من وسيلةٍ أخرى لحفظ القسم السّخيف الذي أقسمناه لسيدتك الميتة كاتلين؟».

حملت إليه قائلةً: «ظننتُ... ظننتُ...».

- «أعرفُ ما ظننته». فجأةً وجدَّ چاپمي نفسه لا يُطبق منظرها. تنغو كالخراف لا أكثر. «حين ماتَ ند ستارك أعطيتُ سيفه العظيم لعدالة الملك، لكن أبي ارتأى أن سيفًا ممتازًا مثله خسارة في مجرد جَلاد، فأعطى السير إلين سيفًا جديدًا وأمرَ بإذابة (جليد) وإعادة تطريقه، وكان المعدن يكفي سيفين جديدين تحمليين واحدًا منهما الآن، أي أنك ستدافعين عن ابنة ند ستارك بفولاذ ند ستارك إذا كان هذا يُشكّل أيَّ فارق عندك».

- «أيها الفارس، إنني... إنني مدينة لك باعت...».

عاد يُقاطعها: «خُذي السيف اللّعين وارحلي قبل أن أغيّر رأيي. ثمة فرس بيّنة في الاسطبل، لا تقل دمامةً عنك لكنها أفضل تدريبًا. لاحقي ذا السّاقين الفولاذ أو ابحتي عن سانزا أو عودي إلى وطنك في جزيرة الصّفير، لا أبالي. لا أريدُ أن أراك ثانيةً».

- «چايمي...».

- «قاتل الملك. استخدمني هذا السيف لتنظيف أذنك من الشّمع يا هذه.

انتهينا».

أصرت على الكلام بعنادٍ قائلة: «جوفري كان...».  
- «مليكي، لنكتف بهذا».

- «تقول إن سانزا قتلتها، فلم تُريد حمايتها؟».

لأن جوفري لم يعن لي أكثر من قطرة مني في فرجٍ سرسي، ولأنه استحق الموت. أجابها: «لقد صنعتُ ملوكًا ودمرتهم. هذه فرصتي الأخيرة لمنال الشرف»، ورسَم على شفثيه ابتسامةً رفيعةً مضيئةً: «كما أن على قتلة الملوك أن يتآزروا. هل ستذهبين أم ماذا؟».

التفت يدها الكبيرة بإحكام حول (حافظ العهد)، وقالت: «سأفعل، وسأعثرُ على الفتاة وأحافظ على سلامتها، لأجل خاطر أمِّها ولأجل خاطرِك»، وانحنت بجمودٍ ثم دارت على عقبيها وذهبت.

وجلسَ چايمي وحده إلى المائدة فيما زحفت الظلال على الحُجرة، وإذ بدأ الغسق يتوغل أشعل شمعاً وفتح (الكتاب الأبيض) على صفحته، وأخرج ريشةً وحبراً من دُرج. تحت السطر الأخير الذي دوَّنه السير باريستان، كتب بخطٍ رديء كان من يراه يتصوَّر أن صاحبه في السادسة من العمر، وقد بدأ لتوه يتعلم الكتابة من المايستر:

هزمه الذئب الصَّغير روب ستارك في (الغابة الهامسة) خلال حرب الملوك الخمسة. حُبس في (ريفررن) وأطلق سراحه مقابل وعدٍ لم يف به. أسر ثانية على يد رفقة الشجعان وشوَّة بأمر من قائدها فارجو هوت، ففقدَ يده حاملة السيف بضرية من زولو السمين. أعادته آمنًا إلى (كينجز لاندنج) بريان عذراء (تارث).

حين فرغ كان أكثر من ثلاثة أرباع الصَّفحة خاليًا في انتظار الملاء بين الثرس القرمزي بالأعلى والثرس الأبيض بالأسفل. السير چيرولد هايتاور بدأ سيرته، والسير باريستان سلمى واصلها، لكن على چايمي لانستر أن يكتب البقية بنفسه، ومن الآن فصاعدًا يستطيع أن يكتب ما يختاره أيًا كان.  
ما يختاره أيًا كان...

## چون

عصفت الرِّيح من الشَّرْق بضراوة رجَّت القفص الثقيل كلما أطبقت عليه هبَّةٌ منها بأسنانها، وراحت تصفر بطول (الجدار) مرتعدة على الجليد وجاعلة معطفه يخفق ويضرب القضبان، وقد تخضبت السماء بدرجة قاتمة من الرمادي أحالت الشمس إلى مجرد رُقعة من الألق الباهت وراء السحاب، وعبر أرض المقتلة رأى چون وهج ألف بؤرة نارٍ مشتعلة، لكن أضواءها بدت ضئيلة عاجزة عن مناهضة العتمة والبرد.

نهار كئيب. طوق چون سنو قضييين يديه وتشبَّت بهما إذ عادت مطرقة الرِّيح تهوي على القفص، وعندما نظرَ إلى أسفل تحت قدميه مباشرة وجد الأرض غائبة في الظلال، كأنهم يُنزلونه إلى حُفرة بلا قرار. الموت في حدِّ ذاته حُفرة بلا قرار، وحين ينتهي عمل اليوم ستكتف اسمي الظلال إلى الأبد. يقولون إن الثُّغول يُولدون من باء الشهوة والأكاذيب، فطرتهم الفسوق والغدر، وفي السَّابق عزم چون على أن يُثبت خطأ ادِّعائهم هذا، ليُري السيِّد والده أنه يستطيع أن يكون ابناً صالحاً وقيّاً كروب. وأفسدت الأمر. روب أصبح ملكاً بطلاً، وإذا ذُكر چون على الإطلاق فسيُذكر باعتباره مرتدّاً قاتلاً ناكث عهد. إنه مسرور لأن اللورد إدارد لم يَعش ليشهد عاره.

كان عليّ أن أبقى في ذلك الكهف مع إيجريت. يأمل إذا كان هناك عالم آخر بعد هذا العالم أن يقول لها هذا. ستخمش وجهي كما فعل النَّسر وتلعنني لجُبنِي، لكنني سأقول لها رغم ذلك. راح يبسط يد سيفه ويقبضها كما علمه المايستر إيمون، تلك العادة التي باتت جزءاً منه، كما يجب أن تكون أصابعه مرنة إذ أراد أن ينال ولو مجرد نصف فرصة لاغتيال مانس رايدر.

هذا الصَّبَاح أخرجوه بعد أربعة أيام في الجليد أمضاها حبيس زنزانة طولها وعرضها وارتفاعها خمسة أقدام، أوطأ من أن يقف وأضيق من أن يتمدد على ظهره. منذ أمد طويل اكتشف الوكلاء أن اللحم يبقى سليماً فترة أطول في المخازن الجليدية المحفورة في قاعدة (الجدار)... أمّا السُّجناء فلا. «ستموت هنا يا لورد سنو»، قال السير أليسر قبيل أن يُغلق الباب الخشبي الثقيل، وصدّقه چون، لكنهم أتوا هذا الصَّبَاح وأخرجوه وساقوا جسده المتشجج المرتجف إلى (برج الملك) ليقف أمام چانوس سلينت ولغده مرّة أخرى.

أعلن سلينت: «المايستر العجوز يقول إنني لا أستطيع أن أشنقك. لقد كتب لكوتر پايك، بل وأراني الرّسالة بكلّ وقاحة أيضاً. يقول إنك لست مارفاً».

قال له السير أليسر: «إيمون عاش طويلاً جدّاً يا سيّدي، وانظراً عقله مع عينيه».

- «نعم، رجل هَرَمٌ يُحيطُ عنقه بسلسلة. مَنْ يخال نفسه؟».

أجابّه چون في سريره: إيمون تارجارين، ابن ملكٍ وشقيق ملكٍ وكان سيصبح ملكاً أيضاً، لكنه لم يقل شيئاً.

وأصل سلينت: «لكني لن أدع أحداً يقول إن چانوس سلينت شنق رجلاً ظلماً، لن أفعل، ولذا قرّرت أن أعطيك فرصةً أخيرةً لتثبت الولاء الذي تدّعيه يا لورد سنو، فرصةً أخيرةً لتؤدّي واجبك، نعم!»، ونهض مضيئاً: «مانس رايدر يُريد التّفاوض معنا. إنه يعرف أن فرصته صارت معدومةً الآن وقد جاء چانوس سلينت، وعليه يُريد ملك ما وراء الجدار هذا أن يتفأوض، لكنه جبان ولن يأتينا بنفسه. لا ريب أنه يعلم أنني سأعلقه من قدميه من قَمّة (الجدار) على حبل طوله متناً قدم! لكنه لن يأتي، ويطلب أن تُرسل له مندوباً».

ابتسم اللورد أليسر قائلاً: «وسرّسلك أنت يا لورد سنو».

قال چون بلهجة محايدة: «أنا؟ ولم أنا؟».

ردّ ثورن: «لأنك ركبت مع هؤلاء الهَمج ومانس رايدر يعرفك، أي أنه سيكون ميّالاً أكثر للثقة بك».

كان كلامه عين الخُطأ حتى إن چون كاد يضحك، وقال: «على التقيض



تمامًا. مانس ارتابَ فيَّ من البداية، وإذا ظهرتُ في معسكره من جديدٍ مرتديًا المعطفَ الأسودَ وأتكلُّمُ نياحةً عن حرس الليلِ سيُعرفُ أنني خنته». قالت سلينت: «لقد طلبَ مندوبًا وسُرَّسِلَ واحدًا. إذا كنتَ أجبن من أن تُواجهَ ذلكَ الملكَ المارقَ فيمكننا أن نُعيدك إلى زنزانتكِ الجليديَّة، دون فروٍ هذه المرَّة في رأيي، نعم».

قال السير أليسر: «لا داعي يا سيدي، اللورد سنو سيفعل كما نطلبُ. إنه يُريد أن يُرينا أنه ليس مارقًا، يُريد أن يُقدِّمَ دليلًا دامعًا على إخلاصه لحرس الليل».

أدركَ چون أن ثورن أذكى من الثاني بكثير. المسألة تفوح منها رائحته بوضوح، وقد أوقعه في الشُّرك. هكذا قال باختصارٍ واقتضاب: «سأذهب».

قال چانوس سلينت: «يا سيدي، سنُخاطِبني ب...» - «سأذهبُ يا سيدي. لكنك مخطئٌ يا سيدي. سُرَّسِلَ الرَّجُلُ الخَطَأُ يا سيدي. مجرَّدَ منظري سيُغضِبُ مانس، وستكون لسيدي فرصة أكبر للاتِّفاق على شروطٍ إذا...».

قاطعَه السير أليسر مقهقهًا: «شروطٌ؟».

- «چانوس سلينت لا يتفاوَض على شروطٍ مع البرابرة الخارجين عن القانون يا لورد سنو، نعم، لا يفعل هذا أبدًا».

أضافَ ثورن: «لن تُرسِلَك لتتكلَّم مع مانس رايدر، سُرَّسِلَك لتقتله». صفرَت الرِّيح بين القضبان وارتعش چون مستشعرًا نبض الألم في ساقه ودقَّاته في رأسه. إنه ليس في حالةٍ تسمح بأن يُقتلَ هُريرةً، لكن ها هو ذا. الشُّرك له أسنان. إصرار المايستر إيمون على براءته جعلَ اللورد چانوس لا يجرؤ على تركه يموت في الجليد، أمَّا هذه فوسيلة أفضل. في (أنياب الصَّقيع) قال له كورين ذو النِّصف يد: «شرفنا لا يسوى أكثر من حياتنا ما دامت البلاد آمنة»، وعليه أن يتدكَّر هذا. سواء أقتلَ مانس أم حاولَ وأخفقَ سيقتله الأحرار. حتى التَّهَرُّب من الخدمة مستحيل إذا أرادَ أن يتَهَرَّب، فعند مانس ثبتَ كذبه وحياته.

حين اهتزَّ الففص وتوقَّف وثبَ چون إلى الأرض وخلخلَ مخلبه الطَّويل في غمده. كانت البوابة تبعدُ ياردات قليلة إلى يساره، لا تزال تسدُّها السُّلحفاة

الخربة وتحتها تتعفن جثة الماموث، وثمة جثث أخرى ملقاة بين البراميل المحطمة والقار المتجمد ورُقع الكلاء المحروق، وعلى كل شيء يُلقى (الجدار) ظلّه. لم يرغب چون في التواني هنا، وعمد إلى معسكر الهمج ماراً بجيفة عملاق حطم حجر رأسه، بينما يلتهم غراب قطعاً صغيرة من مُحه المسحوق داخل جمجمته. رفع الغراب رأسه لدى مروره، وصرخ فيه: «سنو، سنو، سنو!»، ثم بسط جناحيه وحلق.

لم يكد يتحرك حتى خرج خيال منفرد من معسكر الهمج وتقدم صوبه، فتساءل إن كان مانس قد خرج بنفسه للتفاوض في المنطقة المحرّمة، وقال لنفسه: قد يجعل هذا الأمر أسهل، مع أن لا شيء سيجعله سهلاً. لكن إذ تقلّصت المسافة بينهما رأى چون أن الرّكاب قصير القامة عريض الكتفين، تلتمع الحلقات الذهبية على ذراعيه الغليظتين وتسدل لحيته البيضاء على صدره الضخم.

ولمّا التقيا قال تورموند بصوتٍ جهوري: «هار! الغراب چون سنو. خشيت أننا لن نراك ثانية».

- «لم أكن أعلم أنك تخشى أي شيء يا تورموند».

جعل رده الهمجي يبتسم ملء شذقيه ويقول: «أحسنت القول يا فتى. أرى أن معطفك أسود. لن يُعجب هذا مانس. إذا جئتُ بُدّل ولاءك ثانية فخير لك أن تُعاود صعود جداركم هذا».

- «أرسلوني لأتباحث مع ملك ما وراء الجدار».

قال تورموند ضاحكاً: «تباحث؟ كلمة أنيقة حقاً. هار! مانس يُريد أن يتكلّم، هذا صحيح، لكني لا أظنّه سيُريد الكلام معك أنت».

- «أنا من أرسلوا».

- «أرى هذا. هيا بنا إذن. أتريد أن تتركب؟».

- «يُمكّني أن أمشي».

دور تورموند حصانه نحو معسكر الهمج قائلاً: «قاتلتمونا بصلاية هنا أنت وإخوتك، أعترف بهذا. مئتان من القتلى منهم دسّته من العمالقة. ماج نفسه دخل من بوابتكم هذه ولم يخرج ثانية».

- «لقد مات بسيف رجلٍ شجاع اسمه دونال نوي».

- «حقًا؟ أكان دونال نوي هذا من كبار اللوردات؟ أحد فرسانكم الأشاوس ذوي الثياب الداخليّة الفولاذية؟»  
- «كان حدّادًا بذرّاع واحدة».

صاح تورموند: «حدّاد بذرّاع واحدة قتلَ ماج الجبّار؟ هار! لا بُدَّ أنه كان قتالًا مدهشًا. سيؤلّف مانس أغنيّةً عنه، ستري»، والتقطَ قربة ماءٍ من سرجه وخلع السّداة قائلاً: «سيُدفننا هذا قليلاً. نخب دونال نوي وماج الجبّار»، وأخذ جرعةً كبيرةً ثم ناولَ چون القربة.

- «نخب دونال نوي وماج الجبّار». وجدَ چون القربة ملاءىً بالبّتع، غير أنه بتع شديد القوّة جعلَ عينيه تدمعان وأشعلَ النّار في صدره، لكنه رَحّب بالدّفء بعد ما قضاه من أيامٍ في الرّزّانة الجليديّة والبرد الذي أصابه عند ركوب القفص.

استعادَ تورموند القربة وأخذَ جرعةً كبيرةً أخرى، ثم مسحَ فمه قائلاً: «ماجنر (ثِنْ) أقسمَ لنا أنه سيفتح البوّابة على آخرها، وما علينا إلا أن ندخلَ مغنّين. كان سيهدم (الجدار)».

- «هدمَ جزءًا منه بالفعل... على رأسه».

قال تورموند: «هار! على أيّ حال ستير لم يُرقني قطُّ. إذا كان الرّجل بلا لحيّة أو أذنين أو شعر فليس لديه ما تُطبق عليه عندما تُقاتله». كان يقود حصانه بتأنٍ كي يُجاريه چون الذي يحجل إلى جواره، وسأله: «ماذا حدث لسافلِكَ هذه؟».

- «سهم، أظنّه أحد سهام إيجريت».

- «يالها من امرأة. في يومٍ تُقبّلك وفي التّالي تغرس فيك السّهام».

- «لقد ماتت».

غمغمَ تورموند: «حقًا؟»، وهزَّ رأسه بحُزنٍ مواصلاً: «خسارة. لو كنتُ أصغر عشرة أعوامٍ لاختطفتها بنفسِي. ذلك الشّعر الذي تمّعت به... لكن أحرَّ النّار ينطفئ أسرع من غيره»، ورفعَ قربة البّتع قائلاً: «نخب إيجريت التي قبّلتها النّار!»، وتجرّع بعُمق.

تناولَ چون القربة منه وردّد: «نخب إيجريت التي قبّلتها النّار»، وتجرّع بعُمقٍ أكبر.

- «أنت من قتلها؟».

- «أخي». لم يعرف چون قَطُّ مَنْ فعلها، ويأمل ألا يعرف أبداً.

قال تورموند بنبرة فظة وإنما رقيقة على نحو غريب: «يا لكم من غربان ملاعين. ذو الحربة الطويلة هذا سرق ابنتي، موندا تفاحة الخريف الصغيرة، أخذها من خيمتي وإخوتها الأربعة حولها. توريج المغفل الكبير كان نائماً، وتورويند... اسمه تورويند المرؤص، وهو ما يُخبرك بكل شيء عنه، أليس كذلك؟ لكن الصغيرين قاوما الفتى».

سأله چون: «وموندا؟».

أجابه تورموند بفخر: «إنها من دمي. لقد شئت شفته وقصمت نصف أذنه، وسمعت أنه لا يستطيع ارتداء معطفه من فرط ما على ظهره من خدوش. لكنها تحبه. ولم لا؟ إنه لا يُقاتل بحربة كما تعلم، ولم يفعل قط، فكيف تحسبه حصل علي اسمه هذا؟ هار!».

ضحك چون رغماً عنه، حتى الآن، حتى هنا. كانت إيجريت مغرمةً براك ذي الحربة الطويلة، ويتمنى أنه وجد قليلاً من السعادة مع ابنة تورموند موندا. على أحد ما أن يجد سعادة ما في مكان ما.

كانت إيجريت لتقول له: لست تعلم شيئاً يا چون سنو، فقال في نفسه: أعلمُ أي سأموت، أعلمُ هذا على الأقل، فكادَ يسمعها تقول: كل رجل يموت، وكل امرأة أيضاً، وكل مخلوق يطير أو يسبح أو يجري. لا يهم متى يأتي الموت، المهم كيف يأتي يا چون سنو. ردَّ عليها بأفكاره: يسهل عليك أن تقولي هذا. لقد مُت بشجاعة في المعركة وأنت تقتحمين قلعة الأعداء، أمّا أنا فسأمتُ مارقاً قاتلاً. ولن تكون ميتته سريعةً كذلك، ما لم تأت بسيف مانس. سرعان ما صاروا وسط الخيام. كان معسكرهمج تقليدياً، فوضى ممتدة من بؤر نار الطهي وحفر الفضلات والأطفال والماعز المتجولين بحريّة والغنم الثاغية بين الأشجار وجلود الخيل المعلقة تجف، بلا تخطيط، بلا نظام، بلا دفاعات، لكن الرجال والنساء والحيوانات في كل مكان.

كثيرون تجاهلوه، لكن مقابل كل واحد انصرف إلى حال سبيله توقف عشرة يرمقونه، أطفال قابعون عند النار وعجائز في عربات تجرّها الكلاب وأهل كهوف بوجوه مطلية وهجامة بمخالب وثعابين ورؤوس مبتورة

مرسومة على تروسهم، كلُّهم التفتوا ونظروا إليه. رأى چون زوجاتٍ حراًياً أيضاً، تُرفرف شعورهن الطويلة في الرِّيح المحمَّلة بروائح الصَّنوبر التي تهف بين الشَّجر.

لا توجد تلال هنا، لكن خيمة مانس رايدر المصنوعة من الفرو الأبيض نُصِبَت على بقعةٍ حجريةٍ مرتفعة من الأرض على حافة الأشجار، ينتظر ملك ما وراء الجدار خارجها في معطفه الأحمر والأسود المهترئ الخافق في الرِّيح، ورأى چون هارما رأس الكلب معه وقد عادت من غاراتها وهجماتِها المخادعة بطول (الجدار)، بالإضافة إلى فارامير ست جلود الذي يُصاحبه قَطُّ الظلِّ وذئبان أشهبان أعجفان.

حين رأوا مبعوث الحرس دورت هارما رأسها وبصقت، وكسَّر أحد ذئبي فارامير عن أنيابه وزمجر، وقال مانس رايدر: «لا بُدَّ أنك شديد الشَّجاعة أو شديد البلاهة يا چون سنو ما دُمت تعود إلينا مرتدياً معطفاً أسود».

- «وماذا يرتدي رجل حرس الليل غير هذا؟».

قالت هارما بالحاح: «اقتله. أعد لهم جثته في قفصهم هذا وقل لهم أن يُرسلوا أحداً غيره. سأحتفظُ برأسه لرايتي. المارقون أسوأ من الكلاب». وقال فارامير بنبرة هادئة: «لقد حذرتك من زيفه. رائحته لم تُرقني قط»، لكن قَطُّ الظلِّ كان يُحدِّق إلى چون بجوع بعينه الرماديتين المشوقتين.

وثب تورموند بليَّة العماليق من فوق حصانه قائلاً: «أبعد مخالباك أيها الحيواني. الصَّبي هنا ليسمع. ضَع كَفًّا عليه، ولربما أصنعُ لنفسِي ذلك المعطف الذي أريده من فرو قِططة الظل».

قالت هارما بازدراء: «تورموند عاشق الغربان، ما أنت إلا متبجح كبير أيها العجوز».

لمبدل الجِلدة وجه رمادي ضاو وكتفان مستديرتان ورأس أصلع، رجل أشبه بفأر له عيان ذئبتان، وقد قال بنبرة ناعمة: «ما إن يخضع الحصان للسَّرج يستطيع أيُّ أحد أن يمتطيه، وما إن يلتحم الحيوان بالإنسان يستطيع أيُّ مبدل جِلدة أن يتلبَّسه ويركبه. أورل كان يدبُّل في ريشه، فأخذتُ نسره لنفسِي، لكن الالتحام يعمل في الاتِّجاهين أيها الوازج. أورل يعيش في داخلي الآن، يهمس لي كم يبغضك، وأستطيعُ أن أحلقُ فوق جداركم وأرى بعيني النَّسر».

قال مانس: «أي أننا نعلم، نعلم كم كان عددكم قليلاً حين أوقفتم السُّلحفاة، ونعلم كم رجلاً جاء من (القلعة الشرقيّة)، ونعلم كم تضاءلت مؤنكم من القار والزيت والسُّهام والحِراب. حتى سلالمكم تهدّمت، والفصص لا يتسع لكثيرين. نعلم كلَّ شيء، والآن تعلم أننا نعلم»، ورفع سديلة باب الخيمة مردفاً: «ادخل، وليتتظر بقيتكم هنا».

سأل تورموند: «ماذا؟ حتى أنا؟».

- «أنت بالذات، دائماً».

كان الجوّ دافئاً في الدّاخل، وقد اشتعلت نار صغيرة تحت فتحات التّهوية وتصادد الدُّخان من المستوقد الموضوع قُرب كومة الفرو التي تمدّدت عليها دالا ممتعة تتصبّب عرقاً. كانت تُمسك يدها أختها قال التي تذكرها چون، وقال لها: «لقد أسفتُ حين سقطَ چارل».

رمقته قال بعينها الرّماديتين الشّاحبتين، وقالت: «كان يتسلّق بسرعةٍ دوماً». ما زالت جميلةً كما يذكرها، هفهافة القوام وعامرة التّهدين ورشيقة حتى في ثباتها، عظام وجنتيها مرتفعة حادّة وشعرها عسليّ غزير ينسدل إلى خاصرتها.

قال مانس: «دالا توشك على الوضع. ستبقى هي وقال هنا، إنها تعرفان ما أنوي أن أقوله».

حافظ چون على وجهه ثابتاً كالجليد وهو يُفكر: كريبه كفاية أن أقتل رجلاً غيلةً في خيمته تحت هُدنة. أيجب أن أقتله أمام زوجته بينما يولد طفلها؟ أغلقتُ أصابع يد السيف ملاحظاً أن مانس لا يرتدي درعاً، لكن سيفه مغمّد ومعلق من وركه الأيسر، وثمة أسلحة أخرى في الخيمة؛ خناجر وسكاكين وقوس وكنانة سهام وحرية برأس من البرونز إلى جوار هذا...

... البوق الأسود الكبير.

واحتبست أنفاس چون.

بوق حربي، بوق حربي عظيم.

قال مانس: «نعم، بوق الشتاء الذي نفخ فيه چورامون مرّةً ليوقظ العمالقة من الأرض».

البوق ضخم حقاً، انحناءته تبلّغ الثمانية أقدام طولاً وفوّته واسعة لدرجة

أنه يستطيع أن يدسّ ذراعه فيها حتى المرفق. إذا جاء هذا الشيء من ثور بريّ فهو أضخم ثور عرفه العالم على الإطلاق. حسبّ في البداية أن الحلقات المحيطة به من البرونز، لكن إذ دنا أدرك أنها من الذهب. ذهب عتيق، بنيّ أكثر من أصفر، ومنقوش بالأبجدية القديمة.

- «إيجريت قالت إنكم لم تَعثروا على البوق».

- «أتعتقد أن الغربان وحدهم يكذبون؟ لقد أعجبتني بما فيه الكفاية بالنسبة لنغل... لكنني لم أثق بك قط. على من يريد ثقتي أن يسعى إلى كسبها».

واجهه چون متسائلاً: «إذا كان بوق چورامون معك طيلة الوقت، فلم لم تستخدمه؟ لماذا تكلف نفسك عناء بناء السّلاح وإرسال الثّنين لقتلنا في أسرتنا؟ إذا كان هذا البوق كما ورد في الأغاني حقاً، فلم لا تنفخ فيه وتُنهي الأمر؟».

أنته الإجابة من دالا، دالا المتنفخ بطنها حملاً والمستلقية على كومة الفرو عند المستويّ: «نحن شعب الأحرار نعرف أشياء نسيتموها أيها الرُّكع. أحياناً لا يكون الطريق الأقصر هو الأسلم يا چون سنو. ذات مرّة قال اللورد ذو القرنين: إن السّعوذة سيف بلا مقبض، ليست هناك وسيلة آمنة للمقبض عليه».

مرّر مانس يده على منحني البوق العظيم قائلاً: «لا أحد يذهب للصّيد بسهم واحد في جعبته. كنت آمل أن يُباغت ستير وچارل إختوك ويفتحا لنا البوّابة، وقد اجتذبتُ حاميتكم بالغارات والهجمات الخادعة والثّانوية، وابتلع باون مارش الطعم كما توقّعت بالضبط، على أن شرذمتكم من المعاقين واليتامى أثبتت أنها أكثر عناداً مما قدّرت. لكن لا تحسب أنكم ردعتمونا، فالحقيقة أنكم قلّة ونحن كثر. يُمكنني أن أوصل الهجوم هنا وفي الوقت نفسه أرسل عشرة آلاف رجل ليعبّروا (خليج الفقمات) بالأطواف ويهاجموا (القلعة الشّرقية) من المؤخّرة، ويُمكنني أن أهاجم (برج الظلال) أيضاً بما أني أعرف أفضل الطرق إليها أكثر من أيّ رجل حيّ، ويُمكنني أن أرسل رجالاً ومموثات لنبس ببوابات جميع قلاعكم المهجورة في آن واحد».

- «ولم لا تفعل إذن؟». كان چون يستطيع أن يستلّ (المخلب الطويل)

لحظتها، لكنه أراد أن يسمع ما لدى الهمجي ليقوله.

قال مانس رايدر: «الدّم. سأفوز في النّهاية، نعم، لكنهم ستريقون دمي،

وقد نرّف قومي بها فيه الكفاية».

- «خسائركم لم تكن ثقيلةً لهذه الدرّجة».

تفحص مانس وجهه مجيئاً: «ليس على أيديكم... لكنك رأيت قبضة البشر الأوائل) وتعرف ما جرى هناك، تعرف ما نواجهه».

- «(الآخرون)...».

- «إنهم يزدادون قوّةً كما تتناقص ساعات النّهار وتشدُّ برودة اللّيل. أولاً يَقتلوك ثم يُرسلون موتاك ضدك. العمالقة لم يستطيعوا التّصدّي لهم، ولا الثّيون ولا عشائر الأنهار الجليديّة ولا ذوو الحوافر».

- «ولا أنت؟».

- «ولا أنا». حمل إقراره غضباً ومرارةً أعمق من أن تُعبّر عنها الكلمات. «رايمون ذو اللّحية الحمراء، بايل الشّاعر، جندل وجورن، اللورد ذو القرنين، كلهم أتوا جنوباً وبنيّتهم الغزو، لكنني أتيتُ وذيلي بين قدمي لأختبئ وراء جداركم»، وعادَ يمسُّ البوق مضيئاً: «إذا نفختُ في بوق الشّتاء سيَسْقُط (الجدار)، أو أن هذا ما تُريدني الأغاني أن أصدّقه، وهناك من قومي من لا يُريدون شيئاً أكثر من أن أفعلها...».

قالت دالا: «لكن إذا سقط (الجدار)، فما الذي سيؤقّف (الآخريين)؟». منحها مانس ابتسامةً دافئةً قائلاً: «وجدتُ لنفسي امرأةً حكيمةً حقاً، ملكةً حقيقيّةً»، والتفت إلى چون مردفاً: «عدّ وقلّ لهم أن يفتحوا بوابتهم ويدعونا نمرّ. إذا فعلوا سأعطيهم البوق ويبقى (الجدار) قائماً إلى نهاية الزّمن».

فتح البوابة وندعهم يمرّون. قول سهل، لكن ما الذي يتبعه؟ عمالقة يُخيّمون في أطلال (وينترفل)؟ أكلّة بشر في (غابة الذّئاب) وعربات تجرّها الكلاب عبر أراضي الرّوابي؟ أحرار يختطفون نبات السّفّانين وصاغة الفضة من (الميناء الأبيض) وبائعات السمك من (السّاحل الحجري)؟

سأله چون فجأةً: «أأنت ملك حقيقي؟».

أجابّه مانس: «إنني لم أعتمر تاجاً قطّ أو أضع مؤخرتي على عرش لعين إن كان هذا سؤالك. ميلادي في غاية الوضاعة، ولم يدهن سبتون رأسي بالمروخ، ولا أملك أيّ قلاع، وملكتي ترتدي الفرو وتتحلى بالكهرمان بدلاً من الحرير والصّفير. أنا نصير نفسي ومهرّج نفسي ومغني نفسي. إنك لا تُصبح ملك ما وراء الجدار لأن أباك كان كذلك. شعب الأحرار لا يتبع



اسمًا ولا يكثرث لمولد أيّ أخ أولاً، بل يتبع المُحاربين. عندما تركتُ (رُج الظلال) كان هناك خمسة رجال يضجُّون بالتباهي بكونهم الأصلح للملكيّة. تورموند كان واحداً منهم، وستير واحداً آخر، أما الثلاثة الآخرون فقتلتهم حين أوضّحو أنهم يُؤثرون القتال على التَّبعية».

قال چون بلا مواربة: «يُمكنك أن تُقتل أعداءك، لكن هل تستطيع أن تُحكّم أصدقاءك؟ إذا سمحنا لقومك بالمرور، فهل تتمتع بالقوة الكافية لجعلهم يُحافظون على سلام الملك ويُطيعون القوانين؟».

قال مانس: «قوانين من؟ قوانين (ويتترفل) و(كينجز لاندنج)؟»، وضحك مضيافاً: «عندما تُريد القوانين سنصوغها لأنفسنا. يُمكنكم الاحتفاظ بعدالة ملككم وضرائبه أيضاً. إنني أعرض عليكم البوق وليس حرّيتنا. لن نركع لكم».

- «وماذا لو رفضنا العرض؟». لا يُساور چون شكٌ في رفضهم. ربما كان الدُّب العجوز ليُصغي على الأقل، مع أنه كان يُعارض فكرة إطلاق ثلاثين أو أربعين ألفاً من الهمج من عقالهم على (الممالك السبع)، أما أليس ثورن وچانوس سلينت فسيرفضان الفكرة من فورهما.

قال مانس رايدر: «إذا رفضوا فسيفخ تورموند بليّة العماليق في بوق الشتاء فجراً بعد ثلاثة أيام».

يُمكنه أن يحمل الرّسالة إلى (القلعة السوداء) ويُخبرهم بأمر البوق، لكن إذا ترك مانس حيّاً فسيعتّم اللورد چانوس والسير أليس الفرصة ويعدها بُرهاناً عليّ خيانتته. ألف فكرةٍ مرقت في ذهن چون. إذا استطعتُ تدمير البوق، إذا حطمته هنا والآن... لكن قبل أن يبدأ تأمل هذا الخاطر سمع أنيناً واطناً لبوقٍ آخر كتّمته حوائط الخيمة الجلد. مانس أيضاً سمعه، وبوجهٍ مقطّب ذهب إلى الباب وتبعه چون.

كان صوت البوق الحربي أعلى في الخارج، وأثارَ نداؤه معسكر الهمج. هرولاً ثلاثة من ذوي الحوافر حاملين حِراباً طويلةً، على حين كانت الخيول تصهل وتنخر والعمالقة يجأرون باللّغة القديمة، وحتى الماموثات اضطربت. قال تورموند لمانس: «بوق كشاف».

- «شيء ما قادم، قادم من الشّرق»، قال فارامير الجالس متقاطع السّاقين

على الأرض شبه المتجلدة وذئباه يدوران بهياج حوله، وسقطَ عليه ظلُّ عابر  
فرفعَ چون عينيه ليرى النَّسر يُحلقُ بجناحين من الرَّمادي والأزرق.  
حين يأتي الموتى السَّائرون لا تكون للأسوار والخوازيق والشُّيوف  
جدوى. لا يُمكنك أن تُقاتل الموتى يا چون سنو. لا أحد يعرف هذا بقدر  
ما أعرفه

قالت هارما بعبوس: «الشَّرِق؟ المفترَض أن تكون الجُثث الحيَّة وراءنا».  
كَّرر مبدل الجِلدة: «الشَّرِق. شيء ما قادم».  
سأل چون: «الآخرون؟».

هَزَّ مانس رأسه نفيًا مجيبيًا: «الآخرون) لا يأتون والشَّمس في السَّماء  
أبدًا». كانت العربات تهرع مخشخشةً عبر أرض المقتلة وقد احتشدَ عليها  
الرَّاكبون ملوِّحين بحِرابٍ من العظام المسنونة، فدمدمَ الملك: «إلى أين  
يحسبون أنفسهم ذاهبينُ بحقِّ الجحيم؟ كوين، أعد هؤلاء الحمقى إلى  
مكانهم، وليُحضِر أحدكم حصاني، الفرس لا الفحل، وأريدُ درعي أيضًا»،  
ثم رفعَ عينيه إلى (الجِدَار) يحدجه بريبة. على قَمَّة المتاريس الجليديَّة وقفَ  
الجُنْد القَسَّ يجمعون السَّهام، وإنما بلا دلالة على أيِّ نشاطٍ آخر. «هارما،  
مُري مُغيريكِ بالثُّكوب. تورموند، اعثر على أبنائك وكوِّن لي ثلاثة صفوف  
من الحِراب».

أسرعَ تورموند يُلبِّي الأمر قائلًا: «نعم».  
أغلقَ الفأر مبدل الجِلدة عينيه، وقال: «أراهم. إنهم قادمون بطول الجداول  
ودروب الفرائس».  
- «مَن؟!» -

- «رجال، رجال على خيول، رجال يرتدون الفولاذ ورجال يرتدون  
الأسود».

- «غِربان»، قال مانس جاعلاً من الكلمة شتيمةً، ثم التفتَ إلى چون سائلًا:  
«هل حسبَ إخوتي السَّابقون أنهم سيُباغِتوني إذا هاجموا ونحن نتكلم؟».  
- «إذا كانوا يُخططون لهجوم فإنهم لم يُخبروني». لا يُصدِّق چون أن هذا  
ما يجري فعلاً، فاللورد چانوس يفتقر إلى العدد الكافي من الرِّجال للهجوم  
على معسَكر الهَمج، كما أنه على الجانب الآخر من (الجِدَار) والبوابة مغلقة

بالرُّكام. كان في مخيلته نوع آخر من الخيانة. ليس ما يحدث من صنعه.

قال مانس منذراً: «إذا كنت تكذب عليّ ثانيةً فلن ترحل من هنا حيّاً». جلب له حُرَّاسه حصانه ودرعه، وفي بقاع أخرى في المعسكر رأى چون أناساً يهرعون لتنفيذ مختلف الأغراض، بعضهم يتخذ تشكيل المعركة كأنهم يستعدون للهجوم على (الجدار)، بينما ينسل البعض إلى الغابة وتقود نسوة عربات الكلاب شرقاً وتهيم الماموثات غرباً. مدّ يده وراء ظهره وامشَق مخلبه الطويل في اللحظة التي برز فيها خط رفيع من الجوّالة عند أطراف الغابة على بُعد ثلاثمئة ياردة، يرتدون جميعاً القمصان المعدنيّة السوداء والخوذات القصيرة السوداء والمعاطف السوداء. شهر مانس سيفه بدوره قائلاً لچون ببرود: «لم تكن تعلم شيئاً عن هذا، أليس كذلك؟».

ببطء سيلان العسل في صباح بارد انقضَّ الجوّالة على المعسكر منتقين طريقهم وسط أجسام الرّثم الصّقر والأشجار والجذور والصّخور، وانطلق الهمج يُقابلونهم رافعين عقائرهم بهتافات الحرب وملوِّحين بالهراوات والسّيوف البرونز والفؤوس الصّوان، يندفعون مباشرةً صوب عدوّهم العتيق. صيحة وضربة وميثة شجاعة. هكذا سمع چون إخوته يقولون عن أسلوب شعب الأحرار في القتال.

قال لملك ما وراء الجدّار: «صدّق ما تُريد، لكنني لم أعرف شيئاً عن أيّ هجوم».

قبل أن يردّ مانس مرّت بهما هارما على رأس ثلاثين مُغيراً تدقُّ حوافر خيولهم الأرض بصوت كالرّعد، تسبقها رايتها المعتادة، الكلب الميت المخورق على حرية يُمطر دماً. قال له مانس: «ربما تقول الحقيقة. إنهم يبذلون كرجال من (القلعة الشّرقية)، بحّارة على متون الخيول. لطالما سبقت شجاعة كوتر بايك عقله. لقد باغت سيّد العظام عند (الرّابية الطويلة)، وربما فكّر أن يُكرّرها معنا. إذا كان الأمر كذلك فهو أحمق. إن رجاله أقل من...».

- «مانس!»، أتت الصّيحة فجأةً من كشاف اندفع من بين الأشجار عليّ متن حصان يتصبّب عرقاً. «مانس، هناك المزيد. إنهم يُحاصروننا من كل اتّجاه، رجال يرتدون الحديد، الحديد، جيش من الرّجال الحديديّين».

وثب مانس على حصانه لاعتناً، وقال: «فارامير، ابق واحرص على ألاّ

يمس أذى دالا»، وأشارَ ملك ما وراء الجدار بسيفه لچون مضيفًا: «وأبقِ بضع أعينٍ إضافيةً على هذا العُراب. مزَّق عُنقه إذا حاولَ الهرب».

- «نعم، هذا ما سأفعله». مبدّل الجِلْدَةَ أقصرَ قامَةً من چون ومحنيّ الظهر وضعيف الجسد، أمّا قِطْعَه فبإمكانه أن يَبْقُرَ بطنه بضربةٍ واحدة. قال فِارامير لمانس: «إنهم قادمون من الشَّمال أيضًا. عليك أن تذهب».

وضعَ مانس خوذته ذات جناحيّ العُداف على رأسه، وكان رجاله قد امتطوا خيولهم أيضًا، فقال لهم بحدّة: «رأس حربة، إليّ، سنكُونُ رأس حربة»، لكن إذ همزَ الفرس بكعبيه وانطلقَ بسرّعة السَّهم نحو الجوّالة فشل الرّجال الذين أسرعوا يلحقون به في تأليف أيّ تشكيل.

أخذَ چون حُطوةً نحو الخيمة مفكرًا في بوق الشُّتاء، لكن قِطْعَ الظلّ اعترضَ طريقه ملوّحًا بذيله وأتسعت طاقتا أنفه وسالَ اللعاب من نابيه المعقوفين. يشمُّ خوفي. افتقدَ جوست أكثر من أيّ وقتٍ مضى لحظتها، وسمعَ الذئبين من ورائه يُزْمِجِران.

مرَّ ماموث بخُطواتٍ ثقيلة مطلقًا نهيمة وفي البرج الخشبي على ظهره نصف دستةٍ من الرُّماة، وسمعَ چون فِارامير يُتَمِّم: «رايات. أرى راياتٍ ذهبيّة، أوه... الملك... لا...».

ثم ألقى مبدّل الجِلْدَةَ رأسه إلى الورااء وصرخَ.

كان الصّوت صادمًا واقتحمَ أذنه مثقلًا بالعذاب. سقطَ فِارامير يتلوى وبدأ القِطْعُ أيضًا يصرخُ... وعاليًا، عاليًا في سماء الشّرق تحت ستار من السّحاب رأى چون النّسر يحترق، يتأجج لهبه لحظةً أزهى من أيّ نجمةٍ وقد تغلّفه الأحمر والذهبي والبرتقالي، ويضرب جناحاه الهواء بهياجٍ كأنه يستطيع الفرار من الألم طيرانًا. إلى أعلى حلّق، وأعلى، وأعلى.

أخرجَ الصّريخُ ثال من الخيمة بوجهٍ غاضبٍ دماؤه، وقالت: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟». كان ذئبا فِارامير يتقاتلان وغابَ قِطْعَه بين الأشجار، لكن الرّجل نفسه كان لا يزال يتلوى على الأرض، فسألَتْ ثال مدعورةً: «ماذا به؟ أين مانس؟».

أشارَ چون مجيبًا: «هناك، ذهب يُقاتل». كان الملك يقود رأس حربته المهلهل منقضًا على مجموعةٍ من الجوّالة وسيفه يلمع.

- «ذهب؟ لا يُمكنه أن يذهب، ليس الآن، نحن في البداية».

- «بداية المعركة؟». شاهدَ الجوّالة يتفرّقون أمام رأس كلب هارما الدّامي، والهجانة يصرّخون ويضربون ويدفعون مرتديي الأسود إلى التّقهُر إلى الأشجار، لكن من الغابة خرجَ مزيد من الرّجال، كتيبة من الخيّالة. فرسان على خيولٍ ثقيلة. اضطرتّ هارما لإعادة حشد قوّتها والدّوران لمواجهتهم، لكن نصف رجالها كانوا قد ابتعدوا كثيرًا بالفعل.

وصاحت فيه قال: «بداية الولادة!».

كانت الأبواق تُدوي في كلِّ مكانٍ بصوتٍ نحاسيّ رنان. أبواق الهَمَج ليست من النّحاس وإنما القرون. وهم يعلمون هذا تمامًا مثلما يعلمه، ودفع الصّوت الأحرار للرّكض هنا وهناك مرتبكين، بعضهم إلى القتال وبعضهم منه. شقّ ماموث طريقه دعسًا وسط قطيع من الأغنام يُحاول ثلاثة رجال أن يسوقوه إلى الغرب، ودوّت دقّات الطبول والهَمَج يعدون لتكوين صفوف وتشكيلاتٍ مربّعة، لكنهم تحرّكوا متأخرين جدًّا، مشوّشين جدًّا، بطيئين جدًّا. كان العدوُّ يخرج من الغابة، ومن الشّرق، ومن الشّمال، ومن الشّمال الشّرقى، ثلاث كتائب هائلة من الخيول الثّقيلة، رجال يلتمع فولاذهم الدّاكن وتزهو ستراتهم الصّوف. ليسوا رجال (القلعة الشّرقية)، فأولئك لم يكونوا أكثر من صفّ من الكشافة. هؤلاء جيش. الملك؟ وجدّ چون نفسه حائرًا كالهمج تمامًا. هل عادَ روب؟ هل تحرّك الصّبي الجالس على العرش الحديدي أخيرًا؟ قال لقال: «عودي إلى الخيمة».

عبر ميدان القتال كانت إحدى الكتائب قد اكتسحت هارما رأس الكلب، وارتطمت أخرى بجانب حاملي الحراب تحت قيادة تورموند بينما يُحاول وأبناءؤه تدويرهم بيأس، لكن العمالقة بدأوا يمتطون الماموثات، وهو ما لم يُعجب الفرسان على خيولهم المدرّعة على الإطلاق، وأبصر كيف صرّحت الجياد الحرّية وتشتّت لمراى تلك الجبال الثّقيلة ذات الأقدام. على أن الخوف شاع وسط الهَمَج أيضًا، مئات من النّساء والأطفال يهرعون مبتعدين عن المعركة، يتخبّط بعضهم تحت حوافر الخيل مباشرةً، ورأى چون عجوزًا تقود عربة كلاب وتتحرف بها في طريق ثلاث عرباتٍ أخرى لتصطدم هذه بتلك. همست قال: «يا للآلهة، يا للآلهة، لماذا يفعلون هذا؟».

- «عودي إلى الخيمة وابقى مع دالا. لست آمنة هنا». ولن تكون أكثر أماناً داخل الخيمة، ولكن لا داعي لأن تسمع هذا.  
- «يجب أن أعثر على القابلة».  
- «أنتِ القابلة. سأبقى هنا حتى يعود مانس».

كان مانس قد غاب عن ناظره لكنه وجدّه من جديد وراه يشقُّ طريقه وسط عُقْدَةٍ من الخيالة. كانت الماموثات قد حطّمت الكتيبة الوسطى، لكن الأخریین انغلقتا على الهمج كطرفي الكماشة، وعلى حافة المعسكر الشرقيّة راح بعض الرّماة يطلقون السّهام النَّاريّة على الخيام. رأى ماموثاً يقتلع فارساً من فوق سرجه ويطوّح به أربعين قدماً بنقرة من بدنه، ورأى الهمج يتدفقون نساءً وأطفالاً فارّين من المعركة، بعضهم معهم رجال يحثّونهم على الإسراع. ألقى عدد منهم چون بنظراتٍ ناريّة، لكن (المخلب الطويل) كان في يده، فلم يُزعجه أحد، وحتى فارامير هرب زاحفاً على أربع.

تدفق مزيد ومزيد من الرّجال من بين الأشجار، ليس فرساناً فحسب وإنما مُحاربون غير نظاميين ورّماة على خيول وجنود يرتدون السّترات والخوذات القصيرة، عشرات الرّجال، مئات الرّجال، فوقهم تُحلّق الرّيات البرّاقة كما اللهب، تهوي عليها الرّيح بسياطها بشراسةٍ حالت دون رؤية چون الرّموز عليها، لكنه لمح حصان بحرٍ وسرب طيورٍ وحلقةً من الرّهور... وأصفر، أصفر كثيراً جدّاً، رياتٍ صفراءٍ عليها رمز أحمر. رمز من هذا؟

إلى الشرق والشّمال والشّمال الشرقي رأى جماعاتٍ من الهمج تُحاول الضّمود والقتال، لكن الخيالة جرفوهم جرفاً. ما زالت أعداد شعب الأحرار أكبر بكثير، لكن المهاجمين دروعهم فولاذٍ وخيلهم ثقيلة. في حومة القتال رأى مانس واقفاً بشموخٍ على ركابيّ فرسه وقد سهّل معطفه الأحمر والأسود وخودته ذات جناحيّ الغداف تمييزه. كان سيفه مرفوعاً ورجاله يتحلّقون حوله عندما ارتطم بهم رأس حربةٍ من الفرسان بالرّمح والسّيف والفأس الطويلة، ورفعت فرس مانس قائمتيها الخلفيتين وراحت ترّفس قبل أن تنغرس حربة في صدرها، ثم اجترفت السّيل الفولاذي مانس بدوره.

انتهى الأمر، إنهم ينكسرون. كان الهمج يفرّون ويلقون أسلحتهم، ذوو الحوافر وأهل الكهوف والثّيون بأقراصهم البرونز، يفرّون قاطبةً. اختفى

مانس، ولوّح أحدهم برأس هارما على سارية، وتحطّمت صفوف تورموند.  
الصّامدون الوحيدون هم العمالقة على متون الماموثات، جُزر من الشّعرفي  
بحر من الفولاذ الأحمر. من خيمة إلى خيمة وثبت النّار وشبّت في بعض  
أشجار الصّنوبر الطويلة أيضًا، وفي غمرة الدُّخان الكثيف انقضّ رأس حربة  
آخر من الفرسان على الجياد المدرّعة، فوقهم تخفق الرّائتان الأكبر على  
الإطلاق، كلتاهما راية ملكيّة بحجم ملاء السّيرير، واحدة صفراء بذيول مدبّبة  
طويلة عليها قلب ناري، والثّانية كفرخ من الذهب المطرّق عليها وعلّ أسود  
يتوائب ويتموّج في الرّيح.

لحظة مجنونة مرّت قال فيها چون لنفسه متذكّرًا أوين المسكين: روبرت،  
لكن حين دوّت الأبواق مجدّدًا وانقضّ الفرسان كان الاسم الذي هتفوا به  
هو: «ستانيس! ستانيس! ستانيس!».  
ودارَ چون ودخل الخيمة.



## آريا

خارج الخان على مشنقةٍ بالية تتأرجح عظام امرأةٍ وتُخشخش مع كلِّ هبةٍ ريح:

أعرفُ هذا الخان. لم تكن هناك مشنقة خارج الباب حين أمضت الليل هنا مع أختها سانزا تحت عين السّيّتة موردين اليقظة. قرّرت آريا فجأةً قائلةً له: «لسنا نريد الدُّخول. قد تكون هناك أشباح».

ردّ ساندور: «أندرين كم مضى منذ شربتُ كوب نبيذ؟»، وترجّل مواصلاً: «كما أن علينا أن نعرف من يُسيطر على (مخاضة الياقوت) الآن. ابقِ مع الحصانين إذا أردتِ، لا أباي».

- «ماذا لو تعرّفوك وأرادوا أخذك أسيراً». لم يعد ساندور يُزعج نفسه بإخفاء وجهه، ويبدو أنه لم يعد يعبأ بتعرّف أحدٍ إياه.

قال: «فليُحاولوا»، وخلخل سيفه الطويل في غمده ودخل من الباب. ما كانت آريا لتجد فرصةً أسنح للهرب. يُمكنها أن تركب كريشن وتأخذ سترينجر أيضاً. مضغت شفتها مفكرةً وهلةً، ثم قادت الحصانين إلى الاسطبل ودخلت وراءه.

إنهم يعرفونه. صمتهم وشى بهذا، لكن الأسوأ أنها تعرف اثنين منهم أيضاً، ليس صاحب الخان، ولا النّساء، ولا عمّال الحقول عند المستوقد، وإنما اثنين غيرهم، الجنديان، إنها تعرف الجنديين.

- «هل تبحث عن أخيك يا ساندور؟»، قال بوليفر الذي كان يدسُّ يده في صدر الفتاة الجالسة في حجره، لكنه أخرجها.



قال كليجايين: «أبحث عن كوب من التَّبِيد. إبريق يا صاحب الخان»، وألقى حفنة من العُمَلات النُّحاسية على الأرض.

قال صاحب الخان: «لا أريدُ متاعب أيها الفارس».

رَدَّ بضمٍ يختلج: «لا تُخاطِبني بهذا اللَّقب إذن. أنت أصم أيها الأحمق؟ طلبتُ نبيذًا»، ولَمَّا هرعَ الرَّجُل يُحضِر المطلوب ناداه مضيفًا: «كوبان! الفتاة أيضًا ظمآنة!».

ثلاثة فقط. رمقها پوليفر بنظرةٍ عابرة، ولم ينظر الصَّبي الجالس إلى جواره ناحيتها على الإطلاق، لكن الثالث حدَّق إليها طويلًا بإمعان. رجل متوسِّط الطول والبنيان، وجهه تقليديٌّ لدرجة تُعسِّر تخمين سنِّه. المُدغدغ، المُدغدغ. وپوليفر في آنٍ واحد. أمَّا الصَّبي فتئمُّ سنُّه وثيابه عن كونه مُرافقًا، على أحد جانبي أنفه بثرة بيضاء كبيرة وعلى جبهته بعض البثور الحمراء، وقد سأل المُدغدغ: «أهذا هو الجرو المفقود الذي ذكره السير جريجور؟ الذي بال على البساط وهرب؟».

وضع المُدغدغ يده على ذراع الصَّبي محذِّرًا وهزَّ رأسه باقتضابٍ حاد، فاستوعبت آريا الإنذار بوضوح تام.

لكن الصَّبي لم يستوعبه، أو أنه لم يهتم، إذ تابع: «قال سيِّدنا إن أخاه الجرو دَسَّ ذيله بين ساقيه حين اشتدَّت حرارة المعركة في (كينجز لاندنج) وهرب باكيا»، وأعطى كلب الصَّيْد ابتسامةً ساخرةً سخيِّفةً.

تفحَّص كليجايين الصَّبي دون أن يتفوَّه بكلمة، ودفعَ پوليفر الفتاة ونهضَ قائلاً: «الفتى سكران». يكاد الجُندي يُضاهي كلب الصَّيْد طولًا، وإن لم يكن مفتول العضلات مثله، وتُعطي فكَّه ولُغده لحية سوداء كثيفة مدبَّبة ومشدَّبة بعناية، لكن أغلب رأسه أصلع. «التَّبِيد يُذهِب عقله، هذا كل ما هنالك».

- «لا يجدرُّ به أن يشرب إذن».

بدأ الصَّبي يقول: «الجرو لا يُخيفن...»، واستحالت كلماته إلى صرخة ألمٍ حادة إذ أطبق المُدغدغ على أذنه بسبَّابته وإبهامه ولوها باستهانة.

عادَ صاحب الخان مسرعًا بكوبين حجريَّين وإبريق على صحفةٍ من القصدير، وتناولَ ساندور الإبريق ورفعَه إلى فمه، لترى آريا عضلات تنقبض وتنشط وهو يعرج، ولَمَّا دقَّ به المائدة كان نصف التَّبِيد قد نفذ. قال للرَّجُل:

«الآن يُمكنك أن تصبِّ، وخيرٌ لك أن تجمع تلك العُمَلات أيضًا، فغالبًا لن ترى غيرها اليوم».

قال پوليفر: «سندفع حين نَفْرُغ من الشُّرب».

- «حين نَفْرُغون من الشُّرب سَتُدْعِدِغون صاحب الخان لتروا أين يحتفظ بذهبه كما تفعلون دائمًا».

تذكَّر صاحب الخان شيئًا فجأةً في المطبخ، وبدأ أهل المنطقة يُغادِرون أيضًا، فيما انصرفت الفتيات بالفعل، ولم يُعد في القاعة العامَّة صوت إلا طقطقة نار المستوقد الخافتة. قالت آريا لنفسها: يجدر بنا أن نرحل أيضًا.

قال پوليفر: «إذا كنت تبحث عن سيِّدنا فقد أتيت متأخرًا. كان في (هارنهال) لكنه لم يُعد كذلك. الملكة أرسلت تستدعيه». رأت آريا أن في حزامه ثلاثة أسلحة؛ على وركه الأيسر سيف طويل، وعلى الأيمن خنجر وسلاح أرفع، أطول من أن يكون خنجرًا وأقصر من أن يكون سيفًا. أضاف: «چوفري مات بالمناسبة، قُتلَ بالسُّمِّ في مأدبة زفافه».

تقدَّمت آريا أكثر داخل القاعة مفكرةً: چوفري مات. تكاد تراه بخصلاته الشَّقراء والابتسامة القاسية على شفثيه الممتلئين النَّاعمين. چوفري مات! تعلم أن المفترض أن يُسعدِها الخبر، لكنها ظلَّت بوسيلةٍ ما تُشعر في أعماقها بالخواء. مات چوفري، لكن إذا مات روب أيضًا فما الفرق؟

قال كلب الصَّيد: «مرحى لإخوتي الشُّجعان في الحرس الملكي»، وأصدرَ نخير احتقار قبل أن يسأل: «مَن قتله؟».

- «يقولون إنه العُفريت، هو وزوجته الصَّغيرة».

- «زوجته؟».

- «نسيْتُ أنك كنت مخبئيًا تحت صخرة. الفتاة السَّماليَّة، ابنة (ويتترفل). سمعنا أنها قتلت الملك بتعويذة ثم تحوّلت إلى ذبَّة بجناحين جلدَّيين كبيرين كأجنحة الوطواط وطارت من نافذة بُرج، لكنها تركت القزم، وسرسي تنوي قطع رأسه».

هراء. سانزا لا تعرف إلا الأغاني لا التَّعاويد، وما كانت لتتزوَّج العُفريت أبدًا.

كان كلب الصَّيد جالسًا على أقرب الدُّكك إلى الباب، وارتعش فمه على

جانِب وجهه المحترق وهو يقول: «حرِّيُّ بها أن تغمسه في النَّارِ الشَّعواءِ وتطْبُخه، أو تُدغِدغه إلى أن يَغيب القمر من السَّماء»، ورفع كوبه وأفرغ النَّبيذ دُفْعَةً واحدةً في جوفه.

عندما رأت آريا هذا عَضَّتْ شفتها بقوَّةٍ حتى ذاقَت الدَّماء وهي تُفَكِّر: إنه منهم، مثلهم تمامًا. المفترض أن أقتله وهو نائم.

تساءل ساندور: «إذن فقد أخذ جريجور (هارنهال)؟».

قال پوليفر: «لم يكن الأمر بهذه الصُّعوبة. المرتزقة فُروا حالما عرفوا أننا قادمون، جميعهم باستثناء مجموعةٍ صغيرة. أحد الطهاة فتح لنا بوابةً جانبيةً انتقامًا من هوت الذي بترَ قدمه»، وقهقهه مضيئًا: «احتفظنا به ليطهو لنا، بالإضافة إلى بضع فتياتٍ يُدفنن أسرتنا، وقتلنا جميع من تبَّقوا».

قالت آريا باندفاع: «جميع من تبَّقوا؟».

- «ما عدا الكبش الذي احتفظ به سيِّدنا لترجية الوقت».

قال ساندور: «أما زال السَّمكة السوداء في (ريقررن)؟».

أجابَه پوليفر: «لن يبقى هناك طويلًا. إنه تحت الحصار. فراي العجوز سيستقُ إدميور تلي ما لم يُسلم عمُّه القلعة. القتال الحقيقي الوحيد دائر حول (شجرة الغدغان)، آل بلاكوود ضد آل براكن. آل براكن معنا الآن».

صَبَّ كلب الصَّيد كوب نبيذٍ لنفسه وثانيًا لآريا، وشرب كوبه وهو يرمق نار المستوقد قائلاً: «الطائر الصَّغير حلقت إذن؟ أحسنت حقًا. تبرزت على رأس العفريت وهربت».

قال پوليفر: «سيجدونها ولو دفعوا نصف ما في (كاسترلي روك) من ذهب».

قال المُدغِدغ: «سمعتُ أنها حسناء، حلوة كالعسل»، وتلمَّظ وابتسم.

أضافَ كلب الصَّيد: «ومهدَّبة، ليدي صغيرة حقَّة، على عكس أختها الملعونة».

قال پوليفر: «لقد وجدوها أيضًا، الأخت. سمعتُ أنها ستتزوج نغل بولتون».

رشفت آريا من نبيذها كي لا يروا فمها. لم تفهم ما يتكلَّم عنه پوليفر، وقالت في أعماقها: ليست لسانز أخت أخرى، أمَّا ساندور كليجاين فضحك عاليًا.

سأله بوليشر: «ما المضحك؟».

لم ينظر كلب الصيد تجاه آريا على الإطلاق، وقال: «لو أردت أن تعرف لأخبرتك. أهنأك سُفن في (الملاحات)؟».

- «(الملاحات)؟ وما أدراني؟ سمعتُ أن التُّجَّار عادوا إلى (بركة العذارى). راندل تارلي استولى على القلعة وحبس موتون في زنزانة بُرج. لم أسمع شيئاً عن (الملاحات)».

مال المُدغدغ إلى الأمام قائلاً: «هل ستبجر دون أن تُودِّع أخاك؟»، وسرت في جسد آريا القشعريرة لسماعه يُلقي سؤالاً. «لا بُدَّ أن سيِّدنا يُحبِّد أن تعود معنا إلى (هارنهال) يا ساندور، أراهنُ على هذا، أو إلى (كينجز لاندنج)...».

- «خراء على هذا، خراء عليه، خراء عليك».

هزَّ المُدغدغ كفيه وشدَّ قامته، ثم مدَّ يده وراء رأسه ليحكَّ قفاه... وبدأ كأن كلَّ شيءٍ حدث في آنٍ واحد. هبَّ ساندور واقفًا، واستلَّ بوليشر سيفه الطويل، واندفعت يد المُدغدغ بحركةٍ خاطفةٍ تقذف شيئاً فضيًّا التمع في فضاء القاعة، ولو لم يكن كلب الصيد يتحرَّك لحظتها لقرَّ السكين تفاعاً حلقه، لكنه جلط ضلوعه بدلاً من هذا في طريقه إلى الانغراس مرتجفاً في الحائط المجاور للباب. عندئذ ضحك كليجاين، ضحكته باردة جوفاء كأنها آتية من أغوار بئر عميقة، وقال: «كنتُ أملُّ أن ترتكبوا حماقةً ما»، وانسحب سيفه من غمده في اللحظة المناسبة لصدِّ ضربة بوليشر الأولى.

تراجعت آريا خطوةً إذ بدأت أغنيَّة الفولاذ الطويلة. نهض المُدغدغ من على الدكَّة بسيفٍ قصير في يدٍ وخنجر في الثانية، وحتى المرافق الممتلئ ذو الشعر البني نهض محاولاً امتشاق سيفه، فاخطفَت كوب نبيذها من على المائدة وقذفته في وجهه، وكان تصويبها أفضل هنا مما كان في (التوأمتين)، فأصابه الكوب في بثرته البيضاء الكبيرة مباشرةً وسقط على مؤخرته بعنف.

بوليشر مُقاتل نظامي شرس، وقد أرغم ساندور على التقهقر بثبات، يتحرَّك سيفه الطويل الثقيل بدقة قاسية، أمَّا ضربات كلب الصيد فكانت أكثر رعونةً ومراوغاته متعجِّلةً وقدماه بطيئتين خرقاوين، وأدركت آريا بهلع أنه سكران. شرب الكثير بسرعةٍ وبلا طعام في معدته. وكان المُدغدغ يدور عند الحائط ليهاجمه من الخلف، فالتقطت الكوب الثاني ورمته به، لكنه تحرَّك أسرع

من المُرافِقِ وانحنى في الوقت المناسب، وحفَلت النَّظرة التي حدَّجها بها بالوعيد البارد. سمعته يسأل: هل من ذهب مخبأ في القرية؟

تسبَّث المُرافِقُ الأبله بحافة المائدة وهو ينهض على رُكبتيه، وبدأت آريا تذوق بداية الذعر في مؤخِّرة حلقها. ضربة الخوف أمضى من السِّيف، ضربة الخوف أمضى...

أنَّ ساندور متألِّماً وسالَ الأحمر على جانب وجهه المحروق من الصُّدغ إلى الوجنة، ولم يُعدَّ عَقِبُ أذنه هناك. بدا أن هذا أغضبَه كثيراً، ودفعَ بوليثير إلى التَّراجُع بهجوم ضار، ينهال عليه بضربات السِّيف القديم المحرَّز الذي تقايضه في التَّلال، وتقهقرَ الرَّجل الملتحي لكن ضربةً واحدةً لم تُصبه. ثم إنَّ المُدغدغ وثب فوق دكَّةٍ بسُرعة الثُّعبان، وهوى على مؤخِّرة عُنق كلب الصَّيد بحافة سيفه القصير.

إنهما يفتُلانه. نفدَّت الأكواب من آريا، لكنها وجدَّت شيئاً أفضل تُلقيه. سحبت الخنجر الذي سرقاه من القوَّاس الميت وحاوَلت أن ترمي به المُدغدغ كما رمى سكينه، غير أن الأمر يختلف عن رمي صخرة أو تفاحة، فدارَ الخنجر في الهواء وارتطم المقبض بذراعه. لم يَشعُر به حتى. كان تركيز الرَّجل كله منصَّباً على كليجين.

سدَّد طعنته فالتوى كلب الصَّيد جانباً بعُنف رابحاً لنفسه هنيهة راحةٍ من الهجوم، وقد سالَ الدَّم على وجهه من الجرح في عُنقه، ثم انقضَّ عليه كلا رجليَّ الجبل بإصرار، يُسدِّد بوليثير سيفه إلى رأسه وكتفيه ويندفع المُدغدغ محاولاً طعنه في ظُهره وبطنه. كان الإبريق الحجري الثَّقيل لا يزال على المائدة، فالتقطته آريا بكلتا يديها، لكن إذ رفَعته أطبق أحدهم على ذراعها وانزلت الإبريق منها ليتحطَّم على الأرض. دارت على عقبيها من فورها محاولَةً التَّملص لتجد نفسها تواجِه المُرافِق، فقالت لنفسها: أيتها الحمقاء، نسيت أنه موجود، ورأت أن بثرته البيضاء الكبيرة طقَّت.

- «أنتِ جرو الجرو؟». في يُمناه سيفه وفي يُسراه ذراعها، لكن يديها هي حُرَّتَان، فاخترطت سكينه من غمده وعادت تُغمده في بطنه ودورته. لم يكن يرتدي الحلقات المعدنيَّة أو حتى الجلد المقوَّى، فاخترق النَّصل لحمه مباشرةً كما فعلت إبرتها حين قتلت صبيَّ الاسطبل في (كينجز لاندنج)،

وجحظت عينا المُرافِقِ وتخلَّى عن ذراعها، ودارت آريا نحو الباب وانتزعت  
خنجر المُدغدغ من الحائط.

كان پوليفر والمُدغدغ قد حاصرا كلب الصَّيد في رُكن وراء دكَّة، وأهداه  
أحدهما شقًّا أحمر قبيحًا في أعلى فخذه يتماشى مع جروح الأخرى، وقد  
استند ساندور إلى الحائط ينزف ويتنفَّس بصوتٍ مرتفع، وبدا أنه يستطيع  
الوقوف بصعوبة، ناهيك بالقتال.

قال له پوليفر: «ألق سيفك وسأخذك إلى (هارنهال)».

- «كي يُجهز عليَّ جريجور بنفسه؟».

قال المُدغدغ: «لعله يُعطيني إياك».

ردَّ ساندور: «إذا أردتmani فتعاليا وخذاني»، ودفع نفسه عن الحائط  
ووقف شبه مُقع وراء الدكَّة رافعًا سيفه أمام جسده.

قال پوليفر: «أتخال أننا لن نفعل؟ إنك سكران».

- «ربما، لكنكما ميَّان»، وارتفعت قدمه ترُكل الدكَّة لترتطم بعُنفٍ بقصبتَي  
ساقَي پوليفر. بشكل ما حافظ الملتحي على توازنه، لكن كلب الصَّيد انحى  
متفاديًا ضربته الشَّرسة ورفع سيفه بضربةٍ ماضية بظاهر اليد، وتناثرت الدَّماء  
على السَّقْف والحوائط إذ أصاب النَّصل پوليفر في منتصف وجهه مباشرةً،  
ولمَّا انتزعه كلب الصَّيد انتزع معه نصف رأس الرَّجل.

تراجع المُدغدغ واشتمت آريا خوفه، وبعته بدا السَّيف القصير في يده  
كلعيةً مقارنةً بالأخر الطَّويل الذي يحمله كلب الصَّيد، كما أنه لا يرتدي درعًا.  
تحرك الرَّجل بسرعةٍ وخفةٍ دون أن تُبارح عيناه ساندور كليجانين، وكان أيسر  
شيء في العالم لحظتها أن تجيء آريا من ورائه وتطعنه.

وأعمدَّت النَّصل في ظهره صائحةً: «هل من ذهب مخبأ في القرية؟ هل  
من فضةٍ أو جواهر؟»، وطعنته مرَّتين أخريَّين. «أهناك طعام؟ أين اللورد  
بريك؟». ثم إنها اعتلته وما انفكت تطعن وتطعن. «إلى أين أتجه؟ كم رجلاً  
كانوا معه؟ كم فارسًا وكم قوَّاسًا؟ كم؟ كم؟ كم؟ كم؟ كم؟ هل من ذهب  
مخبأ في القرية؟».

كانت يداها حمراوين لزجتين حين جرَّها ساندور من فوقه قائلاً فقط:

«كفى». هو نفسه كان ينزف كخنزير مذبوح ويجرُّ ساقه وهو يمشي.

قالت آريا: «هناك واحد آخر».

كان المرافق قد أخرج الخنجر من بطنه ويحاول إيقاف الزيف بيديه،  
وحين سحبته كلب الصيد ليجلس معتدلاً صرخَ وبدأ ينوح كالرُضع قائلاً:  
«الرَّحمة. لا تقتلني أرجوك. رُحماكِ يا أمنا».

قال كلب الصيد وهو يبدو أبعد ما يكون عن إنسان: «هل تظنني أمك  
المومس؟»، ثم قال لآريا: «قتلت هذا أيضاً، وخزته في أحشائه، أي أنها  
نهايته، لكنه سيظل يُحتضر فترةً طويلةً».

لم يُلح على الصبي أنه سمعه، وقال باكتياً: «جئتُ من أجل الفتيات... قال  
بولي إنهن سيجعلنني رجلاً... أوه، بحق الآلهة، أرجوك، خُذني إلى قلعة...  
مايستر، خُذني إلى مايستر، أبي يملك ذهباً... جئتُ من أجل الفتيات فقط...  
الرَّحمة أيها الفارس».

هوى كلب الصيد على وجهه بلطمة جعلته يصرخ ثانيةً، وقال: «لا تُنادني  
بهذا اللقب»، وعاد يلتفت إلى آريا مردفاً: «إنه لك أيتها الذئبة، عليك به».

فهمت ما يعنيه، فذهبت إلى بوليثر وجئت في دمه لتحل حزام سيفه، الذي  
تدلَّى منه إلى جوار خنجره سلاح أرفع، أطول من أن يكون خنجراً وأقصر من  
أن يكون سيف رجل... لكن إحساسها به في يدها كان سليماً تماماً.  
سألها كلب الصيد: «أتذكرين موضع القلب؟».

أومأت برأسها إيجاباً، وردد المرافق وعينه تدوران في محجريهما:  
«الرَّحمة».

وانسلت إبرتها بين ضلوعه ومنحته إياها.

قال ساندور بصوت أثقله الألم: «أحسنت. إذا كان هؤلاء الثلاثة هنا طلباً  
للغناء فلا بُدَّ أن جريجور يُسيطر على المخاضة علاوةً على (هارنهال). قد  
يأتي المزيد من حيواناته المدللة في أي لحظة، وقد قتلنا ما يكفي من أولاد  
القحبة اليوم».

سألته: «أين ذهب؟».

أجابها «(الملاحات)»، وأردفَ واضعاً يداً كبيرةً على كتفها كي لا يسقط:  
«أحضري القليل من التبيد أيتها الذئبة، وخُذي ما معهم من مال، فسنحتاجه.  
إذا كانت هناك سفن في (الملاحات) فيمكننا الوصول إلى (الوادي) بحرّاً»،

وارتعش فمه في وجهها ومزيد من الدّم يسيل من حيث كانت أذنه، وتابع:  
«ربما تُزوّجك الليدي لايسا صغيرها روبرت. تلك زيجة أحب أن أراها»،  
وبدأ يضحك لكن الضحكة استحالت إلى أنين.

عندما حان وقت الذهاب احتاج إلى مساعدة آريا ليصعد إلى متن  
سترينچر. كان قد ربط شريطاً من القماش حول عنقه وآخر حول فخذيه، وأخذ  
معطف المرافق من على المشجب المجاور للباب، معطفاً أخضر عليه سهم  
أخضر على منحنى أبيض، لكن حين طواه كلب الصيد وضغطه على أذنه  
سرعان ما تشرّب الأحمر. خشيت آريا أن ينهار بمجرد أن يتحركاً، لكنه ظلّ  
فوق السرج بوسيلة ما.

لا يُمكنهما أن يُخاطرا بقاء من يُسيطر على (مخاضة الياقوت) أيّا كان،  
ولذا بدلاً من أن يسلكا (طريق الملوك) اتّجها إلى الجنوب الشرقي عابرين  
حقولاً ملاءى بالحشائش وغابات ومستنقعات، ومضت ساعات قبل أن يبلغا  
ضفاف (الثالث). رأت آريا أن النّهر استسلم وعاد إلى مجراه المعتاد، ثورته  
البيّنة المبتلة كلها اختفت مع الأمطار، ففكرت: النّهر أيضاً متعب.

قرب حافة الماء وجدا بعض أشجار الصّفاف النّامية وسط فوضى  
من الصّخور التي جلدتها الأجواء. معاً كوّن الشّجر والصّخر مأوى طبيعياً  
يُمكنهما أن يتوازيا فيه من النّهر والدّرب، وقال كلب الصيد: «هنا يصلح.  
اسقي الحصانين واجمعي القليل من الأغصان اليابسة للنّار»، ولما ترجّل  
اضطرّ للاّتكاء على فرع شجرة قبل أن يقع.  
- «ألن يرى الدّخان؟».

- «ما عليّ من يُريد أن يجدنا إلّا أن يقتني دمي. ماء وحطب، لكن ناوليني  
قربة التّبيذ أولاً».

حين أشعل النّار وضع خوذته على رأسها في اللّهب وأفرغَ فيها نصف  
التّبيذ، ثم انهارَ على حجر ناتئ مغطى بالطحلب كأنه لا ينوي أن ينهض  
ثانيةً أبداً، وجعل آريا تغسل معطف المرافق وتمزّقه إلى شرائط وضعتها في  
الخوذة.

قال لها: «لو كان معي مزيد من التّبيذ لشربت حتى أغيب عن الوعي. ربما  
عليّ أن أرسلك إلى الخان الملعون لتحضري قربةً أو ثلاثاً».



رَدَّت: «لا». لن يفعل هذا، أليس كذلك؟ وإذا فعلها سأرحلُ وأتركه.  
ضحك ساندور من الخوف علي وجهها، وقال: «دُعابة أيتها الذئبة، دُعابة  
لعينة. اعثري لي على عصا بهذا الطول تقريبًا وليست سميكة جدًا، واغسلها  
من الطمي. أكره مذاق الطمي».

لم تُعجبه أول اثنتين أحضرتهما له، وعندما وجدت واحدة تُناسبه أخيرًا  
كان اللهب قد سفعَ خطم الكلب بالأسود حتى العينين، وداخل الخوذة أخذ  
التبيذ يغلي بجنون. قال لها: «ستجدين الكوب في لفة التوم. املئي حتى  
منتصفه، واحذري، إذا قلبت الخوذة اللعينة سأرسلك لإحضار المزيد. خُذي  
التبيذ وصبيهِ على جروحي. أيمكنك أن تفعلي هذا؟». أو مأت آريا إيجابًا،  
فزمجر: «ماذا تنتظرين إذن؟».

مسّت مفاصل أصابعها الفولاذ عندما ملأت الكوب أول مرّة، فحرقها  
بشدة تفرّحت لها، وعضّت آريا شفتها لتمنع نفسها من الصُراخ. استخدم  
كلب الصيّد العصا للغرض نفسه، وأطبّق عليها بأسنانه إذ بدأت تصبّ،  
فصبّت التبيذ على جرح فخذه أولاً، ثم الشق الأكثر سطحيّةً على مؤخرة عنقه.  
كوّر ساندور قبضته اليمنى وضربَ بها الأرض حين صبّت على ساقه، ولما  
أتى دور عنقه عضّ على العصا بقوة كسرتها، وذهبت آريا مضطّرةً تبحث عن  
واحدة جديدة. رأت الرُعب في عينيه لما عادت، وقالت له: «أدر رأسك»، ثم  
بدأت تُقطّر التبيذ على اللحم الأحمر النيئ حيث كانت أذنه، وزحفت أصابع  
من الدّم البنيّ والتبيذ الأحمر على فكّه. هذه المرّة صرخَ على الرغم من  
العصا، ثم فقد وعيه من فرط الألم.

تولّت آريا الباقي بنفسها، فأخرجت الشرائط التي صنعها من معطف  
المُرافِق من قاع الخوذة واستخدمتها لربط الجروح، وعندما بلغت أذنه  
اضطرتّ للّف نصف رأسه كي تُوقِف التزيّف. حينها كان الغسق يسطّ  
أجنته فوق (الثالوث)، فتركت الحصانين يرعيان فترةً ثم قيّدتهما وأراحت  
نفسها قدر الإمكان في فجوة بين صخرتين.

اضطرمّت النّار فترةً ثم خمدت، وراقبت آريا القمر من بين الغصون  
أعلاها.

بخفتٍ قالت: «السير جريجور الجبل، دانسن، راف المعسول، السير

إلين، السير مرين، الملكة سرسي». أَحَسَّتْ باستغراب إذ شطبتَ بوليثر والمُدغِدغ من قائمتها، وچوفري أيضًا. إنها مسرورة لأنه مات، لكنها تَمَنَّتْ لو أنها كانت هناك لتراه يموت، أو لتَقْتُلُه بنفسها. بوليثر قال إن سانزا والعفريت قتلاه. أَيْمَكن أن يكون هذا صحيحًا؟ العفريت من آل لانستر، وسانزا... ليتني أستطيعُ أن أتحوَّلَ إلى ذبَّيةٍ وبنبت لي جناحان أطير بهما.

إذا رحلتَ سانزا أيضًا فلم يُعَدْ هناك من آل ستارك غيرها. چون على (الجدار) على بُعد ألف فرسخ، لكنه سنو لا ستارك، وكلُّ الأقارب الذين يُريد كلب الصَّيْدِ بيعهم إياها ليسوا من آل ستارك أيضًا، ليسوا ذئابًا.

أَنَّ ساندور فانقلبَت على جانبها تَنْظُرُ إليه، وأدرَكَتْ أنها لم تَذْكُرْ اسمه أيضًا في صلاتها. لماذا فعلتَ هذا؟ حاولتَ أن تتذكَّرَ مايكا، لكنها وجدت صعوبةً في تذكر ملامحه. إنها لم تعرفه طويلًا. كلُّ ما فعله أنه لعبَ معي بسيفٍ خشب. همست: «كلب الصَّيْدِ»، وهمست: «قالار مورجولس».

ربما يطلع عليه الصُّبح وهو ميت...

لكن حين تسرَّب ضوء الفجر الباهت من بين الأغصان كان هو من أيقظها بطرف حذائه. في الليل حلمت مرةً أخرى بأنها ذبَّية، تطارد حصانًا بلا راكب إلى أعلى تلٍّ ووراءها قطيعها، لكن حذاه أعادها إلى عالم اليقظة لحظةً أن أظبقوا عليه.

كان كلب الصَّيْدِ لا يزال ضعيفًا، حركاته كلها بطيئة خرقاء. تمايلَ فوق سرجه وتصبَّبَ عرقًا، وبدأت أذنه تنزف تحت الضمَّادة، واحتاجَ إلى قُواه كلها لئلا يسقط من على ظهر سترينچر. إذا أتى رجال الجبل يطاردونهما فإنها تشك في استطاعته أن يرفع سيفه. ألقت نظرةً من فوق كتفها، لكنها لم تر شيئًا وراءهما إلا غرابًا يطير من شجرةٍ إلى شجرة، والصَّوت الوحيد صوت النَّهر.

طويلاً قبل الظهر كان ساندور كليجاين يترنح، وحين قال لها أن تتوقَّف كانت ساعات عدَّة لا تزال متبقيةً من ضوء النَّهار. لم يقل إلا: «يجب أن أستريح»، وهذه المرةً عندما ترَجَّل سقط، وبدلاً من محاولة النَّهوض زحفَ بوهن إلى شجرةٍ وأسندَ ظهره إلى جذعها مغمغماً: «يا للجحيم، يا للجحيم»، ثم إنه رأى آرياً تَنْظُرُ إليه، فقال: «يُمْكِنني أن أسلخك حيَّةً من أجل كوب نبيذٍ يا فتاة».

بدلاً من النَّيِّدِ جلبتَ له ماءً شربَ القليل منه وقال متذمِّراً إن مذاقه طمي،

ثم غابَ في نومٍ صاخبٍ محمومٍ. مسَّته فوجدتَ جِلده ملتهبًا، وتشمَّمتَ ضمَّاداته كما كانَ المايسترُ لوين يفعلُ أحيانًا وهو يُعالجُ جروحها وخدوشها. أسوأ النَّزيفِ كان من وجهه، لكن جرحَ فخذِه رائحته غريبة.

تساءلتُ كم تَبُعدُ تلك (الملاحات) وإن كانت تستطيع العثورَ عليها بنفسها. لن أضطرُّ لقتله. إذا رحلتُ وتركتَه سيموت من تلقاء نفسه، سيموت من الحُمى ويظلُّ هنا تحت الشَّجرة إلى نهايةِ الدَّهر. لكن لعلَّ الأفضل أن تَقْتله بنفسها. لقد قتلتُ المُرَافِقَ في الخان وهو لم يفعل شيئًا إلا إمساك ذراعها، وكلب الصَّيْد قتلَ مايكا. مايكا وأكثر. أراهنُ أنه قتلَ مئة مايكا. وكان ليَقْتلها أيضًا على الأرجح لولا رغبته في الفدية.

التمع (الإبرة) إذ سحبتَه. على الأقلِّ حافظَ عليه بوليثير مشحودًا حادًا. دارت بجسدها إلى الجانبِ متَّخذةً وقفة راقصي المياه دون تفكير، وانسحقت أوراق الشَّجر الميتة تحت قدميها. بسرُّعة الثُّعبان، بنعومة الحرير الصَّيفي. وانفتحت عيناه، وسألها بهمسةٍ خشنة: «أتذكرين موضع القلب؟». بنبات الحجر وقفت قائلةً: «إنني... كنتُ فقط...».

دمدم: «لا تكذبي. إنني أكره الكاذبين، وأكره المحتالين الجُبَّاء أكثر. هلمِّي، افعليها»، ولَمَّا لم تتحرَّك أريا قال: «لقد قتلتُ صديقك صبيَّ الجزار، فلقتَه إلى نصفين وضحكك بعدها»، وأصدرَ صوتًا غريبًا استغرقت لحظةً قبل أن تُدرك أنه بُكاء وهو يُواصل: «والطائر الصَّغير، أختكِ الجميلة، وقفتُ في مكاني مرتديًا معطفي الأبيض وتركتهم يضربونها. الأغيَّة اللعينة أخذتها منها ولم تمنحني إياها، وأردتُ أن أخذها أيضًا، كان عليَّ أن أخذها، كان عليَّ أن أضاجعها حتى أدميها ثم أتزع قلبها من صدرها قبل أن أتركها لذلك القزم»، وتسنَّج وجهه ألمًا والتوت ملامحه وهو يُضيف: «أتريدين أن تجعليني أتوسَّلُ أيتها الحقيرة؟ افعليها! هديَّة الرِّحمة... انتقمي لمايكل...».

صاحت أريا: «مايكا!»، وتراجعت عنه قائلةً: «لست تستحقُّ هديَّة الرِّحمة».

شاهدتها كلب الصَّيْد تضع على كريفن سرجها بعينين ألهبتهما الحُمى، ولم يُحاول أن ينهض ويمنعها على الإطلاق، لكن حين امتطت الفرس قال: «الذئب الحقيقيَّة تُجهز على الحيوان الجريح».

ربما تجدك ذئاب حقيقية، ربما تشمُّ رائحتك عندما تغيب الشمس.  
وعندئذٍ سيعرف ما تفعله الذئاب بالكلاب.

قالت له: «لم يكن ينبغي أن تضربني بالفأس، كان ينبغي أن تُنقذ أمي»،  
ودارت بفرسها مبتعدةً عنه، ولم تنظر وراءها ولو مرةً.

وذات صباح مشمس بعد ستة أيام بلغت بقعةً بدأ فيها (الثالوث) يتسع  
وعبق الهواء برائحة الملح أكثر من الأشجار. ظلت قريبةً من الماء وهي تمرُّ  
بالحقول والمزارع، وبعد انتصاف النهار بقليل ظهرت أمامها بلدة أملت أن  
تكون (الملاحات). على المدينة تطلُّ قلعة، ليست أكثر من معقل صغير  
في الحقيقة، تتكوّن من بُرج مرّبع طويل واحد وفناء وسور. معظم المحال  
والخانات والحانات حول الكرفأ منهوب أو محروق، وإن كان بعضها لا يزال  
يبدو معمورًا، لكن المرفأ موجود وإلى جواره يمتدُّ (خليج السراطين) التي  
تتألاً مياهه بالأزرق والأخضر في نور الشمس.

وهناك سُفن.

ثلاث، ثلاث سُفن. اثنتان منها قادسان نهريّان، قاربا جرّ مصنوعان لمخر  
مياه (الثالوث)، أمّا الثالثة فأضخم، سفينة تجارية من سُفن البحر المالح تضمُّ  
صفين من المجاذيف ومقدّمة مذهّبة وثلاثة صوار طويلة أشرعتها الأرجوانية  
مطوية، وبدنها مطليّ بالأرجواني أيضًا. ركبت آرياً كريشن إلى الأرصفة لتلقي  
نظرةً أفضل. على عكس القرى الصّغيرة ليس الغُرباء بهذه الغرابة في المواني،  
فلم يُبدِ أحد اهتمامًا بمن تكون أو بما تفعله هنا.

احتاجُ إلى فضة. جعلها إدراكها هذه الحقيقة تعضُّ شفتها. كانا قد وجدا  
أيلاً فضياً وحفنةً من القطع النحاسية مع بوليشر، وثمانية أيائل مع المُرافق ذي  
البثور الذي قتلته، وبنسين لا أكثر في جراب المُدغدغ، لكن كلب الصّيد قال  
لها أن تخلع حذاءه وتشقُّ ثيابه الغارقة بالدماء، فأخرجت أيلاً من الإصبع  
الكبير في كل فردة وثلاثة تنانين ذهبيّة مخبّأة داخل خياطة سُترته الجلديّة،  
غير أن ساندور احتفظ بالثُقود كلها. لم يكن هذا عدلاً، الثُقود كانت ملكي  
كما هي ملكه. لو أنها أهدته الرّحمة... لكنها لم تفعل، ولا يُمكنها العودة كما  
لا يُمكنها توسّل المساعدة. توسّل المساعدة لا يدرُّ شيئاً منها أبداً. عليها أن  
تبيع كريشن وتأمل أن يكفي ثمنها.

عرفت من غلام على الأرصفة أن الاسطبل احترق، لكن المرأة التي تملكه لم تزل تُزاوِل التَّجَّارة وراء السَّيِّت. بلَعَتْها آريا بسهولة، ووجدتها امرأةً كبيرةً غليظةً نفوحٍ منها رائحة الخيول. راقَنتها كريش من النَّظرة الأولى وسألت آريا كيف تحصَّلت عليها، وابتسمت بِاتِّساع لإجابتها قائلة: «إنها فرس حسنة النَّسل، هذا واضح تمامًا، ولا أشك في أنها كانت ملكًا لفارس يا حُلوتِي، لكن الفارس لم يكن أخاك الذي مات. إنني أتعاملُ مع هذه القلعة التي ترينها هناك منذ سنوات، وأعرف كيف يبدو عليه القوم. الفرس حسنة النَّسل، أمَّا أنتِ فلا»، ووكزت صدر آريا بإصبعها مضيئة: «عثرت عليها أو سرقَتها، لا فرق. صغيرة وضيعةٍ مثلك لا تركب فرسًا كهذه بوسيلةٍ أخرى».

عضت آريا شفتها، وسألتها: «أيعني هذا أنك لن تبتاعِها؟». قهقهت المرأة مجيبة: «يعني أنك ستأخذين ما أعطيك إياه يا حُلوتِي، أو يُمكننا الذَّهاب إلى القلعة ولا تحصِّلين على أيِّ شيء، بل وربما يشقُّوك لسرقة فرس فارس طيِّب ما».

نصف دستة من أهالي (الملاحات) كانوا منشغلين بأمورهم حولهما، فعرفت آريا أنها لا تستطيع أن تقتل المرأة، وبدلاً من هذا عضت شفتها لائذة بالصَّمت وتركت نفسها تغشُّ وتنال كيس نقودٍ شديد الهزال، ولما طلبت المزيد مقابل السَّرج والزَّمام ولَفَّة النَّوم اكتفت المرأة بالصَّحك منها.

قالت لنفسها خلال مسيرة العودة الطويلة إلى الأرصفة: ما كان يُمكنها أن تغشَّ كلب الصَّيِّد. بدا كأن المسافة طالت ميلاً كاملاً منذ قطعَها ركوباً.

وجدت السَّفينة الأرجوانية في مكانها. لو كانت قد أبحرت بينما تُسرق آريا لما احتملت. حين وصلت كان رجل يُدحرج برميلاً من البتبع على لوح العبور، وعندما حاولت أن تتبعه إلى السَّطح زعقَ فيها بحار من أعلى بلُغة تجهلها، فقالت له: «أريد أن أرى الرُّبَّان»، لكنه رفع صوته زاعقاً أكثر، إلَّا أن الصَّخب جذب انتباه رجل أشيب ممتلئ يرتدي معطفاً من الصُّوف الأرجواني، وقد حدَّثها بالعامية قائلاً: «أنا الرُّبَّان هنا. ماذا تُريدين؟ تكلمي بسرعة أيتها الصَّغيرة، يجب أن نلحق بالمد».

قالت: «أريد أن أذهب شمالاً إلي (الجدار). هاك، يُمكنني أن أدفع»، وناولته كيس النقود مردفة: «حرس الليل لهم قلعة على البحر».

قال الرُّبَّانُ: «(القلعة الشَّرْقِيَّة)»، وأفرغَ الكيسَ على راحة يده، ثم سألها مقطَّبًا: «أهذا كلُّ ما معك؟».

لم يكن ضروريًّا أن يقول لها إن المبلغ لا يكفي، فقد علمت من التَّعبير على وجهه، لكنها قالت: «لن أحتاج إلى قمرَةٍ أو ما شابهه، يُمكنني أن أنام في المخزن أو...».

قال بحارٍ عابرٍ على كفته لَفَّةً من الصُّوف: «خُذها كفتاة قمرَةٍ، فلتنم معي». ردَّ الرُّبَّانُ بحدَّة: «احفظ لسانك».

قالت آريا: «يُمكنني أن أعمل، أنظف السُّطوح. لقد نظَّفتُ سلالم قلعةٍ من قبل، أو يُمكنني أن أجدف...».

قاطعها: «لا، لا يُمكنك»، وأعادَ إليها نقودها مضيِّفًا: «ولا فرق إذا كان يُمكنك أيتها الصَّغيرة. ليس لنا شأن في الشَّمال، لا شيء هناك إلَّا الجليد والحرب والقراصنة. لقد رأينا دسَّتةً من سُفن القراصنة في الطَّرِيق شمالًا ونحن ندور حول (الرَّأس المتصدِّع)، ولا أرغبُ في رؤيتها ثانيةً. من هنا نُبحرُ إلى الوطن، وأقترحُ أن تفعلِ المِثل».

ليس لي وطن، وليس لي قطع، والآن ليس لي حصان حتى.

كان الرُّبَّانُ يلتفت عنها حين قالت: «ما هذه السَّفينة يا سيِّدي؟».

توقَّفَ ليمنحها ابتسامَةً ضجِرَةً محيبيًا: «القاليون»<sup>(1)</sup> (ابنة المارد)، من المدينة الحُرَّة (برافوس)».

قالت آريا فجأةً: «انتظر، معي شيء آخر». كانت قد دسَّتتها في ثيابها الدَّاخليَّة حفاظًا عليها، فمدَّت يدها تُنقِّب بين طَيَّاتها لتجدها بينما ضحك المَلَّاحون ووقفَ الرُّبَّانُ بنفاد صبرٍ واضح، وأخيرًا قال لها: «قطعة إضافيَّة من الفضة لن تصنع فارقًا أيتها الصغيرة».

انغلقت أصابعها عليها قائلةً: «ليست من الفضة، بل الحديد. هاك»، ووضعت في يده العُملة الصَّغيرة المسكوكة من الحديد الأسود التي أعطها

(1) القاليون سفينة أكبر من القادس، أشرعتها مربَّعة وتُبحر بصفَّين أو ثلاثة من المجاذيف، وكانت تعدُّ أكبر سُفن الأسطول العثماني. (المترجم).

چا کن هاجار إياها، العُملة البالية لدرجة أن رأس الرَّجُل الذي عليها بلا ملامح على الإطلاق. إنها بلا قيمة غالبًا، ولكن...  
قلَّبها الرُّبَّان في يده وحملَقَ إليها، ثم عادَ يَنظُرُ إلى آريا متسائلًا: «هذه... كيف...».

چا کن قال أن أذكر الكلمتين أيضًا. عقدت آريا ذراعيها على صدرها، وبصوت عالٍ قالت كأنها تعي معنى العبارة: «فالار مورجولس».  
أجابها مأسًا جبينه بإصبعين: «فالار دوهايرس. بالطبع ستَحْصُلين على قمر».



## سامويل

قالت جيلي مملسةً على رأس الرضيع الذي رفعته إلى حلمتها: «يرضع بشراهة أكثر من صغيري».

أجابتها الشقراء قال التي يُسمِّيها الإخوة السود الأميرة الهمجية: «إنه جائع. لقد عاش على حليب الماعز وعقاقير المايستر الضرير فقط حتى الآن».

كابن جيلي، ليس للصبي اسم بعد كما هي عادة الهمج، وعلى ما يبدو لن يحصل ابن مانس رايدر نفسه على اسم قبل أن يبلغ عامه الثالث، وإن كان سام قد سمع الإخوة يدعونه بالأمير الصغير ووليد المعركة.

شاهد الصبي يرضع من ثدي جيلي، ثم شاهد جون يُشاهد. جون مبتسم. ما زالت ابتسامته حزينة، لكنها بالتأكيد ابتسامه، وقد سرَّ سام لمرآها. أول مرة أراه يتسم منذ عدت.

كانا قد سارا من (قلعة الليل) إلى (البحيرة الطويلة)، ومن هناك إلى (بوابة الملكة)، سالكين دربًا ضيقًا من قلعة إلى التالية دون أن يغيب (الجدار) عن أنظارهما أبدًا، وعلى بُعد يوم ونصف من (القلعة السوداء) وهما يمضيان على أقدام متقرحة، سمعت جيلي خيولًا من ورائهما، والتفتت لترى فرقة من الخيالة السود مقبله من الغرب، فطمأنها سام قائلاً: «إنهم إخوتي. لا أحد يستخدم هذا الطريق إلا حرس الليل». أتضح أنه السير دينس ماليستر القادم من (برج الظلال) ومعه باون مارش الجريح والناجون من معركة (جسر الجماجم)، ولما رأى سام كلاً من دايوين والعماق وإد توليت الكتيب خرَّ باكياً.



منهم سمع سام بالمعركة التي دارت عند (الجدار)، وقال له العملاق: «ستانيس رسا بفرسانه في (القلعة الشَّرقيَّة)، وقاده كوتر بايك على طُرق الجِوالة ليُدهمهم الهَمَج. لقد دحرهم. مانس رايدر وقع في الأسر وقُتِل ألف من خيرة مُحاربيه، بما فيهم هارما رأس الكلب، وسمعنا أن الباقيين تفرَّقوا كورق الشَّجر في عاصفة». ففكر سام: الشُّكر للآلهة. لو لم يضلَّ الطُّريق وهو متَّجه جنوبًا من (قلعة كراستر) فربما كان ليجد نفسه وجيلي في قلب المعركة... أو معسكر مانس رايدر على أقلِّ تقدير، وربما كان شيء كهذا ليُناسب جيلي وطفلها، أمَّا هو فلا. لقد سمع سام كلَّ ما يُحكى عمَّا يفعله الهَمَج بالغرِبان الأسرى، وارتجفت أوصاله لمجرَّد الفكرة.

على أن شيئًا مما حكاه له إخوته لم يُهيئته لما وجدَه في (القلعة السُّوداء). رأى القاعة العامَّة محترقةً عن بكرة أبيها، والسَّلام الهائلة كومةً من الجليد المهشَّم والأخشاب المتفحَّمة. مات دونال نوي، ومات راسد وديك الأصم وآلن الأحمر وكثيرون غيرهم، لكنه ألقى القلعة مزدحمةً أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، ليس بالإخوة السُّود وإنما بما يربو على ألفٍ من جنود الملك. الآن في (بُرج الملك) ملك للمرَّة الأولى منذ عصور، ورايات تخفق على (الرَّمح) و(بُرج هاردين) و(الحصن الرَّمادي) و(قاعة الثُّروس) ومبانٍ أخرى ظلت خاليةً مهجورةً أعوامًا. قال لجيلي التي لم ترَ راياتٍ من قبل: «الرَّاية الذهبيَّة الكبيرة ذات الوعل الأسود راية عائلة باراثيون الملكيَّة، والثعلب والزُّهور رمز عائلة فلورنت، والشُّلحفاة رمز إسترمونت، وسيَّاف البحر رمز بار إمون، والبوقان المتقاطعان رمز ونسينجتون».

أشارت قائلة: «كلُّها زاهية كالأزهار. تُعجبني الرِّايات الصِّفراء التي عليها نار. وانظر، بعض المقاتلين على قمصانهم الصُّورة نفسها».

- «قلب ناري. لا أدري رمز من هذا».

سرعان ما عرفَ الإجابة. أخبره پيب بعد أن شهِقَ وصاح: «اركضوا وأوصدوا الأبواب يا أولاد، لقد عادَ سام القاتل من القبرا!»، بينما احتضنه جرن بقوةٍ حسبَ أنها ستُحطَّم ضلوعه—بعد كلِّ هذا أخبره پيب: «إنهم رجال الملكة، لكن لا تسَل أحدًا عن الملكة نفسها. لقد تركَّها ستانيس في (القلعة الشَّرقيَّة) مع ابنتهما وأسطوله، ولم يُحضِر نساءً معه إلا الحمراء».

سأل سام حائراً: «الحمراء؟».

أجابَه جرن: «مليساندرا الأَشاييَّة، مشعوذة الملك. يقولون إنها أحرقت رجلاً حيًّا في (دراجونستون) كي تُواتي الرِّيح ستانيس في رحلته شمالاً، وركبت إلى جواره في المعركة أيضاً وأعطته سيفه المسحور الذي يُسمونه (جالب الضياء). انتظر حتى تراه. إنه يتوهَّج كأن في داخله قطعة من الشَّمس»، وعادَ يرمُق سام وابتسمَ رغماً عنه ابتسامةً كبيرةً سخيفةً قائلاً: «ما زلتُ لا أصدِّقُ أنك هنا».

چون سنو أيضاً ابتسمَ لرؤيته، لكن ابتسامته كانت متعبَةً كالتي على وجهه الآن إذ قال له: «عدتَ رغم كلِّ شيء، وخرجت بجيلي من هناك أيضاً. أحسنتُ صنْعاً يا سام».

حسب ما سمعه سام من جرن فقد أحسنَ چون نفسه صنْعاً وأكثر، لكن حتى استيلاؤه على بوق الشِّتاء وأسرِه أميراً همجياً لم يكفِ السير أليسر ثورن وأصدقاءه الذين ما زالوا يتهمونه بالمروق، ومع أن المايستر إيمون قال إن جرحه يلتئم جيِّداً فما زالت في كيان چون ندوب أعمق من التي تُحيط بعينه. إنه حزين على فتاته الهمجيَّة وإخوته.

قال لسام: «غريب حقًّا. لم يكن هناك وُدٌّ بين كراستر ومانس، لكن الآن تُرضع ابنة كراستر ابن مانس».

ردَّت جيلي بنبرة ناعمةٍ خجول: «عندي لبن يكفي. صغيري لا يرضع إلا القليل. إنه ليس شرها كهذا».

التفتت الهمجيَّة قال تُواجههما قائلةً: «سمعتُ رجال الملكة يقولون إن المرأة الحمراء تنوي الرِّجِّ بمانس في النَّار بمجرد أن يستردَّ قوَّته كفايةً».

رمَقها چون بإرهاق، وقال: «مانس متهرَّب من حرس اللِّيل، وعقوبة هذا الموت. لو أسره الحرس لكانوا قد شَنَّقوه بالفعل، لكنه أسير الملك، ولا أحد يعرف ما في طويَّة الملك إلا المرأة الحمراء».

قالت قال: «أريدُ أن أراه، أريدُ أن أريه ابنه. إنه يستحقُّ هذا على الأقل قبل أن تقتلوه».

حاول سام أن يشرح قائلاً: «ليس مسموحاً لأحدٍ برؤيته إلا المايستر إيمون يا سيِّدتي».

وأضافَ چون وقد اختفتَ ابتسامته: «لو كان الأمر بيدي لحملَ مانس ابنه. آسفٌ يا قال»، والتفتَ عنها مضيئاً: «أنا وسام لدينا واجبات يجب أن نعود إليها، أو أن سام لديه واجبات على الأقل. سنستعلم بخصوص رؤيتك مانس، لا أستطيع أن أعدك بأكثر من هذا».

تلکاً سام ليعتصر يد جيلي ويعدها بالعودة بعد العشاء، ثم أسرع يلحق بچون. خارج الباب وقفَ حارسان من رجال الملكة يحملان حربتين، وكان چون قد نزل حتى منتصف السّلام، لكنه توقّف عندما سمعَ سام يلهث وراءه، وقال: «ليس ما تشعُر به نحو جيلي مجرد شغف، أليس كذلك؟».

تخصّب وجه سام بحمرة الخجل، وقال: «جيلي فتاة طيّبة، طيّبة وعطوف». إنه سعيد لأن كابوسه الطويل انتهى، سعيد لعودته وسط إخوته في (القلعة السوداء)... لكن ليالي تمرُّ عليه أحياناً وهو وحيد في حُجيرته يُفكر في الدّفء الذي انبعث من جسد جيلي وهما متصاممان تحت الأغطية وبينهما وليدها. «لقد... لقد جعلتني أشجع يا چون، لم تجعلني شجاعاً... وإنما أشجع».

قال چون برفق: «تعلم أنك لا تستطيع الاحتفاظ بها كما لم أستطع البقاء مع إيجريت. لقد حلفت اليمين يا سام، مثلي ومثلنا جميعاً».

- «أعرف. جيلي قالت إنها ستكون زوجتي، لكني... أخبرتها بأمر اليمين وما تعنيه. لا أدري إن كان هذا قد أحزنها أم أسعدها، لكني أخبرتها»، وازدرد لعابه بتوتّر متسائلاً: «چون، هل يُمكن أن يكون هناك شرف في كذبة إذا قيلت... لغرضٍ وجيه؟».

أجابَ چون: «أظنُّ أن الأمر يعتمد على الكذبة والغرض»، ونظرَ إلى سام متابعاً: «لكني لا أنصحك بهذا. إنك لست مخلوقاً للكذب يا سام، وجهك يتورّد وتصرُّ وتلعثم».

قال سام: «صحيح، لكن يُمكنني أن أكذب في رسالة. إنني أفضلُ وفي يدي ريشة. لقد... خطرَت لي فكرة. عندما تستقرُّ الأمور أكثر هنا... فكرتُ أن أصلح شيءٍ لجيلي... فكرتُ أن أرسلها إلى (هورن هيل)، إلى أمي وأخواتي و... وألأبي. إذا قالت جيلي إن الطفل ابني...»، وعادَ وجهه يصطبغ بالأحمر وهو يواصل: «أعرفُ أن أمي ستريده. ستجد مكاناً لجيلي،

خدمةً ما لن تكون بصعوبة خدمتها كراستر، واللورد ررانلد لن ... لن يقول هذا أبدًا، لكن قد يسرُّه أنني أنجبْتُ نغلاً من فتاة همجيّة. على الأقل سيثبت له هذا أنني تمتعتُ بالرجولة الكافية لأن أنام مع امرأة وأنجب طفلًا. ذات مرّة قال لي إنني سأموتُ كأني عذراء بكل تأكيد، إن لا امرأة... كما تعلم... چون، إذا فعلتها، إذا كتبتُ هذه الرسالة... هل سيكون هذا شيئًا جيّدًا؟ الحياة التي سيحظى بها الصّبي...».

قال چون: «أن ينشأ نغلاً في قلعة جدّه؟»، وهزّ كتفيه مردفًا: «سيعتمد هذا إلى حدّ كبير على أبيك والصّبي نفسه. إذا نسج على منوالك، ف...».

- «لن يحدث. كراستر أبوه الحقيقي. لقد رأيته بنفسك، كان قويًّا كجذع شجرة عجوز، وجيلي أقوى مما تبدو».

- «إذا أبدى الصّبي أيّ براعة في القتال بالسيف والرّمح، فالمفترض أن يحظى بمكان مع حرس أهل بيت أبيك على الأقل. ليس غريبًا أن يُدرّب النّغول على أن يكونوا مُرافقين ويُرقّوا إلى الفروسية أيضًا، لكن عليك أن تتيقّن من أن جيلي ستستطيع أن تلعب تلك اللعبة بإقناع. مما حكيته لي عن اللورد راندل أشك في أنه يتساهل مع من يخدعه».

عند قاعدة سلالم البرج وقفَ مزيد من الحُرّاس، لكن هؤلاء من رجال الملك، وقد تعلّم سام الفرق سريعًا. رجال الملك بذئون أثيمون ككلّ من سواهم من جنّد، أمّا رجال الملكة فمتعصّبون في إخلاصهم لمليساندرا الأشايّة وإله الضّياء الذي تعبّده.

سألَ سام وهما يقطعان السّاحة: «هل ستعود إلى ساحة التّدريب؟ أمن الحكمة أن تكدّ في التّدريبات قبل أن تُشفى ساقك تمامًا؟».

هزّ چون كتفيه محببًا: «وهل هناك شيء آخر أفعله؟ مارش أقصاني من الواجب خشيةً من أنني ما زلتُ مارفًا».

- «قليلون فقط يُصدّقون ذلك، السير أليسر وأصدقائه، لكن معظم الإخوة أعقل من هذا، وأراهن أن الملك ستانيس يعرف أيضًا. لقد جلبت له بوق الشّتاء وأسرت ابن مانس رايدر».

- «كلّ ما فعلته أنني حميتُ قال والرّضيع من اللّصوص حين فرّ الهمج وأبقيتهما هناك إلى أن وجدنا الجوّالة، لكنني لم أسر أحدًا. واضح أن الملك

ستانيس يُسَيِّرُ عليّ رجاله بيدٍ من حديد. صحيح أنه يسمح لهم بالنهب قليلاً، لكنني لم أسمع إلا باغتصاب ثلاث نساء فقط، والرّجال الذين اغتصبوهن خُصّوا جميعاً. أظنُّ أنه كان عليّ أن أقتل الأحرار وهم يفرّون. السير أليسر يُشيع أن المرّة الوحيدة التي جرّدتُ فيها سيفي كانت للدّفاع عن أعدائنا، ويقول إنني لم أقتل مانس رايدر لأنني تواطأتُ معه».

قال سام: «هذا كلام السير أليسر فقط. الجميع يعلمون كنه هذا الرّجل». ربما كان السير أليسر ثورن ليُصبح مرشّحاً قوياً للمنافسة على منصب القائد لمولده النّبيل وفُروسيّته وسنينه الطويلة في حرس اللّيل، لكن أغلب من تدربوا على يديه خلال خدمته كقيم سلاح يَمقُتونه. لقد طرح اسمه بالطبع، لكن بعد حصوله الضّعيف على المركز السّادس في اليوم الأوّل من التّصويت وخسارته أصواتاً في اليوم الثّاني انسحب ثورن ليدعم اللورد چانوس سلينت. ردّ چون: «ما يعلمه الجميع أن السير أليسر فارس من سلالة نبيلة وابن شرعي، أمّا أنا فالنّغل الذي قتل كورين ذا النّصف يد وضاجع زوجة حربى، الوازج كما سمعتهم يدعونني. قل لي، كيف أكون وارثاً بلا ذنب؟»، والتوى فمه وهو يتابع: «لم أعد أحلم بجوست حتى. أحلامي كلّها بالسّرديب والملوك الحجريّين على غروشهم. أحياناً أسمع صوت روب وأبي كأنهما في مادبة، لكن هناك جداراً بيننا، وأعرف أنهم لم يُخصّصوا لي مكاناً على المائة».

لا مكان للأحياء في مادب الموتى. تمزّقت نياط قلب سام لحظتها لاضطرابه التزام الصّمت على حين يُريد أن يقول: بران لم يمُت يا چون، إنه مع أصدقائه في الطريق شمالاً على متن إلكة عملاقة للعثور على غراب بثلاث أعين في أعماق (الغابة المسكونة). المسألة كلّها تبدو جنونيّة لدرجة أن سام تارلي يحسب أحياناً أنه كان حلماً تفتّق عنه عقله من جرّاء الحُمى والخوف والجوع... لكنه كان ليندفع ويقول كل شيء لولا الوعد الذي قطعته على نفسه.

ثلاث مرّات أقسم على أن يصون السّر؛ مرّة لبران نفسه ومرّة لفتى الغريب چوچن ريد، وأخيراً لذي اليدين الباردتين. فُيّل أن يرحلوا قال له منقذه: «العالم يعتقد أن الصّبي ميت، فدع رُفاته يرقُد في سلام. لا تُريد أن

يسعى أحد وراءنا. أقسم يا سامويل يا رجل حرس الليل، أقسم بحق الحياة التي تُدين لي بها».

ببؤس نقل سام ثقله من ساق إلى الثانية قائلاً: «اللورد چانوس لن يُنتخب قائداً أبداً، لن يحدث». إنها أفضل مواساةٍ يستطيع أن يُقدّمها لچون، المواساة الوحيدة.

قال چون: «أنت أحمق طيب يا سام. افتح عينيك. إنهم ينتخبونه بالفعل منذ أيام»، وأزاح شعره عن عينيه مضيفاً: «ربما لا أعلم شيئاً، لكنني أعلم هذا. والآن بعد إذنك، أريد أن أضرب أحداً بسيفٍ بكل قوتي».

لم يستطع سام إلا أن يُشاهده يتحرك بخطى واسعة نحو مستودع السلاح وساحة التدريب التي يقضي فيها چون سنو أكثر ساعات يقظته. بموت السير إندرو وعدم اكتراث السير أليسر لم يُعد هناك قيم سلاح في (القلعة السوداء)، فأخذ چون على عاتقه تدريب عددٍ من المستجدين، كساتان والجواد وأرون وإمريك وروبن النطاط بقدمه المعوّجة، وحين ينصرفون إلى واجباتهم يتدرب وحده طيلة ساعاتٍ بالسيف والثرس والحربة، أو يواجه من يرغب في منازلته أيّاً كان.

طوال الطريق إلى مسكن المايستر لم يسمع إلا كلمات چون: أنت أحمق طيب يا سام. افتح عينيك. إنهم ينتخبونه بالفعل منذ أيام. أيُمكن أن يكون مصيباً؟ لأجل أن يُصبح الرّجل حصرة قائد حرس الليل فلا بُدّ أن يُحرز أصوات ثلثي الإخوة المحلّفين، وبعد تسعة أيام وتسعة تصويتات ما زال المرشّحون جمعاء بعيدين كل البعد عن ذلك. صحيح أن اللورد چانوس يتقدّم، وقد تجاوزَ باون مارش ثم أوثيل يارويك بالفعل، لكنه لا يزال متخلفاً بكثير عن السير دينس ماليستر قائد (برج الظلال) وكوتر پايك قائد (القلعة الشرفيّة). مؤكّد أن أحدهما سيُصبح القائد الجديد.

عيّن ستانيس حُرّاً خارج باب المايستر أيضاً، وفي الدّاخل كانت الغُرف حارّةً مزدحمةً بجرحى المعركة من إخوة سُود ورجال الملك ورجال الملكة، يتحرك كلايداس بينهم بدوارق من حليب الماعز ونبيد النّوم، لكن المايستر إيْمون لم يرجع بعد من زيارته الصّباحيّة إلى مانس رايدر. علق سام معطفه على مشجبٍ وبدأ يُساعد، لكن حتى وهو يُحضّر المشروبات ويصبّها ويُعير

الصَّمَادَات ظَلَّتْ كَلِمَاتٍ چون تُكَدِّرُهُ. أَنْتِ أَحْمَقُ طَيْبٌ يَا سَامَ. افْتَحِ عَيْنَيْكَ.  
إِنَّهُمْ يَنْتَخِبُونَهُ بِالْفِعْلِ مِنْذُ أَيَّامٍ.

سَاعَةٌ كَامِلَةٌ مَرَّتْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْاسْتِئْذَانُ لِإِطْعَامِ الْغِدْفَانِ، وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَغْدِفَةِ بِالْأَعْلَى تَوْقَفُ يُرَاجِعُ الْجَدُولَ الَّذِي صَنَعَهُ بِاقْتِرَاعِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ. فِي بَدَايَةِ الْإِنْتِخَابِ طَرِحَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ اسْمًا، لَكِنْ أَغْلِبَهُمْ أَنْسَحَبَ فَوْرَ أَنْ أَنْضَحَ أَنْ فَوْزَهُمْ لَيْسَ مُمْكِنًا، وَاعْتِبَارًا مِنَ الْبَارِحَةِ تَبَقَّتْ أَسْمَاءُ سَبْعَةٍ. جَمَعَ السَّيْرُ دَيْنِسَ مَالِيَسْتَرَ 213 رَمْزًا، وَكَوْتَرَ پَايِكَ 187، وَاللُّورْدَ سَلِينْتَ 74، وَأُوثِيلَ يَارُويِكَ 60، وَبَاوْنَ مَارَشَ 49، وَهَوْبَ ذُو الثَّلَاثِ أَصَابِعَ 5، وَإِدَ تُولَيْتَ الْكَيْتِبَ وَاحِدًا. پِيپَ وَدُعَابَاتِهِ السَّمْمَجَةَ. رَاجَعَ سَامَ الْإِقْتِرَاعَاتِ السَّابِقَةَ فَوَجَدَ السَّيْرَ دَيْنِسَ وَكَوْتَرَ پَايِكَ وَبَاوْنَ مَارَشَ يَتَرَاجَعُونَ مِنْذُ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَأُوثِيلَ يَارُويِكَ مِنْذُ السَّادِسِ، وَوَحْدَهُ چَانُوسَ سَلِينْتَ يَتَقَدَّمُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ.

سَمِعَ الطَّيُورَ تَعَبَ فِي الْمَغْدِفَةِ، فَوَضَعَ الْأَوْرَاقَ وَصَعَدَ يُطْعِمُهُمَا، وَسَرَّ لِرُؤْيَا ثَلَاثَةِ غِدْفَانٍ جَدِيدَةٍ وَصَلَّتْ. صَاحَتْ فِيهِ كَمَا عَلِمَهَا: «سَنُو، سَنُو، سَنُو، سَنُو!». حَتَّى مَعَ الْوَأَفْدِينَ الْجُدُدِ ظَلَّتْ الْمَغْدِفَةُ تَبْدُو خَاوِيَةً عَلَى نَحْوِ يُثِيرِ الْكِتَابَةِ، خُصُوصًا أَنْ قَلِيلًا مِنَ الطَّيُورِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِيمُونُ عَادَ. لَكِنْ أَحَدَهَا بَلَغَ سَتَانِسَ، أَحَدَهَا وَجَدَ (دِرَاجُونَسْتُونَ) وَمَلِكًا مَا زَالَ يُبَالِي. يَعْلَمُ سَامُ أَنْ عَلَى بَعْدِ أَلْفِ فَرَسَخٍ فِي الْجَنُوبِ ضَمَّ أَبُوهُ عَائِلَةَ تَارَلِي إِلَى قَضِيَّةِ الصَّبِيِّ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ الْحَدِيدِيِّ، لَكِنْ لَا الْمَلِكُ چُوفَرِي وَلَا الْمَلِكُ تَوْمَنْ الصَّغِيرَ تَحَرَّكَ حِينَ اسْتَعَاثَ بِهِ حَرَسَ اللَّيْلِ. مَا جَدَى الْمَلِكُ الَّذِي يَأْبَى الدَّفَاعَ عَنْ بِلَادِهِ؟ دَارَ السُّؤَالِ الْغَاضِبِ بِبَالِهِ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى قَمَّةِ (قَبْضَةِ الْبَشَرِ الْأَوَائِلِ) وَالرَّحْلَةَ الرَّهْيِيَّةَ إِلَى (قَلْعَةِ كِرَاسْتَرِ) الَّتِي حَفَّهَا الظَّلَامُ وَالخَوْفُ وَالثُّلُوجُ الْمَتَسَاقِطَةُ. صَحِيحٌ أَنْ رَجَالَ الْمَلِكَةِ يُوتَّرُونَ، لَكِنْهُمْ أَنْوَاءٌ عَلَى الْأَقْلِ. لَيْلَتَهَا عَلَى الْعَشَاءِ بَحَثَ سَامُ عَنْ چُونِ سَنُو، لَكِنْهُ لَمْ يَلْمَحْهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي الْقُبُورِ الْحَجَرِيِّ الْفَسِيحِ الَّذِي يَتَنَاوَلُ الْإِخْوَةَ فِيهِ وَجَبَاتِهِمُ الْآنَ، وَأَخِيرًا أَخَذَ مَكَانَهُ عَلَى الدَّكَّةِ قُرْبَ أَصْدِقَائِهِ الْآخَرِينَ. كَانَ پِيپَ يَحْكِي لِإِدِ الْكَيْتِبِ عَنْ الْمَسَابِقَةِ الَّتِي أَقَامُوهَا لِيُرَوا مَنْ مِنَ الْجُنُودِ الْقَشَّ سَيَجْمَعُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنْ سَهَامِ الْهَمَجِ، وَقَالَ: «كُنْتُ مُتَقَدِّمًا أَغْلِبُ الْوَقْتَ، لَكِنْ وَاتِ ابْنِ (الْبَحِيرَةِ الطَّوِيلَةِ) أَصِيبَ بِثَلَاثَةٍ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَخَطَّكَ».

قال إد متذمراً: «لا أريح في أي شيء أبداً، لكن لطالما ابتسمت الآلهة لوات. عندما أوقعه الهمج من فوق (جسر الجماجم) سقط في بركة ماء عميقة. ألم يكن محظوظاً لأنه لم يسقط على واحدة من الصخور العديدة؟». سأله جرن: «هل كانت سقطة طويلة؟ هل أنقذ وقوعه في الماء حياته؟». - «لا، كان قد مات بالفعل بضربة من بلطة في رأسه، لكن عدم وقوعه على الصخور يظل حظاً حسناً».

كان هوب ذو الثلاث أصابع قد وعدهم بفخذ ماموث مشوية هذا المساء، ربما على أمل أن ينال بضعة أصوات إضافية. إذا أراد هذا حقاً فكان ينبغي أن يجد ماموثاً أصغر سناً، فكر سام وهو يسحب قطعة قاسية من الغضروف من بين أسنانه، ثم دفع طعامه زافراً.

بعد قليل سيفتح باب التصوير مرة أخرى، والتوتر في الهواء أكتف من الدخان. جلس كوتر پايك عند النار محاطاً بجوالة (القلعة الشرقية)، والسير دينس ماليستر بالقرب من الباب مع مجموعة أصغر من رجال (برج الظلال). أدرك سام أن چانوس سلينت جالس في أفضل بقعة في المكان. في منتصف الطريق بين اللهب وتيار الهواء. انزعج لرؤية باون مارش جالساً إلى جواره بوجه ذابل وجسد مهزول، رأسه لا يزال ملفوفاً بالكثان، لكن أذنيه صاعيتان لكل كلمة يقولها اللورد چانوس، ولما ذكر سام هذا لأصدقائه قال ييب: «وانظر هناك، السير أليسريتهامس مع أوثيل يارويك».

عقب فروغهم من الوجبة نهض المايستر إيمون ليسأل إن كان أحد الإخوة يرغب في الكلام قبل أن يطرحوا رموزهم، فقام إد الكتيب بوجه حجري عابس كدأبه، وقال: «أريد فقط أن أقول لمن يَصوت لي أيّاً كان إنني سأكون قائداً شنيعاً، ولكن كذا الآخرون جميعاً».

تبعه باون مارش الذي وقف متوكئاً على كتف اللورد سلينت وهو يقول: «أيها الإخوة والأصدقاء، أطلب أن يُسحب اسمي من الاقتراع. ما زالت إصابتي تُثقل عليّ، وأخشى أن المهمة أكبر مني بكثير... وإنما ليس من اللورد چانوس الذي قاد ذوي المعاطف الذهبية في (كينجز لاندنج) أعواماً طويلة. دعونا ندعمه».

سمع سام همهماتٍ ساخطة من مجموعة كوتر پايك عند أقصى الغرفة،



على حين نظرَ السير دينس إلى أحد رفاقه وهزَّ رأسه. فات الأوان، الضرر وقع بالفعل. تساءل أين چون الآن ولم لم ينضمَّ إليهم.

معظم الإخوة أميون، ولذا جرت العادة على أن يتمَّ التصوير بطرح الرُّموز في مرجل حديدي متنفخ جرَّه هوب وأوين الجحش من المطبخ، وقد وُضعت براميل الرُّموز في رُكن وراء ستارة ثقيلة كي يختار المصوِّتون مرشحيهم دون أن يراهم أحد. مباحَّ لك أن تجعل صديقًا يُصوِّت بدلًا منك إذا كان عليك واجب، فأخذ بعض الرُّجال رمزين أو ثلاثة أو أربعة، وصوَّت السير دينس وكوتر بايك للحاميتين اللتين تركاهما في قلعتيهما.

حين فرغت القاعة من الجميع إلا ثلاثتهم، قلب سام وكلايداس المرجل أمام المايستر إيمون، فانهاه منه وابل من الأصداف والأحجار والبنسات النَّحاسية ليُعطي سطح الطاولة، وصنفت يدا إيمون المتغضَّتان الرُّموز بسرعةٍ مذهشة، دافعةً الأصداف إلى هنا والأحجار إلى هناك والبنسات إلى جانب وما قلَّ من رؤوس السُّهام والمسامير وجوزات البلوط إلى مكانه، وأحصى سام وكلايداس كل كومةٍ صانعًا بها جدولته الخاص.

الليلة جاء الدور على سام ليعلن نتائجه أولاً، فقال: «203 للسير دينس ماليستر، 169 لكوتر بايك، 137 للورد چانوس سلينت، 72 لأوثيل يارويك، 5 لهوب ذي الثلاث أصابع، و2 لإد الكئيب».

قال كلايداس: «أحصىت 168 لبايك. ينقصنا صوتان بإحصائي وواحد بإحصاء سام».

قال المايستر إيمون: «إحصاء سام سليم. چون سنو لم يطرح رمزًا، لكن لا يهمُّ، فلا أحد اقترب من الثلثين».

أحسن سام بالرَّاحة أكثر من خيبة الأمل، فحتى بدعم باون مارش ما زال اللورد سلينت الثالث. تساءل: «من الخمسة الذين يُصوِّتون لهوب كلِّ مرَّة؟». ردَّ كلايداس: «إخوة يُريدونه أن يخرج من المطبخ ربما؟».

قال سام: «السير دينس فقدَّ عشرة أصوات منذ الأمس، وكوتر بايك نحو عشرين. ليس هذا جيّدًا».

قال المايستر: «ليس جيّدًا لآمال كلِّ منهما في أن يُصبح القائد بالتأكيد، ولكن ربما يكون جيّدًا لحرس الليل في النهاية. ليس لنا أن نقول. عشرة أيام

ليست وقتًا بهذا الطول، فذات مرّة أُقيِمَ انتخاب دَامَ نحو عامين، ما يقرُب من سبعمئة تصويت. سيّخذ الإخوة قرارهم في الوقت الذي يُناسِبهم».

نعم، لكن ماذا سيقرّرون؟

لاحقًا، وفي أيديهم أكواب من البَيْدِ المخفّف بالماء في حُلوة حُجيرة بيب، أفلت لسان سام ووجد نفسه يُفكّر بصوت مسموع: «كوتر بايك والسير دينس ماليستر يخسران أصواتًا منذ أيام، لكن معًا تدنو أصواتهما من الثلثين. كلاهما يصلح لأن يكون قائداً. على أحدٍ أن يُقنع واحدًا منهما بالانسحاب ودعم الثاني».

سأله جرن بشك: «أحد؟ مثل من؟».

قال بيب: «جرن مغفّل لدرجة أنه يحسب أنه قد يكون هذا الأحد. ربما على هذا الأحد بعد أن يفرغ من بايك وماليستر أن يُقنع الملك ستانيس بالزواج بالملكة سرسي أيضًا».

اعترض جرن قائلاً: «الملك ستانيس متزوِّج».

تنهّد بيب وقال: «ماذا أفعل معه يا سام؟».

واصل جرن بعناد: «ليست هناك محبّة كبيرة بين كوتر بايك ودينس ماليستر. إنهما يتشاجران على كل شيء».

قال سام: «نعم، لكن فقط لأن أفكارهما تختلف عمّا في صالح الحرس، فإذا شرحنا نحن...».

قاطعته بيب: «نحن؟ كيف تغيّر «أحد» إلى «نحن»؟ أنا القرد المهرج، هل نسيت؟ وجرن... هو جرن»، وابتسم لسام وهزّه أذنيه مضيّفًا: «أمّا أنت... أنت ابن لورد ووكيل المايستر...».

قال جرن: «وسام القاتل الذي فتك بـ(آخر)».

للمرّة المئة قال له سام: «رُجاج التّنين هو ما قتله».

غمغم بيب متأملاً: «ابن لورد ووكيل المايستر وسام القاتل. ربما يُمكنك أن تُكلّمهما أنت».

قال سام بنبرة متجهّمة كنبرة إد الكئيب: «يُمكنني... لو لم أكن أجن من أواجههما».



## چون

بُطءٌ حَامٍ چون وسيفه في يده حول ساتان مجبراً إياه على الدّوران، وقال له: «ارفع تُرسك».

رَدَّ صَبِيٌّ (البلدة القديمة) بتبرُّم: «إنه ثقيل للغاية».

قال چون: «إنه بالثقل المطلوب لصدّ السُّيوف، والآن ارفعه»، وتقدّم مسدّداً ضربته، فأسرّع ساتان يرفع التُّرس في الوقت المناسب ليتلقّاها على الحافة، وبسيفه وجه ضربةً إلى ضلوع چون الذي قال عندما شعرَ بها تُصيب تُرسه: «عظيم، أحسنت، لكن عليك أن تضغط بجسديك. ضَعِ ثِقْلَكَ وراء الفولاذ وستُحدث ضرراً أكبر مما ستُحدثه قوّة ذراعك وحدها. هيا، جرّب ثانيةً، هاجمني، لكن ارفع تُرسك وإلّا دققتُ رأسك كالجرس...».

لكن بدلاً من هذا تراجع ساتان خُطوةً ورفعَ مقدّمة خوذته قائلاً بتوتُّر: «چون».

حين التفتَ وجدها واقفةً وراءه ومعها نصف دستة من رجال الملكة يُحيطون بها. لا عجب أن الصمّت رانَ على السّاحة. كان قد لمحَ مليساندرا عند نارها الليلية، وراها تذهب وتأتي في أنحاء القلعة، لكنه لم يرها من هذا القُرب البالغ قط. إنها جميلة... لكن في هاتين العينين الحمراوين ثمة شيء يُثير قَدراً من التّوجُّس ليس بهيّن.

- «الملك يُريد أن يتكلّم معك يا چون سنو».

أغمَدَ سيف التّدريب في الأرض قائلاً: «هل تسمحين بأن أبدل ثيابي أولاً؟ لستُ بهيئةٍ تسمح بالمشول أمام ملك».

قالت مليساندرا: «سننتظرك على قمّة (الجدار)».

تقول: «سننترك» لا «سينترك». ما يُقال صحيح إذن، هذه هي ملكته الحقيقية وليست التي تركها في (القلعة الشَّرِيقَة).

علّق قميصه المعدني ودرعه في مستودع السّلاح، ثم عادَ إلى حُجبرته حيث خلّع ملابسه الملوّثة بالعرق وارتدى طقمًا نظيفًا من الأسود. ستكون البرودة والريّح شديديّتين في القفص، وأشدّ على قَمّة الجليد، فانتقى معطفًا ثقيلًا بقلنسوة، وأخيرًا التقط مخبله الطويل وعلّق السيف النّغل على ظهره. انتظرته مليساندرا عند سفح (الجدار) وقد صرفت رجال الملكة، وسألها چون وهما يدُخلان القفص: «ماذا يُريد جلالته مني؟».

- «كلّ ما لديك يا چون سنو. إنه ملك».

أغلّق الباب وشدّ حبل الجرس، فبدأت الرّافعة تدور والقفص يرتفع. كان نهارًا ساطعًا و(الجدار) يذرف خيوطًا طويلةً من الماء سالت على وجهه ملتمةً في الشّمس. في كنف القفص الحديدي الضيق أحسّ چون بحضور المرأة الحمراء القوي. رائحتها ذاتها حمراء. ذكرته برائحة ورشة يمكن حين كان الحديد يلتهب كالحمم، رائحة الدخان والدّم، وفكّر متذكّرًا إيجريت: قبّلتها النّار. تخلّلت الرّيح ثياب مليساندرا الطويلة الفضفاضة وجعلت أطرافها تضرب ساقَي چون الواقف إلى جوارها، فسألها: «ألا تشعُرِين بالبرد يا سيّدتي؟».

ضحكت مجيئةً والياقوتة على حلّقها تبدو كأنها تنبض بالتزامن مع قلبها: «أبدًا. نيران الإله حيّة في داخلي يا چون سنو. انظر»، ووضعت يدها على وجنته وتبّنتها هناك ليستشعر ما ينبعث منها من دفء، وأردفت: «هكذا ملمس الحياة. وحده الموت بارد».

وجدتا ستانيس باراثيون واقفًا وحده على قَمّة (الجدار)، يتطلّع إلى الميدان الذي ربح فيه معركة والغابة الخضراء الشاسعة وراءه، وقد ارتدى سراويلَ وسُترةً وحذاءً بسواد ثياب إخوان حرس اللّيل، لا يُميّزه عنهم إلّا المعطف الدّهبي الثّقيل الموشى بالفرو الأسود، والمثبّت بمشبكٍ على شكل قلب ناري.

قالَت مليساندرا: «أحضرتُ لك نغل (ويتترفل) يا جلالة الملك».

التفت ستانيس يرّمقه بإمعان. تحت حاجبيه الثّقيلين عينان كلّجّتين

زرقاوين بلا قرار، وتُعْطِي وجنتيه الغائرتين وفكّه القوي لحية سوداء مائلة إلى الزُّرْقَة مشدّبة بعناية، وإن لم تُفْلِح كثيراً في إخفاء نحول وجهه. أسنانه منطبقة وعضلات عنقه وكتفيه ويُمناه مشدودة، ولدى مرآها وجدّ چون نفسه يتذكّر شيئاً قاله له دونالد نوي عن الإخوة باراثيون. روبرت كان الفولاذ الحقيقي، وستانيس حديد خالص، أسود وصُلب وقوي، لكنه هَشُّ كما الحديد، سينكسر قبل أن ينحني. بصعوبة ركع متسائلاً عمّا يُريده هذا المَلِك الهَشُّ منه.

- «انهض. سمعتُ الكثير جدّاً عنك يا لورد سنو».

نهضَ چون قائلاً: «لستُ لوردًا يا مولاي. أعرفُ ما سمعته، أني مارق جبان، أني قتلْتُ أخي كورين ذا النِّصْف يد كي يُبقي الهَمَج على حياتي، أني ركبْتُ مع مانس رايدر وتزوَّجتُ همجيّةً».

قال الملك ستانيس وعلى شفّته ابتسامة قاسية: «أجل، سمعتُ كلَّ هذا وأكثر. يقولون إنك وازج أيضًا، مبدلٌ جِلْدَة يسري ليلاً في صورة ذئب. كم من هذا صحيح؟».

- «كان لي ذئب رهيب اسمه جوست، تركته حين تسلّقتُ (الجدار) قُرب (الحارس الرّمادي) ولم أره منذ ذلك الحين. كورين ذو النِّصْف يد أمرني بالانضمام إلى الهَمَج. كان يعلم أنهم سيجعلوني أقتله لأثبت نفسي، وقال لي أن أفعل ما يُطلّب مني أيّاً كان. المرأة كان اسمها إيجريت، وقد خالفتُ يميني معها، لكني أقسمُ لك باسم أبي أنني لم أمرق قَطُّ».

قال الملك: «أصدّقك».

سأله مذهولاً: «لماذا؟».

ضحك ستانيس بسخريةٍ مجيِّباً: «لأنني أعرفُ چانوس سلينت وعرفتُ ند ستارك أيضًا. لم يكن أبوك صديقي، لكن ما من أحدٍ يُشكك في شرفه وصدقه إلّا وكان أحمق. إنك تُشبهه». لستانيس باراثيون قامة فارعة تَبْسُق فوق قامة چون الأقصر، إلّا أن نحوله الشّدِيد يجعله يبدو أكبر عشرة أعوام من سنّه الفعلية. تابع الملك: «أعرفُ أكثر مما تتصوّر يا چون سنو، أعرفُ أنك عثرت على خنجر زُجاج التّنين الذي قتلَ به ابن راندل تارلي (الآخر)».

- «جوست عثرَ عليه. كان الخنجر ملفوفًا بمعطف جِوَالٍ مدفون عند

سَفَحَ (قَبْضَةُ الْبَشَرِ الْأَوَائِلِ)، وَمَعَهُ أَسْلِحَةٌ أُخْرَى، رُؤُوسَ سِهَامٍ وَرُؤُوسَ حِرَابٍ، كُلُّهَا مِنْ رُجَاغِ التَّنِينِ». قَالَ الْمَلِكُ سَتَانِيْسَ: «أَعْرِفُ أَنَّكَ دَافَعْتَ عَنِ الْبَوَابَةِ هُنَا، وَلَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَوَصَلْتُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ».

- «دُونَالِ نُوِي دَافَعَ عَنِ الْبَوَابَةِ وَمَاتَ فِي التَّنْفِقِ وَهُوَ يُقَاتِلُ مَلِكَ الْعِمَالِقَةِ». تَجَهَّمُ سَتَانِيْسَ قَائِلًا: «نُوِي صَنَعَ لِي سَيْفِي الْأَوَّلَ، وَمَطْرَقَةُ رُوبَرْتِ أَيْضًا. لَوْ شَاءَ الْإِلَهَ أَنْ يَتْرَكَهُ حَيًّا لِأَصْبَحَ قَائِدًا أَفْضَلَ لَجَمَاعَتِكُمْ مِنْ كُلِّ الْحَمَقِيِّ الْأَخْرَيْنِ الَّذِينَ يَتَنَارَعُونَ عَلَى الْمَنْصَبِ الْآنَ».

- «كُوتِرَ پَايِكِ وَالسَّيْرِ دِيْنَسِ مَالِيْسْتِرِ لِيْسَا أَحْمَقِيْنِ يَا مَوْلَايَ، پِلَ رَجْلَانِ صَالِحَانِ قُوِيْمَانِ، وَأُوْثِيْلَ يَارُوِيَكِ أَيْضًا عَلَى طَرِيْقَتِهِ. لَقَدْ حَازَ كُلُّ مِنْهُمْ ثِقَةً الْلُورْدِ مَورْمُونْتِ».

- «الْلُورْدِ مَورْمُونْتِ كَانَ يَثِقُ بِسَهْوَلَةٍ، وَإِلَّا لَمَا مَاتَ كَمَا مَاتَ. لَكِنَّا نَتَكَلَّمُ عِنْدَكَ. إِنْنِي لَمْ أُنَسَ أَنَّكَ أَحْضَرْتَ لَنَا ذَلِكَ الْبُوقَ الْمَسْحُورَ وَقَبِضْتَ عَلَى زَوْجَةِ مَانَسِ رَايْدِرِ وَابْنِهِ».

- «دَالَا مَاتَتْ»، أَجَابَ چُونِ الَّذِي مَا زَالَ يَحْسُ بِالْحُزْنِ عَلَيْهَا. «قَالَ أَحْتَهَا، وَلَمْ يَتَطَلَّبِ الْقَبْضَ عَلَيْهَا وَالرَّضِيعَ أَيَّ مَجْهُودٍ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكِ. كَانَ الْهَمْجُ يَفْزُونَ مِنْكَ، وَمَبْدَلُ الْجِلْدَةِ الَّذِي تَرَكَهُ مَانَسٌ لِحِرَاسَةِ مَلِكْتِهِ جُنَّ حِينَ احْتَرَقَ النَّسْرُ»، وَرَمَقَ مَلِيْسَانْدِرَا مُرْدَفًا: «الْبَعْضُ يَقُولُونَ إِنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا». ابْتَسَمَتْ قَائِلَةً وَشَعَرَهَا التُّحَاسِي الطَّوِيلَ يَنْسُدِلُ عَلَى وَجْهَيْهَا: «إِلَهَ الضِّيَاءِ بَرَاثِنُهُ مِنْ نَارِ يَا چُونِ سَنُو».

أَوْمَأَ چُونُ بِرَأْسِهِ، وَعَادَ يَلْتَفِتُ إِلَى الْمَلِكِ قَائِلًا: «عَلَى ذِكْرِ قَالِ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكِ، لَقَدْ طَلَبْتَ أَنْ تَرَى مَانَسَ رَايْدِرِ وَتَأْخُذَ ابْنَهُ إِلَيْهِ. سَيَكُونُ هَذَا... مَعْرُوفًا».

- «الرَّجُلُ مَتَهَرَّبٌ مِنْ جَمَاعَتِكُمْ وَإِخْوَتِكَ كُلُّهُمْ مَصْرُورُونَ عَلَى مَوْتِهِ، فَلِمَ أَسْدِيهِ مَعْرُوفًا؟».

لَمْ يَجِدْ چُونُ إِجَابَةً لِلسُّؤَالِ، وَاکْتَفَى بِقَوْلِهِ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَلِقَالُ، لِأَجْلِ خَاطِرِ أُخْتِهَا أُمِّ الصَّبِيِّ».

- «أَأَنْتِ شَغُوفٌ بِقَالِ هَذِهِ؟»

- «إنني أعرفها بالكاد».

- «يقولون لي إنها جميلة».

- «جدًّا».

قال ستانيس: «الجمال خداع أحيانًا. أخي تعلم هذا الدرس من سرسي لانستر. لقد قتلته، لك أن تثق بهذا، وقتلت أباك وچون آرن أيضًا»، وعقد حاجبيه مستطردًا: «أنت ركبت مع هؤلاء الهمج. هل تعتقد أنهم يتمتعون بالشرف؟».

- «نعم، لكنه شرف من نوع يخصهم يا مولاي».

- «حتى مانس رايدر؟».

- «نعم».

- «وسيد العظام؟».

تردد چون قبل أن يجيب: «كنا نلقبه بذي القميص المُخشخش. إنه غادر متعطش للدماء، وإذا كان يتحلّى بأيّ شرف فإنه يخفيه تحت قميصه العظمي».

- «والرجل الآخر، تورموند صاحب الأسماء الكثيرة الذي ضلّلنا بعد المعركة؟ أجبني بصدق».

- «تورموند بليّة العماليق بدا لي من الرجال الذين تُستحسن صداقتهم

وتستبشع عداوتهم يا جلالة الملك».

أوما ستانيس برأسه باقتصاب، وقال: «أبوك كان رجلًا شريفًا. لم يكن صديقي لكني رأيت قيمته. وأخوك كان متمردًا خائنًا أراد أن يسرق نصف مملكتي، لكن لا أحديمكنه التشكيك في شجاعته. ماذا عنك؟».

هل يرئديني أن أقول إنني أجبه؟ أجاب چون بنبرة رسمية جامدة: «أنا رجل في حرس الليل».

- «كلام. الكلام هواء. لماذا تحسبني هجرت (دراجونستون) وأبحرت

إلى (الجدار) يا لورد سنو؟».

- «لست لوردًا يا مولاي، وأمل أنك جئت لأننا أرسلنا نطلبك، إن لم

أكن أدري لماذا استغرقت وقتًا طويلًا قبل مجيئك».

أدهشه أن ابتسم ستانيس وهو يقول: «إنك جريء كفاية لأن تكون ستارك حقًا. نعم، كان عليّ أن أبكر بالمجيء، ولولا يدي فربما لم أكن لأجيء على

الإطلاق. اللورد سيورث متواضع الميلاد، لكنه ذكّرني بواجبي بينما لم أكن أفكرُ إلا في حقوقي. قال داؤوس إنني أضعُ العربة أمام الحصان، إنني أحاولُ الفوز بالعرش لأنقذ المملكة، على حين أن واجبي أن أنقذ المملكة لأفوز بالعرش»، وأشار الملك شمالاً متابعاً: «هنا سأجدُ العدو الذي وُلِدْتُ لأواجهه».

أضافتُ مليساندرا بنعومة: «الذي يجب ألا يُذكر اسمه. إنه إله الليل والرُّعب يا چون سنو، وتلك الأشباح وسط التلوج مخلوقاته».

قال ستانيس: «يقولون لي إنك قتلت واحدةً من تلك الجُثث السائرة لتُنقذ حياة اللورد مورمونت. قد تكون هذه حربك أيضًا يا لورد سنو إذا مددتني بمساعدتك».

أجاب چون سنو بحذر: «لقد تعهدتُ بسيفي لحرس الليل يا جلالة الملك».

لم تُرض إجابته الملك، الذي صرَّ بأسنانه قائلاً: «أريدُ منك ما هو أكثر من سيفك».

قال چون حائرًا: «ماذا يا سيّدي؟».

- «أريدُ الشَّمال».

الشَّمال. «إنني... أخي روب كان الملك في الشَّمال...».

- «أخوك كان سيّد (وينترفل) الشرعي، ولو مكثَ هناك وأدّى واجبه بدلاً من تنويع نفسه والذهاب لغزو أراضي النُّهر فلربما كان حيًّا اليوم، لكن مهما يكن، أنت لست روب وأنا لستُ روبرت».

بُخرت الكلمات الخشنة أيًّا كان ما يحمله چون لستانيس من تعاطف، فقال: «لقد أحببتُ أخي».

قال ستانيس: «وأنا أحببتُ أخي، لكنهما كانا ما كانا ونحن كما نحن. أنا ملك (وستروس) الشرعي الوحيد، شمالها أو جنوبها، وأنت نغل ند ستارك»، وتفحصه بهاتين العينين الدّاكنة زُرقتهما مواصلاً: «تايوين لانستر نصبُ رويس بولتون حاكمًا للشَّمال مكافأةً له على خيانتته أخاك، والحديدِيُّون يُصارع بعضهم بعضًا منذ موت بالون جرايچوي، لكنهم ما زالوا يُسيطرون على (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) و(مربّع تورين) ومعظم (السّاحل



الحجري). أراضي أبيك تنزف، ولستُ أملكُ القوّة أو الوقت لتضميد جراحها. ما نحتاج إليه هو سيّد لـ (وينترفل)، سيّد مخلص لـ (وينترفل)». فكَرّ چون مبهُوتًا: إنه يتطلّع إليّ. «(وينترفل) راحت. ثيون جرايچوي أحرَقها».

- «الجرانيت لا يحترق بسهولة، ويُمكن إعادة بناء القلعة مع الوقت. ليست الأسوار ما يصنع اللورد، وإنما الرّجال. قومكم الشّماليّون لا يعرفونني وليس لديهم سبب يدعوهم لحبّي، لكنني سأحتاجُ إلى قوتهم في المعارك المقبلة، وأريدُ أن يربحهم ابن إدارد ستارك ويضمّمهم إلى رأيي». يُريدُ أن يجعلني سيّد (وينترفل). كانت الرّيح تهبُّ بقوّة وچون يشعُر بدوّار جعله يخشى أن تطيّره من فوق (الجدار) وهو يقول: «جلالة الملك، إنك تنسى أنني سنو لا ستارك». أجاب ستانيس: «أنت من ينسى».

ووضعتُ مليساندرا يدًا دافئةً على ذراعه قائلةً: «الملك يستطيع أن يُزيل وصمة الثّغولة بجزّة ريشة يا لورد سنو».

لورد سنو. هكذا سمّاه السير أليسر ثورن تهكُّمًا على ميلاده نغلاً، وقد اعتادَ كثيرون من إخوته دعوته به، بعضهم بمودّة وبعضهم ليجرحه، لكن فجأةً صارَ للاسم وقع مختلف على أذن چون، وقع... حقيقي. قال بتردّد: «نعم، سبق أن شرعَ الملوك نغولًا، ولكن... ولكني ما زلتُ أخاف في حرس اللّيل، ركعتُ أمام شجرة قلوب وأقسمتُ ألا أملك أراضي أو أنجب أولادًا». قالت مليساندرا الدّانية منه بشدّة أشعرته بدفء أنفاسها: «چون، راهلور الإله الحقيقي الوحيد. اليمين التي تحلفها لشجرة لا تختلف عن اليمين التي تحلفها لحذائك، لا قيمة لها. افتح قلبك ودع نور الإله يدخّله. أحرِق أشجار اليرورود وتقبّل (وينترفل) هديّة من إله الضّياء».

في طفولته المبكرة، قبل أن يكبر كفايةً ليفهم ما يعنيه أن يكون نغلاً، اعتادَ چون أن يحلم بأن تكون (وينترفل) له ذات يوم، ولاحقًا بعد أن كبر قليلًا أصابته تلك الأحلام بالخجل من نفسه. كان المفترض أن تنتقل (وينترفل) إلى روب ثم أبنائه من بعده، أو إلى بران أو ريكون إذا مات روب دون أن يُنجب، وبعدهما سانزا وآريا. مجرد الحلم بغير هذا بدا له غدرًا، كأنه يخونهم

في قلبه ويتمنى موتهم. والآن، واقفًا أمام الملك أزرق العينين والمرأة الحمراء، ففكر: لم أرغب في هذا قط. لقد أحببتُ روب، أحببتهم جميعًا... لم أرغب في أن يمسّ الأذى أيًا منهم، لكنه مستهم، والآن ليس هناك إلّاي. ما عليه إلا أن يقولها فيصبح چون ستارك ولا يعود سنو ثانيةً أبدًا، ما عليه إلا أن يتعهد بولائه لهذا الملك وتصير (وينترفل) له، ما عليه إلا أن...

... يحنث بقسمه مرةً أخرى.

ولن تكون خدعةً هذه المرة. لينال قلعة أبيه عليه أن ينقلب على آلهة أبيه. عاد الملك ستانيس يتطلع إلى الشمال ومعطفه المقصّب بخيوط الذهب يُرفرف على كتفيه، وقال: «ربما أسأتُ الحُكم عليك يا چون سنو. كلانا يعرف ما يُقال عن الثُغول، وربما تفتقر إلى شرف أبيك أو إلى براعة أخيك في الحرب، لكنك السّلاح الذي مدّني به الإله، عثرتُ عليك هنا كما عثرت على خبيثة زُجاج التّنين عند (القبضة)، وأنوي أن أستغلّك. حتى آزور آهاي لم ينتصر في الحرب بمفرده. لقد قتلتُ ألفًا من الهَمج وأسرتُ ألفًا غيرهم وشتتُ البقيّة، لكن أنا وأنت نعلم أنهم سيرجعون. مليساندرا رأت عودتهم في نارها. غالبًا يُعيد تورموند قبضة الرّعد هذا تنظيم صُفوفهم الآن ويُخطط لهجوم جديد، وكلما سفكنا مزيدًا من دماء بعضنا بعضًا أصبحنا أو هن وأو هن حين يكرّ علينا العدو الحقيقي».

كان چون قد أدرك الشّيء عينه، وقال متسائلًا في قرارته عمّا يرمي إليه هذا الملك: «كما تقول يا جلالة الملك».

قال ستانيس: «بينما يتصارع إخوتك على من سيقودهم كنتُ أتكلّم مع مانس رايدر هذا»، وصرّت أسنانه وهو يُواصل: «رجل عنيد وشديد الإباء، لن يترك لي خيارًا إلا أن أسلمه للهب. لكننا أسرنا قادة غيره، منهم ذلك الذي يُسمّي نفسه سيّد العظام، وعدد من زعماء القبائل، وماجنر (ثن) الجديد. لن يروق إخوتك هذا كما لن يروق لوردات أبيك، لكني أنوي السّماح للهَمج بالمرور من (الجدار)... لمن يُقسمون لي على الولاء، ويتعهدون بالحفاظ على سلام الملك وصيانة قوانينه وقبول إله الضّياء إلهاً لهم، بما فيهم العمالقة إذا كانت هاماتهم الهائلة تنحني. سأوطنهم (الهدية) بمجرد أن أنتزعها من قائدكم الجديد. عندما تهبّ رياح البرد سنعيش أو نموت معًا. حان الوقت

لأن نتحالف ضد عدوِّنا المشترك»، ونظرَ إلى چون متسائلاً: «ألا تُوافِقني؟». قال چون: «لقد حلّم أبي بإعادة توطين (الهدية)، وتعود أن يتكلّم عن هذا مع عمّي بنچن». لكنه لم يحلّم قطّ بأن يستوطنها الهمج... غير أنه لم يركب مع الهمج قطّ كذلك. لم يُحاول أن يخدع نفسه، فهو يعلم تماماً أن الأحرار سيكونون رعايا جامحين وجيراناً خطرين، لكن حين كيّل شعر إيجريت الأحمر ضد أعين الجُثث الحية الزرقاء الباردة كان اختيار الكفة الرّاححة سهلاً، فجاوب: «أوافقك».

قال الملك ستانيس: «عظيم، لأن أضمن وسيلة لإبرام تحالفٍ جديد هي الزّواج. إنني أنوي تزويج سيّد (وينترفل) الجديد بالأميرة الهمجية». ربما ركب چون مع شعب الأحرار طويلاً جدّاً، إذ لم يستطع أن يمنع نفسه من الضّحك قبل أن يقول: «جلالة الملك، سواء أكانت أسيرة أم لم تكن، إذا كنت تحسب أنك تستطيع أن تُعطيني قال بهذه البساطة، فأخشى أن هناك الكثير مما عليك تعلمه عن نساء الهمج. على من سيتزوّجها أيّما كان أن يكون مستعدّاً لأن يتسلّق إلى نافذتها في البرج ويختطفها تحت تهديد السلاح...». حدّجه ستانيس بنظرة كأنها تسبر أغواره قائلاً: «أيّما كان؟ أيعني هذا أنك لن تتزوّجها؟ انتبه، إنها جزء من الثّمّن الذي عليك أن تدفعه إذا أردت اسم أبيك وقلعته. هذه الزّيجة ضرورية لضمّان إخلاص رعايانا الجدد. هل ترفض يا چون سنو؟».

أسرع چون يقول: «لا». الملك يتكلّم عن (وينترفل)، و(وينترفل) لا ترفض بسهولة. «أعني... لقد فاجأتني يا جلالة الملك. هل تأذن لي في قليل من الوقت لأفكّر؟».

قال ستانيس: «كما تشاء، لكن فكّر بشرعة. إنني لست رجلاً صبوراً كما سيكتشف إختوك الشّود قريباً»، ووضع يداً ناحلة معروقة على كتف چون مردفاً: «لا تقل شيئاً عمّا تناقشنا فيه اليوم لأيّ أحد، لكن عندما تعود فما عليك إلّا أن تركع وتضع سيفك عند قدمي وتعهّد بنفسك لخدمتي، وحين تنهض ستكون چون ستارك، سيّد (وينترفل)».

## تيريون

حين سمع الجلبة الآتية من وراء باب زنارته الخشبي السميك تأهب تيريون لانستر للموت.

أخيراً. هيا إذن، هيا، أزهِقوا روجي. دفع نفسه إلى النهوض ليجد ساقيه خدرتين من طول الانطواء تحته، فانحنى يُدلكهما خلاصاً مما فيهما من ألم السكاكين. لن أذهب متعثراً مترنحاً إلى قُرمة الجلاد.

تساءل إن كانوا سيقتلوه هنا في الظلام أم يجزّوه عبر المدينة كي يضرب السير إلين باين رأسه. بعد مهزلة محاكمته قد تُفصل أخته الجميلة وأبوه المحبُّ الخلاص منه بهدوءٍ بدلاً من المخاطرة بإعدامه علناً. يُمكنني أن أخبر الغوغاء بتشكيلةٍ منتقاة من الحكايات إذا تركوني أتكلّم. لكن هل يكون أبوه وأخته بتلك البلاهة؟

إذ صلصلت المفاتيح وانفتح باب الزنزانة مُصدراً صريره ألصق تيريون ظهره بالحائط الرطب متمنياً لو أن معه سلاحاً. ما زال يُمكنني أن أعضّ وأركل. ساموتٌ ومذاق الدماء في فمي على الأقل. ليته استطاع التفكير في كلماتٍ أخيرة تُثير الحماسة، فغالباً لن تُكسبه «نيكوا أنفسكم» مكاناً بارزاً في كتب التاريخ.

سقط ضوء المشعل على وجهه، فرفع يده يحمي عينيه قائلاً بصوتٍ بُحّ من قلة الاستعمال: «هلمّ، هل تخاف قزماً؟ افعلها يا ابن العاهرة الجرباء».

قال الرجل: «أهذه طريقة تتكلّم بها عن السيّدة والدتنا؟»، وتقدّم حاملاً المشعل يُسراه، وأضاف: «زنزانتك ألعن من زنزانتني في (ريفررن)، وإن لم تكن رطبةً مثلها».

لم يستطع تيريون أن يلتقط أنفاسه لحظةً، وقال مأخوذاً: «أنت؟». أجاب چامي الذي بدا مهزولاً قصير الشعر: «أغليبي. تركتُ يداً في

(هارنهال). لم يكن الإتيان برفقة الشُّجعان عبر (البحر الضيِّق) من أفكار أينا السديدة»، ورفع يده، ورأى تيريون الجدعة...  
... وتفجَّر الضحك المحموم من بين شفثيه، وبأنفاس متقطعة قال: «أوه، يا للآلهة... چايمي، أنا آسف حقًا، لكن... بحق الآلهة، انظر إلينا. الأبر والأكجدع، ابنا لانستر».

قال چايمي: «مرّت عليّ أيام كانت رائحة يدي فيها بالشوء الذي جعلني أتَمَنَّى لو أن أنفي مجدوع»، وخفض المشعل ليغمر الصّوء وجه أخيه، وأضاف: «نُدبة بديعة».

أشاح تيريون عن الوهج قائلاً: «جعلوني أخوض معركةً دون حماية أخي الكبير».

- «سمعتُ أنك كدت تُحرق المدينة».

- «كذبة قذرة. لم أُحرق إلاّ النّهر»، قال تيريون، ثم تذكّر فجأةً أين هو ولماذا، فسأل أخاه: «أأنت هنا لتقتلني؟».

- «يا لئكرانك. ربما عليّ أن أتركك تتعفنّ هنا ما دُمت ستكون فظًا هكذا».

- «التّعفنّ ليس المصير الذي تعدّه لي سرسي».

- «نعم إذا أردت الحقيقة. سيُقطع رأسك غدًا في مضمار المباريات القديم».

ضحك تيريون ثانيةً، وقال: «هل سيكون هناك طعام؟ عليك أن تُساعدني على انتقاء كلماتي الأخيرة، فعقلي هرب مني كفأر في قبو عميق».

ردّ چايمي بصوتٍ غريبة جدّيته: «لن تحتاج إلى كلماتٍ أخيرة. إنني هنا لأنقذك».

- «ومن قال إنني في حاجةٍ إلى إنقاذ؟».

- «أندري؟ كدت أنسى كم أنت صغير مزعج، والآن وقد ذكّرني فأعتقدُ أنني سأتركُ سرسي تقطع رأسك».

قال خارجًا من الزنزانة بخطواتٍ متمائلة: «أوه، لا، لن تفعل. أهو النّهار أم اللّيل بالأعلى؟ لقد فقدتُ إحساسي بالزّمن».

أجابّه چايمي: «إنها الثالثة بعد منتصف اللّيل»، وأعاد المشعل إلى حامله على الحائط بين زنزانتين.

كانت إضاءة الدهليز ضعيفة للغاية، حتى إن تيريون كادَ يتعثَّر في جسد السَّجَّان المنطرح على الأرض الحجريَّة الباردة. همزه بإصبع قدمه متسائلاً: «أهو ميت؟». - «نائم، والثلاثة الآخرون أيضًا. الخصيَّ دَسَّ جرةً من حُلُو الكرى في نبيذهم، لكنها لا تكفي لقتلهم، أو أن هذا ما يُؤكِّده. إنه منتظر عند السَّلام مرتديًا مُسوح سِبتون. ستنزل إلى البالوعات، ومن هناك إلى النَّهر. هناك قادمس ينتظرك في الخليج. فارس لديه عُملاء في المُدن الحرَّة سيحرقون على ألا يعوزك المال... لكن حاول ألا تلفت الأنظار. ليس لديَّ شك في أن سرسي سترسل من يُلاحقونك. خيرٌ لك أن تتحلل اسمًا آخر».

- «اسمًا آخر؟ أوه، مؤكَّد. وعندما يأتي الرِّجال عديمو الوجوه لقتلي سأقول: لا، لسْتُ من تقصدونه، إنني قزم آخر بعاهة قبيحة في وجهه». ضحك الأخوان لانستر من سخافة الموقف، ثم جثا چایمی على رُكبته وقبَّله بسُرعة على وجنتيه، ومسَّت شفتاه بينهما نسيج ندبته المتغضن.

قال تيريون: «أشكرك يا أخي، على حياتي». رَدَّ چایمی بصوتٍ غريب: «إنه... دین لك عليّ». مال برأسه إلى الجانب متسائلاً: «دین؟ لا أفهم». - «لا بأس. الأفضل أن يبقى بعض الأبواب مغلقًا». - «تبًا. وراء الباب شيء قبيح يغمُّ، أليس كذلك؟ هل قال أحد معيَّن شيئًا قاسيًا عني ذات مرَّة؟ سأحاول ألا أبكي. أخبرني». - «تيريون...».

چایمی خائف. كرَّر تيريون: «أخبرني». أشاح أخوه بوجهه، وغمغم: «تايشا». أحسَّ تيريون بصدرة ينقبض، وتساءل: «تايشا؟ ماذا عنها؟». - «لم تكن عاهرةً. لم أستأجرها لك. هذه كذبة أمرني أبونا بأن أقولها. تايشا كانت... كانت كما قالت، ابنة مُزارع قابلناها مصادفةً على قارعة الطريق». سمع تيريون أنفاسه تُصَفَّرُ بصوت أجوف خافت عبر ندبة أنفه، ورأى چایمی لا يجرؤ على النَّظر في عينيه. تايشا. حاول أن يتذكَّر شكلها. كانت فتاة، مجرد فتاة ليست أكبر من سانزا. قال بصوتٍ مبحوح: «زوجتي، لقد تزوجتني». - «أبونا قال إنها تزوجتك من أجل ذهبك. كانت وضیعة المولد وأنت

لانستر من (كاسترلي روك). لم تكن تُريد إلا الذهب، أي أن لا فرق بينها وبين العاهرة، ولذا... لذا لن تكون كذبة حقاً... قال إنك في حاجة إلى درسٍ قوي، إنك ستتعلم منه وتُشكرني لاحقاً...».

قال تيريون بصوتٍ مخنوق: «أشكرك؟! لقد أعطها لحُرَّاسه، تُكنة مليئة بالحُرَّاس، جعلني... أشاهد». أجل، أشاهد وأكثُر. أنا أيضاً أخذتها... زوجتي... - «لم أعلم قط أنه سيفعل هذا، يجب أن تُصدَّقني».

زمجر تيريون: «أوه، يجب؟ ولم أصدقُ أيَّ شيءٍ تقوله أبداً؟ لقد كانت زوجتي!». - «تيريون...».

ولطمه تيريون. كانت صفةً بظاهر اليد، لكنه وضعَ فيها بأسه كلَّه، خوفه كلَّه، غضبه كلَّه، ألمه كلَّه. كان چايمي مقرِّفاً أمامه بلا توازن، فطرحته اللطمة أرضاً على ظهره، ليقول: «أ... أعتقدُ أنني استحققتُ هذا».

- «أوه، چايمي، لقد استحققت أكثر من هذا، أنت وأختي الجميلة وأبونا المحبُّ، نعم، لا يُمكنني أن أصف ما استحققتموه، لكنكم ستنالونه، أفسمُ لك. اللانستر يُسدِّد ديونه دائماً»، وابتعدَ تيريون وقد كادَ من عجلته يتعثَّر ثانيةً في السَّجَّان، لكن قبل أن يمضي دسته من الياردات ارتطمَ ببوابةٍ حديد تسدُّ الدهليز. بحقَّ الآلهة! لحظتها استجمعَ طاقته كلَّها كي لا يصرُخ.

تقدَّم چايمي من ورائه قائلاً: «مفاتيح السَّجَّان معي».

انزاحَ تيريون، وقال: «استخدمها إذن».

فتحَ چايمي الرِّتاج ودفعَ البوابةَ ومَرَّ منها، ثم نظرَ من فوق كتفه متسائلاً: «هل ستأتي؟».

قال تيريون وهو يمرُّ: «ليس معك. أعطني المفاتيح واذهب. سأجدُ فارسٍ وحدي»، ومالَ برأسه ناظرًا إلى أخيه بعينه غير المتماثلتين، وسأله: «چايمي، هل تستطيع القتال بيسرٍ؟».

أجابَه بمرارة: «أسوأ منك بكثير».

- «عظيم. إذن سنكون نِدَّين متكافئين إذا التقينا مرَّةً أخرى، المُعاق والقزم».

قال چايمي مناولاً إياه حلقة المفاتيح: «لقد أعطيتك الحقيقة، وأنت مدين لي بالمِثل. هل فعلتها؟ هل قتلته؟».

كان السؤال سكينًا آخرَ حَزَّ في أعماق تيريون، الذي قال: «أأنت واثق بأنك تُريد معرفة الإجابة؟ كان چوفري ليُصبح ملكًا أسوأ مما كان إيرس في حياته كلها. هل تعلم أنه سرقَ خنجر أبيه وأعطاه لقاتلٍ أجيرٍ ليزبح براندون ستارك؟». - «خطر... خطرٌ لي أنه فعلها».

- «هذا السُّبل من ذاك الأسد. چوفري كان سيقتلني أيضًا ما إن يرتقي العرش بجزيرة أنني قصير قبيح، الجريرة التي أحملُ ذنبها بكلِّ وضوح». - «لم تُجب عن سؤالي».

قال تيريون: «يا لك من مُعاق مسكين أعمى أحمق! أيجب أن أشرح لك كلَّ شيءٍ بالتفصيل؟ سرسي عاهرة كذّابة، كانت تُضاجع لانسل وأوزموند كيتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا. وأنا الوحش الذي يقولون. نعم، قتلْتُ ابنك الكريه، وجعلَ نفسه يبتسم، ولا بُدُّ أن المنظر كان شنيعًا حقًّا في ضوء المشعل الباهت. ودارَ چايمي بلا كلمةٍ واحدةٍ وابتعدَ.

شاهدَه تيريون يذهب، يمضي على ساقيه الطويلتين القويّتين، يُريد جزء منه أن يُناديه ويُخبره أن ما قاله ليس صحيحًا، أن يتوسَّل مغفرتَه، ثم إنه تذكَّر تايشا وحافظَ على صمته وهو يُصغي إلى وقع قدمي چايمي المبتعد إلى أن غابَ تمامًا عن مسامعه، ثم تحرَّك يبحث عن فارس.

كان الخصيُّ كامنًا في الظلام عند سُلَم لولبي، يرتدي ثوبًا بنيًّا أكله العُثُّ وله قلنسوة أخفت شحوب وجهه، ولمَّا رأى تيريون قال: «تأخَّرت جدًّا. خشيتُ أن سوءًا ما وقع».

طمأنَه تيريون بنبرة مسمومة: «أوه، البتَّة. ما السَّيِّ الذي يُمكن أن يقع؟»، ورفع رأسه يرُمِّقه مردفًا: «أرسلتُ لك في أثناء محاكمتي».

- «لم أستطع أن آتي. الملكة وضعتني تحت المراقبة ليل نهار، ولم أجسر على مساعِدتك».

- «إنك تُساعدني الآن».

قال فارس مقهقهاً: «حقًّا؟ آه»، فبدت قهقهته في غير محلِّها في هذا المكان الحجريِّ البارد وظلمته الممتدَّة. «أخوك مقنَّعٌ للغاية».

- «فارس، هل قال لك أحد من قبل إنك بارد لزج كالذُّود؟ لقد بذلت كلَّ ما في وسعك لقتلي، وربما عليَّ أن أردَّ الجميل».



تنهَّد الخصيُّ، وقال: «الكلب المخلص مُبتلى بالركلات، ومهما نسج العنكبوت من شباك لا يحبُّه أحد أبداً. لكنني أخشى عليك إذا قتلنتي هنا يا سيدي، فقد لا تجد طريقك إلى الثور ثانيةً أبداً»، والتمعت عيناه الدآكتان الدآمعتان في ضوء المشعل المتذبذب وهو يُضيف: «هذه الأنفاق ملأى بالشراك التي يسقط فيها الغافلون».

أطلق تيريون نخيراً، وردَّ: «الغافلون؟ أنا أكثر رجل يقظ عرفه العالم، وقد ساعدت بنفسك على حدوث هذا»، وفرك أنفه متسائلاً: «أخبرني إذن أيها السّاحر، أين زوجتي البريئة؟».

- «يؤسفني أن أقول إنني لم أجد أثرًا لليدي سانزافي (كينجز لاندنج)، ولا للسير دونتوس هولارد الذي كان يُفترض أن يظهر سكراناً في مكان ما. لقد شوهدا معاً على السّلالم الملتفة ليلة اختفائها، وبعدها لا شيء. كان الارتباك شديداً ليلتها، وطيور الصّغيرة صامتة»، وشدّ فارس تيريون من كُمه برفق وسحبّه إلى السّلالم قائلاً: «يجب أن نتحرّك يا سيدي. طريقك إلى أسفل». ليس كاذباً في هذا على الأقل. سار تيريون في أعقاب الخصي ليحتك كعبا حذائه بالحجر الخشن وهما ينزلان. كان البرودة قارسةً في بئر السّلم، برودة رطبة تُجمّد العظام ارتجف لها جسده في الحال، فسأل: «أي جزء من الرّنازين هذا؟».

أجاب فارس: «ميجور المتوحّش أمر ببناء أربعة مستويات من الرّنازين في هذه القلعة. في المستوى العلوي زنازين واسعة يُحبس فيها المجرمون العوام معاً، في جدرانها نوافذ ضيقة مرتفعة. في المستوى الثّاني زنازين أصغر يُحبس فيها الأسرى الثّباء. إنها بلا نوافذ، لكن المشاعل المعلقة في الدّهاليز تُلقي الضّوء من بين القضبان. في المستوى الثّالث زنازين أصغر وأبوابها من الخشب، الرّنازين السّوداء كما يُسمّونها. هناك كنت مسجوناً، وإدرد ستارك من قبلك. لكن ثمة مستوى أدنى. فور أن يُؤخذ أحدهم إلى المستوى الرّابع لا يرى الشّمس ثانيةً أبداً أو يسمع صوت إنسان أو يلتقط نفساً خالياً من الألم الرّهيّب. ميجور أمر ببناء زنازين المستوى الرّابع للتّعذيب». كانا قد بلغا قاعدة السّلم، حيث وجدا باباً مفتوحاً غير مُضاء، فقال الخصي: «هذا هو المستوى الرّابع. أعطني يدك يا سيدي. المشي في الظلام هنا أأمن. ثمة أشياء لست ترغب في رؤيتها».

تباطأ تيريون برهمة. لقد خانَه فارس من قبل، فمن يدري اللعبة التي يلعبها الآن؟ وهل هناك أصلح لقتل رجلٍ من مكانٍ مظلم لا يعرف أحد بوجوده؟ ربما لا يجدون جثته أبداً.

لكن من ناحيةٍ أخرى ما خياره؟ أن يصعد السلالم ويخرج من البوابة الرئيسية؟ لا، لن يصلح ذلك.

لم يكن چايمي ليخاف، فكّر قبل أن يتذكّر ما فعله به چايمي، والتقط يد الخصي وترك نفسه يُقاد في السّواء متّبعا احتكاك الجلد الخافت بالحجر. مشى فارس بخطى حثيثة، يهمس بين الحين والآخر: «احذر، أمامك ثلاث درجات»، أو: «التّفق ينحدر إلى أسفل هنا يا سيّدي». جثت هذه المدينة وأنا يد الملك، داخلاً من البوابة علي رأس رجالي المحلّفين، وأعادها كجرذ يهرّب في الظلام، ماسكاً يد عنكبوت.

لاح أمامهما ضوء أكثر خبواً من أن يكون ضوء النّهار، وبدأ يزداد إذ أسرعاً صوبه، وبعد فترة تبين تيريون أنه يأتي من مدخل مقنطر تُغلّقه بوابة حديديةٍ أخرى. أخرج فارس مفتاحاً، ثم دخلاً حُجرةً صغيرةً مستديرةً فيها خمسة أبواب كلها مغلقٌ بالحديد، وثمة فتحة في السّقف أيضاً، تحتها درجات مثبتة في الجدار تتجه إلى أعلى، وقد استقرّ إلى جانبها مستوقدٌ منمّق على شكل رأس تنين. كان الفحم في فم الوحش المفقور قد تحوّل إلى جمر لا يزال يتوهج بضوءٍ برتقاليّ كثيب، وعلى الرغم من خفوته رحّب تيريون بالضوء بعد ظلمة التّفق الدّامسة.

باستثناء هذا كان المكان خالياً إلا من صورةٍ بالفُسيفساء الحمراء والسّوداء على الأرض لتنين ثلاثي الرّؤوس. ألحّ عليه خاطر مجهول لحظات، ثم إنه أدركه. هذا هو المكان الذي أخبرتني شيّاي عنه حين قادها فارس إلى فراشي أول مرّة. «نحن تحت (برج اليد)».

- «نعم»، قال فارس دافعاً الباب المغلق منذ زمن طويل، لتصرّخ المفصلات المتبيّسة اعتراضاً وتطفو قشور الصّدأ في الهواء إلى الأرض. «هذا الطّريق سيأخذنا إلى النّهر».

مشى تيريون بتؤدّة إلى السّلم وتحسّس الدّرجة السّفلي قائلاً: «سيقودني هذا إلى عُرفة نومي».

- «عُرْفَة نوم أبيك الآن».

رفع عينيه ناظرًا إلى البئر، وسأله: «ما المسافة التي عليَّ أن أصعدها؟».

- «سيدي، إنك أضعف من ارتكاب حماقات كهذه، ثم إن لا وقت لها.

يجب أن نذهب».

- «لديَّ شأن بالأعلى. ما المسافة؟».

- «مئتان وثلاثون درجة، لكن أيًا كان ما تنتويه...».

- «مئتان وثلاثون درجة، ثم ماذا؟».

- «التَّفَقُّ إلى اليسار، لكن اسمعني...».

رفع تيريون قدمه إلى الدَّرَجَة الأدنى سائلًا: «كم تَبْعُدُ عُرْفَة النَّوم؟».

قال الخصيُّ: «ليس أكثر من ستين قدمًا. ضَع يدك على الحائط وأنت

تتحرك وستشعر بالأبواب. عُرْفَة النَّوم وراء الثالث»، وتنهَّد مردفًا: «هذه

حماقة يا سيدي. لقد أعادَ لك أخوك حياتك، فهل تُريد أن تُبدِّدها وتُبدِّد

حياتي معها؟».

- «فارس، الشَّيء الوحيد الذي يعنيني أقل من حياتي الآن هو حياتك»،

وأدارَ تيريون ظهره للخصيِّ وبدأ يصعد وهو يعدُّ الدَّرَجَات بصمت.

درجة درجة ارتقى إلى الظلام. في البداية كان يرى الحدود الغامضة لكلِّ

درجة وهو يقبض عليها، وبنية الحجارة الرَّماديَّة الخشنة وراءها، لكن السَّواد

تنامي كلِّما صعد. 13، 14، 15، 16. عند الدَّرَجَة الثلاثين ارتجفت ذراعاه من

إجهاد سحبهما جسده إلى أعلى، فتوقَّف لحظةً يلتقط أنفاسه وألقى نظرةً إلى

أسفل، فرأى دائرةً من الضَّوء الخافت تكاد تُواربها قدماه. ثم واصلَ تيريون

الصُّعود. 39، 40، 41. عند الدَّرَجَة الخمسين أحسَّ بحرق في ساقه، والسُّلْم

بلا نهاية يُخدِّر الأوصال. 68، 69، 70. عند الدَّرَجَة الثَّمَانين كان الألم يستبدُّ

بظهره، لكنه ظلَّ يصعد ولا يدري لِمَ. 113، 114، 115.

عند الدَّرَجَة المئتين وثلاثين كانت البئر سوداء كالقار، لكنه شعرَ بدفء

الهواء يهبُّ من النَّفق إلى يساره كأنفاس وحش عظيم. تحسَّس بقدمه بحذر

متوتِّر ثم نقلَ جسده من السُّلْم إلى النَّفق، الَّذي ألفاه أضيق من البئر. كانَّ

على أيِّ رجل حجمه طبيعيُّ أن يزحف فيه على يديه ورُكبتيه، لكن تيريون

قصير بما يكفي لأن يمشي مفروود القامة. أخيرًا مكان يصلح للأقزام. احتكَّ

حذاؤه بخفوتٍ بالحجر، ومشى ببطءٍ يعدُّ خطواته ويتحسَّس الجدار بحثًا عن فجوة، وسرعان ما تنهت إلى سمعه أصوات، مكتومة مبهمة في البداية، ثم بدأت تتضح. أرهف أذنيه فسمع اثنان من حرس أبيه يتمارحان بشأن عاهرة العفريت، يقولان كم سيكون رائعًا أن يُضاجعاها، وإنها بالتأكيد في حاجةٍ إلى قضيبٍ حقيقي بدلًا من دودة القزم الصغيرة. قال لوم: «إنه معوجٌّ غالبًا»، وأفضى به هذا إلى نقاشٍ حول موت تيريون غدًا، وقال بإصرار: «سيبكي كالنساء ويتوسَّل الرَّحمة، سترى»، على أن لستر أكَّد أنه سيواجه الفأس بشجاعة الأسود باعتباره من آل لانستر وما إلى ذلك، ويُراهن بحذائه الجديد على هذا، فردَّ لوم: «آه، خراء على حذائك. أنت تعلم أن مقاسه لا يُناسب قدمي. اسمع، إذا فزتُ ستُنظف قميصي المعدني مدَّة أسبوعين».

ظلَّ تيريون يسمع كلَّ كلمةٍ من مساومتها خلال مسافة أقدام قليلة، لكن صوتيهما خفتا سريعًا إذ ابتعد، وفكَّر تيريون مبتسمًا في الظلام: لا غرو أن فارس لم يُردني أن أتسلق السُّلم اللعين. طيور صغيرة حقًا. بلغ الباب الثالث وتحسَّس مدَّةً طويلةً قبل أن تمسَّ أصابعه خطافًا حديدًا صغيرًا بين حجرين، ولما جذبته سمعَ قعقةً خفيفةً كان وقعها كانهيارٍ صخري في هذا الشكون، وإلى يساره انفتحَ مرَّع يأتي منه ضوء برتقالي باهت.

المستوقد! كاد يضحك. كان المستوقد مليئًا بالرماد الساخن وفيه قطعة خشب متفحمة يحترق قلبها بالبرتقالي. تجاوزه بحذرٍ آخذًا خطواتٍ سريعة كي لا يحترق حذاؤه، لتتسحق الجذوات الدافئة تحت قدميه بصوتٍ ناعم. أخيرًا وجد نفسه في غرفة نومه السابقة، فتوقَّف طويلًا يستنشِق الصمت. هل سمع أبوه؟ هل يختطف سيفه ويستغيث؟ ونادى صوت امرأة: «سيدي».

كان هذا ليؤلمني فيما مضى، حين كنتُ لا أزالُ أشعرُ بالألم. الخطوة الأولى كانت الأصبغ، وحين بلغَ تيريون الفراش أراحَ السَّتائر، وها هي ذي تلتفت نحوه بابتسامةٍ ناعسة على شفثيها، ابتسامة ماتت عندما رآته، ورفعت الأغطية إلى ذقنها كأن هذا سيحميها.

- «هل كنتِ تتوقَّعين أحدًا أطول يا حلوتي؟».

أفعمت عينها دموع غزيرة وهي تقول: «لم أعن الأشياء التي قتلها، الملكة جعلتني أقولها. أرجوك، أبوك يُخيفني كثيرًا»، وأعدتْ جالسةً فأنحسرت الأغطية إلى خصرها، وتحتها كانت عاريةً تمامًا إلا من السلسلة المحيطة بعنقها، سلسلة من الأيدي الذهبية الممسكة كلُّ منها بالتالية.

قال تيريون بخفوت: «سيّدتي شاي، طيلة الوقت الذي أمضيته في زنزاتي السوداء منتظرًا الموت ظللتُ أتذكّرُ جمالِك، سواء أكنتِ ترتدين الحرير أم الخيش أم لا ترتدين شيئًا على الإطلاق...».

- «سيدي سيعود قريبًا. يجدرُ بك أن تذهب... أم أنك أتيت لتأخذني؟».  
- «هل أحببتها؟». وضعَ يده على خدّها متذكّرًا المرّات العديدة التي فعلَ فيها هذا من قبل، كلَّ المرّات التي طوّقَ فيها خاصرتها الصّغيرة بيديه، المرّات التي اعتصرَ فيها ثدييها الرّيانين وملسَ على شعرها الأسود القصير ومسَّ شفيتها ووجنتيها وأذنيها، كلَّ المرّات التي فتَحها فيها بإصبعٍ سابِرًا عُذوبتها الخفيّة وجاعلاً إياها تتأوّه. «هل أحببتِ لمستي؟».

- «أكثر من أيّ شيءٍ في الدُّنيا يا عملاقي اللانستر».

ما كنتِ لتقولِي شيئًا أسوأ يا حلوتي.

مدَّ تيريون يده تحت سلسلة أبيه ولواها، وانقبضتِ الحلقات منغرسَةً في عنقها وهو يقول: «فالأيدي الذهب دوماً باردة، لكن يديّ المرأة تشعان دفئًا»، ولوى الأيدي الباردة مرّةً أخرى تاركًا اليدين الدافئتين تضربان وجهه وتمسحان دموعه.

بعدها وجدَ خنجر اللورد تاوين على الخوان المجاور للفراش ودسّه في حزامه. على الجدران علّقَ صولجان برأس أسد وفأس ونُشابيّة. لن يستطيع حمل الفأس كما ينبغي داخل القلعة، والصّولجان أعلى من أن يبلغه، لكن تحت النُشابيّة مباشرةً وُضِعَ صندوق من الخشب والحديد، فصعدَ عليه والتقطّها مع جعبةٍ من الجلد ملأى بالسّهام، ثم دفعَ الرّناد بقدمه إلى أن صلى الوتر وثبّت سهماً.

كان چايبي قد لقتَه عيوب النُشابيّة مرارًا، وإذا ظهرَ لوم ولستر من حيث كانا يتكلّمان فلن يجد وقتًا لإعادة تليقيهما، لكنه سيأخذ أحدهما معه إلى الجحيم على الأقل، لوم إذا استطاع الاختيار. ستُظف قميصك بنفسك يا لوم، أنت الخاسر.

أتجه إلى الباب وأنصت لحظةً ثم فتحه ببطء، فرأى مصباحًا مضاءً في كُورة

حجرية، يُلقِي ضوءاً أصفر باهتاً على الرُّواق الخالي. لم يكن شيء يتحرَّك إلاَّ  
اللَّهب، وخرج تيريون مسنداً النَّشَابِيَّةَ إلى ساقه.

وجد أباه حيث عرف أنه سيجده، جالساً في عتمة بُرج المراحيض وقد  
رفع معطف النَّوم حول وركيه، ولمَّا سمع اللورد تايوين الخطوات رفع عينيه.  
انحنى تيريون نصف انحناء، وقال ساخراً: «سيدي».

إذا كان تايوين لانستر خائفاً فإنه لم يُبدِ أمارَةً على خوفه وهو يقول:  
«تيريون. مَنْ أطلعتي سراحك من زنزانك؟».

- «وددت لو أخبرك، لكنني حلفتُ يميناً مقدَّسةً».

قال أبوه: «الخصيُّ. سأضربُ رأسه لما فعله. أهذه نُشَابِيَّتِي؟ ضَعها».

- «هل ستُعاقِبني إذا رفضتُ يا أبي؟».

- «هروبك هذا حماقة. إنك لن تُقتل إذا كان هذا ما تخشاه. ما زلتُ أنوي

إرسالك إلى (الجدار)، لكنني لم أستطع أن أفعلها دون موافقة اللورد تايرل.  
ضَع النَّشَابِيَّةَ وسنعود إلى عُرفتي وتكلم».

- «يُمكننا أن نتكلم هنا أيضاً. ربما لا أختارُ أن أذهب إلى (الجدار) يا أبي.

البرد لعين هناك، وأعتقدُ أنني نلتُ منك برداً يكفيني. أريدك أن تُخبرني بشيءٍ  
واحد ثم سأذهبُ، سؤال واحد بسيط، أنت مدين لي بهذا القدر».

- «لستُ مديناً لك بشيء».

- «لقد أعطيتني أقل من لا شيء طيلة حياتي، لكنك ستُعطيني هذه

الإجابة. ماذا فعلت بتايشا؟».

- «تايشا؟».

لا يذكُر اسمها حتى. «الفتاة التي تزوجتها».

- «أوه، نعم، عاهرتك الأولى».

صوّب تيريون النَّشَابِيَّةَ إلى صدر أبيه قائلاً: «قل هذه الكلمة مرّةً أخرى  
وسأقتلك».

- «لست تملك الشجاعة».

- «هلاً اكتشفنا؟ إنها كلمة قصيرة، ويبدو أنها تثب إلى شفّتك بسهولة»، وأشار

تيريون بسلاحه بصبرٍ نافذ مضيئاً: «تايشا. ماذا فعلت بها بعد أن لقتني درسي؟».

- «لا أذكر».

- «فكر جيّدًا. هل أمرت بقتلها؟».

زَمَّ أبوه شفّيته قائلاً: «لم يكن هناك داع لهذا بعد أن عرّفت مقامها... وأذكرُ أنها تلقّت أجرًا سخياً على عملها. أظنُّ أنّ الوكيل أرسلها إلى حال سبيلها. لم أفكر في السُّؤال».

- «أرسلها إلى أين؟».

- «أيّما تذهب العاهرات».

انقبض إصبع تيريون، وصدَرَ من الشَّابَّية صوتٌ وترِيٌّ في اللَّحظة التي بدأ فيها اللورد تاوين ينهض، وأصابه السَّهم فوق الخاصرة مباشرةً وجعله يرتدُّ جالسًا من جديد. انغرس السَّهم في عمق لحمه حتى الرِّيشة، وانجسّت دماؤه من حول القناة سائلةً إلى شعر عانته وفخذه المشكوفتين، وبعينين صيرتهما الصّدمة زُجاجًا قال: «لقد أردتيني».

قال تيريون: «لطالما كنت سريع البديهة يا سيّدي. لا بُدَّ أنك يد الملك لهذا السَّبب».

- «أنت... أنت لست... لست ابني».

- «في هذا أنت مخطئ يا أبتِ، إنني نُسخة مصغّرة منك. والآن أسدني صنيعًا ومُت بسرّعة. يجب أن ألحق بسفينتي».

لأول مرّة في عُمره فعل أبوه ما طلبه منه، بدليل الرّائحة الكريهة المفاجئة التي فاحت إذ ارتخت أحشاؤه وأفرغت محتوياتها في لحظة الموت، ففكر تيريون: على الأقلّ كان في المكان المناسب لهذا.

لكن الرّائحة التّنتنة التي أفعمت المرحاض كانت دليلًا دامعًا على أن الدُّعابة التي كثيرًا ما ردّدها الألسنة عن أبيه مجردة أكذوبةٍ أخرى. ففي النّهاية اتّضح أن اللورد تاوين لانستر لا يتبرّز ذهبًا.

## سامويل

رأى سام في الحال أن الملك غاضب.  
أزاح ستانيس إبطاره المكوّن من الخُبز الجامد واللّحم البقري المملّح  
والبيض المسلوق، وبيروودٍ رمقَ الإخوة السُّود إذ دخلوا واحدًا تلو الآخر  
وركعوا أمامه، وإلى جواره بدت المرأة الحمراء مليساندرا كأنها تجد المشهد  
مسلّيًا.

حين وقعت عليه نظرات عينيها الحمراءوين فكّر سام بانزعاج: ليس لي  
مكان هنا. كان على أحدنا أن يُساعد المايستر إيمون على صعود السّلالم. لا  
تَنظُرني إليّ، إنني وكيل المايستر ليس إلّا. الآخرون هم المتنافسون على قيادة  
الدّب العجوز، جميعهم باستثناء باون مارش الذي انسحب من السّباق لكنه  
يظل أمين القلعة وقيّم الوُكلاء، فما الذي يبعث مليساندرا على أن تبدو مهمتمةً  
بسام هكذا؟

أبقى الملك ستانيس الإخوة السُّود على رُكبهم فترةً طالّت كثيرًا، قبل  
أن يقول أخيرًا: «انهضوا»، وأعطى سام المايستر إيمون كتفه ليُساعدَه على  
النّهوض.

تنحّج اللورد چانوس سلينت قاطعًا الصّمت المشدود، وقال: «جلالة  
الملك، دعني أعربُ عن سرورنا البالغ لاستدعائك إيانا. حين رأيتُ راياتك  
من فوق (الجدار) علمتُ أن البلاد أنقذت، وقلتُ للسير أليسر الكريم: ها هو  
رجل لا ينسى واجبه أبدًا، رجل قويّ وملك حقيقي. اسمح لي بأن أهتّك  
على انتصارك على الهمجيين. سيؤلّف المغنّون عنه الكثير، أعرف...».  
قاطعَه ستانيس بحدّة: «فليفعل المغنّون كما يُريدون. اعفني من تملّكك يا



چانوس، فلن ينفعك»، ونهضَ ناظرًا إليهم بتجهم، وقال: «الليدي مليساندرا أخبرتني بأنكم لم تختاروا قائدًا بعد. إنني مستاء. إلى متى ستدوم هذه المهزلة؟».

قال باون مارش بلهجة دفاعية: «مولاي، لا أحد حازَ ثلثي الأصوات حتى الآن، ولم يمضَ أكثر من عشرة أيام».

- «أي تسعة أيام أطول من اللازم. إن عندي أسرى يجب أن أتصرفَ فيهم ومملكةً أنظّمها وحرّباً أخوضها. هناك اختيارات لا بُدَّ أن تتمَّ، قرارات تخصُّ (الجدار) وحرس الليل، قرارات ينبغي أن يكون لقائدكم دور فيها».

قال چانوس سلينت: «ينبغي، نعم، لكن لا مناص من قول إننا نحن الإخوة جنودُ بسطاء، جنود، نعم! وجلالتك تعلم أن الجنود يستريحون أكثر لتلقّي الأوامر. يبدو لي أنهم سيفيدون من توجيهاتك الملكية، من أجل صالح البلاد، لمساعدتهم على الاختيار بحكمة».

أحنقَ الاقتراح عددًا من الآخرين، فقال كوتر پايك بغضب: «هل تُريد الملك أن يمسح مؤخراتنا أيضًا؟»، وقال السير دينس ماليستر بإصرار: «اختيار القائد يخصُّ الإخوة المحلّفين فقط ولا أحد غيرهم»، وأعلنَ إد الكتيب بنبرة كالتوايح: «إذا اختاروا بحكمة فلن يختاروني»، أمّا المايستر إيمن فقال بهدوئه المعتاد: «جلالة الملك، حرس الليل يختارون قائدهم منذ سيّد براندون البنا (الجدار)، وبچيور مورمونت يكون قد تعاقب علينا تسعمئة وسبعة وتسعون قائدًا بلا انقطاع، جميعهم اختيرَ من قبل الرّجال الذين قادوهم. إنه تقليدُ عمره عدّة آلاف من الأعوام».

صرَّ ستانيس بأسنانه مجيبًا: «ليست رغبتني أن أتدخلَ في حقوقكم وتقاليديكم. وبالنسبة للتّوجهات الملكية يا چانوس، إذا كنت تعني أن عليّ أن أقول لإخوتك أن ينتخبوك، فعلى الأقلّ تحلّ بالشّجاعة وقُلها».

باغتَ قوله اللورد چانوس الذي ابتسمَ بحيرةٍ وبدأ ينضح عرقًا، إلّا أن باون مارش الواقف إلى جواره قال: «مَن الأجدر بقيادة ذوي المعاطف السّوداء ممّن قادَ ذوي المعاطف الذهبية يا مولاي؟».

حدجَ الملك سلينت ببرودٍ مجيبًا: «أيكم في رأيي، حتى الطّاهي. ربما لم يكن چانوس أول مرتشٍ بمعطفٍ ذهبي، لن أنكر هذا، ولكنه غالبًا كان

أول قائدٍ يُكَدِّسُ المالَ عن طريقِ بيعِ المناصبِ والتَّرقِيَاتِ. عندِ نهايةِ خدمتهِ  
مؤكِّدٌ أنَّ نِصْفَ ضُبَّاطِ حَرَسِ المَدِينَةِ كانوا يدفعون له جزءًا من أجورهم،  
أليس كذلك يا چانوس؟».

رَدَّ سَلِينتٌ وعُنقتهِ يحتقن بالدماء: «أكاذيب، كلُّها أكاذيب! الرَّجُلُ القويُّ  
يُكوِّنُ عداوات، جلالتك تعلم هذا. إنهم يتهاَمسون كذبًا وراء ظهرك. لم يَبْتِ  
شيءٌ، ولم يتقدَّم رجل واحد...».

عادَ ستانيس يُقَاطِعُه: «رجلان مستعدَّان للشَّهادةِ ماتا فجأةً في أثناءِ  
مناوَبَتَيْهِما»، وزرَّ عينيه مضيغًا: «لا تستخفنَّ بي يا سيِّدي. لقد رأيتُ الدَّلِيلَ  
الذي قدَّمه چون آرن للمجلس الصَّغير، ولو كنتُ الملكُ لفقدت أكثر من  
منصبك، ثِقْ بهذا، لكن روبرت استهانَ بزلاتك الصَّغيرة، وأذكرُ أنه قال:  
كلُّهم يسرقون. اللَّصُّ الذي نعرفه خيرٌ من الذي نجهله. ربما يكون الرَّجُلُ  
التَّالِي أسوأ. أراهنُ أنها كانت كلمات اللورد پيتر في فم أخي. الإصبع الصَّغير  
محترف في جني الذهب، وإنني متأكِّد من أنه رتَّب الأمور بحيث يستفيد التَّاج  
من فسادك كما استفدت منه».

كان لُعد اللورد چانوس بهتُّ، لكن قبل أن يُواصِل الاعتراض قال المايستر  
إيمون: «جلالة الملك، القانون ينصُّ على إبراءِ ساحة الرَّجُل من جميع  
جرائمه وتجاوزاته السَّابِقة عندما يحلف اليمين ويصير أخًا في حرس الليل». -  
«أدركُ هذا. إذا كان اللورد چانوس أفضل ما لدى حرس الليل فسأقبلُ  
على مضضٍ وأبتلعه. لا يعنيني من تختارون ما دُتمتم ستختارون. هناك حرب  
تنتظرنا».

قال السير دينس ماليستر بنبرة كياسةٍ حذرة: «جلالة الملك، إذا كنت  
تتكلم عن الهمج...».

- «لستُ أنكلُّم عنهم، وأنت تعلم هذا أيها الفارس».

- «ولا بدُّ أنك تعلم أن على الرغم من امتناننا لإعانتك إيانا على مانس  
رايدر، فلا يُمكننا أن نُساعدك في صراعك على العرش. حرس الليل لا  
يتدخَّلون في حروب (الممالك السَّبع). طيلة ثمانية آلاف عام...».

قاطعه الملك بغلظة: «أعرفُ تاريخكم يا سير دينس. لكم كلمتي، لن

أطلب منكم أن ترفعوا سيوفكم ضد المتمردين والغاصبين الذين ابتليت بهم،  
وأتوقع أن تستمروا في الدفاع عن (الجدار) كما فعلتم دائماً.

قال كوتر بايك: «سندافع عن (الجدار) حتى آخر رجل».

أضاف إاد الكتيب باستسلام: «سيكون أنا على الأرجح».

عقد ستانيس ذراعيه على صدره قائلاً: «سأطلب منكم بضعة أشياء أخرى  
أيضاً، أشياء ربما لا ترغبون في تقديمها. أريد قلاعكم، وأريد (الهدية)».

تفجرت تلك الكلمات العجافة بين الإخوة السود كوعاء من النار الشعواء  
ألقاه أحدهم على مستوقد، واندفع مارش ومالستر وبايك يتكلمون في آن  
واحد، فتركهم الملك ستانيس يتكلمون، وحين فرغوا قال: «إن معي ثلاثة  
أضعاف رجالكم، ويمكنني أن آخذ الأراضي إذا أردت، لكنني أفضل أن  
أفعلها بالقانون وبموافقتكم».

قال باون مارش: «(الهدية) مُنحت لحرس الليل مدى الحياة يا جلالة  
الملك».

- «وهو ما يعني أنها لا يمكن أن تنتزع أو تُصادر أو تُؤخذ منكم قانوناً،  
لكن ما يُمنح مرةً يُمكن أن يُمنح ثانية».

سأله كوتر بايك: «ماذا ستفعل بـ(الهدية)؟».

- «أستغلها أفضل مما استغليتموها. أمّا القلاع فستبقى (القلعة الشريفة)  
و(القلعة السوداء) و(برج الظلال) لكم، أقيموا حامياتكم فيها كما فعلتم  
دوماً، لكن يجب أن آخذ الأخريات لحامياتي إذا كنا سندافع عن (الجدار)».

قال باون مارش مستنكراً: «ليس لديك العدد الكافي من الرجال».

وقال البناء الأول أوثيل يارويك: «وبعض القلاع المهجورة ليس أكثر من  
أطلال».

- «الأطلال سيُعاد بناؤها».

قال يارويك: «يُعاد بناؤها؟ ومن سيفعل هذا؟».

- «هذا شأنِي أنا. أريد منك قائمة مفصلة بالحالة الرّاهنة لكل قلعة  
والمطلوب لترميمها. إنني أنوي أن تُقام حامياتي فيها جميعاً قبل نهاية العام،  
وأن تشتعل النار الليلية أمام بواباتها».

رمقَ مارش مليساندرا بارتباكٍ قائلاً: «النَّارُ اللَّيْلِيَّةُ؟ هل سُنْشِعِلُ النَّارِ اللَّيْلِيَّةُ  
أيضاً؟».

نهضت المرأة بثوب دوّام من الحرير القرمزي وشعرها النحاسي اللامع  
الطويل ينسدل على كتفها، وقالت: «نعم. الشيوف وحسب لا تستطيع أن  
تصدّ هذه الظلمة. وحده إله الضياء يستطيع. لكم أن تثقوا أيها الفرسان الكرام  
والإخوة الشجعان بأن الحرب التي جننا نخوضها، ليست صراعاً تافهاً على  
الأراضي والألقاب. حربنا من أجل الحياة ذاتها، وإذا هُزّ منا يموت معنا العالم».  
رأى سام أن الضباط لا يدرون كيف يتقبلون كلامها. تبادل باون مارش  
وأوثيل يارويك نظرةً، بينما تميّز چانوس سلينت غيظاً، وبدا هوب ذو الثلاثة  
أصابع كأنه يُحبّد العودة إلى تقطيع الجزر، لكن الدهشة لاحت على الجميع  
حين سمعوا المايستر إيمون يُغمغم: «تتكلمين عن الحرب من أجل الفجر يا  
سيّدي، لكن أين هو الأمير الموعود؟».

أعلنت مليساندرا: «إنه واقف أمامك، وإن كنت بلا بصر يراه. ستانيس  
باراثيون هو أزور آهاي العائد من جديد، مُحارب النَّارِ، وفيه تتحقّق النبوءات؛  
المدنّب الأحمر اتّقد في السماء معلناً مجيئه، ويحمل (جالب الضياء) سيف  
الأبطال الأحمر».

لاحظ سام كم أصابت كلماتها الملك بالاضطراب، وصرّ ستانيس بأسنانه  
قائلاً: «لقد ناديتم ولييتُ النداء أيها السادة، والآن عليكم أن تعيشوا معي أو  
تموتوا معي. خيرٌ لكم أن تعتادوا هذا»، وأشار بيده باقتضاب مضيفاً: «هذا  
كل شيء. ابقَ لحظةً أيها المايستر، وأنت أيضاً يا تارلي، وليذهب بقيتكم».  
مدعوراً قال سام لنفسه فيما انحنى إخوته وغادروا: أنا؟ ماذا يريد مني؟  
حين تبقى أربعتهم فقط في المكان قال له الملك ستانيس: «أنت من قتلَ  
ذلك الكائن وسط الثلوج».

أضافت مليساندرا باسمّة: «سام القاتل».

أحسّ سام بوجهه يصطبغ بالأحمر وهو يقول: «لا يا سيّدي، يا جلاله  
الملك، أعني أنني هو، نعم، سامويل تارلي، نعم».

قال الملك ستانيس: «أبوك جندي قدير. لقد هزم أخى مرّة في (آشفورد).  
أسعد مايس تايرل أن ينتحل شرف هذا النّصر، لكن اللورد راندل كان قد

حَسَمَ الأمور قبل أن يصل تايرل إلى ميدان المعركة. يومها قتل اللورد كافرن بسيفه الثاليري العظيم وأرسل رأسه إلى إيرس»، وحكَّ الملك فكّه بإصبعه مضيفاً: «لست الابن الذي كنتُ لأتوقَّع أن يُنجبه رجل مثله».

- «لستُ... لستُ الابن الذي أراه يا مولاي».

قال ستانيس متأملاً: «لو لم تلتحق بحرس الليل لكنت رهينة مفيدة».

علّق المايستر إيمون: «إنه أخ محلف يا مولاي».

قال الملك: «أدرك هذا جيِّدًا، وأدرك أكثر مما تحسب يا إيمون تارجارين».

مالَ العجوز برأسه مجيبًا: «أنا إيمون فحسب يا مولاي. إننا نتخلّى عن

أسماء عائلاتنا عندما نصوصغ سلاسلنا».

أوماً الملك برأسه باقتضاب كأنه يقول إنه يعرف ولا يُبالي، وخاطبَ سام

قائلًا: «قيل لي إنك قتلت الكائن بخنجر من الزُجاج البُركاني».

- «ننعم يا جلالة الملك، چون سنو أعطاني إياه».

أطلقت المرأة الحمراء ضحكةً هي موسيقى، وقالت: «زُجاج التنين، النَّار

المجمّدة في لغة (فاليريا) القديمة. لا عجب أنه وبال على أطفال (الأخر)

الباردين».

قال الملك لسام: «في (دراجونستون) حيث كان مقرّي هناك الكثير من هذا

الزُجاج البُركاني في الأنفاق القديمة تحت الجبل، كُتل منه وجماميد وعروق

كاملة. أكثره أسود على ما أذكر، لكن بعضه أخضر أو أحمر، بل وأرجواني

أيضًا. لقد أرسلتُ لأمين القلعة السير رولاند ليبدأ استخراجه. أخشى أنني لن

أظلّ مسيطرًا على (دراجونستون) طويلًا، لكن ربما يهبُّ لنا إله الضياء تلك

النَّار المجمّدة لُسلِّح أنفسنا ضد تلك الكائنات قبل سقوط القلعة».

تنحنحَ سام، وقال: «ممولاي، الخنجر... زُجاج التنين تحطّم حين

حاولتُ أن أظعن إحدى الجُثث الحيّة».

ابتسمتَ مليساندرا قائلةً: «تلك الجُثث الحيّة يُحرّكها النُكرومانسي<sup>(1)</sup>

(1) النُكرومانسي كلمة تصف ضربًا من السّحر الأسود يُفترض أنه يُمارَس بغرض التّواصل مع

الموتى، باستحضار أرواحهم أو بعث الحركة في أجسادهم، في سبيل اكتشاف الأسرار

الخفيّة أو الاطّلاع على المستقبل أو بعث الحياة في جسد ميت، والكلمة تعني «بواسطة

الكهانة» باللاتينية المتأخّرة. (الترجم).

لكنها تظلُّ لحمًا ميتًا، ويُمكن التَّعاملُ معها بالفولاذ والنَّار، لكن مَنْ تُسمُّونهم (الآخرين) أكثر من هذا».

قال ستانيس براثيون: «شياطين مخلوقة من الثلج والجليد والبرد، العدو العتيق، العدو المَهْمُّ الوحيد»، وعادَ يتطَّلع إلى سام قائلاً: «قيلَ لي إنك والفتاة الهمجيَّة مررتما من بَوَايَةِ مسحورة تحت (الجدار)».

أجابَ سام بتلعُّثم: «الببَوابَةُ السَّوداء، تحت (قلعة اللَّيل)».

- «(قلعة اللَّيل) أكبر وأقدم قلاع (الجدار). هناك أنوي أن يكون مقرِّي بينما أخوضُ هذه الحرب. ستريني تلك الببَوابَةُ».

- «س... سأأفعل إذا...». إذا كانت لا تزال موجودة، إذا كانت ستنتفح

لرجل لا يرتدي الأسود، إذا...».

قالَ الملكُ بحدَّة: «ستفعل. سأخبرك متى».

ابتسمَ المايستر إيمون، وقال: «جلالة الملك، قبل أن نذهب، أتمنَّى أن تُسبِّغَ علينا بشرف رؤية هذا السَّيفِ الأعجوبة الذي سمعنا الكثير جدًّا عنه».

- «تريد أن ترى (جالِبِ الضِّياء)؟ أنت الكفيف؟».

- «سام سيكون عيني».

قطَّبَ الملكُ وجهه قائلاً: «الجميع رأوه، فلمَ لا يراه أعمى كذلك؟». كان حزامه وغمده معلقين على مشجب قُرب المستوقد، فالتقطَ الحزامَ وسحبَ السَّيفَ الطَّويلَ من الغمد. احتكَّ الفولاذ بالخشب والجلد وملأ الألقُ العُرفة، يُمِضُ، يتمايلُ، رقصة ذهبيَّة وحمراء وبرتقاليَّة من الأضواء، كلُّها متقد كالنيران.

مسَّ المايستر إيمون ذراعه، وقال: «أخبرني يا سامويل».

قال سام بخفوت: «إنه يتوهَّج كأنه مشتعل نارًا. ليس هناك لهب، لكن الفولاذ أصفر وأحمر وبرتقالي، يُمِضُ ويتلألأ كضوء الشَّمس على سطح المياه، لكن أجمل. ليت بإمكانك أن تراه أيها المايستر».

قال العجوز: «أراه الآن يا سام، سيف مليء بضوء الشَّمس رائع مرآه»، وانحنى بتبيُّس مردفًا: «جلالة الملك، سيِّدتي، شكراً على لُطفكما البالغ».

حين أغمدَ ستانيس السَّيفَ البراق بدا كأن العُرفة تسربت بظلمةٍ حالكة على الرغم من ضوء الشَّمس المتدفِّق من النَّافذة.

قال الملك: «حسن، لقد رأيتماه. يُمكنكما العودة إلى واجباتكما الآن. وتذكّر ما قُلته، سيختار إخوتكما قائدًا اللَّيلة أو سأجعلهم يتمنون لو أنهم فعلوا».

استغرق المايستر إيمون في التّفكير بينما ساعده سام على نزول السّلالم الملوّبة الضيّقة، لكنه قال وهما يقطعان السّاحة: «لم أشعر بحرارة، وأنت يا سام؟».

ردّد: «حرارة؟ من السّيف؟»، وعادَ بذاكرته لحظةً قبل أن يُردف: «الهواء حوله كان يتموّج كما يفعل فوق مستوقدٍ ساخن».

- «لكنك لم تُشعر بحرارة، أليس كذلك؟ والغمد، إنه من الخشب والجلد، مضبوط؟ سمعتُ الصّوت حين استلّ جلالته السّيف. هل كان الجلد مسفوحًا يا سام؟ هل بدا الخشب محروقًا أو مسودًا؟».

- «لا، ليس حسبما رأيتُ».

أومأ المايستر، ولمّا عادا إلى مسكنه طلبَ من سام أن يُشعل نارًا ويأخذه إلى مقعده عند المستوقد، وإذ أراح نفسه على وسادةٍ قال: «شاق للغاية أن يطعن المرء في السنّ هكذا، وأشقُّ أن يكون أعمى. كم أفتقدُ الشّمس، والكُتب، الكُتب أفتقدها أكثر من غيرها»، ولوّح بيده مضيّفًا: «لن أحتاج إليك ثانيةً قبل الاقتراع».

- «الاقتراع... مايستر، ألا يوجد ما يُمكنك أن تفعله؟ ما قاله الملك عن اللورد چانوس...».

- «أذكرُ، لكن اسمع يا سام، أنا مايستر مسلسل ومحلّف، واجبي أن أسدي القائد النّصيحة أبا كان. لا يجوز أن يراني الإخوة أتحيّر لمرشح ضد آخر».

قال سام: «أنا لستُ مايستر، فهل يُمكنني أن أفعل شيئًا؟».

رمقه إيمون بعينه البيضاءوين العمياوين، وقال مبتسمًا برصانة: «لا أدري يا سام، هل يُمكنك؟».

فكر سام: يُمكنني، وواجب عليّ. وعليه أن يتحرّك الآن أيضًا. إذا تردّد فسيفقد شجاعته لا محالة. ذكّر نفسه وهو يُسرِع عبر السّاحة: أنا رجل في حرس اللَّيل، نعم، يُمكنني أن أفعلها. في وقتٍ سابق كان يصرُّ كالفتران وترتعد أوصاله إذا وجّه إليه اللورد مورمونت ولو نظرةً، لكن هذا سام

القديم، سام ما قبل (قبضة البشر الأوائل) و(قلعة كراستر)، قبل الجُثث الحيّة وذي اليمين الباردين و(الآخر) على حصانه الميت. إنه أشجع الآن. لقد قال لچون إن جيلي جعلته أشجع، وهذا صحيح، لا بُدَّ أنه صحيح.

كوتر پایك الأكثر إرهاباً بين القائدين، وإليه ذهب سام أولاً وشجاعته لا تزال مستعرة. وجدّه في (قاعة التُّروس) القديمة، يلعب التردّ مع ثلاثة من رجال (بُرج الظلال) وورقيب أحمر الشَّعر أتى من (دراجونستون) مع ستانيس. لكن حين استأذن سام في الكلام معه، جأَرَ پایك بأمرٍ وأخذ الآخرون التردّ والتفود وغادروهما.

لا يُمكن لأحدٍ أن يقول إن كوتر پایك وسيم، لكن الجسد تحت سُترته المطعّمة بالحديد وسراويله الصُّوف ممشوق وُصَلب وقويُّ حقاً، وعيناه صغيرتان متقاربتان وأنفه مكسور ومقدّمة شعره المدبّبة كراس حربة، وقد أتلف الجُدري وجهه تماماً، واللحية التي ربّما لإخفاء ندوبه خفيفة هزيلة. قال پایك على سبيل التحيّة: «سام القاتل! أنت واثق بأنك طعنت (آخر) وليس فارس طفل من الثلج؟».

ليست بدايةً مبشرة. شرح سام بفتور: «زُجاج الثنين هو ما قتله يا سيّدي». - «نعم، لا شك. حسن، تكلم أيها القاتل. هل أرسلك المايستر إليّ؟». ابتلع سام لعابه، وقال: «المايستر؟ لقد... لقد تركته لتويّ يا سيّدي». ليست كذبة حقاً، لكن إذا اختارَ پایك أن يُسيء تأويلها، فربما يجعله هذا ميّالاً أكثر للإصغاء، وهكذا أخذ سام نفساً عميقاً وشرع في التماسه.

وقبل أن يُكمل عشرين كلمة قاطعه پایك: «تريدني أن أركع وأقبل حافة معطف ماليستر الأنيق؟ كان عليّ أن أعرف. أنتم أيها الأعيان كالأغنام، لا تعرفون العيش إلّا قُطعاناً. قل لإيمون إنه بدّد أنفاسه ووقتي. إذا انسحب أحد فالمفترض أن يكون ماليستر. الرّجل عجوز للغاية على مهمّة كتلك. ربما يجدرُ بك أن تقول له هذا. إذا اخترناه ستجدنا في الوضع نفسه في غضون عام لاختيار واحدٍ جديد».

قال سام: «إنه عجوز، لكنه مخضرم».

- «في الجلوس في بُرجه والحملقة إلى خرائطه ربما. ماذا ينوي؟ أن يكتُب رسائل للجُثث الحيّة؟ إنه فارس، لا بأس، لكنه ليس بمُحارب، ولا



يسوى عندي وعاء بول من أسقط عن حصانه منذ خمسين عامًا. ذو النصف يد خاض له معاركه كلها، حتى العجوز الأعمى يرى هذا، ونحن في حاجة إلى مُحارِب الآن تحديداً وهذا الملك اللعين فوق رؤوسنا. اليوم أطلال وحقول فارغة، لا بأس، لكن ماذا سيُريد جلالته غداً؟ هل تحسب أن ماليستر بالشجاعة التي تجعله يقف لستانيس باراثيون وتلك الحقيرة الحمراء؟»، وضحك مضيئاً: «أنا لا أحسب».

قال سام بقنوط: «لن تُسانده إذن؟».

قال بايك: «أنت سام القاتل أم ديك الأصم؟ نعم، لن أسانده»، ولوح بإصبعه في وجه سام مواصلاً: «افهم يا فتى، أنا لا أرغب في الوظيفة اللعينة ولم أرغب فيها قط. إن أحسن قتالي وتحتي سطح سفينة لا حصان، و(القلعة السوداء) بعيدة للغاية عن البحر، لكني سأدس سيفاً متقدداً في مؤخرتي قبل أن أسلم حرس الليل لذلك النسر المختال من (برج الظلال)، ويُمكنك أن تجري إلى العجوز وتُخبره بأني قلتُ هذا إذا سألك»، ونهض مردفاً: «اغرب عن وجهي».

تطلب كل ما تبقى لسام من شجاعة أن يقول: «ماذا لو أن هناك أحداً آخر؟ هل يُمكنك أن تدعم أحداً آخر؟».

- «من؟ باون مارش؟ إنه عداد ملاعق. أو ثيل تابع، يفعل ما يؤمر به ويُجيد فعله، لكن ليس أكثر من هذا. سلينت... أعترف بأن رجاله يحبونه، وربما يستحق الأمر لمجرد أن أدسه في الكرش الملكي، وأرى إن كان ستانيس سيقتياً، لكن لا، الرجل فيه الكثير من (كينجز لاندنج). ينبت للضفدع جناحان ويحسب نفسه تينياً»، وضحك مواصلاً: «من تبقى؟ هوب؟ ربما يُمكننا أن نختاره، لكن من سيسلق لك الضأن أيها القاتل؟ إنك تبدو كرجلٍ يحب الضأن».

لم يعد هناك ما يُقال. مهزوماً، لم يستطع سام إلا أن يتلجلج بالشكر ويستأذن في الانصراف. حاول أن يُطمئن نفسه وهو يقطع القلعة: سألبي بلاءً أحسن مع السير دينس. ماليستر فارس عالي النسب لا تعوزه اللباقة، وقد عامل سام بمنتهى الدماثة حين وجدّه وجيلي على الطريق. السير دينس سيُصت إليّ، لا بد أن يُصت.

وُلِدَ قَائِدَ (بُرْجِ الظَّلَالِ) فِي بُرْجِ آخِرِ اسْمِهِ (بُرْجِ الدَّوِيِّ) فِي (سِيْجَارْدِ)، وَتَنَمُّ كُلُّ خَلِجَةٍ مِنْ خَلِجَاتِهِ عَنْ كَوْنِهِ مِنْ عَائِلَةِ مَالِيَسْتِرْ، يُوَشِّي فِرْوِ السَّمُورِ يَاقْتَهُ وَيُبْرِزُ المَحْمَلِ فِي كُمِّي سِتْرَتِهِ السَّوْدَاءِ، وَيُثَبِّتُ نَسْرَ فَضِّي طَيَّاتٍ مَعْطَفَةٍ المِضْمُومَةِ بِمِخَالِبِهِ. لِحِيْتِهِ نَاصِعَةٌ كَالثَّلِجِ، وَشَعْرُهُ أَكْثَرُهُ زَالٌ، وَلِئِنْ كَانَ وَجْهَهُ مَحْطَطًا بِالتَّجَاعِيدِ حَقًّا فَحَرَكَتُهُ مَا زَالَتْ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى الرَّشَاقَةِ وَفَمَهُ إِلَى الأَسْنَانِ، وَلَمْ تَعْتَمِ السُّنُونُ عَيْنِيهِ بِلُونِهِمَا الرَّمَادِي المِزْرَقُ أَوْ تَحَدُّ مِنْ كِيَاسَتِهِ. حِينَ أَتَاهُ وَكَيْلَهُ بِسَامِ فِي (الرُّمَحِ) حَيْثُ يُقِيمُ رِجَالُ (بُرْجِ الظَّلَالِ) قَالَ: «سَيِّدِي تَارِلِي، يَسْرُنِي أَنْ أَرَكَ تَعَافَيْتَ مِنْ مَحْتَتِكَ. هَلْ تُرِيدُ كَأَسَا مِنْ التَّبِيدِ؟ أَذْكَرُ أَنْ السَّيِّدَةَ وَالدَّتْكَ مِنْ عَائِلَةِ فِلُورَنْتِ. يَجِبُ أَنْ أَحْكِي لَكَ يَوْمًا عَنِ المَرَّةِ الَّتِي أَسْقَطْتُ فِيهَا جَدِّكَ كِلَيْهِمَا عَنِ حِصَانِيهِمَا فِي الدَّوْرَةِ نَفْسَهَا، لَكِنْ لَيْسَ الِیَوْمِ، أَعْرِفُ أَنْ أَمَامَنَا أُمُورٌ أَهْمٌ. لَا بُدَّ أَنْكَ أَتَيْتَ مِنْ عِنْدِ المَائِيسْتِرِ إِيْمُونِ. هَلْ لَدِيهِ نَصِيحَةٌ يُقَدِّمُهَا لِي؟».

رَشَفَ سَامٌ مِنَ التَّبِيدِ وَانْتَقَى كَلِمَاتِهِ بِعِنَايَةٍ: «المَائِيسْتِرِ مَسْلَسَلٌ وَمَحْلَفٌ... لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَى كَانَ لَهُ تَأْثِيرًا عَلَى اخْتِيَارِ حَضْرَةِ القَائِدِ...».

ابْتَسَمَ الفَارِسُ العَجُوزُ قَائِلًا: «وَلِهَذَا السَّبَبِ لَمْ يَأْتِنِي بِنَفْسِهِ. نَعَمْ، مَفْهُومٌ تَمَامًا يَا سَامُوبِيلِ. أَنَا وَالمَائِيسْتِرِ إِيْمُونِ عَجُوزَانِ وَتَمْتَرَّسَانِ بِهَذِهِ الأُمُورِ. قُلْ مَا جِئْتَ لِنَقُولِهِ».

كَانَ التَّبِيدُ حُلُوءًا، وَأَصْغَى السَّيْرُ دِينَسَ إِلَى التَّمَاسِ سَامَ بِتَهْذِيبِ رَصِينِ، عَلَى عَكْسِ كَوْتِرِ پَايِكِ، لَكِنْ حِينَ فَرَّغَ هَزَّ الفَارِسُ العَجُوزُ رَأْسَهُ قَائِلًا: «أَوَافَقُكَ عَلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ يَوْمًا أَسْوَدَ فِي تَارِيخِنَا إِذَا سَمَّيَ مَلِكًا قَائِدَنَا الجَدِيدِ، هَذَا المَلِكُ بِالدَّاتِ. لَا أَظُنُّ أَنَّهُ سَيَحْتَفِظُ بِتَاجِهِ طَوِيلًا. لَكِنْ حَقًّا يَا سَامِ، المَفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ پَايِكِ المَنْسَحَبِ. إِنْ مَسَانْدِيَّ أَكْثَرَ مِنْ مَسَانْدِيهِ، وَالمَنْصَبُ يُنَاسِبُنِي أَكْثَرَ».

قَالَ سَامٌ: «نَعَمْ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ كَوْتِرِ پَايِكِ صَالِحًا. يُقَالُ إِنَّهُ أَثْبَتَ نَفْسَهُ كَثِيرًا فِي المَعَارِكِ». لَا يَقْصِدُ أَنْ يُهَيِّنَ السَّيْرُ دِينَسَ بِالثَّنَاءِ عَلَى مَنَافِسِهِ، لَكِنْ بِأَيِّ ذَرِيعَةٍ أُخْرَى يُمَكِّنُهُ إِقْنَاعُهُ بِالانْسِحَابِ؟

قَالَ السَّيْرُ دِينَسُ: «كَثِيرُونَ مِنْ إِخْوَتِي أَثْبَتُوا أَنْفُسَهُمْ فِي المَعَارِكِ، لَكِنْ هَذَا

لا يكفي. بعض الأمور لا يُسَوَّى بالفؤوس. المايستر إيمون يفهم هذا، وإن كان كوتر بايك لا يفهمه. حضرة قائد حرس الليل في منزلة لورد أولاً وأخيراً، أي يجب أن يتمكن من التَّعامل مع اللوردات... والملوك أيضاً، يجب أن يكون رجلاً يستحقُّ الاحترام»، ومالَ إلى الأمام متابعاً: «أنا وأنت كلانا ابن لورد كبير، ونعرف وزن الميلاد والدَّم والتَّدريب المبرِّك الذي لا تُمكن الاستعاضة عنه. لقد أصبحتُ مُرافقًا في سِنِّ الثَّانية عشرة وفارسًا في سِنِّ الثَّامنة عشرة وبطلًا في سِنِّ الثَّانية والعشرين، وأقوُدُ (بُرج الظلال) منذ ثلاثة وثلاثين عامًا. الدَّم والميلاد والتَّدريب أهْلوني للتَّعامل مع الملوك. بايك... هل سمعته هذا الصَّباح يسأل إن كان جلالته سيمسح مؤخرته؟ سامويل، ليست عادتي أن أتكلَّم بالشُّوء عن إخوتي، لكن لنكن صريحين... حديدِيُّو الميلاد جنس من القراصنة واللصوص، وكوتر بايك كان يغتصب ويقتل منذ نعومة أظفاره. المايستر هارميون يكتُتب ويقرأ له رسائله منذ أعوام. لا، على الرغم من كراهيتي أن أُخيِّب أمل المايستر إيمون، فلا يُشرِّفني أن أتخَي من أجل رجل (القلعة الشَّرقيَّة) بايك».

هذه المرَّة كان سام مستعدًّا، فسأله مباشرةً: «هل يُمكنك أن تنسحب لأجل أحدٍ آخر؟ إذا كان أجدر؟».

تفكَّر السير دينس لحظةً، ثم قال: «إنني لم أتمنَّ هذا الشَّرَف لحدِّ ذاته قطُّ. في الانتخاب السَّابق تنحَّيتُ ممتنًّا حين طُرِح اسم اللورد مورمونت، كما فعلتُ مع اللورد كورجايل في الانتخاب الذي سبقه. ما دام حرس الليل في أيِّد أمينة فأنا قانع. لكن باون مارش ليس كُفئًا للمهمَّة، وكذا أوثيل يارويك، وسيِّد (هارنهال) المزعوم هذا ليس أكثر من خِلفة جَزَّار رفعه آل لانستر من الحضيض. لا عجب أنه مرتش فاسد».

اندفع سام يقول: «ثمَّة رجلٌ آخر. حضرة القائد مورمونت وثقَّ به، وكذلك دونالد نوي وكورين ذو النَّصف يد. إنه ليس كريم الميلادٍ مثلك لكنه ينحدر من سُلالةٍ قديمة، وُلِد في قلعةٍ ونشأ في قلعةٍ وتعلَّم القتال بالسِّيف والرُّمح من فارس والقراءة والكتابة من مايستر. أبوه كان لوردًا وأخوه كان ملكًا».

ملَّس السير دينس على لحيته، وبعد صمتٍ طويل قال: «ربما. إنه صغير

للغاية، لكن... ربما. ربما يَصْلُحُ، لكنني أنسب ولا شَكَّ لديَّ في هذا. إنني الاختيار الأكثر حكمةً.

چون قال إن من الممكن أن يكون هناك شرف في الكذب إذا قِيلَ لسبب وجيه. «إذا لم نتخب قائدًا الليلة فالملك ستانيس قال إنه ينوي تسمية كوتر بايك، قال هذا للمايستر إيمون هذا الصَّبَاحَ بعد أن غادرتم». قال السير دينس: «مفهوم»، ونهَضَ مضيقًا: «عليَّ أن أفكر. شكْرًا يا سامويل، وبلغ المايستر إيمون شكري أيضًا».

كان سام يرتجف حين خرج من (الرُّمَح). ما الذي فعلته؟ ما الذي قُلته؟ إذا ضبطوه متلبسًا بالكذب فسوف... ماذا؟ يُرسلونني إلى (الجدار)؟ يَمزقون أحشائي؟ يُحوِّلونني إلى جيئة حية؟ فجأةً بدت المسألة كلها سخيفةً. كيف يخشى كوتر بايك والسير دينس مالمِستر وقد رأى عُداً يأكل وجهه پول الصَّغير؟

عسَ بايك لعودته، وقال له: «أنت ثانية؟ تكلم بسرعة لأنك بدأت تضايقني».

قال سام: «لا أريدُ إلا لحظةً إضافيَّةً. قلت إنك لن تنسحب من أمام السير دينس، لكن قد تفعلها لأجل أحدٍ آخر».

- «من هذه المرَّة أيها القاتل؟ أنت؟».

- «لا، إنه مُقاتِل. دونالد نوي سلَّمه قيادة (الجدار) عندما هاجمَ الهَمج،

وكان وكيل الدُّب العجوز. المشكلة الوحيدة أنه نغل».

ضحك كوتر بايك، وقال «بحقِّ الجحيم. كأني أدسُّ حربةً في مؤخرة مالمِستر، أليس كذلك؟ ربما يستحقُّ الأمر من أجل هذا فقط. الصَّبي لن يكون بذلك السُّوء»، وأطلقَ نخبيرًا قبل أن يُضيف: «لكنني أفضل، أنا المطلوب الآن، حتى الحمقى يرون هذا».

قال سام: «حتى الحمقى، بما فيهم أنا، لكن... لا يُفترَض أن أخبرك،

لكن... الملك ستانيس ينوي أن يفرض السير دينس علينا إذا لم نختر رجلًا الليلة. سمعته يقول هذا للمايستر إيمون بعد أن صرفكم».



## چون

إميت الحديدي جوال شاب طويل نحيف، جَلَدَه وقوَّته وبراعته في المبارزة مفخرة (القلعة الشريفة). على الدوام يعود چون من نزالهما بجسدٍ متيبس متوجع، ويستيقظ في اليوم التالي مغطى بالرضوض، وهو ما يُريده بالضبط. إنه لن يتحسن أبداً باستمراره في التدريب مع أمثال ساتان والجواد، أو جرن. يحبُّ أن يعتقد أن السَّجال بينهما متكافئ في أغلب الأيام، لكن ليس اليوم. لقد نام بالكاد ليلة أمس، وبعد ساعاتٍ من التَّقلب ضجراً في سريره عدل عن محاولة الغياب في النَّوم وارتدى ثيابه وسارَ على قَمَّة (الجدار) إلى أن أشرقت الشمس، طيلة الوقت يُغالب عرض ستانيس باراثيون ويُغالبه. والآن بدأت تُدرِّكه تبعات الأرق، وإميت ينهال عليه بالضربات بلا رحمة عبر السَّاحة، يدفعه إلى التَّقهقر على عقبه بضربةٍ دوَّارة وراء أخرى، وعلاوةً على هذا يهوي عليه بثُرسه بين الحين والآخر، إلى أن سرى الخدر في ذراع چون من وقع الصَّدمات المتعاقبة، وكلما مرَّت لحظة أحسنَّ بسيف التَّدريب المفلول في يده أثقل وأثقل.

كان مستعداً لخفض تُرسه وطلب التَّوقُّف عندما انخفض إميت مراوِغاً ثم سدَّد إليه ضربةً ببطن السَّيف من فوق تُرسه أصابته على صُدغه. ترنَّح چون وفي كلا خوذته ورأسه رنين من عُنف الضَّربة، ووراء فتحة الرُّؤية استحال العالم لحظةً إلى غمامة.

ثم تلاشت السنون ووجد نفسه في (وينترفل) من قديم، يرتدي سُترَةً جلديةً مبطنَةً بدلاً من حلقات وصفائح المعدن ويحمل سيفاً من الخشب، ومَن يُواجهه روب وليس إميت الحديدي.

منذ تعلّم المشي اعتادا المَران معًا كلَّ صباح، سنو وستارك، يدوران  
ويتبادلان الضَّربات في جنبات (ويتترفل)، يتصايحان ويضحكان، وأحيانًا  
يبكيان في حُلوتهما بعيدًا عن الأنظار. في كَرهما وفرَّهما لم يكونا صبيَّين  
صغيرين، بل فارسين من مصاف الأبطال العظام. يهتف چون: «أنا الأمير  
إيمون الفارس التَّين»، ويردُّ روب الهتاف: «وأنا فلوريان المهرَّج»، أو يقول  
روب: «أنا التَّين الصَّغير»، فيُجيب چون: «أنا السير ريام ردواين».

في ذلك الصَّباح أعلنها أولاً، وكما فعلَ مئة مرَّة قبلها صاح: «أنا سيِّد  
(ويتترفل)!!»، لكن هذه المرَّة - هذه المرَّة - أجاب روب: «لا يُمكنك أن  
تكون سيِّد (ويتترفل). أنت نغل. السيِّدة والدتي تقول دائماً إنك لن تُصبح  
سيِّد (ويتترفل) أبداً».

قال لنفسه وهو يتذوَّق الدَّم في فمه من الضَّربة التي تلقَّاهَا: ظننتُ أنني  
نسيْتُ ذلك اليوم.

في النِّهاية اضطرَّ هالدر والجواد لجَرِّه من فوق إِميت الحديدي، يجذبه  
كلُّ منهما من ذراع، وعلى الأرض جلسَ الجوّال مضععاً، تُرسه شبه مهشَّم  
ومقدِّمة خوذته منحرفة وسيفه على بُعدِ ست ياردات. كان هالدر يصيح:  
«چون، كفي، لقد سقط، جرّده من سلاحه! يكفي هذا!».

لا، لا يكفي، لا يكفي أبداً. أسقط چون سيفه، وتمتم: «آسف. إِميت، هل  
جُرحت؟».

خلع إِميت الحديدي خوذته قائلاً: «ما الذي لم تفهمه من «أستسلم» يا  
لورد سنو؟». على أنه قالها بكياسة. إِميت رجلٌ كَيِّس ويحبُّ أغنيَّة السُّيوف.  
أنَّ مردفاً: «ليحميني (المُحارب)، الآن أعرفُ ما أحسَّ به كورين ذو النِّصف  
يد».

فاق القول طاقته على الاحتمال. انتزع چون ذراعيه من صديقيه وانسحب  
إلى مستودع السِّلاح وحيداً، وجلسَ على دكَّةٍ دافئاً وجهه في يديه، يسأل  
نفسه: لماذا يُفعمني كل هذا الغضب؟ لكنه سؤالٌ سخيف. سيِّد (ويتترفل)،  
باستطاعتي أن أكون سيِّد (ويتترفل)، وريث أبي.

لكن الوجه الذي رآه يسبح في الهواء أمامه لم يكن وجه اللورد إدارد،  
بل الليدي كاتلين التي بدت بعينيها الزَّرقاوين العميقتين وفمها البارد القاسي

أشبه بعض الشَّيء بستانيس. حديد وإنما هَش. كانت تَرْمُقُه بالنَّظرة نفسها التي اعتادت أن ترميه بها في (ويتترفل) متى تَفَوَّقَ على روب في النَّزال أو الحساب أو أيَّ شيءٍ تقريبًا، النَّظرة التي قال لسان حالها دومًا: مَنْ أنت؟ ليس هذا مكانك. ماذا تفعل هنا؟

كان أصدقائه ما زالوا في ساحة التَّدريب، لكنه ليس في حالة تَحَوُّل له أن يُواجههم، فغادرَ مستودعَ السِّلاح من الخلف ونزلَ السَّلام الحجرية شديدة الانحدار إلى المسالك الدُّوديَّة، الأنفاق التي تربط حصون القلعة وبروجها تحت الأرض. قطع مسافةً قصيرةً إلى الحَمَّام، حيث غمسَ جسده في الماء البارد أولاً ليغسل العرق ثم استراح في حوض حجريٍّ مليء بالماء السَّاخن. خلَّص الدَّفء عضلاته من القليل من وجعها ودفعَ أفكاره إلى برك (ويتترفل) الموحلة التي تُبْقِبِقُ وينبعث منها الدُّخان في أيكه الآلهة. (ويتترفل). ثيون تركها محروقةً مهتدِّمةً، لكن يُمكنني أن أرممها. لا ريب أن أباه كان ليشاء هذا، وروب أيضًا. ما كانا ليريدا أن تترك القلعة أنقاضًا.

ثانيةً سمعَ روب يقول: لا يُمكنك أن تكون سيِّد (ويتترفل). أنت نغل. وسمعَ الملوك الحجريِّين يزجرونه بألسنة من الجرانيت قائلين: انتماؤك ليس هنا، هذا ليس مكانك. حين أغلقَ عينيه رأى شجرة القلوب بفروعها الشَّاحبة وأوراقها الحمراء ووجهها المهيب. لطالما قال اللورد إدارد إن شجرة الويرود قلب (ويتترفل)... لكن لِيُنْفِذَ چون القلعة عليه أن ينتزع هذا القلب من جذوره العتيقة ويطعمه لإله ملساندرا النَّاري الجائع. ليس من حقِّي، (ويتترفل) تنتمي إلى الآلهة القديمة.

أعاده صدى الأصوات الذي تردَّد على السَّقْف المقنطر إلى (القلعة السوداء)، وسمعَ رجلًا يقول بصوتٍ مثقل بالارتياب: «لا أدري، ربما لو كنتُ أعرفُ الرَّجُلَ أفضل... اللورد ستانيس لم يتكلم عنه بالخير».

رَدَّ الصَّوت الصَّوَّاني الذي لا يُمكن أن يكون إلا للسير أليسر: «منذ متى وستانيس باراثيون يتكلم بالخير عن أيِّ أحد؟ إذا تركنا ستانيس يختار قائدنا سنُصبحَ حَمَلَة رايته فعلاً وإن لم يكن اسمًا. تايوين لانستر لن ينسى هذا، وأنتم تعلمان أن اللورد تايوين هو من سيربح في النَّهاية. لقد هزَمَ ستانيس مرَّةً بالفعل في (النَّهر الأسود)».

قال باون مارش بلهجة متوترة مضطربة: «اللورد تاوين يُفصل سلينت. يمكنني أن أريك الرسالة يا أوثيل. صديقنا وخادمنا المخلص، هكذا دعاه». اعتدلّ چون جالساً فجأةً، فتجمّد الرّجال الثلاثة مع صوت تناثر الماء، وقال لهم بكياسة باردة: «أيها السّادة».

سأله ثورن: «ماذا تفعل هنا أيها النّعل؟».

قال چون: «أستحمّ. لكن لا تدعوني أنغصّ عليكم تأمركم»، وخرج من الماء وجفف نفسه وارتنى ثيابه، ثم تركهم لمكائدهم.

في الخارج وجد أنه لا يدري أين يذهب. مرّ بهيكل (برج القائد) المتفحم حيث أنقذ الدب العجوز من رجل ميت ذات مرّة، ثم بالبقعة التي ماتت فيها إيجريت وتلك الابتسامة الحزينة على ثغرها، وبعدها بـ(برج الملك) حيث انتظر مع ساتان وديك فولارد الأصم وصول الماجتر وثيبيه، ثم بقايا السّلام الخشبيّة المكوّمة محروقة. كانت البوّابة الدّاخلية مفتوحة، فدخل النّفق عابراً من (الجدار) وهو يحسّ بالبرد المحيط به وثقل كلّ هذا الجليد فوق رأسه. مرّ بالمكان الذي تقاتل فيه دونال نوي وماج الجبّار وماتا معاً، وخرج من البوّابة الخارجيّة الجديدة إلى نور الشّمس الباهت البارد.

عندئذ فقط سمح لنفسه بأن يتوقّف ويلتقط أنفاسه ويفكّر. أوثيل يارويك ليس رجلاً صاحب قناعات راسخة إلاّ حين يتعلّق الأمر بالخشب والحجارة والمِلاط، والدّب العجوز كان يعي هذا. سيستميله ثورن ومارش، وسيدعم يارويك اللورد چانوس سلينت، وسيختب اللورد چانوس قائداً، فما الذي يتبقّى لي بعد هذا إن لم يكن (وينترفل)؟

دارت الرّيح مرتدةً عن (الجدار) وشدّت معطفه، وشعر چون بالبرد ينبعث من الجليد كما تنبعث الحرارة من النّار، فرفع قلنسوته وبدأ يمشي من جديد. كان البرد يتوغّل في الأصيل، والشّمس منخفضة في الغرب. على بُعد مئة ياردة يقع المعسكر الذي احتجز فيه الملك ستانيس أسراه الهمج داخل حلقة من الخنادق والخوازيق المدبّية والأسيجة الخشبيّة العالية، وإلى يساره حُفر النّار الثلاثة الكبيرة التي أحرقت فيها المنتصرون جثث جميع الأحرار الذين ماتوا أسفل (الجدار)، بمن فيهم العمالقة الجسام وذوو الحوافر الضّئال على حدّ سواء. ما زالت أرض المقتلة بياباً من العُشب المحروق والقار المتجمّد،



لكن قوم مانس تركوا آثارًا من أنفسهم في كلِّ مكان؛ جِلْدَةٌ مَمْزَقَةٌ ربما كانت جزءًا من خيمة، هراوة عملاق، عجلة عربية، حربَةٌ مَكْسُورَةٌ، كومةٌ من روث الماموثات.

على حافة الغابة حيث كانت الخيام وجدَّ چون جدعة شجرة سَنديان وجلسَ عليها.

إيجريت أرادتني أن أكون همجيًّا، وستانيس يُريدني أن أكون سيِّد (ويتترفل)، لكن ماذا أريدُ أنا؟ زحفت الشمس في السَّماء لتغوص وراء (الجدار) وتغيب بين الجبال الغربيَّة، وشاهدَ چون بينما تشرب الصَّرح الجليدي الهائل ألوان الغروب الحمراء والوردية. هل أوثرُ أن يسْتَقْنِي اللورد چانوس باعتباري مارقًا أم أحنث بقسمي وأتزوِّج قال وأصبح سيِّد (ويتترفل)؟ يبدو الاختيار سهلًا حين يُفكَّر فيه من هذا المنطلق... وإن كان يبدو أسهل وأسهل لو كانت إيجريت حيَّة، أمَّا قال فغريبة عليه، مع أن جمالها يسرُّ العين حقًّا، كما أنها أخت من كانت ملكة مانس رايدر، لكن رغم هذا... عليَّ أن أختطفها إذا أردتُ حبُّها، لكنها قد تمنحني أولادًا، وربما أحملُ ذات يوم ابناً من دمي بين ذراعي. ليس الابن شيئًا جرؤُ چون سنو على الحُلم به قط منذ قرَّر أن يقضي حياته على (الجدار). يُمكنني أن أسميه روب. سترغب قال في الاحتفاظ بابن أختها، ولكن نستطيع أن نزيِّهه في (ويتترفل)، وابن جيلي أيضًا. لن يضطرَّ سام للكذب، وسنجد مكانًا لجلي أيضًا، ويُمكن أن يأتي سام لزيارتها مرَّةً في العام مثلاً. ابنا مانس وكراستر سينشان أخوين، مثلي وروب.

في تلك اللَّحظة عرفَ چون أنه يُريد (ويتترفل)، يُريدها أكثر مما أراد شيئًا طيلة حياته، وفكَّر والشُّعور بالذنب يُخالِجه: لظالما أردها ولتسامحني الآلهة. في داخله جوع حاد كنصل من زجاج التَّنين، جوع... يشعُر به، بالحاجة إلى طعام، إلى فريسة، غزاة حمراء تفوح منها رائحة الخوف أو إلكة كبيرة فخور جريئة، يحتاج إلى أن يقتل ويملاً معدته باللحم الطازج وحرارة الدَّم القاني. وبدأ لُعبه يسيل.

لحظة طويلة مرَّت قبل أن يفهم ما يحدث، ولمَّا فهمَ هَبَّ واقفًا. «جوست؟!». التفت ناحية الغابة، وراه يتقدَّم بصمتٍ من الغسق الأخضر

وتَخْرُجُ أنفاسه بيضاء دافئةً من بين فكَّيه المفتوحين . صاحَ چون: «جوست!»،  
وهرول الذئب الرَّهيب نحوه . يبدو أنحل مما كان، لكنه أكبر حجمًا أيضًا، وما  
من صوتٍ صدرَ منه إلاَّ انسحاق الأوراق الميتة النَّاعم تحت أقدامه . حين  
بلغَ چون وثبَ عليه واشتبك الاثنان وسط العُشب البني والظلال الطويلة  
بينما بدأت النُّجوم تكشف وجوهها من فوقهما . قال چون حين كَفَّ جوست  
عن عضضة ذراعه: «بحقِّ الآلهة، أين كنت أيها الذئب؟ حسبتني فقدتك  
كروب وإيجريت والآخرين . لم أعد أشعرُ بك منذ تسلَّقتُ (الجدار) ولا حتى  
في أحلامي». لم يُجبه الذئب الرَّهيب، لكنه لعقَ وجهه بلسانٍ كمبرِدٍ مبتل،  
والتقطت عيناه خيوط الضَّوء الأخيرة فأتقدتا كشمسين حمر اوين عظيمتين .  
عينان حمر اوان، لكن ليستا كعينيِّ مليساندرا . إن له عينيِّ شجرة ويروود .  
عينان حمر اوان وفم أحمر وفرو أبيض . دم وعظم، كشجرة قلوب . هذا الذئب  
ينتمي إلى الآلهة القديمة . وهو وحده من بين إخوته أبيض . ستَّة جراء وجدَّها  
چون وروب وسط ثلوج أواخر الصَّيف، خمسة منها رمادي وأسود وبني  
لأولاد ستارك الخمسة، وواحد أبيض كالثلج، كسنو .  
عندها أدرك الإجابة .

كان رجال الملكة يُشعلون نارهم اللَّيَّية أسفل (الجدار)، ورأى مليساندرا  
تَخْرُج من النَّفق وإلى جوارها الملك، لتقود الصَّلوات التي تُؤمن بأنَّها  
سُتْقِصي الظَّلام . قال چون للذئب: «هلمَّ يا جوست، تعالَ معي . أعرفُ أنك  
جائع، أشعرُ بجوعك»، وجريا معًا إلى البوابة صانعين دورةً واسعةً حول بؤرة  
النَّار، حيث ترتفع أنياب اللَّهب وتنهش بطن اللَّيل الأسود .

انتشرَ رجال الملك بكثرةً في ساحات (القلعة السَّوداء)، وتوقَّفوا لدى  
مرور چون وحملقوا إليه . أدرك أن لا أحد منهم رأى ذئبًا رهيبًا من قبل،  
وجوست يُناهز ضِعف حجم الذئاب التَّقليديَّة التي تجوب غاباتهم الخضراء  
في الجنوب . في طريقه إلى مستودع السِّلاح اتَّفَق أن ألقى چون نظرةً إلى  
أعلى ورأى قال واقفةً في نافذة بُرجها، فقال لها في قرارة نفسه: آسف، لستُ  
الرجل الذي سيختطفك من هناك .

في ساحة التَّنْديب قابلَ دستةً من رجال الملك يحملون المشاعل  
والحراب الطويلة، ورمقَ رقيبهم جوست بحاجبين معقودين، وخفضَ اثنان

من رجاله حربتيهما إلى أن قال الفارس الذي يقودهم: «أفسحوا الطَّرِيقَ ودعوهما يمرَّان»، ثم خاطبَ چون قائلاً: «تأخَّرت على العشاء».

قال چون: «ابتعد عن طريقي إذن أيها الفارس»، وقد كان.

سمعَ الجلبة قبل أن يبلغَ قاعدة السَّلام، مزيجًا من الأصوات الرَّاقعة والسَّنائم ودَقَّات أحدهم على مائدة. دخلَ چون القبو دون أن يلحظه أحد، وقد تزاحمَ إخوته على الذِّكك والموائد، لكن الواقفين الصَّانحين أكثر من القاعدين، ولا أحد يأكل، فلا طعام هنالك. ماذا يَحْدُث هنا؟ كان اللورد چانوس سلينت يُجْعِجِع عن المارقين والخيانة، وإميت الحديدي يقف على مائدةٍ مجرَّدًا فولاذه، وهوب ذو الثلاثة أصابع يسبُّ جَوًّا (بُرج الظلال)... هوى رجل من (القلعة الشَّرقيَّة) بقبضته على مائدته مرَّةً ومرارًا داعيًا إلى الهدوء، فلم يفعل إلَّا أن أضافَ إلى الصَّخب الذي تتردَّد أصدائه على السَّقْفِ المقنطر.

كان پيب أول من رأى چون، وابتسمَ لمراى جوست ثم وضعَ إصبعين في فمه وأصدرَ صفيَّرًا لا يقدر عليه غير صبيٍّ ممثِّلٍ مثله، وقطعَ الصَّوت الحاد اللَّغَط كالسَّيف، وإذ سارَ چون نحو الموائد لاحظَه مزيد من الإخوة ولاذوا بالصَّمت، الذي شاعَ رويدًا رويدًا في المكان حتى لم تعدَ هناك أصوات إلَّا ديب كعبيّ چون على الأرض الحجريَّة وطقطقة الحطب الخافتة في المستوقد.

ثم حطَّ السير أليسر ثورن الصَّمت قائلاً: «المارق يَمُنُّ علينا بحضوره أخيرًا».

بوجهٍ محتقنٍ وجسدٍ يرتجف شهقَ اللورد چانوس وصاحَ: «الوحش! انظروا! الوحش الذي مزَّق كورين ذا النَّصف يد! بيننا يمشي وازج أيها الأخوة، وازج! هذا... هذا المخلوق لا يصلح لقيادتنا! هذا الحيواني لا يستحقُّ الحياة!».

كشَّر جوست عن أنيابه، لكن چون وضعَ يده على رأسه، وقال: «سيدي، هل ستُخبرني بما جرى هنا؟».

أجابَه المايستر إيمون من طرف القاعة القصي: «اسمك طرِحَ للمنافسة على القيادة يا چون».

ابتسم مضطرباً للعبث الذي سمعه، وسأل متطلّعا إلى أصدقائه: «ومن طرحه؟». لا بُدَّ أنها واحدة من دُعابات پيب، لكن پيب هزَّ كتفيه وهزَّ جرن رأسه، أمّا إدا الكئيّب فهضّ معلنا: «أنا. قسوة شديدة أن يفعل المرء هذا بصديق، لكن خيرٌ أنت مني».

عادَ اللورد چانوس ينفث غضبه صائحا: «هذا... هذا اعتداء! المفترض أن نَشْتُق هذا الصَّبِي، نعم! أقول أن نَشْتُقُه، نَشْتُقُه لأنه مارق ووازع، ومعه صديقه مانس رايدر. أنت قائدا؟ لن أسمح بهذا، لن أجزيه!». نهضَ كوتر پايك وقال: «لن تُجزيه؟ ربما درّبت ذوي المعاطف الذهبية على لعق مؤخرتك، لكنك ترثدي معطفا أسود الآن».

وقال السير دينس ماليستر: «من حقّ أيّ أخ أن يطرح أيّ اسم لننظر فيه ما دام الرّجل قد حلف اليمين. توليت لم يتعدّ على أيّ حقوق يا سيّدي». اندفع نحو دستة من الرّجال يتكلمون في آن واحد، يُحاول كل منهم الطغيان بصوته على الآخرين، وسرعان ما عاد الرّعيق يرتفع من نصف من في القاعة. هذه المرّة كان السير أليسر ثورن هو من وثب على مائدة ورفع يديه صائحا: «أيها الإخوة! لن ينفعنا هذا بشيء. أقول أن نصوّت. الملك الذي استقرّ في (برج الملك) وضع رجالا عند كلّ باب يمنعوننا من الأكل والخروج قبل أن نختار. ليكن إذن! سنختار ونختار ثانية طول الليل إذا اضطررنا، إلى أن ننتخب قائدا الجديدا... لكن قبل أن نطرح رموزنا أعتقد أن البناء الأول يُريد أن يقول شيئا».

نهضَ البناء الكبير أوثيل يارويك على مهل بوجهٍ مقطّب، وفرك فكّه الطويل الرّفيع قائلا: «سأسحب اسمي. كانت أمامكم عشر فرص لاختياري إذا أردتموني ولم تفعلوا، ليس العدد الكافي منكم على الأقل. كنت سأقول إنني أنصح من أعطوني أصواتهم باختيار اللورد چانوس...».

قال السير أليسر مومئا برأسه: «اللورد سلينت أفضل...». قاطعه يارويك بتذمّر: «لم أفرغ من كلامي يا أليسر. اللورد سلينت قاد حرس المدينة في (كينجز لاندنج) كما نعلم جميعا، وكان سيّد (هارنهال)...». صاح كوتر پايك: «إنه لم ير (هارنهال) حتى».

قال يارويك: «هذا صحيح، لكن على كلّ حال، الآن وأنا واقف هنا لا

أذكرُ لماذا حسبْتُ أن سلينت سيكون الخيار الموقَّع. كأننا نرُكِّل الملك ستانيس في فمه، ولستُ أرى كيف يُفيدنا هذا. ربما يكون سنو أفضل. لقد قضى فترةً أطول على (الجدار)، كما أنه ابن أخي بن ستارك وخدمَ الدُّب العجوز كوكيله»، وهزَّ كتفيه مضيفًا: «اختاروا من تُريدون ما دامَ غيري»، وجلسَ.

رأى چون وجه چانوس سلينت وقد استحالَ من الأحمر إلى الأرجواني، على حين امتقَع وجه السير أليسر ثورن. عادَ رجل (القلعة الشَّرقيَّة) يقرع المائدة بقبضته، وإنما ليطلبَ الرجل هذه المرَّة، وانضمَّ إليه عدد من أصدقائه في نداءه وكرجل واحدٍ هدرُوا: «المرجل! المرجل، المرجل، المرجل!». كان المرجلُ في رُكن القاعة عند المستوقد، شيء أسود كبير منتفخ بمقبضين ضخمين وغطاءٍ ثقيل. قال المايستر إيمون شيئًا لسام وكلايداس، وذهبَ الاثنان وأمسكا المقبضين وجرَّا المرجل معًا ووضعاه على المائدة. كان عدد من الإخوة قد اصطفَّ عند براميل الرُّموز بالفعل حين خلَعَ كلايداس الغطاء وكادَ يُوقعه على قدمه، فبصرخةٍ مدوِّية وخفقان جناحين تفجَّر من المرجل عُدا ف ضخم وحلَّق إلى أعلى باحثًا ربما عن عوارض السَّقْف أو نافذةٍ يهْرُب منها، لكن ليس في القبو هذه أو تلك، فوجدَ العُدا ف نفسه حبيسًا ونعبَ بصوتٍ صاخب وهو يدور في هواء المكان مرَّةً ومرَّتَين وثلاثًا، وسمعَ چون سامويل تارلي يصيح: «أعرفُ هذا الطَّائر! إنه عُدا ف اللورد مورمونت!».

وحطَّ العُدا ف على المائدة الأقرب إلى چون. طائر عجوز هو، ريشه رَثٌ متَّسخ، وقد نعبَ مرَّةً: «سنو!»، ثم عادَ يُردِّدها: «سنو، سنو، سنو، سنو!»، ومشى إلى طرف المائدة، وعادَ يبسط جناحيه، وطارَ إلى كتف چون. تهاوى اللورد چانوس سلينت على مقعده بجسده الثَّقيل فأصدرَ صوتًا مكتومًا، لكن السير أليسر ملأَ القبو بضحكاته السَّاخرة، وقال: «السير خنزير يحسبنا حمقى أيها الإخوة. لقد علمَ الطَّائر هذه الحيلة. كلُّها تقول «سنو»، اصعدوا إلى المغدفة واسمعوا بأنفسكم. طائر مورمونت كان يعرفُ كلماتٍ أكثر.»

مالَ العُدا ف برأسه ونظرَ إلى چون قائلاً بأمل: «دُرَّة؟»، ولمَّا لم يتلقَ دُرَّةً

أو جوابًا نَعَقَ مَرَّةً وتمتم: «مرجل؟ مرجل؟ مرجل؟».

والبقيَّة كانت رؤوس سهام، غيِّتًا من رؤوس السَّهام، فيضًا من رؤوس السَّهام، رؤوس سهام أغرقت الأحجار والأصداف القليلة المتبقية، ومعها البنسات النحاسية.

وحين انتهى الفرز وجدَّ چون نفسه محاطًا بالإخوة. بعضهم ربَّت على ظهره وبعضهم ركع له كأنه لورد حقًا، وتزاحم حوله ساتان وأوين الجحش وهالدر والضفدع وذو النعل الواحد والعملاق ومولي وأولمر ودونل هيل المرح ونصفمئة غيرهم. طقطع دايوين بأسنانه الخشبية، وقال: «لترحمنا الآلهة، قائدنا الجديد ما زال رضيعًا»، وقال إميت الحديدي: «أمل ألا يعني هذا أنني لن أبرحك ضربًا عندما نلتقي المرَّة القادمة في التَّدريب يا سيدي»، وأراد هوب ذو الثلاثة أصابع أن يعرف إن كان سيتناول وجباته مع الرِّجال أم يريدونها أن تُرسَل إلى عُرفته الشمسية، وحتى باون مارش تقدَّم ليقول إنه سيسرُّه أن يواصل مهامه كقيم الوُكلاء إذا كانت هذه رغبة اللورد سنو. قال له كوتر بايك: «لورد سنو، إذا أفسدت الأمر سأقتلُ كبدك وأكله نيئًا مع البصل».

وخاطبه السير دينس ماليستر بوذُّ أكثر قائلًا: «ما طلبه مني سامويل الصَّغير كان صعبًا. حين انتخب اللورد كورجايل قلتُ لنفسي: لا يهمُّ، لقد قضى وقتًا أطول منك على (الجدار)، سيأتي وقتك، وحين انتخب اللورد مورمونت فكَّرت: إنه قوي صلب لكنه عجوز، ربما يأتي وقتك. لكنك نصف غلام يا لورد سنو، وعليَّ أن أعود إلى (برج الظلال) عالمًا أن وقتي لن يأتي أبدًا»، وأردف الفارس العجوز بابتسامة متعبَّة: «لا تدعني أموتُ نادمًا. عمك كان رجلًا عظيمًا، والسيد والدك ووالده أيضًا. لن أتوقَّع أقلَّ من هذا منك».

قال كوتر بايك: «أجل، ويُمكِنك كبداية أن تقول لرجال الملك هؤلاء؛ إن الأمر انتهى ونريد عشاءنا اللعين».

صرخ العُداة: «عشاء، عشاء، عشاء!».

انزاح رجال الملك عن الأبواب حين أخبروهم بنتيجة الانتخاب، وذهب هوب ومعه نصف دستة من المساعدين إلى المطابخ لإحضار الطعام. لم ينتظر چون أن يأكل، بل قطع القلعة متسائلًا إن كان يحلم، على كتفه العُداة

وفي أعقابه جوست. لحق به پيپ وجرن وسام يُثرثرون، لكنه بالكاد سمع شيئاً إلى أن همس جرن: «فعلها سام»، وردد پيپ: «فعلها سام!». كانت معه قربة نبيذ أخذ منها جرعةً طويلةً، ثم ترنم: «سام، سام، سام السّاحر، سام الأعجوبة، سام الرّجل المعجزة فعلها. لكن متى خبأت العُدف في المرجل يا سام؟ وكيف وثقت بحقّ الجحائم السّبع بأنه سيطير إلى جون؟ كان الطائر ليُفسد المسألة كلها لو قرّر أن يحطّ على رأس چانوس سلينت السّمين».

قال سام بإصرار: «لم أفعل شيئاً بالطائر على الإطلاق. لقد كدتُ أبلل نفسي حين طار من المرجل».

ضحك جون والدّهشة تُساوره من كونه لا يزال يقوى على الضّحك، وقال: «أنتم مجموعة من الحمقى المجانين، أتعرفون هذا؟».

قال پيپ: «نحن؟ تتهمنا نحن بالجنون؟ لسنا نحن من انتخبنا توّا لنكون حضرة قائد حرس اللّيل الثامن والتّسعين بعد التّسعئة. خيرٌ لك أن تشرب من النّبيذ يا لورد چون. أعتقد أنك ستحتاج إلى الكثير من النّبيذ».

وهكذا تناول منه چون سنو القربة ورشف، ولكن رشفةً واحدةً فقط. (الجدار) تحت قيادته، والليل مظلم، وهناك ملك عليه أن يُواجهه.

## سانزا

استيقظت دفعةً واحدةً شاعرةً بوخز في أعصابها كلها، وللحظةٍ لم تتذكر أين هي. في الحلم رأت نفسها صغيرةً، ما زالت تتقاسم غرفة نوم واحدة مع آريا، لكن من سمعتها تتقلب في النوم إلى جوارها كانت وصيفتها لا أختها، وهذه ليست (ويتترفل) وإنما (العُش). وأنا إليني ستون، فتاة نغلة. لم يكن الفجر قد بزغ بعد فوجدت الغرفة مظلمةً باردةً، وإن ظلت تشعر بالدفء تحت أغطيتها. أحياناً تحلم بالسير إلى نياين وتستيقظ بقلبٍ عنيفةٍ دقائقه، لكن حلم الليلة يختلف. الوطن، كان حُلماً بالوطن.

(العُش) ليست وطنًا. إنها لا تزيد مساحةً على (حصن ميچور)، وخارج جدرانها العمودية البيضاء ليس هناك إلا الجبل وطريق النزول الطويل الوعر الذي يمرُّ بالقلاع الفرعية (سما) و(ثلج) و(صخر) وينتهي بـ(بوابات القمر) في قاع الوادي. ما من مكان تذهب إليه إطلاقاً وما من شيءٍ تفعله إلا القليل. يقول الخدم العجائز إن هذه الأبهاء كانت عامرةً بالضحك حين كان أبوها وروبرت باراثيون ربيبي چون آر، لكن تلك الأيام ولت منذ زمن. الآن تحتفظ خالتها بحاشيةٍ صغيرةٍ ونادرًا ما تسمح لأيِّ ضيوفٍ باجتياز (بوابات القمر)، وبخلاف وصيفتها المسنة فلا رفيق لسانزا غير اللورد روبرت، طفل في الثامنة بعقليةٍ واحدٍ في الثالثة.

وماريليون، ماريليون موجود دائمًا. في أغلب الأحيان عندما يُعني لهم على العشاء يبدو المطرب الشاب كأنه يُعني لها تحديدًا، وهو ما يُشير استياء خالتها كثيرًا، فالليدي لا يسا شغوف بماريليون، وقد نفت خادمتين ووصيفةً أيضًا لتقولهن عليه كذبًا.



وحدة لايسا ليست أهون من وحدتها؛ فزوجها الجديد يقضي عند سفح الجبل وقتًا أطول مما يقضيه على قمّته، وهو غائب الآن، رحل منذ أربعة أيام للقاء آل كوربراي. من التّزر اليسير الذي سمعته عرَضًا، عرَفَت سانزا أن حَمَلَة راية چون آرَن مغتاظون من زواج لايسا به، ويحقدون عليه لتقلده سُلطة اللورد حافظ (الوادي). الفرع الكبير من عائلة رويس على شفا تمرّد صريح بسبب تخاذل خالتها عن مؤازرة روب في حربه، ويحظى بكامل دعم عائلات واينوود ورددفورت وبلمور وتمپلتون، كما أن قبائل الجبال تُثير المتاعب منذ فترة، وأتى موت اللورد هنتر العجوز مبالغًا تمامًا لدرجة أن ابنيه الأصغرين يتّهمان أخاهما الكبير بقتله. ربما لم تمسّ الحرب (وادي آرَن)، لكنه ليس المكان المثالي الذي صوّرته الليدي لايسا.

أدركت سانزا أنها لن تعود إلى النّوم. رأسي مليء بالضّجيج. دفعت وسادتها على مضضٍ وأزاحت الأغطية، ثم ذهبّت إلى نافذتها وفتحت مصراعها.

وكان الثلج يتساقط على (العش).

أهذا ما أيقظني؟ في الخارج تسوق الرّيح الرّقائق بنعومة الذّكريات وصمتها، وكانت الثلوج قد بدأت تتكوّم في الحديقة بالأسفل بالفعل، تُدثر الكلا وتُنثر الشّجيرات والتّمائيل بالأبيض وتثقل فروع الشّجر.

أعادَ المشهد سانزا إلى لياليها الباردة قديمًا وصيف طفولتها الطّويل. آخر مرّة رأت ثلجًا كانت يوم غادرت (وينترفل). لكنه كان أخفّ من هذا. كانت النّدف تذوب في شعر روب حين عانقني، وظلّت كرة الثلج التي حاولت آريّا أن تصنعها تنفّث في يديها. ألمها أن تتذكّر سعادتها البالغة ذلك الصّباح. ساعدها هالن على الرّكوب وخرجت من القلعة بينما تدور رقائق الثلج في الهواء حولها، خرجت لترى العالم الواسع الرّحب. حسبت أن أغنيبي بدأت يومها، لكنها كانت قُرب نهايتها.

تركت النّافذة مفتوحةً وهي ترتدي ملابسها. تعرف أن الحديقة ستكون باردةً على الرغم من أن أبراج (العش) تُطوّقها وتحميها من أغلب رياح الجبال، فارتدت ثيابًا داخليةً من الحرير وغلالةً من الكتّان وفوقها فُستان ثقيل من صوف الحِملان الأزرق، ودقّأت ساقها بأربعة أزواج من الجوارب

وحذاء يرتفع حتى رُكبتها، ويديها بفقّازين ثقيلين من الجلد، وأخيراً وضعت على كتفيها معطفاً بقلنسوة من فرو الثعالب الأبيض الناعم.

أحكمت وصيفتها غطاءها حول جسدها حين بدأ الثلج يهب من النافذة، وفتحت سانزا الباب بهدوء ونزلت السلالم الملتفة. عندما فتحت باب الحديقة خلّب المنظر لُبها لدرجة أنها حبست أنفاسها غير راغبة في إفساد هذا الجمال المطلق. تساقط الثلج وتساقط بصمتٍ شبحيٍّ مطبقٍ وافترش الأرض في طبقةٍ سميكة بيضاء من غير سوء. اختفت الألوان كلها من العالم في الخارج فأصبح موطناً لدرجات الأبيض والأسود والرّمادي فقط. أبراج بيضاء وثلوج بيضاء وتمائيل بيضاء، ظلال سوداء وأشجار سوداء، وبالأعلى السماء رمادية قاتمة. عالم نقي. مكاني ليس هنا.

لكنها خرجت رغم ذلك. انغرس حذاؤها حتى الكاحل في سطح الثلج الأملس دون أن يُصدر صوتاً، ومرّت سانزا بشجيراتٍ مثلوجة وأشجار داكنة رقيقة وتساءلت إن كانت لا تزال تحلم بينما تمسّ الندف وجهها بنعومة قبّلات العاشقين وتذوب على وجنتيها. في منتصف الحديقة، إلى جوار تمثال المرأة الباكية المكسور الذي يكاد الثلج يطمره على الأرض، رفعت وجهها إلى السماء وأسبلت جفنيها، وأحسّت بالثلج على أهدابها وداعب مذاقه شفيتها، مذاق (وينترفل)، مذاق البراءة والأحلام.

عندما فتحت عينيها وجدت نفسها على رُكبتها ولا تذكر أنها وقعت، وبدا لها أن رماديّ السماء خفّ درجةً. الفجر، يوم آخر، يوم آخر جديد. لكن الأيام القديمة هي ما تشتهي، هي ما تُصلي لأجل عودته. لكن لمن تُصلي؟ إنها تعرف أن الحديقة زُرعت بغرض أن تكون أيكّة آلهة قديماً، لكن طبيعة التربة الحجرية جعلتها أفقر من أن تمتدّ شجرة ويروود فيها جذورها. أيكّة آلهة بلا آلهة، مثلي خالية.

اغترفت قبضةً من الثلج واعتصرتها بين أصابعها، ولثقله وابتلاله تكثّل بسهولة. بدأت سانزا تصنع كرات ثلجٍ مشكلةً ومسويةً إياها إلى أن صارت مستديرةً مثاليةً، وتذكرت مرّةً تساقطت فيها ثلوج صيفيّة على (وينترفل)، وكانت آريا وبران متربّصين بها لدى خروجها من الحصن ذات صباح، مع كلٍّ منهما دسته من كرات الثلج جاهزة للرمي، وهي عزلاء تماماً. كان بران

جائئاً على سطح الجسر المغطى بعيداً عن متناولها، لكنها طاردت آريا عبر الاسطبلات وحول المطبخ إلى أن انقطعت أنفاسهما، وكادت تلحق بها بالفعل لولا أنها انزلت على رُقعة من الجليد. عادت أختها لترى إن كانت قد تأذت، ولما قالت إنها بخير رمتها آريا في وجهها بكرة أخرى، لكن سانزا أمسكت ساقها وأوقعتها أرضاً معها، وراحت تفرك شعرها بالثلج إلى أن أتى چوري وبعده بينهما ضاحكاً.

تطلعت إلى ترسانتها الصغيرة الحزينة متسائلة: ماذا أفعل بكرات الثلج؟ ليس هناك من أرميه بها. تركت الكرة التي تصنعها تسقط من يدها مفكرة: يُمكنني أن أصنع فارساً، أو حتى ...

كثلت اثنتين من كراتها معاً وأضافت ثالثة وكومت المزيد من الثلج حولها ثم سوت إسطوانة، وحين انتهت وقفتها على أحد طرفيها وصنعت بطرف إصبعها الصغير ثقباً للتوافذ. تطلبت الشرافات حول القمة مزيداً من العناية، لكن عندما فرغت أصبح لديها برج. فكرت: والآن الأسوار، ثم حصن، وشرعت في العمل.

سقطت الثلوج وارتفعت القلعة. سوران بارتفاع الكاحل، الدأخلي أعلى من الخارجي، أبراج قائمة من الأرض وأبراج أصغر تبرز من زوايا البنايات، حصون وسلاالم، مطبخ مستدير ومستودع سلاح مربع، الاسطبلات عند الشور الغربي. كانت مجرد قلعة حين بدأت، لكن لم يمض الكثير قبل أن تدرك سانزا أنها (ويترفل). نقت عن غصينات وفروع ساقطة تحت الثلج وكسرت أطرافها لتصنع أبكة الآلهة، واستخدمت قطعاً من اللحاء لعمل شواهد القبور في ساحة الأشنة. سرعان ما اكتسى حذاؤها وقفازاها بقشرة من الأبيض وأحست بتنميل في يديها والبلل البارد في قدميها، لكنها لم تعباً. لا يههم الآن إلا القلعة. وجدت صعوبة في تذكر بضعة أشياء، لكنها استعادت أغلبها بيسر كأنها كانت هناك البارحة؛ (برج المكتبة) بسلالمه الحجرية المنحدرة التي تلتوي حوله من الخارج، ومبنى البوابة بمتراسين ضخمين بينهما بوابة مقنطرة وسطح مزين بالشرافات ...

وطيلة الوقت ظل الثلج يسقط ويتكوم حول مبانيها بسرعة إقامتها إياها. كانت تسوي سقف القاعة الكبرى المائل حين سمعت صوتاً، ورفعت عينيها

لتجد وصيفتها تُناديها من النَّافذة. هل سيّدتي بخير؟ هل تُريد إفطارها الآن؟ هزّت سانزا رأسها نفيًا وعادت إلى تشكيل الثلج، مضيئة مدخنة إلى طرف القاعة الكبرى حيث يُفترَض أن يكون المستوقد موضوعًا في الدّاخل.

تسحب الفجر إلى الحديقة كاللصوص، فصارت درجات الرّمادي في السّماء أفتح واستحالت ألوان الأشجار والشّجيرات إلى درجاتٍ من الأخضر تحت دُثرها الثلجيّة. خرج عدد من الخدم يُشاهدونها فترةً، لكنها لم تُعرهم اهتمامًا بعد قليل عادوا إلى دفء الدّاخل، ورأت سانزا الليدي لايسا تتطلع ناحيتها من شرفتها وقد ارتدت معطفًا من المخمل الأزرق الموشى بفرو الثّعلب، لكن حين نظرت ثانية لم تجد خالتها، وخرج المايستر كولمون من المغدفة، وألقى عليها نظرةً من أعلى والفضول يُغالبه رغم نحوه ورعدته.

لكن جسورها ظلّت تسقط. ثمة جسر مغطى بين مستودع السّلاح والحصن الرّئيس، وآخر يمتد من طابق بُرج الجرس الرّابع إلى طابق المغدفة الثّاني، لكنهما رفضا التّماسك على الرغم من حرصها البالغ في تشكيلهما، وحين انهار أحدهما للمرّة الثّالثة أطلقت سبابًا مسموعًا واعتدلت جالسةً بإحباط عاجز.

- «كتلي الثلج حول عصا يا سانزا».

لا تدري منذ متى وهو يُشاهدها، ولا متى رجّع من (الوادي). ردّدت: «عصا؟».

قال بيتر: «ستقويه وتجعله يتماسك على ما أظن. هل تسمحين بأن أدخل قلعتك يا سيّدتي؟».

ردّت بحذر: «لا تُفسدها. تعامل...».

أكمل جملتها مبتسمًا: «... برفق؟ سبق لـ(ويتترف) أن ناهضت أعداء أقوى مني. إنها (ويتترف)، أليس كذلك؟».

- «بلى».

سارَ بمحاذاة السّور الخارجى قائلاً: «اعتدت أن أحلم بها في السّنين التي تلت ذهاب كات شمالاً مع إدارد ستارك، وفي أحلامي كانت مكانًا مظلمًا باردًا على الدّوام».

- «لا، كانت دافئةً دائمًا، حتى عندما يسقط الثلج. مياه الينابيع الساخنة

تُصَحَّحُ بين الجُدران لتدفتها، والجَوْ داخل الصُّوبة الزُّجاجيَّة كان كأحرَّ أيام الصَّيف طوال الوقت»، ونهضت سانزا فتعلمت إلى جوار القلعة البيضاء العظيمة، وأردفت: «لا أجد وسيلةً لعمل السَّطح الزُّجاج فوق الصُّوبة».

ملس الإصبع الصَّغير على ذقنه حيث كانت لحيته قبل أن تطلب منه الليدي لايسا حلاقتها، وقال: «الزُّجاج كان مثنَّبًا بأطر، أليس كذلك؟ الغُصينات الحل. قشَّريها وقاطعها معًا واستخدمي اللِّحاء لربط أضلاع كلِّ إطار. سأريك»، وتحرك عبر الحديقة جامعًا الغُصينات والعِصِيَّ ونفض عنها التَّلج، ولَمَّا جمع ما يكفي خطا فوق كلا السُّورين بحركةٍ طويلةٍ واحدةٍ وألقى على كاحليه في منتصف السَّاحة، ودنت سانزا لترى ما يفعله. كانت يدها رشيقتين واثقتين، وسرعان ما كوَّن تعريشةً من الغُصينات المتقاطعة أشبه كثيرًا بالتي كانت تستقرُّ على سطح الصُّوبة الزُّجاجيَّة في (ويتترفل)، ثم ناولها إياها قائلاً: «علينا أن نتخيَّل الزُّجاج بالطبع».

قالت: «سليم تمامًا».

مسَّ وجهها مغمغماً: «وهذا أيضًا».

سألته حائرةً: «ماذا؟».

- «تبشُّمك يا سيِّدتي. هل أصنعُ لكِ واحدةً أخرى؟».

- «إذا تفضَّلت».

- «لا شيء سيسرُّني أكثر».

أقامت جُدران الصُّوبة الزُّجاجيَّة فيما صنع الإصبع الصَّغير سقوفها، وحين فرغا منها ساعدها على مدِّ الأسوار وبناء قاعة الحُرَّاس. استخدمت العِصِيَّ مع الجسرين المغطَّيين وكما قال تمامًا تماسكا، أمَّا (القلعة الأولى) فكانت أسهل كثيرًا لكونها مجرد بُرج مستدير عتيق، لكن عائقًا جديدًا واجه سانزا عندما أرادت أن تضع الكِراجل على القمَّة، ومرةً أخرى أعطاهما بيتر الجواب: «التَّلوج تسقط على قلعتك يا سيِّدتي. كيف تبدو الكِراجل وهي مغطاة بالتَّلج؟».

أغلقت عينيها لترأها في ذاكرتها، وأجابَت: «مجرَّد كتل بيضاء».

- «ليكن إذن. الكِراجل صعبة، لكن ما أسهل عمل الكتل البيضاء». وقد

كان.

وكان (البرج المكسور) أسهل. معًا صنعنا بُرجًا طويلًا وهما على الأرض جنبًا إلى جنب، يُسَوِّيانه حتى أصبح أملس تمامًا، وعندما وقَّفاه غرست سانزا أصابعها في القمَّة واغترفت قبضةً من الثلج رمتها في وجهه، وصاح بيتر بينما انزلق الثلج داخل ياقته: «لم يكن هذا يليق يا سيّدي».

- «وكذا المجيء بي هنا بعد أن أقسمت أن تأخذني إلى الوطن».  
تساءلت من أين أتت بهذه الشجاعة التي جعلتها تكلمه بمنتهى الصراحة، وأجابت نفسها: من (وينترفل)، إنني أقوى وراء أسوار (وينترفل).  
اكتسبت ملامحه بالجدّيّة، وقال: «نعم، كذبتُ عليك في هذا... وفي شيءٍ آخر أيضًا».

قالت سانزا بمعدةٍ اضطربت: «ماذا؟».

أجاب: «قلتُ إن لا شيء سيسرني أكثر من مساعدتك على بناء قلعتك، لكنني أخشى أن هذه أيضًا كذبة. شيء آخر سيسرني أكثر»، ودنا منها مضيّفًا: «هذا».

بدأت سانزا تتراجع، لكنه جذبها وطوّقها بذراعيه وفجأة وجدته يُقبّلها. بوهن حاولت أن تتلمص، لكنها لم تُفلح إلّا في لصق نفسها به أكثر. كان فمه على فمها يتلعب كلماتها، مذاقه نعان، وللحظة قصيرة للغاية استسلمت لقبّله... قبل أن تُبعد وجهها وتتزع نفسها من بين ذراعيه قائلة: «ماذا تفعل؟».  
سوّى بيتر معطفه محببًا: «أقبّل عذراء الثلج».

قالت سانزا رافعةً عينها إلى شُرْفَة لايسا لتجدها خالية: «المفترض أن تُقبّلها هي، السيّدة زوجتك».

ابتسم قائلاً: «وهذا ما أفعله. لا يوجد ما يدعو لايسا للشكوى. ليتك ترين نفسك يا سيّدي. يا لجمالِك. إنك مغطّاة بالثلج كدُبّ صغير، لكن وجهك متورّد وتلهثين. منذ متى وأنت هنا؟ لا بُدّ أنك تشعّرين ببردٍ شديد. دعيني أدفئك يا سانزا. اخلعي هذين القفّازين وأعطيني يديك».

- «كلا». كان يتكلم كأنه ماريليون حين تُمل ليلة الرّفاف، لكن هذه المرّة لن يظهر لوثور برون ويُنقذها، فالسير لوثور رجل بيتر. «لا يجدر بك أن تُقبّلني. كان يُمكن أن أكون ابنتك...».

قال بابتسامةٍ محزونة: «كان يُمكن أن تكوني ابنتي، لكنك لست كذلك».

إنكِ ابنة إدارد ستارك وكات، لكنني أعتقدُ أنكِ أجمل من أمكِ بكثير حين كانت في سنِّكِ».

بنبرةٍ ضعيفةٍ للغاية قالت: «بيتر، أرجوك، أرجوك...».  
- «قلعة!».

كان الصَّوت مرتفعًا وحادًا وطفوليًّا، والتفتَ عنها الإصبع الصَّغير منحنيًّا بحركةٍ مسرحيَّة، وقال: «لورد روبرت، هل يصحُّ أن تخرُج في الثَّلج دون قَفازيك؟».

- «هل بنيت القلعة الثَّلجيَّة يا سيِّدي الإصبع الصَّغير؟».

- «إليني بنَت معظمها يا سيِّدي».

قالت سانزا: «المفترَضُ أنها (وينترفل)».

- «(وينترفل)؟». روبرت صغير الحجم بالنَّسبة لصبيِّ في الثَّامنة، قوامه شديد التَّحول وبشرته مبقَّعة وعيناه دامعتان دائمًا، وتحت ذراعه يضع الدُّمية القماش الرِّثة التي يحملها معه في كلِّ مكان.

قالت سانزا لزوجها المقبل: «(وينترفل) مقرُّ عائلة ستارك، قلعة الشَّمال العُظمى».

قال الصَّبي: «ليست بهذه العظمة»، وركعَ أمام مبني البوابة مواصلاً: «انظري، ها هو عملاق جاء يهدمها»، ووقَّف دُميته في الثَّلج ونططها متغيِّبًا: «ترومب ترومب، أنا عملاق، أنا عملاق، هو هو هو، افتحوا بوَّابتكم وإلَّا هرستها وحطَّمتها!»، وطوَّح الدُّمية من ساقها مسقطًا قَمَّة أحد بُرجي مبني البوابة ثم الثَّانية.

كان هذا أقوى من قُدرة سانزا على الاحتمال، فصاحت: «روبرت، توقِّف!»، لكنه لم يتوقَّف، بل طوَّح الدُّمية ثانيةً وتفجَّر قدم من السُّور. مدَّت يدها تُطبِّق على يده، غير أنها أمسكت الدُّمية بدلًا منها، وتعالى صوت تمزُّق القماش الخفيف. فجأةً وجدَّت رأس الدُّمية في يدها وساقها وجسمها في يد روبرت، وعلى الثَّلج انسكَب حشو الخرق ونُشارة الخشب.

ارتعشَ فم اللورد روبرت، ولولول: «لقد قتلتييييييييه!»، ثم بدأ يرتجف. في البدء كانت مجرد قشعريَّة محدودة، ولكن في غضون لحظاتٍ قليلة تهاوى الصَّبي فوق القلعة وراحت أطرافه تضرب ذات اليمين وذات الشَّمال

بُغْف، لتتساقط البروج البيضاء والجسور الثلجية في كل اتجاه. وقفت سانزا متجمدة من الهلع، لكن بيتر بايلش قبض على معصمي ابن خالتها وزعق طالباً المايستر.

وصل الحرس والخادماة خلال لحظات للمساعدة على تقييد الصبي، وبعدهم بقليل المايستر كولمون. ليس داء روبرت آرن الرعاش بالشيء الجديد على أهل (العش)، وقد دربتهم الليدي لايسا جميعاً على الهروع إلى الصبي ما إن تصدُر منه صيحة. أمسك المايستر رأس اللورد الصغير وسقاه نصف كوب من نبيذ النوم بينما يهيمهم بكلمات مهدئة، وببطء انجاب عنف التوبة إلى أن لم يتبق منها إلا رجفة خفيفة في اليدين، فقال كولمون للحراس: «احملوه إلى مسكني. تعليق العلق سيهدئه».

أرتهم سانزا رأس الدمية قائلة: «إنه خطئي، مزقت دُميته، لم أكن أقصد، لكن...».

قال بيتر: «حضرة اللورد كان يُدَمِّر القلعة».

همس الصبي باكياً: «العلاق، ليس أنا، العملاق هو من أذى القلعة. لقد قتلتها! إنني أكرهها! إنها نغلة وأكرهها! لا أريد العلق!».

قال المايستر كولمون: «سيدي، دمك في حاجة إلى تخفيف. الدم الفاسد هو السبب في غضبك، وغضبك يجتلب الرجفة. هلم».

كان الثلج قد توقّف وزادت البرودة. قادوا الصبي من المكان، وفكرت سانزا متطلعة إلى أنقاض (وينترفل): السيّد زوجي. تساءلت إن كان اللورد روبرت سيظل يرتجف في أثناء زفافهما. على الأقل كان چوفري سليم الجسد. استولت عليها ثورة مجنونة، والتقطت فرعاً مكسوراً وبكل عنف غرسته في رأس الدمية الممزق، ثم تثبتته فوق منى البوابة المحطم في قلعتها الثلجية. بدا الخدم مرتاعين، لكن حين رأى الإصبع الصغير ما فعلته ضحك وقال: «إذا كانت الحكايات حقيقية فهذا ليس أول عملاق يُعلّق رأسه على أسوار (وينترفل)».

قالت: «تلك مجرد قصص»، وتركته هناك.

في مخدعها خلعت سانزا معطفها وحذاءها المبتلين وجلست إلى جوار النار. لا يُخامرها شك في أنها ستعاقب على تسببها في نوبة اللورد روبرت.



ربما تصر فني الليدي لايسا. خالتها لا تتورّع عن نفي أيّ شخصٍ يُغضبها، ولا شيء يُغضبها كمن ترتاب في إساءتهم معاملةً ابنها.

إنها تُرْحَبُ بالمنفى. (بوابات القمر) أكبر كثيرًا من (العُش)، وتضجُّ بالحياة أيضًا، ومع أن اللورد نستور رويس يبدو صارمًا فظًا، فابنته ميراندا هي من تتولّى شؤون قلعته، والجميع يقولون إنها شديدة المرح. لعلّ نغولة سانزا المفترضة لن تكون مصدر تكدير كبيرًا لها هناك بالأسفل. ثم إن واحدة من بنات الملك روبرت غير الشرعيّات تخدم اللورد نستور، ويُقال إنها والليدي ميراندا صديقتان صدوقان، قريبتان كأختين.

سأقولُ لخالتي إنني لا أريدُ أن أتزوَّج روبرت. السّپتون الأعلى نفسه لا يستطيع إعلان زواج امرأة إذا رفضت ترديد التّدور. إنها ليست متسوّلةً مهما قالت خالتها، إنها في الثالثة عشرة، امرأة أزهرت وتزوَّجت، ووريثة (ويتترفل). أحيانًا تشعُر سانزا بالشفقة على ابن خالتها الصّغير، لكنها لا تتخيّل أن ترغب في أن تكون زوجته أبدًا. أوثر أن أتزوَّج تيريون مرّةً أخرى. إذا علمت الليدي لايسا هذا فلا ريب أنها ستصرفها... بعيدًا عن عبوس روبرت ورجفته وعينه الدّامعتين، بعيدًا عن نظرات ماريليون التي لا تُبارحها، عن قُبلات بيتر. سأخبرها، نعم!

حينما استدعتها الليدي لايسا كان الأصيل في أواخره. استغرقت سانزا النّهار كلّهُ في استجماع شجاعتها، لكن حالما ظهر ماريليون عند بابها عادت الشُّكوك تُساورها. قال لها المغنيّ: «الليدي لايسا تطلبُ حضورك في (القاعة العالية)». جرّدتها عيناه من ثيابها وهو يتكلّم، لكنها تعودت هذا.

لا أحد يُنكر أن ماريليون وسيم، إذ إن له مظهرًا صبيانيًا وجسدًا ممشوقًا وبشرة ناعمةً وشعرًا رمليًا وابتسامة أسرة، لكنه جلبَ على نفسه كراهية أهل (الوادي) جميعًا باستثناء خالتها واللورد روبرت الصّغير. مما سمعته سانزا من كلام الخدم عرفت أنها ليست أول فتاة تُعاني تحرّشاته، والأخريات لم يجدن لوثور برون ليُدافع عنهن، لكن الليدي لايسا تأتي سماع أيّ شكاوى بشأنه. منذ وصوله إلى (العُش) صار المغنيّ رفيقها المفضّل، يُعنيّ للورد روبرت كلّ ليلةٍ حتى ينام، ويقرص أذان حُطّاب الليدي لايسا بأبياتٍ تسخر من نواقصهم. أغدقت عليه خالتها بالذهب والهدايا؛ ثياب باهظة الثّمّن،

وحلقة ذراع ذهبية، وحزام مرصع بأحجار القمر، وجواد مطهّم، بل وأعطته صقر زوجها الرَّاحل المفضل أيضًا. كل هذا حدا بماريليون إلى أن يكون دائم التهذيب والدّمائة في حضور الليدي لايسا، وفي غيابها آية في الخيلاء. قالت له سانزا بجمود: «شكرًا. أعرّف الطريق».

لم يتزحّح، وقال: «سيّدتي قالت أن أحضرك». لم يُعجبها وقع الكلمة. يُحضرنى؟ «أأنت حارس الآن؟». كان الإصبع الصّغير قد صرف قائد حرس (العُش) وعيّن لوثور برون بدلًا منه.

قال ماريليون باستهانة: «هل تتطلّبين حراسة؟ عليك أن تعلمي أنني أوّلُ أغنيّةٍ جديدة، أغنيّةٌ سيّذيب ما فيها من عدويةٍ وحُزن قلبك الجليدي ذاته. أنوي أن أسمّيها (وردة على جانب الطريق)، تحكي عن فتاةٍ نغلة رائعة الجمال فتنت كلّ رجل رآها».

أرادت بشدّة أن تقول له: إنني من آل ستارك أولاد (ويتترفل)؛ لكنها اكتفت بالإيماء وتركتّه يصطحبها نازلاً سلاّم البُرج وقاطعًا جسرًا. كانت (القاعة العالية) مغلقة طيلة إقامتها في (العُش)، فتساءلت سانزا لماذا فتحتها خالتها، التي عادةً ما تُفضّل راحة عُرفتها الشّمسيّة أو دفء قاعة اجتماعات اللورد آرّن الصّغيرة المطّلة على السّلال.

وقف حارسان بمعطفين بزُرقة السّماء على جانبَي باب (القاعة العالية) الخشبي المنقوش وفي يد كل منهما حرّبة، وقال لهما ماريليون: «لا أحد يدُخل ما دامت إليني مع الليدي لايسا».

- «نعم». تركّهما الرّجلان يدُخلان ثم قاطعا حرّبتيهما، وأغلقَ ماريليون مصراعَي الباب وأزلجهما بحربةٍ ثالثةٍ أطول وأغلظ.

قالت سانزا والاضطراب يتسلّل إليها: «لماذا فعلت هذا؟». - «سيّدتي تنتظرك».

تطلّعت حولها بارتباك. كانت الليدي لايسا جالسةً وحدها فوق المنصّة على كُرسيّ عالي الظّهر من خشب الويروود المزخرف، وإلى يمينها كُرسيّ ثانٍ أطول وعليه كومة من الوسائد الزّرقاء، لكن اللورد روبرت غير موجود. تأمل سانزا أنه تعافى، وإن كان ماريليون لن يُخبرها.

مشّت على البساط الحريري الأزرق بين صَفّين من الأعمدة المحزّزة

الرَّفِيعَةَ كَالرِّمَاحِ. أَرْضِيَّةٌ وَجُدْرَانٌ (القاعة العالية) من رُخَامٍ بِياضِهِ كَالْحَلِيبِ  
الْمَجْزَعِ بِالْأَزْرَقِ، وَمِنَ النَّوَاذِ الْمَقْنَطَرَةِ الصَّيِّفَةِ فِي الْجِدَارِ الشَّرْقِيِّ تَدْخُلُ  
خِيوطُ نَوْرِ النَّهَارِ الْبَاهِتِ، وَبَيْنَ كُلِّ نَافِذَتَيْنِ مَشْعَلٌ مُثَبَّتٌ عَلَى حَوَامِلٍ عَالِيَةٍ  
مِنَ الْحَدِيدِ، لَكِنْ جَمِيعُهَا مُطْفَأٌ. أَحْدَثَتْ خُطَاهَا صَوْتًا نَاعِمًا عَلَى الْبَسَاطِ،  
وَفِي الْخَارِجِ هَبَّتِ الرِّيحُ بَبْرُودَةٍ وَوَحْشَةٍ.

وَسَطَ كُلِّ هَذَا الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ بَدَأَ ضَوْءُ الشَّمْسِ نَفْسَهُ بَارِدًا... وَإِنْ لَمْ  
يَدُنْ مِنَ الْبَرْدِ الْمُنْبَعِثِ مِنْ خَالَتِهَا. ارْتَدَّتِ اللَّيْدِي لَايْسَا فُسْتَانًا مَخْمَلِيًّا بِلَوْنِ  
الْقَشْدَةِ وَقِلَادَةً مِنَ الصَّفِيرِ وَأَحْجَارِ الْقَمَرِ، وَقَدْ عَقَصَتْ شَعْرَهَا الْكَسْتَنَائِيَّ فِي  
جَدِيلَةٍ كَثِيفَةٍ انْسَدَلَتْ عَلَى إِحْدَى كَتِفَيْهَا، وَبَدَأَ وَجْهَهَا مَتَفَخِّحًا مَحْمَرًا تَحْتَ  
الطَّلَاءِ وَالْمَسَاحِقِ. جَلَسَتْ فِي الْكُرْسِيِّ الْعَالِيِّ تُشَاهِدُ ابْنَةَ أُخْتِهَا تَقْتَرِبُ،  
وَرَاءَهَا عَلَى الْجِدَارِ رَايَةٌ ضَخْمَةٌ مَعْلَقَةٌ عَلَيْهَا قَمَرٌ وَصَقْرٌ عَائِلَةٌ أَرْنَ بِأَبْيَضِ  
الْقَشْدَةِ وَالْأَزْرَقِ السَّمَاوِيِّ.

تَوَقَّفَتْ سَازِنَا أَمَامَ الْمَنْصَةِ، وَانْحَنَتْ قَائِلَةً: «سَيِّدَتِي أُرْسَلْتُ تَسْتَدْعِينِي». مَا  
زَالٌ بِاسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تَسْمَعَ صَوْتَ الرِّيَّاحِ وَالنَّعْمَاتِ النَّاعِمَةِ الَّتِي يَعْزِفُهَا  
مَارِيلْيُونٌ عِنْدَ قَدَمِ الْقَاعَةِ.

قَالَتِ اللَّيْدِي لَايْسَا: «رَأَيْتُ مَا فَعَلْتِ».

سَوَّتْ سَازِنَا طَيَّاتٍ تُثَوِّرَتِهَا، وَقَالَتْ: «أَمَلُ أَنْ اللُّورْدُ رُوبِرْتٌ تَحَسَّنَ. لَمْ  
أَقْصِدُ أَنْ أَمْزُقَ دُمَيْتَهُ، كَانَ يَهْدِمُ قَلْعَتِي الثَّلْجِيَّةَ...».

قَاطَعَتْهَا خَالَتِهَا: «هَلْ سَتَلْعَبِينَ دُورَ الْمَخَادَعَةِ الْخَجُولِ؟ لَمْ أَكُنْ أَتَكَلَّمُ  
عَنْ دُمَيْةِ رُوبِرْتِ. لَقَدْ رَأَيْتِكَ تُقَبِّلِينَهُ».

أَحْسَسَتْ بَبْرُودَةَ الْقَاعَةِ تَزْدَادُ بَعْضَ الشَّيْءِ، كَأَنَّ الْجُدْرَانَ وَالْأَرْضِيَّةَ  
وَالْأَعْمَدَةَ الرُّخَامِ اسْتَحَالَتْ إِلَى جَلِيدٍ، وَقَالَتْ: «هُوَ قَبْلَتِي».

قَالَتِ لَايْسَا وَقَدْ أَحْمَرَّتْ طَاقَتَا أَنْفِهَا غَضَبًا: «وَلِمَ يَفْعَلُ شَيْئًا كَهَذَا؟ إِنْ  
لَهُ زَوْجَةٌ تَحِبُّهُ، امْرَأَةٌ نَاضِجَةٌ لَا فِتْنَةَ صَغِيرَةٍ. إِنَّهُ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَمْثَالِكِ.  
اعْتَرَفِي أَيْتِهَا الصَّغِيرَةَ، لَقَدْ أَلْقَيْتِ نَفْسَكَ عَلَيْهِ، هَذَا مَا حَدَثَ».

أَخَذَتْ سَازِنَا خُطْوَةً إِلَى الْوَرَاءِ قَائِلَةً: «غَيْرِ صَحِيحٍ».

- «أَيْنَ سَتَذْهَبِينَ؟ أَنْتِ خَائِفَةٌ؟ لَا بُدَّ مِنْ مَعَاقِبَةِ هَذَا السُّلُوكِ الْعَابِثِ،  
لَكِنِّي لَنْ أَقْسُو عَلَيْكِ. إِنَّا نَحْفَظُ بَصْبِيَّ فِدَاءً لِرُوبِرْتِ عَلَى غِرَارِ الْمُدُنِ الْحُرَّةِ».

إن صحَّته أضعف من أن يحمل الصَّولجان بنفسه. سأجدُ فتاةً من العوام تتلقَّى الجلد بدلًا منك، لكن عليك أن تُقرِّي بما فعلتِ أولاً. لستُ أطيقُ الكاذبين يا إنيي».

ردَّت سانزا: «كنتُ أبنِي قلعةً من الثلج. اللورد بيتر ساعدني ثم قبَّلني. هذا ما رأيت».

قالت خالتها بحدَّة: «ألا شرف لك أم تحسبيني حمقاء. هذا ما تحسبين، أليس كذلك؟ نعم، أرى هذا الآن. إنني لستُ حمقاء. تخالين أنك تستطيعين نيل أيِّ رجل تُريدين لأنك صغيرة وجميلة. لا تحسبي أنني لم أر النُّظرات التي ترمِّمين بها ماريليون. إنني أعرف كلَّ ما يدور في (العُش) أيتها الصَّغيرة، وعرفتُ مثيلاتك من قبل أيضًا. لكنك مخطئة إذا تصوَّرت أن الأعيُن الواسعة والابتسامات المغوية سنُؤلِّك بيتر»، ونهضت مردفةً: «كلهم حاولوا أن يأخذوه مني؛ السيِّد والدي وزوجي وأمُّك... كاتلين بالذَّات. هي أيضًا أحبَّت تقبيل حبيبي بيتر، أوه، نعم كم أحبَّت هذا».

تراجعت سانزا خطوةً أخرى مرددةً: «أمِّي؟».

- «نعم، أمُّك، أمُّك الغالية، أختي الجميلة كاتلين. لا تُحاولي أن تدَّعي البراءة معي أيتها الكذَّابة المأفونة. طيلة كلِّ تلك الأعوام في (ريفررن) تلاعبت بيتر كأنه لُعبتها الصَّغيرة، عابثته بالابتسامات والكلام الرقيق ونظرات الغواية، وجعلت لياليه عذابًا».

- «لا». أراَدت أن تصرِّخ: أمِّي ماتت، كانت أختك وماتت! «لم تفعل شيئًا كهذا، ما كانت لتفعله».

قالت الليدي لايسا: «وكيف تعلمين؟ هل كنتِ هناك؟»، ونزلت من عند الكرسي العالي وتُورتها تدور حول ساقِها مواصلةً: «هل جئت مع اللورد براكن واللورد بلاكوود حين زارانا ليُحكما أبي في نزاعهما؟ ليلتها غنَّى لنا مطرب اللورد براكن، ورقصت كاتلين سيِّت رقصات مع بيتر، لقد عددتها. حين بدأ اللوردان يتنابذان أخذهما أبي إلى قاعة اجتماعاته، فلم يُعد هناك من يمنعنا عن الشُّرب. ثمَل إدميور في سنِّه الصَّغيرة تلك... وحاول بيتر أن يُقبِّل أمُّك لكنها دفعتَه عنها وضحكت منه. بدا جريحًا لدرجة أنني أحسستُ بشغاف قلبي تتمزِّق من أجله، وبعدها ظلَّ يشرب إلى أن فقدَ وعيه

على المائدة، وحمله عمِّي برايندن إلى فراشه قبل أن يراه أبي هكذا. لكنك لا تذكرين شيئاً من هذا، أليس كذلك؟»، وحدجتها بغضبٍ مكرّرةً: «أليس كذلك؟».

أهي سكرانة أم مجنونة؟ «لم أكن وُلِدْتُ وقتها يا سيّدي». - «لم تكوني وُلِدِ، لكنني كنتُ هناك، فلا تُحاولي أن تُقرّري الحقائق. أنا أعرفُ الحقائق. لقد قبّلتيه!».

عادت سانزا تقول بإصرار: «هو قبّلتني. لم أريد أن...». - «صمتًا. لم أسمح لك بالكلام. لقد أغرّيته كما فعلت أمك ليلتها في (ريفررن) بابتساماتها ورقصها. أتحسبيني أنسى شيئاً كهذا؟ إنها الليلة التي تسلّلتُ فيها إلى فراشه لأواسيه. نزلتُ، لكنه كان أعذب ألم في الدنيا. قال لي إنه يحبّني عندئذٍ، لكنه دعاني بـ«كات» قبل أن يغيب في النوم ثانية، وعلى الرغم من ذلك بقيتُ معه إلى أن بدأت السماء تُنير. أمك لم تستحقّه، بل رفضت أن تمنحه عطيتها حين نازل براندون ستارك. كنتُ لأمنحه عطيتي. لقد منحته كلّ شيء. إنه لي الآن، ليس لكاتلين وليس لك».

ذبل تصميم سانزا كله أمام هجمة خالتها الضّارية، وأصابها من لايسا آرن الخوف نفسه الذي كان يُصيبها من الملكة سرسي، فقالت محاولةً أن تبدو نادمةً خانعةً: «إنه لك يا سيّدي. هل تسمحين لي بالانصراف؟».

قالت خالتها ورائحة التّيبذ تنبعث مع أنفاسها: «لا. لو كنت فتاةً أخرى لنيفتك، كنتُ لأرسلك إلى اللورد نستور في (بوابات القمر) أو أعيدك إلى (الأصابع). هل يروقك أن تقضي حياتك على ذلك الشّاطئ القاحل محاطةً بالبغايا وبراز الغنم؟ هذا ما انتواه أبي لبيتر. قال الجميع إن ذلك النّزال السّخيف مع براندون ستارك السّبب، لكنه لم يكن كذلك. قال أبي إن واجبًا عليّ أن أشكر الآلهة على قبول لورد عظيم مثل جون آرن إياي ملوثةً، لكنني كنتُ أعلم أن الغرض الوحيد من الزّيجة الشّيوف. إمّا أن أتزوّج جون وإمّا أن يُقصيني أبي كما فعل بأخيه، لكن بيتر كان منتهاي دوّمًا. أقول لك كلّ هذا لتفهمي قدر الحبّ بيننا وكم عانينا وحلم كلانا بالآخر. لقد أنجبنا طفلًا معًا، طفلًا صغيرًا جميلًا»، ووضعت لايسا راحة يدها على بطنها كأ الجنين لا يزال هناك، وتابعت: «حين سرقوه مني وعدتُ نفسي بالأأ أسمح بتكرار هذا

ثانيةً. چون أرادَ إرسالَ ولدي الجميل روبرت إلى (دراجونستون)، وذلك الملك السَّكِّير كان يُعْطيه لسرسي لانستر، لكنني لم أسمح لهما... كما لن أسمح لك بسرقة حبيبي بيتر الإصبع الصَّغير. هل تسمعينني يا إيني أو سانزا أو أيًّا كان اسمكِ؟ هل تسمعين ما أقوله لك؟».

ردَّت سانزا حاسبةً أن هذا ما تُريد خالتها سماعه: «نعم، أفسمُ لك، لن أقبِّلة ثانيةً أبدًا أو... أو أغريه».

قالت لايسا: «تعترفين إذن؟ أنتِ قبَّلتيه، تمامًا كما خطرَ لي. إنكِ لعوب كأمِّك»، وأطبقت علي معصمها مضيضةً: «تعالني معي، أريدُ أن أريك شيئًا».

حاولت سانزا التَّمَلُّص قائلةً: «إنكِ تُؤَلِّمينني. أرجوكِ يا خالة لايسا، إنني لم أفعل شيئًا، أفسمُ لك».

تجاهلت خالتها احتجاجها، وصاحت «ماريليون! أريدك يا ماريليون! أريدك!».

كان المغني قد بقي صامتًا في مؤخِّرة القاعة، لكنه جاء في الحال على إثر صيحة الليدي آرن قائلاً: «سيِّدتي».

- «عَنِّ لَنَا أَعْنِيَّةً، عَنِّ (الكذوب والجميلة)».

دأبت أصابع ماريليون الأوتار، وغنى: «اللورد جاء يركب في يومٍ مطير، هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني-هاي».

سحبت الليدي لايسا سانزا من ذراعها، فكان إمَّا أن تمشي وإمَّا أن تُجرَّ، فاختارت أن تمشي بين عمودين قاطعةً نصف مساحة القاعة إلى باب من

خشب الويروود الأبيض في الجدار الرُّخام، مغلقةً بإحكام بثلاثة قُضبان ثقيلة من البرونز تُثبِّته في مكانه، لكن سانزا سمعت الرِّيح في الخارج تنهش

حوافه، وعندما رأت الهلال المنقوش في الخشب زرعت قدميها في الأرض وحاولت أن تتنزع معصمها قائلةً: «(باب القمر). لماذا تُرينني (باب القمر)؟».

- «الآن تصرِّين كالفران لكن الجراءة لم تنفُصكِ في الحديدية، أليس كذلك؟ الجراءة لم تنفُصكِ في الثلج».

(1) كلمة بلا معنى كانت تُستخدم كثيرًا في الأغاني الشعبيَّة في العصر الإليزابيثي في إنجلترا، وقد وردت في إحدى أغنيات مسرحيَّة (جمععة بلا طحن) لشيكسبير. (المترجم).

- «الليدي جلست تخيط في يوم مطير، هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني».

قالت لايسا امرأة: «افتحي الباب. قلتُ افتحيه وإلا سأنادي حُرَّاسي»، ودفعت سانزا إلى الأمام مضيئة: «أمك كانت شجاعة على الأقل. ارفعي القضبان».

إذا فعلتُ كما تقول ستترُكني أذهب. أمسكت سانزا أحد القضبان البرونز وخلعته ثم ألقته أرضاً، وتلاه الثاني والثالث برنين على الرُخام. لم تكد تلمس الرتاج حتى طار الباب الثقيل إلى الداخل وارتطم بالحائط بعنف، وهب كل ما تكوّم حول إطاره من ثلوج عليهما، تحمله دفقة من الهواء البارد اقشعر لها بدن سانزا. حاولت أن تخطو إلى الوراء لكن خالتها كانت وراءها، وعادت لايسا تقبض على معصمها ووضعَت يدها الأخرى بين لوحَي كتفيها دافعة إياها قسراً نحو الباب المفتوح.

وراء الباب ليس هناك إلا السماء البيضاء والثلج الساقط.

قالت الليدي لايسا: «انظري إلى أسفل. انظري إلى أسفل!».

من جديد حاولت التملص، لكن أصابع خالتها انغرست في ذراعها كالمخالب. دفعتها لايسا مرةً أخرى وصرخت سانزا، وضربت قدمها اليسرى قشرة من الثلج وخلخلتها. لا شيء أمامها إلا الهواء الخالي، وتحتها بستمئة قدم قلعة فرعية تشبث بجانب الجبل. ولولت: «لا! إنك تخيفيني!»، ومن ورائها كان ماريليون لا يزال يعزف على قيثارته الخشبية ويُعني: «هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني».

- «أما زلتِ تريدين إذني في الذهاب؟!».

- «لا، ليس من هنا، أرجوك...». غرست سانزا قدميها في الأرض وحاولت أن تدفع نفسها إلى الخلف، لكن خالتها لم تتزحج قيد أنملة. رفعت يدها واحتكت أصابعها بإطار الباب دون أن تنجح في الإمساك به، وبدأت قدمها تنزلقان على الأرضية الرُخام المبتلة. دفعتها خالتها الليدي لايسا-التي تفوقها وزناً بستين رطلاً- إلى الأمام بعناد، وظلّ ماريليون يُعني: «استلقِ الليدي تُقبِّله على كومة من القش». التوت سانزا إلى الجانب وقد أعماها الرُعب، وانزلت قدمها فوق العدم وصرخت. «هاي-نوني، هاي-نوني».

نوني، هاي-نوني-هاي». رفعت الرِّيحُ ثُّورَها وأنشبتُ أُنْيابها الباردة في ساقِها المكشوفتين، وشعرتُ بِنُدْفِ الثَّلْجِ تَدُوبِ عَلى وجتِها. لَوَّحتُ بيدها فوجدتُ جديلة لايسا الكستنائية الكثيفة وأطبقتُ عليها، لتصرُخَ خالِتها: «شعري! اترُكي شعري!». كانتُ ترتجفُ وتنتحبُ، ومعاُ ترتنحُ عَلى الحافةِ، ومن بعيدٍ سمعتُ سانزا الحرس يدقون باب القاعة بكعوب حِرابهم ويُطالبون بالدُّخول، وبترَ ماريليون أغيثته.

- «لايسا! ما الذي يحدثُ؟». شقَّتُ الصَّيحة النَّحيبَ والأنفاسَ الثَّقيلةَ، وتردَّدتُ أصداً خُطواتٍ في (القاعةِ العالِية). «عودي من عندك! لايسا، ماذا تفعلين؟». كان الحرس ما زالوا يدقون الباب، أمَّا الإصبع الصَّغير فدخلَ من المؤخِّرة، من مدخل اللورد وراء المنصَّة.

التفتتُ لايسا فارتحتُ قبضتها بما يكفي لأن تنتزع سانزا معصمها، وتهاوتَ عَلى رُكبتيها ليراها بيتر بايلش الذي توقَّف فجأةً، وقال: «إليني، ما المشكلة هنا؟».

أطبقتُ الليدي لايسا عَلى خُصلةٍ من شعر سانزا صائحةً: «هي! هي المشكلة! هي قبَّلتك!».

قالت له سانزا بتوسُّل: «أخبرها، قُل لها إننا كنا بنبي القلعة فقط...».

صرختُ خالِتها: «صمتًا! لم أسمح لك بالكلام. لا أحد يهتُمُ بقلعتك».

- «إنها طفلة يا لايسا، ابنة كات. ماذا تحسبين نفسك فاعلة؟».

- «كنتُ سأزوِّجها روبرت! إنها لا تعرف الامتنان، لا تعرف ال... العفة».

أنت لست لها كي تُقبَّلَك، لست لها! كنتُ ألقنها درسًا، هذا كلُّ شيء».

ملسَ عَلى ذقنه قائلاً: «مفهوم. أظنُّها تفهم الآن، أليس كذلك يا إليني؟».

أجابتُ سانزا باكيةً: «بلى، أفهم».

قالت خالِتها والدُّموع تلمع في عينيها: «لا أريدها هنا. لماذا أحضرتها إلى (الوادي) يا بيتر؟ هذا ليس مكانها، لا انتماء لها هنا».

قال: «سنصرفها إذن، سنعيدها إلى (كينجز لاندنج) إذا أردت»، وتقدَّم منهُما خُطوةً مضيِّفًا: «اتركيها الآن، دعيتها تتعد عن الباب».

دوَّر الهواء الثَّلْجَ حولهما جاعلاً ثُّورَتيهما تخفقان بصوتٍ مزعج، وصاحتُ خالِتها: «لا! لا يُمكن أن تُريدها، لا يُمكن. إنها فتاة بلهاء خاوية



الرأس، لا تحبُّك كما أحببتك. لقد أحببتك دائماً وأبدياً هذا، أليس كذلك؟»،  
وسالت الدموع على وجهها المتنفخ المحتقن وهي تُواصِل: «أعطيتك هديّة  
بكورتي، وكنْتُ لأعطيك ابناً أيضاً لكنهم قتلوه بشاي القمر والتانسي والتنعن  
والشَّيح، وأضافوا ملعقةً من العسل وقطرةً من العُبيرة<sup>(1)</sup>. لم أفعلها أنا، لم أكن  
أعرف، لقد شربْتُ ما سقاني إياه أبي فحسب...».

تقدّم الإصبع الصَّغير أكثر قائلاً: «كل هذا انتهى منذ زمن يا لايسا. اللورد  
هوستر مات، ومايستره العجوز أيضاً. هل أسرفت في شرب النبيذ؟ لا يجدُر  
بك أن تشربي الكثير. لسنا نريد أن تعرف إلني أكثر مما ينبغي، أليس كذلك؟  
أو ماريليون؟».

تجاهلت الليدي لايسا قوله، وتابعت: «كات لم تمنحك شيئاً قطُّ. أنا التي  
حصلتُ لك على وظيفتك الأولى، وجعلتُ جون يأخذك إلى البلاط لنبقي  
قريبين دوماً. لقد وعدتني بأنك لن تنسى هذا أبداً».

- «ولم أنسه. إننا معاً كما أردتِ دائماً، تماماً كما خططنا. اتركي شَعْر  
سانزا...».

- «لا! لقد رأيتها تُقبِّلك في الثلج، تماماً مثل أمها. كاتليني قبَّلتك في أيقة  
الآلهة، لكن القبلة لم تعن لها شيئاً، إنها لم ترغب فيك قطُّ. لماذا أحببتها  
أكثر؟ أنا الوحيدة التي أحببتك دائماً، أنا!!!».

أخذَ خطوةً أخرى قائلاً: «أعرف يا حبيبتني، وأنا هنا الآن. ما عليك إلا أن  
تأخذي يدي، هيا»، ومدَّها إليها مردفاً: «لا داعي لكل هذه الدموع».

بكت بهياج وقالت بصوتٍ متهدِّج: «دموع، دموع، دموع. لا داعي  
للكدموع... لكن ليس هذا ما قُلته في (كينجز لاندنج)، بل قلت لي أن أضع  
الدموع في نبيذ جون فوضعتها، من أجل روبرت ومن أجلنا! وكتبْتُ لكاتلين  
وقلتُ لها إن آل لانستر قتلوا زوجي، تماماً كما قُلت أيضاً. حركة ذكيّة...  
لطالما كنت ذكيّاً، هذا ما قُلته لأبي، قلتُ له بيتر شديد الذكاء، سيرفقي إلى  
أعلى المراتب، نعم، نعم، كما أنه لطيف ورقيق وطفله في بطني... لماذا

---

(1) العُبيرة نوع من الأعشاب يُشبه النعناع العادي كثيراً، ينمو ويتكاثر في المناطق الجبلية  
الرطبة. (المترجم).

قَبَلْتَهَا؟ لِمَاذَا؟! إِنَّمَا مَعَا الْآنَ، مَعَا آخِرًا بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنِينَ، فَلِمَ تَقْبَلُهَا!!!!!!؟! .  
تَنَهَّدَ بَيْتِرَ، وَقَالَ: «لَا يَسَا، بَعْدَ كُلِّ مَا كَابَدْنَا مِنْ عَوَاصِفِ يُفْتَرَضُ أَنْ تَتَّقِي  
بِي أَكْثَرَ. أَقْسَمُ لَكَ أَنِّي لَنْ أَبَارِحَكَ ثَانِيَةً أَبَدًا مَا حِينِنَا» .  
سَأَلْتَهُ مَتَحَبَّةً: «حَقًّا؟ أَوْه، حَقًّا؟» .

- «حَقًّا. وَالْآنَ أَطْلِقِي سِرَاحَ الْفَتَاةِ وَتَعَالِي قَبْلِي» .  
أَلْقَتْ لَا يَسَا نَفْسَهَا بَاكِيَةً بَيْنَ ذِرَاعَيْ الإِصْبَعِ الصَّغِيرِ، وَإِذْ تَعَانَقَا زَحَفَتْ  
سَانِزَا مَبْتَعِدَةً عَنِ (بَابِ الْقَمَرِ) عَلَى يَدَيْهَا وَرُكْبَتَيْهَا وَطَوَّقَتْ أَقْرَبَ عَمُودِ  
بِذِرَاعَيْهَا شَاعِرَةً بَعُفْ دَقَّاتِ قَلْبِهَا وَالثَّلْجِ فِي شَعْرِهَا، وَقَدْ فَقَدَتْ فِرْدَةَ حِذَائِهَا  
الْيُمْنَى. فَكَّرَتْ: لَا بُدَّ أَنَّهُا سَقَطَتْ، وَارْتَجَفَتْ وَاحْتَضَنْتَ الْعَمُودَ أَكْثَرَ.  
تَرَكَ الإِصْبَعِ الصَّغِيرِ لَا يَسَا تَبْكِي عَلَى صَدْرِهِ قَلِيلًا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى  
ذِرَاعَيْهَا وَطَبَعَ قَبْلَةً خَفِيفَةً عَلَى شَفْتَيْهَا، وَقَالَ ضَاحِكًا: «زَوْجَتِي الْجَمِيلَةَ  
السَّخِيفَةَ الْغَيُورَ، لَقَدْ أَحْبَبْتُ امْرَأَةً وَاحِدَةً فِي حَيَاتِي كُلِّهَا، أَوْكُذُّ لَكَ» .  
اِخْتَلَجَتْ ابْتِسَامَةَ الْيَدِيِّ لَا يَسَا عَلَى شَفْتَيْهَا وَهِيَ تَسْأَلُهُ: «وَاحِدَةً فَقَطْ؟  
أَوْه، بَيْتِرَ، هَلْ تُقْسِمُ؟ وَاحِدَةً فَقَطْ؟» .

قَالَ: «كَاتَ فَقَطْ»، وَبِحَرَكَةٍ قَصِيرَةٍ حَادَّةٍ دَفَعَهَا.  
وَتَعَثَّرَتْ لَا يَسَا إِلَى الْوَرَاءِ وَانزَلَتْ قَدَمَاهَا عَلَى الرُّخَامِ الْمَبْتَلِ، ثُمَّ اخْتَفَّتْ.  
لَمْ تَصْرُخِ الْبَتَّةَ، وَمَرَّتْ لِحِظَاتٍ طَوِيلَةً بِلَا صَوْتٍ فِي الْمَكَانِ إِلَّا صَفِيرَ الرِّيْحِ.  
شَهَقَ مَارِيلْيُونُ وَتَمَتَّمَ: «لَقَدْ... لَقَدْ...» .  
كَانَ الْحُرَّاسُ يَصِيحُونَ وَرَاءَ الْبَابِ وَيَدُقُّونَهُ بِكَعُوبِ حِرَابِهِمُ الثَّقِيلَةِ.  
سَاعَدَ اللُّورْدُ بَيْتِرَ سَانِزَا عَلَى الْقِيَامِ مَتَسَائِلًا: «هَلْ تَأْذَيْتِ؟»، فَلَمَّا هَزَّتْ رَأْسَهَا  
نَفِيًّا قَالَ: «أَجْرِي وَدَعِي الْحَرَسَ يَدْخُلُونَ إِذْنَ. بِسُرْعَةٍ، لَا وَقْتُ بُبْدَدِهِ. الْمَعْنَى  
قَتَلَ السَّيِّدَةَ زَوْجَتِي» .



## خاتمة

يدور الطريق إلى (الحجر العتيق) مرتين حول التلّ قبل أن يصل إلى القمّة. حتى في أفضل أحوال الطقس يظل سلوكه بطيئاً بسبب زخوره بالحجارة والحشائش المفرطة في الثمو، وعلاوة على هذا لوّثه سقوط الثلج ليلة البارحة بالأحوال. فكّر ميريت بكآبة: ثلج في أراضي التّهر في الخريف، غير طبيعي. على أنه لم يهطل بغزارة، فقط ما يكفي لأن يفترش الأرض بساط أبيض ليلة، وقد بدأ معظمه يذوب بالفعل حالما أشرقت الشمس. وعلى الرغم من هذا اعتبره ميريت نذير شؤم، فبين الأمطار والفيضانات والحرائق والحرب خسروا حصادين كاملين وحصّة كبيرة من الثلث، أي أن حلول الشتاء مبكراً سيعني مجاعة في جميع أنحاء أراضي التّهر. أعداد هائلة من النّاس ستضوّر جوعاً، ومنهم من سيموت من الجوع، وأمل ميريت الوحيد ألا يكون منهم. لكنني قد أكون منهم، بحظّي هذا قد أكون منهم، فمذمتي حالفتني الحظّ؟

أسفل أطلال القلعة تمتلئ منحدرات التلّ بالأشجار الكثيفة الصّالحة لأن يختبئ بينها عشرات الخارجين عن القانون. ربما يُرأقوني في هذه اللّحظة تحديداً. تلفّت ميريت حوله فلم ير شيئاً إلا أدغال الرّتم والسرخس والشوك والبردي والثوت الأسود، وسط شجر الحارس الأخضر الرّمادي والصنوبر، وفي بقاع أخرى أشجار الدردار والمُران الرّفيعة وأجمات السنديان التي تحنق الأرض كالحشائش. لم ير خارجين عن القانون، لكن هذا لا يعني الكثير، فالمجرمون يُجيدون الاختباء عن الشرفاء.

الحقيقة أن ميريت يكره الغابات، ويكره الخارجين عن القانون أكثر،

ومعروف عنه أنه يُرَدَّد كلما ثمل: «المجرمون سرقوا حياتي». كثيرًا ما يقول أبوه بصوت عالٍ؛ إنه يُعاقِر الخمر طوال الوقت، فيقول لنفسه أسيانًا: صحيح تمامًا. في (التَّوَأْمَتَيْنِ) يحتاج المرء إلى صفةٍ ما تُمَيِّزُه عن غيره وإلا نسوا مجرد وجوده على قيد الحياة، لكنه وجد أن سُمعته كأكبر سكير في القلعة لم تُحسِّن فرص فلاحه في الحياة كثيرًا. كنتُ أملُ ذات يوم أن أصبح أعظم فارس يُسَدِّد رُمحًا في العالم، لكن الآلهة سلبتني هذا، فلمْ لا أشربُ كوبًا من النبيذ بين الحين والآخر؟ إنه يُسَاعِدُنِي على احتمال الصُّدَاع، ثم إن زوجتي امرأة سليطة وأبي يحتقرني وأطفالي عديمو القيمة، فهل من شيءٍ يجعلني أبقى مستفيقًا؟

على أنه مستفيق الآن، بمعنى أنه شربَ قرنين من المِزْر مع فطوره وكوبًا صغيرًا من النبيذ الأحمر حين خرج، وإنما ليمنع رأسه من الدُّقِّ لا أكثر. كان ميريت يحسُّ بالصُّدَاع ينشأ بالفعل وراء عينيه، ويعلم أنه إذا أعطاه ولو نصفُ فُرْصَةٍ فلسوف يستحيل سريعًا إلى عاصفةٍ رعديةٍ بين أذنيه. أحيانًا يكون الصُّدَاع قويًّا لدرجة أن مجرد البكاء يُؤْلِمُه، وعندها لا تكون بيده حيلة إلا الاستلقاء على سريره في عُرفَةٍ مظلمة، يضع قطعة قماش رطبةً على عينيه، ويصبُّ اللعنتَ على حظه العاثر والمجرم المجهول الذي فعلَ به هذا.

وتره مجرد التفكير في الأمر. لن يُطيق أن يُصيبه الصُّدَاع الآن. إذا أعدتُ بيتري إلى الديار بأمان سيتغيرَ حظي كله. إن الذهب معه، وما عليه إلا أن يصعد إلى قَمَّةِ (الحجر العتيق) ويلتقي المجرمين الملاحين في خرائب القلعة ويُجري المقايضة. فدية بسيطة لا يُمكن أن يُفسدها أحد، حتى هو... ما لم يُصِبه الصُّدَاع ويتفاقم حتى يُعجزه عن الرُّكوب. المفترض أن يكون في الأطلال عند الغروب وليس متكورًا على نفسه يبكي على فارعة الطريق. فرك ميريت صُدْغُه بإصبعين قائلًا لنفسه: دورة أخرى حول التلِّ ثم أصل. حين أتت الرِّسالة وتقدَّم عارضًا أن يحمل الفدية ضيق أبوه عينيه ورمقه متسائلًا: «أنت يا ميريت؟»، وبدأ يضحك من أنفه مصدرًا تلك الـ«هه هه هه» البغيضة إياها، فاضطرَّ ميريت لأن يتوسَّل تقريبًا قبل أن يُعطوه زكوية الذهب اللعينة. تحرك شيء ما وسط الشجيرات على جانب الطريق، فأسرَع ميريت يشدُّ عنان حصانه ومدَّ يده إلى سيفه، لكنه كان مجرد سنجاب. «أحمق»، قال

لنفسه وهو يدسُّ السِّيفَ في الغِمدِ مجدِّدًا ولم يكن قد أخرجه حقًّا. «ليس للخارجين عن القانون ذبول. بحقِّ الجحيم يا ميريت، تماسك». شعرَ بقلبه يخفق في صدره كأنه صبيٌّ أخضر في حملته الأولى. كأيُّني في (غابة الملوك)، ذاهب لمواجهه الأخواة القديمة وليس سيّد البرق وشِردمته من قاطعي الطرق المأفونين. راوده الإغراء لحظةً عن معاودة نزول التلِّ والعثور على أقرب حانة. في الزَّكِيَّة ذهب يكفي لشراء الكثير من المِزر، يكفي لأن ينسى كلَّ شيءٍ عن بيتر ذي الدِّمامل. فليشْتَقُوهُ، لقد جلبَ الويال على نفسه. ليس هذا أقل مما يستحقُّ بعد أن شرِّد مع تابعة المعسكرات اللعينة كوعلي يتحرَّق شوقًا للسِّفاد.

بدأ رأسه يدقُّ. الآن الدَّقُّ خفيف، لكنه يعلم أنه سيُسوء. حَكَّ ميريت قصبه أنهف قائلاً لنفسه إن لا حقَّ له في أن يُسيء الظنَّ ببيتر. كنتُ أفعلُ المثل في سنِّه. في حالته لم يُصبه إلا الجُدري، ومع ذلك لا يجدرُ به أن يُدين الفتى، فللعاهرات فتنتهن، خصوصًا إذا كان وجهك كوجه بيتر. أي نعم للصَّبي المسكين زوجة، لكنها نصف المشكلة، فلا يكفي أنها في ضعف سنِّه، بل تُضاجع أخاه والدر أيضًا إذا صدق ما يُقال. الكلام كثير دائمًا في (التَّوأمِتين)، ودائمًا قليله صحيح، لكن ميريت يُصدِّقه في هذه الحالة. والدر الأسود رجل يأخذ ما يُريد، حتى زوجة أخيه، ومعروف أيضًا أنه أخذ زوجة إدوين، وبين الحين والآخر تنسل والدا الحسنا إلى فراشه، بل ويقول البعض إن معرفته بالليدي فراي السَّابعة كانت أكثر حميميَّة مما ينبغي. لا عجب أنه يرفض الزَّواج، فلم يشتري بقرةً وهناك ضرور في كلِّ مكانٍ حوله تتوسَّل أن تُحلب؟ أطلق ميريت سبَّةً بصوتٍ خفيض وهمز حسانه بكعبيه وواصل الطَّرِيق إلى قمَّة التلِّ. على الرغم من إغواء فكرة أن يُنفق الذهب على الشَّراب، فإنه يعلم أنه إذا لم يُعدَّ ببيتر ذي الدِّمامل فخيرٌ له ألا يعود على الإطلاق.

قريبًا سيبلغ اللورد والدر الثَّانية والتَّسعين. سمعه بدأ يروح، ونظره راح تقريبًا، ونقرسه في غاية السُّوء حتى إنه يجب أن يُحمَل من وإلى كلِّ مكان، وأبناؤه جميعًا متفقون على أنه لا يُمكن أن يظلَّ حيًّا طويلًا. وعندما يموت سيتغيَّر كلُّ شيء، وليس للأفضل. أبوه عنيد دائم الشَّكوى، لسانه سليط وإرادته من حديد، وإن كان يُؤمنُ بالاعتناء بذويه، جميع ذويه بمن فيهم من

أغضبوه أو خيّبوا أمله. حتى من لا يستطيع تذكُّر أسمائهم. لكن ما إن يرحل... كانت الأمور مختلفةً لَمَّا كان السير ستقرون الوريث. طيلة ستين عامًا والشيخ يعدُّ ستقرون لخلافته موكِّدًا مبدأ أن الدَّم لا يصير ماءً أبدًا، لكن ستقرون مات في الحملة على الغرب مع الذئب الصَّغير - «مات من الانتظار بلا شك»، كما قال لوثار الأعرج مازحًا حين أتاها العُذاف بالخبر - وأبناؤه وأحفاده نوع مختلف من أولاد فراي. رايمان ابن ستقرون هو الوريث الآن، رجل عنيد جشع بطيء البديهة، وبعد رايمان يأتي ابنه إدوين ووالدر الأسود، وكلاهما أسوأ منه. ذات مرَّة قال لوثار الأعرج: «لُحسَن الحَظ أن كليهما يكره الآخر أكثر مما يكرهان بقيتينا».

ليس ميريت واثقًا بأن في المسألة حَظًّا حسنًا على الإطلاق، بالإضافة إلى أن لوثار الأعرج نفسه قد يكون أخطر من الاثنين. اللورد والدر هو من أمر بمذبحة آل ستارك في زفاف روزلين، لكن لوثار الأعرج هو من خطَّط جميع تفاصيلها مع رووس بولتون، بما في ذلك الأغاني. لوثار نديم شراب مسل للغاية، لكن ميريت ليس بالبلاهة التي تجعله يُدير ظهره له. في (التَّوأمَين) يتعلَّم المرء أن لا أحد أهلاً للثقة إلاَّ الأشقاء، وحتى هؤلاء لا ينبغي لك أن تُعطيهم الكثير منها.

لا بُدَّ حين يموت الشيخ أن كلَّ ابن سيتكفَّل بنفسه، وكلَّ ابنة أيضًا. لا ريب أن سيِّد (المعبر) الجديد سيحتفظ بعددٍ من الأعمام وأولاد العمومة وأولاد الإخوة والأخوات في (التَّوأمَين)، من يروقونه ويثق بهم، أو من يظنُّ أنه سيتنفع منهم بالأحرى. وسيطرُد بقيتينا لنبحث عن قوتنا بأنفسنا.

تُقلق الفكرة ميريت أكثر من قُدرة الكلام على التَّعبير. خلال أقلِّ من ثلاثة أعوام سيبلِّغ الأربعين من العُمر، أي أنه سيُسمي أكبر من أن يعيش حياة الفُرسان المتجوِّلين... حتى لو كان فارسًا، وهو ليس كذلك. إنه لا يملك أرضًا أو ثروة، يملك الثياب على بدنه ولكن ليس الكثير بخلاف هذا، ولا حتى الحصان الذي يمتطيه الآن. ثم إنه ليس بالذكاء الذي يُؤهِّله لأن يكون من المايسترات أو الورع الكافي لأن يكون من السِّبتونات أو الشَّراسة الكافية لأن يكون من المرتزقة. لم تهب لي الآلهة إلا ميلادي، وحتى في هذا فترت عليّ. ما جدوى أن يُولد في عائلةٍ ثريَّة قويَّة إذا كان الابن التَّاسع؟ وحين تضع

الأحفاد وأبناءهم في الحسبان ففرصة أن يُصبح ميريت السِّتون الأعلى أكبر من فرصة وراثته (التَّوأمَتين).

فكر بمرارة: إنني متعوس، لم يُحالفني الحَطُّ قَطُّ. ميريت رجل كبير الحجم، عريض الصِّدر والكُتفين وإن كان متوسِّط الطول، ويعلم أن خلال السَّنوات العشر المنصرمة مالَ جسده إلى اللبونة والامتلاء، لكن في شبابه كان أدنى في القوَّة والصَّلابة إلى أخيه الشَّقيق الأكبر السير هوستين، الذي يعتبره الجميع أقوى ذُرِّيَّة اللورد والدر فراي على الإطلاق. في صباه أرسلوه إلى (كراكهول) ليخدم عائلة أمه كوصيف، وعندما جعله اللورد سَمَنر مُرافقًا افترض الجميع أنه سيصير السير ميريت في غضون أعوام قليلة، لكن مجرمي أخوَّة غابة الملوك تبوَّلوا على تلك الخُطط، وبينما كسا زميله المُرافق چايمي لانستر نفسه بالأمجاد أصيب ميريت بالجُدري من تابعة معسِّكرات، ثم وقع في أسر امرأة، تلك التي كانوا يُسمُّونها الطَّيبة البيضاء. افتداه اللورد سَمَنر من الخارجيين عن القانون، لكن في القتال التَّالي مباشرة صرَّعت ضربة من صولجان حطمت خوذته وغَيَّته عن الوعي أسبوعين، وقالوا له بعدها إنهم سلَّموا بموته.

لم يَمُت ميريت، لكن أيام قتاله ذهبت بلا رجعة. أقلُّ ضربةٍ علي رأسه تُصيبه بألم مُعم يُرغمه على البكاء، وتحت هذه الظروف خرجت الفُروسيَّة من الحسابات تمامًا كما قال له اللورد سَمَنر بنبرة لم يعوزها الرِّفق، ثم أعادوه إلى (التَّوأمَتين) لِتُواجه ازدرء اللورد والدر السَّام.

بعدها ساءَ حَظ ميريت أكثر فأكثر. بوسيلة ما استطاع أبوه أن يِرْتب له زيجةً جيِّدةً، فتزوَّج واحدةً من بنات اللورد داري، وأنداك كانت لآل داري حظوة كبيرة عند الملك إيرس، ولكن بدا أنه ما إن فضَّ ميريت بكارة عروسه حتى فقدَ إيرس عرشه، وعلى عكس آل فراي كان آل داري من أبرز مناصري عائلة تارجارين، وهو ما كبَّدهم نصف أراضيهم وأغلب ثروتهم وكلَّ سطوتهم تقريبًا. أمَّا السيِّدة زوجته فوجدته مخيِّبًا للأمال من البداية، وأصرَّت على أن تقتصر ولادتها على البنات طيلة أعوام، منهن ثلاث عشنَّ وواحدة وُلِدت جهيضةً وأخرى ماتت رضيةً، وبعد كلِّ هذا أنجبَ ابنًا أخيرًا. كبرت ابنته الأولى فأصبحت فاسقةً، والثَّانية نهمه، وحين صُبطت آمي في الاسطبل مع

ثلاثة سائسين لا أقل لم يجد ميريت حلاً إلا تزويجها بفارس متجوّل ملعون، حاسباً أن الموقف لا يُمكن أن يسوء أكثر... إلى أن قرّر السير بايت أن ينال المجد بهزيمة السير جريجور كليجان، فعادت إليه أمي أرملة، وهو ما روع ميريت وإن كان قد أسعد كل عامل اسطبل في (التوأمتين) بكل تأكيد.

جرؤ ميريت على أن يأمل أن حظه بدأ يتغيّر أخيراً حين اختار رويس بولتون أن يتزوَّج ابنته والدا بدلاً من إحدى بنات عمومها الأنحف والأحسن طلعةً. كان حلف عائلة بولتون مهمّاً لآل فراي، وقد ساعدت ابنته على إبرامه، فاعتقد أن لهذا قيمة ما بالتأكيد، لكن سرعان ما دحض أبوه الشيخ هذا الاعتقاد قائلاً: «لقد اخترها لأنها بدينة. أتحسب أن بولتون يُبالي مقدار ذرّة بأنها ابنتك؟ أتحسب أنه جلس يقول لنفسه: هه، ميريت المغفل، الرجل المرجؤ لأن يكون حمائي؟ ابنتك والدا خنزيرة ترتدي الحرير، ولذا اختارها، لكن لا تتوقّع شكراً مني. كنا لنحظى بالتّحالف نفسه بنصف الثمن لو أن خنزيرتك الصّغيرة تعلّمت الابتعاد عن ملعقتها بين الحين والآخر».

الإهانة الأخيرة وُجّهت إليه بابتسامة عندما استدعاه لوثار الأعرج ليُنَاقش معه دوره في زفاف روزلين، وقال له أخوه غير الشقيقتي: «على كل منا أن يلعب دوراً طبقاً لمواهبه. عليك مهمّة واحدة لا غير يا ميريت، لكنني واثق بأنك أهل لها. أريدك أن تحرص على أن يسكر چون أومبر الكبير لدرجة تجعله لا يقوى على الوقوف، ناهيك بالقتال».

وحتى هذا أخفقت فيه. لقد تحايل على الرّجل الشّمالي الضّخم حتى شرب نبيذاً يكفي لقتل ثلاثة رجال عاديّين، لكن بعد إضجاع روزلين ظلّ چون الكبير قادراً على انتزاع سيف أول رجل بادّره بالهجوم وكسر ذراعه أيضاً، وتطلّب تكيله بالسلاسل ثمانية منهم، وخلف مجهودهم رجلين جريحين وواحدًا ميتاً وكلف السير ليزلين هاي المسكين نصف أذن، فحين لم يُعد أومبر قادراً على القتال بيديه قاتل بأسنانه.

توقّف ميريت لحظةً وأغلق عينيه. كان رأسه يدقّ كتلك الطّبلّة اللّعينة في أثناء الرّفاف، ولفترة استجمع قواه كلّها ليقف فوق السّرج. قال لنفسه: يجب أن أستمّر. إذا أعادَ بيتر ذا الدّمامل سالمًا فلا شكّ أنه سيلقى حظوةً عند السير رايمان. ربما لا تكون لبيتر قيمة كبيرة، لكنه ليس بارد الطّباع كإدوين أو



محمومها كوالدر الأسود. سيمتُنُ الفتى للدُّور الذي لعبته، وسيرى أبوه أنني مخلص، أي رجل يستحقُّ أن يحتفظ به.

لكن فقط إذا بلغَ القمَّةَ بالذهب عند المغيب. تطلَّعَ ميريت إلى السَّماء مفكِّراً: في الوقت المحدَّد تماماً. أحسَّ بحاجة إلى شيءٍ يُبَيِّنُ يديه، فالتقطَ القربة المعلقة من السَّرج وخلع السِّدادة وأخذَ جرعةً طويلةً من النِّبذ الحلو الغني، لونه القاني يجعله أقرب إلى الأسود، ولكن يالطيب مذاقه بحقِّ الآلهة. في الماضي كان سور (الحجر العتيق) يُطَوَّق قمَّة التِّل كتاج على رأس ملك، أمَّا الآن فلم يتبقَّ منه إلَّا القاعدة وبضع أكوام من الحجارة التي ترتفع حتى الخاصرة وتُرَقِّعها الأشنة. ركبَ ميريت بمحاذاة السُّور إلى أن بلغَ البُقعة التي كان مبنى البوابة يحتلها. الأطلال أكثر انتشاراً هنا، واضطرَّ لأن يترجَّل كي يقود حصانه بينها وقد توارت الشَّمس خلف السُّحب الواطئة في الغرب، فيما غطَّت شجيرات الرِّتم والسَّرخس المنحدرات، وبمجرَّد أن اجتاز الأسوار التي لم تُعد هناك ألقى الحشائش ترتفع حتى الصِّدر. خلخلَ ميريت سيفه في غمده وتطلَّع حوله بحذر، لكنه لم يرَ أيًّا من الخارجين عن القانون. هل أتيتُ في اليوم الخطأ؟ توقَّف وفركَ صُدغيه بإبهاميه دون أن يُفْلح هذا في تخفيف وطأة الصُّداع وراء عينيه. بحقِّ الجحائم السَّبَّع...

من مكانٍ ما في غياهب القلعة جاءت موسيقى خافتة تتخلَّل الأشجار.

وجدَ ميريت نفسه يرتجف رغم المعطف الذي يرتديه، وفتحَ قربه وأخذَ جرعة نبيذٍ أخرى. يُمكنني أن أعود بحصاني، أركب إلى (البلدة القديمة) وأنفق الذهب على الشَّراب. لا خير يأتي من التَّعامل مع الخارجين عن القانون أبداً. تلك الحقيرة البغيضة وندا وسمت فلقة مؤخرته بظيئة حين كان أسيرها، فلا غرو أن زوجته تحتقره. يجب أن أنهى ما بدأت. ربما يُصبح بيتر ذو الدَّمامل سيِّد (المعبر) ذات يوم، فإدوين بلا أبناء ووالدر الأسود لم يُجب إلَّا الثُّغول. بيتر سيبتذكر مَنْ جاءَ يُنقذه. أخذَ جرعةً ثالثةً وسدَّ القربة وقادَ حصانه وسط الحجارة المهتدِّمة والسِّراخس والأشجار النَّاحلة التي جرَّدتها الرِّيح من أكثرية أوراقها، وتبعَ صوت الموسيقى إلى ما كان ساحة القلعة قديماً.

افترشت الأرض طبقة كثيفة من أوراق الشَّجر السَّاقطة كالجُند عقب

معركة ضروس، وأعلى ضريح حجريّ أبلته تقلبات الأجواء جلس رجل يرتدي الأخضر المرعّ الباهت متقاطع الساقين يُداعِب أوتار قيثارة خشبيّة بأصابعه. كانت الموسيقى ناعمةً شجيّةً، وميّز ميريت الأغنيّة. عاليًا في أبهاء الملوك الخالين كانت چيني ترقّص مع أشباحها...

قال ميريت: «انزل من عندك، إنك جالس فوق ملك».

ردّ الخارج عن القانون: «تريستيفر العجوز لا تهّمهُ مؤخّرتي النّحيلة. كانوا يُلقّبونه بمطرقة العدالة. مضى وقت طويل منذ سمع إحدى أغنيّاتي»، ووثب من فوق الضريح. له مظهر مهندّم وجسد ممشوق ووجه ضيق ملامحه ثعلبيّة، لكن فمه عريض لدرجة أن ابتسامته تكاد تَبْلُغ أذنيه، وقد دفعّ الهواء خُصلاً قليلةً من شعره البنيّ الخفيف على جبهته، فأزاحها بيده الحرّة متسائلًا: «هل تذكّرني يا سيّدي؟».

أجاب ميريت عابسًا: «لا. ولم أذكرك؟».

قال الرّجل: «لقد غنّيتُ في زفاف ابنتك، وأحسنّت الغناء أيضًا على ما أظنّ. بايت هذا الذي تزوّجته كان من أبناء عمومتي، فكلنا أبناء عمومة في (الجداول السبعة)، لكنه لم يتورّع عن الإجحاف في حقّي لَمّا حان وقت دفع أجري»، وهزّ كتفيه مردفًا: «لماذا لا يترُكني السيّد والدك أعنيّ في (الثوّامتين) أبدًا؟ ألا أصدرّ ضجّة تُرضي حضرته؟ سمعتُ أنه يحبّ الموسيقى الصّاخبة».

سأل صوت أحشن من ورائه: «هل جلبت الذهب؟».

شعر ميريت بحلقه يجفّ. المجرمون الملاعين، دائمًا يكمنون في الأحرش. لا يختلف الأمر عمّا كان في (غابة الملوك)؛ تحسب أنك قبضت على خمسةٍ منهم فينبثق عشرة آخرون من العدم.

حين التفتّ كانوا حوله من كلّ اتّجاه؛ قطع ذميم من المسنّين المتغضّنين والصّبيّة ناعمي البشرة الأصغر من بيتر ذي الدّمامل، جميعهم يرتدون أسماليًا من الخيش والجلد المقوّى وقطعًا من دروع الموتى، ومعهم امرأة واحدة ملتفة بمعطف بقلنسوة أكبر منها ثلاث مرّات. كان ميريت أكثر ارتباكًا من أن يُحصيهم، ولكن بدا له أن هناك دستةٍ منهم على الأقل، وربما عشرين.

- «سألْتُ سؤالا. أين الذهب؟». المتكلّم رجل كبير ملتجح بأسنان خضراء

معوّجة وأنفٍ مكسور، أطول قامَةً من ميريت وإن لم يكن بطنه ممتلئًا مثله، وعلى رأسه خوذة قصيرة وعلى كتفيه العريضتين معطف أصفر مرّقع. قال ميريت: «في جراب السّرج، مئة تَنِين ذهبي»، وتنحنح مضيّفًا: «ستحصّلون عليه حين أرى بيتر...».

تقدّم رجل قصير بدين بعين واحدة قبل أن يُنهي عبارته، وبكلّ جرأةٍ مدّ يده إلى الجراب وأخرج الزّكيّة. أخذ ميريت خطوةً ليمنعه، لكنه أثار السّلامة وترك المجرم يفتح الرّباط ويُخرج عملةً ويعضّ عليها، قبل أن يقول: «مذاقها سليم»، ووازن الزّكيّة على راحة يده مضيّفًا: «والوزن سليم أيضًا».

فكر ميريت بجزع مبالغت: سيأخذون الذهب ويحتفظون بيتر. كان العرق ينضح من كفيّه، فمسحّهما على سراويله قائلاً: «الفدية كاملة، كما طلبتم. من منكم بريك دونداريون؟». كان دونداريون لوردًا قبل أن يخرج عن القانون، وربما لا يزال يتحلّى بالشّرف. قال الأعور: «إنه أنا».

لكن الملتحي الكبير صاحب المعطف الأصفر قال: «أنت كاذب يا چاك. إنه دوري لأن أكون اللورد بريك».

ضحك المغني وقال: «أيعني هذا أن عليّ أن أكون ثوروس؟ للأسف يا سيّدي هناك حاجة إلى اللورد بريك في مكان آخر. الأوقات عصيبة والمعارك كثيرة، لكننا سنتعامل معك كما كان ليفعل بالضّبط، فلا تخش شيئًا».

لكن ميريت يخشى الكثير، ورأسه يدقّ أيضًا. مزيد من هذا وسيبكي. قال: «ها قد أخذتم الذهب، فأعطوني ابن أخي وسأذهب». الواقع أن بيتر ابن ابن أخيه غير الشّقيق، لكن لا داعي للخوض في هذا.

قال ذو المعطف الأصفر: «إنه في أيّكة الآلهة. سنأخذك إليه. نوتش، أمسك حصانه».

سلم ميريت الرّجل اللّجام على مضضٍ إذ لم ير خيارًا آخر، وسمع نفسه يقول: «قربتي، رشفة من التّبيد لتهدئة...».

قاطع ذو المعطف الأصفر باقتضاب: «لسنا نشرب مع أمثالك. من هنا، اتبعني».

انسحقت الأوراق تحت كعوبهم، وغرست كل خطوة رُمحًا من الألم في صُدغٍ ميريت. مشوا بصمتٍ والريح تهبُّ من حولهم، وسقط آخر خيوط ضوء الشمس الغاربة على عينيه وهو يصعد التلوات المغطاة بالطحالب التي لم يتبقَّ غيرها من الحصن، ووراءها كانت أيكة الآلهة.

وكان بيتر مشنوقًا من فرع شجرة بلوط، تُحيط بعنقه الطويل الرفيع أنشودة مُحكمة، وتجحظ عيناه من وجهه المسودَّ رامتين ميريت باتَّهام، كأنهما تقولان: تأخرت كثيرًا، لكنه لم يتأخر، لم يتأخر! لقد أتى في الميعاد الذي أخبروه به. قال بصوتٍ مبوح: «قتلتموه».

قال الأعور: «ثاقب النَّظر حقًا».

كان ثور برِّي يعدو في رأس ميريت الذي فكَّر: رُحماك يا أمنا، وقال: «لقد أحضرتُ الذهب».

قال المغني بكياسة: «لطف منك أنك فعلت. سنعمل على استغلاله في ما ينفع».

أشاح ميريت النَّظر عن بيتر وقد بدأ يتذوق المِرَّة في مؤخره حلقه، وقال: «لم... لم يكن لديكم الحق».

ردَّ ذو المعطف الأصفر: «كان لدينا حبل، وهذا حقُّ يكفي».

أطبق اثنان من المجرمين على ذراعَي ميريت وقيداهما بإحكام وراء ظهره، وحالت صدمته دون أن يُقاوم، فلم يخرج من فمه إلا: «لا. لم أت إلا لدفع فدية بيتر. قلتم إنكم لن تُؤذوه إذا جلبتُ الذهب عند الغروب...».

أجابَه المغني: «في هذا أصبت يا سيدي، لقد كذبتنا».

تقدَّم الأعور حاملاً حبلًا طويلًا من الليف طَوَّق بأحد طرفيه عنق ميريت بإحكام، وصنع عقدةً قويَّةً تحت أذنه، ثم ألقى الطرف الآخر فوق فرع شجرة البلوط، فالتقطه الكبير صاحب المعطف الأصفر.

- «ماذا تفعلون؟». على الرغم من إدراكه سُخف السؤال لم يزل لا يُصدِّق

ما يحدث. «لن تجسروا على شنق أحدٍ من آل فراي».

ضحك ذو المعطف الأصفر، وقال: «الآخر ذو الوجه المليء بالدمامل

قال الشبيء نفسه».

ليس يعني هذا، مستحيل أنه يعنيه. «إنني أستحقُّ فديةً جيّدةً، أبي سيدفع لكم، أكثر من بيتر، ضعّف فديته».

زفر المغنيّ، وقال: «ربما يكون اللورد والدر نصف كيف ومصابًا بالنقرس، لكنه ليس بالغباء الذي يجعله يبتلع الطعام نفسه مرّتين، وأخشى أنه سيُرسل مئة سيف المرّة القادمة بدلًا من مئة تين».

حاول ميريت أن تكون نبرته صارمةً، لكن صوته خانّه وهو يقول: «نعم! سيُرسل ألف سيفٍ ويقتلكم جميعًا!».

قال المغنيّ: «عليه أن يقبض علينا أولاً»، ورفع ناظره إلى بيتر المسكين مضيفًا: «ولا يُمكنه أن يشنّفنا مرّتين، أليس كذلك؟»، وداعب أوتار قيثارته الخشبيّة بلحن حزين، وتابع: «مهلاً، لا تبك في سراويلك. ما عليك إلا أن تُجيب عن سؤال واحد وسأقول لهم أن يتركوك تذهب».

في هذه اللحظة كان ميريت مستعدًّا لأن يُخبرهم بأيّ شيء إذا كان هذا يعني حياته، فقال: «ماذا تُريدون أن تعرفوا؟ سأقول الحقيقة، أقسم لكم». أعطاه المجرم ابتسامةً مشجّعةً، وقال: «نبحث عن كلبٍ قرّ». - «كلب؟ أي كلب؟».

- «إنه يستجيب لاسم ساندور كليجاين. ثوروس يقول إنه كان في طريقه إلى (التّوأمتين). لقد وجدنا التّوتى الذي عبر به (الثالث)، والمغفل المسكين الذي سطا عليه على (طريق الملوك). هل رأيته في الرّفاف؟».

- «الرّفاف الأحمر؟». أحسّ ميريت بجمجمته على وشك الانفلاق، لكنه بدل قصارى جهده ليتذكّر. كانت الفوضى شديدةً ليلتها، لكن مؤكّد أن أحدهم كان يذكّر أنه رأى كلب چوفري يتشمّم عند (التّوأمتين). «لم يكن في القلعة، ليس في المأدبة الكبيرة... ربما كان في مأدبة النُّغول أو المخيمّات، ولكن... لا، كان أحدهم ليقول...».

قال المغنيّ: «كانت معه طفلة، فتاة نحيلة في العاشرة تقريبًا، أو ربما فتى في السنّ نفسها».

ردّ ميريت: «لا أظنُّ، ليس على حدّ علمي».

- «لا؟ آه، يا للخسارة. حسن، إلى أعلى إذن».

صرخ ميريت: «لا! لا، لا تفعلوا هذا! لقد أجبته، قلت إنك ستتركني أذهب».

أجاب المغني: «بل قلت إنني سأقول لهم أن يتركوك تذهب»، ونظر إلى ذي المعطف الأصفر قائلاً: «ليم، اتركه يذهب».

دمدم المجرم الكبير بفضاظة: «اذهب ونك نفسك».

هز المغني كتفيه لميريت باستسلام وبدأ يعزف لحن (يوم شنقوا روبن الأسود).

كان آخر ما تبقى من شجاعة ميريت يسيل على ساقه مع بوله وهو يقول: «أرجوكم، إنني لم أمسكم بسوء. لقد جلبت الذهب كما قاتم وأجبت عن سؤالكم. إن لدي أطفالاً!».

قال الأعراب: «والذئب الصغير لن يُنجب أطفالاً أبداً».

رد ميريت وهو يستطيع التفكير بالكاد من عنف الدقات في رأسه: «لقد كللنا بالعار، البلاد كلها كانت تضحك منا، كان يجب أن ننظف شرفنا الذي لوته». أبوه قال كل هذا وأكثر.

قال ذو المعطف الأصفر: «ربما. ما الذي تعرفه مجموعة من الفلاحين الجرب عن شرف اللوردات؟»، ولَفَّ طرف الحبل على يده ثلاث مرّات مضيئاً: «لكننا نعرف القليل عن الاغتيال».

صاح بصوتٍ حاد: «لم يكن اغتيالاً بل انتقام، كان لنا الحق في الانتقام. كنا في حرب! إجون، كنا نسّميه ذا الجلاجل، معتوه مسكين لم يؤذ أحداً في حياته، والليدي ستارك شقّت حلقه. فقدنا عشرات الرجال في المعسكرات، السير جارس جودبروك زوج كايرا والسير تايوس ابن چارد... أحدهم هسّم رأسه ببلمة... ذئب ستارك الرّهب قتل أربعة من كلابنا ونزع ذراع قيمّ الوجار من كتفه حتى بعد أن أمطرناه بالسّهام...».

قال ذو المعطف الأصفر: «فخيطتم رأسه بعنق روب ستارك بعد أن مات الاثنان».

- «أبي فعل هذا. كل ما فعلته أنني شربت. لن تقتلوا رجلاً لأنه شرب». ثم تذكّر ميريت شيئاً لحظتها، شيئاً قد تكون فيه نجاته، فقال: «يقولون إن

اللورد بريك يُحاكِم المتَّهَمين دائماً، إنه لا يُقتل أحداً ما لم تثبت إدانته، ولا يُمكنكم أن تثبتوا شيئاً ضدي. الزَّفاف الأحمر كان من صنَع أبي ورايمان واللورد بولتون. لوثار تلاعب بالخيام بحيث تنهار ووضع الرُّماة في الشُّرفة مع العازفين، ووالدر الأسود قاد الهجوم على المخيمات... هم من تُريدون وليس أنا. كل ما فعلته أنني شربتُ البَيذ... ليس لديكم شاهد!». رَدَّ المغني: «يتصادف أنك مخطئ»، والتفت إلى ذات المعطف قائلاً: «سيِّدتي».

افترق الخارجون عن القانون إذ تقدّمت دون أن تنبس بكلمة، ولمّا أزاخت قلنسوتها انقبضَ شيء ما في صدر ميريت وانكتمت أنفاسه. لا، لا، لقد رأيتها تموت. كانت ميتةً منذ يوم وليلةٍ قبل أن يُجرّدوها من ثيابها ويُلقوا جثتها في النهر. رايموند شقَّ حلقهاً من الأذن إلى الأذن. كانت ميتةً. أخفى معطفها وياقتها الشقَّ الذي صنعه نصل أخيه، لكن وجهها أسوأ مما يذكُر بكثير. اللحم أصبحَ بليونة العجين في الماء واستحالَ إلى لون الحليب الخاثر، واختفى نصف شعرها وصارَ الباقي أبيض هشاً كشعر حيزبون، وأسفل فروة رأسها المشوّهة وجهها جلد ممزّق ودماء سوداء حيث خمشته بأظفارها، لكن أشنع ما فيها عيناها... عيناها رأتاها، وأعمتتهما البغضاء. قال الكبير ذو المعطف الأصفر: «إنها لا تتكلم، فقد شققتم حلقها على عمق بليغ أيها الملاعين، لكنها تتذكّر»، والتفت إلى المرأة الميتة وسألها: «ما قولك يا سيِّدتي؟ هل لعبَ دوراً؟».

ولم تُبارحه عينا الليدي كاتلين هنيهةً، وأومات برأسها إيجاباً. فتح ميريت فمه ليتوسّل، لكن الأنشطة خنقت كلماته، وفارقت قدماه الأرض بينما انغرسَ حبل المسد عميقاً في اللحم الطّري أسفل ذقنه، وإلى أعلى ارتفع مهتزاً بعنفٍ وهو يركل ويتلوّى، إلى أعلى وأعلى وأعلى.

نهاية الجزء الثالث



مُلحق  
الملوك وبلاط كلِّ منهم



## الملك على العرش الحديدي



چوفري باراثيون الأول، صبيّ في الثالثة عشرة من العمر، الابن الأكبر للملك روبرت باراثيون الأول والملكة سرسي سليلة عائلة لانستر،

– أمّه، الملكة سرسي، الملكة الوصيّة على العرش وحامية البلاد،

– حارسا سرسي الشّخصيّان،

– السير أوزفريد كتلبلاك، الأخ الصّغير للسير أوزموند كتلبلاك

فارس الحرس الملكي،

– السير أوزني كتلبلاك، الأخ الأصغر للسير أوزموند والسير

أوزفريد،

– أخته، الأميرة مارسلا، فتاة في التّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل

في صنسبير،

– أخوه، الأمير تومن، صبي في الثّامنة، وريث العرش الحديدي،

– جدّه، تايوين لانستر، سيّد كاسترلي روك، حاكم الغرب، يد

الملك،

– أعمامه وأولادهم:

– أخو أبيه، ستانيس باراثيون، سيّد دراجونستون المتمرّد، يُلقّب

- نفسه بالملك ستانيس الأول،
- ابنة ستانيس، شيرين، فتاة في الحادية عشرة،
- أخو أبيه، (رنلي باراثيون)، سيّد ستورمز إند المتمرد، قُتِلَ  
وسط جيشه،
- أخو جدّته، السير إلدون إسترمونت،
- ابن السير إلدون، السير إيمون إسترمونت،
- ابن السير إيمون، السير آلن إسترمونت،
- أخواله وأولادهم:
- أخو أمّه، السير چايمي لانستر، لقبه قاتل الملك، قائد الحرس  
الملكي، أسير في ريفرزن،
- أخو أمّه، تيريون لانستر، لقبه العفريت، قزم، أصيب في  
معركة النّهر الأسود،
- مُرافق تيريون، بودريك باين،
- قائد حرس تيريون، برون فارس النّهر الأسود، مرتزق سابق،
- محظيّة تيريون، شاي، تابعة معسكرات تخدم الآن كوصيفة  
لوليس ستوكورث،
- أخو جدّه، السير كيثان لانستر،
- ابن السير كيثان، السير لانسل لانستر، مُرافق الملك روبرت  
السّابق، أصيب في معركة النّهر الأسود ويُشارف على الموت،
- أخو جدّه، (تايجت لانستر)، ماتَ بدء الزّهري،
- ابن تايجت، تايرك لانستر، مُرافق، مفقود منذ الشّعب العظيم،
- زوجة تايرك الرّضيعة، الليدي إرميساندا هايفورد،
- إخوته غير الشّرعيّين، نغول الملك روبرت:
- ميا ستون، فتاة في التّاسعة عشرة، في خدمة اللورد نستور  
رويس سيّد بوابات القمر،
- جندي، صبيّ حدّاد، هارب في أراضي النّهر ويجهل نسبه،
- إدريك ستورم، ابن الملك روبرت غير الشّرعي الوحيد  
المعترف به، ربيب عمّه ستانيس في دراجونستون،

- حرسه الملكي:
- السير چايمي لانستر، القائد،
- السير مرين ترانت،
- السير بالون سوان،
- السير أوزموند كِتلبلاك،
- السير لوراس تايرل، فارس الزهور،
- السير آريس أوكهارت،
- مجلسه الصَّغير:
- اللورد تاوين لانستر، يد الملك،
- السير كيثان لانستر، قيِّم القوانين،
- اللورد پيتر بايلش، لقبه الإصبع الصَّغير، أمين التَّقْد،
- فارس، خصيِّ، لقبه العنكبوت، وليُّ الهامسين،
- اللورد مايس تايرل، قيِّم السُّفن
- المايستر الأكبر پايسل،
- حاشيته وأتباعه:
- السير إلين باين، عدالة الملك، جَلاد،
- اللورد هالاين الپايرومانسر، صاحب حكمة من رابطة  
الخيمائيِّين،
- فتى القمر، نكَّات ومهرِّج،
- أورموند ابن البلدة القديمة، عازف قيثارة وشاعر،
- دونتوس هولارد، مهرِّج وسكِّير، فارس سابق كان يسمَّى السير  
دونتوس الأحمر،
- چالابار شو، أمير وادي الزَّهرة الحمراء، منفيِّ من جُزر  
الصَّيف،
- الليدي تاندا ستوكورث،
- فاليس، ابنتها الكبرى، زوجة السير بالمان بيرش،
- لوليس، ابنتها الصَّغرى، في الرَّابعة والثلاثين، عزباء ضعيفة  
العقل، تحمل طفلاً بعد اغتصابها،

- اللورد جايلز روزبي، عجوز سقيم،
- السير تالاد، فارس شاب واعد،
- اللورد موروس سلينت، مُرافِق، أكبر أبناء قائد حرس المدينة الأَسبق،
- چوئوس سلينت، أخوه الصَّغير، مُرافِق،
- دانوس سلينت، أخوه الأصغر، وصيف،
- السير بوروس بلاونت، فارس سابق في الحرس الملكي، صرفته الملكة سرسي من الخدمة لُجْبَنه،
- چوزمين پكلدون، مُرافِق وأحد أبطال معركة النَّهر الأسود،
- السير فيليپ فوت، نُصَّبَ سيِّدًا على نُخوم دورن لشجاعته في معركة النَّهر الأسود،
- السير لوثور برون، اكتسبَ لقب لوثور آكل التُّفَّاح لمآثره في معركة النَّهر الأسود، مُحارِب غير نظامي سابق في خدمة اللورد بايلش،
- لوردات وفُرسان آخرون في كينجز لاندنج:
- مائيس روان، سيِّد البُستان الذهبي،
- پاكستر ردواين، سيِّد الكرمة،
- ابنا اللورد پاكستر التَّوأم، السير هوراس والسير هوبر،
- يَسَمَّيان سُخريَّة هورور وسلوبير،
- مُعالج اللورد ردواين، المايستر بالابار،
- أردريان سلتيجار، سيِّد جزيرة المخالب،
- اللورد أليساندر ستيدمون، لقبه عاشق البنسات،
- السير بونيفر هاستي، لقبه الصَّالح، فارس سابق،
- السير دونل سوان، وريث ستونهم،
- السير رونيت كوننجتون، لقبه رونيت الأحمر، فارس وكر الجِرافِن،
- أوران ووترز، نغل دريفتمارك،
- السير درمونت بن الغابة المطيرة، فارس شهير،

- السير تيمون ذو السيف المفلول، فارس شهير،
  - أهل كينجز لاندنج:
  - حرس المدينة (ذو المعاطف الذهبية):
  - (السير چاسلين بايووتر)، لقبه ذو اليد الحديد، قائد حرس المدينة، قتله رجاله خلال معركة النهر الأسود،
  - السير أدام ماربراند، قائد حرس المدينة، خليفة السير چاسلين،
  - شاتايا، مالكة ماخور مكلف،
  - أليايا، ابنتها،
  - دانسي، ماري، چايد، بعض فتياتها،
  - توبهو موت، أستاذ حدادة،
  - ذو البطن الحديد، حداد،
  - هاميش ذو القيثارة، مطرب شهير،
  - كوليو كواينيس، مطرب تايروشي،
  - بثاني ذات الأصابع الناعمة، مطربة،
  - ألاريك الأيزيني، مطرب رحالة،
  - جاليون ابن كاي، مطرب معروف بطول أغانيه،
  - سايمون لسان الفضة، مطرب.
- راية الملك چوفري عبارة عن وعل باراثيون المتوج، أسود على ذهبي،  
وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارعان.

## الملك في الشَّمال ملك الثَّالوث



- روب ستارك، سيّد ويتترفل والملك في الشَّمال وملك الثَّالوث،  
الابن الأكبر لإدارد ستارك سيّد ويتترفل والليدي كاتلين سليلة  
عائلة تلي،  
- ذئبه الرَّهيب، جراي ويند،  
- أمُّه، الليدي كاتلين سليلة عائلة تلي، أرملة اللورد إدارد ستارك،  
- إخوته:  
- أخته، الأميرة سانزا، فتاة في الثَّانية عشرة، أسيرة في كينجز  
لانديج،  
- ذئبة سانزا الرَّهيبه، (ليدي)، قُتِلت في قلعة داري،  
- أخته، الأميرة آريا، فتاة في العاشرة، مفقودة وفي عداد الموتى،  
- ذئبة آريا الرَّهيبه، نايميريا، فُقِدَت قُرب نهر الثَّالوث،  
- أخوه، الأمير براندون، يُسَمَّى بران، وريث الشَّمال، صبيٌّ في  
التَّاسعة، يُعتَقَد أنه مات،  
- ذئب بران الرَّهيب، سَمَر،  
- رفاق بران وحُماته:

- ميراريد، فتاة في السادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيّد قلعة المياه الرّماديّة،
- چوچن ريد، أخوها، في الثّالثة عشرة،
- هودور، عامل اصطبّل بسيط العقل، طوله سبع أقدام،
- أخوه، الأمير ريكون، صبي في الرّابعة، يُعتقَد أنه مات،
- ذئب ريكون الرّهيب، شاجيدوج،
- رفيقة ريكون وحاميته، أوشا، أسيرة همجيّة خدمت كمساعِدة طاهٍ في ويترفل،
- أخوه غير الشّقيق، چون سنو، أخ محلّف في حرس اللّيل،
- ذئب چون الرّهيب، جوست،
- أعمامه وعمّاته وأخواله وخالاته:
- (براندون ستارك)، أخو اللورد إدارد الأكبر، قُتلَ بأمر الملك إيرس تارجارين الثّاني،
- (ليانا ستارك)، أخت اللورد إدارد الصّغرى، ماتت في جبال دورن في إيّان ثورة روبرت،
- بنچن ستارك، أخو اللورد إدارد الأصغر، رجل في حرس اللّيل، مفقود وراء الجدار،
- لايسا آرن، أخت الليدي كاتلين الصّغيرة، سيّدة العُش وأرملة اللورد چون آرن،
- السير إدميور تلي، أخو الليدي كاتلين الأصغر، وريث ريفرزن،
- السير برايندن تلي، لقبه السّمكة السّوداء، أخو جدّه، المقسمون له :
- مُرافقه، أوليفار فراي،
- السير وندل ماندرلي، الابن الثّاني لسيدّ الميناء الأبيض،
- باتريك ماليستر، وريث سيجارد،
- داسي مورمونت، الابنة الكبرى لليدي مِج مورمونت ووريثة جزيرة الدّيبية،
- چون أومبر، لقبه چون الصّغير، وريث المستوقّد الأخير،

- دونل لوك، أوين نوري، روبن فلينت، رجال شماليون،
- القادة واللوردات حملة رايته:
- (مع جيش روب في الغرب)
- السير برايندن تلي، لقبه السمكة السوداء، قائد الكشافة،
- چون أومبر، لقبه چون الكبير، قائد طليعة الجيش،
- ريكارد كارستارك، سيّد كارهولد،
- جالبارت جلوثر، سيّد ربوة الغابة،
- ميج مورمونت، سيّدة جزيرة الدّبة،
- (السير ستقرون فراي)، الابن الأكبر للورد والدر فراي ووريث
- التّوأمتين، مات في أوكسكروس،
- ابن السير ستقرون الأكبر، السير رايمان فراي،
- ابن السير رايمان، والدر فراي الأسود،
- مارتن ريفرز، ابن اللورد والدر غير الشّرعي،
- (مع جيش رويس بولتون في هارنهال)
- رويس بولتون، سيّد معقل الخوف،
- السير اينس فراي، السير چارد فراي، السير هوستين فراي،
- السير دانويل فراي،
- أخوهم النّغل غير الشّقيق، دونل ريفرز،
- السير وايليس ماندرلي، وريث الميناء الأبيض،
- السير كايل كوندون، فارس في خدمته،
- رونل ستاوت،
- فارجو هوت، من مدينة كوهور الحرّة، قائد جماعة المرتزقة
- المسمّاة رفقة الشّجعان،
- نائبه، أورزويك، لقبه الوفي،
- نائبه، السّپتون أوت،
- تيمبون الدورني، رورچ، إيجو، زولو السّمين، العضّاض، توج
- چوٹ الإينيزي، پيج، ثريتوز، رجاله،
- كايرن، مايستر مجرّد من سلسلته وأحياناً نكرومانسر،



مُعَالِجَه،

- (مع الجيش الشَّمالِي الذي هاجمَ وادي الغسق)
- روبت جلوثر، ابن ربوة الغابة،
- السير هلمان تولهارت، ابن مرَبَّع تورين،
- هاريون كارستارك، الابن الوحيد الحي للورد ريكارد كارستارك ووريث كارهولد،
- (في الطَّرِيقِ إِلَى الشَّمالِ بَرَفَاتِ اللوردِ إِدارد)
- هالس مولين، قائد حرس وينترفل،
- چاكس، كوينت، شاد، رجاله،
- اللوردات حَمَلَة رايته وأمناء قلاع الشَّمال:
- وايمان ماندرلي، سيِّد الميناء الأبيض،
- هاولاند ريد، سيِّد قلعة المياه الرَّمادِيَّة، من شعب المستنقعات،
- مورس أومبر، لقبه أَكَل الغراب، وهوثر أومبر، لقبه باقِر العاهرة،
- عمَّا چون أومبر الكبير، أمينا القلعة في المستوقَد الأخير،
- لייسا فلينت، سيِّدة قلعة الأرملة،
- أوندرولوك، سيِّد القلعة العتيقة، عجوز،
- (كلاي سروين)، سيِّد سروين، صبيٌّ في الرَّابِعة عشرة، قُتِلَ في معركة وينترفل،
- (ليوبولد تولهارت)، الأخ الأصغر للسير هلمان، أمين مرَبَّع تورين، قُتِلَ في معركة وينترفل،
- زوجة ليوبولد، بيرينا سليلة عائلة هورنود،
- ابن ليوبولد، براندون، صبيٌّ في الرَّابِعة عشرة،
- ابن ليوبولد، بيرين، صبيٌّ في العاشرة،
- ابن السير هلمان، (بنفريد)، قتله الحديدِيُّونَ على السَّاحل الحجري،
- ابنة السير هلمان، إدارا، فتاة في التَّاسِعة، وريثة مرَبَّع تورين،
- الليدي سيبيل، زوجة روبت جلوثر، أسيرة أشا جراجچوي في ربوة الغابة،

- ابن روبت، جاون، في الثالثة، الوريث الشرعي لربوة الغابة،  
أسير أشا جرايچوي في ربوة الغابة،  
- ابنة روبت، إرينا، رضیعة عمرها عام، أسيرة أشا جرايچوي  
في ربوة الغابة،  
- لارنس سنو، ابن غير شرعي للورد هورنوود وريبب جالبارت جلوثر،  
في الثالثة عشرة، أسير أشا جرايچوي في ربوة الغابة.

تظُلُ راية الملك في الشمال كما كانت منذ آلاف السنين، ذئب آل ستارك  
أولاد ويتترفل الرمادي الرهيب، يعدو في حقلٍ أبيض كالثلج.

## الملك في البحر الضيق



- ستانيس باراثيون الأول، الابن الثاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا، سليفة عائلة إسترمونت، سيّد دراجونستون السّابق،
- زوجته، الليدي سيليس، سليفة عائلة فلورنت،
- شيرين، ابنتهما الوحيدة، فتاة في الحادية عشرة،
- ذو الوجه المرقّع، مَهْرَجها محدود العقل،
- ابن أخيه غير الشّرعي، إدريك ستورم، صبيّ في الثانية عشرة،
- ابن الملك روبرت التّغل من ديلينا فلورنت،
- مُرافِقاه، دُفان سيورث وبرايان فارنج،
- حاشيته وأتباعه:
- اللورد آلستر فلورنت، سيّد قلعة المياها الوضّاء ويد الملك،
- عم الملكة،
- السير أكسل فلورنت، أمين القلعة في دراجونستون وقائد رجال
- الملكة، عم الملكة،
- الليدي مليساندرا الآشايّية، لقبها المرأة الحمراء، راهبة راهلور
- إله الضّيّاء وربّ اللّهب والظّل،
- المايستر پايلوس، مُعالج، معلّم، مستشار،
- السير دافوس سيورث، لقبه فارس البصل وأحيانًا ذو اليد

القصيرة، مهرَّب سابق،

— زوجته ماريا، ابنة نجَّار،

— أبناؤهما السَّبعة:

— (دايل)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

— (آلارد)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

— (ماثوس)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

— (ماريك)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

— دثان، مُرافق الملك ستانيس،

— ستانيس، صبيٌّ في التَّاسعة،

— ستفون، صبيٌّ في السَّادسة،

— سالادور سان، قُرصان من مدينة ليس الحُرَّة، يُلقَّب نفسه

بأمير البحر الضيِّق وأمير الخليج الأسود، رُبَّان السَّفينة فاليريان

وأسطول من القوادس المماثلة،

— مايزو مار، خصيٌّ في خدمته،

— كوران سائمانتس، رُبَّان القادس رقصة شايلالا،

— سجان الثَّريد وسجان الشَّلُق، حارسان،

— اللوردات حَمَلة رايته والمقسِّمون له:

— مونتريس فيلاريون، سيِّد المَدِّ والجَزَر وقائد دريفتمارك، صبيٌّ

في السَّادسة،

— دورام بار إمون، سيِّد الرَّأس الحاد، صبيٌّ في الخامسة عشرة،

— السير جيلبرت فارنج، أمين القلعة في ستورمز إند،

— اللورد إلوود ميدوز، نائب السير جيلبرت،

— المايستر چورن، مستشار السير جيلبرت ومُعَالِجه،

— اللورد لوكوس تشيترينج، لقبه لوكوس الصَّغير، صبيٌّ في

السَّادسة عشرة،

— لستر موريجن، سيِّد عَش الغربان،

— فُرسانه ورجاله المحلَّفون:

— السير لوماس إستر مونت، خال الملك،

- ابنه، السير أندرو إسترمونت،
- السير رولاند ستورم، لقبه نغل التَّغْرِيدة، ابن غير شرعي للورد  
برايان كارون الرَّاحل،
- السير لوماس إسترمونت، خال الملك،
- السير پارمن كرين، لقبه پارمن الأرجواني، أسير في هايجاردن،
- السير إرين فلورنت، الأخ الأصغر للملكة سيليس، أسير في  
هايجاردن،
- السير چيرالد جاور، خال الملك،
- السير تريستون ابن هضبة تالي، كان يخدم اللورد جانسر  
صنجلاس سابقاً،
- لويس، لقبه السَّمَاك.

أَتخذ الملك ستانيس لرايته رمز قلب إله الضَّياء النَّاري، قلب أحمر محاط  
باللَّهب البرتقالي على خلفيَّة صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتَّوج  
بلونٍ أسود.

## الملكة وراء البحر



ديرس تارجارين الأولى، غاليسي الدوثرافي، تُسَمَّى ديرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، أم التناين، آخر من تبقى من أولاد الملك إيرس تارجارين الثاني وأرملة الدوثرافي غال دروجو،  
- تنانيتها التامون: دروجون، فسيريون، ريجال،  
- حرسها الملكي:

- السير چورا مورمونت، سيّد جزيرة الدببة السابق، منفي  
لإتجاره بالرقيق،

- چوجو، گو وخیال دم، السوط،

- آجو، گو وخیال دم، القوس،

- راگارو، گو وخیال دم، الأراخ،

- بلواس القوي، عبد خصي سابق في حلبات القتال بميرين،

- مُرافقه المسنُّ، آرستان، لقبه ذو اللحية البيضاء، رجل من

وستروس،

- وصيفتها:

- إيربي، فتاة من الدوثرافي، في الرابعة عشرة،

- چيكنوي، فتاة من الدوثرافي، في الخامسة عشرة،

- جروليو، رُبان الكوج العظيم بالريون، ملاح في خدمة إيريو

موپاتيس،

– أهلها الرّاحلون:

– (ريجار)، أخوها، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي،

قتله روبرت باراثيون في معركة الثالوث،

– (رينس)، ابنة ريجار من إليا الدورنيّة، قُتلت خلال نهب

كينجز لاندينج،

– (إجون)، ابن ريجار من إليا الدورنيّة، قُتل خلال نهب

كينجز لاندينج،

– (فيسرس)، سمّي نفسه الملك فيسرس الثالث، لقبه الملك

الشحاذ، قُتل في فايس دوثراك على يد غال دروجو،

– (دروجو)، زوجها، غال الدوثراكي العظيم، لم يُهزَم قط في

معركة، مات متأثراً بجرح،

– (رييجو)، ابن دنيرس وغال دروجو الجهيضم، قُتل في الرّحم

على يد ميري ماز دور،

– أعداؤها المعروفون:

– غال پونو، گو دروجو السّابق،

– غال چهاكو، گو دروجو السّابق،

– ماجو، خيال دمه،

– خالدو كارث، جماعة من الدّجالين،

– پيات پري، دجال كارثيني،

– الرّجال الأسفون، جماعة من المعتالين الكارثيين،

– تحالفاتها غير المضمونة في الماضي والحاضر:

– زارو زون داكسوس، أمير تاجر من كارث،

– كويث، أسرة ظلال مقنّعة من آشاي،

– إليرو موپاتيس، ماجستر من مدينة پنتوس الحرّة، ربّ زواج

دنيرس بگال دروجو،

– في أستاپور:

– كرازنس مونوكلوز، تاجر رقيق ثري،

- أمته، ميسانداي، فتاة في العاشرة، من شعب ناث المسالم،
- جرازدان مو أولهور، تاجر رقيق عجوز فاحش الثراء،
- عبده، كليون، جزّار وطبّاح،
- الدودة الرّمادي، خصيٌّ من المطهّرين،
- في يونكاي:
- جرازدان مو إراز، مبعوث ونبيل،
- ميرو البرافوسي، لقبه نغل المارد، قائد الأبناء الثّانين، جماعة حُرّة،
- بن پلوم البني، رقيب في الأبناء الثّانين، مرتزق مختلط النّسب،
- پرنّدال ناغزن، مرتزق جيسكاري، قائد غربان العاصفة، جماعة حُرّة،
- سالور الأصلع، مرتزق كَارثيني، قائد غربان العاصفة،
- داريو نهاريس، مرتزق تايروشي مبهرج، قائد غربان العاصفة،
- في ميرين:
- أوزناك زو پال، بطل من المدينة.

راية عائلة تارجارين هي راية إجون الفاتح والسُّلالة التي أسَّسها، تَنين أحمر ذو ثلاثة رؤوس على خلفيّة سوداء.



## ملك الجزر والشمال



بالون جرايچوي، التاسع منذ الملك الرمادي، يُسمِّي نفسه ملك  
جزر الحديد والشمال، ملك الملح والصخر، ابن رياح البحر،  
سيّد حصاد پايك،

— زوجته، الملكة ألانيس سليلة عائلة هارلو،

— أبناؤهما:

— (رودريك)، ابنهما الأكبر، قُتل في سيجارد خلال تمرّد  
جرايچوي،

— (مارون)، ابنهما الثاني، قُتل على أسوار پايك خلال تمرّد  
جرايچوي،

— آشا، ابنتهما، ربّان الرّيح السوداء،

— ثيون، ربّان كلبة البحر وأمير وينترفل لفترة وجيزة،

— وكس پايك، نغل أخي اللورد بوتلي غير الشقيق، صبيّ أبكم  
في الثانية عشرة،

— طاقم ثيون على متن كلبة البحر:

— أورزن، مارون بوتلي ولقبه القرموط، ستيج، جيقيين هارلو،

كادوايل،

— إخوته:

- يورون، لقبه عين الغُراب، رُبَّان الصَّمْت، خارج عن القانون
- سيِّئ السُّمعة، قُرْصان، مُغِير،
- فَيْكْتاريون، قائد الأَسْطول الحديدي، رُبَّان النَّصْر الحديدي،
- آرون، لقبه ذو الشَّعر الرِّطْب، من رهبان الإله الغريق،
- أهل بيته في پايك:
- المايستر ويندامير، معالج ومستشار،
- هيليا، راعية القلعة،
- مُحاربوه والمقسِّمون له:
- داجمر، لقبه ذو الفَكِّ المفلوق، رُبَّان ثَمالة البحر،
- ذو النَّاب الأزرق، رُبَّان سفينة طويلة،
- أولر وسكايت، مَلَّاحان ومُحاربان،
- أندريك اللا مِتسم، رجل عملاق،
- كارل البكر، حليق لكن مميت،
- أهل لوردزپورت:
- أوتر جيمپيني، صاحب خان وقوَّاد،
- سيجرين، سقَّان،
- اللوردات حمَّلة رايته:
- ساوان بوتلي، سيِّد لوردزپورت في پايك،
- اللورد وينش، سيِّد غابة الحديد، في پايك،
- ستونهاوس ودروم وجودبراذر، من ويك القديمة،
- اللورد جودبراذر، سِپار، اللورد مرلين، اللورد فارويند، من
- ويك الكبرى،
- اللورد هارلو، من هارلو،
- فُولمارك، ماير، ستونترِي، كنينج، من هارلو،
- أوركوود وتاوني، من أوركموند،
- اللورد بلاكتايد، من بلاكتايد،
- اللورد سولتكليف واللورد ساندرلي، من جُرف الملح.

## عائلات أخرى صغيرة وكبيرة

### عائلة آرن



تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سلالات النبلاء الأنداليين. لم تُشارك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظت بقوّاتها للدّفاع عن وادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمر وصقر أبيضين على خلفيّة ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشرف».

روبرت آرن، سيّد العُش، حافِظ الوادي، حاكم الشّرق، صبيّ سقيم في الثامنة،

– أمّه، الليدي لايسا سليلة عائلة تلي، زوجة اللورد چون آرن يد الملك الرّاحل الثالثة وأرملته، أخت كاتلين ستارك،

– أهل بيته:

– المايستر كولمون، مستشار ومعالج ومعلّم،

- السير ماروين بلمور، قائد الحرس،
- اللورد نستور رويس، وكيل الوادي الأعلى،
- ابن اللورد نستور، السير أبار،
- ميا ستون، فتاة نغلة في خدمته، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول،
- مورد، سجان متوحش،
- ماريليون، مطرب،
- اللوردات حملة رايته وخطاب أمه وأتباعه:
- اللورد يون رويس، لقبه يون البرونزي، سيّد رونستون من الفرع الكبير من عائلة رويس، وابن عمّ اللورد نستور،
- ابن اللورد يون الأكبر، السير أندار،
- ابن اللورد يون الأوسط، (السير رويار)، كان فارسًا في حرس قوس قزح رجال الملك رنلي باراثيون، قتله السير لوراس تايرل عند ستورمز إند،
- ابن اللورد نستور الأصغر، (السير وايمار)، رجل في حرس الليل، مفقود وراء الجدار،
- اللورد نستور رويس، أخو اللورد يون، وكيل الوادي الأعلى،
- ابن اللورد نستور ووريثه، السير أبار،
- ابنة اللورد نستور، ميراندا،
- السير لين كوربراي، من خطاب الليدي لايسا،
- مايكل ردفورت، مُرافقه،
- الليدي آنيا واينوود،
- ابن الليدي آنيا ووريثها، السير مورتون، من خطاب الليدي لايسا،
- ابن الليدي آنيا الثاني، السير دونل، فارس البوابة،
- اللورد إيون هتتر، سيّد قلعة القوس الطويل، من خطاب الليدي لايسا، رجل عجوز،
- اللورد هورتون ردفورت، سيّد ردفورت.

## عائلة فلورنت



آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضّاءة من حمّلة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقية حقّهم في هايجارد، ن استنادًا إلى صلة دم بينهم وبين عائلة جارندر التي حكّم ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حرب الملوك الخمسة، تبع اللورد أكستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير أكسل اختارَ الملك ستانيس، الذي خدمه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيها وما زالت ملكة ستانيس. بعد موت رنلي عند ستورمز إند انضمّ آل فلورنت لستانيس بقوتهم كلّها، وهم أول من يفعل هذا من حمّلة راية رنلي.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزهور.

أكستر فلورنت، سيّد قلعة المياه الوضّاءة،

– زوجته، الليدي ميلارا، سليلة عائلة كرين،

– أولادهما:

– أليكاين، وريث قلعة المياه الوضّاءة،

– ميليسا، زوجة اللورد راندل تارلي،

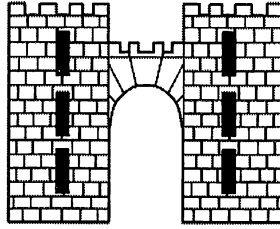
– ريا، زوجة اللورد لايتون هايتاور،

– أخواه:

– السير أكسل، أمين قلعة دراجونستون،

- (السير ريام)، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
- ابنة السير ريام، الملكة سيليس، زوجة الملك ستانيس،
- ابن السير ريام الأكبر ووريثه، السير إمري،
- ابن السير ريام الثاني، السير إرن،
- السير كولين،
- ابنة السير كولين، ديلينا، زوجة السير هوسمان نوركروس،
- ابن ديلينا، إدريك ستورم، ابن غير شرعي للملك روبرت،
- ابن ديلينا، آلستر نوركروس،
- ابن ديلينا، رنلي نوركروس،
- ابن كولين، المايستر أومر، في خدمة أوك القديمة،
- ابن كولين، ميريل، مُرافق في الكرامة،
- أخته، رايلين، زوجة ريتشرد كرين.

## عائلة فراي



في بداية حرب الملوك الخمسة فاز روب ستارك بولاء اللورد والدر بتعهده أن يتزوج إحدى بناته أو حفيداته، كما أرسل اثنان من أحفاد اللورد والدر إلى ويتترفل لينشأ هناك.

والدر فراي، سيّد المعبر،

- من زوجته الأولى، (الليدي پيرا) سليلة عائلة رويس:
- السير ستقرون، وريث التّوأمتين،
- زوجته (كورينا سوان)، ماتت بمرض مزمن،
- ابن ستقرون الأكبر، السير رايمان،
- ابن رايمان، إدوين، زوج چانيس هنتر،
- ابنة إدوين، والدا، فتاة في الثامنة،
- ابن رايمان، والدر، لقبه والدر الأسود،
- ابن رايمان، پيتر، لقبه پيتر ذو الدّمامل، زوج ميليندا كارون،
- ابنة پيتر، پيرا، فتاة في الخامسة،
- زوجته (چين ليدن)، ماتت حين سقطت من على حصان،
- ابن ستقرون، إجون، أبه ملقب بذي الجلاجل،
- ابنة ستقرون، (مايجل)، ماتت أثناء الوضع،
- السير دافين فانس،
- ابنة مايجل، ماريان، عذراء،

- ابن مايجل، والدر فانس، مُرافِق فارس،
- ابن مايجل، پاتريك فانس،
- زوجته (مارسلا واينود)، ماتت أثناء الوضع،
- ابن ستقرون، والتون، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، ستفون، لقبه الحُلو،
- ابنة والتون، والدا، لقبها والدا الحسناء،
- ابن والتون، بريان، مُرافِق فارس،
- السير إمون، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، السير كليوس، زوج چين داري،
- ابن كليوس، تايوين، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، ويلم، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، السير لاينول، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، تيون، مُرافِق فارس أسير في ريفررن،
- ابن إمون، والدر، لقبه والدر الأحمر، وصيف في كاسترلي روك،
- السير اينس، زوج (تيانا وايلد)، ماتت أثناء الوضع،
- ابن اينس، إجون وليد اللدم، خارج على القانون،
- ابن إمون، ريجار، زوج چين بيزبوري،
- ابن ريجار، روبرت، صبي في الثالثة عشرة،
- ابنة ريجار، والدا، فتاة في العاشرة، لقبها والدا البيضاء،
- ابن ريجار، چونوس، صبي في الثامنة،
- پريان، زوجة السير ليزلين هاي،
- ابن پريان، السير هاريس هاي،
- ابن هاريس، والدر هاي، صبي في الرابعة،
- ابن پريان، السير دونل هاي،
- ابن پريان، السير آكين هاي، مُرافِق فارس،
- من زوجته الثانية، (الليدي كايرينا) سليلة عائلة سوان:
- السير چارد، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
- ابن چارد، السير تايوس، زوج زوي بلينتري،
- ابنة تايوس، زيا، فتاة في الرابعة عشرة،



- ابن تايوس، زاكري، صبي في الثانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،
- ابنة چارد، كايرا، زوجة جارس جودبروك،
- ابن كايرا، والدر جودبروك، صبي في التاسعة،
- ابنة تايوس، چين جودبروك، فتاة في السادسة،
- السِّپتون لوسيون، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
- من زوجته الثالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:
- السير هوستين، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
- ابن هوستين، السير آروود، زوج رييلا رويس،
- ابنة آروود، رييلا، فتاة في الخامسة،
- ابنا آروود التَّوأم، أندرو وآلين، في الثالثة،
- الليدي لايشين، زوجة اللورد لوشياس فايرن،
- ابنة لايشين، إليانا، زوجة السير جون وايلد،
- ابن إليانا، ريكارد وايلد، في الرَّابعة،
- ابن لايشين، السير ديمون فايرن،
- سايموند، زوج بيثاريوس البرافوسية،
- ابن سايموند، أليساندر، مغنٌّ،
- ابنة سايموند، آلكس، فتاة في السَّابعة عشرة،
- ابن سايموند، برادامار، صبي في العاشرة، نشأ في برافوس ربيئاً للتَّاجر أورو تندابيريس،
- السير دانويل، زوج واينافري ونت،
- (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،
- ميريت، زوج مارياداري،
- ابنة ميريت، أميري، تُسَمَّى أمي، أرملة في السادسة عشرة،
- كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق)،
- ابنة ميريت، والدا، لقبها والدا السَّمينة، فتاة في الخامسة عشرة،
- ابنة ميريت، ماريسا، فتاة في الثالثة عشرة،

- ابن ميريت، والدر، لقبه والدر الصَّغِير، صبي في الثامنة، ينشأ في ويترفل كريبب الليدي كاتلين ستارك،
- (السير چريمي)، مات غرقاً، كان زوج كارولي واينوود،
- ابن چريمي، ساندور، صبي في الثانية عشرة، مُرافق السير دونل واينوود،
- ابنة چريمي، سينثيا، فتاة في التاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،
- السير رايموند، زوج بيوني بيزبوري،
- ابن رايموند، روبرت، في السادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،
- ابن رايموند، مالوين، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في ليس،
- ابنتا رايموند التَّوأم، سيرا وسارا، فتاتان في الرَّابعة عشرة،
- ابنة رايموند، سرسي، في السادسة، لقبها النَّحْلَة الصَّغِيرَة،
- من زوجته الرَّابعة، (الليدي أليسا) سليلة عائلة بلاكوود:
- لوثرار، ابنهما الأكبر، لقبه لوثرار الكسيح، زوج ليونلا ليفورد،
- ابنة لوثرار، تايسين، فتاة في السَّابعة،
- ابنة لوثرار، والدا، فتاة في الرَّابعة،
- ابنة لوثرار، إمبريلي، فتاة في الثانية،
- السير چاموس، زوج سالي پايج،
- ابن چاموس، لقبه والدر الكبير، صبي في الثامنة، ينشأ في ويترفل كريبب الليدي كاتلين ستارك،
- ابنا چاموس التَّوأم، ديكون ومانوس، في الخامسة،
- السير والن، زوج سيلوا پايج،
- ابن والن، هوستر، صبي في الثانية عشرة، مُرافق السير ديمون پايج،
- ابنة والن، ماريان، تُسمَّى مِري، فتاة في الحادية عشرة،
- الليدي موريا، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، روبرت براكس، في التاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،
- ابن موريا، والدر براكس، صبي في السادسة،

- ابن موريا، چون براكس، صبي في الثالثة،
- تايتا، لقبها تايتا العذراء، في التاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، (الليدي ساريا) سليلة عائلة وِنت:
- لا أولاد،
- من زوجته السادسة، (الليدي بثاني) سليلة عائلة روزبي:
- السير پروين، ابنهما الأكبر،
- السير بنفري، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، دِلا، لقبها دِلا الصَّمَاء، في الثالثة،
- ابن بنفري، أوزموند، صبي في الثانية،
- المايستر ويلامن، يخدم في قلعة القوس الطويل،
- أوليثار، مُرافق في خدمة روب ستارك،
- روزلين، فتاة في السادسة عشرة،
- من زوجته السابعة، (الليدي أنارا) سليلة عائلة فارنج:
- أروين، فتاة في الرابعة عشرة،
- وندل، ابنهما الأكبر، صبي في الثالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كوصيف،
- كولمار، موعود بالخدمة في العقيدة، في السابعة،
- والتير، يُسمّى تير، صبي في العاشرة،
- إلمار، خطيب آريا ستارك، صبي في التاسعة،
- شيري، فتاة في السادسة،
- من زوجته الثامنة، (الليدي چوئيوس) سليلة عائلة إيرينفورد:
- لا أولاد بعد،
- أولاد اللورد والدر غير الشرعيّين من أمّهاتٍ مختلفات:
- والدر ريفرز، لقبه والدر النُّغل،
- ابن والدر النُّغل، السير إيمون ريفرز،
- ابنة والدر النُّغل، والدا ريفرز،
- المايستر ملويس، يخدم في روزبي،
- چين ريفرز، مارتن ريفرز، رايجر ريفرز، رونل ريفرز، ميلارا ريفرز، آخرون.

## عائلة لانستر



يبقى آل لانستر أبناء كاسترلي روك أقوى المؤيدين لدعوى الملك چوفري للعرش الحديدي، ويأتي نسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاش في عصر الأبطال، وقد جعلهم ذهب كاسترلي روك والثَّاب الذهبِي أثرى العائلات الكبرى. راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّة قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيّد كاسترلي روك، حاكم الغرب، حامي لانسپورت، يد الملك،

— زوجته، (الليدي چوانا)، ابنة عمّه، ماتت أثناء الوضع،  
— أبناؤهما:

— ابنه، السير چايمي، لقبه قاتل الملك، توأم الملكة سرسي، قائد الحرس الملكي، حاكم الشَّرق، أسير في ريفررَن،

— ابنته، الملكة سرسي، توأم چايمي، زوجة الملك روبرت باراثيون الأول، الملكة الوصيَّة على عرش ابنها چوفري،

— ابنها، الملك چوفري باراثيون، صبيٌّ في الثَّالثة عشرة،

— ابنتها، الأميرة مارسلا، فتاة في الثَّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في دورن،

— ابنها، الأمير تومن، صبيٌّ في الثَّامنة، وريث العرش الحديدي،

- ابنه، تيريون، لقبه العفريت والنّصف رجل، أصيبَ وشوّة في معركة النّهر الأسود،
- إخوته:
- السير كيثان، أخو اللورد تاوين الأكبر،
- زوجته، دورنا سليلة عائلة سويقت،
- ابنتهما الأكبر، لانسل، مُرافق الملك روبرت السّابق، أصيبَ في معركة النّهر الأسود ويشارف على الموت،
- ابنتهما، ويلم، توأم مارتن، مُرافق، أسير في ريفررّن،
- ابنتهما، مارتن، توأم ويلم، مُرافق، أسير روب ستارك،
- ابنتهما، چاني، فتاة في الثّانية،
- چنا، أخته، متزوّجة من السير إمون فراي،
- ابنتهما، السير كليوس فراي، أسير في ريفررّن،
- ابنتهما، السير لاينول،
- ابنتهما، تيون فراي، مُرافق، أسير في ريفررّن،
- ابنتهما، والدر، لقبه والدر الأحمر، مُرافق في كاسترلي روك،
- (السير تايجت)، أخوه الثّاني، ماتَ بداء الزّهري،
- أرملته، دارليسا، سليلة عائلة ماربراند،
- ابنتهما، تايرك، مُرافق الملك،
- (جريون)، أخوه الأصغر، فُقدَ في البّحر،
- ابنته غير الشّرعيّة، چوي، فتاة في العاشرة من العُمَر،
- ابن عمّه، السير (ستافورد لانستر)، أخو الليدي الرّاحلة چوانا،
- فُتِلَ في أوكسكروس،
- ابنتاه، سيرينا ومارييل،
- ابنه، السير دافن،
- أولاد عمومته:
- السير داميون لانستر، زوج الليدي شيرا كراكهول،
- ابنه، السير لوسيون،
- ابنته، لانا، زوجة اللورد أنتاريو چاست،
- مارچو، زوجة اللورد تيتوس بيك،

- أهل بيته:
- المايستر كرايلن، مُعالج، معلّم، مستشار،
- فايلار، قائد الحرس،
- لوم ولستر الأحمر، حارسان،
- وات ذو البسمة البيضاء، مطرب،
- السير بنيدكت بروم، قيّم السلاح،
- اللوردات حملة رايته:
- ديمون ماربراند، سيّد آشمارك،
- السير أدام ماربراند، ابنه ووريثه،
- رولاند كراكهول، سيّد كراكهول،
- أخوه، (السير برتون كراكهول)، قتله اللورد بريك دوندايون
- وجماعته من الخارجيين على القانون،
- ابنه ووريثه، السير تايبولت كراكهول،
- ابنه الثاني، السير لايل كراكهول، لقبه العُفر القوي، أسير
- في قلعة العذراء الوردية،
- ابنه الأصغر، السير مرلون كراكهول،
- (أندروز براكس)، سيّد وادي القرون، غرق في معركة
- المعسكرات،
- أخوه، (السير روبرت براكس)، قُتل في أوكسكروس،
- ابنه الأكبر، السير تايوس براكس، الآن سيّد وادي القرون،
- أسير في التّوأمتين،
- ابنه الثاني، (السير روبرت براكس)، قُتل في معركة
- المخاضات،
- ابنه الثالث، السير فليمنت براكس، الآن الوريث،
- (اللورد ليو ليفورد)، غرق في معركة الطّاحونة الحجرية،
- رجينارد إسترين، سيّد ويندهول، أسير في التّوأمتين،
- جاون وسترلينج، سيّد الجُرف، أسير في سيجارد،
- زوجته، الليدي سييل، سليلة عائلة سبائسر،
- أخوها، السير رولف سبائسر،

- ابن عمّها، السير سامويل سهايسر،
- أولادهما:
- السير راينالد وسترلينج،
- چاين، فتاة في السادسة عشرة،
- إيلينا، فتاة في الثانية عشرة،
- رولام، صبيّ في التاسعة،
- لويس ليدن، سيّد الوكر الغائر،
- اللورد آنتاريو چاست، أسير في قلعة العذراء الوردية،
- اللورد فيليب پلوم،
- أبناءؤه، السير دينس پلوم، السير پيتر پلوم، السير هاروين
- پلوم ولقبه الحجر القاسي،
- كويتن بانفورت، سيّد بانفورت، أسير اللورد چونوس براكن،
- فرسانه وقادته:
- السير هاريس سويفت، حمو السير كيثان،
- ابن السير هاريس، السير ستفون سويفت،
- ابنة السير ستفون، چوانا،
- ابنة السير هاريس، شيرلي، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
- السير فورلي پرستر،
- السير جارث جرينفيلد، أسير في شجرة الغدبان،
- السير لايموند فيكاري، أسير في استراحة عابري السبيل،
- اللورد سلموند ستاكسبير،
- ابنه، السير ستفون ستاكسبير،
- ابنه الأصغر، السير آلن ستاكسبير،
- تيرانس كيننج، سيّد كايس،
- السير جريجور كليجاين، لقبه الجبل راكب الخيول،
- پوليفر، تشيزويك، راف المعسول، دانسن، المُدغدغ، جنود في
- خدمته،
- (السير آموري لورك)، أطعمه فارجو هوت لدبّ بعد سقوط هارنهال.

## عائلة مارتل



كانت دورن آخر الممالك السَّبع التي أقسمت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنِيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعت حرب الملوك الخمسة لم تُشارك دورن فيها. بعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنت صنسبير تأييدها الملك چوفري واستدعت راياتها. راية عائلة مارتل عبارة عن شمس حمراء تخترقها حربة ذهبية، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيّد صنسبير، أمير دورن،  
- زوجته، ميلاريو، من مدينة نورفوس الحرّة،  
- أولادهما:

- الأميرة آريان، ابنتهما الكبرى، وريثة صنسبير،  
- الأمير كويتن، ابنهما الأكبر،  
- الأمير تريستان، ابنهما الأصغر، خطيب مارسلا باراثيون،  
- إخوته:

- أخته، (الأميرة إليا)، تزوّجت من الأمير ريجار تارجارين، قُتلت  
خلال نهب كينجز لاندنج،  
- طفلاهما:

- (الأميرة رينيس)، فتاة صغيرة، قُتلت خلال نهب كينجز لاندنج،  
- (الأمير إجون)، رضيع، قُتل خلال نهب كينجز لاندنج،



- أخوه، الأمير أوبرين، لقبه الأفعوان الأحمر،
- خليفة الأمير أوبرين، إلاريا ساند،
- بنات الأمير أوبرين غير الشرعيّات: أوبارا، نايميريا، تايين،
- ساريليا، إليا، أوبلا، دوريا، لوريزا، لقبهن أفاعي الرّمال،
- رفاق الأمير أوبرين:
- هارمن أولر، سيّد هضبة الجحيم،
- أخو هارمن، السير أولويك أولر،
- السير ريون أليرون،
- ابن السير ريون الطبيعي، ديمون ساند، نغل عطية الآلهة،
- داجوس مانوودي، سيّد مقبرة الملك،
- ابنا داجوس، مورس وديكون،
- أخو داجوس، السير مايلز مانوودي،
- السير أرون كورجايل،
- السير ديزيل دالت، فارس غابة اللّيمون،
- ميريا چورداين، وريثة الهضبة،
- ابنتها، چاينيسا بلاكمونت،
- ابنها بيروس بلاكمونت، مُرافق،
- أهل بيته:
- آريو هوتا، مرتزق نورفوشي، قائد الحرس،
- المايستر كاليوت، مستشار، مُعالج، معلم،
- اللوردات حملة رايته:
- هارمن أولر، سيّد هضبة الجحيم،
- إدريك داين، سيّد ستارفول،
- ديلون أليرون، سيّدة عطية الآلهة،
- داجوس مانوودي، سيّد مقبرة الملك،
- لارا بلاكمونت، سيّدة بلاكمونت،
- تريموند جارجالن، سيّد ساحل الملح،
- أندريس يرونوود، سيّد يرونوود،
- نايميليا تولاند.

## عائلة تلي



كان اللورد إدمين تلي سيّد ريفررّن من أوائل لوردات النّهر الذين أقسموا على الولاء لإجون الفاتح، وكافأه إجون المظفر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثّالوث.  
راية آل تلي عبارة عن سمكة ترويت فضّية واثبة على خلفيّة متموّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشّرف».

هوستر تلي، سيّد ريفررّن،

- زوجته، (الليدي مينيسا) سليلة عائلة وِنت، ماتت في أثناء الوضع،
- أبناؤهما:
- كاتلين، أرملة اللورد إدارد ستارك سيّد ويتترفل،
- ابنها الأكبر، روب ستارك، سيّد ويتترفل، الملك في الشّمال، ملك الثّالوث،
- ابنتها، سانزا ستارك، فتاة في الثّانية عشرة، أسيرة في كينجز لاندنج،
- ابنتها، آريا ستارك، في العاشرة، مفقودة منذ عام،
- ابنها، براندون ستارك، يُعتقَد أنه مات،
- ابنها، ريكون ستارك، يُعتقَد أنه مات،
- لايسا، أرملة اللورد چون آرّن سيّد العُش،
- ابنها، روبرت، سيّد العُش وحافظ الوادي، صبيّ سقيم في السّابعة،
- السير إدميور، ابنه الوحيد، وريث ريفررّن،

- أصدقاء السير إدميور ورفاقه:
- السير مارك بايپر، وريث قلعة العذراء الوردية،
- اللورد ليموند جودبروك،
- السير رونالد فانس، لقبه الشقي، وإخوته السير هيو جو
- والسير إيري والسير كيرث،
- باتريك ماليستر، لوكاس بلاكوود، السير پروين فراي،
- تريستان رايجر، السير روبرت بايچ،
- أخوه، السير برايندن تلي، لقبه السمكة السوداء،
- أهل بيته:
- المايستر فايمن، مستشار، مُعالج، معلّم،
- السير دزموند جزل، قِيم السّلاح،
- السير روبن رايجر، قائد الحرس،
- ليو الطويل، إلوود، دلپ، حُرّاس،
- أوثر ايدس واين، وكيل ريفررن،
- رايموند النّاطم، مطرب،
- اللوردات حملة رايته،
- چونوس براكن، سيّد السّياج الحجري،
- چيسون ماليستر، سيّد سيجارد،
- والدر فراي، سيّد المعبر،
- كليمنت بايپر، سيّد قلعة العذراء الوردية،
- كاريل فانس، سيّد استراحة عابري السّبيل،
- نوربرت فانس، سيّد أترانتا،
- ثيومان سمولوود، سيّد بهو البلوط،
- زوجته، الليدي رافيل، سليلة عائلة سوان،
- ابنتهما، كاريلين،
- ويليام موتون، سيّد بركة العذاري،
- شيلانت، سيّدة هارنهال السّابقة،
- السير هارمون بايچ، سيّد بهو البلوط،
- تايوس بلاكوود، سيّد شجرة الغدّان،

## عائلة تايرل



صعد آل تايرل إلى السُلطة كوكلاء لملوك المرعى، الذين ضمّت أملاكهم الشُّهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود حتى سواحل بحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهاند، ملك البشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعها حتى ازدهرت، وعندما مات الملك مرن التَّاسع -آخر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل النيران، سلّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتح وأقسم له على الولاء، فمنحه إجون القلعة وحُكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوَّجه ابنته مارچري، وبعد موت رنلي تحالفت هايجاردن مع عائلة لانستر، وخُطبت مارچري للملك چوفري. راية آل تايرل عبارة عن وردة ذهبية على خلفيّة بلونٍ أخضر كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوة».

مايس تايرل، سيّد هايجاردن، حاكم الجنوب، حافظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،  
- زوجته، الليدي أيري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،  
- أبناؤهما:

- ويلاس، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،
- السير جارلان، لقبه الهمام، الابن الثاني،
- زوجته، الليدي ليونيت، سليلة عائلة فوسواي،
- السير لوراس، فارس الزهور، الابن الأصغر، أخ محلّف في الحرس الملكي،
- مارچري، ابنتهما، فتاة في الرّابعة عشرة من العمر،
- رفيقات مارچري:
- بنات عمومتهما مجا وآلا وإلینور،
- خطيب إينور، آلن أمبروز، مُرافق،
- الليدي أليسین بولوار، فتاة في الثامنة،
- ميريديث كرين، تُسمّى ميري،
- تاينا المايّية، زوجة اللورد أورتون ميريويدز،
- الليدي أليس جريسفورد،
- السّيّة نستيريكا، أخت في العقيدة،
- أمّه الأرملة، الليدي أولينا، سليلة عائلة ردواين، لقبها ملكة الأشواك،
- أختاه:
- مينا، زوجة باكستر ردواين، سيّد الكرمه،
- أولادهما:
- السير هوراس ردواين، توأم هوبر، يُسمّى هورور سُخريّة،
- السير هوبر ردواين، توأم هوراس، يُسمّى سلوبر سُخريّة،
- دسميراردواين، فتاة في السادسة عشرة،
- چانا، زوجة السير چون فوسواي،
- أعمامه وأولادهم:
- أخو أبيه، جارث، لقبه السّمين، وكيل هايجاردن،
- ابناه غير الشّرعيّين، جارس وجارت فلاورز،
- السير مورين، قائد حرس البلدة القديمة،
- ابن مورين، (السير لوثور)، زوج الليدي إلين نوريدچ،

- ابن لوثر، السير ثيودور، زوج الليدي ليا سيري،
- ابنة ثيودور، إينور،
- ابن ثيودور، لوثر، مُرافق،
- ابن لوثر، المايستر مدويك،
- ابنة لوثر، أولين، زوجة السير ليو بلاكبار،
- ابن مورين، ليو، لقبه ليو الكسول،
- أخو أبيه، المايستر جورمون، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- ابن عمّه، (السير كويتتن)، مات في آشفورد،
- ابن كويتتن، السير أوليمر، زوج الليدي لايسا ميدوز،
- ابنا أوليمر، رايموند وريكارد،
- ابنة أوليمر، مجا،
- ابن عمّه، المايستر نورموند، في خدمة التّاج الأسود،
- ابن عمّه، (السير فيكتور)، قتله الفارس الباسم رجل أخوة غابة الملوك،
- ابنة فيكتور، فيكتاريا، تزوّجت (اللورد چون بولوار)، ماتت بحُمّى صيفيّة،
- ابنتهما، الليدي أليسين بولوار، فتاة في الثامنة،
- ابن فيكتور، السير ليو، تزوّج الليدي أليس بيزوري،
- ابنتا ليو، آلا وليونا،
- أبناء ليو، لايونل ولوكاس ولورنت،
- أهل بيته في هاي جاردن:
- المايستر لوميس، مستشار، مُعالج، معلّم،
- إيجون فيرويل، قائد الحرس،
- السير فورتيمر كرين، قيّم السّلاح،
- برمبل الزُّبدة، نكات ومهرج مفرط البدانة،
- اللوردات حملة رايته:
- راندل تارلي، سيّد هورن هيل،
- باكستر ردواين، سيّد الكرمة،

- أروين أوكهارت، سيّدة السنديانة القديمة،
- مائيس روان، سيّد البُستان الذهبي،
- آلستر فلورنت، سيّد قلعة المياه الوضّاءة، متمرّد يدعم ستانيس باراثيون،
- لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة وسيّد المرفأ،
- أورتون ميريويدر، سيّد الطاولة الطويلة،
- اللورد آرثر أمبروز.
- فرسانه والمقسّمون له:
- السير مارك مولندور، شُلّ في معركة التّهر الأسود،
- السير جون فوسواي، من فرع التّفاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- السير تانتون فوسواي، من فرع التّفاحة الحمراء من عائلة فوسواي.

## متمردون ومجرمون وإخوة محلفون

### إخوان حرس الليل المحلفون

- (في الحملة وراء الجدار)  
چيور مورمونت، لقبه الدب العجوز، قائد حرس الليل،  
- چون سنو، نغل وینترفیل، وکیلہ و مُرافِقہ، فِقْدَ فی أثناء استطلاع  
الممر الصّادح،  
- جوست، ذئبه الرّهب، أبيض وصامت،  
- إديسون توليت، لقبه إد الكتيب، مُرافِقہ،  
- ثورين سمولوود، قائد الجوّالة،  
- دايوين، ديرك، المتسلل، جرن، بدويك و لقبه العملاق، أولو  
الأبتر، جروبز، برنار و لقبه برنار البني، برنار آخر و لقبه برنار  
الأسود، تيم ستون، أولمر ابن غابة الملوك، جارث جرايفيذر،  
جارث جرينواي، جارث ابن البلدة القديمة، آلان ابن روزبي،  
رونل هاركلاي، إيشان، رايلز، ماوني، جوالة،  
- چارمن بكويل، قائد الكشافة،  
- بانن، كيدج ذو العين البيضاء، تمبرچون، فورينو، جودي، جوالة  
و كشافه،  
- السير أوتين ويدرز، قائد حرس المؤخرة،  
- السير مالادور لوك، قائد حرس الأمتعة،  
- دونل هيل، لقبه دونل هيل المرح، مُرافِقہ و وکیلہ،

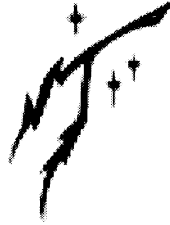


- هَاك، وَكِيْل وَطَبَّآخ،  
- تَشْت، وَكِيْل قَبِيْح، مَسْؤُول عَنِ الْكَلَاب،  
- سَامُوِيْل تَارَلِي، وَكِيْل بَدِيْن، مَسْؤُول عَنِ الْغِدْفَان، يُسَمَّى السَّيْر  
خَنْزِيْر سُخْرِيَّةً،  
- لَارِك، لَقْبُهُ رَجُلُ الْأَخْوَات، وَأَبْنَاءُ عَمُوْمَتِهِ، رُوْلِيْ اِبْنِ سَسْتَرْتُوْن،  
كَارْل ذُو الْقَدَمِ الْمَعْوَجَّة، مَازَلِيْن، پُوْل الصَّغِيْر، الْمُنْشَار، لِيُو  
الْأَعْسَر، أَوْس الْيَتِيْم، بِيْل الْمُتَمْتِم،  
- (كُوْرِيْن ذُو النَّصْفِ يَد)، قَائِدُ جَوَّالَةِ بُرْجِ الظَّلَالِ، قُتِلَ فِي الْمَمْرِ  
الصَّادِح،  
- (الْمُرَافِقُ دَالْبَرِيْدِج، اِبْنُ)، جَوَّالَان، قُتِلَا فِي الْمَمْرِ الصَّادِح،  
- ثُعْبَانُ الْحَجْر، جَوَّالٌ وَمَتَسَلِّقٌ جِبَالًا، فَقَدَ وَهُوَ عَلَى قَدَمِيْهِ فِي  
الْمَمْرِ الصَّادِح،  
- بَلِيْن، نَائِبُ كُوْرِيْنِ ذُو النَّصْفِ يَد، يَقُوْدُ رَجَالَ بُرْجِ الظَّلَالِ عَلَى  
قَبْضَةِ الْبَشْرِ الْأَوَائِلِ،  
- السَّيْرُ رِيَامُ فُلِيْنَتِ،  
(فِي الْقَلْعَةِ السَّوْدَاءِ)  
بَاوْنُ مَارْش، قِيْمُ الْوُكْلَاءِ وَأَمِيْنُ الْقَلْعَةِ،  
- الْمَايْسْتَرُ اِيْمُوْنُ (تَارْجَارِيْنُ)، مُعَالِجٌ وَمَسْتَشَارٌ، كَفِيْفٌ فِي الْمِئَةِ  
مِنَ الْعُمْرِ،  
- كَلَايْدَاسُ، وَكِيْلُهُ،  
- بِنَجْنُ سِتَارِكُ، الْجَوَّالُ الْأَوَّلُ، مَفْقُوْدٌ وَيُخْشَى أَنَّهُ مَاتَ،  
- السَّيْرُ وَيَتَتَوْنَ سِتَاوْت، جَوَّالٌ مِنْذُ ثَمَانِيْنَ عَامًا،  
- السَّيْرُ الْأَدِيْلُ وَيَنْشُ، پَايْپِرُ، دِيْكُ فُوْلَارْدِ الْأَصْمِ، هَالُ الْمُشْعَرِ،  
چَاكُ بُوْلُوَارِ الْأَسْوَدِ، اِلْرُوْنُ، مَاتَارُ، جَوَّالَةٌ،  
- أُوْثِيْلُ يَارُوِيْكُ، الْبِنَاءُ الْأَوَّلُ،  
- ذُو التَّعْلِ الْوَاحِدِ، هَنْلِي الصَّغِيْرُ، هَالْدِرُ، أَلْبَتُ، كِبْجَزُ، پَايْتُ  
الْأَرْقَطُ بِنُ بَرَكَةِ الْعِذَارِي، بِنَّاءُوْنُ،  
- دُوْنَالُ نُوِي، صَانِعُ سِلَاحٍ، حَدَّادٌ، وَكِيْلٌ، بِذِرَاعٍ وَاحِدَةٍ،

- هوب ذو الثلاثة أصابع، وكيل ورئيس الطُّهاة،
- تيم المُتهته، إيزي، مولى، هنلى الكبير، كوچن، آلن الأحمر
- ابن غابة الورود، چيرن، وُكلاء،
- السِّپتون سلا دور، رجل دين سكير،
- السير إندرو تارث، قيّم السِّلّاح،
- راست، أرون، إمريك، ساتان، روبن النُّطاط، تحت التَّدريب،
- كونواي وجورن، مجتدان وجامعان للرجال،
- (في القلعة الشَّرقيّة على البحر)
- كوتر بايك، قائد القلعة،
- المايستر هارميون، مُعالج ومستشار،
- السير أليس ثورن، قيّم السِّلّاح،
- چانوس سلينت، قائد حرس المدينة الأسبق في كينجز لاندنج،
- سيّد هارنهال لفترة وجيزة،
- السير جلندون هيويت،
- داريون، وكيل ومطرب،
- إميت الحديدي، جوّال مشهور بقوّته،
- (في بُرج الظلال)
- السير دينس ماليستر، قائد القلعة،
- وكيله ومُرافقه، والاس ماسي،
- المايستر مولين، مُعالج ومستشار.

## أخوة اللا رايات

جماعة من الخارجين عن القانون



بريك دوندايون، سيّد المرفأ الأسود، لقبه سيّد البرق، كثيرًا ما يُشاع أنه مات،

— يده اليُمّني، ثوروس المايري، راهب أحمر،

— مُرافقه، إدريك داين، سيّد ستارفول، صبيّ في الثّانية عشرة،

— أتباعه:

— ليم، لقبه ليم ذو المعطف اللّيموني، جُندي سابق،

— هاروين، بن هالن، كان في خدمة اللورد إدارد ستارك سيّد

وينترفيل،

— ذو اللحية الخضراء، مرتزق تايروشي،

— توم بن الجداول السّبعة، مطرب سيّئ الشّمعة، لقبه توم سبعة

أوتار وتوم أبو السّبعات،

— أنجاي القوّاس، رام من تُخوم دورن،

— چاك المحفوظ، مَطْلوب للعدالة، أعور،

— القنّاص المجنون، من السّبت الحجري،

— كايل، نوتش، دينيت، رُماة،

— ميريت ابن بلدة القمر، واتي الطّحّان، لوك الرّاجح، مودچ، ديك

- الحليق، خارجون عن القانون في جماعته،  
 - في خان الرَّجُل الرَّاعِ،  
 - شارنا، صاحبة الخان، طاهية وقابلة،  
 - زوجها، يُسَمَّى الرَّوَجِ،  
 - الصَّبِي، من أيتام الحرب،  
 - في ماخور الخوخة بالسَّيْتِ الحجري،  
 - تانسي، مالكة المكان حمراء الشَّعر،  
 - آيس، كاس، لانا، چايزين، هيلي، بلا، من خواتها،  
 - في بهو البلوط، مقر عائلة سمولوود،  
 - الليدي راقبلا، سلية عائلة سوان سابقًا، زوجة اللورد ثيو مار  
 سمولوود،  
 - هنا وهناك،  
 - اللورد ليموند لايتشستر، رجل مسنٌّ خَفَّ عقله، صَدَّ السير  
 ماينارد عند الجسر ذات مرَّة،  
 - وكيله الشَّاب، المايستر روون،  
 - شبح القلب العالي،  
 - سيِّدة الأوراق،  
 - السَّيْتون في ساليديانس.

## الهَمَج أو شعب الأحرار

- مانس رايدر، ملك ما وراء الجدار،  
- دالا، زوجته الحُبلى،  
- قال، أختها الصَّغيرة،  
- زُعماؤه وقادته:  
- هارما، لقبها رأس الكلب، تقود طليعة جيشه،  
- سيّد العظام، يُسَمَّى ذا القميص المُخشِخِش سُخريةً، قائد فرقةٍ  
حربيّة،  
- إيجريت، زوجة حربّة شابّة، من فرقته،  
- رايك، لقبه ذو الحربة الطويلة، من فرقته،  
- راجوايل، لاينل، من فرقته،  
- أسيره، چون سنو، العُراب المرتدّ،  
- جوست، ذئب چون الرّهيب، أبيض وصامت،  
- ستير، ماجنرّين،  
- چارل، مُغير شاب، حبيب قال،  
- جريج التيس، إروك، كورت، بودچر، دل، بشرة الكبير، دان  
القنبي، هنك ذو الدّفّة، لن، توفينجر، ذو الإبهام الحجري، هجّانة،  
- تورموند، ملك البتّع في البهو القاني، ألقابه بليّة العماليق،  
المهدار، نافخ البوق، وكاسر الجليد، وأيضًا قبضة الرّعد، زوج  
الدّيبة، كليم الآلهة، وأبو الجيوش،  
- أبناؤه، توريج الطّويل، تورويند المرؤّض، دورموند، درين،

- وابنته، موندأ،  
 - (أورل، لقبه أورل النَّسر)، مبدل جِلدة قتله چون سنو في الممر  
 الصَّادح،  
 - ماج مار تون دوه ويچ، لقبه ماج الجبَّار، ملك العمالقة،  
 - فآرامير، لقبه ست جلود، سيّد لثلاثة ذئاب وقَطَّ ظِلُّ ودُبِّ  
 ثلوج،  
 - البكاء، مُغير وقائد فرقة حربيَّة،  
 - (ألفين قاتل الغريبان)، قتله كورين ذو النُّصف يد رجل حرس  
 اللَّيل،  
 كراستر سيّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،  
 - جبلي، ابنته وزوجته، حُبلي،  
 - ديا، فيرني، نلا، ثلاث من زوجاته التسع عشرة.

## شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

إذا كان القرميد رديء الصُّنْعِ فسيَسْقُطُ الجدار.  
إنني أشيِّدُ جدارًا هائلًا هنا، ولذا أحتاجُ إلى الكثير من القرميد، ولحُسنِ  
حَظِّي أنني أعرفُ الكثير من صُنَّاعه المَهْرَةِ، وأشكالًا ألوانًا من الأناس  
المفيدة أيضًا.

شُكْرِي وَتَقْدِيرِي مَرَّةً أُخْرَى لِلأَصْدِقَاءِ الأَعْزَاءِ الَّذِينَ أَعَارُونِي خَبْرَاتِهِمْ  
(وفي بعض الحالات كُتِبَهُمْ) كي يكون قرميدي قويًا متماسكًا. إلى المايستر  
الرئيس ساج ووكر، إلى بنائي الأول كارل كايم، إلى ميلندا سنودجراس قيِّمة  
خيولي.  
ودائمًا وأبدًا، إلى باريس.

## المؤلف چورچ ر. ر. مارتن



عشر سنوات قضاها چورچ ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التلفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «Beauty and the Beast» و«The Twilight Zone»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التلفزيون أو السينما - بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جدًا لا قبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من



القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًا على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تفتق عنها مخيلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو جيرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفرغ وتحميل البضائع على السفن، وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخّص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيو آرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سنٍ صغيرة، ويبدأ ببيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصّة، وأحيانًا كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظلّ مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكومكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجّعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت منه مجلة «Galaxy» واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عمل احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي، حيث درس التاريخ وحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب فيتنام.

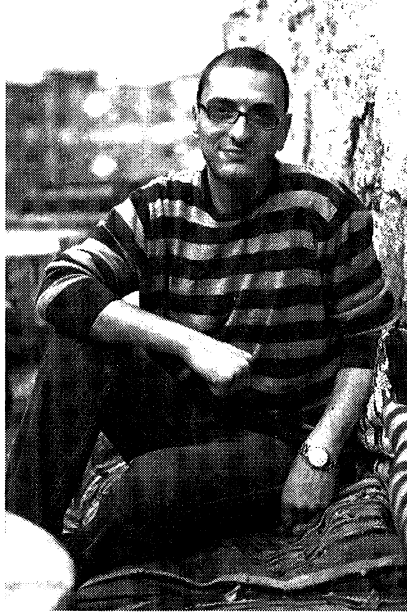
عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll»

كأفضل مجموعة قصصية لذلك العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وُترجمت إلى تسع لغات.

بحلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصده المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى إن مارتن قال إنه «دُمّر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين»، ولكن سرعان ما تعافى من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه هوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنية الجليد والنار» تمامًا لو كان قدمها للاستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة «HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones»، والذي عمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية باريس متفرغًا لكتابة الجزأين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحرَّ من الجمر.

المترجم  
هشام فهمي



درس الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعمل مترجمًا و كاتبًا في عددٍ من الصحف والمجلات، وترجم عددًا من الأعمال لكتاب عالميين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شلي، «1408» لستيفن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك بولانك، و«المحيط في نهاية الدرب» لنيل جايمان.

## شُكر من المترجم

تظلُّ قائمة الأصدقاء الذين وجَّهتُ لهم الشُّكر في الكتابين الأول والثاني كما هي بالطَّبع، وأودُّ أن أضيف إليها كلاً من الأصدقاء إيناس عبد الله وشادي عبد العزيز ونادر أسامة وهند خالد.

سلسلة چورچ ر. ر. مارتن الملحمة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في  
لعبة العروش  
وتُستكمل في  
صدام الملوك  
عاصفة السُّيوف  
وليمة للغربان  
رقصة مع التنانين  
رياح الشتاء  
حُلم بالربيع